

جائزة
البوكر
2013

إليانور كاتون

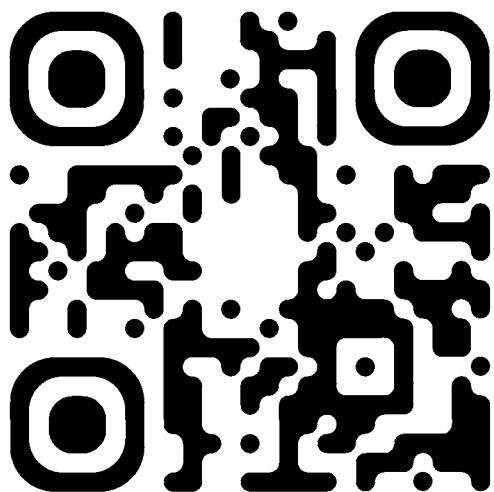
مكتبة

المنيران

ترجمة: روزا صلاح يوسف



الحروقة



سجل في مكتبة
اضغط الصفحة
SCAN QR

المنيران

إليانور كاتون

عنوان الكتاب: المنيران The Luminaries
المؤلفة: إليانور كاتون Eleanor Catton
ترجمة: روزا صلاح يوسف
مراجعة لغوية: محمود شرف
إخراج داخلي: رشا عبدالله

مركز
المحروسة

للنشر و الخدمات الصحفية و المعلومات

قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 - المقطم - القاهرة
ت، ف:- 002 02 28432157

.....
 mahrousaeg
 almahrosacenter
 almahrosacenter
 www.mahrousaeg.com
 info@mahrousaeg.com
 mahrosacenter@gmail.com
.....

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران
مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: ١٠٨٦٧ / ٢٠٢٥
الترقيم الدولي: 5-043-894-977-978
جميع حقوق الطبع والنشر باللغة العربية
محفوظة لمركز المحروسة
2025

Copyright © 2013 by Eleanor Catton

creative 
ARTS COUNCIL OF NEW ZEALAND THE AUT LARGA

"This translation was made possible with support from Creative
New Zealand & The Publishers Association of New Zealand."

مكتبة

t.me/soramnqraa

المنيران

إليانور كاتون

ترجمة

روزا صلاح يوسف

الطبعة الأولى 2025

مكتبة
t.me/soramnqraa



بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

كاتون، إيلانور.

المنيران / إيلانور كاتون؛ ترجمة: روزا صلاح يوسف. - ط 1
القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2025

119 ص؛ 21.5×14.5 سم

تدمك 5-043-894-977-978

1- القصص النيوزلاندية

2- الأدب الإنجليزي

أ- يوسف، روزا صلاح (مترجم)

ب- العنوان

823

رقم الإيداع 2025/10867

كاتون موهوبة بشكل مذهل، وكتاباتنا تخطف الأضواء بحق
"مما نشرته جريدة النيويورك تايمز عن الكتاب"

إلى بوب، الذي يرى النجوم
وإلى جود، الذي يسمع موسيقاها

جدول المحتويات

15	ملحوظة للقارئ	
17	خارطة الشخصيات	
21	سماء داخل سماء	1
23	عطارد في برج القوس	
75	المشتري في برج القوس	
123	المريخ في برج القوس	
167	زحل في برج الميزان	
205	منتصف الليل يتجلى في برج العقرب	
235	القمر يكبر في برج الثور	
289	الشمس في برج الجدي	
323	المنزلان الرابع والعاشر من السماء	
345	نقطة التقاء في برج العذراء	
381	الزهرة في برج الجدي	
403	ارتباطات	
453	عطارد في برج القوس	

- 479
 481 درب الشمس احتجاب القمر
 483 برج الحمل في المنزل الثالث
 495 المشتري في برج القوس
 513 عطارد في برج الجدي
 527 المريخ، الشرير الأصغر
 537 الشمس في برج الدلو
 557 زحل في برج الميزان
 575 المريخ في برج الجدي
 611 البرج الترايبي المسيطر
 637 شهر بدون قمر
 667 الزهرة في برج الدلو

- 689
 691 عطارد في برج الدلو
 705 الشمس في برج الحوت
 727 زحل في برج العذراء
 739 الزهرة في برج الحوت
 749 المشتري في برج الجدي
 775 القمر هلال في برج الحمل
 783 المريخ في برج الدلو
 795 نجا بوتيكوي اريوا/ أطفال أنتاريس
 815 زحل، الشرير الأكبر
 825 الاعتدال

835 **باينجا واهـا واهـا** 4

837 المنزل الأول في برج الحمل

843 عطارد في برج الحوت، والقمر المقترن بزحل

881 الزهرة يظهر كنجمة الصباح

889 سُمُو في برج الحمل

929 هاوس أوف ماني ويشيز

937 غموض

945 احتراق

951 عطارد يغرب

965 التقاء الشمس والقمر (القمر الجديد)

971 **الأثقال والمال** 5

973 فضة

985 ذهب

995 نحاس

1001 العناصر الخمسة

1003 حديد

1009 صفيح

1013 قار

1019 أثقال

1025 **الأرملة وملابس الحداد** 6

1027 الأرض الثابتة

1037 المريخ في برج السرطان

1043 تي را أو تاينوي طريق قبيلة تاينوي

- 1047 الكرامة العارضة
1051 برج الحمل تحت سيطرة المريخ
1053 الشمس في برج الجوزاء
1055 برج العقرب تحت حكم المريخ

7 السّكن 1059

- 1061 برج السرطان والقمر
1063 شمس برج الأسد
1065 برج الدلو وزحل
1067 الولاية الطويلة للمشتري
1069 الكرامة المتأصلة
1073 النجم الصاعد

8 حقيقة منجم الأورورا 1075

- 1077 زحل في برج العذراء
1079 المشتري في برج القوس
1081 القمر الجديد في برج الأسد
1083 الشمس في برج الأسد
1085 فجر من نوع آخر

9 الأرض المتغيّرة 1087

- 1089 القمر في برج العذراء، هلال
1091 الشمس في برج العذراء
1093 كسوف جزئي للشمس
1095 بابا-تو-أ-نوكو أمنا الأرض

1097	10	تعاقب الأمور
1099		الأذى
1101		السقوط
1102		النجم الهابط
1105	11	أفول كوكبة الجوزاء عند صعود كوكبة العقرب
1107		القمر في برج الثور (من ناحية كوكبة الجوزاء)
1109		الشمس في برج العقرب
1111	12	القمر القديم في أحضان القمر الجديد
1113		المنيران
1115		شكر وتقدير
1117		نبذة عن المؤلفة
1119		نبذة عن المترجمة

ملحوظة للقارئ

إن مواقع النجوم والكواكب بالشكل الذي ذُكِرت به في هذا الكتاب صحيحة فَلَكيًّا. وقد أخذنا في اعتبارنا ظاهرة الحركة المدارية، وهي الحركة التي يتغيَّر فيها ميل المحور الذي تدور به الكواكب حول نفسها وحول الشمس، حيث إن الاعتدال الفلكي، والذي يُدعى أحيانًا الاعتدال الربيعي، ويمثِّل المكافئ الفلكي لخط جرينتش، قد تغيَّر بمرور الزمن، فالاعتدال الربيعي في نصف الكرة الشمالي (الخريفي في نصف الكرة الجنوبي) كان يحدث قديمًا عند وجود الشمس في برج الحَمَل، أول الأبراج الفلكية. لكنه أصبح يحدث الآن بينما تكون الشمس في برج الحوت، وهو البرج الثاني عشر في الأبراج الفلكية؛ بالتالي، وكما سيلاحظ قُراء الكتاب، فإن كل برج فلكي يظهر في الكتاب بعد التاريخ المعروف لظهوره حاليًا بشهر تقريبًا. نحن بهذا التصحيح لا نقصد الإقلال من مكانة ما هو متعارف عليه، لكننا لاحظنا أنه يفسر حالة السماوات في القرن التاسع عشر. وهذا التفسير في رمزيته ينتمي

لبرج الحوت، ومواليد برج الحوت، وزمن الحوت، زمن المريا، والإصرار،
والفطرة، والازدواجية، والأشياء المخفية. ونحن بذكر هذه الملحوظة
إنما نؤكّد إيماننا بما تحويه سماواتنا غير المحدودة من معرفة، وبما
تملكه من تأثير.

خارطة الشخصيات

النجوم

مكتبة
t.me/soramnqraa

تي رو تاوهار، باحث عن الزمرد

تشارلي فروست، موظف بنك

بنجامين لوينثال، محرر جريدة

إدجار كلينش، مدير فندق

ديك مانرينج، ثري من أثرياء حقول الذهب

كبي لونج، صائغ ذهب

هارلد نيلسن، تاجر بالعمولة

چوزيف بريتشارد، كيميائي

توماس بالفور، وكيل شحن

أوبرت چاسكوين، موظف في المحكمة

سووك يونج شينج، منعزل

كويل ديفلن، قس

الكواكب

والتر مودي

ليديا (ويلز) كارفر، ليديا جرينواي (قبل الزواج)

فرانسيس كارفر

أليستار لودرباك

چورچ شيبرد

آنا وذيريل

إيميري ستينز

الأرض

كروسبي ويلز

مواقع ذات علاقة

كوخ ويلز (وادي أراهورا)

البنك المركزي (شارع ريفل)

مكتب جريدة تايمز الساحل الغربي (شارع ويلد)

فندق جريديرون (شارع ريفل)

منجم أورورا (كانيير)
مسبك الذهب في الحي الصيني (كانيير)
نيلسن وشركاه (رصيف جيبسون)
وكر الأفيون (كانيير)
جود سبيد (سفينة شراعية مسجلة في ميناء تشالمرز)
محكمة هوكتيكا (المحكمة الابتدائية)
واي فيرر فورتشن (شارع ريفل)
سجن هوكتيكا (سي فيو)

تأثيرات ذات علاقة

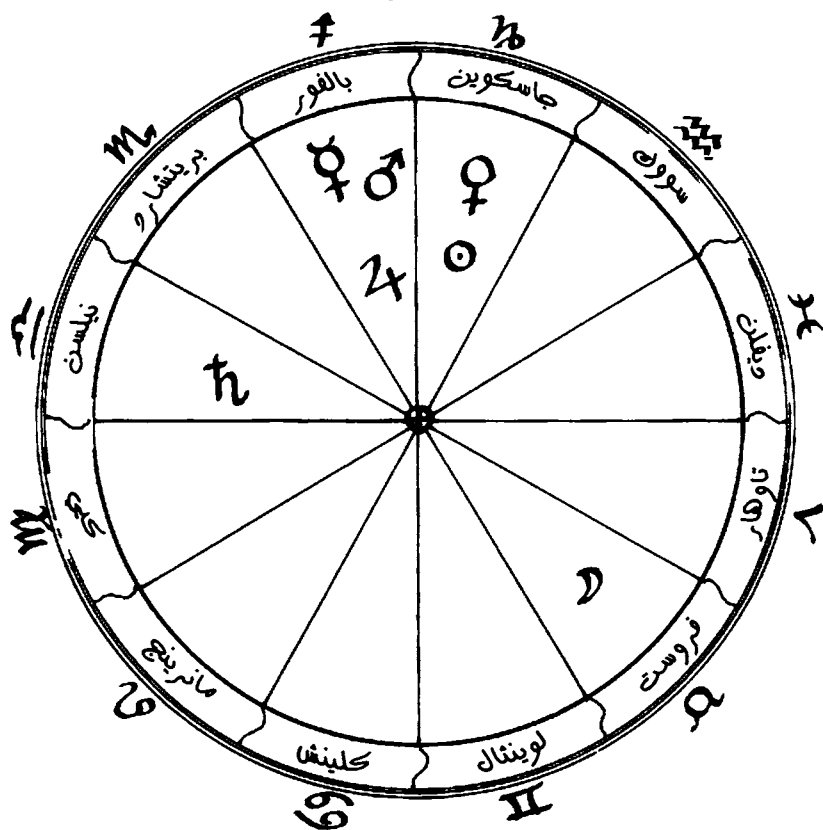
الغرض
الرغبة
القوة
السيطرة
الحدود
الأقصى (الأدنى سابقًا)
الأدنى (الأقصى سابقًا)
(المتوقّفون)

الجزء الأول

سماء داخل سماء

27 يناير 1866

$42^{\circ} 43' 0'' \text{ ج} \int 170^{\circ} 58' 0'' \text{ ع}$



عطار د في برج القوس

وفيه يصل غريبٌ إلى هوكتيكا، وتتَّمُّ مقاطعة اجتماع سري، ويخفي والتر وودي أحدثَ ذكرياته، ويبدأ توماس بالفور في سرد حكاية.

أوحى الاثنا عشر رجل الموجودون بغرفة التدخين بفندق كراون باختلاف ملابسهم ما بين المعاطف مفتوحة الذيل، ومعاطف المناسبات الخاصة طويلة الذيل، والسُّترات المصنوعة من المنسوجات الثقيلة بأزرار من قرون الحيوان. بالإضافة لاختلاف أعراقهم، بحشدٍ جَمَعَتِه المصادفة. كانوا مجرد اثني عشر غريبًا، حشد من البشر قد تحوي مثله عربة قطار وينزل كلُّ منهم في محطة وصول مختلفة في مدينة حافلة بالضباب والأنواء الكافية لعزله عن الآخرين. تأمر انعزالهم المتعمَّد عن بعضهم، الذي ظهر جليًّا في استغراق أحدهم فيما يقرؤه، وميل آخر لينفضَّ رماده على الشبكة الحديدية للمدفأة،

ووضع ثالث منهم راحة يده على القماش الأخضر لمنضدة البلياردو استعداداً لدوره في اللعب، ليخلق صمتاً يشبه الصمت الذي يغشى آخر محطات القطارات. باختلاف واحد، أنه بدلاً من صرير العجلات وضجيج عربات القطار، فقط أحاط بصمتهم ديب قطرات المطر الثقيلة المنهمرة بغزارة.

هذا ما أحسَّه السيد والتر مودي من موقعه على مدخل الغرفة ويده على إطار الباب. إنه بعيد كل البعد عن شبهة ازعاج اجتماع خاص؛ هذا لأن المجتمعين توقَّفوا عن الحديث بمجرد سماعهم لصوت أقدامه في الممر المفضي للغرفة؛ وحينما فتح الباب، كان كلُّ من الاثني عشر رجلاً مستغرقاً فيما يفعله بشكل مبالغ فيه (أما لاعبو البلياردو، فقد تناثروا حول المنضدة بطريقة عشوائية لأنهم لم يتدكَّروا أماكنهم الصحيحة) لدرجة أنه لم يرفع أحدٌ عينيه ليلقي نظرة عابرة عليه حين خطأ داخل الغرفة.

التزام جميع الحاضرين بالتجاهل التام لدخوله ربما كان ليثير انتباه السيد مودي في العادة. لكنه لم يكن في حالته الطبيعية. كان مشوّشاً ويحسُّ بالغثيان. كان يعلم أن الرحلة إلى غرب كانتبري خطيرة لدرجة قد تصل إلى الهلاك في أسوأ الأحوال، حيث البحر هائج يموج بلا نهاية بمياه بيضاء اللون من أثر الزبد وينتهي عند الحاجز القاري لهوكتيكا حيث تتبعثر بقايا السفن التي تحطَّمت عليه كشواهد قبور في مقبرة. كان قد هيأ نفسه لكل هذا، إلا أنه لم يكن مهتماً للرعب الذي صادفه في رحلته، الرعب الذي لا يستطيع البوح به، حتى لنفسه. لم يكن مودي بطبيعته يطيق أن يحسَّ بنواقص أو عيوب في شخصه، فجذبه الإحساس بالخوف والتوعك إلى داخل نفسه، وهذا هو السبب في أنه -وعلى النقيض من طبيعته- لم يستطع التقاط الإحساس الذي يغمر الغرفة التي حلَّ بها.

يتمتع مودي بهيئة توحى باليقظة والاستعداد. بعينين رماديتين ثابتة النظرات، وفي صبياني الشكل رشيق الحركة يرتسم عليه عادة تعبير من الاهتمام المهذب. وشعر متموج الخصلات كان يتركه يصل إلى كتفيه في مقبّل شبابه، لكنه الآن أصبح أقصر وأقرب إلى رأسه، كان يمَشّطه مفروقًا من جانب رأسه بدهانٍ حلو الرائحة يطفئ لمعانه الذهبي ويعطيه مظهرًا بُنيًا زيتيًا. وكان حاجباه وخداه مستويين ومحدّدي الشكل، وأنفه مستقيمًا، وبشرته ناعمة. لم يكن قد أكمل بعد عامه الثامن والعشرون، وحركاته تتسم بالسرعة والدقة، ومليئا بالعرفوان المنزه عن السذاجة وعن الخبث. وكان يقدم نفسه للآخرين كشخص كتوم وسريع البديهة تمامًا كأنه كبير الخدم في بيت أحد النبلاء، ولهذا يكسب ثقة أكثر الأشخاص كتمانًا، ويطلب منه بعض من قابلهم حديثًا التوسط بينهم وبين بعض. وباختصار، أوحى مظهره بالقليل جدا عن شخصيته الحقيقية، وأكسبه ثقة الآخرين بسرعة.

لم يكن مودي غافلاً عن المزايا التي يضمنها له مظهره الحسن. وكمعظم المحظوظين بجمال الخِلة فقد درس تفاصيل ملامحه الخارجية بكل دقة، وعرف نفسه -من الخارج- جيدًا؛ كان موجودًا دائمًا في مكانٍ ما داخل عقله ينظر لنفسه من الخارج. وأمضى عددًا لا يُستهان به من الساعات داخل الكوة المُلحقة بغرفة تبديل الملابس الخاصة به، حيث تعكس المرايا المثبتة على الحائط ثلاث صور له: وجهه وجانب جسده وجسده كاملاً، كان يرى أنه يشبه تشارلز، إحدى لوحات الرسام فان دايك، لكنه يفوقه جاذبية. احتفظ بهذه التأمل الدقيق لصورته في المرأة سرًا، بل إنه كان يُنكر حدوثه إذا ما سُئل عنه. فقد أجمع كل أنبياء الأخلاق في عصرنا على تحريم استكشاف الإنسان لجسده! كأن الإنسان لا علاقة له بنفسه، وأنه ينظر في المرأة فقط ليتأكد من اكتمال غطرسته؛ وكأن محاولة الإنسان لمعرفة نفسه تختلف عن الصلة التي تجمع بين أشقاء الروح، في

رَفَّتْهَا وَغَنَّاها وَتَغَيَّرَها الدائم. وسعى مودي في خياله ليس إلى الثناء على جمال مُحَيَّاه، ولكن لإحكام السيطرة على مقاليد هذا الجمال. وهو بكل تأكيد في كل مرة يلمح انعكاس صورته على زجاج نافذة، أو على لوح زجاجي عند حلول الظلام، يشعر برجفة من الرضا تسري بين جوانحه، لكنه رضا من النوع الذي قد ينتاب مهندسًا يشاهد إحدى الآلات التي قام بتصميمها ويجدها رائعة، متألفة، تعمل بسلاسة، وتؤدي الوظيفة التي صُمِّمَت من أجلها على أكمل وجه.

بإمكانه رؤية نفسه الآن في وقفته على باب غرفة التدخين بقوامه المثالي. متعب حتى يكاد يتعثر في خطواته؛ ويئنُّ بحمل ثقيل من الرعب مدفون في أعماقه، يحسُّ كأن أحدهم يتبعه، يطارده. كان مليئًا بالهلع. ألقى على الغرفة نظرةً امتزج فيها التعالي المهذب بالاحترام. بدت الغرفة له كذكرى قديمة في مخيلة عقل فَقَد الكثير من قدرته على التذكر، فسقطت عنها الكثير من التفاصيل (مثل الشبكة الحديدية الأمامية للمدفأة، والستائر، وإطار المدفأة) لكن هناك بعض التفاصيل لم تضيع، ومنها: صورة لرفيقة الأمير الراحل، مقصورة من مجلة ومثبتة على الحائط المقابل للفناء بمسامير صغيرة من النوع المستخدم في صناعة الأحذية؛ وَغَرَزَ الخياطة الظاهرة في منتصف قماش منضدة البلياردو التي تَمَّ قطعها بالمنشار لنصفين على رصيف ميناء سيدني لإتاحة فرصة أفضل لوصولها إلى وجهتها سالمة؛ وكومة الجرائد القديمة على منضدة الكتابة، التي رَفَّت أوراقها واكتسبت لمعانًا من كثرة ما تداولتها الأيدي. أظهرت النافذتان الصغيرتان على جانبي المدفأة الساحة الخلفية للفندق، والتي بدت أشبه بمستنقع، تناثرت بها صناديق الشحن والبراميل الصدئة، ويفصلها بعض شجيرات السراخس عن الملكية المجاورة. ويحدها شمالاً صفٌّ من عشب الدواجن تحيط السلاسل الحديدية بأبوابها تحسُّبًا للصَّوَص. خلف هذا الحد الضبابي يمكن رؤية أحبال الغسيل المبتل تمتد

بطول وعرض الساحات الخلفية للمنازل القائمة شرق الفندق، وأكداس من جذوع الأشجار المقطوعة، وحظائر خنازير، وأكوام من الحديد الخردة وألواح الصاج، ومناخل ذهب محطمة، وأحواض مياه خشبية مكسورة. كلها أشياء تم الاستغناء عنها، أو في حالة مشابهة من الدمار. دقّت الساعة معلنة عن تلك الساعة المتأخرة من الغسق، حين تفقد الألوان رونقها بغتةً، وكانت السماء تمطر بغزارة، وخلف الزجاج المتعرج بدت الساحة الخلفية تبهت وتتلشى. وداخل الحجرة لم تنجح مصابيح الزيت بعد في التغلب على ضوء النهار الآفل الذي يحمل لون البحر، وساهمت بشحوب ضوئها في زيادة الكآبة العامة لأثاث الغرفة.

بالنسبة لرجل اعتاد ارتياد نادٍ في أدنبره، حيث المكان كله مضاء بدرجات من الأحمر والذهبي، والأرائك المنجّدة تلمع في إشارة إلى ضخامة السادة المتخّذين لمجلسهم عليها؛ وحيث يحصل المرء فور دخوله على سُترة ناعمة تفوح منها الرائحة المبهجة للينسون، أو النعناع، وبعدها تصبح أبسط حركة بالإصبع ناحية حبل الجرس كافية لإحضار زجاجة من النبيذ الأحمر على صينية فضية. كان مشهد الغرفة مُبتدلاً لحد الوقاحة، لكن مودي لم يكن رجلاً يزعجه اختلال المعايير، جعلته البساطة الفظة للغرفة ينسحب أكثر داخل نفسه، كما قد يتنحّى أحد الأغنياء برشاقة جانباً وتتجمّد ملامحه إذا ما صادف شحاذاً في الطريق. لم تتغير النظرة الهادئة على وجه مودي وهو يجول بعينه في المكان، لكن داخلها: كل تفصيلة جديدة، كومة الشمع المتسخة تحت تلك الشمعة، دائرة التراب التي تحيط بذلك الكأس- تسبّبت في انسحابه أكثر وأكثر داخل نفسه، وانغلاقه أكثر وأكثر في مواجهة المشهد.

لم ينبع هذا الانغلاق اللا واعي من تحامل الأغنياء المعتاد، مودي في الواقع متواضع الغنى، وكثيراً ما تصدّق على المعدمين، واستمتع

(وعلينا الاعتراف بهذا) بموجة صغيرة من السعادة بكرمه، لكنه كان يعاني في صمتٍ من فقدان الاتزان، ويكافح سرًا لاستعادته. وهو في مدينة للبحث عن الذهب بُنِيَتْ حديثًا ما بين الغابة والساحل في أقصى جنوب العالم، وهو لم يتوقع أن ينعم فيها بالرفاهية.

والحقيقة أنه منذ أقل من ست ساعات، على سطح السفينة التي عبرت به من ميناء تشالمرز لهذا الجزء المتوحش من الساحل، شهد مودي حدثًا غير عاديٍّ أثر فيه لدرجة زلزلت أعماقه. كان المشهد لا يزال ماثلاً أمامه، كأن باب في إحدى جنبات عقله قد وورب ودخل منه شعاع بسيط من الضوء، ولم يُعَد في استطاعة مودي استعادة الظلام مرة أخرى. كان يبذل جهدًا كبيرًا ليمنع هذا الباب أن يفتح أكثر. وفي هذه الحالة من الضعف فإن أي إزعاج بسيط يصبح بمثابة إهانة شخصية. أحسَّ كأن المشهد الكثيب المائل أمامه يعكس كل الأحوال التي مرَّ بها مؤخرًا، فانسحب منه بغرض أن يمنع عقله من العودة للماضي.

وأقَى الترفُّع بفائدة، فقد منحه القدرة على الحكم على قيمة الأشياء، منحه إحساسًا بالاستحقاق، وبالأمان.

قال لنفسه أن هذه الغرفة نحسُّ، وجرداء، وكئيبة، وبعدما حصن عقله تجاه الغرفة تحوَّل للاثني عشر رجلًا، وخطرت له فكرة "البانثيون" الذي هو اجتماع عظماء روما، وفكر ساخرًا: لا بُدَّ أن هذا هو البانثيون معكوسًا، وامتعته الفكرة، وأكسبته المزيد من الثبات.

رجال الغرفة ككل سُكَّان الأماكن النائية كانوا يحملون أثر الشمس والجو على جلودهم. فبشرتهم ملوَّحة، وشفاههم بيضاء مُشَقَّقة، ويوحي مظهرهم العام بالحرمان والفقد. اثنان منهم كانا صينيَّين يرتديان زيًّا واحدًا مكوَّنًا من حذاء قماشي وقميصًا قطنيًّا رماديًّا اللون، ووراءهم وقف رجلٌ من الماوري، وهم السكان الأصليون لهذه

البلاد، وجهه موشوم بدوائر زرقاء مخضرة. أمّا بقية الحاضرين فلم يستطيع مودي معرفة أصولهم. لم يكن قد عرف بعد أن التنقيب عن الذهب قد يجعل المرء يشيخ في غضون أشهر؛ أدار مودي نظره في الغرفة وقدّر أنه ولا بُدَّ أصغر الموجودين سنًا، بينما في الحقيقة فإن بعضهم أصغر منه، وبعضهم قريبون منه في العمر. وقد ذهب عنهم بريق الشباب للأبد. سيظلون للأبد نكدين، قَلِقين، انتهازيين، نال الزمن من أجسادهم، يكحّون ترابًا في الخطوط البنية لكفوفهم. رآهم مودي خشنين، غريبى الأطوار، رآهم رجالًا بلا أهمية حقيقية؛ لم يتعجّب من صمتهم التام. كان يريد كاسًا من البراندي ومكانًا ليجلس ويغلق عينيه.

وقف في مدخل الغرفة للحظة، انتظارًا لأي إشارة من أحدهم، ولمَّا لم يتلقَ أي بادرة بالترحيب أو بالنفور خطا خطوة أخرى للداخل وأغلق الباب خلفه بهدوء. ولتقديم نفسه للحاضرين اكتفى بهزّ رأسه بغموض مرّةً باتجاه النافذة ومرةً أخرى باتجاه المدفأة، ثم توجّه للمنضدة الجانبية وانهمك في صبّ مشروب لنفسه من زجاجات الشراب. واختار سيجارًا وقطعه ووضع بين أسنانه والتفت للغرفة، وتصفّح الوجوه مرّةً أخرى. لم يبدُ على أيّ منهم أدنى تأثر بوجوده؛ وقد أراحه هذا. جلس في المقعد الوحيد المتاح، وأشعل سيجاره، وأراح ظهره في مقعده وتنهّد كرجلٍ يشعر أنه يستحق نصيبه من الراحة -خاصّةً اليوم- تمام الاستحقاق.

لم يطل إحساسه بالرضا. بمجرد أن فرد ساقيه ووضع إحداهما فوق الأخرى (وقد لاحظ بمنتهى الاستفزاز أن الملاح قد جفّ على بنطلونه على شكل موجات) مال الرجل الجالس على يمينه مخترقًا الهواء بسيجاره وقال: "اسمع، هل أنت هنا في الكراون لغرض ما؟".

باغتته صيغة السؤال، لكن وجه مودي لم يشِ بمشاعره كثيرًا. هزَّ رأسه بأدب وقال إنه قد حجز غرفةً لنفسه في الفندق، وأنه قد وصل المدينة هذا المساء.

"أتعني أنك نزلت لتوَّك من السفينة؟".

هزَّ مودي رأسه مرة أخرى وأكَّد أن هذا بالضبط ما يعنيه، وحتى لا يسيء الرجل فهمه أضاف أنه جاء من ميناء تشالمرز وفي نيَّته أن يجرب التنقيب عن الذهب.

قال الرجل: "حسن، هذا حسن، هناك اكتشافات جديدة على الشاطئ شمالًا، الأرض مليئة بالذهب. ستسمع النداء: رمال سوداء، رمال سوداء شمال طريق تشارلستون، بالطبع تشارلستون إلى الشمال من هنا. بالرغم من أنك تستطيع جني ما يغطي مصاريفك في الأخدود. هل لديك رفيق؟ أم جئتَ لوحدك؟".

قال مودي: "أنا بمفردي".

قال الرجل: "بلا أي اتفاقات مسبقة!".

للمرة الثانية يندهش مودي من صياغة الرجل لكلماته، وقال: "حسنًا، لقد نويتُ أن أبني نفسي، هذا كل ما في الأمر".

كرَّر الرجل: "أنتَ هنا بلا اتفاقات مسبقة، وبلا أي غرض، ليس لك أي غرض هنا في الكراون؟".

تكرار نفس السؤال مرَّتين يُعَدُّ تطاولًا، لكن الرجل يبدو لطيفًا ومُشَتَّت الانتباه لدرجة ما، كان يعبث بأصابعه في تلايب سترته. فكَّر مودي أنه ربما لم يكن واضحًا بدرجة كافية، فقال: "غرضي الوحيد من هذا الفندق هو أن أرتاح. وفي الأيام القليلة القادمة سوف أُجري بعض البحث حول التنقيب، عن الأنهار الغنية بالذهب، وعن الوديان

الخالية منه، وأعرف أكثر عن حياة المنقبين. أنا أنوي البقاء لأسبوع هنا في الكراون، بعدها سأشد الرحال إلى الأراضي الداخلية".

مكتبة

t.me/soramnqraa

"إذن أنت لم تنقّب عن الذهب من قبل".

"لا يا سيدي".

"لم ترّ الذهب من قبل؟".

"رأيتَه فقط في متجر المجوهرات، في ساعة يد، أو على مشبك حزام، لم أره أبدًا في صورته الخام".

"لكنك حلمتَ به، حلمتَ بالذهب، حلمت أن تجثو على ركبتك في الماء، وتنخل المعدن من بين الحصى".

قال مودي: "قد أكون حلمت به... حسنًا، لا، ليس بالضبط"... غريب هو أسلوب هذا الرجل في طرق أبواب الحديث، فبرغم كلّ التّشوّط الظاهر عليه، فقد كان يتحدث بحماس، وبطريقة مُلحّة لحد الإزعاج. نظر مودي حوله؛ أملًا في نظرة تعاطف من أحد الحاضرين، لكنه لم يلمح عيني أي منهم. كحّ مودي، وأضاف: "أعتقد أنني حلمت بما قد يأتي بعد الذهب، بما سوف يقودني إليه الذهب، بما قد يتحوّل إليه".

بدا الرجل سعيدًا بهذه الإجابة، وقال: "أنا أسمّيهِ السيمياء المعكوسة، أقصد التنقيب عن الذهب؛ فهي سيمياء معكوسة لأنها لا تحوّل الأشياء إلى ذهب، لكنها تحوّل الذهب إلى أشياء أخرى".

"تشبيه حسن يا سيدي"، وانتبه بعد برهة أن تشبيه السيمياء المعكوسة قريب جدًا من التشبيه الذي خطر له حديثًا: البانثيون المعكوس.

قال الرجل وهو يومئ بقوة: "افترض أن البحث الذي ستجريه يختص بأنواع جواريف الحفر، ومناخل المعدن، والخرائط، وما إلى هذا".

"نعم، بالضبط، فأنا أريد أن أعمل بالطريقة المضبوطة".

أسند الرجل ظهره إلى كرسيه وهو ظاهر الانبساط وقال: "أسبوع من الإقامة في الكراون فقط لكي تُجري بحثك!"، وصدرت عنه ضحكة قصيرة عالية. "بعدها ستحتاج إلى أسبوعين في الطين لتعوّض ما أنفقته في الكراون!".

بدّل مودي من وضع ساقيه. لم تكن حالته تسمح أن يردّ على الرجل بنفس حرارة حديثه، لكنه ترنّب بطريقة صارمة جدًا فيما يتعلق بالتزام الأدب. كان يمكن ببساطة أن يعتذر للرجل ويعترف له بتعبه وتوَعُّكه؛ فقد بدا الرجل متعاطفًا بما يكفي، بأصابعه العابثة في تلايبه، وصوت ضحكته المرتفع. لكن التحدث بدون تحفُّظ مع الغرباء لم يكن من عادات مودي، فما بالك بالاعتراف بتوَعُّكه لرجلٍ آخر. فلمّ شتات نفسه داخليًا وقال بنبرة أكثر إشراقًا: "وأنت يا سيدي؟ هل لي أن أظنّ بأن أمورك هنا على ما يرام؟".

أجاب الرجل: "نعم، بالفور للشحن، من المؤكّد أنك ستلمح الاسم، بعد حظائر المواشي مباشرة، في موقع متميز في شارع وارف. بالفور، هذا أنا، واسمي الأول هو توماس، سوف تحتاج لاسمك الأول وأنت تنقّب، لا أحد ينادي الآخر بلقب 'سيد' في الأخدود".

"إذن عليّ أن أتعوّد على استخدام اسمي، اسمي هو والتر، والتر مودي".

قال بالفور وهو يخبط على ركبته: "نعم، وسوف ينادونك بأي اسم آخر غير والتر، ربما ينادونك والت الاسكتلندي، أو والت الذي لديه اثنتان من الأيدي، أو والي قطعة الذهب. وهكذا".

"سيكون عليّ أن أستحقّ اسم والي قطعة الذهب".

ضحك بالفور وقال: "ليس بك حاجة للاستحقاق، فقد رأيت أسماء أنيقة أناقة مُسدّسات السيدات، لكن، دعني أقول لك إن الصعوبة كلها ستكون في معرفة الاسم نفسه".

توماس بالفور يبلغ حوالي الخمسين من العمر، جسده قويّ مفعم بالحيوية، غزا الشيب شعره الذي مشطه من جبهته رجوعاً للوراء وتركه طويلاً حول أذنيه، لحيته طويلة بطرف مدبّب عند ذقنه ولديه عادة تمسيدها للأسفل باطن كفه عند شعوره بالسُرور، وهو ما كان يفعلُه الآن مسروراً بالنكتة التي ألقاها. أحس مودي بالرخاء الذي يحيط بالفور، وتعرّف فيه على شعور الجدارة الهادئ الذي يغمر المرء حين يكلّل سعيه المتفائل في الحياة بالنجاح. كان يرتدي قميصاً، وربطة عنق حريرية فاخرة الصناعة مبقّعة ومفكوكة عند عنقه. رآه مودي كرجل متحرّر، وغير مؤدّب، ومتمرّد الروح، ومَرِح في انطلاقه.

قال مودي: "أدين لك بالفضل يا سيدي، هذه إحدى القواعد الكثيرة التي لا أعلم عنها شيئاً، أنا متأكد أنني كنت سأقع في خطأ استخدام اسم العائلة في الأخدود".

كل ما تصوّره مودي عن التنقيب عن الذهب في نيوزيلندا بعيداً تماماً عن الحقيقة، ومنبعه الأساسي هو اللوحات التي تصوّر حقول الذهب في كاليفورنيا، بأكوأخها الخشبية، ووديانها المنبسطة، والعربات التي تشقّ طريقها في الغبار، وشعور غامض (لم يعرف من أين أتى) بأن المستعمرة بشكل ما ظلّت للجُزُر البريطانية، كأنها الوجه الآخر لعرش الإمبراطورية وقلبها، الوجه البري المتوحش. ومنذ أسبوعين، حين دارت سفينته حول الألسن الصخرية في ميناء شبه جزيرة أوتاجو، اندهش حينما رأى أعلى التل قصوراً وأرصفة للشحن والتفريغ، وشوارع،

وحقائق منسقة بعناية، واندesh الآن حين رأى رجلاً أبيض البشرة أنيق الملبس يناول علبة الثقاب الخاصة به لرجل صيني، ثم يميل مقترباً منه ليتناول كأسه.

مودي من رجال كامبريدج، وُلِدَ في أدنبره لعائلة متواضعة الثروة لديها ثلاثة من الخدم في المنزل. الدوائر الاجتماعية التي كبر بينها في ترينيتي، ثم في انرقبل في سنواته الأكبر، لم يكن فيها أبداً فكر النبلاء المتشدد الذي يفترض أن تاريخ ومحتوى حياة البشر يختلف من إنسان لآخر فقط في الدرجة، وعلى الرغم من ذلك، فإن تعليمه جعله متفوقاً؛ لأنه علّمه أن الطريقة المناسبة لفهم أي نظام اجتماعي هي أن ينظر له من أعلى. وكان يدافع عن الاندماج بين الطبقات في حديثه مع زملائه في الكلية بكل حمية واندفاع الشباب (وهم يرتدون السترات ويشربون نبيذ الراين حتى الثمالة)، لكنه دائماً ما يرتبك حين يجمعه موقف بأشخاص من طبقات أخرى. لم يكن قد عرف بعد أن حقول الذهب مليئة بالخداع، والخطر، حيث كل إنسان غريب عن غيره، وغريب عن الأرض، حيث يمكن أن يملأ الذهب منخل البقال ويخلو منه منخل المحامي؛ مكان بلا تفرقة. كان مودي يصغر بالفور بنحو عشرين سنة، ويتحدث إليه بكل احترام، إلا أنه كان واعياً بأن بالفور من طبقة اجتماعية أقل منه، وواعياً أيضاً بالتنوع الكبير للأشخاص المحيطين به، الذين لم يستطع تخمين مكانتهم الاجتماعية أو أصلهم. لهذا غلّف الجمود سلوكه المهذب، كرجل يجهل كيف يتعامل مع الأطفال لأنه لا يقابل أطفالاً، فينأى بنفسه ويغلّف سلوكه الجمود رغم أنه يود أن يكون لطيفاً معهم.

أحسّ توماس بالفور بهذا التعالي، وسعد به. فهو يحمل نفوراً هزلياً من الرجال الذين يتحدثون، كما يقول، بطريقة أحسن من اللازم، ويسعده استفزازهم، ليس بهدف إغضابهم؛ فالغضب يُضجره؛ ولكن بهدف دفعهم للابتذال. بالنسبة له بدا جمود مودي كياقة

قميص أنيقة ارسنقراطية المظهر وخانقة لمن يرتديها بطريقة غير محتملة، وهذا رأيه بالنسبة لكل شكلات التعامل الاجتماعي، مجرد زخارف بلا فائدة، وأسعده أن يرى الرجل يعاني بسبب تمسكه بآداب التعامل.

بالفور بالفعل، كما خمن مودي، رجل من أصول متواضعة. اشتغل أبوه في ورشة لصناعة السروج في "كنت"، وربما كان الفتى ليخلف أبيه إن لم يفقده في عمر الحادية عشرة في حريق التهم الأب والأسطبل معاً. كان ولدًا قَلِقًا بأساور متآكلة وانعدام صبر يخفيه التعبير الحالم نصف المنتبه الذي يرتسم على وجهه، والعمل الشاق لم يكن ليناسبه. وعلى أي حال، وكما يحب أن يقول، فإن الحصان ليس بإمكانه أن يجاري عربة سكة حديد، ومهنة أبيه لم تسير التطور. أحبَّ بالفور كثيراً أنه عاش فجر عهد جديد. وكان في حديثه عن الماضي يذكره كأن كل عقد مر كان شمعةً سيئة الصنع احترقت ومضت. لم يحنَّ لذكريات طفولته، للسائل الداكن في أحواض دباغة الجلود، ومناشر التجفيف، والكيس الجلدي الذي احتوى إبر ومخراز والده. نادراً ما تذكر هذه التفاصيل إلا ليقارن بينها وبين الصناعات الحديثة. ورأى أن الثروة تكمن في التعدين: مناجم الفحم، والحديد، والذهب.

بدأ عمله في الزجاج، وبعد عدة سنوات أمضاها كمتدرب أنشأ مشروعه الخاص، مصنع متواضع، باعه فيما بعد مقابل حصة في منجم فحم، بمرور الوقت تحوّل لمجموعة مناجم، باعهم لمستثمرين من لندن مقابل مبلغ ضخم. لم يتزوج، وفي عيد ميلاده الثلاثين اشترى تذكرة اتجاه واحد على سفينة شراعية متّجهة لميناء فيراكروز في المكسيك، هذه كانت خطوته الأولى في رحلة استغرقت تسعة أشهر انتهت في حقول الذهب الكاليفورنية. بهت بريق حياة المنقّب في عينيه سريعاً، لكن الأمل الدائم في ثروات الحقول ظلّ متأجّجاً، اشترى بأول ذهب استخرجه حصة في بنك، وبنى ثلاثة فنادق في أربعة أعوام،

وازدهرت أحواله. وحين نضبت حقول الذهب في كاليفورنيا باع كل شيء ورحل إلى فيكتوريا بحثًا عن الجديد في أرض جديدة، وهناك، وللمرة الثالثة، سمع النداء الذي حمله النسيم كصوت نايٍ سحريٍّ تحمله نسمة نادرًا ما تهب، وشدَّ الرحال إلى نيوزيلندا.

خلال الستة عشر عامًا التي قضاها توماس بالفور في الحقول الجديدة، قابل عددًا كبيرًا من أمثال والتر مودي، وظل يكن إعجاب وتقدير عميقين للرجال الأنقياء الذين لم تمتحنهم المحن. أثار الطموح تعاطفه، وكرجل صنع نفسه بنفسه، كان كريم الروح بشكل غير مألوف. تثير الجرأة والرغبة إعجابه. ومن الطبيعي أن يعجب بمودي ببساطة لأن الفتى يسعى في طريق مجهول، ويأمل الكثير من وراء سعيه.

لكن هذه الليلة تحديدًا لم يكن بالفور بلا غرض. دخول مودي للغرفة فاجأ اجتماع الرجال الاثني عشر، الذين اتخذوا من التدابير الكثير ضمانًا لعدم الإزعاج؛ فالصالون الأمامي لفندق كراون كان مغلقًا ليلتها لمناسبة خاصة، ووقف صبي تحت مظلة باب الفندق الرئيسي يراقب الشارع تحسُّبًا لأي شخص يقرر تناول مشروب في حجرة التدخين، رغم ضالة الاحتمال، فغرفة التدخين في الكراون بلا شعبية، بفضل مرتاديها وجاذبيتها، وهي غالبًا خاوية حتى في ليالي نهاية الأسبوع حين يغمر المنقَّبون المدينة، عائدون من التلال في جماعات لينفقوا حصيلتهم من الذهب على الخمور في الحانات. الصبي المكلف بالمراقبة، والذي يعمل لحساب مانرينج، حمل معه رزمة سميكة من تذاكر الدرجة الأولى (تذاكر المقصورات) ليوزعها مجانًا. والتذاكر لعرض اسمه: أحاسيس من الشرق، وهو عرض جديد ومؤكَّد أنه سيحوز الإعجاب، بالإضافة لبعض زجاجات الشمبانيا المجانية في ردهة دار الأوبرا، هدية من مانرينج نفسه، بمناسبة العرض الافتتاحي. بكل هذه المغريات، وبثقتهم أنه لن تجازف أي سفينة

بالرسو في هذا المساء العَكر من ذلك اليوم غزير المطر (بعدما رصدوا كل السفن المتوقع وصولها في صفحات أخبار السفن بجريدة تايمز الساحل الغربي)، لم يخطر على بال المجتمعين الاحتياط من غريب نزل الفندق قبل حلول الظلام بنصف ساعة، وأصبح بالفعل داخل المبنى حين أخذ صبي مانرينج مكانه تحت المظلة التي يقطر منها المطر، وعينيه على الشارع.

والتر مودي، بالرغم من مظهره الباعث على الثقة، والتعالي المهذب الذي يغلفه، لا يزال دخليًا. واحتاروا: كيف يقنعوه بالرحيل عن اجتماعهم دون أن يكتشف أن دخوله قاطعهم، ودون أن يكشفوا عن طبيعة اجتماعهم؟. توَلَّى توماس بالفور مهمة جسّ نبضه لجلوس مودي بجانبه أمام المدفأة، ولتحلّي بالفور بالإصرار والحماسة، واعتياده تحويل أي موقف لصالحه.

قال بالفور: "نعم، يتعلم المرء عادات المكان بسرعة، والجميع بدأ من حيث أنت الآن، كمبتدئ لا يعلم أي شيء. كيف خطرت لك الفكرة؟ اسمح لي بالاستفسار، أنا شغوف بمعرفة ما الذي قد يأتي بالمرء إلى آخر العالم، ما الذي قد يحثه على ذلك؟".

أخذ مودي نَفَسًا من سيجاره قبل أن يردّ: "هذي مُعَقَّد، إنه أمر عائلي ليس من السهل الحديث عنه، ترتّب عليه قدومي بمفردي". قال بالفور بمرح: "لكن في هذا أنت لست وحدك، أوّكد لك أن كلّ رجل هنا أتى هربًا من شيء ما".

أثارت هذه الفكرة قلق مودي، وقال: "بالطبع".

أكمل بالفور: "نعم، هذه هي الحقيقة، كل شخص هنا قد أتى من مكان آخر، كلنا جننا من مكان آخر. أما بالنسبة للأهل فسوف تجد إخوة وآباء جدّدًا في الأخدود".

"إنه لكرم منك أن تطمئنني".

اتَّسَعَتْ ابتسامة بالفور، ولوَّح بسيجاره مؤكِّدًا على كلامه ناثرًا الرماد على صدريته: "أطمئنك! إذا كان هذا يطمئنك فأنت نقى جدًا يا بني".

لم يجد مودي ردًّا مناسبًا، فانحنى مرة أخرى، ورفع كأسه طويلًا لشفتيه، كأنما ينفي عن نفسه أي شبهة للنقاء. وفي الخارج هبَّت ريح قوية قطعت رتابة هطول المطر، وقذفت على النافذة الغربية زخَّةً من الماء. نظر بالفور لطرف سيجاره وهو لا يزال يضحك؛ وضع مودي سيجاره بين شفتيه وأشاح بوجهه بعيدًا، وأخذ نفَسًا خفيًّا.

وقتها، وقف واحد من الأحد عشر صامتًا وثنى جريدته مرتين، وتوجَّه لمنزدة الكتابة ليبدلها بأخرى. كان يرتدي معطفًا أسود بدون ياقة وربطة عنق بيضاء اللون، زي القسس، اندهش مودي حين لاحظ هذا. هذا غريب، لِمَ اختار أحد القساوسة أن يطالع الجرائد في حجرة التدخين لفندق عادي في مثل هذه الساعة المتأخرة من ليلة السبت؟ وَلِمَ يجلس وسط هذه الصحبة؟ راقب مودي الموقَّر وهو يقلب في كومة الجرائد، ويترك أكثر من عددٍ من الكولونيست ويختار عددًا من الجراي ريفر أرجوس ويسحبه مُهمِّمًا برضا، ويمسكه بذراعٍ مفرودة ويميله بامتنان ناحية الضوء. حاول مودي أن يعقل الأمر، ربما ليس الأمر غريبًا، فالليلة مطيرة وقد تكون كل صالونات وحانات المدينة مزدحمة. ربما اضطرَّ القسُّ لسبب ما أن يبحث عن مأوى مؤقت من المطر.

قال بالفور، كأن مودي وعده بقصة مثيرة ونسي أن يبدأها: "إذن فقد تشاجرت".

صحَّح له مودي: "شهدت شجارًا، لكني لم أتسبَّب فيه".

"مع والدك، على ما أعتقد".

نظر مودي إليه بصرامةٍ هادِفًا إسكاته، وقال: "الأمر مؤلم يا سيدي". لكن بالفور مال أكثر للأمام وقد أكدت له ملامح مودي أن القصة جديرة بالاستماع.

وقال بالفور: "هيا، خَفَّف عن عاتقك".

"إنه ليس عبئًا يمكن التخفف منه يا مستر بالفور".

"ليس هذا حقيقياً يا صديقي".

"اسمح لي بتغيير الموضوع".

قال بالفور مبتسمًا: "لكنك أثَّرت اهتمامي، لقد أثَّرت اهتمامي".

قال مودي بصوتٍ منخفضٍ محاولاً حجب محادثتهم عن بقية الغرفة: "اسمح لي بالرفض، اسمح لي بالاحتفاظ بأسراري. لا أودُّ أن تأخذ انطباعًا سيئًا عني".

"لكنه ليس ذنبك، لقد أخبرتني بهذا، النزاع ليس من صُنْعِكَ".

"هذا صحيح".

صاح بالفور بصوت مرتفع: "حسنًا، لا يحتاج المرء لأن يُبقي هذا الأمر سرًّا، أليس كذلك؟ لا يحتاج المرء للاحتفاظ بسرٍّ يخصُّ أخطاء غيره، لا يحتاج المرء لأن يشعر بالعار من أفعال غيره، أليس كذلك؟".

قال مودي بصوت منخفض: "هذا صحيح بالنسبة للعار الذي تجلبه أفعال المرء السيئة، لكن الأمر ليس كذلك إذا ما كان العار يلحق بعائلة بأكملها. أنا لا أرغب في تلطيخ اسم والدي؛ لأنه اسمي أنا أيضًا".

"والدك؟ ما الذي قلَّته لك قبل قليل؟ ستجد آباء آخرين في الأخدود، وهذا ليس تشبيهًا شعريًّا، إنه ما يحدث، ومن الضروري أن يحدث، هذه هي الطريقة التي تتمُّ بها الأمور هنا. دعني أخبرك

عَمَّا يُعْتَبَرُ عَارًا فِي التَّنْقِيبِ: أَنْ تَخْبِرَ غَيْرَكَ بِأَكَاذِيبٍ عَنْ حَقْلِ ذَهَبٍ، هَذَا مَدْعَاةٌ لِلْعَارِ. أَنْ تَغَالُطَ فِي حَسَابَاتٍ مِنْجَمِ ذَهَبٍ، هَذَا مَدْعَاةٌ لِلْعَارِ. أَنْ تَسْرِقَ رَجُلًا، أَنْ تَخْدَعَ رَجُلًا، أَنْ تَقْتُلَ رَجُلًا؛ هَذَا مَدْعَاةٌ لِلْعَارِ. لَكِنْ الْأُمُورُ الْعَائِلِيَّةُ؟ لَا، هَذِهِ أُمُورٌ تَحْكِيهَا لِعَمَالِ الْفَنَادِقِ لِيَنْشُرُوهَا فِي أَنْحَاءِ هَوَكْتِيكَ، فَهَذِهِ بِالنِّسْبَةِ لَهُمْ تُعَدُّ أَخْبَارًا، لَكِنَّكَ لَيْسَ لَكَ هُنَا عَائِلَةٌ، فَكَيْفَ يَكُونُ هُنَاكَ عَارٌ يَلْحَقُ بِالْعَائِلَةِ؟".

اخْتَتَمَ بِالْفُورِ عِظَّتَهُ بِخَبْطَةِ أُنَيْقَةٍ بِكَأْسِهِ الْفَارِغِ عَلَى ذِرَاعِ كُرْسِيِّهِ. وَحَدَّقَ فِي مُودِي رَافِعًا كَفَّهُ الْمَفْتُوحَةَ فِي إِشَارَةٍ إِلَى ثِقَتِهِ فِي قُوَّةِ وَاكْتِمَالِ صِيَاغَةِ حِجَّتِهِ الْغَنِيَّةِ عَنِ الْإِثْبَاتِ، وَإِلَى اسْتِعْدَادِهِ هَذِهِ اللَّحْظَةَ لَتَلْقِيَ التَّيْيِدَ وَالثَّنَاءَ. هَزَّ مُودِي رَأْسَهُ مَرَّةً أُخْرَى بِشَكْلِ آلِيٍّ وَقَالَ بِصَوْتٍ وَشَى لِأَوَّلِ مَرَّةٍ بِإِرْهَاقِهِ الْعَصْبِيِّ: "أَنْتَ مُقْنَعٌ لِلْغَايَةِ يَا سَيِّدِي".

بِالْفُورِ، الَّذِي لَمْ يَزَلْ شَاخِصًا لِمُودِي، تَجَاهَلَ الْمَجَامِلَةَ وَقَالَ: "الْإِقْنَاعُ مَهَارَاتٌ وَحِيلٌ. أَنَا فَقَطْ أَتَحَدَّثُ بِصَرَاحَةٍ".
"أَشْكُرُكَ".

قَالَ بِالْفُورِ، الَّذِي بَدَأَ مُسْتَمْتَعًا لِلْغَايَةِ: "نَعَمْ، نَعَمْ. عَلَيْكَ الْآنَ أَنْ تَخْبِرَنِي عَنِ الشَّجَارِ الَّذِي حَدَثَ فِي عَائِلَتِكَ يَا سَيِّدِ مُودِي، لِكَيْ يُمْكِنَنِي أَنْ أَحْكُمَ بِنَفْسِي إِنْ كَانَ اسْمُكَ قَدْ تَلَطَّخَ".

قَتَمَ مُودِي: "اعْذِرْنِي". وَأَلْقَى نَظْرَةً عَلَى مَا حَوْلَهُ، وَلَا حِظَّ أَنْ الْقَسَّ قَدْ عَادَ إِلَى مَقْعَدِهِ وَانْهَمَكَ فِي الْقِرَاءَةِ. أَمَّا الرَّجُلُ الْقَرِيبُ مِنْهُ، وَهُوَ أَحْمَرُ الْبَشَرَةِ ذُو شَارِبِ امْبِرَاطُورِي وَشَعْرٍ أَحْمَرَ فَبَدَأَ نَائِمًا.

لَمْ يَسْتَسْلَمْ بِالْفُورِ، فَصَاحَ مُلَوِّحًا بِذِرَاعِهِ مَرَّةً أُخْرَى: "الْحَرِيَّةُ وَالْأَمَانُ. أَلَيْسَ هَذَا هُوَ أَصْلُ كُلِّ شَجَارٍ؟ أَتَرَى؟ إِنَّنِي بِالْفِعْلِ أَعْلَمُ مَوْضُوعَ الشَّجَارِ. أَنَا أَعْرِفُ طَبِيعَتَهُ، هَلِ الْحَرِيَّةُ أَهَمُّ مِنَ الْأَمَانِ، أَمْ الْأَمَانُ أَهَمُّ مِنَ الْحَرِيَّةِ. الْأَبُ الْمَسْئُولُ عَنْ مَصَارِيفِ الْبَيْتِ، وَالْإِبْنُ الَّذِي يَتَوَقَّعُ لِلْحَرِيَّةِ، بِالطَّبَعِ قَدْ يَكُونُ الْأَبُ مُسْتَبَدًّا أَكْثَرَ مِنَ الْإِبْنِ،

هذا يحدث أحيانًا، وقد يكون الابن سفيهاً ومُسرفاً، لكنها نفس طبيعة الشجار في كل مرة. حتى بين المحبّين". لم يردّ مودي، فأضاف بالفور: "حتى بين المحبّين، يمكن إرجاع شجارهم لنفس الأساس".

لكن مودي لم يسمعه. فقد نسي للحظة الرّماد الزاحف لسيجاره، والبراندي الدافئ القابح في قاع كأسه. نسي أنه الآن هنا، في غرفة التدخين، في فندق يقع في مدينة عمرها أقل من خمسة أعوام، في نهاية العالم. كان عقله قد هرب وعاد إلى المشهد نفسه: ربطة العنق الغارقة في الدم، واليد الشاحبة المتشبّثة، والاسم الذي يلهث به أحدهم في الظلام مرة تلو المرة تلو المرة، ماجدالينا، ماجدالينا، عاد إليه المشهد فجأة، عنوة، كظلٍّ يمرُّ ببرود على وجه الشمس.

أبحر مودي من ميناء تشالمرز على متن السفينة الشراعية جودسبيد، سفينة صغيرة قوية بمقدمة مُدبّبة أنيقة عليها تمثال ملوّن لنسر من خشب البلوط، تيمُّناً بالقديس يوحنا. اتخذت الرحلة على الخريطة شكل دبوس الشَّعر: اتجهت السفينة شمالاً وعبرت المضيق بين بحرين ثم نزلت جنوباً ناحية حقول الذهب. سمحت تذكّرة مودي بموضع ضيق تحت سطح السفينة، لكنه كان سيئ الرائحة ومكتوماً؛ فاضطرّ مودي إلى قضاء معظم الرحلة على السطح مقرّضاً محدودب الظهر تحت حائط السفينة، وحقيبته الجلدية المبتلة معلقة على صدره، وياقته مرفوعة لتقيه رذاذ الماء، مولياً ظهره للبحر، شاهد أثناء رحلته أقلّ القليل من منظر الساحل، سهول الشرق المنحنية برشاقة لتفسح المجال لمرتفعات خضراء، ومن بعدها الجبال التي تقف فوقهم بعيدة زرقاء، وخلجان الشمال الخضراء الصامتة، التي غرق صوتها في مياهاها الساكنة، وفي الغرب الجداول الصافية للينابيع التي عكّرت صفوها التقاؤها بالشاطئ، حيث نحتت مياهاها مسارات في الرمال.

حين دارت جودسبيد حول الرأس الشمالي وأخذت مسارها جنوبًا، هبط السائل في مقياس العواصف الزجاجي. ولو لم يكن مودي مريضًا وفي حالة يرثى لها لأحسَّ بالخوف وتلى صلواته الأخيرة، فقد سمع من البحّارة أنهم يسمّون الغرق "مرض الساحل الغربي"، وأن حظ المرء السعيد يتجلى قبل أن يصل إلى حقول الذهب بكثير، قبل أن يجثو ويميل طبقه ليلمس الأحجار. فمن غرقوا كثيرون، بقدر مَنْ وصلوا سالمين. وقبطان السفينة، واسمه كارفر، من مكانه خلف الدقّة، قد رأى الكثير من الخرقى تجرفهم الأمواج إلى حتفهم، وأضاف أحدهم بصوت خفيض وعيون متّسعة: كأن السفينة تقف على حافة قبر.

أتت العاصفة راكبة فوق الرياح، بدأت قطعم النحاس في الفم، كأم بارد ازداد باقتراب السحب القاتمة، وهبّت، نزلت عليهم كصفعة من يد أعماها الغضب، واضطرب سطح السفينة، وضربته أنوار البرق والظلال العجيبة التي ألقتها الأشعة في معاناتها من العاصفة، واستمات البحّارة والرعب مرتسمٌ عليهم في إبقاء السفينة في مسارها، كانت كابوسًا حقيقيًا. وامتلاً مودي والسفينة تزداد اقترابًا من حقول الذهب بإحساس مريع بأنها بشكل ما قد استنزلت على نفسها هذه العاصفة الجحيمية.

مودي لا يؤمن بالخرافات، وطالما وجد إيمان الآخرين بها مدعاة للمزاح، وليس من السهل التأثير عليه، لكنه حريص على الانطباع الذي يتركه في الآخرين. ويعود الفضل في هذا ليس إلى ذكائه، ولكن إلى خبراته في الحياة رغم قِلَّتْها وعدم تنوّعها، هذا قبل سفره إلى نيوزلندا، وقبل اليوم لم يعرف من الظنون إلا النوع المحسوب، لقد اختبر أحاسيس الشك، والتشاؤم، والاحتمال، لكنه أبدًا لم يجرب الخوف الذي يتملّك المرء حين يشك في نفسه، حين يعجز عن التأكد من نفسه، هذا الإحساس المرعب، لم يحسّ به من قبل، ولا بالخواء الصامت الذي ملأه بعدها. وحتى وقت قريب لم يكن مُدرِكًا لوجود

مثل هذه المشاعر. خيال مودي بطبيعته لا يشرد، ونادرًا ما يعن التفكير إلا بدافع عمليٍّ. وفكرة أنه سيموت يومًا ما بالنسبة له فكرة عادية بلا رونق خاص. ولأنه ليس متدينًا، فلم يؤمن بوجود الأشباح.

ما حدث في الجزء الأخير من رحلة مودي يخصُّ مودي، ويجب أن نتركه له. ونرى أنه يكفي في هذه اللحظة أن نقول إن جودسبيد غادرت ميناء ديونندن وعلى متنها ثمانية مسافرين، ورست على ساحل هوكتيكا تحمل من المسافرين تسعة، والمسافر التاسع ليس طفلًا وُلد في الطريق، وليس متسللًا هربًا من ثمن التذكرة، وليس ناجيًا لمحه مراقب متشبثًا بقطعة من الحطام فأنقذوه. لكننا باستطرادنا سنحرم والتر مودي من قصته، وهذا ليس عدلًا، فالرجل نفسه لا يزال غير قادر على استدعاء الشبح في عقله، فما بالك بصياغة ما حدث في حكاية تُحكى لتسلية أحدهم.

كانت تُمطر في هوكتيكا، منذ أسبوعين، بلا انقطاع. وبدأت المدينة لعيني مودي لطخة يتغيّر شكلها بتقدم الضباب وتراجعها. ممرٌ ضيق من الأرض المستوية محاصر بين الساحل وجبال الألب البارزة فجأة بلا مقدمات. ممرٌ أهلكته ضربات الأمواج اللانهائية التي تتحوّل إلى دخان على الرمال، بدت المدينة أصغر وأشدّ انعزالًا بالسحابة التي بترت الجبال واستقرّت كسقف رمادي يعلو الأسطح المتلاصقة للمدينة. يقع الميناء إلى الجنوب محشورًا في مصب غادر لنهر غني بالذهب، حيث يتحول الماء العذب لزبدٍ عند لقائه بحافة البحر المالحة، بدا النهر عند الساحل بنيًا مُجدبًا، لكن المياه أعلى النهر بدت بيضاء باردة، ولامعة. كان مصب النهر هادئًا، بحيرة صغيرة مزدحمة بالأشعة والسفن البخارية المصطفّة انتظارًا ليومٍ أصفى، فهم يخشون الحاجز القاري الذي تخفيه المياه ويتغير مع كل مدّ وجزر. وانتثرت السفن الكثيرة التي تحطّمت على هذا الحاجز كشهودٍ تُعساء على الخطر المختفي في الأسفل. كانت بضعةً وثلاثين حطامًا، بعضها حديث الغرق،

شكَّلت شظايا الهياكل المحطَّمة حاجرًا غريبًا، وكثيبًا، يحصَّن المدينة من البحر المفتوح.

لم يجرؤ قبطان السفينة على دخول الميناء، وانتظر تحسَّن الجو، وأرسل في طلب مركب صغيرة لنقل الركاب فوق قمم الأمواج المتكسرة إلى رمال اليابسة. بدا البحَّارة الستة، طاقم المركب الصغيرة، كسثة نسخ من شارون، بحَّار السفينة التي تنقل أرواح الموتى للعالم الآخر، وظلُّوا يحدِّقون في صمت للركاب الذين هبطوا للمركب على كرسي أنزلوه من جانب جودسبيد المترنحة. حين جثم في قاع المركب ونظر لأعلى تجاه شبكة الحبال مدهشة التعقيد التي تربط أشرعة جودسبيد ملأه إحساس بِشع، ألقت السفينة المتمايلة عليهم بظل داكن، وأخيرًا، حين انفكَّ الحبل الذي ربط المركبتين وتوجَّهت جودسبيد نحو البحر المفتوح أحسَّ مودي بالضياء على بشرته. غمر السرور باقي الركاب، وانطلقوا يعبرُّون عن اندهاشهم من الجو، وعن سعادتهم بالوصول رغم العاصفة. واستفسروا عن كل حطام مرُّوا به، وردَّدوا أسماء السفن المنكوبة، وتحدَّثوا عن حقول الذهب والثروات التي سيجدونها فيها. كان سرورهم مقيتًا. دفعت امرأة بقنينة من النشادر في جانبه. "خذها بهدوء؛ حتى لا يراك الآخرون ويأتون مطالبين بمثلها". لكنه دفع يدها بعيدًا عنه؛ فهي لم ترَ ما رآه.

ازداد انهيار المطر باقترابهم من الشاطئ. وألقت الأمواج المتكسرة على جوانب المركب بكميات كبيرة من ماء البحر داخله؛ فاضطرَّ مودي لمساعدة الملاحين في نزح الماء من بطن المركب مستخدمًا جردلًا جليديًا ألقاه إليه، بدون كلمة واحدة، رجل لم يَعد في فمه من أسنانه سوى الضروس الخلفية. لم يملك مودي من الطاقة ما يكفي ليجفل. حملتهم موجة مكلَّلة بالبياض فوق الحاجز القاري إلى مصب النهر الهادئ. لم يغلق عينيه أثناء العبور. وحين وصل المركب لمربطه كان أوَّل من خرج، مبتلًا يقطر ماء، ودائخًا، لدرجة أنه تعثَّر في سلم الحبال

فتأرجح المركب بعنف مبتعد عنه. وكالمطارد، ترنّح على رصيف المرفأ وهو يكاد يعرج حتى استقر على اليابسة.

حين التفت خلفه، بالكاد ميّز المركب الضعيف الذي كان يرفس مربوطه في نهاية رصيف المرفأ. أما السفينة الشراعية فقد اختفت منذ زمن خلف الضباب المعلق كألواح من الزجاج المعتم تحجب السفن الغارقة، والسفن البخارية في المرسى، والبحر الواسع من خلفهم. لف مودي على قدميه، ورأى طاقم المركب يخرجون حقائب الركاب، والركاب يتحركون هنا وهناك، وعمال الميناء والحمّالين يصيحون بتعليماتهم تحت زخات المطر. بدا المشهد حوله ضبابيًّا وأشخاصه تكسوهم غلالة شفافّة. كأن رحلته بكل تفاصيلها قد غطاها الضباب الرمادي لعقله الخالي من اليقين. كأن ذاكرته في هروبها ممّا شهدت قد قابلت غريمها، قوة النسيان، فنسجت من الضباب والمطر المنهمر غلالة سحرية تحجب عنه ما شهدته في الماضي القريب.

لم تَطُل وقفة مودي، التفت وأسرع الخطى شمال الشاطئ، مرّاً بالسلاخانات والمراحيض العامة وأكوخ الاحتماء من الرياح المنتثرة على الحافة الرملية للساحل، والخيام الرازحة تحت ثقل أسبوعين من المطر، كان منكّس الرأس، ضاغطاً حقيبتيه على جسده، ولم ير شيئاً، لم يرَ حظائر المواشي، ولا السقوف المثلثة الشكل للمخازن، ولا النوافذ المقسّمة رأسياً في المكاتب الموجودة على طول شارع وارف، ولا الأشكال عديمة الملامح التي تتحرك في الغرف المضيئة وراء تلك النوافذ. كافح مودي للمضي قُدماً وهو يخوض في الوحل حتى ركبتيه، وحين برز أمامه مدخل فندق كراون أسرع ناحيته مفلتاً حقيبتيه ليفتح بابه بكلتا يديه.

الكراون فندق من النوع العملي الخالي من الزينة، ميزته الوحيدة هي قربه من الميناء، وهي في الواقع ليست بميزة حقيقية، لأنه في

موقعه هذا قريب جداً من حظائر المواشي، وامتزاج رائحة الدماء القادمة من السلخانة بالرائحة المألحة اللاذعة للبحر أعطت المكان رائحة ذبيحة متعفنة داخل ثلاجة طعام مهجورة. وفي الأحوال العادية كان مودي ليأنف فوراً من المكان ويقرر استئناف المسير شمالاً في شارع ريفل حيث واجهات الفنادق مرتفعة ومكسوة بالزخارف المتداخلة أعمدة، وحيث نوافذ الفنادق مرتفعة ومكسوة بالزخارف المتداخلة التي توحى بضمان توفير كل سبل الراحة والرفاهية لنزلاتها، ومودي معتاد على مثل هذه الرفاهية، لكنه قد ترك كل قدراته على التمييز في بطن جودسبيد المطلية بالقار، ولا يريد سوى مأوى، ومساحة للاختلاء بنفسه.

أغلق باب الفندق خلفه، فصمت صوت المطر. وعلى الفور سرى صمت بهو المدخل الفارغ في جسده، وكيانه. لقد لاحظنا كيف يعود مظهر مودي الحسن عليه بنفع كثير، وهي حقيقة يدركها تماماً. ولم يكن ليجري أولى تعاملاته في مدينة غريبة وهو يبدو كاملبوس بالأشباح. فنفض الماء عن قبّعته، وأجرى يده في شعره، وخبط قدميه في الأرض ليوقف ارتجاف ركبتيه، وحرّك فكّيه بعنف كأنه يختبر مرونتهما. أدّى كل هذه الحركات بسرعة، وبدون أي إحراج. وحين ظهرت الخادمة كان ينظر للخشب المعشّق في جانب مكتب الاستقبال وقد اتخذ وجهه تعبيره المعتاد من اللامبالاة المهذبة.

كانت الخادمة فتاة باهتة بشعر غير مميّز اللون وأسنان صفراء كبشرتها. تلت عليه تعليمات الإقامة، وانتزعت من ماله عشرة شلنات ألقتها داخل درج مغلق تحت المكتب بضجيج كئيب، وبإرهاق قادته إلى الأعلى. لم يغفل مودي عن ماء المطر الذي يقطر منه على الأرض حيث مشى، ولا عن بركة المياه التي صنعها وقوفه على أرضية بهو المدخل؛ فنفع الفتاة ستة بنسات، أخذتها بطريقة يرثى لها وهمت بالانصراف، وبدت فجأة كأنها تمنّت لو عاملته بطريقة ألطف، فاحمرّ

وجهها واقتُرحت بعد لحظة صمتٍ أن تحضر له صينية عشاء "لتزِيل آثار المطر عن أحشائك"، وجذبت شفتيها للخلف في ابتسامة صفراء. فندق الكروان حديث البناء، لا يزال الخشب يحمل غبار السَّنفرة عسلي اللون، ولا زالت ألواح الحوائط الخشبية تنزُّ خرزات لامعة من رحيق الأشجار، ولا زالت المدافئ نظيفة من الرماد والبقع. أثبت غرفة مودي بأثاث قليل للغاية كما في مشاهد المسرحيات التي تصوِّر منزلاً ضخماً فخماً باستخدام كرسي واحد. الوسادة الموضوعة فوق المرتبة رفيعة وعند لمسها تعطي الإحساس بأنها محشوةً بلفائف من القماش، وأطراف البطانيات الكبيرة المفروشة فوق السرير تصل لأرض الحجرة، وهو ما يجعل السرير المتكوَّم تحت المنحدر الخشن لإفريز السقف يبدو أصغر ممَّا هو. خواء الغرفة أوحى بشعور من الغرابة، وعدم الاكتمال، وربما تحوَّلت هذه المشاعر إلى إحساس بعدم الراحة إن كان المشهد خلف الزجاج المحدث لشارع آخر، أو لزمن آخر، لكن بالنسبة لمودي فهذا الخواء بمثابة بلسم، وضع حقييته الغارقة بالماء على وحدة الرفوف الصغيرة بجانب سريره، وعصر الماء من ملابسه وجفَّفها على قدر ما استطاع، وشرب إبريقاً من الشاي وأكل أربع شرائح من الخبز الداكن مع اللحم، وبعدما ألقى نظرة من النافذة على طمي الطريق المستحيل، قرَّر أن يؤجل شؤونه في المدينة حتى الصباح.

تركت الخادمة صحيفة الأمس تحت إبريق الشاي، كم هي نحيلة كصحيفة بسعر ستّة بنسات، ابتسم مودي وهو يتناولها، فلديه غرامٌ بالأخبار التافهة، وأبهجه كثيراً إعلان: الراقصة الأكثر جاذبية في المدينة تعلن عن خدماتها كقابِلة كتومة للأسرار. احتوت الجريدة على عمود كامل مخصَّص للمستكشفين المفقودين (إذا ما وصل هذا لايميري ستينز، أو أي شخص يعلم بمكانه...)، وصفحة كاملة لإعلانات طلب فتيات للعمل كنادلات في الحانات. قرأ مودي الجريدة مرتين، بما

فيها أخبار السفن وإعلانات السكن وتذاكر السفر الرخيصة، وعدة
خطب طويلة ومُملّة جدًّا لحملات انتخابية. وأحسّ أنه محبط؛
فجريدة تايمز الساحل الغربي تشبه كثيرًا الجريدة المحلية، لكن ماذا
كان ينتظر؟ أن تكون حقول الذهب مكانًا مليئًا بالخيالات المثيرة،
ومصنوعة من البريق والآمال؟ وأن يكون المنقّبين عن الذهب سيئي
السُّمعة وماكرين؟ كلهم إمّا قتلة أو لصوص؟

طوى مودي الصحيفة ببطء، فقد أعادته أفكاره إلى جودسبيد،
والتابوت المدمّم القابع فيها، وبدأت دقات قلبه تتسارع من جديد.
وبصوت مرتفع قال: "يكفي هذا"، وأحسّ بعدها بالحماسة. فوقف
وألقى الجريدة جانبًا، وعلى كل حال، فقد بدأ ضوء النهار يخفت،
وهو يكره القراءة في ضوء الغسق.

غادر غرفته متجهًا لأسفل فوجد الخادمة قابعة في بئر السلم
تلمّع زوجًا من أحذية ركوب الخيل السوداء، سألها إن كان بالفندق
صالون يمكنه قضاء الأمسية فيه. فقد شكّلت رحلته البحرية ضغطًا
كبيرًا عليه، وهو في أمس الحاجة لكأس من البراندي ولمكان هادئ
يريح فيه عينيه.

بدت الخادمة أكثر لُطفًا الآن، فكّر مودي في أنها غالبًا لا تحظى
بمثل هذه الستة بنسات كثيرًا، وقد يكون هذا مفيدًا له فيما بعدُ
إذا احتاج إليها. أوضحت له أن صالون الكراون محجوز الليلة لحفلة
خاصة "اللقاءات الكاثوليكية الودية"، وبابتسامةٍ أضافت أنها يمكن أن
تقوده إلى غرفة التدخين، إذا ما أراد.

عاد مودي للحظة الراهنة، برجفة، ورأى أن توماس بالفور ما زال
ينظر إليه بوجه مترقّب.

مودي، مرتبكًا: "اعذرنى، لقد سرحتُ في أفكاري".

بالفور: "ما الذي كنت تفكر فيه؟".

ما الذي كان يفكر فيه؟ ربطة العنق، واليد الفضية، والاسم الذي يردّده الصوت اللاهث في الظلام. أحسّ مودي أن هذا المشهد عالمٌ صغير له أبعاده الخاصة. وعندما يشرّد عقله فيه، فإنه قد يمضي الكثير من الوقت بدون أن يحسّ. هناك عالمنا هذا الكبير حيث يمضي الوقت وتتغير الأماكن، وذاك العالم الصغير الساكن المسكون بالرعب وانعدام الراحة، وأحد العالمين بداخل الآخر، كسماء تحت سماء أخرى. ما أغرب هذا، لقد كان بالفور ينظر إليه يراقبه، وقد مرّ وقت وهو يراقبه، بينما هو...

"لم أكن أفكر في شيء محدّد، كل ما في الأمر أنني مررت برحلة صعبة، وأنا متعب جدًّا".

لعب أحد لاعبي البلياردو الواقفين خلفه، وأقى صوت خبطتين، وصوت وقوع ناعم، وموجة من الاستحسان من اللاعبين الآخرين. وهزّ القسّ جريدته مُحدِّثًا ضوضاء عالية. وكحّ رجل آخر؛ ونفض رجل ثالث الغبار عن قميصه وغير موضعته في كرسيه. بالفور: "كنت أسأل عن الشجار".

مودي: "الشجار"، ثم توقف، فقد أحسّ فجأة أنه مرهق لدرجة تمنعه من الحديث.

وألحّ بالفور: "الخلاف، بينك وبين والدك".

مودي: "آسف، فالتفاصيل تتسم بالحساسية".

"هل الموضوع له علاقة بالمال؟ هل صحّ تخميني؟".

مرر مودي يديه فوق وجهه: "سامحني، تخمينك ليس صحيح".

"ليس المال؟ إذن فهو الحب، أنت تحب فتاة ووالدك لا يوافق على اختيارك".

"لا يا سيدي، أنا لست مغرماً بأحد".

بالفور: "يا للخسارة، أفهم من ذلك أنك متزوج بالفعل".

"أنا لست متزوجًا".

"إذن ربما تكون أرملة؟".

"أنا لم أتزوج أبدًا".

انفجر بالفور بالضحك رافعًا يديه الاثنتين ليؤكد لمودي أن تحفظه مدعاة للغيب، بشكل ودي، ولا داعي له بالمرّة.

وبينما بالفور يضحك، رفع مودي جسده مستندًا على كفيّيه واستدار ليلقي نظرة من فوق ظهر كرسيه على الحجرة من خلفه. قاصدًا دعوة بعض الحاضرين بشكل ما لحضور حوار مع بالفور، على أمل صرف بالفور عن غرضه. لكنّ أحدًا منهم لم يرفع عينيه تجاه مودي. وبدا لمودي أنهم بالفعل يتحاشونه. يا للغرابة! لكن وضعية وقوفه كانت غريبة، بل ووَقحة، فعاد، رغمًا عنه، لجلسته السابقة، وعقد ساقيه مرة أخرى.

وانتظر حتى توقف بالفور عن الضحك. "ليس غرضي أن أخيب ظنك".

صاح بالفور: "تخيب ظني... لا، لا. يمكنك الاحتفاظ بأسرارك".

مودي: "لقد أسأت فهمي، فالكتمان ليس غرضي. كل ما في الأمر أن الموضوع مُزعج بالنسبة لي".

بالفور: "أوه، هكذا الأمر دائمًا يا سيد مودي، فالمرء في مقبّل شبابه يعتبر تاريخه الشخصي مدعاة للإزعاج، ويودّ دائمًا أن يخفيه، ولا يخبر أحد عنه".

"هذه ملحوظة حكيمة".

"حكيمة؟ فقط؟".

"أنا لا أفهم قصدك يا سيد بالفور".

"أنت مُصمَّم ألا ترضي فضولي".

"الحق أني مندهش قليلاً منه".

بالفور: "يا سيد، هذه مدينة للبحث عن الذهب، وهنا يجب على المرء أن يأمن جانب رفاقه، يجب على المرء أن يثق برفاقه".
الأمر يزداد غرابة، وأحسَّ مودي للمرة الأولى بما يثير اهتمامه، ربما ساهم إحباطه المتزايد في تركيز انتباهه على المشهد الذي يحيط به. الصمت المريب في الغرفة لا يوحي بهذه الأخوة المزعومة حيث يمكن للمرء مشاركة أموره ببساطة مع الآخرين. كما أن بالفور لم يَبْح بأي معلومات ذات قيمة عن نفسه وسمعته في المدينة، كيف يعقل أن يشعر مودي بالثقة فيه؟ رمى طرف عينه جانباً للرجل السمين الجالس في أقرب كرسي للمدفأة، كان جفناه المغلقتان يرتعشان من المجهود الذي يبذله في تمثيل دور النائم. ثم نظر للرجل أشقر الشعر الواقف خلفه، الذي ينقل عصا البلياردو بين يديه وقد بدا عليه أنه فقد كل رغبته في اللعب.

وفجأة ملأه اليقين، هناك شيء ما يجري. إن بالفور يعاينه بالنيابة عن الآخرين، ولكن لماذا؟ ما الغرض من وراء كل هذه الأسئلة، ما الغرض الذي حاول بالفور إخفاءه بتعاطفه وتلطُّفه الزائد عن الحد. الرجال الآخرون منصتون إليهم، رغم الجرائد التي يقلبون صفحاتها بين أيديهم، والنوم الذي يتصنَّعونه. واتَّضَحَت الغرفة فجأة، تمامًا كما تنتظم بعض النجوم المتناثرة في كوكبة أمام العين. لم يُعَد يرى بالفور مبهجًا ومنطلقًا كما رآه في البداية، بل بدا له الآن مُجَهَّدًا ومتوترًّا بل ويائسًا. وتساءل مودي إن أتت مجاراة الرجل بنتيجة أفضل ممَّا يسفر عنه صده.

والتر مودي متمرس في فن اكتساب الثقة، ويدرك أنه حين يبوح المرء بأسراره يكتسب الحق في معرفة أسرار السامع، فثمن السرِّ سرٌّ، ومقابل الحكاية حكاية. وهو بارع في ممارسة الضغط اللطيف على سامعه انتظاراً لسماع مقابل لما باح به. سوف يعرف الكثير إذا بدا بالفور وكأنه يثق فيه، سيعلم أكثر ممّا إذا بدا وكأنه يشك فيه؛ لأنه ببساطة إذا ما وضع ثقته في الرجل، بدون مقابل أو شروط، فإنه، في المقابل، سيتوجّب على الفور أن يمنحه ثقته. ولا يوجد سبب يمنعه من سرد حكاية عائلته، مهما كان الضيق الذي يستدعيه تذكُّرها، لأنها ستكون الثمن الذي يدفعه مقابل ثقة الرجل الآخر. أما بخصوص ما حدث على متن جودسبيد، فهو بالطبع ليس لديه أي نيّة للبوح به، وعلى كل حال، فهي ليست القصة التي يريد توماس بالفور أن يسمعها.

حين وصل مودي لهذا، غيّر طريقته.

"أرى لزاماً عليّ أن أكون جديرًا بثقتك يا سيدي، ليس لديّ ما أخفيه، وسأحكي لك حكايتي".

ألقي بالفور بظهره في كرسيه بمنتهى الرضا، واتّسعت ابتسامته. "لديك حكاية إذن، لكنني مندهش يا سيد مودي أنها لا تتعلق بالمال ولا بالحب".

مودي: "تتعلّق بغياهما، للأسف".

ظلّ بالفور مبتسمًا. "غياهما، نعم". وأشار لمودي أن يستمر في حديثه.

مودي: "في البداية عليّ أن أخبرك ببعض التفاصيل عن تاريخ عائلتي". ثم توقّف عن الحديث، وضاحت عيناه، وزمّ شفّيته.

كان كرسيه يواجه المدفأة، وهذا ما جعل نصف الرجال الموجودين في الغرفة خلفه -إمّا جالسين أو واقفين- يمثّلون الانشغال. في هذه الثواني القليلة التي صمّتها وهو يبدو كأنه يستجمع أفكاره، رمى مودي ببصره يمينًا ويسارًا ليلاحظ المستمعين الذين يجلسون بقربه، حول المدفأة.

كان أقربهم للمدفأة هو الرجل السمين الذي يصطنع النوم، وهو أكثر الحاضرين فخامةً في الملبس؛ بسلسلة ساعة ضخمة في مثل سماكة إصبعه الضخمة، معلّقة على صدره ما بين جيب صديريته المخملية وقميصه القطني، ومعلّق فيها على مسافات قطع ذهب في مثل حجم عقلة الإصبع. أما الرجل الجالس بجانبه، على الجانب الآخر من بالفور، فقد حجب جانب كرسيه جزء منه، وكل ما لمحه مودي منه هو انعكاس الضوء على جبهته وطرف أنفه اللامع، وكان معطفه مصنوعًا من نسيج صوفيّ ثقيل لا يتناسب مع قرب مرتديه من المدفأة، ويشي لمعان العرق على وجهه بعكس الراحة التي توحى بها جلسته على الكرسي. لم يكن يدخن سيجارًا وكان يقلب علبة سجائر فضية بين يديه. على يسار مودي كان هناك كرسي آخر مرتفع الظهر وقريب لدرجة أن مودي يمكنه سماع أنفاس الجالس عليه، وهو رجل غامق الشّعر نحيف البنية وبالغ الطول، لدرجة أنه يبدو مطويًا لنصفين في جلسته مضموم الركبتين وباطن أقدامه على الأرض. كان يقرأ جريدة وبشكل عام فإن ادعاؤه للأمبالاة أفضل من معظم زملائه، بالرغم من عينية الجامدتين كأنهما لا ينظران للسطور، وقد مرّت مدة طويلة منذ قلب الصفحة.

وأخيرًا بدأ مودي حكايته. "أنا الابن الأصغر من بين اثنين، أخي الأكبر فريدرك يكبرني بخمسة أعوام، ماتت أمنا قرب نهاية سنواتي الدراسية، عدت لمنزلنا لوقت قصير حتى أحضر مراسم الدفن، بعدها بفترة قصيرة تزوّج أبي مرة أخرى. لم أكن أعرف زوجته الثانية وقتها.

وهي امرأة هادئة ورقيقة، ويمكن إخافتها بسهولة، ومريضة في أغلب الأوقات. وهي في رقتها على عكس أبي في خشونة طبعه وميله لاحتساء الخمر.

"انعدم الانسجام بينهما، أعتقد أن كليهما ندم على الزيجة، وللأسف، فقد عامل أبي زوجته الجديدة بطريقة سيئة للغاية. ومنذ ثلاث سنوات اختفى أبي تاركًا إيَّاهَا في أدنبره بدون أي مصدر للدخل، كان من الممكن أن تصير شحَّاذة، أو ما هو أسوأ، فقد وَجَدَت نفسها في فقر مُدَقِّع. راسلتني، متوسِّلةً إليَّ. كنت خارج البلاد، فعدتُ فوراً وأصبحتُ حاميتها، بشكل متواضع، وعقدت بعض الاتفاقات بالنيابة عنها، وقد وافَقَت هي، ببعض المِراة، لأن مستقبلها أخذ انعطافاً غير متوقَّع". صدرت كحَّة عجيبة عن مودي. "لقد وَفَّرْتُ لها عملاً يُدِرُّ دَخْلاً بسيطاً، ثم سافرت إلى لندن بغرض البحث عن أبي. وقد استهلكت كل سبل البحث عنه، وأنفقت الكثير من المال في سبيل معرفة مكانه. وأخيراً بدأت في البحث عن عملٍ يناسب شهادتي الدراسية ويُدِرُّ عليَّ دخلاً، لأنني عرفت أنني لا أستطيع أن أعتمد على ميراثي كضمانٍ لي، وسُمعتي المالية في المدينة أصبحت سيئة.

"أخي الأكبر لم يعرف شيئاً عن هجران أبينا لزوجته الجديدة؛ فقد سافر ليَجربُ حظَّه في حقول الذهب في أوتاجو قبل اختفاء أبي ببضعة أسابيع، فهو مَيَّال لمثل هذه النزوات الجريئة، يمكننا القول إنه صاحب روح مغامرة، من بعد طفولتنا لم نكن أبداً مُقَرَّبَيْن لبعضنا، وأعترف بأنني لا أعرفه جيداً. مرَّت الشهور، والسنوات، ولم يُعِد أخي، ولم يرسل لنا أي أخبار. لم أتلَقَ أي ردٍّ على خطاباتي له. ولستُ متأكِّداً أنها وصلتته. بعد وقت طويل حجزت لنفسي مكاناً على سفينة متجهة لنيوزيلندا، بنيتُ أن أبلغ أخي بالتغيرات التي طرأت على حالة عائلتنا، وربما إذا ما وجدته على قيد الحياة، أنضمُّ إليه في التنقيب عن الذهب لبعض الوقت؛ فثروتي الشخصية تبدَّدت تماماً، والأموال

التي تأتيني من أوقاف العائلة تكاد لا تكفي شيئًا، وكنت مدينًا بمبلغ كبير. حين كنت في لندن درست القانون في إينر تمبل، كان بإمكانني أن أظل هناك وأشتغل بالمحاماة، لكني لا أكنُ حُبًّا حقيقيًّا للقانون، لم أكن أستطيع هضمه، فأبحرت إلى نيوزلندا.

"حين رسوت في ديوندين منذ أقل من أسبوعين علمتُ أن ذهب أوتاجو لا يُعدُّ شيئًا بجانب الاكتشافات هنا على الساحل؛ فترددت، لم أعلم أين أبدأ بحثي، وقد كوفئت على تردددي بأغرب طريقة، فقد قابلتُ والدي".

تمت بالفور، لكنه لم يقطع مودي. وحدَّق في نار المدفأة بفمٍ مزموم على سيجاره ويده مستريحة حول كأسه، التزم الأحد عشر رجلًا الباقون الصمت، ولا بُدَّ أنهم تركوا البلياردو، لأن مودي لم يُعدَّ يسمع خبط الكرات يأتي من خلفه. شاب الصمت السائد في المكان نوعٌ من التحفُّز، كأن المستمعين منتظرون أن يبوح مودي بشيء محدد، أو خائفون من أن يبوح به.

أكمل مودي حديثه وهو يرفع صوته أعلى من دَقَّات المطر؛ يرفعه للدرجة التي تسمح لكل رجال الغرفة بسماعه، لكن ليس للدرجة التي تنبِّههم إلى وعيه بانتباههم لحديثه. "لم يكن لقائنا سعيدًا. كان ثمَلًا، وفي منتهى الغضب أُنِي اكتشفت مكانه. علمت أنه أصبح بالغ الثراء، وتزوَّج مرة أخرى من امرأة لا شك في أنها لا تعلم شيئًا عن ماضيه، ولا عن أنه مرتبط قانونًا بامرأة أخرى. وللأسف، فأنا لم أندesh، فعلاقتي بوالدي لم تكن أبدًا علاقة دافئة، ولم تكن هذه أول مرة أضبطه فيها في موقف مثير للشكوك، لكن -ويلزم عليّ أن أوكد- كلها كانت مواقف ليست بمثل هذه الدرجة من الإجرام.

"ما أدهشني بحقُّ أُنِي حين استعلمت عن أخي علمت أنه كان متعاونًا مع أبي منذ البداية، فقد خطَّطًا للهروب سويًا، ورحلا

للجنوب سويًا. لم أنتظر لأواجه فريدريك هو الآخر، لم أحتمل أن أرى الاثنين معًا، واستعددت للمغادرة. أصبح أبي عدوئيًا، وأراد أن يستبقيني رغمًا عني، فهربت وعزمت على المجيء إلى هنا. كان معي نقود تكفي لعودتي إلى لندن إذا ما رغبت، لكن حزني كان كبيرًا بحيث...، وصمت مودي وحرّك أصابعه بطريقة توحى بقلّة حيلته. وأضاف: "لا أدري، لقد فكّرتُ في أن العمل الشاق في التنقيب عن الذهب لمدةٍ قد يفيدني، ثم إنني لا أرغب في أن أصبح محاميًا".

وساد الصمت، وهزّ مودي رأسه ومال بجسده للأمام وأضاف، بنبرة أسرع: "إنها قصة حزينة. أنا أشعر بالعار من أهلي يا سيد بالفور، لكنني لا أنوى أن أستسلم لهذا، سوف أبدأ من جديد".

انتزع بالفور السيجار أخيرًا من بين شفثيه ولوّح به، صائحًا: "حقًا إنها لقصة حزينة، أنا حزين من أجلك، ومعجب بك في نفس الوقت. لقد اخترت طريق حقول الذهب. أليس كذلك؟ إنه طريق لاكتشاف المرء لنفسه، طريق للثورة على كل ما حدث، طريق يمنح المرء فرصة حقيقية لبدأ من جديد".

مودي: "ما تقوله يبعث على الأمل".

"اسم والدك هو أيضًا مودي، على ما أعتقد".

"نعم، إدريان مودي، ربما تكون قد سمعت باسمه".

"لم أسمع به من قبل"، وأضاف بعدما لاحظ إحباط مودي، "ولكن هذا لا يعني شيئًا بالطبع لأنني أعمل في مجال الشحن كما أخبرتك، ولا أختلط كثيرًا بمن في مجال التنقيب. لقد كنت في ديوندين لقراءة الثلاثة أعوام، إذا كان والدك قد جمع ثروته من التنقيب، فلا بُدَّ أنه كان في مكانٍ ما في الأراضي المرتفعة، إلى الشمال من الساحل، توابيكا، كلايد، أي مكان. لكن يا سيد مودي، ألا تخشى أن يتبعك؟".

ردّ مودي ببساطة: "لا، لقد تعمّدت خلق الانطباع بأني عدتُ لانجلترا في نفس اليوم الذي افترقنا فيه. قابلتُ رجلاً في الميناء يسعى للسفر إلى ليفربول، فشرحت له ظروفي، وبعد مفاوضات بسيطة تبادَلنا الأوراق، وسجّل نفسه باسمي في سِجَل المسافرين لانجلترا، وفعلت أنا المثل، فإذا ما حاول أبي الاستفسار عن مكاني في مكتب الجمارك فسوف يُطلّعه الموظفون هناك على الدليل بأني رحلت عن هذه الجزر بالفعل متّجهاً للوطن".

"لكن ربما يأتي أبوك أو أخوك للساحل للتنقيب عن الذهب".

وافقه مودي. "لا يمكنني التنبؤ بهذا، لكن ممّا فهمته عن وضعهما الحالي، فقد عثرا على ما يكفيهما من الذهب في أوتاجو".

بدا بالفور على وشك الضحك. "ما يكفيهما من الذهب؟".

هزّ مودي كتفيه وقال ببرود: "على أي حال سأجهز نفسي لاحتمالية قدومهم بالطبع، لكنني لا أتوقع هذا".

ربّت بالفور على كُمّ مودي بيده الكبيرة. "بالطبع، بالطبع، دعنا الآن نتحدث عن أمور أكثر تفاؤلاً، أخبرني ما الذي تنوي أن تفعله بما ستجده من ذهب حين تجمع كمية محترمة؟ هل ستعود إلى اسكتلندا لتنفق نقودك هناك؟".

مودي: "هذا ما أتمناه، لقد سمعت أن الرجل يمكنه أن يجد ما يعيش منه بقيّة حياته في أربعة شهور أو أقل، وهذا سيجعلني أسافر من هنا قبل حلول أسوأ شهور الشتاء. في رأيك، هل هذا احتمال ممكن؟".

ابتسم بالفور لجمرات المدفأة. "ممکن جداً، ممکن جداً بالفعل. هل لك معارف في المدينة، شخص يستقبلك في الميناء، أو ينضمُّ لك؟ شباب من بلدك؟".

وللمرة الثالثة هذا المساء يخبره مودي: "لا يا سيدي، لقد أتيت هنا بمفردي، وكما أخبرتك بالفعل، أنا أنوي أن أصنع نفسي بنفسني، بدون مساعدة من أحد".

بالفور: "نعم، تسعى وراء مستقبلك. لكن هناك شيء عليك معرفته، رفيق المنقّب بمثابة ظلّه، أو زوجته".

أطلقت هذه الملاحظة الضحك في الغرفة، لم يكن ضحكاً صريحاً، ولكن انفجارات هادئة في صدور بعض الحاضرين، أتت من اتجاهات عدة في وقت واحد. جال مودي بناظريه، وأحسّ باسترخاء في الجو العام للغرفة، ارتياح عام ساد بعد أن انتهى من قصته. هؤلاء الرجال يخشون شيئاً ما، وقد أبعدت قصته مخاوفهم. وتساءل للمرة الأولى عمّا إذا كانت مخاوفهم لها علاقة بالرعب الذي صادفه على متن جودسبيد. ضايقته الفكرة، لم يكن يريد أن يصدق أن ذكراه الخاصة قد يكون لها تفسير عند أحدهم، ولا أن يكون أحد آخر قد شهد ما شهدته. (إن المعاناة قد تسرق من البشر تعاطفهم مع غيرهم، قد تجعلهم أنانيين ولا يحسّون بمعاناة غيرهم، وحين وصل مودي لهذا الاستنتاج، اندهش).

ابتسم بالفور وهزّ رأسه لمودي في امتنان مردّداً: "نعم، ظلّه، أو زوجته". كأن الدعابة قد أتت من مودي وليس منه، ومرّر كفّه على ذقنه عدة مرات وضحك قليلاً.

وغمرته الراحة. ميراث ضائع، وزواج باطل، وامرأة من أصل نبيل اضطرت للعمل، كلها مشاكل تنتمي لعالم مختلف تماماً، عالم غرف المعيشة، والكروت الشخصية، والأزياء الرسمية. وبالنسبة لبالفور فإن اعتبار مثل هذه التغيرات في الظروف بمثابة مآسي هو أمرٌ مُضحك، واعتبار أن الإفصاح عنها بمثابة اعتراف يصدر بمثل هذه الجدية وهذا الحرج من شاب نشأ منذ مولده على الإيمان بفكرة أن حاله لن

يتغيّر أبدًا هو أمر خفيف الظل. أيتحدث بمثل هذه الأمور هنا على حافة العالم المتحضر! الجرائد تقول إن هوكتيكا تنمو بمعدل أسرع من سان فرانسيسكو، وهي تنمو من العدم، من الحياة القديمة العَفْنة في الغابات، من مستنقعات المَدِّ والجَزْرِ، والمجاري المائية متغيرة الأشكال، والضباب، من المياه الخطرة الغنية بالذهب. هنا حيث لم يبنِ الرجال أنفسهم بأنفسهم، فهم لا يزالون في مرحلة البناء، مقرفصين في الطين يغسلون آثاره عن أنفسهم. لمس بالفور تلايبه، فقصة مودي مثيرة للشفقة، وقد أثارت فيه شعور بالعطف الأبوي، وبالفور يسعده ما يذكره أنه رائد من رواد الأعمال العصريين غير المقيدين بالعلاقات التقليدية مع البشر، بينما الآخرون لا يزالون أسرى أفخاخ عهد عفا عليه الزمن.

وهذا الحكم على الأمور بكل تأكيد يخبرنا عن القاضي أكثر ممَّا يخبرنا عن المتهم. وبالفور صاحب إرادة أقوى من أن تعترف بالفلسفة اللهم إلا النوع البسيط العملي منها، وعقله المفتُوح لا يمكنه فهم اليأس، كان يحس اليأس كمنجم بلا عمق، وبلا اتساع، مقيد في عُزَلته الخاصة، ويمكن التحرك فيه عن طريق للمس، وخالٍ من أي فضول. لم يكن معجبًا بفكرة الروح، رآها مجرد ذريعة للألغاز الأعظم والأكثر حيوية مثل الفكاهة والمغامرة، ولم يكن له رأي بخصوص أوقات الألم والأزمات. وكثيرًا ما قال إن الفراغ الوحيد بداخله الذي قد يلاحظه هو فراغ معدته، وبالرغم من ضحكته التي تعلو حين يقول هذا، وسعاداته البادية، إلَّا أنه كان بالفعل شخص لا يبدي تعاطفًا في المواقف المثيرة للتعاطف. كان مهتمًا بالفرص المتاحة في مستقبل الرجال، وليس لديه أي صبر على الجوانب المحطّمة من ماضيهم.

واستطرد بالفور. "على أي حال، واعتبر ما سأقوله بمثابة النصيحة الثانية لك يا سيد مودي. ابحث عن صديق، هناك الكثير من مجموعات التنقيب التي سترحّب بزميل جديد. هذه هي الطريقة

المثلى، ابحث لنفسك عن صديق واعملا سوياً، لم أعرف أي شخص نجح في التنقيب بمفرده. هل لديك الملابس والأدوات التي ستحتاجها؟".

مودي: "في هذه الشأن فأنا تحت رحمة الجو، صندوق الشحن الخاص بي لا يزال على السفينة، كان الجو أسوأ من أن نخاطر بعبور الحاجز القاري الليلة، وقد أخبروني أنني يمكن أن أستلم صندوقي من مكتب الجمارك غداً بعد الظهر. لقد أتيت إلى هنا بمركب خفيف جدّف طاقمه الصغير بمنتهى الشجاعة حتى السفينة لينقلونا إلى البرّ".

ردّ بالفور بجديّة: "نعم، لقد شهدنا الشهر الماضي وحده تحطّم ثلاث سفن على الحاجز القاري، إنه أمر مخيف. لكنه يستحق المخاطرة. حينما تأتي السفن لا ينتبه أحدٌ لها. لكن حينما تغادر السفن، حين تغادر من هنا، تكون محمّلة بالذهب".

مودي: "لقد أخبروني أن رسوّ السفن هنا في هوكتيكا مشهور بخطورته".

"مشهور، نعم، وليس هناك ما يمكن أن نفعله حيال ذلك. إن سفينة بخارية بطول مائة قدم، ومواتيرها تعمل بأقصى طاقتها، وبكل الشرر المتطاير من مداخنها- قد لا تفلح في عبور الحاجز. والأمر هكذا ليس فقط بالنسبة للسفن البخارية، والسفن الكبيرة، فحاجز هوكتيكا يتحدّى الجميع يا والتر. إن لم يكن المدّ مواتياً، فتلك الرمال ستعيق مركب شراعي صغير عن العبور".

مودي: "أنا أصدقك، فسفينتنا سفينة شراعية، ليست كبيرة جداً، ورشيقة، وقوية يمكنها النجاة في أقصى العواصف، ورغم هذا، لم يغامر القبطان، ألقى مرساته في المرسى وانتظر للصباح".

"هل هي ووتر لو؟ إنها تعمل على الخط البحري من هنا إلى تشالمرز".

مودي: "إنها سفينة خاصة تدعى جودسبيد".

سَبَّب ذكر اسم السفينة صدمة، وكأُما أخرج مودي مسدس من جيبه. نظر حوله بوجهه ذي التعبير الهادئ وشاهد انتباه جميع مَنْ في الغرفة موجَّهًا الآن نحوه بشكل مباشر. ترك العديد من الرجال جرائدهم. وفتح الناعسون عيونهم، وتقدَّم أحد لاعبي البلياردو خطوةً باتجاه مودي في ضوء المصباح.

جفل بالفور هو الآخر لدى سماعه اسم السفينة، لكنَّ عينيه الرماديتين تلقَّتَا نظرة مودي ببرود. وبدا أنه تخلَّص في لحظة من كل الاندفاع والصخب الذي صبغ سلوكه حتى الآن. "حقًّا؟ أصارحك يا سيد مودي أن هذا الاسم ليس مجهولًا بالنسبة لي، لكني أودُّ أن أتأكد من اسم القبطان إذا لم يكن لديك مانع".

فحص مودي وجهه بالفور بحثًا عن شيء محدّد، شيء إذا ضغطنا على مودي ليبوح به لأصبح في غاية الحرج. كان يحاول معرفة إذا كان بالفور مسكونًا بالأشباح. كان متأكّدًا أنه إذا قفز عقل بالفور إلى تخيل أو تذكّر الرعب الخارق للطبيعة الذي رآه مودي على متن جودسبيد، فلا بُدَّ أن يظهر هذا على وجهه. لكن بالفور بدا متحفّزًا كأنه سمع بعودة دائنيه فبدأ يعدُّ في عقله الأعذار وطرق التهرب، لم تبدُ عليه المعاناة، أو الخوف. كان مودي متأكّدًا من أن أي إنسان شهد ما شهده فسيحمل ما يدُلُّ على ذلك. وبالفور قد تغيّر بالفعل، أحسَّ مودي فيه بدهاء جديد، وأحسَّ بنظرته أكثر نفاذًا. شعر مودي بطاقته تتجدّد بتغيّر الرجل الآخر. وأدرك بدفقة من الحماس أنه أساء تقديره. تمهّل مودي في حديثه: "أعتقد أن اسمه كارفر، فرانسيس كارفر، على ما أذكر، هو رجل قوي البنية، نظرته جريئة، وله ندبة بيضاء على خدّه، هل هو الرجل الذي تقصده؟".

كان بالفور الآن هو مَنْ يعاين وجه مودي: "نعم. إذا لم يكن لديك مانعٌ أودُّ أن أعرف كيف تعرَّفتَ على السيد كارفر؟".

مودي: "اعذري، لكننا لم نتعارف، أنا متأكد أنه لن يعرفني إذا ما تقابلنا ثانية".

قرَّر مودي وفقًا لاستراتيجيته أن يجيب على كل تساؤلات بالفور بأدب وبصراحة؛ لأن هذا سيمنحه الحق في طلب إجابات على تساؤلاته الخاصة. فمودي بارع في فن الدبلوماسية. وأدرك بفطرته منذ الطفولة أنه من الأفضل أن يتطوع بجزء من الحقيقة على أن يقول الحقيقة كلها بأسلوب دفاعي؛ لأنه إن بدَّ متعاونًا فهذا يساوي الكثير، وإذا ما باح بالحقيقة بغرض المبادلة، فإن العدل لا يقابله غير العدل. لم يختلس النظر حوله ثانية، وبدلاً من ذلك احتفظ بعينه مفتوحتين وبوجهه منفرج الأسارير، ووجَّه حديثه بالكامل لبالفور، كما لو أن الأحد عشر رجلاً المحملقين فيه لا يضايقونه على الإطلاق.

بالفور: "في هذه الحالة لا بُدَّ أنك اشتريت تذكرتك من أحد الركاب".

"نعم، ودفعت ثمنها له".

"هل وصلت لاتفاق مع الرجل؟".

ردَّ مودي: "خَطَّ طاقم السفينة للأمر، بموافقة القبطان. اعتقد أنها طريقة سهلة لكسب بعض النقود. لم يكن هناك كبائن للنوم، لقد خَصَّصوا لي بقعةً تحت السطح وأخبروني بضرورة البقاء متيقِّظًا وبعيدًا عن الطاقم. لم يكن الموقف بأي حال مثاليًا، بالطبع، لكن ظروفِي حَتَّمت عليَّ مغادرة ديوندن على الفور، كما تعرف، وكانت جودسبيد السفينة الوحيدة المغادرة في اليوم الذي أردت السفر فيه، لم أكن أعرف الشخص الذي اشتريت منه التذكرة، ولا أيًا من الركاب، ولا الطاقم".

"كم شخصًا كان على السفينة؟".

قابل مودي نظرة بالفور بهدوء. "ثمانية"، ثم وضع سيجاره في فمه.

ردَّ بالفور سريعًا: "أنت وسبعة آخرون؟ إجمالي العدد ثمانية؟".

لم يرد مودي، وارتسم على وجهه اندهاش بسيط، يعكس إحساسه أن تدقيق بالفور ليس فقط غير ضروري، لكنه غير لائق. "ستنشر قائمة الركاب يوم الاثنين، تستطيع أن تتأكد بنفسك بالطبع".

وأضاف: "بالطبع لن تجد فيها اسمي الحقيقي، لقد سافرت باسم فيليب دي لاسي، وهو اسم الرجل الذي اشتريت أوراقه في ديوندن. والتر مودي، بالنسبة للسلطات، لا يزال في جنوب المحيط الهادي ويتجه شرقًا، ناحية أمريكا الجنوبية".

وبتعبير لا يزال باردًا قال بالفور: "اسمح لي باستفسار إضافي، أودُّ أن أعرف رأيك فيه، أعني السيد كارفر، هل تظن أنه إنسان سيئ، أم جيد؟".

"لست متأكدًا من دقة إجابتي على هذا السؤال؛ فليس لدي سوى شكوكي، لكنني أعتقد أن الرجل كان مجبراً على مغادرة ديوندن، كان متعجلاً في رفع المرساة رغم التوقعات بالعاصفة الآتية، لكنني ليس لدي أي فكرة عما دفعه للعجلة. أنا لم أقابله قط، ورأيت مرّاتٍ نادرة من بعيد أثناء الرحلة، لأنه قضى معظم وقته في كابينته، فكما ترى، رأيي لا يساوي الكثير، لكن على الرغم من ذلك...". وتوقّف مودي عن الحديث.

"وعلى الرغم من ذلك؟" ردّدها بالفور ليحثّ مودي على الحديث، وحين لم يستطرد مودي، انتظر.

التف مودي ليواجه بالفور. "لكي أكون صريحًا معك يا سيدي، فقد اكتشفت بعض الأمور عن حمولة السفينة حين كنتُ على متنها، مما جعلني أشكُ في أن إيراد السفينة يأتي من مصادر مشروعة. وإن كنت متأكدًا من شيء فأنا متأكد أني لا أودُ معاداة السيد كارفر، إن أمكنني تجنب معاداته".

تجمّد الرجل ذو الشّعْر الداكن على يسار مودي، ومال للأمام قائلاً: "لقد قلت إنك اكتشفت شيئًا في حمولة السفينة".

هتف مودي داخليًا بسعادة: وها قد حان الآن دوري. والتفت ليواجه المتحدث الجديد: "اعذرني على عدم الرد، أنا لا أقصد أي إساءة يا سيدي، لكننا غرباء عن بعضنا، أو على الأقل أنتَ غريب عني، ومحادثتي مع السيد بالفور الليلة قد وصلت لأسماع غيره. وهذا ظلم، ليس بسببي، فقد قدّمتُ نفسي بمنتهى الصراحة؛ لكن بسببك، فقد خاطبتني بدون أن تُقدّم نفسك، وسمعت حكايتي بدون دعوة أو ردّ منك. ليس لديّ ما أخفيه بالنسبة لرحلتي هذه أو أي رحلة قُمتُ بها، لكنني أعترف (والتفت ناحية بالفور) إنه أمر مُتعب أن يتم استجوابك بشكل مستمر من شخص لا يكشف أي شيء عن نفسه".

خرجت هذه الكلمات بطريقةٍ أشد حَسَمًا ممّا اعتاده مودي في حديثه، لكنه تحدث بهدوء واحترام. كان يعلم أنه على حق. وظل مُحَدِّقًا في بالفور بدون أن يرمش، وانتظر ردّه بعينين هادئتين.

نظر بالفور للرجل ذي الشعر الداكن الذي قاطعهما، ثم إلى مودي. وتنهّد وقام من مقعده وقذف بعقب سياره في المدفأة ومدّ يده، وبهدوء قال: "كأسك بحاجة لمزيد من الشراب يا سيد مودي، أرجو أن تتعطّف وتسمح لي بذلك".

وذهب إلى المنضدة الجانبية في صمت، وتبعه الرجل داكن الشعر الذي كاد رأسه يلمس سقف الغرفة المنخفض حين فرد نفسه، مال الرجل على الفور وهمس في أذنه بسرعة، هزَّ بالفور رأسه وهمهم بشيء هو الآخر، لا بُدَّ أنه أمره بشيء ما لأن الرجل تحرَّك إلى طاولة البلياردو وأشار للرجل الأشقر أن يقترب منه وهمس له برسالة. بدأ الرجل الأشقر يهزُّ رأسه بقوة فوراً. أحسَّ مودي وهو يراقبهم بأنه يستعيد سرعة بديهته، وقد نشطه البراندي، ودبَّ فيه الدفء، وجفَّت ملابسه، ولا شيء يمكن أن يرفع من معنوياته أكثر من الوعد بحكاية.

كثيراً ما يحدث حين يعاني المرء من أمر ما، ويضطر لسماع مشكلة أخرى لا تخصُّه في شيء، أن تهدئ المشكلة الجديدة من معاناة المرء الأصلية. وقد أحسَّ مودي بهذا. فلأول مرة منذ نزل من المركب الصغير يحس أن بإمكانه التفكير في مغامرته الحديثة التعيسة بوضوح. ففي سياق هذا السر الجديد تحررت ذكراه الخاصة بطريقة ما، استطاع استعادة المشهد الذي يطارده، قيام الرجل الميت، رقبته الغارقة في الدم، وندائه، ويحسُّه بشكلٍ ما خرافياً ومثيراً، لا يزال مربعاً، لكنه يمكن تفسيره. اكتسبت القصة قيمة، وإن قايضها أو بادلها، يمكنه التربع منها.

راقب الرسالة المهموسة من رجل إلى الثاني، لم يستطع تمييز أي اسم، كان الأمر مستحيلاً في زحام اللكنات الغريبة. لكنه دليل على أن موضوع النقاش يهمُّ جميع الموجودين. أجبر مودي عقله على تقييم الموقف بعناية وعقلانية. قِلَّة الانتباه هذا المساء قاداته لإساءة التقدير مرَّةً، لكنه لن يخطئ مرة أخرى. خمَّن أن الأمر قد يتعلق بسرقة ما، أو ربما بتشكيل رابطة ضد رجل آخر. ربما يكون السيد كارفر. كانوا اثني عشر رجلاً، كهيئة محلفين في محكمة، مع استحالة اجتماعهم في هيئة محلفين بوجود الصينيين ورجل الماوري بينهم. هل

قاطع دخوله الغرفة اجتماعًا سرّيًا لهم؟ أي اجتماع هذا الذي يضمّ مثل هذه التنوع من الأعراق البشرية، والثروات، والمكانة الاجتماعية؟ لسنا بحاجة لأن نقول إن مظهر مودي لم يفصح شيئاً عما يدور داخله، فقد ضبط تعبيرات وجهه بدقة ما بين الحيرة الشديدة والاعتذار، لينقل للآخرين وعيه بالإزعاج الذي قد يسبّب له، وأنه لا يملك أدنى فكرة عن نوعه، وكيفية التصرف بشأنه، وأنه على أتم الاستعداد لتنفيذ توجيهاتهم.

وفي الخارج، غيّرت الرياح اتجاهها مُرسلةً دفقة من الهواء الرطب عبر المدفأة فانتفخت الجذوات واحمرّت، وللحظة شمّ مودي رائحة ملح البحر. أيقظت حركة المدفأة الرجل السمين في مجلسه بجانبها، فرفع نفسه عن مقعده بزمجرة من الجهد وتحرك لينضمّ للآخرين عند المنضدة الجانبية. وبذهابه، وجد مودي نفسه وحيداً مع الرجل ذي المعطف الثقيل، مال الرجل للأمام وفتح علبة سجائره الفضية لأول مرة، وسحب منها سيجارة، وقال: "أُعَرِّفُكَ بنفسِي، إذا لم يكن لديك مانع". تحدث بلكنة فرنسية واضحة، وسلوك مهذب وراقٍ، "اسمي أوبرت چاسكوين، وأعتذر إن كنت أعرف اسمك بالفعل".

ردّ مودي ببعض الدهشة: "لكني أنا أيضاً أعرف اسمك".

"إذن فنحن نعرف بعضنا". كان الرجل يفتش عن ثقابه، وتوقّف واضعاً يده في جيب صدريته، كعقيد جيش متأنق يجلس في وضعية متكلفة أمام رسام يرسم صورته. "يا للغرابة! كيف عرفت اسمي يا سيد مودي؟".

"لقد قرأت مقالتك الليلة، تلك المنشورة في نسخة يوم الجمعة من تايمز الساحل الغربي، إذا كنت أتذكر بشكل صحيح فقد كتبت رأياً بالنيابة عن المحكمة الابتدائية".

ابتسم چاسكوين وأخرج علبة الثقاب. "فهمت، إذن فأنا الأخبار القديمة"، وهزَّ علبة الثقاب مُخْرِجًا عودًا، ووضع حذاءه ذا الرقبة على ركبته وخبط العود في كعب الحذاء ليشعله.

"آسف". هكذا استهَلَّ مودي حديثه مخافة أن يكون قد أهان الرجل. لكن چاسكوين هزَّ رأسه وقال بعد أن أشعل سيجارته: "أنا لستُ غاضبًا، لقد وصلت هنا كغريب في مدينة غريبة، وما هو أول شيء فعلته؟ لقد عثرت على جريدة الأمس وقرأت نشرة المحكمة. هذا يُعَلِّمُك بأسماء الخارجين عن القانون من ناحية، وأسماء القائمين على تطبيق القانون، من ناحية أخرى، إنها استراتيجية جيدة". ردَّ مودي بتواضع: "ليس في الأمر مهارة".

ظهر اسم چاسكوين في الصفحة الثالثة من الجريدة، تحت مقالة صغيرة من فقرة واحدة عن عدم أخلاقية الجرائم، سبقت عنوان المقالة قائمة بالمقبوض عليهم هذا الشهر (ولم يتذكر أي اسم، وفي الحقيقة فإنه تذكر اسم چاسكوين لأن أستاذه في مادة اللغة اللاتينية كان يُدعى بنفس الاسم، چاسكوين، وتشابه الأسماء هو ما شدَّ عينيه).

واصل چاسكوين الحديث: "ربما لا، لكنه بالرغم من ذلك قد قادك إلى قلب همنا، الموضوع الذي ظل لمدة أسبوعين على كل لسان". قطب مودي. "المتهمون بارتكاب الجُنح؟".

"اسم واحد بالتحديد".

وسكت الآخر، فسأله مودي ببساطة: "هل لي أن أخمّن؟".

هزَّ چاسكوين كتفيه. "ليس هناك داعٍ، أنا أقصد العاهرة".

رفع مودي حاجبيه، وحاول أن يتذكر قائمة المقبوض عليهم، نعم، ربما كان أحد الأسماء مؤنَّثًا، وتساءل عما قد يقوله رجال هوكتيكا

بخصوص القبض على عاهرة؟ واستغرق بعض الوقت ليجد كلمات يصيغ بها ردًا مناسبًا، ولدهشته، ضحك چاسكوين.

"أنا أغيزك، لا تدعني أغيزك، فجرمتها لم تكن في القائمة، لكن إن قرأت ببعض الخيال فسوف تعرف. اسمها هو: أنا ويذريل."

"لست متأكدًا أني أعرف كيف أقرأ ببعض الخيال."

ضحك چاسكوين مرة أخرى، وأخرج دفعة من الدخان. "لكنك مُحام، ألسنت كذلك؟".

بتحفظٍ ردَّ مودي: "محامٍ بحكم الدراسة فقط، لم أمارس المهنة".

"حسنًا، هناك دائمًا نبرة في إعلانات المحكمة الابتدائية. سأعطيك أول مفاتيح اللغز 'السادة الأفاضل سكان الأراضي الغربية'. سأعطيك الثاني أيضًا 'جرائم العار والانحطاط'."

ردَّ مودي: "فهمت". رغم أنه لم يفهم شيئًا، رمشت عيناه لأعلى كتف چاسكوين، حيث انتقل الرجل السمين إلى الصينيين، وكان يخطُّ شيئًا ما على ظهر مفكِّرة الجيب الخاصة به ويريه لهم ليقرؤوه. "ربما اتهمت السيدة ظلمًا؟ ربما هذا ما جذب انتباه الجميع؟".

چاسكوين: "لم تُسَجَن بتهمة الدعارة، ضباط البوليس لا يهتمُّون بهذا. طالما أن الرجل كتوم بالقدر الكافي، فهم يديرون وجوههم للناحية الأخرى".

وانتظر مودي. شاب عدم الارتياح حديث چاسكوين، إنه كتومٌ، وفي نفس الوقت يوذُّ البوح بما عنده. شعر مودي أنه لا يثق به. كان الموظف في منتصف الثلاثينيات من عمره، بدأ الشيب يغزو شعره الباهت فوق أذنيه، وشاربه الباهت مفروق من منتصفه، ومُصَفَّف بحيث يتجه كل نصف إلى الخارج باتجاه أذنيه، ويرتدي بذلة من النسيج القطني السميك مقاسها مضبوط على جسده.

بعد فترة صمت أضاف چاسكوين: "أتعلم! الضابط نفسه عرض مالاً مقابل الحصول عليها، بعد إيداعها السجن مباشرة".

"إيداعها السجن؟" ردّدها مودي وهو يشعر بالحماسة، وتمنّى لو تكلم الرجل بطريقة أوضح وبجمل أطول. كان مهذباً (وبالمقارنة به بدا بالفور فظاً كصدادة الباب) لكنه تهذّب حزين الطابع، وقد تحدث بإحباط رجل يفتقد كمال عهد مضى، ويندم على ضياعه.

چاسكوين: "لقد حوكمَت بتهمة محاولة إنهاء حياتها".

لم يعرف مودي كيف يرد، ولم يود المتابعة، فقال محاولاً تغيير الموضوع: "وبالنسبة لقبطان سفينتي، السيد كارفر؟ أعتقد أن له علاقة بهذه الفتاة، أليس كذلك؟".

"نعم، كارفر له علاقة بها". ونظر إلى السيارة في يده وبدا فجأة مشمئزاً منها فرماها في المدفأة. "لقد قتل ابنه".

ارتدّ مودي للخلف فَرَعَاً "ماذا؟".

بغموضٍ أضاف چاسكوين: "بالطبع لم يستطيعوا إثبات الأمر، هذا الرجل وحش، أنت مُحِقٌّ تماماً في رغبتك في تجنبه".

حدّق مودي فيه، وللمرة الثانية لم يعرف كيف يرد عليه.

بعد وهلة أضاف چاسكوين: "كل رجل له عملته الخاصة، ربما تكون الذهب، وربما النساء. أنا ويزريل كانت الاثنين معاً".

في هذه اللحظة عاد الرجل السمين وكأسه ممتلئ، جلس ونظر إلى چاسكوين ثم إلى مودي وبدا عليه أنه أحسّ بالتزام اجتماعي بتقديم نفسه، فانحنى للأمام ومدّ يده: "اسمي ديك مانرينج".

"تشرفنا". نطقها مودي بطريقة آلية، وأحسّ بفقدان التركيز، وتمنّى لو لم يقاطع چاسكوين في هذه اللحظة بالذات؛ حتى يعرف منه أكثر عن موضوع العاهرة. لم يكن من المناسب أن يحاول فتح الموضوع

الآن، وعلى كل حال فقد انسحب چاسكوين داخل مقعده وأظلم وجهه، وبدأ يقلب علبة سجائره بين يديه مرة أخرى. أضاف مانرينج وهو يجلس: "أنا مالك دار أوبرا برنس أوف ويلز". مودي: "هذا عظيم".

خبط مانرينج ذراع كرسيه بمفاصل أصابعه المضمومة، باحثًا عن طريقة لمواصلة الحديث: "المسرح الوحيد في المدينة". نظر مودي لچاسكوين، لكن الموظف كان يحدّق باستياء في حجره، من الواضح أن ظهور الرجل السمين أثار استياءه بشدة، وأنه لا يحاول ستر استياءه عن المتسبّب فيه، وأحسّ مودي بالخجل وهو يرى وجه الرجل السمين يحمّرُ احمرارًا قانيًا.

ونطق مودي أخيرًا، مخاطبًا مانرينج: "لم أستطع منع نفسي من الإعجاب بسلسلة ساعتك، هل هذا الذهب من هوكتيكا؟".

وبدون أن ينظر إلى صدره، أو يرفع أصابعه ليلمس السلسلة، قال مانرينج: "جميلة، أليس كذلك؟"، وخبط ذراعَي كرسيه مرة أخرى. "قطع ذهبية من كلوثا، لقد كنت في كاوارا، ثم في دنستن، ثم في كلوثا".

"أعترف لك أنني لا أعرف هذه الأسماء، أظن أنها حقول في أوتاجو، أليس كذلك؟".

أكد مانرينج على صحة المعلومة، ثم بدأ يستعرض موضوع شركات التعدين وفوائد الجرافات.

بعد انتهائه من حديثه سأله مودي وهو يحرك أطراف أصابعه في الهواء في دائرة صغيرة ليشير إلى أنه يعني جميع مَنْ في الغرفة: "هل كلكم هنا منقّبون؟".

قال مانرينج: "ليس فينا منقَّبٌ واحد، ما عدا -طبْعًا- الصينيين. نحن نعمل في مجال خدمات المخيم، لكن معظمنا بدأ في الأخذود. أين تجد معظم الذهب المستخرَج من حقول الذهب؟ تجده في الفنادق، وفي الحانات. الرجال ينفقون الذهب فور عثورهم عليه. سأخبرك بشيء، ربما تجني أموالاً أكثر إذا ما بدأت عملك الخاص بدلاً من التنقيب في التلال، استخرِجْ لنفسك رخصة وابدأ ببيع الخمور". مودي: "لا بُدَّ أن هذه نصيحة حكيمة، بما أن هذا هو ما قمت به".

اضطجع مانرينج في مقعده وبدأ مستمتعاً جداً بالمجاملة. نعم، لقد توقَّف عن العمل في الحقول، وهو الآن يستأجر العمال لاستخراج الذهب من مناجمه مقابل حصَّةٍ من الإنتاج. هو من سوسكس، هوكتيكا مكان جيد، لكن بها فتيات أقل من اللازم بكثير. وهو يحب الأنغام الموسيقية بجميع أنواعها، وبنى الأوبرا الخاصة به على غرار أوبرا أديلفي في وست إند بلندن، أحسَّ أن التوليفة القديمة المكوَّنة من أغنية ووجبة عشاء توليفة رابحة، لم يكن يطيق الحانات، وكوب صغير من البيرة يكفي لجعله مريضاً، والفيضانات في دنستن كانت رهيبة، رهيبة، وأمطار هوكتيكا صعبة الاحتمال، وليس هناك ألطف من المقطوعات الموسيقية رباعية الأصوات، حيث كل صوت وكأنه خيط منسوج في قطعة من الحرير.

همهم مودي: "ممتاز". أثناء هذا المونولوج لم تصدر عن چاسكوين حركة اللهم إلا حركة كَفِّه الشاحبة الطويلة وهي تقلَّب علبة سجائره الفضية في حجره. مانرينج من ناحيته لم يبدُ أنه مهتمٌّ بوجود الموظف على الإطلاق، وفي الواقع فقد وجَّه حديثه لبقعة فوق رأس مودي بثلاث أقدام، كأنه ليس مهتماً بوجود مودي نفسه.

بعد وقت طويل بدأت الأصوات الهامسة للدراما الدائرة بين الموجودين تتخذ شكلاً نهائياً، وسكنت ثثرة الرجل السمين، وعاد الرجل داكن الشعر ليتخذ مجلسه السابق على يسار مودي، وعاد بالفور بعده يحمل كأسين من البراندي ناول أحدهما لمودي وأشار بيده ردّاً على شكر مودي له، وجلس.

"أنا أدين لك بتفسير للطريقة الوقحة التي كنتُ أستجوبك بها يا سيد مودي، ليس هناك داعٍ للاعتراض، فهذا حقيقي. والحقيقة، الحقيقة، يا سيدي تستحق أن تُحكى، وسأحاول أن أختصر الحكاية قدر ما أستطيع."

أضاف چاسكوين من مجلسه، في محاولةٍ سخيفة للتأدب المصطنع: "هذا إذا تکرّمت بأن تقبل ثقتنا فيك".

اعتدل الرجل داكن الشعر في مقعده فجأة وأضاف: "هل لدى أحد من الحاضرين أي اعتراضات؟".

أدار مودي عينيه حوله، لكن لم ينبس أحد بكلمة.

أوماً بالفور برأسه، وصمت للحظة أخرى كأنه يضيف من تأدّبه للأدب السائد في الحجرة. ثم استأنف.

"دعني أخبرك الآن أن هناك رجل قد قُتل، وهذا المجرم الذي تعرفه، كارفر، الذي لن أطلق عليه لقب قبطان، هو القاتل، ورغم أي لا أعرف كيف أو لماذا، لكنني متأكد ممّا أقوله كما أنا متأكد من رؤيتي للكأس الذي في يدك، والآن إذا منحتني شرف إطلاعك على جزء من تاريخ هذا الشيطان، فرمما، ربما ترغب في مساعدتنا من وضعك الحالي".

"اعذرني يا سيدي"، وبدأ قلب مودي يخفق بسرعة حين سمع عن القتل، ربما يكون الأمر متعلقًا بالشبح الذي رآه على متن الجودسبيد. "ما هو وضعي الحالي؟".

قال الرجل ذاكن الشعر: "يقصد أن حقيبتك لا تزال على السفينة، ولديك ميعاد بعد ظهر الغد في مكتب الجمارك".

بدا على الفور بعض الضيق وأشار بيده. "سنتحدث عن ذلك بعد قليل، لكنني أرجوك أن تسمع الحكاية في البداية".

رد مودي: "بالطبع سأستمع"، مؤكِّدًا بشكل طفيف على الكلمة الأخيرة، كأنه يحذّر الرجال الآخرين من أن يتوقعوا أو يطالبوا بأكثر من الاستماع. وخيّل إليه أن ابتسامة هازئة مرّت على وجه چاسكوين الشاحب، لكن سرعان ما تجمّعت ملامح الرجل مرة أخرى.

"بالطبع، بالطبع"، ردّ بالفور وقد انتبه لما يلّمح إليه مودي، فوضع كأسه جانبًا، وشبك أصابع يديه وطقّقههم. "حسنًا، سأحاول يا سيد مودي أن أطلّعك على سبب اجتماعنا".

المشتري في برج القوس

حيث يدور النقاش حول فضائل الملجأ، ويوضَّع اسم موضع تساؤل، ويحتار أليستار لودرباك، ويكذب وكيل الشحن.

تشعَّبت حكاية بالفور بسبب مقاطعة حديثه، وثقلت بسبب أسلوب حديثه، فتحوَّلت لحكايةٍ شديدة الفوضى، ومرَّت عدة ساعات قبل أن يستطيع مودي أن يفهم بوضوح ترتيب الأحداث التي أدَّت إلى الاجتماع السري في غرفة التدخين بالفندق.

المقاطعات المثيرة للإرهاق، وأسلوب بالفور الاستطراذي، كل هذا أفقد القصة جدارة التدوين بكلمات الرجل. ولهذا، فسوف نستأصل هذه العيوب، ونفرض نظامًا على السرد المتعجِّل لعقل وكيل الشحن الشارد. سوف نستخدم معجوننا الخاص لسدِّ كل الشقوق والصدوع

في هذا السرد لنبعثه من جديد صرحًا بعد أن كان مجرد أنقاض في ذاكرة عقل وحيد.

وسوف نبدأ كما بدأ بالفور نفسه، بلقاء حدث في هوكتيكا في صباح يومنا هذا.

Φ

قبل بزوغ فجر حمى الذهب على الساحل الغربي، حين كانت هوكتيكا مجرد فم بُني اللون مفتوح على المحيط، والذهب على شطآنها يلمع في هدوء وبدون أن يراه أحد. كان توماس بالفور يعيش في مقاطعة أوتاجو، ويدير عمله من مبنى صغير مُغطى بالقرميد في واجهة ميناء ديوندن، تعلو المبنى لافتة من القماش القطني السميك غير المصبوغ تحمل اسم: بالفور وهارنيت، وكلاء شحن. (ترك السيد هارنيت العمل الذي كان شريكًا فيه بالثلث ليتمتع بتقاعدٍ رائع في أوكلاند، بعيدًا عن صقيع أوتاجو وضبابها الأبيض الذي يسبح في الوديان في الساعات الباردة التي تسبق الفجر). موقع المؤسسة المميز بمحاذاة الرصيف الرئيسي للميناء والمتمتع بمنظر مداخل الميناء البعيدة جذب لها زبائن مميزين. ومن بينهم الرئيس السابق لشرطة كانتربيري، وهو عملاق ضخم اليدين له سمعته من الثقة بالنفس، والترقي المستمر، والحماس المتقّد.

رجل الدولة المرموق يُدعى أليستار لودرباك. وقد تمتع الرجل على مدار حياته المهنية بالنجاح والازدهار. وُلِد في لندن ودرس المحاماة قبل أن يبحر إلى نيوزيلندا في عام 1851، وقد حدّد لرحلته غرضين، أولهما: أن يجمع ثروة، والثاني: أن يضاعفها. وكان طموحه ملامًا تمامًا للحياة السياسية، وخاصة الحياة السياسية لبلدٍ ناشئة، فصعد نجمه،

وبسرعة. واشتهر في الدوائر القانونية كرجل إذا وضع هدفًا نصب عينيه لا يستريح إلا إذا حقّقه، وجلبت له هذه الخصلة الحميدة كرسياً في مجلس مقاطعة كانتربري، ووجهت له الدعوة للترشح لمنصب رئيس شرطة كانتربري، وقد نجح في الانتخابات بأغلبية ساحقة. وبعد خمس سنوات منذ وطئت قدمه أرض نيوزيلندا لأول مرة وصلت شبكة علاقاته الممتدة حتى وزارة ستافورد، ورئيس الوزراء نفسه؛ وحينما دُق على باب توماس بالفور لأول مرة ودخل عليه واضعاً في عروته زهرة من شجرة الكوهاي وياقة قميصه منشأة الأطراف بيدي امرأة (وهو ما لاحظته بالفور)، لم يعد من الممكن أن نسمّيه مستكشفاً، فقد كان مستقراً بشكل مذهل، ومليئاً بالنفوذ الذي يدوم للأبد.

ميزت مظهر لودرباك وحركاته الفخامة أكثر من الوسامة. بلحية ضخمة ومربّعة كالحية بالفور، نمت بشكل شبه أفقي من فكه، مانحة لوجهه مظهرًا جليلاً؛ وتحت حاجبيه لمعت عيناه الغامقتان، كان فارع الطول عريض الأكتاف رُمحيّ القوام؛ ممّا أظهره أطول ممّا هو بالفعل، يرفع صوته إذا تحدث، ويعلن عن طموحاته وآرائه بصراحة قد يساء تأويلها كخطرة (بالنسبة للمستمعين المتشكّكين)، وقد يحسن تأويلها كشجاعة (بالنسبة للمستمعين غير المتشكّكين). شاب سمّعه بعض الثقل؛ ولهذا كان يميل برأسه ويحدودب قليلاً حين يستمع لأحدهم؛ ممّا أضفى عليه الانطباع بالاهتمام والانتباه الشديدين لما يستمع له، وهو انطباع مفيد للغاية في مجال الحياة السياسية.

انبهر بالفور بلودرباك في أول لقاء لهما، انبهر بالحيوية والثقة اللتين لَوّتا حديثه. فاهتماماته، كما أعلن لبالفور، لا تقتصر فقط على العمل السياسي، فقد امتلك أيضاً بعض السفن؛ لأنه شغف بالبحر منذ طفولته. امتلك أربع سفن شراعية مختلفة الأحجام والأنواع. اثنتان منهما كانتا بحاجة لقبطان؛ لذلك فقد أجّرهما، لكن مخاطر

هذا النوع من الاستثمار عالية؛ لذلك أراد أن يؤجّر سفنه لشركة شحن كبيرة يمكنها أن توقّر للسفن تأمينًا جيدًا ضد المخاطر. وذكر أسماء سفنه بالترتيب كما يذكر أبُ أسماء أطفاله، السفينتان الكبيرتان تُدعىان فيرتشيُو أوستراليس وكورونا أوستراليس، وأصغر السفن تُسمّى ليدي أوف ذا بولروم. أما السفينة متوسطة الحجم فتُدعى جودسبيد. وقد صادف أن شركة بالفور وهارنيت كانت في أمْس الحاجة لسفينة سريعة وكبيرة بنفس الحجم والإمكانات التي ذكرها لودرباك لسفنه الكبيرة، ولم يكن بالفور وقتها بحاجة للسفينة الأخرى المعروضة للإيجار، جودسبيد؛ لأنها أصغر من احتياجاته، لكن فيرتشيُو أوستراليس، بعد فحصها وتجربتها بالطبع، مناسبة تمامًا للقيام بالرحلة البحرية الشهرية ما بين ميناء تشالمرز وميناء فيليب. فاتفق مع لودرباك على أن يجد قبطانًا لفيرتشيُو أوستراليس ويؤمن عليها تأمينًا عادلاً ويؤجّرها بعقد إيجار سنوي.

كان لودرباك في مثل عمر بالفور، لكن منذ لقائهما الأول تعلّق بالفور بلودرباك تعلّق الابن بالوالد، تعلّقًا يتّسم ببعض الضعف من ناحية بالفور، كانت الخصال التي أثارت إعجاب بالفور في شخص لودرباك هي نفسها الخصال التي نمّأها بالفور في نفسه. نشأ نوع من الصداقة بين الاثنين (وهي صداقة أعاقها إعجاب بالفور الزائد بلودرباك عن النمو لتصبح صداقة حميمة). ومَرّت سنتان وفيرتشيُو أوستراليس تبحر بلا كلل ولا ملل غادية رائحة ما بين ديونندن وميلبورن، وبالنسبة لبند التأمين عليها، فقد أُعِدَّ بمنتهى العناية، بحيث انعدمت الحاجة لمناقشته مرة ثانية.

في يناير 1865 أعلن روبرت هارنيت عن نيّته في التقاعد، فباع حصّته لشريكه وانتقل للعيش شمالاً حيث الجو أفضل. وفورًا تخلّى بالفور في غياب تامٍّ للعواطف عن موقع مؤسسته في صدر الميناء.

فقد علم بالفور بأقول نجم أوتاجو، حيث امتلأت الأودية بالحفر والأخاديد، وعمًا قريب سينضب الذهب من الأنهار. فأبحر بالفور للساحل واشترى قطعة أرض فضاء بالقرب من مصب نهر هوكتيكا ونصب خيمته وبدأ في بناء مخزن. وتحوّلت بالفور وهارنيت إلى بالفور للشحن، واشترى بالفور صديريّة مطرّزة وقُبّعة مستديرة الحواف، ومن حوله بدأت مدينة هوكتيكا تزدهر.

بعدها بعدّة شهور حين وصلت السفينة جودسبيد إلى الميناء، تذكّر بالفور الاسم وعرف أنها سفينة أليستار لودرباك. وفي لفتةٍ مُهذّبة قدّم بالفور نفسه لقبطان السفينة، فرانسيس كارفر، وبعدها جمعت الاثنان علاقة ودية مبنية على المعرفة المشتركة للآثنين بالسيد لودرباك، رغم أن بالفور أحس في قرارة نفسه أن كارفر مجرم بل ومحتال أيضًا. واحتفظ برأيه لنفسه بدون أي مرارة. فبالفور لا ينهر بقوة الإرادة إلا إذا كانت من النوع الذي يظهر على لودرباك، النوع الساحر الجذاب، ولا يمكن لبالفور أن يعجب بشيرير. والشائعات التي حامت حول السيد كارفر لم تخيف بالفور ولا أثارت بداخل قلبه أي نوع من الإعجاب الصبياني. ببساطة، كارفر لم يثر اهتمامه، ولم يدخر وسعاً في الابتعاد عنه.

في أواخر عام 1865 قرأ بالفور في الجريدة أن أليستار لودرباك سيرشّح نفسه لمقعد البرلمان عن دائرة الأراضي الغربية. بعدها ببضعة أسابيع تلقى بالفور خطاباً من لودرباك نفسه يطلب فيه مساعدة بالفور مرة أخرى. وذكر لودرباك في خطابه أنه في سياق حملته للفوز بمقعد مقاطعة الأراضي الغربية، يودّ أن يظهر كأحد رجال الأراضي الغربية، وترجّى بالفور أن يحجز له مكاناً للإقامة في قلب هوكتيكا، ويؤثّثه بطريقة مناسبة، ويتولى مهمّة شحن صندوق يحتوي على أغراض شخصية تخصه، كتب قانونية وأوراق وغيرها من الأغراض المهمة جدًّا بالنسبة له خلال حملته الانتخابية. شرح لودرباك كل

البنود التي طلبها بالتفصيل وبخطٍ مُنَمَّق جعل بالفور يفكر في أن صديقه رجل يملك ما يكفي بحيث يهدر حبر الكتابة على الزخارف. (ودفعته هذه الفكرة للابتسام، فهو يحب أن يغفر للودرباك إسرافه). لودرباك نفسه لن يسافر بحرًا، عَوَّضًا عن ذلك سيأخذ الطريق البري عبر الجبال على ظهور الخيل ليصل منتصرًا إلى نهاية وادي الأراهورا. سيدخل المدينة ليس كرجل دولة مُرَفَّه راكبًا إحدى مقصورات الدرجة الأولى، ولكن كأحد أفراد الشعب، متألم من طول جلسته فوق سرج حصانه، ومُغَطَّى بالطين وعرق الجبين.

قام بالفور بكل ما طُلب منه، حجز للودرباك جناحًا يُطلُّ على شاطئ هوكتيكا، وحجز له في كل النوادي التي أعلنت تقديمها للسلطعون والأطباق الأمريكية، وطلب من المتجر الرئيسي طلبية من الكمثرى والجبين المعتق وجنزيل چامايكا المحفوظ؛ ورَتَّب له حلًّا خاصًا، وحجز مقصورة خاصة في دار الأوبرا لشهرَي فبراير ومارس. وأبلغ محرر تايمز الساحل الغربي أن لودرباك سيصل من كانتربيري إلى هنا عبر الممر الجبلي، واقترح عليه أن يذكر بتعاطفِ المعاناة التي تحمِّلها لودرباك بشجاعة خلال هذه الرحلة، حتى يمنح جريدته الفرصة لتحظى بأفضلية عند إدارة لودرباك المقبلة في حال فوزه بمقعد البرلمان عن الأراضي الغربية، وهو فوز مُتَوَقَّع الحدوث. ثم أرسل بالفور رسالة لميناء تشالمرز يأمر فيها قبطان السفينة فيرتشو بأن يضع صندوق لودرباك على متن السفينة بمجرد وصوله من ليتلتون، وينقله معه لهوكتيكا في رحلته القادمة للساحل. وعند انتهائه من كل هذا، اشترى بالفور زجاجة ضخمة من البيرة من فندق جريديرون ورفع قدميه، وتجرَّع المشروب باستمتاع، وهو يفكر بأنه ربما أحبَّ السياسة، بخطبها، وحملاتها الانتخابية، نعم، إنه بكل تأكيد يحب السياسة.

ولكن ما حدث أن وصول أليستار لودرباك لهوكتيكا لم تصاحبه أصوات أبواق النصر التي تصوّرُها لودرباك حين وضع خطته في خطابه لبالفور. فرحلته عبر جبال الألب لفتت أنظار المنقّبين عن الذهب في الساحل بأكمله، واسمه كان حاضرًا في كل صحيفة ونشرة تصدر في المدينة، ولكن لأسباب أخرى غير الأسباب التي تخيلها لودرباك.

والقصة - كما رواها ضابط الشرطة، وكما نشرتها تايمز الساحل الغربي صباح اليوم التالي - كانت كالآتي: قبل ساعتين من الوصول إلى وجهتهم النهائية، مرّ لودرباك ومرافقوه بكوخ ناسكٍ، وقد مرّت ساعات على آخر استراحة لهم، والليل يحلُّ؛ فتوقّفوا بنية طلب زجاجة من الماء ووجبة ساخنة (إذا تكرّم عليهم صاحب الكوخ). خبط المسافرون على باب الكوخ ولم يرُدّ عليهم أحد، لكنهم كانوا متأكّدين من وجود أحد بالداخل بسبب الدخان المتصاعد من المدخنة ونور المصباح المشتعل، لم يكن الباب مُغلّقًا بالمزلاج، ودخل لودرباك ووجد مالك الكوخ ميتًا على منضدة مطبخه، وقد توفي لتوه، حيث أخبر لودرباك الضابط بعدها أن الغلاية كانت تغلي فوق الموقد ولم يجفّ ماؤها بعد. بدا أن الناسك قد توفي بسبب الشرب، حيث كانت إحدى يديه ملفوفة حول قاعدة زجاجة شراب شبه فارغة على المنضدة أمامه، وجو الغرفة مُعبّقًا برائحة الخمر. اعترف لودرباك أن ثلاثتهم تناولوا بعض الشاي والخبز على موقد الناسك قبل أن يستأنفوا رحلتهم، ولم يتوقّفوا أكثر من نصف الساعة؛ لوجود الرجل الميت في المكان، ومن رحمة الله أن رأسه كان مرتاحًا فوق ذراعيه، وعينيّه مغلقتان.

وعلى حدود هوكتيكا تأخرت رحلتهم مرة أخرى، ففي طريقهم للمدينة عثروا على امرأة فاقدة الوعي تقطر بللاً ترقد على قارعة الطريق، كانت حية، لكنها في حالة سيئة، خمّن لودرباك أنها قد تكون تحت تأثير مخدّر، لكنه لم يستطع أن يستخلص منها أي شيء سوى الأنين، فأرسل مساعديه للبحث عن ضابط شرطة، ورفعها من

الوحد، وانتظر وصول الشرطة، وفي انتظار عودة مساعديه فكّر في أن حملته الانتخابية بدأت بداية رهيبة، وأن أول ثلاثة سيقابلهم حين يصل المدينة سيكونون: قاضي المحكمة الابتدائية، وضابط التحقيقات، ومحرّر جريدة تايمز الساحل الغربي.

خلال الأسبوعين التاليين لتلك البداية التعيسة، لم تأبه هوكتيكا كثيراً بالانتخابات المقبلة، وبدا أن مقتل الناسك ومصير العاهرة (اكتشف لودرباك لاحقاً أن هذه هي مهنة المرأة التي وجدها على الطريق) أمور لا يستطيع الترشح للانتخابات أن ينافسها في الاستحواذ على اهتمام الجماهير. جاء ذكر رحلة لودرباك عبر الجبال بمنتهى الاختصار في تايمز الساحل الغربي، في حين تمّ تخصيص عمودين كاملين للوصف الذي قدّمه للرجل المتوفى كروسبي ويلز. لم يستأ لودرباك لهذا، وانتظر الانتخابات البرلمانية بنفس الهدوء والسيطرة على النفس التي ينتظر بها كل تصاريّف القدر، وكل عطاياه، كان قد عقد عزمه على الفوز؛ لذلك كان متأكّداً من الفوز.

في صباح يوم وصول والتر مودي إلى هوكتيكا، صباح اليوم الذي بدأت فيه حكاية بالفور، كان وكيل الشحن جالساً مع صديقه العزيز في قاعة طعام فندق بالاس في شارع ريفل، يتحدثون عن تجهيزات السفن الشراعية. كان لودرباك مرتدياً بدلة صوفية من أفصح درجات اللون البني المخلوط بالرمادي، تأثّر لونها بشكل سيئ بالرطوبة، ولم يجفّ المطر بعدّ على كتفيه، فبدأ كأنه يرتدي كتفيات، وأغمقت تلابيب سترته ووبر قماشها، لكن لودرباك لم يكن رجلاً يمكن لخطأ في ثيابه أن يُقلّل من حُسن مظهره، وفي الواقع فالعكس هو الصحيح، فقد أضفت عليه البدلة المبتلّة مظهرًا حسنًا. أما يدها فقد دُعِكت هذا الصباح بصابون حقيقي، وشعره صُفف بالدهان، والغطاء الجلدي لساقيه يلمع كالنحاس المصقول، ووضع في عروته غصناً صغيراً مُزهراً من نباتات نيوزلندا، يحمل زهرة باهتة مكونة من عدة زهيرات

صغيرة جداً لا يعرف بالفور لها اسمًا، وتركت رحلته الأخيرة عبر جبال الألب الجنوبية أثرًا من الصحة في وجناته الحمراء، وباختصار، كان بكل تأكيد يبدو بخير.

حرق بالفور في صديقه عبر المنضدة، وهو نصف منتبه لحديثه الفيّاض بالحماسة، مدافعًا عن السفن الشراعية الحربية، مُمثلاً بكفيه الاثنتين الشراعيين الأساسيّ والمساعدَ فيهما، ومستخدمًا حامل أوعية الملح والفلفل كمقدمة السفينة، نقاشًا كفيل في الأحوال العادية بجذب انتباه بالفور، لكن الضيق وعدم الانتباه ارتسما على وجه وكيل الشحن، كان يخطط بقاعدة كأسه على المنضدة، ويغيّر وضعه في كرسيه، وكل بضع دقائق يعبث بشدة في أنفه، لأنه يعلم أن هذا الحديث الدائر حول السفن سيأخذهما بعد قليل إلى الحديث عن الفيرتشيو والشحنة التي كلفت بتوصيلها للساحل.

وصل صندوق الشحن الخاص بلودرباك إلى هوكتيكا صباح يوم الثاني عشر من يناير، قبل وصول لودرباك نفسه بيومين، وقد أشرف بالفور على تفريغ السفينة وأعطى تعليمات بنقل الصندوق من رصيف الميناء إلى مخزنه. وعلى حدِّ علمه تمَّ تنفيذ تعليماته، لكن بضربة غادرة من القدر (وقد زادت مكانة لودرباك العالية عند بالفور من سوء الأمر)، اختفى الصندوق تمامًا.

ارتعب بالفور حين اكتشف اختفاء الصندوق، وبدأ رحلة البحث عنه، فسار بطول رصيف الميناء ذهابًا وإيابًا، وطرق كل باب مر عليه، واستجوب جميع العاملين، والحمّالين، والبحارة، وضباط الجمارك، ولم تثمر جهوده عن شيء، فالصندوق اختفى بلا أثر.

لم يقض لودرباك ليلتين على بعضهما في جناح الطابق العلوي من فندق بالاس، حيث أمضى الأسبوعين الماضيين في رحلة عمل تهديدية يقدم نفسه في المخيمات والتجمعات السكنية على طول الساحل.

وانتهت رحلته هذا الصباح. وبسبب هذا الانشغال، ولظنه أن الفيرتشيو لا زالت في طريقها قادمة من ديوندن، لم يسأل عن الصندوق، لكن بالفور يعلم أنه لا بُدَّ سيُسأل عنه، وحين يُسأل سيتحتم عليه أن يخبر الرجل بالحقيقة، فابتلع ملء فمه من النبيذ.

تناثرت على المنضدة بينهما بقايا التصبيرة، وهو ما يطلقه لودرباك على أي طعام يتناوله في غير ميعاد الوجبات المعتادة، وقد أكل حتى شبع ودعا بالفور ليفعل مثله. لكن وكيل الشحن رفض الدعوة أكثر من مرة، من ناحية فهو لم يكن جائعًا ومن ناحية أخرى فهو لا يحب البصل المخلّل ولحم الضأن المقلي، ورائحة الصنفين بمفردها كافية لتفقد شهيتته، وكتعويض عن عزوفه عن الطعام، وعلى حساب مضيفه؛ شرب دورقًا كاملاً من النبيذ، بالإضافة لكوب من البيرة؛ التماسًا للشجاعة التي قد تجلبها الخمر. لكن الشراب لم يساعده في التغلب على مخاوفه، وأحس الآن بالإعياء الشديد.

لودرباك: "خذ قطعة واحدة من الكبد".

بالفور: "إنه ممتاز، ممتاز، لكنني شبعان تمامًا، شبعان. أشكرك".

لودرباك: "إنه ضأن من كانتربيري".

"نعم، كانتربيري، ممتاز جدًا".

"إنه كافيّ الأراضى المرتفعة يا توم".

"أنا شبعان تمامًا، أشكرك".

نظر لودرباك للكبد للحظة، ثم غيّر الموضوع. "كنت لأسوق قطيعًا بنفسي، في طريقي إلى هنا، وأبيع الرأس بخمسة جنيهات أو عشرة، إنها فرصة لجني الكثير من المال. إن كنت أخبرتك أن اللحم في هذه المدينة إمّا مُملّح أو مُدخّن، كنت لأجلب معي ما يكفيني

لشهر كامل، كان بإمكانى أن أقوم بهذا بمنتهى السهولة بالاستعانة
بزوج من الكلاب".

بالفور: "ليس هناك أي سهولة في هذا؟".

لودرباك: "كنت لأجني الكثير من المال".

"وماذا عن الخراف التي ستهلك في الطريق؟ والخراف التي
ستضيع؟ والخراف التي ستحرن؟ وكل الساعات التعيسة التي ستضيع
في عدّهم وجمعهم ومطاردتهم؟ أنا لا أرى الموضوع مُمكنًا".

ردّ رجل السياسة: "ليس هناك مكسب بدون مخاطرة، والرحلة
كانت تعيسة بالفعل، على الأقل كنت جنيت بعض المال منها، ومَن
يدري؟ ربما زاد هذا من ترحاب الناس بي".

بالفور: "البقر ممكن، فقطيع البقر حسن السلوك".

ودفع لودرباك طبق الكبد أمام بالفور: "هَلَّا أكلتها؟".

بالفور: "لا أستطيع، حقًا لا يمكنني ذلك".

التفّ لودرباك لخادمه: "خُذْ أنت الباقي يا عزيزي چوك". (وكان
لودرباك ينادي خادمية بأسمائهم الأولى لأن الاثنين لديهما نفس اسم
العائلة: سميث. وهناك عدم تناسق عجيب بين أسمائهما، فأحدهما
يدعى چوك والآخر أوجستوس).

"ضع بصلَةً في فمك، وارحمنا من سماع مهاتراتك عن طرازك
المفضّل من السفن الشراعية، أليس من الأفضل يا توم أن يَكفَّ عن
الكلام؟"، وبابتسامة حنى رأسه ثانية ناحية بالفور.

عبث بالفور في أنفه مرة أخرى، هذه إحدى خصال لودرباك: أن
يشجّع الناس على الاتفاق على أتفه الأمور، وأن يُصرَّ على الحصول
على إجماع الحاضرين في الأمور التي لا تستدعي الإجماع، وفي غمضة
عين يجد المرء نفسه في صفّه، وضمن حملته الانتخابية أيضًا.

"نعم، بصلة". ثم، وبغرض إبعاد الحديث عن سيرة السفن، قال بالفور: "جاء خبر في التايمز بالأمس عن فتاتك، التي وجدتها على الطريق".

"إنها ليست فتاتي، وهذا بالكاد يُعدُّ خبراً".

استطرد بالفور: "جريء هو كاتب المقال، إنه يشير إلى أن المدينة بأكملها تستحقُّ التوبيخ لما حدث للفتاة، كما لو كنا جميعًا مخطئين".
لَوْح لودرباك بيده بازدراء. "وَمَنْ يهتمُّ برأيه؟ إنه مجرد موظف تافه في المحكمة الابتدائية يعلن عن ضيقه".

(الموظف الذي ذكره لودرباك بلا اهتمام هو بالطبع أوبرت چاسكوين، الذي جذبت مقالته القصيرة انتباه والتر مودي بعدها بعشر ساعات).

هَزَّ بالفور رأسه. "إنه يُحمِّلنا جميعًا المسؤولية، كأن ما حدث خطأنا جميعًا".

كَرَّرَ لودرباك: "إنه موظَّف تافه يمضي أيامه يكتب شيكات تحمل توقيع غيره، مليء بالآراء التي لا يودُّ أحد معرفتها".
"بالرغم من هذا!..."

"بالرغم من ماذا؟ مقالته تافهة ووجهة نظره ضعيفة، لا داعي لمناقشتها". وخبط لودرباك بأصابعه على المائدة كما يخبط القاضي بمطرقته ليعلن عن نفاذ صبره، لكن بالفور استمات لكي لا يعود الحديث إلى موضوعه الأول، فاستطرد قبل أن تتاح الفرصة للسياسي.
"ولكن، هل رأيتها؟".

قَطَّبَ لودرباك. "مَنْ؟ الفتاة التي وجدناها؟ العاهرة؟ لا، لم أرها منذ ليلتها. لكنني علمتُ أنها نجت، أتظن أنه كان عليَّ أن أسأل عنها؟ أهذا سبب سؤالك؟".

بالفور: "لا، لا".

"رجل في مركزي لا يمكنه أن...".

"بالطبع، بالطبع لا يمكنك...".

استطرد لودرباك بنبرة جديدة. "ممّا يعود بنا إلى المقالة. فالكاتب يرى أنه حتى يتمّ توفير بعض الخدمات، كالملاجئ التابعة للكنائس والأديرة وغيرها، يظل التساؤل عن وضع فتاة مثلها قائمًا، وعن المسؤول عن أمثالها؟ فتاة لا سند لها، تعيش في مكان مثل هذا".

كان هذا مجرد تساؤل بلاغي من لودرباك، وبغرض ترك باب الحديث مفتوح، أجاب بالفور: "إنها ليست مسؤولية أحد".

اندهش لودرباك. "ليست مسؤولية أحد! أين روحك المسيحية يا رجل؟".

"أنا حاولت أن تنتحر، أن تنهي حياتها، وهذه ليست مسؤولية أحد غيرها".

قال لودرباك مؤنّبًا: "أدعوها أنا؟ أنت تتحدث عن الفتاة مستخدمًا اسمها الأول، أعتقد أن هذا يُحمّلك جزءًا من مسؤولية رعايتها".

"مناداتها باسمها الأول لم تشعل غليونها".

"أُتغلق بابك في وجهها لمجرد أنها سيّرة؟".

"أنا لا أغلق أية أبواب. وإن حدث ووجدتها على الطريق، سأُتصرّف كما تُصرّفت أنت، بالضبط كما تُصرّفت أنت".

"تنقذ حياتها؟".

"أسلمها للسلطات".

تجاهل لودرباك ما قاله بالفور. "وماذا بعد؟ ستقضي ليلة في السجن، وبعدها؟ مَنْ سيحميها حين تشعل غليونها مرة أخرى؟".

"لا أحد يستطيع أن يحمي المرء من نفسه، من يديه الاثنتين!"، واشتدَّ ضيق بالفور، فهو لا يستمتع بهذا النوع من المناقشات، إنها بالكاد أفضل قليلاً من الحديث عن طرق ربط حبال أشعة السفن الشراعية. (لكن لودرباك نفسه كان مُحاوراً سيئاً خلال الأسبوعين الماضيين، مُستبداً في نبرته، مُتنقلاً ما بين المراوغة والإلحاح، وأرجع بالفور التَّغيُّر الذي أَلَمَّ بلودرباك إلى الضغط العصبي).

قاطعهما چوك سميث، بغرض التوضيح. "إنه يقصد الرعاية الروحية، الحماية الروحية"، لكن لودرباك أسكته بإشارة من يده. "دعك من الانتحار، هذه نقطة منفصلة، وصعب النقاش فيها. مَنْ بإمكانه منح مثل هذه الفتاة فرصة يا توماس؟ هذا هو سؤالي، مَنْ بإمكانه منح هذه الفتاة المسكينة فرصة جديدة لبدء حياة مختلفة؟".

هزَّ بالفور كتفيه. "بعض الأشخاص يعانون حظاً سيئاً، لكن المرء لا يمكنه الاعتماد على ضمير غيره ليحيا الحياة التي يريد لها لنفسه، عليك أن تكدح وتكافح بكل ما تستطيعه".

في هذا التعليق أظهر وكيل الشحن جانبه القاسي، التَّعنُّت المعلق بداخله كثقل يقبع تحت التسامح المرح الذي يظهر في انفتاحه على الآخرين، كأما يوازنه، كأنه الوجه الآخر له. بالفور كمعظم رؤاد الأعمال يحتاط كثيراً لما يملكه، ويودُّ أن يحذو الجميع حذوه.

اعتدل لودرباك في مقعده ونظر لبالفور بتأقُّفٍ. "إنها عاهرة، أليس هذا ما تعنيه؟ أنها مجرد عاهرة".

"لا تُسَيِّ فهمي، أنا لستُ ضد العاهرات. لكنني لا أحب الملاجئ، ولا الأديرة، إنها أماكن بشعة".

لودرباك: "إنك تستفزني بحق، رعاية المحتاجين هي أصدق دليل على التَّحَضُّر، إنها أرقى دليل عليه، وإذا أردنا لهذا المكان أن يتحَضَّر، إذا أردنا بناء طرق وكباري، إذا أردنا أن نرسي أُسُسًا لمستقبل هذه الدولة...".

أنهى بالفور جملته نيابة عنه. "إذن علينا أن نوَفِّر للعاملين في بناء الطرق شيئًا يدفئ فراشهم ليلاً؛ فالحفر في الصخر عمل شاق".
ضحك چوك وأوجستوس، أما لودرباك فلم يبتسم.

"مهنة العاهرة محنة أخلاقية يا توماس، عليك أن تسمِّي الأشياء بأسمائها، عليك أن تتمسَّك بالمعايير إذا كنت تقف عند حافة العالم!"
(والجملَة الأخيرة اقتبسها من أحدث خطبه الانتخابية). "العاهرة محنة أخلاقية، هذا ملخَّص الموضوع، إنها وسيلة بغیضة لإنفاق المال الحلال".

ردَّ بالفور: "وما الحل الذي تقترحه؟ هل تقترح وسيلة جيدة لإنفاق المال الحلال؟ لكنه في الحالين إنفاق للمال، المال لا يزال مالاً. دعك من الملاجئ، دعنا لا نحوِّل الفتيات إلى راهبات، سيكون هذا عارًا كبيرًا، خاصة مع قِلَّة عدد الفتيات الذي نعاني منه بالفعل".
شخر لودرباك. "قِلَّة عدد الفتيات، وقِلَّة حيلتهن، على ما أرى".

وهزَّ بالفور رأسه. "المسؤولية عن العاهرات! وماذا بعد؟ نخصَّص لهن مقعدًا في البرلمان؟".

ألقي أوجستوس سميث نكتةً خارجة ردًّا على تعليق بالفور، وضحكوا كلهم.

حين هدأ ضحكهم قال لودرباك: "دعنا نترك هذا الموضوع، لقد ناقشنا ذلك اليوم من جميع الزوايا والجوانب، والخوض فيه يتعبني". وحرّك يده حركة دائرية بمعنى أنه يرغب في العودة لموضوع المحادثة الأصلي. "أمّا بالنسبة لربط أشرعة السفن، فما أودُّ قوله ببساطة هو أن الطريقة التي يستغل بها المرء المزايا تتوقّف كُليّةً على المكان الذي يشغله في العالم، فرأي چوك مبنيٌّ على خبرته كبَحَّارٍ مخضرم، ورأيي أنا مبنيٌّ على كوني مالكٌ سُفْنٍ مُتعلِّم. أنا أرى بعيني عقلي خطاً سير السفينة، وهو بعيني عقله يرى القار وحبال السفينة، والرياح".

استجاب چوك سميث لهذه السخرية بطريقة عادية، وبروح رياضية، واستعاد الحوار حيويته.

تجدّد قلق توماس بالفور بسرعة، أحسّ أنه تحدّث بشكل جيد في موضوع الملاجئ، فقد مدح لودرباك سرعة بديهته، وودّ لو يتحدث أكثر في هذا الموضوع؛ فرمّا أتيحت له الفرصة ليبيد مهارته في الحديث مرة أخرى. وفكر باستياء أنه ليس لديه أي شيء جدير بالذكر يضيفه لموضوع طرق ربط أشرعة السفينة الشراعية، ومميزات كل طريقة، وعيوبها، وليس وحده في ذلك، الأمر كذلك بالنسبة لچوك، وأوجستوس، بل ولودرباك نفسه، لكن هذا ليس غريباً على لودرباك، فكثيراً ما بدأ أحاديثٍ وأنهاها بوحى اللحظة، مُغيّراً موضوع الحديث لأنه ببساطة قد ملّ من نقطة معينة، أو لتعدّي رجل آخر على سلطته على الحديث، ولثالث مرة هذا الصباح يحتجّ السياسي على فتح موضوع جديد للحديث، وباستبدادٍ يعود للجعجعة في موضوع السفن، وكل مرة يحاول بالفور الحديث في الأخبار المحلية يعلن لودرباك استياءه الشديد من الحديث بلا طائل في مواضيع الناسك والعاهرة، وفاض بالفور بالاستياء، لأنه في حقيقة الأمر لم يتحدث الاثنان معاً في هذين الموضوعين بأي درجة من التفصيل، ولا حتى من بعض الزوايا، والجوانب.

تداعت المشاعر بداخل بالفور متبعةً غمطاً محدّداً، رغم عدم وعي بالفور بهذا. فقد أثقل عليه إعجابه بلودرباك لدرجة أنه في حالة اختلافهما يقبل باعتبار نفسه مخطئاً عن أن يلوم لودرباك حتى بينه وبين نفسه. لكن الاعتراف بخطأ لم يرتكبه الإنسان حالة تنتظر دائماً فرصة لردّ الاعتبار، وإن لم تأتِ مثل تلك الفرصة، تحوّلَت المشاعر إلى الغضب. على مدى الأسبوعين الماضيين التزم بالفور الصمت بخصوص موضوع لقاء لودرباك بالرجل الميت كروسبي ويلز، رغم أن ملابس الوفاة ملأته بالفضول، ولم يناقش بالمرة موضوع أنا ويدريل، العاهرة التي وجدها لودرباك على الطريق، وكان في هذا يتصرف بناء على رغبة لودرباك، أملاً في أن يحترم لودرباك رغبته في المقابل، وهو أمر يحتاج إلى درجة من الاهتمام بالآخرين لا يتمتع بمثلها لودرباك؛ وبالتالي فلم يأتِ ما ينتظره بالفور. لكنه لم يستطع احتمال مثل هذا العيب في الرجل الذي يُكِنُّ له كل هذا الإعجاب، فصر، وصر، حتى نفذ صبره، وامتلاً بالسخط.

(وسوف نضيف بلهجة مطمئنة، أن سخط بالفور من النوع السطحي للغاية، وكلمة طيبة واحدة من لودرباك كفيلة باستعادة بالفور لروحه المرحّة).

دفع بالفور كرسيه بعيداً عن المنضدة، وألقى بنظره على الغرفة، على أملٍ طفوليٍّ أن يلحظ مضيفه ملله.

كانت قاعة الطعام خالية تقريباً، بسبب الميعاد غير المعتاد لوجبتهم، ومن خلال كوة تقديم الطعام لمح بالفور الطاهي وقد خلع مريّلتة وجلس سائداً كوعيه إلى المنضدة يلعب بأوراق اللعب. وأمام المدفأة جلس صبي ضخم الأذنين يمسّ قطعة من اللحم المقدّد. من الواضح أنه مكلف بمراقبة مكايي الملابس الحديدية التي صُفّت في رفٍّ فوق الفحم المشتعل لتسخن، فكان كل نصف دقيقة تقريباً يبلّ

أصبعه ويقربّه من الحامل ليختبر سخونة. وعلى أقرب منضدة لهما جلس قسّ، له وجه مُنَمَّش، وليس بالوسيم، بأنف أفطس وشفة سفلية متهدّلة قليلاً كشفاه الأطفال. وقد تناول إفطاره وحيداً، وحاليّاً يشرب قهوته ويقراً إحدى المطويّات، وفهم بالفور أنه يتدرب على الموعدة التي سيلقيها في اليوم التالي، لأنه كان يومئ برأسه ببطء وهو يقرأ، كأنما يتبع إيقاع خطبة صامته.

بلّل الصبي ضخم الأذنين إصبعه مرة أخرى ومده نحو الحامل، وطوى القسّ الصفحة، ووضع الطاهي ورقة لعب بمحاذاة لوحة التقطيع، وعبث بالفور بشوكته، وأخيراً توقّف لودرباك وسط خطبته الساخرة ليتجرع من النبيذ، فانتهز بالفور الفرصة ليقاطعه.

بالحديث عن السفن ثلاثية الأشرعة (كان الحديث يدور حول السفن ثنائية الأشرعة)، لقد رأيت سفينتك جودسبيد عدة مرات العام الماضي عند الحاجز القاريّ، إنها سفينتك، أليس كذلك؟ جودسبيد.

ولدهشة بالفور، فقد قوبلت ملحوظته بالصمت، وحنى لودرباك رأسه، كأن بالفور قد ألقي عليه معضلة فلسفية شديدة الأهمية، ممّا استدعى تأمّله العميق الصامت في السؤال.

أضاف بالفور: "يا لها من سفينة، إنها مذهلة!".

تبادل خادما لودرباك نظرة.

كسر أوجستوس سميث أخيراً حاجز الصمت. "هذا يؤيّد حديثنا يا سيد لودرباك. فحتى السفن ثلاثية الأشرعة تؤدي ما تؤديه ثنائية الأشرعة بنصف عدد الأيدي العاملة ونصف التعب، إنه لا يستطيع إنكار هذا".

استنهض لودرباك نفسه. "نعم". والتفت إلى چوك. "أنت لا تستطيع إنكار هذا".

كان چوك يمضغ، وابتسم بفمه المليء الطعام. "سوف أنكره، فقط أعطني نصف التجهيزات ونصف الطاقم. سأفضل دائماً سرعة السفينة أكثر من القدرة على التحكم فيها".

أوجستوس: "ما رأيكم أن نصنع سفينة واحدة بها مميزات النوعين؟".

هزّ چوك رأسه. "أقولها مرة أخرى، ثلاثة أسرع في السفينة هو عدد أكثر من اللازم".

لمس أوجستوس كوع لودرباك. "ستكون أسرع من سفينة بثلاثة أسرع. وماذا عن سفينتك فلايت أوف فانسي؟ كان تربيط الشراع الرئيسي لها من الأمام والخلف، أليس كذلك؟".

لم ينتبه بالفور لمحاولة الخادمين أخذ الحديث بعيداً عن الموضوع الذي فتحه، وظنّ أن السياسي لم يسمعه جيداً، فرفع صوته وحاول مرة أخرى. "أقول إن سفينتك جودسبيد تأتي إلى هنا بشكل منتظم، يا لها من سفينة! لقد رأيتها عند الحاجز القاري بضع مرات، يبدو أنها تتميز بالسرعة والقدرة على التحكم، إنها سفينة مذهلة".

تنهّد أليستار لودرباك ورمى رأسه للخلف وحدّق في دعامات السقف الخشبية، وارتجفت شفتاه بابتسامة بلهاء، ابتسامة رجل ليس معتاداً على الإحراج، كما أدرك بالفور لاحقاً، (فقبل هذا الصباح، لم يحدث أبداً أن سمع لودرباك يعترف بأي ضعف من أي نوع).

أخيراً قال لودرباك وهو لا يزال مُحَدِّقاً للأعلى: "لم تُعد هذه السفينة ملكي". كان صوته متوتّراً كأن الابتسامة قد أضعفته.

اندesh بالفور. "حقاً؟ هل بادلتها؟ بسفينة أكبر؟".

"لا، لقد بعثتها".

"في مقابل ذهب؟".

توقف لودرباك قليلاً ثم قال: "نعم".

بالفور: "هكذا؟ بعثها؟ ومَن المشتري يا ترى؟".

"قبطانها".

زفر بالفور بمرح. "لا يستطيع أحد أن يحسدك على موقفك. لقد سمعنا بعض القصص عن هذا الرجل".

لم يردّ لودرباك. ظلّ مبتسماً يتأمل دعامات السقف والشقوق ما بين ألواح أرضية الغرف العلوية.

اضطجع بالفور في كرسيه ودسّ إبهاميه تحت تلايب سترته. "نعم، لقد سمعنا هنا بعض القصص. فرانسيس كارفر! إنه ليس من طراز الرجال الذين أودُّ أن أقابلهم".

خض لودرباك بصره باندھاش، وقال مقطّباً: "كارفر؟ أنت تقصد ويلز".

"قبطان جودسبيد".

"إلا إذا كان باعها".

"رجل متين البنية، بحواجب داكنة وشعر داكن وأنف مكسور".

لودرباك: "هذا صحيح، فرانسيس ويلز".

رمش بالفور بعينه: "أنا لا أقصد أن أعارضك، لكن هذا الرجل يدعى كارفر، ربما تخلط بينه وبين الرجل الذي...".

"لا".

"الناسك...".

"لا".

أصرَّ بالفور. "الرجل الميت، الرجل الذي عثرت عليه منذ أسبوعين، هذا الرجل كان يدعى ويلز، كروسبي ويلز".

وللمرة الثالثة ردَّ لودرباك: "لا"، ورفع صوته قليلًا. "أنا لم أخطئ في الاسم، ويلز هو الاسم الذي كان على الورق، حين وقَّعتُ عليه لإتمام الصفقة، كان الاسم دائمًا ويلز".

تبادل الرجلان النظر.

أخيرًا قال بالفور: "أنا لا أفهم، كل ما أرجوه هو أن لا تكون قد خُدعت، فرانك ويلز، كروسبي ويلز، مصادفة غريبة، أليس كذلك؟". وتردد لودرباك ثم قال بحذر: "ليست مصادفة، أظن أنهما كانا أخوين".

صرخ بالفور ضاحكًا. "كروسبي ويلز وفرانك كارفر أخوان؟ لا أستطيع تصوُّر شيء مستحيل أكثر من هذا، اللهم إلا إذا كانا أخوين بالمصاهرة".

عادت الابتسامة البلهاء لوجه لودرباك وبدأ بطعن قطعة من فئات الخبز بإصبعه.

"ولكن مَن أخبرك بهذا؟ الرجل الآخر لم يتحدث".

لودرباك: "لا أدري".

"هل قال كارفر شيئًا وهو يوقَّع الأوراق؟".

"ربما كان الأمر كذلك".

بالفور: "حسنًا، ولكن بالنظر لهما لم أكن لأصدق هذا أبدًا، أحدهما طويل وجذاب، والثاني مجرد متلاف، وقصير وضعيف".

ارتعش لودرباك وتحركت يده لا إرادياً على المنضدة، كأنه يمدُّها ليمسك شيئًا. "كروسبي ويلز كان متلافًا؟".

لَوْح بالفور بيده. "لقد رأيته ميّتا".

لودرباك: "نعم، ميّت، لم أقابله أبدًا حيًّا. إنه أمر غريب، المرء لا يمكنه معرفة شكل الإنسان بدون حركة، بدون روحه".

"أوه!". وسكت بالفور متأملًا في الفكرة.

واستطرد لودرباك: "الشخص الميت يبدو مصنوعًا، كأنه تمثال، يجعلك تندهش من تصميمه، وتفكر في صانعه، البشرة ناعمة وجميلة كالشمع أو الرخام، لكنها ليست مثلهما، فهي ليست مضيئة كالشمع، ولا تعكس الضوء كالرخام، فهي كما قد يصفها الرسامون معتمدة، لا تلمع". فجأة بدا لودرباك مُحَرَجًا جدًّا، فختم حديثه بسؤال يحمل بعض الوقاحة. "هل سبق أن رأيت رجلًا حديث الوفاة؟".

حاول بالفور تلطيف الموقف (فهذا سؤال خطير في حقول الذهب) وانتظر السياسي الرد، وأخيرًا اعترف بالفور أنه لم يحدث أن رأى ذلك.

قال لودرباك، كأنها يخاطب نفسه: "لم يكن صحيحًا أن أقول 'رأيت'، كان عليّ أن أقول 'شهدت'".

قال أوجستوس سميث: "لقد وضع چوك يده على رقبة الرجل، أليس كذلك يا چوك؟".

چوك: "نعم".

أوجستوس: "حين دخلنا الكوخ".

چوك: "أردت أن أوقفه، لم أكن أعلم أنه ميت بالفعل، فقد بدا أنه نائم، وهناك أمر آخر، كانت ياقته مبللة بالعَرَق، لم تكن قد جفّت بعد، فعرفنا أنه مات من نصف ساعة على الأكثر".

كان چوك ليسترسل في الحديث أكثر، لكن لودرباك أسكته بحركة حادة من ذقنه.

"لا أستطيع فهم الأمر، أنه وقَّع باسم ويلز!"

لودرباك: "لا بُدَّ أننا نتحدث عن رجلين مختلفين".

"كارفر لديه ندبة بيضاء اللون على خده على شكل منجل".

زَمْ لودرباك شفتيه ثم هزَّ رأسه. "أنا لا أتذكر ندبة".

"لكنه كان غامق الشَّعر وضخم البنية ويبدو متوحِّشًا، أليس كذلك؟".

"نعم".

"لا يمكنني استيعاب هذا، لِمَ قد يغيِّر رجلُ اسمه؟ وفرانك كارفر وكروسبي ويلز أخوان؟".

حرك لودرباك فمه تحت شاربه، كأنه يمضغ شفته، وبنبرة مختلفة تمامًا سأل: "هل تعرفه؟".

اعتدل في كرسیه سعيدًا بفرصة إجابة مباشرة. "كروسبي ويلز؟ لم أعرفه بالمرّة، كان يبني ورشة للأخشاب بعيدًا في الأراهورا، في المكان الذي عثرت فيه على الكوخ، لقد جلب مستلزماته من خلال مكتبي، المعدّات وخلافه، أنا أعرف شكله -رحمه الله- وكان لديه صديق من الماوري، كانا يعملان سوياً في مشروع الورشة".

"هل ترك فيك انطباعًا ما؟ عن شخصيته؟".

"ماذا عن شخصيته؟".

"عن نوعها". وارتعشت يد لودرباك ثانية، واحمرَّ وجهه، وعدل سؤاله. "أقصد ما انطباعك عنه؟".

بالفور: "ليس هناك ما يعيبه، فهو لا يتدخل في شؤون غيره، أظن أنه من مواليد لندن، من حديثه". ثم توقف ومال إلى الأمام في

مقعده بشكل تأمري. "بالطبع بعد وفاته هناك الكثير من الإشاعات بشأنه".

ومرة أخرى لم يرد لودرباك، واستغرب بالفور، كانت تصرفات الرجل غريبة، بعزوفه عن الحديث، ووجهه المحمّر. بدا كأنه يودّ من بالفور أن يجيب على بعض التساؤلات، ويودّ منه في نفس الوقت أن يتوقف عن الكلام تمامًا. وبدا أن المساعدين الاثنين فقدوا الحماس، كان چوك يدفع قطعة من الكبد في طبقه، وأدار أوجستوس رأسه يراقب انهمار المطر على النافذة.

وبطرف عينيه تأمل بالفور الخادمين، كانا يدوران في فلك لودرباك، ينامان على مراتب في غرفته، ويرافقانه في كل مكان، ويتحدثان ويتصرفان دائماً بصيغة الجمع كأنهما يتشاركان في هوية واحدة، كما يتشاركان في اسم العائلة. وحتى هذا الصباح كان بالفور يحسّ أنهما رفيقان لطيفان، بهيجان وسريعا البديهة، ويرى أن تفانيهما للودرباك شيء حميد، رغم أن تواجدهما المستمر يضايقه أحياناً، أما الآن، فقد نقل بصره بينهما وهو يحس برأيه يتبدل.

لودرباك لم يحك لبالفور كلمتين على بعضهما عن الجزء الأخير من رحلته عبر الجبال منذ أسبوعين، معظم ما عرفه بالفور عمّا حدث ليلة وصوله عرفه من تايمز الساحل الغربي، التي نشرت ملخصاً لشهادة لودرباك عن حوادث تلك الليلة، الشهادة التي كتبها بيده وسلّمها للشرطة. لم يشتهه في تورط لودرباك في الوفيات التي حدثت ليلتها، سواء محاولة الفتاة لقتل نفسها، أو الوفاة التي حدثت بالفعل. وقد نفى تقرير المحقق أي شبهة جنائية في وفاة كروسبي ويلز، وقد تمكّن الطبيب من إثبات أن الأفيون الذي كاد يودي بحياة أنا ويذريل يخلصها. وفي هذه اللحظة فإن بالفور تساءل عمّا إذا كان ما جاء في الصحيفة هو الحقيقة.

شاهد بالفور چوك سميث يدفع قطعة الكبد الخاصة به للأمام وللخلف، غريب جداً اهتمام لودرباك الشديد والمفاجئ بشخصية كروسبي ويلز. والأغرب منه هي فكرة أن كروسبي ويلز الشخص الوديع العادي الذي لا يتمتع بأي قدر من النفوذ، يتمتع بصلة قرابة، أو صلة من أي نوع مع شخص يمثل سوء سمعة فرانسيس كارفر. لم يستطع بالفور أن يصدق هذا الأمر. هناك أيضاً العاهرة الملقاة في الطريق، هل هذا الحدث مجرد صدفة أم أنه مرتبط بشكل ما بوفاة كروسبي ويلز المبكرة؟ لماذا كان لودرباك متردداً لهذه الدرجة في الحديث عن هذين الحادثين؟ متردد، حتى الآن.

ولأغراض إحياء المحادثة، ومنع خياله من التحليق واتهام صديقه بتهمة ليس لها أساس من الصحة؛ قال بالفور: "إذن فقد بعثت السفينة لكارفر، وظننت أن اسمه هو ويلز، وقد أخبرك بالمصادفة أن له أخاً يُدعى كروسبي موجود في مكان أمين".

لودرباك: "لا أتذكر الآن، فقد حدث هذا منذ حوالي العام، وقد مرَّ وقت طويل".

بالفور: "لكنك بعدها بعام، وعلى الجانب الآخر من الجبال، التقيت بشقيق نفس هذا الشخص، وقد توفيَّ للتو، في مكان تطوُّه قدماك للمرة الأولى، هذه صدفة غريبة، ألا توافقني الرأي؟".

ردَّ لودرباك بتعالٍ. فقد كانت عاداته حين يحس بضغط أن يدخل في حالة من التعالي. "لا يؤمن بالضدِّ سوى العقل الضعيف".

تجاهل بالفور هذه المقولة، وقال وهو يراقب السياسي: "هل الاسم الحقيقي هو كارفر، أم ويلز".

أوجستوس سميث: "هل أملاً لنا دورقاً آخر يا سيد لودرباك؟".

خبط لودرباك على المنضدة. "نعم، حسناً، املاً لنا دورقاً آخر".

بالفور: "رفعت جودسبيد مراسلتها منذ حوالي أسبوعين، إنها تُبحر ذهابًا وعودة من وإلى كانتون، لتجارة الشاي، أليس كذلك؟ لذا أتوقع أننا لن نرى كارفر في هذه الأنحاء قريبًا".

لودرباك: "دعنا من هذا الحديث، لقد أخطأت في الاسم، وهذا لا يعني شيئًا".

وخطرت لبالفور فكرة جديدة. "انتظر قليلًا".

لودرباك: "ماذا؟".

"ربما يعني شيئًا، فهناك التماس ببطلان بيع ممتلكاته، ربما يتغير الأمر بالنسبة لأرملته، إذا ما تبين أن لكروسبي ويلز أخًا مختفيًا".

ابتسم لودرباك بعصبية. "الأرملة؟".

ردًا بالفور بغموض: "نعم"، وكان على وشك الاستطراد حين اندفع لودرباك قائلاً: "لم يكن هناك أي إشارة على وجود زوجة في الكوخ، لم يكن هناك أي شيء على الإطلاق، بدا واضحًا أن الرجل يعيش بمفرده".

"بالفعل"، وكان على وشك الاستطراد، لكن لودرباك قاطعه. "لقد قلت إن وجود أخ يمكن أن يكون له تأثير، لكن أموال الرجل تؤول لزوجته، إلا إذا نصّت وصيته على غير هذا، هذا ما ينصّ عليه القانون، أنا لا أفهم كيف يمكن أن يؤثر ظهور أخ على الموقف، لا أفهم ذلك".

وأمال رأسه ناحية ضيفه.

بالفور: "لم يترك وصية، هذه هي المشكلة، كروسبي ويلز لم يترك وصية، ولا أحد يعرف إن كانت له عائلة، لم يعرفوا حتى لمن يرسلون خطابًا بخبر وفاته، كل ما يعرفونه هو اسمه، ليس لديهم عنوان له ولا حتى شهادة ميلاده ولا أي شيء يخصه؛ ولهذا استعاد التاج الملكي ملكية أرضه وكوخه، واستعاد الحق في بيعها، فتم عرضها وبيعها في اليوم التالي مباشرة، بإمكانني إخبارك أنه لا شيء يظل معروضًا للبيع

لوقت طويل هنا. لكن ما حدث أنه وبينما حبر التوقيع على عقد البيع لم يجف بعد، ظهرت له زوجة، لم يعلم أحدٌ أي شيء عنها قبل ذلك، لكن أوراق الزواج في حوزتها، وقدّمت نفسها باسم ليديا ويلز.

جحظت عينا لودرباك، وقال فيما يشبه الهمس: "ليديا ويلز؟"، وأدرك بالفور أنه الآن قد استحوذ على انتباهه.

نظر أوجستوس سميث إلى چوك، ثم أشاح بنظره بعيداً.

هزّ بالفور رأسه. "حدث هذا يوم الخميس، ووجدت المحكمة أوراقها سليمة، سراسلون ديوندين بكل تأكيد للتحقق من الأوراق. لكن هناك شيء ما مريب، فقد ظهرت فجأة للاستيلاء على الممتلكات، بينما لم يذكرها كروسبي بالمرة. وهناك شيء آخر مريب؛ إنها سيدة أنيقة ومبهرة، كيف تمكّن كروسبي ويلز من الزواج من امرأة مثلها؟ إنه لغز أنا شخصياً مستعدّ أن أدفع مقابل أن أعرف سرّه."

"هل رأيته هنا؟ ليديا؟ هل هي هنا؟".

وانتبه بالفور أن اسمها مألوفٌ في فمه، إذن فهو يعرفها، ولا بُدَّ أنه يعرف الرجل الميت أيضاً. وردّ بالفور بصوت حرص ألا يشي بشكوكه: "نعم، جاءت في سفينة البريد البخارية يوم الخميس، نزلت سلم السفينة ببراعة المتمرسين، وهي في كامل أناقتها، فستانها مربوط في عقدة فوق كتفها، وسروالها التحتاني ممسوك بيدها، وكل الأحزمة والأطواق في ملابسها على مرأى من الجميع. سأجنُّ وأعرف كيف وقّع كروسبي ويلز عليها، سأجنُّ وأعرف".

كان لودرباك مذهولاً. "ليديا ويلز هي زوجة كروسبي ويلز."

"نعم، هذا ما تقوله هي."

وتفحص بالفور صديقه ثم فجأة وضع كأسه على المائدة، وانحنى باتجاهه، ووضع كفّه على المائدة بينهما. "اسمعني يا سيد لودرباك.

يبدو أن هناك شيئًا يمنعك من التحدث بصراحة، ما رأيك لو تشاركني
إيَّاه؟".

الطريقة البسيطة التي تحدث بها بالفور فتحت بابًا في سدّ
منيع في قلب لودرباك، فكما هو حال كثير من رجال ذوي الشأن،
المعتادين على تلقي أفضل الخدمات بشكل مستمر، والذين نادرًا ما
يجدون أنفسهم بمفردهم، فقد اعتاد لودرباك على التفكير في رفاهه
من منطلق المنفعة التي يقدّمونها إليه. وبالفور بلا شك شخص
لطيف، بارع في عمله، عصبي بطريقة مَرِحَة، ومبتهج دائمًا، لكن
قيّمته كرجل في عقل لودرباك لا تزيد عن قيمة الدور الذي يلعبه،
وهو قابل للاستبدال، أمّا ما يكمن خلف مظهره فهو أمر لم يتكلف
لودرباك جهد معرفته.

يا لها من لحظة كاشفة، تلك اللحظة التي ينتبه فيها ذو الشأن
أن مَنْ أمامه هو في الحقيقة إنسان، ربما ليس من نفس مستواه،
لكنه إنسان، كيان غير قابل للتخليص أو الاختزال، تسكنه الهشاشة
والأمل، وله ماضٍ حقيقي، ومستقبل غير معلوم. امتلاً أليستار
لودرباك بهذا الوعي، وأحسّ بالخجل من نفسه. ورأى أن بالفور يمدُّ
إليه يد الصداقة، وهو لم يقبل منه إلا الخدمات التي يقدّمها له، رآه
يعرض تعاطفه، وهو لم يقبل منه إلّا ما في مصلحته. التفت لودرباك
إلى مساعديه: "يا رفاق، أودُّ أن أنفرد بالفور لبعض الوقت، اتركونا
وحدنا".

نهض أوجستوس وچوك من على المنضدة وغادرًا قاعة الطعام
بدون أن ينبسا بكلمة (وعلى غير عادة بالفور، غمره إحساس سعيد
بالغلبة والانتصار، حين بدا الإحباط الشديد على الرجلين). حين تركا
المكان، زفر لودرباك بعمق وصبّ لنفسه كأسًا آخر من النبيذ، ولم
يرتشف من كأسه، بل حمله بين راحتيه وثبّت نظره عليه.

"توم، هل تفتقد إنجلترا؟".

رفع بالفور حاجبيه. "إنجلترا؟ لم تطأ قدمي أرض إنجلترا المشمسة منذ زمن، قبل أن يخطّ الشيب شعري".

ردّ لودرباك معتذراً. "بالطبع، لقد كنت في كاليفورنيا، لقد نسيت ذلك". وصمت مؤنباً نفسه.

بالفور: "الجميع هنا يتحدث عن الوطن، وأنا عن نفسي لا يسعني إلا الظن بأن المتعة كلها تكمن في الافتقاد".

قال لودرباك بصوت خافت: "نعم، هذا حقيقي".

استطرد بالفور مدفوعاً باتفاق لودرباك معه في الرأي. "معظم الشباب تطلّ إحدى قديمهم على السفينة، ويعودون بمجرد جمعهم لبعض الذهب. ثم ماذا؟ يشترّون لأنفسهم حياة، يجدون حبيبة، يستقرون، وبعدها، بماذا يحلمون؟ ماذا يتمنون؟ يحلمون بالتنقيب، بالأيام التي كانوا فيها يمسون الذهب بأيديهم، في حين أن كل ما كانوا يفعلونه هنا هو الحديث عن الوطن، عن أمهاتهم، وحلوى يوركشاير، واللحم المقدد جيد الصنع، وما شابه ذلك". وخبط قاعدة كأسه على المنضدة. "إنجلترا هي الدولة القديمة، ونحن نفتقدها، بالطبع نفتقدها، لكننا لا نعود".

في انتظار أن يبدأ رجل السياسة في الحديث، ألقى بالفور بنظرة حوله، كان الوقت بعد العاشرة صباحاً، ولم يبدأ بعدُ توافدُ زبائن المطعم، لكنهم بلا شك على وشك الوصول، فاليوم هو السبت، وهو سبت يأتي بعد أسبوع من المطر. وقد ذهب الصبي القابع عند المدفأة ومعه رفُّ المكاوي، وترك الطاهي كروت اللعب وبدأ يقطع إحدى العظام، وخرج عمّال النظافة من غرفهم يصفّون الأطباق ويصنعون الضوضاء. والقس الجالس على المنضدة المجاورة لا يزال جالساً مع قهوته التي بردت منذ أمدٍ. وقد ثبت نظره على سطور

المطوية التي بيده وأطبق فمه بتركيز، وبدأ أنه لا يعير جيرانه أقل قدر من الانتباه، ورغم ذلك قرب بالفور كرسيه من لودرباك حتى يمنح رجل السياسة الفرصة للحديث بدون الحاجة لرفع صوته.

وبدأ لودرباك الحديث. "ليديا ويلز تملك مكانًا في ديونندن، وأفضل أن أذكر اسم ذلك المكان مرة واحدة فقط، إذا لم يكن لديك مانع، المكان يُدعى: هاوس أوف ماني ويشيز. اسم غبي في الحقيقة، أظن أنك سمعت به".

هزَّ بالفور رأسه قليلًا لكي ينفي عن نفسه كلًا من العلم التام بالمكان والجهل التام به، ذلك المكان نادي قمار سيئ السمعة، مشهور بمخاطر الخسارة فيه، وبفتياته الراقصات.

أكمل لودرباك: "ليديا كانت من معارفي المفضلين في ذلك المكان، ولم يكن المال جزء من الأمر، لم يحدث أبدًا أن منحتها مالاً، عليك أن تعرف هذا، عليك أن تعرفه لأنها الحقيقة". وحاول أن يحدِّق في عيني بالفور لكن مندوب الشحن خفض ناظريه. بعد لحظة أكمل لودرباك. "على أي حال، كنت أزورها في كل مرة أذهب إلى ديونندن". وانتظر لودرباك مانِحًا الفرصة لبالفور ليتحدث، لكن بالفور ظلَّ على صمته، فاستأنف حديثه بعد لحظة.

"في المرة الأولى التي أتيت فيها لمكتبك يا توم، تتذكَّر أن جودسبيد كانت بحاجة لقبطان، وأنت لم تؤجِّرها، وفي الأشهر التالية واجهتني كثير من المتاعب في محاولة البحث عن مؤجِّر يمكنني الاعتماد عليه، وقتها كانت السفينة راسية في ديونندن، وكانت الليدي أوف ذا بالروم تحتاج لبعض أعمال العزل، وكنت أيضًا أنفق على إصلاح الفيرتشيو، كما قد تتذكر. كان عليَّ سداد الكثير من الفواتير. وفي نهاية الأمر تسرَّعتُ وأجَّرتُ جودسبيد لرجل يدعى راكسورثي يوُدُّ الإبحار ما بين أستراليا وحقول أوتاجو. وهو من رجال القوات البحرية المتقاعدين،

كان قائدًا لفرقاطة في حرب القرم في بحر البلطيق، وحائزًا على وسام فيكتوريا. وقد لُقِّ العالم، وكثيرًا ما قال إنه لو كان يجرُّ وراءه حبلًا لتمكَّن من ربط عقدة حول العالم. تمَّ تسريحه من القوات البحرية إثر إصابته بداء المفاصل، كانت حالته من السوء بالدرجة التي تستدعي إحالته إلى المعاش الذي كاد أن يبلغه بسبب عمره، لكنها لم تكن بالسوء الذي يجعله يعتزل البحر، وقد راقته جودسبيد؛ فهو رجل من الزمن القديم، مثله مثل جودسبيد".

"عدت بعدها إلى أكاروا، ولم تصلني أخبار من راكسورثي لفترة من الزمن، فقد كنت كثير التنقل في أرجاء الجزيرة، وحين عدت لديوندن وجدت نفسي في ورطة، ورطة مع زوج، ليديا متزوجة، وقد عاد زوجها أثناء سفري".

ضاقَت عينا بالفور. "كروسبي ويلز؟".

هزَّ لودرباك رأسه. "ليس كروسبي، المتوحش المدعو كارفر، لكنني وقتها عرفته باسم فرانسيس ويلز".

هزَّ بالفور رأسه ببطء. "أما الآن فإن نفس هذه المرأة تدَّعي أنها زوجة كروسبي ويلز. ثمة كذبة هنا".

"على أي الأحوال...".

"إمَّا بخصوص الزواج، أو بخصوص الاسم".

قال لودرباك بضيق: "على أي الأحوال، هذا لا يهم، لا يهم الآن. لا بدَّ أن تستمع للقصة بالترتيب الصحيح. وقتها لم أكن أعلم أن ليديا متزوجة، كانت تدعى ليديا جرينواي في نادي القمار، وهو اسمها قبل الزواج، لم أعلم أبدًا باسم ليديا ويلز. بمجرد أن ظهر زوجها علمت أنني في موقف سيئ. وحاولت فورًا أن أراجع وأصلح الموقف.

لكن الرجل حاصرني. وقتها كنت قد تولّيتُ حديثًا رئاسة المدينة، وكنت عضوًا في البرلمان، وحديث الزواج، ولديّ سُمعة أحرص عليها". هزّ بالفور رأسه. "وقد عاش دور الزوج المغدور، وحاول أن يكسب بضعة جنيهات من الموقف".

لوى لودرباك فمه. "لم يكن الموقف بتلك البساطة".

حاول بالفور إبداء تعاطفه. "إنها حيلة معروفة. تلعب على أكبر مخاوف الرجل، وبالطبع حين يبرز الابتزاز يبدو كمخرج. ادفع ولن ترى وجهي مرة أخرى، وكل هذا الكلام. وتكون المرأة جزءًا من الحيلة في معظم الأحيان. أتصور أنه أخبرك بأنها حامل".

هزّ لودرباك رأسه. "لا". وظلّ ينظر للكأس الذي يحمله. "كان أمهر من ذلك بكثير، لم يطلب مالا، لم يطلب أي شيء على الإطلاق. على الأقل في بداية الأمر. وأخبرني أنه قاتل".

دقّت الساعة الموضوععة فوق المدفأة مُعلنةً عن الربع الثالث من الساعة. رفع القسُّ على المنضدة المجاورة رأسه وتحسّس ساقه وأخرج ساعة الجيب الخاصة به من جيب بنطلونه ليضبطها، لفّ المفتاح، وهزّ الساعة، ومسح وجهها بفوطة الطعام، وأعادها إلى جيبه. ثم عاد إلى مطويّته وأحاط جانبي رأسه بكفيه ليحد من مجال رؤيته، واستأنف قراءته.

لودرباك: "كان هادئًا تمامًا حين قالها، ومهذب أيضًا. وأخبرني أن صديق القتل يطارده، ولم يُعلمني شيئًا عن القتل، أو لماذا قتله، فقط أخبرني أنه مُطارَد بسبب الجريمة التي ارتكبها".

"ألم يذكر لك أسماءهم".

لودرباك: "لا، لم يذكر أسماء".

مكتبة

t.me/soramnqraa

قطب بالفور. "وما علاقة كل هذا بك؟ يبدو لي هذا كصراع يخضُّ شخصًا آخر، أو كموضوع يتباهى به شخص آخر، وفي الحالتين فالأمر لا يخضُّك".

اقترب لودرباك أكثر. "الحقيقة أنه أخبرني أن الرجل الذي يطاردُه قد ميزني بإشارة بصفتي صديقه وشريكه. وحين يعثر عليه ويقتله، فسيُفعل المثل بي".

قال بالفور: "ميزك بإشارة؟ كيف ذلك؟".

هزَّ لودرباك كتفيه واستند إلى ظهر مقعده. "لا أدري. كنت أتردَّد على بيت القمار، وكنت أخرج للنزهة مع ليديا، ربما كان هناك مَنْ يتجسَّس عليّ".

بالفور: "التَّجسُّس قصة أخرى. لكن كيف لرجل أن يميزك بإشارة بدون معرفتك؟ الأمر يشبه أن يدقَّ أحدهم وشمًّا عليك بدون معرفتك. سيد لودرباك، أنت تخبرني بنصف الحقيقة، ما الذي دار بالفعل؟".

بدا لودرباك مُحَرَّجًا وقال: "حسنًا، هل سمعت قبل ذلك بالومضة؟".

"ماذا؟".

"الومضة، إنها قطعة من الزجاج، أو الأحجار الكريمة، أو قطعة صغيرة من مرآة توضع في طرف السيجار، يمكن تدخين السيجار بلا أي مشكلة وهي بداخله، ولا يستطيع أحد أن يراها حين يكون السيجار في الفم. المقامرون يستخدمونها. المقامر يدخن أثناء اللعب بشكل طبيعي، وحين يخرج السيجار من فمه ويمسكه بطريقة معينة يستطيع أن يرى انعكاس أوراق لاعب آخر على الومضة. أو

يظهر لشريكه ما في يده، إذا ما كانا يلعبان أزواجًا، إنها نوع من أنواع الغش".

أمسك بالفور سيجارًا وهميًا بين أول عُقْلَتَيْنِ في أصابع يده، ومدَّ ذراعه عبر المنضدة.

"هذه الطريقة تبدو غير فعّالة في الغش، هناك كثير من العوائق أمامها، ماذا لو أنك تقرب كروتك منك؟ ماذا لو تركتهم على المنضدة؟ انظر، إذا أنا فردت ذراعي عبر المنضدة هكذا، فإنك ستجذب أوراقك بعيدًا عن ذراعي، أليس كذلك؟ سوف تبتعد".
لودرباك: "بغض النظر عن التفاصيل، الفكرة أن...".

بالفور: "وهي مخاطرة حمقاء، بم سيفسّر الرجل وجود قطعة مرآة صغيرة محشورة بسيجاره؟".

لودرباك: "دعك من التفاصيل، الفكرة أن ويلز، أقصد كارفر، قال إنه لديه ومضة ضدي".

كان بالفور مستمرًا في ثني رسغه وتحريك كوعه محدقًا في السيجار غير المرئي الذي يمسك به. فتوقّف وضَمَّ قبضته. "أيقصد أنه لديه طريقة لمعرفة كروت اللعب الخاصة بك؟".

لودرباك: "لكني لا أعرفها، ولا زلت لا أعرفها، وسأجنُّ بسبب هذا". ومدَّ يده لدورق النبيذ.

بدا الشك على وجه بالفور. وما السطوة التي يمنحها مثل هذا؟ حديث غامض عن الانتقال، بلا أسماء، ولا سياق، وبعض الهراء عن الغش في القمار. هذا كله ليس مبررًا كافيًا للابتزاز. من الواضح أن لودرباك لا يزال يخفي شيئًا. وأومأ لودرباك لكي يملأ كأسه.

وضع لودرباك الدورق على المائدة واستأنف الحديث. "قبل أن يغادر طلب شيئًا، شيئًا واحدًا فقط، كان راكسورثي بحاجة لبحار على

جودسبيد، ونشر إعلانًا في الجريدة بخصوص ذلك. وقد سمع ويلز بالأمر".

"كارفر".

"نعم، كارفر، سمع بالأمر. وطلب مني أن أزغيه لدى راكسورثي. كان ذاهبًا إلى الرصيف صباح اليوم التالي ليتقدم للوظيفة. وقد طلب مني هذا بصراحة ووضوح".

"هل نفذت ما طلبه منك؟".

ردّ لودرباك بثقل: "نعم".

"ربما هذه ومضة أخرى يمسكها عليك".

"ماذا تقصد؟".

"هناك أمر آخر يجمعكما الآن، السفينة".

فكر لودرباك قليلًا وقد بدا عليه الاستياء الشديد. "نعم، لكن ماذا كان بوسعي أن أفعل؟ لقد قيّدني تمامًا".

انتابت بالفور دفقة مباغطة من العطف على الرجل، وندم على دعاباته الثقيلة، وقال بصوت أكثر لطفًا: "نعم، لقد قيّدك".

وأكمل لودرباك: "بعد هذا، لم يحدث أي شيء، على الإطلاق. عدت إلى كانتبري، وانتظرت، وفكّرت في هذه الومضة الملعونة حتى كاد قلبي يقف، واعترف أنني تمنّيت موت كارفر، تمنّيت أن يعثر عليه المجرم الذي يطارده ويقتله، حتى أعرف اسم الرجل قبل أن يعثر عليّ، وقرأت جريدة أوتاجو ويتنس يوميًا على أمل أن أرى اسم هذا الوغد بين الأموات، وعسى الله أن يغفر لي. لكن لم يحدث أي شيء".

"بعدها بعام، أي منذ عام مضى تقريبًا، في فبراير أو مارس من العام الماضي، وصلني خطاب في البريد، عبارة عن إيصال سنوي باسمي من دانفورث للشحن".

"دانفورث؟ جيم دانفورث؟".

قال لودرباك: "هو بنفسه، وأنا لم أتعامل معهم في شحناتي الخاصة، لكنني أعرفه بالطبع، فهو يستأجر جزءًا من مساحة جودسبيد لشحن البضائع".

"والفيرتشيو أيضًا، في بعض الأحيان".

"نعم، والفيرتشيو أحيانًا. فحصت الإيصال ووجدته يحوي بيانات شحنات متتالية على خط سِر جودسبيد في بحر تسمان، وكلها باسمي، اسمي يتكرر مرة تلو المرة على شحنة في كل رحلة للسفينة غربًا عبر بحر تاسمان، وكل شحنة لها نفس البيانات، شركة الشحن هي دانفورث، والسفينة الناقلة هي جودسبيد تحت قيادة القبطان جيمس راكسورثي، والشحنة هي صندوق متعلقات شخصية من الحجم العادي، وأجرة الشحن مُسدَّدة بالكامل من أليستار لودرباك، مني. أقول لك الحق، لقد نشف دمي حين رأيت اسمي مكتوبًا بأناقة، وعمود الأرقام الممتد بطول الصفحة".

"لم أكن مدينًا بمستحقات. كان الحساب يُسدَّد نقدًا كل شهر، كما أظهر الإيصال. هناك مَنْ رَتَّبَ ونفَّذَ هذا الأمر بأكمله باسمي، وتكبَّد مبلغًا كبيرًا من المال في سبيله. ألقيت نظرة سريعة على حساباتي المالية ووجدت أنني لم أفقد أي نقود، ليس بجسامة ثمانين أو تسعين جنيهًا مصاريف شحن. كنت سألاحظ مثل هذا التَّسرُّب البطيء في أموالِي إن حدث، لكنه لم يحدث؟ هناك أمر ما يُدبِّر لي".

"غادرت إلى ديوندن بأسرع ما استطعت لأتفَقَّد الأمر بنفسِي. كان هذا في أبريل أو ربما مايو، في بداية الخريف. حين وصلت لديوندن

توجّهت مباشرة إلى جودسبيد، وجدتها راسية على رصيف الميناء وسلم الحبال مفروود. لم أرَ إنسانًا، كنت أنوي التحدث مع راكسورثي، لكنني لم أجده، وفي عنبر البحارة وجدت ويلز".

"كارفر".

"أقصد كارفر، وجدته بمفرده، يحمل صافرة الشرطة في يد، ومسدسًا في اليد الأخرى. أخبرني أنه يمكنه نفخ الصافرة في أي لحظة. ومكتب رئيس الميناء يقع على مسافة خمسين ياردة منّا، وفتحة العنبر مفتوحة. ظللت صامتًا. أخبرني أن هناك صندوق شحن على متن جودسبيد باسمي، وأن هناك أوراقًا رسمية تربط بيني وبين هذه الشحنة كل شهر على مدار عام كامل. وكل التفاصيل صحيحة ومسجلة قانونيًا. أمام القانون كنت أدفع تكاليف هذه الشحنة ذهابًا وإيابًا من وإلى ميلبورن، ومهما فعلت فلن أستطيع أن أنفي هذا. سألته عن محتوى هذه الشحنات. فقال لي إنها أزياء نسائية، فساتين، كومة من الفساتين". سألته: "فساتين؟ لماذا؟" فابتسم ابتسامة بشعة وقال لي: "لأنك يا سيد لودرباك تُرسل في طلب أحدث صيحات الموضة من ميلبورن، وقد قمت بهذا كل شهر وعلى مدار عام كامل. بغرض أن تظهر عشيقتك، ليديا ويلز، في أبهى صورة. كل هذا مُسجّل بالكامل. وكل مرة يصل فيها صندوق الشحن إلى ميلبورن فإنه يذهب إلى حائك ثياب رفيع المستوى في شارع بورك، وكل مرة يخرج الصندوق من عنده مليئًا بأفخر الأزياء التي يمكن الحصول عليها في هذا الجزء من العالم. أنت رجل كريم جدًا يا سيد لودرباك". وامتلاً صوت لودرباك بالمرارة.

"سألته كيف تمّ تسجيل هذه الشحنة باسمي، فضحك كثيرًا. وأخبرني أن كل فأر في ديونندن يعرف ليديا ويلز ويعرف كيف تكسب عيشها. لم يكن عليها سوى أن تخبر العزيز جيم دانفورث أي حريص

على أن تبدو بكامل أناقتها، وترجته أن لا يذكر اسمها احتراماً لمشاعر زوجتي العزيزة. وصدقها الرجل وسجل الشحنة باسمي. ودفعت هي أجرة الشحن وأخبرته أنني أعطيتها النقود، ولم ينبس أحدهم بكلمة؛ ظناً منهم بأنهم يحفظون سري، أفهممني؟ ظناً منهم بهذا إنما يُسدونني معروفاً، ولا يطلقون عليّ أي أحكام".

"وليس هذا كل شيء. ليست الفساتين هي المشكلة. لقد أخبرني أنه في هذه المرة هناك شيء آخر غير الفساتين داخل صندوق الشحن. سألته عنه. فقال إنه كمية كبيرة من الذهب المسروق. سألته مسروق مِمَّن. فأجابني بأنه مسروق منه، سرقته زوجته ليديا ويلز، وضحك، لأن هذا بالطبع جزء من الكذبة، فهما شريكان في هذا. وسألته من أين حصل على ثروة من الذهب. فأجابني بأن لديه منجم ذهب في طريق دنستن. سألته هل أعلن عثوره على الذهب؟ أجابني بلا. إن لم يعلن عن الذهب فهو لا يدفع ضريبته؛ ممّا يعني أن هذه الشحنة متهربة من الضرائب، أو ستصبح هكذا بمجرد أن تُبحر جودسبيد حسب جدولها المحدد مع المَدُّ القادم في اليوم التالي."

"تركني كارفر في عنبر البحارة أفكر في كل هذا لوهلة. فكُرتُ كيف يبدو الأمر لمن يراه من بعيد. يبدو كأني خدعت هذا الزوج لفترة طويلة، واتخذت من زوجته عشيقة. وهناك دليل على هذا. ويبدو أنني سرق ثروة كبيرة منه، وأني أشرع الآن في شحنها خارج البلاد. يبدو أنني خطّطت ونفّذت كل هذا بغرض إفلاس الرجل وتدميره. وهذه تُهم بالخيانة الزوجية والسرقة والتآمر. لكن ألعن ما في الأمر أن الذهب لم يتم الإعلان عنه. ولهذا سأواجه تُهم التهرب من الجمارك ومن الضرائب وتهريب البضائع. قد يتم الحكم عليّ بالسجن مدى الحياة، وليس لديّ مُتَسَع من العمر لأقضيه في السجن يا توماس، أنا لا أريد قضاء بقية عمري في السجن. فسألته عمّا يريده، فأفصح أخيراً عن غرضه، إنه يريد السفينة".

"هل كان بخارًا متمكّنًا وقتها؟".

"نعم، كان يعمل تحت رئاسة راكسورثي ويريد التخلص منه، وقد خَطَّط للأمر كله، خطط للطريقة التي سأسَرِّح راكسورثي في نفس الليلة، وألغى التعاقد مع طاقم البحارة، وأوقع على عقد بيع السفينة له بدون مقابل. إنها إهانة. أتفهمني. فضحكت في وجهه ورفضت، لكنه يحمل الصافرة اللعينة، وتظاهر بأنه سيستدعي رئيس الميناء".

بالفور: "هل طلبت أن ترى الذهب في الصندوق؟ كيف عرفت أنه لا يخدعك؟".

لودرباك: "بالطبع طلبت، وقد رأيته. لقد وضع أساسات خطته بمنتهى العناية، عليّ أن اعترف بهذا. كان هناك خمسة فساتين في الصندوق، كلها على موضة الموسم الماضي، وجاهزة لإرسالها لخياط ملبورن، تبعًا لما قاله. لكن اسمعني، لم يكن الذهب في قاع الصندوق تحت الفساتين، بل كان مَخِيطًا بين طبقات القماش. ولا شك أن من خاطته بتلك الطريقة هي ليديا بنفسها، فهي ماهرة جدًّا في أشغال الإبرة. لا يمكن لأحد أن يتصوّر مثل هذا، اللهم إلا إذا رفع الرداء بين يديه وأحسَّ بثقله، لكن ضابط الجمارك لن يتعب نفسه ويقوم بهذا، إلا إذا وصلته إخبارية بالمكان الذي يبحث فيه. لكن إن فتحت الصندوق، وحتى إن فتّشته، فلم تكن لتجد إلا ملابس نسائية، إنها خُطّة ماهرة بحق".

بالفور: "دعني أستوعب هذا، إذا ما أبحرت السفينة تبعًا لجدولها الزمني...".

"كان كارفر ليَدَّعي أنه عثر على الصندوق بالصدفة وهو على السفينة، وأنه لم يره من قبل، ويبلغ راكسورثي بالأمر مدَّعيًا الغضب والأسى وكل ما تتخيَّله. فالصندوق يحوي ثياب زوجته، واسمي مُدوّن على الأوراق. كان سيطالب بتقديمي للعدالة بتهم السرقة والخيانة

والتهرب من الجمارك. ولم تكن جودسبيد لتغادر الميناء، كانت لتعود قبل أن تصل إلى أطرافه. وكنت لأقع تحت طائلة القانون".

"لكن إذا ما حدث وتمَّ إبلاغ السلطات، يمكنك بالطبع أن تلقي باللوم كله على ليديا ويلز. من المؤكد أنها ستسجن جراء ذلك...".

قاطعه لودرباك: "نعم، بالتأكيد ستسجن، لكنني لن أخاطر بحريتي لمجرد أن أسعد بأنها ستنال ما تستحقه. إذا ما عرض الأمر على القضاء فهما بالتأكيد سيتحالفان ضدي، وسيجلب هذا لها الكثير من التعاطف باعتبارها عادت للطريق القويم، وندمت وتابت، ووقفت في صف زوجها المخلص، وكل هذا الهراء".

بالفور: "هذا إذا كان بالفعل زوجها المخلص. والآن يبدو أن كروسبي ويلز...".

اشتاط لودرباك غضبًا. "نعم، نعم، لكنني لم أعلم بذلك وقتها. لا تخبرني بما كان يجدر بي أن أفعله، لا أستطيع احتمال هذا. فهكذا جرى الأمر".

أسند بالفور ظهره لمقعده. "حسنًا، لقد أذهلني هذا".

قال لودرباك: "لقد استنزفني". وفرد كفيه في استسلام. "ووقعت عقد البيع".

فكر بالفور للحظة. "أين كان روكسورثي ليلتها؟".

لودرباك: "في نادي القمار اللعين، يستمتع بوقته ولا شك، وليديا ويلز ممسكة بكوعه، وتنفخ النرد الذي يلعب به".

"هل كان مشتركًا معهم؟".

هزَّ لودرباك رأسه. "لا أعتقد ذلك. كان في إجازة ليلتها لمناسبة ما، مناسبة رسمية بحرية. لم يكن الأمر مفاجئًا. ولم ينتابني أي شعور غريب بخصوصه بعدها".

"وما الذي يفعله الآن؟".

"راكسورثي؟ إنه يدير دفة السفينة البغيضة سيرت أوف ذا ثامز. ومليء بالملل كنمر محبوس في عربة نقل. فهو لا يطيق السفن البخارية. وهو غاضب للغاية مني".

"وهل يعلم بما جرى؟".

بدا الغضب على لودرباك. "أنا شخصية عامة، لو علم أحد بما أخبرتك به الآن لعلمت به أنت أيضًا. ولأصبحت أنا في عداد الغارقين. أتسألني إن علم راكسورثي بهذا؟ بالطبع لم يعلم".

لاحظ بالفور أن لودرباك فجأة فقد القدرة على احتمال قصته الخاصة. فقد أحيا سرد الأحداث شعوره بالعار من استغفاله.

قال بالفور بعد فترة: "لكن بيع السفينة أمر عام، يتم نشره في الجرائد".

أطلق لودرباك شتيمة. "نعم، طبقًا للجريدة فقد بعت السفينة اللعينة مقابل سعر جيد واستلمت مقابل بيعها ذهبًا. بالطبع أنا لم أر مليًا منه. فقد بقي الذهب في ذلك الصندوق اللعين، وحين أبحرت جودسبيد لميلبورن في اليوم التالي تم تسليم الصندوق، تمامًا كما حدث كل شهر لمدة عام كامل. ثم اختفى بطبيعة الحال. ولم أستطع أن أفعل أي شيء حيال ذلك، دون المخاطرة بهدم المعبد فوق رأسي. الله وحده يعلم بمكان هذا الذهب الآن. وقد استولى أيضًا على السفينة".

وعبث لودرباك بحامل أوعية الملح والفلفل بغضب.

"ما قيمة الذهب الذي رأيته في الصندوق، بالتقريب؟".

"لست مستكشفًا، لكن من وزن الفسنتين أستطيع القول إنه يساوي على الأقل ألفين من الجنيهات".

"ولم ترَ هذا الذهب مرة أخرى؟".

"لا".

"ولا سمعت عنه؟".

"لا".

"هل رأيت الفتاة مرة أخرى؟ ليديا ويلز؟".

ضحك لودرباك بخشونة. "ليديا ويلز ليست فتاة، أنا لا أعلم ما تكون، لكنها ليست فتاة يا توماس، إنها ليست فتاة".

ولم يُجب على سؤال بالفور.

أعاد بالفور تذكيره. "أنت تعلم أنها هنا، في هوكتيكا".

ردّ لودرباك متجهّمًا: "لقد أخبرتني بذلك"، وصمت.

عجيب هو التَّمَلُّق! وحش لا يمكن التغلب عليه، يرفع رأسه فجأة بلا مقدّمات مُمزَّقا اللجام الذي صنعه بنفسه لنفسه. التقديس الذي ملأ بالفور تجاه لودرباك، والذي تحوّل بسهولة إلى استهجان، قد تحوّل الآن في طوفان من المشاعر الجيَّاشة، إلى احتقار. أيخسر مثل تلك الخسارة الفادحة؟ ومن أجل عشيقة! من أجل زوجة رجل آخر!

والاحتقار كشعور له القدرة على ادعاء النقائص والعيوب، يمكنه إمدادنا بقدر من وضوح الرؤية. راقب توماس بالفور صديقه وهو يفرغ كأسه ويقطع بأصابعه طلبًا للمزيد، وأحسّ بالاحتقار، وتحوّل الاحتقار إلى شك، وتحوّل الشك إلى بصيرة. فقصة لودرباك احتوت على عناصر غير متّسقة مع السياق العام. ماذا عن توقيت وفاة كروسبي ويلز؟ لودرباك لم يوضّح ملابس هذه المصادفة، كما لم يوضّح لماذا ظنّ أن كارفر وويلز من بين كل الناس أخوان. وليديا ويلز تلك التي هرعت إلى هوكتيكا لتطالب بميراثها، ووصلت بعد الوفاة مباشرة لدرجة أن رئيس الميناء تساءل ساخرًا إن كان مكتب

بريد هوكتيكا قد جلب جهازاً للتليجراف؟ عرف بالفور بلا أدنى شك أنه لم يسمع الحقيقة الكاملة؛ لكنه لم يعرف سبب التكتُّم، لودرباك يحمي أحدهم، هل يحمي نفسه فقط؟ أم يحمي شخصاً آخر؟

احتدَّت نظرة لودرباك، ومال للأمام وخط على المنضدة بسبابته. "أتدري شيئاً؟ لقد خطرت لي فكرة بخصوص كارفر. إن كان اسمه هو حقاً كارفر فإن بيع السفينة يعتبر لاغياً. لا يمكن لرجل أن يوقع على مستند باسم رجل آخر."

لم يجبه بالفور. كان مشتتاً بسبب إعادة تقييمه للودرباك، وبسبب المسافة التي أصبحت تفصل بينهما كخليج من الشك شكّه ظنّه السيئ فيه.

زادت حماسة لودرباك وقال: "وحتى لو أن اسمه الحقيقي هو ويلز، حتى إن كان هذا حقيقياً، فليديا لا يمكن أن تكون زوجة لرجلين في نفس الوقت، إن الأمر كما أشرت إليه، هناك كذبة إما بخصوص الزواج، أو بخصوص الاسم."

أحضر صبيٌّ دورقاً جديداً من النبيذ، ورفع بالفور ليملاً كأسيهما، وقال وهو يصبُّ: "إلا إذا لم تكن متزوجة من الاثنين في نفس الوقت، قد تكون طُلِّقت من أحدهم وتزوَّجت أخيه."

نطق بالفور كلمة "أخيه" بعناية، لكن هذه الاحتمالية الجديدة ملأت لودرباك بالحماس فلم يلاحظ. "وفي حالة أن كارفر هو اسمه الحقيقي، سيصبح توقيعه مزوراً، ويبتل بيع السفينة. في أي من الحالتين يا توماس فقد أوقعنا به، في أي من الحالتين. لقد وقع كارفر في كذبتِه". وجعله إحساسه بالارتياح مندفعاً.

بالفور: "هل ستذهب للإيقاع به الآن؟".

لمعت عينا لودرباك. "سأفضحه، سأفضح فرانسييس كارفر وأستعيد جودسبيد مرة أخرى".

"وماذا عن الرجل الساعي للانتقام؟".

"من؟".

"الرجل الذي يبحث عن كارفر. الرجل الذي يمسك عليك الومضة".

"لم أسمع أي شيء بخصوصه. أظن أن كارفر اختلق هذا الأمر".

قال بالفور بهدوء: "أتعني أنه لم يقتل أحداً؟ أنه ليس قاتلاً؟".

خبط لودرباك على المنضدة. "إنه مجرم، مجرم. مجرم وكاذب ولص. لكني سأنال منه، وسأجعله يدفع الثمن".

بالفور: "وماذا عن الانتخابات؟ وماذا عن كارولين؟" (وهو اسم زوجة لودرباك).

ردّ لودرباك باستهانة: "لست بحاجة لأن أخاطر بكل هذا. يمكنني القيام بالأمر سرّاً. سأوقع به بتوقيعه على العقد. سأبتزّه كما ابتزّني. وأذيقه ممّا أذاقني".

مسّد بالفور لحيته وهو ناظر إليه. "حسنًا، ربما...".

"غالبًا سيتخلص كارفر من نسخته من العقد إذا كانت دليلًا على كذبه، أعتقد أن عليّ أن أوثّق نسختي من العقد، من باب الاحتياط".

كرّر بالفور: "حسنًا، ربما يجب علينا الآن أن نهذاً".

مال لودرباك بجسده للأمام في حماس هاتِفًا: "وما الداعي؟ يمكنني البدء على الفور. أنا أعرف بدقّة أين يوجد العقد. إنه في الصندوق الذي تشحنه أنت".

انقبضت أحشاء بالفور. واحمرّ وجهه. وفتح فمه ليرد، ثم جَبُن، فأغلقه.

لودرباك: "هل وصلت الفيرتشيو ورحلت مرة أخرى؟ أظنك كنت تنتظرها الأسبوع الماضي".

ملأ الطنين أذني بالفور. كان عليه الاعتراف باختفاء الصندوق بمجرد انفراده بلوردباك. صرخ في نفسه: غبي، غبي. لكن ألا يمكنه ببساطة أن يخبر لودرباك بالحقيقة؟ لم يختفِ الصندوق نتيجة لخطأ أو تقصير، إنها مجرد حادثة، غالبًا إهمال في الأعمال الكتابية، وسيظهر الصندوق، إن آجلًا أم عاجلًا، سيظهر في مكان لم يخطر ببال، ربما يصاب الصندوق ببعض الخطبات الخارجية، لكن من المؤكد أن محتوياته لن يمسها سوء. وبالتأكيد فإن لودرباك سيتفهّم الموقف، إذا ما صارحه بالأمر بهدوء وصراحة، واعترف بخطئه.

وفجأة ارتجّ قلب بالفور. مؤكّد أن هناك علاقة بين صندوق الشحن الذي حكى عنه لودرباك، الصندوق المليء بالملابس النسائية، الذي سافر عبر بحر تسمان كل شهر لمدة عام، والصندوق الذي يحوي متعلقات لودرباك، ومن ضمنها العقد المزور، والذي اختفى مؤخرًا من على رصيف هوكتيكا. من المؤكد أن هناك صلة، لأنه طوال سنوات عمل بالفور في مجال الشحن لم يحدث أن فقد شحنة، أو سُرقت منه شحنة. وبدأ قلبه يدقّ بعنف. لقد ابتزّ فرانسيس كارفر رجل السياسة مرة، وربما سيحاول ابتزازه مرة أخرى، ربما سرق كارفر الصندوق، وهو على أي حال من الوجوه المألوفة على أرصفة ميناء هوكتيكا.

ألقي لودرباك نظره على المائدة بحثًا عن لقمة، لم يلحظ التغير في مظهر بالفور، وبينما كان الأخير يقلب الاحتمالية في عقله أعاد لودرباك سؤاله بصبر. "هل عادت الفيرتشيو؟".

قال بالفور: "لا".

بدت الغرفة كأنها ضاقت بسبب الكذبة.

عثر لودرباك على بصلة طرية في الطبق الذي تركه چوك سميث، وألقاها في فمه. "لم تصل بعد؟ إذن فقد سبقت سفينتي، سبقتها على ظهور الخيل! لم أتوقع هذا! عسى ألا نواجه أي مشكلة في البحر".

كان قد استعاد مزاجه الحسن تمامًا، لدرجة الاندفاع. كم هو مدهش الأثر المنعش الذي تحدثه القدرة على الانتقام في الروح. كرّر بالفور: "لا".

"هي في الطريق إذن".

توقّف بالفور لجزء من الثانية، ثم قال: "نعم، هذا صحيح، هي في الطريق".

"هل ستأتي من الغرب من ديوندن، أم من الشمال عبر المضيق؟".

تصبّب بالفور عرقًا. راقب حركة فكّ لودرباك وهو يمضغ. وأخيرًا اختار الطريق الأطول. "من الشمال عبر المضيق".

بلع لودرباك طعامه. "آه، حسنًا، لا حيلة لنا في هذه الأمور. لا حيلة لنا في أمور الشحن. ستُعَلِّمُنِي بمجرد وصولها، أليس كذلك؟".
"بالطبع سأعَلِّمُكَ".

لودرباك: "سأكون في انتظارها". ثم أضاف بتردد: "توم، هناك أمر آخر، يجب أن تعلم أن ما أخبرتك به هذا الصباح...".

ردّ بالفور بدون تفكير: "على أقصى درجة من السرية، لن أخبر أحدًا".

"حيث إن حملتي الانتخابية وصلت لمرحلة...".

هزّ بالفور رأسه. "ليس هناك داعٍ. ليس هناك داعٍ لأن تشرح لي، سأحتفظ بالأمر بيننا".

"أنت رجل محترم". دفع لودرباك كرسيه للخلف وخط على ركبتيه بكفيه. "مسكين چوك، مسكين أوجستوس. لقد كنت وقحًا بطريقة لا يمكن وصفها".

"نعم، مساكين چوك وأوجستوس". حرك بالفور يده مشيرًا للودرباك بالمغادرة. لكن لودرباك كان بالفعل يتناول معطفه، مدندناً لنفسه.

دق قلب توماس بالفور بسرعة كبيرة، لم يكن معتاداً على بشاعة التوتر الذي يحسُّه المرء بعدما يكذب، حين يدرك الكاذب أنه ارتبط بالكذبة التي أطلقها، وأن عليه الاستمرار في الكذب وإضافة كذبات أصغر إلى كذبه الأولى، وتسجنه غلظته بمفرده مع أفكاره. سيظل بالفور مُكبَّلاً في قيد كذبه حتى يعثر على صندوق الشحن. وعليه أن يعثر عليه بسرعة وبدون علم لودرباك أو مساعدته.

"سيد لودرباك، أرى أن عليك أن تنشغل بدورك كسياسي لفترة. اذهب وصافح بعضهم. جرّب بعض الأمور الجديدة. العب بولينج الحديقة. اذهب للمسرح. ودّع كل الأمور الأخرى جانباً".

"وأنت، ماذا ستفعل؟".

"سأذهب إلى الميناء وأحاول جمع بعض المعلومات عن كارفر، عمّا يخطّط له، وعن مكانه الحالي".

مرّ ظلّ من القلق على وجه لودرباك. "لقد أخبرتني أنه ذهب إلى كانتون لتجارة الشاي، أليس هذا ما قلته؟".

بالفور، "لكننا يجب أن نتأكد، يجب أن نكون مستعدين". كان يفكر في صندوق الشحن الضائع، وفي الاحتمالية الجديدة بأن يكون فرانسيس كارفر قد سرقه. (لكن ما حاجة كارفر للانتقام مرتين من أليستار لودرباك بعد أن نجح الابتزاز في المرة الأولى بدون مشاكل؟).

لودرباك، "كُنْ كَتومًا، كَتومًا وَحَذِرًا حِينَ تَسْأَلْ".

بالفور، "لَنْ أواجه أي مشاكل، كلهم يعرفونني على رصيف جيبسون، وأنت تذكر أنني كثيرًا ما شحنت على جودسبيد. وعلى كل حال، فالأفضل أن أكون أنا مَنْ يسأل، وليس أنت".

أومًا لودرباك برأسه: "نعم، هذا أفضل، حسنًا، تولّ أنت الأمر".

وفي الحقيقة فهذا النوع من التفويض معتاد بالنسبة لأليستار لودرباك، كرجل صاحب ثروة. لم يستغرب فكرة أن يكرس بالفور يوم السبت الخاص به لكي يصلح أمر يخص رجل آخر. لم يتوقف ليتساءل إذا ما كان بالفور يخاطر بسُمعته الشخصية حين يربط نفسه بقصة عن زوج تخونه زوجته، وابتزاز، وقتل، وانتقام. لم يشغل باله بطريقة لمكافحة بالفور على كل هذا. كل ما أحسَّ به هو الراحة. فقد عاد نظام غير مرئي للعمل من جديد، نظام من نفس النوعية التي تضمن تقديم البيض المسلوق له على الإفطار كل صباح، ورفع الأطباق بعد انتهائه من تناول الطعام. ضبط ربطة عنقه بأصابعه، وغادر الطاولة وقد استعاد نشاطه.

وبهدوء قال بالفور: "وعليك أن تتعد عن طريق ليديا ويلز، لأنه...".

"طبعًا، طبعًا، طبعًا". والتقط لودرباك قفازه بيده اليسرى ومدَّ يده اليمنى ليصافح بالفور. "سنوقّع بالوغد، أليس كذلك؟".

فجأة أدرك بالفور أن لودرباك يعرف تمامًا تلك الومضة التي ابتزّه فرانسيس كارفر بها. إنه لا يستطيع تفسير الكيفية التي وصل بها لهذا الإدراك، لكنه فجأة، عرف.

شدَّ على يد لودرباك بقوة قائلاً: "سنوقع بالوغد، وقریبًا".

المريخ في برج القوس

حيث يكون الانطباع الأول عن كويل ديفلن انطباعًا سيئًا، ويعرض تي رو توهار تقديم معلومات مقابل مال، ويساور تشارلي فروست الشك، ونعرف الجريمة التي أدين بها فرانسيس كارفر منذ سنوات.

حين تُكَلَّف روح قلق و واقعة تحت تأثير الشراب بِمَهْمَةٍ حَلٍّ لغز لحساب شخص آخر، ستوجَّه كل طاقتها بمنتهى الإخلاص للمَهْمَةِ، في بداية الأمر.

لكن طاقة توماس بالفور تنفذ بسرعة إذا تمَّ تكليفه بمشروع ليس من بنات أفكاره. فأفسح خياله الطريق للضجر، وتراجع تفاؤله أمام سلالة فاخرة من الإهمال. كانت تخطر له الفكرة فيتجاهلها فورًا. أحيانًا بحجة أنها لم تُعدَّ جديدة بالنسبة إليه. وبدأ التحرك في جميع الاتجاهات على الفور. وهو ما ينفي عنه صفة تقلُّب المزاج، بل

على العكس، إنه يدل على شخصية معتادة على الحماسة الحقيقية المتشوقة للمعرفة، شخصية لا تقبل الهزيمة. ورغم ذلك فإن نفس هذه الصفة قد تكون عقبة في سبيل التقدم.

كان بالفور على وشك النهوض استعداداً لمغادرة الفندق حين خطر له فجأة أنه لا يصح أن يغادر تاركاً خلفه نصف دورق من النبيذ الجيد. صبّ بقية النبيذ في كأسه ورفعها إلى فمه حين ملح أعلى حافة الكأس القسّ الجالس على المنضدة المجاورة ينظر إليه باهتمام وقد انصرف عما كان يشغله وضمّ كفيّه معاً.

وضع بالفور الكأس كطفل ضيّط متلبساً بالسرقة.

"أيها الموقّر". (وفكر أن الوقت لا يزال مبكراً على أن يصير المرء سكراناً).

ردّ القس، "صباح الخير"، ومن لكنته عرف بالفور على الفور أنه أيرلندي، فاسترخى وسمح لنفسه أن يتصرف بوقاحة. فرفع كأسه وشرب ملء فمه.

القس، "أعتقد أن صديقك رجل محظوظ".

كان وجهه قليل الحظ من الوسامة، يبدو كأنه لم يغادر الطفولة، بفم مُسطّح وشفاه سفلى بارزة متجهمة وأسنان صغيرة متباعدة مثل كوز ذرة معيوب. يمكنك أن تتخيله مرتدياً بنطلون قصير وحذاء برقبة وفي يده شريحة خبز مُغمّسة بالدهن، ويحمل حزمة كتب مربوطة بحزام والده القديم، ويسير يخط حزمة الكتب بساقيه ويأكل، إلا أنه كان في الثلاثينيات، وربما حتى الأربعينيات من عمره.

ضيّق بالفور عينيه. "على ما أذكر فإننا لم نتحدث عن أمر يخصك".

خفض الرجل رأسه متفهّمًا. "بالطبع لا، وأتمنى أن لا يكون الأمر
يخضُّ أحدًا آخر".

"ماذا تعني بالتحديد؟".

"أعني أنه لا يجب أن يتكسب أحدٌ من سماع الأخبار السيئة.
خاصة لو كان أحد العاملين في الكنيسة".

"أخبار سيئة؟ ألم تقلّ حاليًا إنه رجل محظوظ؟".

ردّ القسّ، "محظوظ بصديق مثلك".

احمرّ وجهه بالفور وقال محتدًا، "أتعلم شيئًا؟ لمجرد أن ما سمعته
يعتبر سرًّا وأن مَنْ يحكيه لم يكن يراك فهذا لا يجعله بمثابة اعتراف".

ردّ القسّ بنفس الصوت الهادئ، "أنتَ مُحِقٌّ تمامًا في كلامك، لكنني
لم أقصد الاستماع إليكما".

"ومَنْ يعلم بمقصودك؟".

"كان الصوت عاليًا جدًّا".

"ومَنْ يعلم بنواياك؟".

"سيتحمّم عليك أن تثق بما أقوله فيما يتعلق بنواياي، أو أن تثق
بعباءة القس التي أرتديها، إذا لم تثق فيما أقوله بالدرجة الكافية".

"وما الذي عليّ أن أثق فيه في حديثك أو في عباءتك؟ وما الذي
عليّ أن أثق فيه بالدرجة الكافية؟".

بصرٍ ردّ القس، "تثق في أنني لم أقصد التّنصّت عليكما. تثق في أنني
أصون السّرَّ إذا ما طلب مني ذلك".

بالفور، "حسنًا، لقد طلب منك أن تصون السر. أنا أطلب هذا
منك. وعليك التوقف عن الحديث عن الحظ والأنباء السيئة. هذا
رأيك أنت، وليس ما سمعته".

"أنت مُحقٌّ، أعتذر".

"أتدري؟ اعتذارك بلا داعٍ. وبلا جدوى".

"أعتذر لك، سألتزم الصمت".

لَوْحٌ بالفور بأصبعه. "عليك أن تدع الأمر وشأنه لأني طلبت ذلك، وليس التزامًا بقواعد الاعتراف، لأنه لم يكن اعترافًا".

"بالطبع، لقد اتفقنا على هذا".

وأضاف وقد تغيَّر صوته، "على أي حال فالاعتراف ممارسة كاثوليكية".

أحسَّ بالفور فجأة أنه مخمور للغاية. "لكنك كاثوليكي".

بدون أي غضاظة صَحَّحَ القس. "أنا منهجي". وكعتاب هادئ أضاف، "أتدري شيئًا؟ لكنه الشخص لا تشي بالكثير عنه".

قال بالفور بحماقة، "لكنتك أيرلندية".

"أبي ينحدر من مقاطعة تيرون. وقبل مجيئي إلى هنا كنت في ديونندن، وقبلها كنت في نيويورك".

"حقًا! نيويورك! يا لها من وجهة!".

هزَّ القسُّ رأسه. "كل مكان هو وجهة".

تردَّد بالفور. فبعد هذا الرد، أحسَّ أنه لا يمكنه مواصلة الحديث حول نيويورك، وليس هناك موضوع آخر للحديث سوى الموضوع الذي منع القس من الخوض فيه، فجلس لوهلة مقطَّبًا ثم قال: "هل ستقيم هنا؟".

"في هذا الفندق؟".

"نعم".

"لا، لقد أغرقت الأمطار خيمتي، فقررتُ أن أفطر بعيداً عن المطر". وأشار بيده أمامه لبقايا الوجبة التي بردت منذ زمن طويل. "تناولت طعامي على مهلي لأستمتع بهذا المكان لأطول وقت ممكن".

"ألا يجب عليك التَّوجُّه للكنيسة؟".

كان هذا سؤال وقحاً، ويعرف بالفور بالفعل الإجابة عليه، لأنه لا يوجد في هوكتيكا كلها سوى ثلاث كنائس فقط. لكنه أحسَّ أن هذا الرجل يعيقه بطريقة لا يستطيع تحديدها، وأراد استعادة السيطرة على الموقف، ليس بمعايرة الرجل، لكن بتذكيره بحجمه الحقيقي.

ابتسم القسُّ كاشفاً عن أسنانه الصغيرة. "ليس بعد".

"لم أسمع من قبل عن المذهب المنهجي، لا بُدَّ أنه من المذاهب الجديدة".

قال الرجل: "إنه تطبيق جديد، رؤية جديدة"، وأضاف مبتسماً: "لكنها بالطبع عقيدة قديمة".

فكَّر بالفور أن هذا الرجل متعجرف.

"أعتقد أنك أتيت في رحلة تبشيرية لتدعو الكفار للدين".

قال القسُّ: "لاحظت أنك تضع العديد من الافتراضات. لم تسألني سؤالاً واحداً بدون أن تفترض إجابته".

توماس بالفور لا يقبل بمثل هذا النوع من الملاحظات، إنه لا يقبل تعليمات فيما يخص طريقة تفكيره، فدفع كرسيه إلى الوراء استعداداً للرحيل.

وأضاف القس، وبالفور يتناول معطفه. "إجابة لسؤالك، أنا قسُّ سجن سي فيو الجديد، ولكن حتى يتم بناؤه، فأنا مجرد دارس للعلوم الدينية". والتقط نشرته وخطب بها على كَفِّه.

"العلوم الدينية!" وأدخل بالفور ذراعيه في أكمام معطفه. "عليك أن تقرأ ما هو أقوى من هذا. فأنت على موعد مع أبرشية غير عادية".

"رغم كل شيء هم أبناء الله".

أوماً بالفور بغموض وهم بالمغادرة، وفجأة خطر له خاطر جديد.

"قلت إنها أخبار سيئة. أراهن أنك كنت تسمعنا منذ فترة طويلة".

قال القسُّ بتواضعٍ: "نعم، هذا حقيقي، لقد لفت اسمُ ما انتباهي".

"كارفر".

"لا، ويلز، كروسبي ويلز".

ضاقَت عينا بالفور. "مَن يكون كروسبي ويلز بالنسبة لك؟".

تردَّد القس. الإجابة الحقيقية عن هذا السؤال هي أنه لا يعرف كروسبي ويلز بالمرّة، لكنه لم يَکُفَّ عن التفكير فيه وفي ملابسات وفاته التي حدثت منذ أسبوعين. وقد أقرَّ بعد وهلة أنه نال شرف حفر قبر ويلز وأداء الشعائر الأخيرة على تابوته قبل أن يواريه الثرى. ولم يَنَلْ هذا التفسير رضا توماس بالفور. وظلَّ وكيل الشحن يرمق الرجل بعينين يتجلى الشك فيهما، وضاقَت عيناه بالشك أكثر حين جفل القسُّ فجأة وأبعد ناظريه عن بالفور (رغم أنه عادة ما يحتفظ برباطة جأشه في مواجهة الشك والفحص والتدقيق).

اسم القس، كما سيكتشف والتر مودي بعدها بتسع ساعات، هو كويل ديفلن. وقد وصل لهوكتيكا على متن السفينة فيرتشيو، التي تؤجَّرها وتشغلها بالفور للشحن، والتي حملت بجانب العديد من الركاب أخشاب، وحديد، وأربطة، وصفائح دهانات، وعدة أقفاص

تحتوي ماشية وأغنام، وكمية ضخمة من الأقمشة القطنية، وصندوق أليستار لودرباك المفقود المحتوي على عقد بيع السفينة جودسبيد. وصلت فيرتشيو لهوكتيكا قبل أليستار لودرباك بيومين، ووصل القس كويل ديفلن لهوكتيكا قبل وفاة كروسبي ويلز بيومين.

توجّه القسّ بعد مغادرته السفينة مباشرة إلى مخيم الشرطة، وهناك لم يتأخر المدير جورج شيرد في إسناد بعض المهام إليه. مهام ديفلن الرسمية لن تبدأ إلا عند الانتهاء من بناء سجن هوكتيكا الجديد فوق مرتفع سي فيو، أما في الوقت الحالي، فيمكن لديفلن القيام بالمساعدة في المهام اليومية في مخيم الشرطة والسجن المؤقت الذي يضمّ سيدتين وتسعة عشر رجلًا. وعلى ديفلن تعليم كل منهم أن يخشى خالقه، وأيضًا (وكما صاغها رئيس السجن) غرس بعض الاحترام لقبضة القانون الحديدية في قلوبهم العسيرة.

(سيكتشف ديفلن عاجلاً أنه وشيرد مختلفان تمامًا في مفاهيمهم التربوية). بعد جولة قصيرة في مخيم الشرطة قدم فيها الشاء على طريقة إدارته، استفسر ديفلن إذا كان من الممكن أن يقضي ليله في السجن ينام مع المساجين ويشاركهم طعامهم. لم يستحسن رئيس السجن هذا الاقتراح، لم يرفضه بشكل مباشر لكنه تمهّل للحظة، ولعق شفته بلسان جاف شاحب، ثم قال إنه من الأفضل لديفلن أن يقيم في فندق من فنادق هوكتيكا العديدة. وحذّر شيرد القسّ من أن لهجته الأيرلندية قد تجلب عليه بعض مظاهر التعصب من الإنجليز، وبعض التوقعات الدينية من أبناء بلده الأيرلنديين، وأخيرًا نصحه بانتقاء رفاقه بعناية، وبانتقاء كلماته بعناية أشد، وبهذا التصريح أنهى حديثه مع ديفلن بعد أن رحّب به في هوكتيكا، وتركه متمنيًا له صباحًا طيبًا.

لكن كويل ديفلن لا يملك ما يكفي من المال ليقوم عدة أشهر في فندق، كما أنه لم يكن معتاداً على مجارة الآخرين في رؤيتهم المتشائمة بخصوص أشكال التَّعُصُّب. فلم يأخذ بنصيحة شيرد، ولم يلتفت لتحذيره، واشترى خيمة المنقبين المعتادة ونصبها على بُعد خمسين ياردة من شاطئ هوكتيكا، وملاً جيوبها القماشية بالحجارة ليثبتها على الأرض. ثم عاد إلى شارع ريفل واشترى قدحاً صغيراً من البيرة في أكثر الفنادق ازدحاماً وبدأ في تقديم نفسه للحاضرين من الإنجليز والأيرلنديين على السواء.

كان كويل ديفلن رجلاً عصامياً بمعنى الكلمة، ولأن هذه الصفة نادراً ما تُستخدم لوصف رجال الدين؛ علينا أن نوضح ما نقصده منها. فقد أمضى القسُّ حاضره في حالة من التَّخِيلِ المستمر مستحضراً في عقله صورة لنفسه المستقبلية الخالية من الهمِّ والتي قرَّر أن يصبح عليها يوماً ما. واتبعت عظاته الدينية نفس هذا النمط، كان مؤمناً مليئاً بالأمل، ويتحدث مع تلاميذه الكثيرين عن مستقبل مشرق في عالم بلا رغبات. وحين يتحدث كثيراً ما سمح لنفسه باستبدال لغة الإنجيل بلغة حاملة، وفي عقله لم يَرِ أي تعارض بين الواقع كما يراه هو، وبين الواقع كما يراه الآخرين. ومثل هذا التوجه قد يطلق عليه طموحاً إن رأيناه في رجل آخر. لكن صورة ديفلن لذاته كانت منيعة، وربما حتى خيالية، وقد قرَّر بينه وبين نفسه منذ زمن طويل أنه ليس رجلاً طموحاً. وكما هو مُتَوَقَّع، فقد استسلم لنوبات من الجهل الهادف المقصود، وفضَّل أن يمرَّ مروراً عابراً على الطبائع الأصعب في النفس الإنسانية لصالح الطبائع التي يمكن تجميلها بالخيال وحسب الرغبة. ورغم هذه السُّمات، فديفلن كان متمكِّناً، بارعاً في قَصِّ القصص، وقد جعله هذا قساً مؤثراً. وكان إيمانه، كرؤيته لذاته، كاملاً، ثابتاً لا يتزعزع، ويضفي عليه مظهر العارف بالأمور لدرجة أنه، وكما لاحظ بالفور، أحياناً ما يبدو كشخص متعجرف.

في الحادية عشرة من مساء يوم الرابع عشر من يناير، ليلة وصول أليستار لودرباك لهوكتيكا، كان كويل ديفلن متربّعًا على أرض السجن يتحدث مع السجناء عن القديس بولا. قرب غروب الشمس بدأت الأمطار في الهطول، قرّر القس أن يتأخر في السجن على أمل أن يتوقف المطر، ذلك لأنه حديث العهد بهوكتيكا، ولم يكن قد خبر بعد الإصرار الجبار الذي يميّز مناخ الساحل. قبع مدير السجن في مكتبه يعمل، وأوت زوجته إلى السرير. ظلّ معظم السجناء مستيقظين. يستمعون لموعظة ديفلن بدافع الأدب في بداية الأمر، لكن بمرور الوقت انصتوا له باهتمام حقيقي، ثم، وبتشجيع من القس، بدؤوا يحكون حكاياتهم وفلسفاتهم الخاصة.

تساءل ديفلن بينه وبين نفسه إن كان عليه الاكتفاء بهذا القدر وإنهاء عمله والمجازفة بالخروج تحت الأمطار، حين سمع صيحة من الفناء وطرق على الباب، خرج مدير السجن على إثرها من مكتبه بقبعة من الكتان على رأسه وبندقيّة في يده، وهو مظهر مثير للضحك في الأحوال المعتادة، لكن هذا الرجل لم يكن مضحكًا. نهض ديفلن بدوره واتجه للباب خلف شيرد، حدّق الرجلان أمامها خلال المطر المنهمر وفي نهاية دائرة الضوء التي ألقاها مصباح السجن ظهر الضابط إيليس دراك حاملًا امرأة.

فتح شيرد الباب على مصراعيه داعيًا الضابط للدخول، كان دراك سمينًا أخنف الصوت محدود الذكاء، حين يُذكر اسمه يستدعي عقل المرء صورة بطّة، وليس صورة بطل البحرية الشهير الذي سُمّي على اسمه، فالبطّة من بين كل المخلوقات تشبهه كثيرًا. دخل حاملًا المرأة على كتفه بطريقة رجال الإطفاء الفظة، وأنزلها على أرض السجن بانعدام تام للكياسة. ثم علا صوته الأخنف مُعلنًا ارتكاب العاهرة التي جلبها لجريمة في حق المجتمع أو في حق الله، فقد تم العثور عليها فاقدة الوعي ولم يتم تحديد ما إذا كان سبب غيبوبتها هو

تعاطي المخدرات أم إيذاء النفس المتعمّد، وأنه يأمل (ولمس طرف قُبْعته) أن إيداعها السجن لبضعة ساعات سيساعد على توضيح الأمر بشأنها. وبطرف حذائه وكز جسدها الغائب عن الوعي كأنه يؤكّد وجهة نظره، وأضاف أن أداة الجريمة في الأغلب هي الأفيون؛ فالعاهرة مدمنة أفيون، وكثيراً ما شوهدت علناً تحت تأثيره.

حدّق شيرد في أنا ويذريل الملقاة أرضاً وشاهد يديها تنكمشان وتتشبّثان بالهواء. وانتظر ديفلن قرار السجن رغبة منه في عدم تخطّي رئيسه، رغم رغبته الشديدة في أن يجثو ويلمس المرأة بحثاً عن آثار إصابات على جسدها، وقد أحزنته بشدة فكرة الانتحار، كان يراه أكبر عُدوان يمكن ارتكابه على الروح الإنسانية. وقف الرجال الثلاثة ينظرون للعاهرة في صمت لبرهة. ثم أقرّ دراك أنه إذا كان عليه توجيه اتهام قاطع فإنه يؤمن أنها متّهمة بالجريمة الأكثر شناعة، وأنه من الأفضل أن ينتظر السجن حتى تستعيد الفتاة وعيها لكي يسألها بنفسه.

تحفّظ شيرد على جسد الأنسة ويذريل كما طُلب منه، فأسندها إلى الحائط وكبّلها بالأغلال، وتأكّد من أنها تستطيع التَّنَفُّس بشكل معقول، ثم نظر إلى ساعة جيبه وأعلن أن الوقت قد تأخر. تحرك ديفلن بناء على هذه الملاحظة وارتدى معطفه وقبعته، وفي طريقه للخروج ألقى نظرة مشفقة من فوق كتفه. تمنى لو أن الفتاة قد وُضعت في وضع أكثر راحة. لكن السجن ألقى عليه تحية المساء وأغلق الباب خلفه سريعاً بالمزلاج.

في الصباح الباكر من اليوم التالي حين عاد ديفلن لمخيم الشرطة كانت أنا ويذريل لا تزال غائبة عن الوعي، وقد مال رأسها جانباً وانفرجت شفتاها قليلاً. وظهرت كدمة بنفسجية مزرقّة على جانب رأسها، وتورّمت وجنتها بشكل مؤلم، ترى هل سقطت أرضاً؟ هل

ضربها أحدهم؟ لم يُتاح الوقت لديفلن ليتحرى عن الأمر، ولا ليسأل السجان عن ظروف وملابسات القبض على الفتاة، فقد اتضح أن أحد الرجال قد توفي أثناء الليل، وكان علي ديفلن اصطحاب الطبيب إلى وادي الأراهورا لمساعدته في إحضار جثمان المتوفى، وربما أيضًا للصلاة على جثته. أبلغه شيرد أن المتوفى يدعى كروسبي ويلز. وعلى حدِّ علم شيرد فقد توفي الرجل بسلام بسبب كِبَر السن وضعف الصحة وإدمان الشراب، وليس هناك ما يدعو للشك في حدوث جريمة قتل. وأضاف شيرد أن ويلز عاش ناسكًا. ولن يذكره الناس بعد رحيله بالطيب ولا بالخبيث، فمعارفه قِلَّةٌ قليلة، ولم يخلف وراءه عائلة.

أخذت العربية التي يقودها القس والطبيب طريقها في الاتجاه المواجه للشاطئ، وحين بلغا مصبَّ نهر الأراهورا اتَّجَّها للأراضي الداخلية. كان كوخ كروسبي ويلز الواقع على مسافة ثلاثة أو أربعة أميال في اتجاه منبع النهر، بسيط البنية، عبارة عن علبة خشبية من جذوع الأشجار فوقها سقف منحدر من الصفيح، وقد نفح كروسبي ويلز نفسه رفاهية التمتع بنافذة زجاجية، في الناحية الشمالية من الكوخ. ويمكن رؤية الكوخ بوضوحٍ من طريق كرايست تشيرش فهو يرتفع عن ضفة النهر بحوالي عشرين قدمًا، وتحيطه رقعة أرض خالية.

كان الكوخ ينطق بالوحشة والوحدة، خاصة بعد إخراج قاطنه منه ملفوفًا بالبطاطين. كل الأسطح داخل الكوخ كانت لزجة ومغطاة بالغبار، والمرتبة مبقَّعة ببقع صفراء اللون، والوسادة مكسوة بالفطريات، ومن إحدى عوارض السقف الخشبية تدلَّت قطعة من لحم الخنزير المحفوظ. وتناثرت زجاجات الخمر الفارغة في أرجاء الكوخ. كذلك كانت الزجاجاة الموجودة على منضدة الرجل الميت فارغة، موحية بأن آخر ما فعله الناسك هو أن أفرغ زجاجته في جوفه ثم أسند رأسه على ذراعه ونام. ملأت الكوخ رائحة حيوانية، أحس ديفلن أنها رائحة الوحدة، وملأته الشفقة. وانحنى أمام الموقد

لإشعاله على أمل أن يبدد رائحة الموت التي تفوح من الكوخ، شدَّ درج الرماد فرأى قطعة من الورق محشورة بين الشبكة وقاع الدرج. يبدو أن أحدهم (ويلز، ربما) حاول حرق المستند، لكنه أغلق باب الموقد قبل أن تمسك النيران في الورقة، فأمسكت النيران في حافة المستند قبل أن يسقط من شقوق شبكة فرن الموقد لدرج الرماد، واحترق بشكل بسيط. التقطه ديفلن ونظفه من الرماد. كان لا يزال واضحًا ومقروءًا.

في هذا اليوم، الحادي عشر من أكتوبر 1865، يدفع مبلغ ألفين من الجنيهات للأنسة آنا ويذريل، من نيو ساوث ويلز، من السيد إيميري ستينز، من نيو ساوث ويلز، بشهادة السيد كروسبي ويلز وتوجيهه.

وقعت يدُ مرتعشة بجانب اسم ويلز، وبجانب الاسم الآخر تُركت مسافة فارغة. رفع ديفلن حاجبيه. هذا المستند باطل، لأن الشاهد قد وقَّع قبل المانع الأصلي. ولم يوقَّع المانع بالمرة.

وتذكر ديفلن الاسم، آنا ويذريل هي العاهرة التي أودعوها السجن في وقت متأخر من الليلة الماضية، فاقدة للوعي تحت تأثير الأفيون. تجمَّد ديفلن مكانه مقطَّبًا، وفجأة ثنى المستند نصفين ودفعه من بين أزرار قميصه ليستقر بين جسده والقميص. واستأنف إشعال النيران. عاد الطبيب إلى الغرفة (حيث كان يطعم الخيول) وجلس الرجلان سويًا يتناولان الشاي وينظران من زجاج النافذة إلى النهر، والجبال المغطَّاة بالسحب خلفه. وفي الخارج، أخذت الخيول تلوّك طعامها من الحقائق المعلقة في رؤوسها وتضرب الأرض بأقدامها، وعلى ظهر العربة، كسا المطر البطانية الساترة لجسد كروسبي ويلز بشريط من الخرز الفضي.

لم يستطع كويل ديفلن تبرير الإحساس الذي دفعه لإخفاء المستند عن الطبيب، دكتور جيليز. أَيْكون جوُّ الهدوء السائد في بيت الرجل الميت هو ما حثَّه على التَّكْتُم؟ هل أخفى ما وجده كنوع من الاحترام للمكان وصاحب المكان؟ هل أثار اسم آنا ويذريل فضوله؟ تلك الفتاة التي حاولت الانتحار، التي عثروا عليها فاقدة الوعي على طريق كريست تشيرش، هل أخفى الورقة بدافع من رغبة خفيّة في حماية الفتاة؟ تناول القسُّ الشاي متأملاً مختلف هذه الاحتمالات. لم يتحدث مع الطبيب، الذي ظلَّ بدوره صامتاً. وبعد الانتهاء من تناول الشاي غسلوا الأكواب، وأطفؤوا النار، وأغلقوا الباب، وركبوا العربة متّجهين بحملها الحزين لمخيم الشرطة في هوكتيكا، ليتمَّ تشريح الجثمان.

من سمات شخصية كويل ديفلن أنه لا يربط بين دافع محدّد وبين أحد أشكال انعدام النزاهة، ويختار أن يعيش حالة من الارتباك الحالم من ناحية ودوافعه بشكل عام. من سمات شخصيته أيضاً أنه لم يرَ أيّ داعٍ لأن يعترف بما فعله، سواء يومها، أو خلال الأسبوعين التاليين، فهو لم يطلع أي شخص على هذا المستند المختلس إلا في ليلة السابع والعشرين من يناير. آمن ديفلن بأنه رجل تقيّ فاضل، وظلَّ إيمانه بنفسه ثابتاً لا يتزعزع أمام كل المتناقضات. وإذا تصرّف بشكل سيئ، أو بشكل يدعو للتساؤل، كان ببساطة يتخلّص من تلك الذكرى ويشغل عقله بشيء آخر. في طريق العودة لهوكتيكا سند المستند المفروود على صدره بكفّه. ولم يتحدث سوى ليعلق على عنفوان الأمواج في لفّاتها البيضاء على الشاطئ بجانبهم. أما الطبيب فلم يتحدث بالمرّة. بعد عودتهم لمخيم الشرطة وإدخالهم لجُئّة كروسبي ويلز، خطر لديفلن خاطر لم يتحمّس له قلبه، وهو أن يخبر المدير شيرد بالمستند الذي وجده، لكنه انصرف عن خاطره قصير العمر بما استجدّ، وراحت الفرصة. وما استجدّ هو أن آنا ويذريل بدأت في استعادة وعيها.

ارتجفت عيناها خلف جفونها، وتحرك لسانها داخل فمها، وهمهمت. بدت الحمى التي أصابتها تتراجع، ففوق حاجبيها وأنفها اصطفت قطرات لامعة من العرق، وتحول فستانها الحريري البرتقالي للون البني عند ياقته وتحت إبطيها. ركع ديفلن على ركبتيه أمامها. وأمسك بكفيه كفيها، وأحس بنعومتها، وبرودتها، ثم نادى على زوجة شيرد طلباً للماء.

حين أفاقت الفتاة أخيراً كانت كمن عاد من الموت. ارتد رأسها للوراء وارتسم الرعب في عينيها وصدر منها صوت خشن. بدا أنها تحاول التعرف على المكان، لكن الأفيون تركها محطمة، لم تملك من الطاقة ما يكفي لتبدي دهشتها. سحبت يديها بوهن من بين يدي ديفلن الذي أفلتها. ولاحظ أن يديها قد تحركتا على الفور لتحيط جسدها كأنها طعنّت في بطنها وتحاول إيقاف النزيف. كلمها، لكنها لم ترد، ثم أغلقت عينيها مرة أخرى وغرقت في النوم. نشب شجار في موقع آخر في السجن ونودي على ديفلن ليتعامل معه، وقد استولت هذه المهمة، وغيرها من المهام المتعلقة بمنصبه، على انتباهه بقية فترة بعد الظهر.

في نهاية اليوم وصل موظف المحكمة لتحصيل الكفالة من أي وغد بوسعه دفعها. عند سماع صوته رفعت الآنسة ويذريل رأسها داكن الشعر المبتل بأثر الحمى التي تعانيتها، وأومأت. (كان الموظف وجهًا جديدًا في المدينة، نحيل وأنيق للغاية، ويُدعى چاسكوين). أخرجت العاهرة النقود من بين الدعامات التعيسة لمشد فستانها، ووضعت القطع النقدية واحدة تلو الأخرى في كف الموظف المفتوحة. كانت ترتعش بقوة وعلى وجهها تعبير من الانكسار الشديد. تمّ تسجيل الكفالة، وتحتم على المدير شيرد إطلاق سراحها، وهو ما فعله فوراً. لم يحضر ديفلن جلستها في المحكمة في اليوم التالي، فقد كلّفوه بمهمة

حفر قبر للناسك كروسبي ويلز. ونما إلى علمه فيما بعد أنها رفضت تقديم التماسٍ بالعفو، ودفعت الغرامة الموقَّعة عليها بلا نقاش.

في اليوم التالي للدفن، تمَّ اكتشاف ثروة تُقدَّر بأربعة آلاف جنيه في كوخ كروسبي ويلز، بالضبط ضعف المبلغ المكتوب في مستند الدفع محترق الطرف، الذي أخفاه ديفلن في صفحات إنجيله بين نهاية العهد القديم وبداية العهد الجديد. ولم يخبر أحدًا بما فعله، ولم يُطلع أحدًا على المستند. وقال لنفسه إنه حين تتحسنَّ صحة آنا ويذريل، وتصبح محاولة الانتحار مجرد ماضٍ بالنسبة لها، سيريها المستند، أمَّا في الوقت الحالي، فمن الحكمة أن يتكتم على الأمر.

حاليًا، في قاعة الطعام بفندق بالاس، مدَّ ديفلن يده ووضعها على إنجيله ذي الغلاف الجلدي البالي الخالي من أي علامة عدا صليب صغير من طراز كانتبري مطبوع باللون الذهبي فوق الجلد. أحسَّ بالاحتياج لحماية المستند، والذي يرقد مطويًا وبلا مصداقية بين ملاخي ومثَّى، رغم أنه لم يعلم بعد أن هذا المستند مهمٌ جدًّا لتوماس بالفور، وللعديد من الرجال غيره، لكنه أحسَّ بحاجة للاحتفاظ به. أحسَّ أن هذا المستند الشاهد على منحة لم تُمنح، الملحق بوصية لم تُكتب، له قيمة ما، وهو لا يودُّ التخلي عنه حتى يعلم قيمته الحقيقية.

تناول بالفور قُبَّعته من على الحامل ومرَّر أصابعه على حافتها الضيقة قائلاً: "حفر القبور! إنها مهمَّة تحتاج لدراسة متمعَّنة".

ديفلن، "لا علم لي بأي كتابات تخص هذا الموضوع".

تجاهله بالفور مستطردًا: "إنهم يجهزون مشنقة لأبرشيَّتكَ الجديدة". وارتدى قبعته وبإبهامه دفعها للخلف بعيدًا عن جبهته والتفت مُغادرًا. وعند الباب أبطأ في خطوه قائلاً: "لم أعرف اسمك

أيها الموقر". وردّ ديفلن: "وأنا لم أعرف اسمك". ساد الصمت للحظة ثم انفجر بالفور ضاحكاً ولمس قبّعته مُظهرًا سروره ثم غادر الغرفة.

Φ

يوم السبت في هوكتيكا هو يوم النشاط والمواعيد. يغمر طوفان المنقبين الوافدين المدينة في جماعات، فينتفخ تعداد السكان ويقترب من الأربعة آلاف، وتفيض بهم أماكن المبيت والفنادق على طول شارع ريفل. ويغرق موظفو المحكمة في التظلمات وحقوق التنقيب، والسמاسة في الرهونات، والتجار في طلبيات الشراء من الأغنياء، والتماسات مدّ أجل السداد من الفقراء. ويبدو رصيف جيبسون كخلية نحل، فمع كل ساعة تمر تثبت واجهة خشبية جديدة في موضعها، ويركب باب جديد في مكانه، ويفرد المتجر الجديد لافتته لتتماوج مع هبات رياح بحر تسمان الصاخب. كل ما يدور على عجلة الحظ العظيمة يظهر يوم السبت، رجال في طريقهم للصعود، ورجال صعودوا، ورجال في طريقهم للهبوط، ورجال هبطوا، ورجال في مكانهم. وفي المساء يشرب كل مُنقّب نخب أسفه، أو نخب سعادته.

أمّا هذا السبت فقد ثبّط المطر الشديد الهَمَم، اللهم إلا أصحاب الحوائج العاجلة الملحّة، وخلت هوكتيكا من حشدها المعتاد. مرّ بالفور على بعض الرجال المبلّلين منكمشين تحت مظلات مداخل الفنادق، يحيطون سجاثرهم بكفوفهم لإبقائها مشتعلة. حتى الخيول بدت في حالة من الاستسلام الحانق، فوقفوا بلا حراك مكّممين بالأقماع المبللة لحقائب أنوفهم وسط وحل الطريق الممزّق، وحين مرّ بهم لم يحركوا ساكنًا، ولا حتى ارتعش جفن في عيونهم الخامدة نصف المغلقة.

حين دار بالفور ليدخل شارع ريفل قابلته زخة شديدة من المطر والريح اضطرتّه إلى كبس قُبْعته بيده فوق رأسه. وفقًا لتحذيرات ساكسباي الجوية، تلك التوقعات المبهمة المنشورة يوميًا في تايمز الساحل الغربي، ستخفّ حِدّة انهمار الأمطار بعد مرور يوم إلى ثلاثة أيام، توقّعات ساكسباي فضفاضة ويسمح الرجل لنفسه بهامش خطأ واسع في كل توقعاته الجوية. ومحتويات عموده نادرًا ما تتغيّر في الحقيقة، فانهمار الأمطار يمثّل جزءًا من طبيعة هوكتيكا، كما هو الصقيع وحروق الشمس بالنسبة لأوتاجو، والتراب الأحمر بالنسبة للتلال الفيكتورية. أسرع بالفور في خطوه وهو يُحكّم معطفه على جسده بيده الأخرى.

تحت شرفة البنك المركزي المظلّلة، وقف ما يزيد عن دسّة من الرجال موزّعين في مجموعات من ثلاثة أو أربعة. وخلفهم نوافذ البنك مُضَبّبة بالرمادي الفاتح. عاين بالفور وجوههم، محدقًا عبر المطر، ولم يتعرف على أيّ منهم. شد عمود ممزّق من الدخان نظره لأسفل، إلى رجل من الماوري يجلس وحيداً مقرّصاً تحت الحافة البارزة للسقف مستنداً بظهره لإحدى الدعامات، ويدخّن سيجارًا.

وشم وجهه ذكّر بالفور بالرياح المرسومة فوق الخرائط. زاد الخطان الحلزونيّان على خديه من امتلائهما، ومن حاجبيه انبعثت شعاعات تصل لخطّ شعر رأسه. وأضاف إليه الخطان الحلزونيّان العميقان على جانبيّ فتحتي أنفه مظهر الاعتزاز بالنفس. وتلوّنت شفاته بالأزرق. كان يرتدي بنطلونًا من الصوف وقميصًا قطنيًا بياقة مفتوحًا حتى صدره، وترقد على بشرة صدره البنية قلادة خضراء عملاقة على هيئة بلّطة. كاد سيجاره أن ينتهي، فألقى بعقبه إلى وسط الطريق أثناء اقتراب بالفور، فتدحرج على ميل الطريق حتى استقرّ به المقام عند الحشائش المبتلة والدخان لا يزال يتصاعد منه.

بالفور: "أنت الماوري، رفيق كروسبي ويلز".

نظر الرجل لبالفور ولم ينطق بكلمة.

"أخبرني باسمك مرة أخرى، اسمك".

"كو تي رو تاوهار توكو إنجوا. (اسمي تي رو تاوهار)".

بالفور: "سحقًا. أخبرني فقط باسمك"، وقرب راحتي يديه من بعضهما ليشير للرجل أن ما يقصده صغير. "فقط الاسم".

"تي رو تاوهار".

هزَّ بالفور رأسه. "لا يمكنني نطق هذا. حسنًا، ماذا كان صديقك يدعوك، صديقك الأبيض، ماذا كان كروسبي يدعوك؟".

"تي رو".

بالفور: "هذا ليس أفضل كثيرًا، أليس كذلك؟ سأبدو كأحمق إن حاولت نطقه، حتمًا سأبدو كأحمق، ماذا لو دعوتك تيد؟ إنه اسم بريطاني جيد. تيد هو تصغير ثيودور، أو إدوارد، يمكنك أن تختار من بينهما، إدوارد اسم لطيف".

ولم يرُدَّ تاوهار.

وضع بالفور يده على صدره: "أنا توماس، وأنت تيد". وانحنى وربّت بيده على رأس الماوري. فجفل الرجل، وسحب بالفور يده بسرعة وخطا خطوة للوراء مندهشًا. وأحسَّ بالحماسة، فباعد بين ساقيه ودفع يديه في جيبي صديريته.

تاوهار: "تاماتي".

بالفور: "ماذا قلت؟".

"تاماتي هو اسمك في لغتي".

تنفّس بالفور الصعداء، وأخرج يديه من جيبه وشفق ثم عقد ذراعيه. "أنت تعرف بعض الإنجليزية، هذا حسن!".

تاوهار: "أعرف الكثير من الكلمات الإنجليزية. قيل لي إنني أحدث لغتك بشكل جيد جدًا".

بالفور: "هل علّمك كروسبي بعض الإنجليزية يا تيد؟".

تاوهار: "لقد علّمته، لقد علّمته كوريرو ماوري (لغة الماوري)! تقول أنت توماس، وأقول أنا تاماتي. تقول أنت كروسبي، وأقول أنا كوريرو ماي (تحدّث معي)".

وابتسم الرجل كاشفًا عن أسنان بيضاء ناصعة ومستوية. من الواضح أنه ألقى دعايةً من ما؛ فابتسم بالفور بدوره.

شد بالفور معطفه على جسده قائلاً: "لم أكن أبدًا ماهرًا في اللغات. وكما اعتاد أبي أن يقول، إذا لم يكن إنجليزيًا، فهو أسباني. على أي حال يا تيد، أقدم لك تعازي في وفاة رفيقك، كروسبي ويلز".

تجهّمت أسارير الرجل. "هاي ماومهاراتنجا (فلتَحَيَ ذكراه)".

تمنّى بالفور لو يتوقف الرجل عن الحديث بلغته: "نعم، إنه لأمر مؤسف، مؤسف للغاية. والآن مع كل هذا الهراء عن الثروة وهذه الأمور... وعن زوجته".

وبترقّب، عبر المطر، حدّق في تاوهار.

تي رو تاوهار: "إنه بونامو كاكانو روا (كان كوعاءٍ يحوي ثقافتين)". ولمس بأول إصبعين في يده القلادة المعلقة في عنقه. وفكّر بالفور أنه ربما يكون طلسمًا ما، كل رجال الماوري يرتدون مثل هذا الشيء. ما يرتديه تاوهار في مثل حجم كفّه، مصقول حتى اللمعان، مصنوع من حجر أخضر غامق به مسحات بدرجة أفتح من الأخضر، مثبّت في

ضفيرة تلفُ عنق تاوهار بحيث ترقد نهايته الضيقة في التجويف بين عظمتي ترقوته.

خطرت على بال بالفور فكرة، فسأله. "بالمناسبة، أين كنت حين حدث الأمر يا تيد؟ أين كنت حين توفي كروسبي؟".

(فرمها استطاع الماوري أن يدلّه على بداية الطريق، ربما يعرف شيئاً. فالقاء الكثير من الأسئلة في المدينة لن يكون مجدياً بالطبع، فرمها أثار الشكوك حول نفسه، لكن سؤال الماوري مأمون الجانب نوعاً ما، فمعارفه على الأرجح محدودون).

أدار تي رو تاوهار عينيه الداكتين إلى بالفور متمعناً.

بالفور: "أتفهم السؤال؟".

تاوهار: "أفهم السؤال".

فهم أن بالفور يسأل عن موت كروسبي ويلز، رغم أنه لم يحضر جنازته، وثار الغضب والاشمئزاز داخل تاوهار حين تذكر تلك الجنازة البائسة التي أقاموها له. فهم أن بالفور قد أبدى أشدّ أنواع التعاطف سطحية، ولم يهتمّ حتى بخلع قُبْعته. فهم أن بالفور يهدف الحصول على مصلحةٍ ما، فقد تجلّى الطمع في عينيه، كما يتجلّى في عيون الرجال حين تتاح لهم الفرصة للحصول على شيء دون مقابل. نعم، لقد فهم السؤال.

تي رو تاوهار لم يكمل بعد عامه الثلاثين. يتمتّع ببنية عضلية قوية، تملؤه الثقة وطاقة الشباب الهادرة، ورغم أنه لا يبدو متكبراً، إلا أنه لم يحدث أن بدا عليه الانبهار أو الخوف من أي رجل آخر. ويمتلك اعتزازاً بالنفس ينبع من داخله، يقين راسخ في أعماقه لا يحتاج دليلاً ولا تفسيراً، ورغم سمعته كمحارب، ومكانته العالية في قبيلته، فإن

رؤيته لنفسه لم تصغها إنجازاته. فقد علم بمنتهى البساطة أن وسامته وقوته لا مثيل لهما، علم أنه ببساطة أفضل من معظم الرجال.

وأزعجه تقديره لنفسه، أحسّه إشارة إلى فقر روحي. فهو يعرف أن الثقة بالنفس من علامات الضحالة، وأن التقدير ليس دليلًا على القيمة الحقيقية، ورغم هذا لم يستطع أن يهزّ يقينه بنفسه. وأقلقه الأمر، أقلقه أن يكون مجرد حلية، قشرة بلا لبّ، محارة فارغة، أقلقه أن يكون تقديره لنفسه خاطئًا؛ ولهذا سلك درب الروحانيات، وسعى وراء الحكمة التي امتلكها أسلافه؛ ليتعلّم كيف يشكّ في نفسه. وكما يسعى الراهب إلى الارتقاء فوق رذائل البدن، سعى تي رو تاوهار إلى الارتقاء فوق رذائل إرادته، لكن الإنسان لا يستطيع ترويض إرادته دون التعبير عنها. تاوهار لم يصل أبدًا لنقطة توازن ما بين الاستسلام لنزائوته، وبين مقاومتها.

إيوي (القبيلة) التي ينتمي إليها تاوهار هي "بوتيني نجاي تاهو"، سيطرت القبيلة فيما سبق على الساحل الغربي للجزيرة الجنوبية بأكمله، من المضائق البحرية بصخورها الشاهقة شديدة الانحدار في الجنوب، إلى النخيل والشواطئ الصخرية في أقصى الشمال. منذ ستة سنوات اشترى التاج الملكي البريطاني تلك القطعة الشاسعة من الأرض بثلاثمائة جنيه، وخصّص لإقامة قبيلة "بوتيني نجاي تاهو" نهر الأراهورا وأجزاء من ضفافه وقطعة أرض صغيرة في ماوهيرا، عند مصب نهر جراي. وقت إجراء الصفقة رأت "بوتيني نجاي تاهو" أن المفاوضات ليست عادلة، والآن بعد ست سنوات علموا أن هذه البيعة ليست سوى سرقة مسجلة. فخلال هذه السنوات تدفّق الآلاف من المنقبين عن الذهب إلى الساحل، واشترى كلّ منهم رخصة للتنقيب بسعر جنيه للرخصة الواحدة، وبيعت الأرض بسعر عشر شلنات للفدان. كل هذا يُعدّ ربحًا ضخمًا لكنه لا يعدّ شيئًا مقارنة بقيمة الذهب، الذهب المختفي في الأنهار، المختلط بالرمال، القيمة

التقديرية لهذا الذهب مهولة لدرجة أنهم لم يصدروا بياناً يحددها. وكل مرة يفكر تاوهار في الثروة التي هي في حقيقة الأمر ثروة شعبه يحسّ بالغضب يغلي في صدره، غضب مريع وعنيف لدرجة أنه يحس به كآلم.

ولهذا السبب دفع كروسبي ويلز إلى التاج الملكي البريطاني، وليس إلى "بوتيني نجاي تاهو"، خمسين جنيهًا مقابل شراء مائة فدان في الناحية الشرقية من نهاية وادي الأراهورا، وهي غابة كثيفة من أشجار التوتارا ذات الأخشاب الممتازة طيعة التشكيل، والمقاومة للمياه المالحة والعواصف. ابتهج ويلز بالصفقة. كان عشقه في الحياة اثنين لا ثالث لهما: العمل الشاق، والمكافأة عنه. وبالنسبة لويلز فالمكافأة هي الويسكي إذا ما استطاع الحصول عليه، والچين إذا ما تعذّر الحصول على الويسكي. وبنى لنفسه كوخًا من غرفة واحدة يطلّ على النهر، وأخلى بقعة من الأرض لاستخدامها كحديقة، وبدأ في بناء ورشة للأخشاب.

كثيرًا ما ارتحل تي رو تاوهار إلى شمال وادي الأراهورا، بغرض البحث عن الزمرد (بونامو)، ونهر الأراهورا غني بهذا الكنز، أحجار ناعمة رمادية اللون، عند شقّها يظهر قلبها الأخضر الزجاجي الأقوى من الحديد. تي رو نحّات متمكّن، والبعض يقولون إنه نحّات متميّز. لكن مهارته الحقيقية والفريدة تكمن في قدرته على الحصول على الأحجار من باطن النهر. ويبدو الزمرد (بونامو) من الخارج عاديًا ومُملًا بقدر ما يبدو من الداخل لامعًا ومنيرًا. وتاوهار بعينه المدربتين لا يحتاج أن يخدش الحجر أو يكسره وهو على ضفة النهر، لكنه يعود بالأحجار إلى ماوهيرا سليمة، حتى تتمّ مباركتها وفتحها تبعًا للطقوس المتبعة.

الأرض التي اشتراها كروسبي ويلز تجاور أرض قبيلة "بوتيني نجاي تاهو"، أو كما يجب علينا القول، تجاور الأرض التي تمَّ حبس "بوتيني نجاي تاهو" فيها وإلزامهم بالبقاء داخل حدودها. على أي حال، لم يَطلُ الوقت حتى التقى تي رو تاوهار بكروسبي ويلز، جذبته صوت فأس كروسبي يرنُّ في الوادي حين كان كروسبي يحتطب لموقده. بدأ تعارفهما بمودة، وتكرَّر اللقاء، وبمرور الوقت أصبح تاوهار يمرُّ بكوخ كروسبي كل مرة يكون بالقرب منه. أما ويلز، فأتضح أنه تلميذ متحمَّس لطريقة وتقاليد الماوري في الحياة، وأصبحت زيارات تاوهار معتادةً وتقليديةً.

أحبَّ تي رو تاوهار الفرص السانحة للحديث مع الآخرين عن صفاته الشخصية، خاصة إذا قبل ما تثور حوله الشكوك في أعماقه بالقبول والثناء، فتحدَّث مع كروسبي عن جوهر الحياة داخله، عن روحه، عن دينه، وعن أعماقه. وأمَّا كروسبي ويلز، فقد ظل لشهور طويلة يُلحُّ في الاستفسار من تاوهار عمَّا يؤمن به كرجل، وعمَّا يؤمن به كرجل من الماوري، وعمَّا يؤمن به كرجل من قبيلة "نجاي تاهو". واعترف لتاوهار أنه أول رجل غير أوروبي يتحدث معه في حياته، كان كروسبي في استفساراته متعطِّشًا للمعرفة. وعلينا أن نذكر أنه خلال ذلك الوقت لم يعرف تاوهار الكثير عن كروسبي ويلز، فنادرًا ما ذكر كروسبي ماضيه، وليس من عادة تاوهار أن يُلحَّ بالأسئلة. وأحسَّ كروسبي ويلز كروح من أهله، وكثيرًا ما أخبره بذلك، فهو ككل المتمتعين بالثقة في أنفسهم، يسعد بمقارنة نفسه بالآخرين قاصِدًا من هذه المقارنات تقديم أجمل وأصدق المجاملات لغيره.

صباح اليوم التالي لوفاة كروسبي ويلز وصل تاوهار للكوخ حاملاً هدية من الطعام، فقد كانت عادتهما أنه يوفر اللحم، ويوفر ويلز الشراب، وهو اتفاق حاز رضا الرجلين. في الأرض الخالية أمام كوخ

كروسبي قابل تاوهار عربية مغادرة. يمسك لجامها الدكتور جيليز طبيب هوكتيكا، وبجانبه يجلس كويل ديفلن كاهن السجن. ولا يعرف تاوهار أيًا منهما، لكن حين نقل بصره إلى العربية رأى حذاء مألوفًا، وتحت بطانية مطوية شاهد جسدًا مألوفًا. صرخ تاوهار مصدومًا وألقى بهديته أرضًا. أشفق الكاهن عليه واقترح أن يرافق جسد صديقه إلى هوكتيكا حيث سيُعدُّونه للدفن ويوارونه الثرى. لم يكن هناك مكان لتاوهار على كرسي العربية، لكنه بوسعه إذا ما شاء أن يجلس على الجزء الخلفي للعربة ما دام سيبعد قدماه عن الطريق.

وقف مديرو الفنادق والمتاجر في مداخل الأبواب على طول شارع ريفل حين وصلت لأسماعهم جلجلة العربية التي وصلت هوكتيكا وسلكت الشارع الرئيسي. خطا بعضهم للأمام ليحظوا بفرصة رؤية أفضل، وحدّقوا في تي رو تاوهار، الذي حدّق إليهم مُسوّد الوجه مسلوب القوة. إحدى يديه تمسك كاحل ويلز بضعف. حيث الجثمان يلتف ويترجرج كلما مالت العربية أو ترتنّحت. حين وصلوا لمخيم الشرطة لم يترك تاوهار مكانه. جلس منتظرًا ممسكًا كاحل ويلز بينما يجري الرجال الآخرون مشاوراتهم.

وافق صانع البراميل في هوكتيكا على تجهيز تابوت من الصنوبر للجنائز، وصنع شاهد قبر خشبيًا مستديرًا يحمل اسم كروسبي ويلز وتاريخي ميلاده ووفاته (لم يتأكّدوا من سنة ميلاده، لكن أول صفحات إنجيله كانت تحمل التاريخ 1809 مكتوبًا بالحبر، واقتنع الجميع بذلك التاريخ، فهو يحدّد عمر كروسبي بسبعة وخمسين عامًا، وهو ما سيكتبه صانع البراميل على شاهد قبر الرجل). ولحين الانتهاء من صنع التابوت وشاهد القبر، والانتهاء من حفر القبر، فقد أصدر مدير السجن أوامره بنقل كروسبي ويلز إلى مكتبه في مخيم الشرطة ووضعه على الأرض بعد فرشها بملاءة سرير قطنية.

حين نقل الجثمان وطويت الأذرع فوق الصدر، أخرج السَّجَّان جميع مَنْ في الغرفة وأغلق الباب، فاهتزَّ الممر. فجدران منزل السجان الداخلية مصنوعة من قماش الخيم القطني المطبوع، حيث تم شد القماش وتثبيتته بالمسامير في هيكل المبنى، وحين يقطع خشب من الرياح، أو تزعجه دبة قدم ثقيلة أو صفعة باب مفاجئة، تهتز الجدران وتتماوَج كسطح بركة من الماء، وأمام هذا المشهد لا يمكن للمرء سوى أن يفكر في البوصتين الفاصلتين بين طبقتي القماش، تلك المساحة المليئة حول الإطار الخشبي، الممتلئة بالتراب، المنقوشة بالظلال المتحركة للموجودين في الغرفة التي تقع خلفها.

لابد أن يبقى معه أحد، هكذا طلب تاوهار بإلحاح. لا يمكن أن يترك ويلز بمفرده، ممدِّدًا على أرض الغرفة، بدون حتى شعلة من النيران في الغرفة، بدون شخص يرعاه، شخص يلمسه، شخص يصلي عليه، شخص يصلي، أو يغني، من أجله. حاول تاوهار شرح مبادئ تانجي (الجنّازة)، لكنها ليست مبادئ، إنها طقوس، طقوس مقدّسة أكثر من أن يوضحها، وأكثر من أن يدافع عنها، ببساطة هي ما يلزم، وما يجب عليهم القيام به. فالروح لا تغادر كلية قبل دفن الجسد، هكذا قال لهم. هناك أغاني وصلوات... لكن السجان نهره، ونعته بالكفر. ثار غضب تاوهار وقال أنه يجب أن يبقى أحدهم معه حتى الدفن. سأبقى أنا معه. كروسبي ويلز كان صديقي وأخي. ردَّ عليه السجان بأن كروسبي ويلز كان رجلًا أبيض، وإن لم تخدعه ذاكرته فهو بالتأكيد ليس أخ لك. ستقام الجنّازة صباح الثلاثاء، إن أردت المساعدة، ساعدنا في حفر قبره.

لكن تاوهار بقي معه. ظلَّ ساهِرًا في الشرفة، ثم في الحديقة، ثم في الممر الفاصل بين كوخ السجان والمخيم، ومن جميع هذه الأماكن طاردوه وطرّدوه. وأخيرًا خرج السجان من السجن ممسكًا مسدسًا طويل المقبض. وأخبر تاوهار أنه سيطلق عليه الرصاص إذا ما رآه في

مسافة خمسين ياردة من المخيم في أي وقت قبل ساعة موارة جسد كروسبي ويلز الثرى. فعَدَّ تاوهار الخطوات وابتعد بمسافة خمسين خطوة، وجلس وظهره لواجهة بنك جراي وبولر الخشبية. ومن هذه المسافة جلس تاوهار يحرس جسد صديقه ويناجيه بحلو الكلام في ليلته الأخيرة قبل أن تبهر روحه مبتعدة.

تاوهار: "كنت في الأراهورا حين مات كروسبي".

بالفور: "كنت في الوادي؟ كنت هناك حين مات؟".

تاوهار: "كنت أنصب فخًا للكيريرو (الحمام)، هل تعرف الكيريرو؟".

بالفور: "إنه أحد أنواع الطيور، أليس كذلك؟".

تاوهار: "نعم، لذيذ الطعم جدًا، مناسب لصنع الحساء".

بالفور: "حسنًا".

بدأت قبعة بالفور تنقط، فخلعها وخبطها على ساقه. أما بذلته فقد تغيَّر لونها من الرمادي إلى لون الفحم المبتل. وشَفَّ قميصه، مُظهرًا لون بشرته الوردي.

تاوهار: "نصبت الفخَّ قبل حلول الليل، ليمسك بالطيور في الصباح. من الأعلى من قمة التل يمكنك رؤية منزل كروسبي، وليلتها دخل المنزل أربعة رجال".

ارتدى بالفور قَبْعَتَه. "أربعة؟ أتعني ثلاثة؟ رجل فارع الطول على جواد أسود، ورجلان آخران أقصر منه، على مهرتين بُنِّيَتَيْن. هؤلاء هم أليستار لودرباك وچوك وأوجستوس. الرجال الذين عثروا على الجثة، وأبلغوا الشرطة".

أوماً تاوهار ببطء. "نعم، لقد رأيت ثلاثة رجال على ظهور الخيل. لكن قبل وصولهم، رأيت رجلًا، أُنَى على قدميه".

فجأة ثار حماس بالفور. "رجل بمفرده؟ حسن! أنت رجل طيب يا تيد. نعم. بحق السماء، أنت رجل طيب".

تاوهار: "لم يُثر الأمر انتباهي، لأنني لم أعلم أن كروسبي ويلز مات ليلتها. لم أعلم بالوفاة إلا في الصباح".

بدأ بالفور يسرع في حديثه. "رجل بمفرده يدخل الكوخ! قبل لودرباك! قبل وصول لودرباك!".

"هل ترغب في معرفة اسمه؟".

لف بالفور على قدميه صارخًا: "أتعرفه؟ نعم، بحق السماء، أخبرني!".

على الفور ردَّ تاوهار: "سنعقد صفقة، سأخبرك بما أريد ويمكنك الرد علي. أريد جنيها".

بالفور: "صفقة؟".

تاوهار: "جنيها".

بالفور: "تهلّل. هل رأيت رجلًا يدخل كوخ ويلز يوم وفاته، في نفس يوم وفاته، منذ أسبوعين؟ هل رأيت بالفعل شخصًا ما؟ وهل تعرف هذا الشخص بدون أدنى شك؟".

تاوهار: "أعرف اسمه، أعرف مَنْ هو، بدون غش".

وافقه بالفور. "نعم، بدون غش. لكن قبل الدفع أودُّ التأكد من أنك حقًا تعرفه. أودُّ التأكد من أنك لا تستغفلي. هل كان رجلًا ضخماً؟ بشعر داكن؟".

عقد تاوهار ذراعاها. "لنعقد صفقة عادلة. بدون غش".

بالفور: "صفقة عادلة بالطبع، بالطبع".

تاوهار: "سنعقد صفقة. وقد حدّدت ما أريده. جنيه. والآن دورك".

بالفور: "هل كان ضخم البنية؟ عريض المنكبين؟ أنا فقط أتأكد من أنك حقًا تعرف الاسم ولا تغشني، فلربما كنت تغشني".
قال تاوهار بعناد: "جنيه".

بالفور: "إنه فرانسيس كارفر، أليس كذلك يا تيد؟ فرانسيس كارفر، قبطان السفينة، كابتن كارفر".

كان بالفور يخمّن، وقد حالفه الحظ. بدا الضيق على وجه تاوهار، وتنهّد بصوت عالٍ.

بصوت مليء باللوم قال تاوهار: "لقد قلت لك بدون غش".

قال بالفور: "لم أغشك يا تيد، أنا أعرف المعلومة بالفعل، لكنني نسيتها. كارفر ذهب إلى كوخ كروسبي ويلز يومها. ألم يكن كابتن كارفر هو من رأيته يدخل الكوخ يومها؟ يمكنك أن تخبرني، فالأمر ليس سرًا، أنا أعرف بالفعل". وتفحص وجهه بحثًا عما يؤكد تخمينه. أطبق تاوهار فكّيه على مشاعره الجياشة. وتمتم بصوت منخفض: "كي تي تووهو كوي، مي مونجا تاي تاي (وإذا ما انحنيت، فليكن انحنائك للجبل العالي)".

وأصبح بالفور مبتلًا كليّةً. "يا تيد، لقد قدمت لي معروفًا لن أنساه. أتعلم شيئًا؟ إذا احتجت من يساعدي في بعض الأعمال، فسوف أستعين بك. وستحصل على المال الذي أردته".

رفع تاوهار ذقنه وقال، بصيغة الخبر وليس السؤال: "إذا احتجت لرجل من الماوري تعال إليّ. أنا لا أقوم بأعمال شاذة. لكن إن احتجت للغة، باستطاعتي أن أعلمك الكثير من الأشياء".

لم يذكر تاوهار مهارته كناحت. فلم يحدث أبدًا أن باع البونامو (الزمرد). ولن يبيعه أبدًا. وكيف للمرء أن يثمن كنزًا؟ كيف للمرء أن يشتري "مانا" القوة الروحية؟ لا يستطيع المرء عقد صفقات مع الإله.

تاوهار يعرف أن الذهب ليس كنزًا. الذهب بلا ذاكرة، ككل أشكال الثروة، الذهب دائمًا ما يتجه للأمام، بعيدًا عن الماضي.

"حسنًا، لكنك ستُسَلِّم علي، أليس كذلك؟"

وأمسك بالفور بقبضته المبتلة يد تاوهار الجافة. وهزّها بشدة. "أنت رجل طيب يا تيد، رجل طيب".

لكن تاوهار ظل بادي الاستياء، سحب يده من قبضة بالفور بأسرع ما استطاع. انتابت بالفور وخزة من الندم. فلن يجديه نفعاً أن يكسب عداوة الرجل، خاصة وأن المشكلة التي هو بصدها لا زالت قائمة. فهناك احتمال أن يحتاجوا لاستدعاء تاوهار للشهادة في وقت لاحق، هناك احتمال أنه يعلم شيئاً بخصوص العلاقات، أيًا كان نوعها، بين كروسبي ويلز وفرانيسيس كارفر، أو بين ويلز وكارفر من ناحية ولودرباك من الناحية الأخرى. نعم، من المفيد أن نكسب الرجل في صفّنا. وضع بالفور يده في جيبه. لا بُدَّ أنه يحمل بعض الفكّة، أو شيئاً يصلح كتذكّار صغير. إنهم يسعدون كثيراً بالتذكّارات. عثرت أصابعه على شلن وستة بنسات. فأخرج الستة بنسات.

"تفضّل يا تيد، خُذْ هذا وعلمني بعض الكلمات الماورية، كما علّمت كروسبي ويلز. وهكذا سنعقد صفقة، تمامًا كما رغبت يا تيد. ونصبح أصدقاء. وتصبح راضيًا".

وضع القطعة الفضية في راحة الرجل. ونظر تاوهار إليها.

فرك بالفور كفيه سويًا. "والآن أخبرني، ماذا تعني 'هوكتيكا'؟ ما معنى 'هوكتيكا'؟ هذا كل ما أرغب في معرفته منك. إنه بكل تأكيد مبلغ كبير، ستة بنسات مقابل كلمة واحدة. أليست صفقة رابحة؟".

تنهّد تي رو تاوهار، هوكتيكا، هو يعلم معناها، لكنه لا يستطيع ترجمتها. كثيرًا ما يحدث هذا بين اللغتين الإنجليزية والماورية، فهناك

كلمات في إحداهما دون مقابل دقيق في اللغة الأخرى، تمامًا كالحال في نبات البوها، فليس هناك ما يشبهه بين نباتات الرجل الأوروبي، وكخبز ريونا باراروا، لا يوجد عند الرجل الأوروبي خبز مثله، مهما تقارب الطعم، هناك دائمًا شيء ناقص، شيء عليك أن تتخيله، شيء مفقود. لقد فهم كروسبي ويلز هذا، وتعلم من تي رو تاوهار كوريرو ماوري (لغة الماوري) دون استخدام الإنجليزية، بل استخدما أصابعهما في الإشارة، ووجهيهما في التمثيل، وحين كان تي رو ينطق ما لا يفهمه كروسبي ويلز، كان يدع الصوت يغمره كما أصوات الصلوات، حتى يتضح المعنى، ويفهم مغزى الكلمات.

مسح بالفور المطر من على وجهه، "هوكتيكا، أخبرني يا صديقي". وأخيرًا رفع تاوهار أصبعه ورسم دائرة في الهواء، وحين عاد أصبعه لموضع بداية الدائرة، وخز الهواء بإصبعه بقوة ليحدد موضع العودة. وفكر تاوهار، كيف يحدد المرء موضعًا على دائرة؟ لكي يحدد المرء موضعًا على دائرة سيتحتم عليه أن يكسرها، وقتها لن تبقى الدائرة دائرة.

أحسّ تاوهار بالندم لاضطراره للحديث بالإنجليزية، ولتقريب الاسم. "معناها، يدور، ثم يعود لبدأ من جديد".



دائمًا ما يزدحم البنك المركزي بعملائه ظهيرة يوم السبت. تمتلئ الغرفة بالمنقبين وأيديهم المليئة بالذهب. كفوف ميزان الذهب تصلص صعودًا وهبوطًا أثناء وزن الذهب وتسجيله. ويهرول صغار موظفي البنك ذهابًا وإيابًا من وإلى الأرشيف لمراجعة أوراق المناجم، وتسجيل الضرائب المدفوعة، وتحصيل الرسوم. على طول الحائط

المواجه للشارع تصطفُ أربع مقصورات مغلقة بالقضبان يجلس فيها موظفو البنك. وفوق رؤوسهم تتدلى سبورة سوداء ذهبية الإطار مُسجّل عليها حصيلة الأسبوع من الذهب من كل منطقة وحصيلة المستخرج من هوكتيكا كلها. وفي كل مرة يتم إيداع أو شراء بعض الذهب الخام، تمسح الأرقام المكتوبة بالطباشير وتعُدل بمصاحبة همهمات الاستحسان من الحاضرين في الغرفة، وإذا ما وصل المجموع لرقم مميز، تتعالى أصوات التصفيق والتهليل احتفاء به.

حين دخل بالفور البنك لم يكن انتباه الحاضرين موجّهًا للسبورة، وإنما موجّه ناحية المنضدة الطويلة المواجهة لها حيث يقف مشترو الذهب، بحقائبهم النحاسية اللامعة المحمولة فوق أحزمتهم، يتفقدون الذهب الخام قبل شرائه. يأخذ المشتري وقته فيما يفعله، يحمل كل قطعة من الذهب في كفه ليزنها، ويخدش المعدن ويفحصه بحثًا عن الشوائب، ويدقق النظر إليه من خلال عدسة الجواهرجي. وإذا كان المعدن مُعَرَبَلًا، يغربله مرة أخرى مستخدمًا غربالًا من الحصى ليتأكد أن رقائق المعدن ليست مخلوطة بالحصى والحجارة. وأحيانًا ما ينثر ملء يديه من الخام اللامع فوق أطباق من الزئبق ليتأكد أن المعدن سيتجمّع على بعضه كما يجب. حين يعلن المشتري أن الخام نقي ويستحق الثمين يتقدم المنقّب صاحب الخام ذاكِرًا اسمه. ثم تُضَبَط كفتا الميزان حتى يتوازى الذراع الحامل للكفتين مع سطح المكتب، ويسكب المشتري الذهب في الكفة اليسرى. ويضع الأوزان اسطوانية الشكل واحدة تلو الأخرى في الكفة اليمنى حتى يترنح الميزان وتهتز الكفة التي تحتوي على ثروة المنقّب، وتتأرجح بحرية.

في صباحنا هذا كان هناك مُشتري واحد فقط، ثريٌ أملس الشّعر، يرتدي سترة صيد خضراء باهتة وربطة عنق صفراء في مزيج مبهرج يفضل شراء صاحبه ويشكّل خطرًا عليه إذا ما خرج ليباشر مهام عمله بمفرده دون حماية. والحماية متوفرة. حرس الذهب في هوكتيكا.

وهو جيش صغير من عشرة مُشاة في زِيٍّ مُوحَّد. مسؤولون عن تأمين صفقات بيع وشراء الذهب. وحراسة سبائك الذهب المنقولة في عربات مصفحة حتى وصولها سالمة لوجهتها خارج البلاد. وقف الحرس على جانبي المكتب الذي جلس عليه المشتري، كلُّ منهم مسلَّح ببندقية ضخمة لامعة من أحدث طراز، 577 سنايدر إينفيلد. تطلق رصاصات الواحدة منهم بحجم أصبح السبابة وإذا ما أصابت رأس أحدهم حوَّلَتهَا لتراب. أعجب بالفور بالبندقية حين رآها لأول مرة، لكنه توتَّر لرؤية عشرة رجال مسلَّحين في هذا المكان المغلق. فازدحام الغرفة يحول دون إمكانية رفع أي حارس لسلاحه فوق كتفه، فما بالك بإطلاقه.

شقَّ بالفور طريقه بين المنقَّبين حتى مقصورات الموظفين. معظم المتواجدين في الغرفة كانوا متفرجين، فأفسحوا له المجال ليعبر، وسرعان ما وجد بالفور نفسه عند إحدى المقصورات وأمامه موظف شاب يرتدي صديرية مخططة وربطة عنق مشبوكة بعناية بدبوس. بالفور: "صباح الخير، أود أن أعلم هل حصل شخص باسم فرانسيس كارفر على رخصة التنقيب في نيوزيلندا". وخلع قبعته وملَّس شعره المبتل للخلف محاولاً تصفيفه بلا نتيجة، فراحه يده كانت مثل شعره مبتلَّة للغاية.

"فرانسيس كارفر؟ القبطان كارفر؟".

بالفور: "نعم هو".

"يجب علي أن استفسر عمَّن تكون؟ ولماذا تطلب هذه المعلومات؟".

تحدث الموظف بنبرة هادئة خالية من المشاعر.

ردَّ بالفور بنعومة واضعاً قبعته فوق رأسه: "إنه يمتلك سفينة، وأنا أعمل في مجال الشحن. اسمي توم بالفور، وأنا بصدد بدء العمل في

تجارة الشاي من وإلى كانتون. أنا ما زلت أفكر في الأمر. وأود أن أعرف المزيد عن فرانسيس كارفر قبل أن أعرض عليه العمل. أين يستثمر أمواله. هل سبق أن أعلن إفلاسه. معلومات من هذا القبيل".

"بإمكانك ببساطة أن تسأل السيد كارفر". تحدّث الموظف بنفس طبقة الصوت الهادئة، فلم يخرج الرّدّ وقحًا وإنما تعوزه فقط بعض الكياسة. كتعليق أحد المارة العابرين على عربة معطّلة بأن هناك طريقة بسيطة لإصلاحها.

أخبره بالفور أن كارفر في البحر في الوقت الحالي ولا يمكن الوصول إليه.

لم يقتنع الموظف بهذه الحجة. وتفحّص بالفور، واضعًا أصبعه على شفته السفلى. لكنه لم يستطع إيجاد سبب لرفض طلب بالفور. فهزّ رأسه وسحب دفتره ناحيته وخطّ ملحوظة بخطّ رفيع ودقيق. ثم جفّف بقايا الحبر (فكر بالفور في انعدام نفع خطوة تجفيف الحبر من على الورقة، فالدفتر ظلّ مفتوحًا) وجفّف طرف قلمه بقطعة مربعة من الجلد الناعم. "انتظر هنا من فضلك". قالها الشاب ثم اختفى خلف باب منخفض يفتح على غرفة ملحقة، وسرعان ما عاد حاملاً ملفًا ضخماً مجلّدًا بالجلد ومطبوع على جانبه حرف "ك".

خبط بالفور بأصابعه والموظف يحلّ رباط الملف ويفتحه. ومن فتحات القضبان تمعّن في الشاب. يا له من نقيض لماوري الذي رآه في الشارع! كانا تقريبًا في نفس العمر، تاوهار قوي البنية مشدود القامة ومليء بالفخر، وهذا الشاب ضعيف البنية، يتحرك بهدوء وحيطة كالقطط، كمن لا يرى داعيًا لإنفاق طاقته في النشاط، وفي الوقت نفسه لا يرى داعيًا للحفاظ عليها. نحيف الجسد، شعره البني الطويل متمواج الأطراف مربوط خلف رقبتة كبجاجة سفن صيد الحيتان. وجهه عريض وعيناه متباعدتان وشفثاه كبيرتان وأسنانه

معوجةً جداً وأنفه مائل للضخامة. أضفت عليه ملامح وجهه انطباع بالأمانة وعدم الاكتراث، وعدم الاكتراث أحد أشكال الأناقة، عدم الاكتراث يستدعي لحامله الكثير من التقدير، ويأبى البوح بمصدره. ورأى بالفور أن هذا الشاب أنيق جداً.

أخيراً أشار الموظف قائلاً: "ها نحن ذا، كارسويل، ثم كاسيدي بعده، من تبحث عنه ليس مسجلاً هنا".

"إذن ففرانسيس كارفر لا يملك رخصة تنقيب".

"لا، ليس في كانتربري". وأغلق الملف بخبطة ناعمة.

"هل يملك رخصة في أوتاجو؟".

"سيتحتم عليك أن تذهب إلى ديوندين لمعرفة ذلك".

هذا درب مسدود. حسب قصة لودرباك فإن الذهب الموجود في صندوق الشحن تمّ استخراجها (كما يبدو) من دنستن، ودنستن تقع في أوتاجو.

وسأل بالفور بخيبة أمل: "ألا تحتفظون بسجلات أوتاجو؟".

"لا".

"ماذا لو أن الذهب مُستخرج من أوتاجو؟ هل يتم تسجيله في الجمارك عند إحضاره؟".

الموظف: "ليس في الجمارك، إن استخرج ذهباً سيتحتم عليه أن يزنه ويسجله قبل سفره. ليس من المسموح نقل الذهب من منطقة لأخرى داخل البلاد أو خارجها دون تسجيله. سيتحتم عليه أن يأتي إلينا، وسنطلب الاطلاع على رخصة التنقيب. ونسجل في هذا الدفتر أنه يعمل في هوكتيكا بأوراق مستخرجة من أوتاجو. لم أجد شيئاً في هذا الدفتر؛ ولذلك يمكننا الجزم أنه لم ينقب عن الذهب في هذه الأنحاء. وفيما يخص التنقيب في أوتاجو، فليس لدينا علم به".

تحدث موظف البنك بالقلق المحكوم لموظف حكومي مطلوب منه شرح بعض خصائص النظام الذي هو جزء منه، ذاك القلق محكوم لأنه كموظف مطمئن إلى خبرته في عمله، لكنه موجود لأن الحاجة لشرح تلك الخصائص تبدو، بشكل مبهم، كأنها تقلل من أهمية النظام الذي ينتمي إليه ويستمدُّ منه خبرته.

بالفور: "حسنًا، هناك أمر آخر. أود أن أعرف إن امتلك كارفر أسهمًا في شركة تعدين، أو اشترى حصة في منجم خاص".

شاب التعبير الهادئ المرتسم على الموظف بعض الارتياب. وللحظة وجيزة لم ينبس بكلمة، وبدا كأنها يبحث عن حجة يرفض بها طلب بالفور، أو يعلن بها عن غرابة هذا الطلب، أو يطالب بمعرفة الداعي له. ورمق بالفور بنظرة فيها من النفاذ قدر ما فيها من الهدوء. وعبس بالفور بشدة، فطالما أقلقه أن يكون موضع تحقيق أو تدقيق. لكن، وكما حدث من قبل، شرع الموظف في تأدية المطلوب. فكتب ملحوظة أخرى في دفتره، وجفّفها، ثم استأذن بأدب في الانصراف لتلبية الطلب الجديد.

حين عاد الموظف بسجلات الأسهم بدا القلق ظاهرًا عليه. "لقد نَقَب فرانسيس كارفر عن الذهب في هذه المنطقة. ليس لديه سابقة أعمال طويلة، إنه منجم واحد. بعقد خاص. يمنح كارفر الحق في الحصول على نصف الأرباح الصافية للمنجم كل ثلاثة أشهر".

بالفور: "نصف الأرباح؟ ومنجم واحد فقط؟ هل أنت متأكد؟ متى اشترى هذه الحصة؟".

"تشير سجلاتنا إلى يوليو 1865".

"هذا منذ زمن بعيد! (منذ ستة أشهر! لكنه حدث بعد بيع جودسبيد، أليس كذلك؟) وما هو المنجم؟ ومن مالكة؟"

نطق الموظف بمنتهى الحذر: "المنجم يدعى الأورورا ويملكه ويديره...".

هزّ بالفور رأسه وأكمل له الجملة: "إيميري ستينز. نعم، أنا أعرف المكان، شمال طريق كانير. يا إلهي، هذه أخبار قيّمة. وستينز صديق عزيز. سأذهب وأحدث إليه بنفسي. شكرًا جزيلاً لك يا سيد...؟".
"فروست".

"شكرًا جزيلاً لك يا سيد فروست. لقد ساعدتني كثيرًا".

لكن الموظف نظر لبالفور وعلى وجهه تعبير غريب.

"سيد بالفور، ربما لم تصلك الأخبار".

"هل هناك أخبار عن ستينز؟".

"نعم".

تجمّد بالفور: "هل مات؟".

"لا، لقد اختفى".

"ماذا؟ متى؟".

"منذ أسبوعين".

اتسعت عينا بالفور.

"آسف لأنني حملت إليك الخبر، وأنت صديقه العزيز".

لم يلحظ بالفور التّهكّم في جملة الموظف. "اختفى؟ منذ أسبوعين؟ ولا أحد يتحدث عن الأمر؟ لماذا لم أسمع بهذا؟".

فروست: "أوكد لك أن الكثيرين يتحدثون عن الأمر. هناك إعلان يُنشر في عمود المفقودين يوميًا هذا الأسبوع".

بالفور: "أنا لا أقرأ أبداً الإعلانات الشخصية". (لكنه طوال الأسبوعين الماضيين كان مع لودرباك، يساعد في المناسبات التي يقدم نفسه فيها على طول الساحل شمالاً وجنوباً، وتوقف عن الذهاب إلى الكورينثيان كما اعتاد كل مساء، ليتناول كوباً من البيرة مع زملائه العاملين في خدمات المخيم ويتبادل معهم الأخبار المحلية).

"ربما وقع على اكتشاف ضخم. ربما يكون هذا سبب اختفائه. ربما عثر ستينز على عرق ذهب كبير بين الأدغال في مكان ما، وربما يحتفظ بالأمر سرّاً حتى يستحوذ على الأرض".

"ربما". نطقها الموظف بأدب، ثم سكت.

عصّ بالفور على شفتيه. "اختفى؟ أنا لا أفهم".

قال فروست وهو يفرد صفحة دفتره براحة يده: "هل هذه الأخبار مهمة لشريكك؟".

انتبه بالفور. "شريكى مَنْ؟" وقد ظنّ أن الموظف يقصد أليستار لودرباك. وقد حرص ألا يذكر اسمه بالمرّة.

رمش الموظف بعينه قائلاً: "السيد كارفر، شريكك المستقبلي في العمل، كما أخبرتني يا سيدي. السيد كارفر لديه استثمار مشترك مع السيد ستينز. وفي حالة وفاة السيد ستينز..."، وصمت، هائلاً كتفيه.

ضيّق بالفور عينيه. بدا أن الموظف يلّمح بشكل غامض أن كارفر مسؤول بطريقة ما عن اختفاء ستينز، وهو اتهام من المؤكد أنه لا يملك دليلاً عليه. ورغم وضوح موقفه إلا أنه لم يعبر عن رأي قد يؤاخذ عليه. بدا في نبرة صوته أنه لا يحب كارفر، رغم أن كلماته تحمل تعاطفاً مع الرجل لخسارته المحتملة. أحسّ بالفور بالغضب وهو يرى جُنْ ألعيب الموظف، ثم تذكر أنه نفسه يكذب، إنه ليس

بصد الشراكة مع كارفر في العمل، وليس بحاجة لأن يأخذ صفه في جدال يدور بخصوصه.

لكن لحظتها كتم الشاب فروست ابتسامةً كادت ترتسم على وجهه، وفهم بالفور، بدفقة مفاجئة من الاستياء تجتاح جوانبه، أن الفتى يسخر منه. لم يصدق فروست حكاية بالفور للحظة واحدة! علم أن بالفور ليس بصد الشراكة مع كارفر، علم أن هذه الكذبة غرضها التغطية على هدف آخر، ثم أضاف إهانة التصغير من شأن بالفور إلى جرح كشف أمره حين رآه مسلّياً ومدعاة للابتسام! غضب بالفور لأنه كان سهل الانكشاف، وزاد من غضبه أن يسخر منه رجل يقضي أيامه في مقصورة مساحتها ثلاثة أقدام مربعة، يوقع على شيكات رجل آخر (والجملة الأخيرة جاءت على لسان لودرباك هذا الصباح، وقد أتت لبالفور كأنها من بنات أفكاره.)، فجأة مال، ممتلئاً غضباً، ولف يديه حول قضبان المقصورة.

وبهدوء قال بالفور: "حسنًا، اسمع. أنا لن أعمل مع السيد كارفر. أنا أظنه مجرمًا ومحتالًا وما هو أكثر. وأنا أبحث خلفه، عليه اللعنة. عليّ أن أجد ومضة عليه، شيئًا يمكنني استخدامه ضده".
وسأل الموظف: "ما الومضة؟".

انفجر بالفور: "إنه تعبير غبي، دعك منه. الفكرة هي أي أحاول محاصرته وتسليمه للسلطات. أعتقد أنه استولى على ثروة كبيرة من منجم شخص آخر. ثروة تُقدَّر بالآلاف. لكني لا أملك سوى حدسي، وأحتاج لدليل مادي. وأحتاج شيئاً أبداً منه. هل تفهمني؟ القصة التي حكيتها لك عن مشاركتي إياه في العمل كلها كذب". وحدّق في الموظف من خلال القضبان الحديدية. ثم قال بعد هنيهة: "ماذا لديك لتقوله؟".

ردّ فروست: "ليس لديّ ما أقوله بالمرة". ورثب الأوراق فوق مكتبه وارتسمت على شفّتيه المطبقتين ابتسامة مبهمة. "شؤنوك تخصّك وحدك يا سيد بالفور. أتمنى لك التوفيق".



هزّ الخبر المتعلق بإيميري ستينز بالفور إلى الأعماق. صناديق الشحن والابتزاز أمر، لكن اختفاء شخص هو أمر آخر مختلف تمامًا. هذا أمر شرير. إيميري ستينز مُنقّب طيب، ولا يزال شابًا في مقتبل حياته.

توقّف بالفور أمام المحكمة وتنفس بعمق للحظة. تفرّق الحشد الصغير المجتمع خارج البنك لتناول الغداء، واختفى رجل الماوري. خفّ انهيار الأمطار وأصبح رذاذًا مستمرًا. ألقى بالفور نظره بطول الشارع، لم يعرف أين يذهب في خطوته المقبلة. وشعر بكآبة شديدة. اختفى؟ إن المرء لا يختفي! لا بُدَّ أن الفتى قد لقي حتفه، إذا لم يكن قد رآه أحدٌ لأسبوعين، ليس هناك تفسير آخر للأمر.

إيميري ستينز هو أغنى رجل جنوب منطقة الرمال السوداء. يمتلك أكثر من ستة من المناجم، بعضها يحوي أنفاقًا تمتدُّ لثلاثين قدمًا تحت سطح الأرض، وربما أكثر. بالفور، الذي يُكنّى لإيميري إعجابًا كبيرًا، يقدر عمره بثلاثة أو أربعة وعشرين عامًا، إنه ليس صغيرًا لدرجة تجعله غير جدير بحظه الحسن، وليس كبيرًا بحيث يوحى أنه ربما جنى ثروته بطرق غير مشروعة. هذه الفكرة تحديدًا لم تخطر لبالفور أبدًا. حظي ستينز بجمال الطبع والطبيعة، حُسن يشعُّ بالإخلاص والأمل بدون أي تكلف. كان بطبعه حلو المعشر ومتفائل وسرعة

بديته مثيرة للإعجاب. مجرد تصور وفاته هو أمر بشع، وتصور وفاته مقتولاً أبشع وأبشع.

دقت ساعة الكنيسة الويسلية (كنيسة مذهب جون ويسلي) معلنة الثانية عشرة والنصف، ومطلقة موجة من الطيور التي اندفعت من برج الجرس المؤقت وتبعثرت داكنة في سماء النهار. رفع بالفور وجهه ناحية الصوت فأحسَّ بألم مفاجئ في رأسه. واحتدت حواسه التي كانت خاملة من أثر الشراب الذي تناوله صباحًا ومن ثقل المسؤوليات الملقة على عاتقه. ولم تعد لديه الرغبة في إجراء تحريات بالنيابة عن لودرباك.

ضمَّ معطفه حول جسده ولفَّ على كعبيه وبدأ في المسير ناحية لسان هوكتيكا الرملي، ملجئه المعتاد. حيث يتمتع الوقوف على الرمال في الجو السيئ، متشبَّثًا بمعطفه على جسده، ناظرًا إلى البحر، إلى ما بعد أشعة السفن الراسية التي يؤرجحها تيار النهر القوي، والأمواج، والرياح، رياح بحر تسمان التي تعصف عاوية، تنزع اللحاء عن أشجار الشاطئ وتسخط الشجيرات إلى هيئة كسيحة عاجزة. أحب بالفور اللا مبالاة الغاشمة للعواصف. والأماكن الخالية من البشر، حيث يختلي بنفسه، ولا يحس أبدًا أنه بمفرده.

سكنت الرياح بغتة أثناء انزلاق بالفور على الضفة الموحلة متَّجهًا للميناء. أمعن النظر في الضباب مبتسمًا. سلب المطر مصب النهر الواسع من أية فرصة لانعكاس الصور على صفحته وترك مياهه رمادية ومعتمة كطبق من القصدير. وبسكون الرياح هدأت حركة الأشعة المتناطحة. راقبها بالفور وقد هدهده تمايلها الثقيل جيئة وذهابًا، جيئة وذهابًا. ولم يتحرك حتى كادت تسكن تمامًا.

يلتف الميناء حول مصب النهر حتى يلتقي باللسان الرملي، وهو أصبع رملية صغيرة تجلدها أمواج المحيط المفتوح البيضاء من

جانب، وتحتضنها من جانبها الآخر ترسبات النهر المرتبكة، بعد أن اختلطت مياهها العذبة بالملح، وجُرِّدَت من كل ذهبها. هنا، على الجانب الهادئ من اللسان الرملي يبرز رصيف بحري صغير من رصيف الميناء الأكبر. نزل بالفور بصعوبة إلى الحرف الناتئ واهتزَّ الرصيف الصغير تحت ثقل ضيفه. وعلى مسافة عشرين قدمًا منه جلس اثنان من حمَّالي الميناء، مبتلِّين بالكامل مثلهما مثل بالفور، جفل الرجلان حين اهتز الرصيف فالتفتا.

بالفور: "كيف الحال يا رجال".

"بخير يا توم".

كان أحدهما يحمل خُطَّاف قارب برأس نحاسي، يصوبه على النوارس التي تصطاد على الصخور في الأسفل، والآخر يراقبه.

تمشى بالفور حتى وقف خلفهم، ولبرهة ظلَّ الجميع صامتين. يراقبون رقَّاصات المراكب غادية رائحة، ناظرين من خلال المطر.

بالفور: "أتعلمون ما المعضلة؟ أنه هنا في هذا البلد يمكن للمرء أن يغيِّر نفسه. يصنع لنفسه حياة جديدة. ما قيمة اسم العائلة؟ ما أهمية اسم الشخص؟ اتخذ لنفسك اسمًا جديدًا تمامًا كما تأخذ قطعة ذهب من الأرض. سَمِّ هذا ويلز، وهذا كارفر".

ألقي أحد الحمَّالين نظرة حوله. "هل لديك مشكلة مع فرانسيس كارفر؟".

هزَّ بالفور رأسه. "لا، لا".

"لديك مشكلة مع شخص يُدعى ويلز؟".

تنهَّد بالفور. "لا، ليس هناك مشكلة. أودُّ معرفة بعض الأشياء، لكن في الخفاء، في السر".

عاد النورس، فصوَّب الحمَّال مرة أخرى، وأخطأ الهدف.

قال الرجل الآخر: "كدت أن تصيب جناحه، هذه هي المرة الخامسة".

رأى بالفور أنهما ألقيا مربّعاً من البسكويت على الحصى في الأسفل. أوما الحمّال الذي بدأ الحديث بالفور. "هل توذّ مطاردة كارفر؟ أم الرجل الآخر؟".

"لا هذا ولا ذاك. لا تشغل بالك. وتذكّر أنه ليس بيني وبين فرانسيس كارفر أي مشكلة".

قال الحمّال: "سأذكرك. لكن، إن كنت ترغب في معرفة بعض الفضائح، وفي الخفاء، فعليك أن تسأل السجان".

راقب بالفور النورس يطير مقترباً. "السجان؟ شيرد؟ لماذا؟".

الحمّال: "لماذا؟ لأن كارفر قضى فترة في السجن تحت حراسة شيرد. على جزيرة كوكاتو. عشر سنوات أشغال شاقة قضاهم كارفر يحفر في حوض السفن الجاف هناك، تحت حراسة شيرد. إن أردت معرفة بعض الفضائح عن كارفر، أراهنك أن شيرد هو رجلك المنشود".

قال بالفور باهتمام: "كوكاتو؟ لم أعرف أن شيرد كان ضابطاً في كوكاتو".

"هذا صحيح. وفي نفس العام الذي أخلي فيه سبيل كارفر، نقل شيرد إلى نيوزيلندا، ولحق بكارفر! ما رأيك في هذا الحظ؟".

وافقه زميله. "إنه أسوأ حظ".

بالفور: "كيف عرفت هذا؟".

وجّه الحمّال حديثه لزميله. "نفس الوجه الذي لا أودُّ أن أراه ثانية، وجه سجّاني، أراه يوماً بعد يوم طيلة عشر سنوات، وبعدها وبمجرد أن خرجت...".

ألحَّ عليه بالفور. "كيف عرفت هذا؟".

الحمَّال: "عملتُ في ورشة السفن هناك كمتدرب. والآن، نقدم لكم الرامي الماهر". فقد خبط النورس على ظهره بعصاته.

"أتعرف لماذا سُجنَ كارفر يا فتى؟".

أجاب الحمَّال على الفور: "للتهريب".

"تهريب ماذا؟".

"الأفيون".

"ماذا؟ إلى الصين؟ أم منها؟".

"لا أدري".

"مَن قبض عليه إذن؟ إن لم يكن المملكة".

فكَّر الحمَّال، ثم هزَّ كتفيه. "لا أدري. أعتقد أن التهمة تتعلق بالأفيون. لكن ربما يكون هذا فقط ما سمعته عنه".

حيًا بالفور الرجلين ومشى بطول اللسان الرملي. وحين أصبح بمفرده باعد بين ساقيه ودسَّ يديه في جيبه وسرح بعينيه إلى زئير المحيط الأبيض، خلف بكرات الرفع والاسطوانات المشحَّمة، خلف المنارة الخشبية القائمة بعيدًا في نهاية اللسان، خلف الهياكل الحزينة للسفن التي غرقت عند الحاجز القاري.

تمتم لنفسه، "أرأيت، الآن حصلنا على معلومة! لا بُدَّ أن اسمه الحقيقي هو كارفر! ليس بإمكانه حمل اسم آخر هنا في هوكتيكا تحت أنف سجَّانه الذي أمضى عقوبته تحت حراسته، داخل معتقل! مسد بالفور شاربه بإصبعه وإبهامه. وهنا تكمن المعضلة، بحق السماء، ما الذي دفعه لأن يدَّعي أن اسمه هو فرانسيس ويلز؟ ويثبت هذا الادعاء كتابة؟

زحل في برج الميزان

حيث يوجز جوزيف بريتشارد نظرية المؤامرة التي يؤمن بها، ويقدم جورج شيرد عرضاً محسوباً بدقة، ويوافق هارالد نيلسن، بعد القليل من الاعتراض، على أن يذهب لزيارة أه كيي.

في هذه اللحظة تمّ انتزاع دور الراوي من بالفور، صاحب هذا الانتقال قيام وكيل الشحن بإيقاد سيجار جديد، وملء كأس جديد، وهتاف متحمس: "والآن، صحّحوا لي إذا ما كنت قد أخطأت يا شباب!".

خاطب بالفور في صيخته اثنين: جوزيف بريتشارد، الرجل ذا الشعر الداكن الجالس على يسار مودي، الذي سيكتشف مودي قريباً أن القوة المكبوتة لصمته تضاهي القوة المكبوتة لحديثه المتأني، ورجلاً آخر لم يكن لدينا سبب حتى الآن لذكر وجوده. كان الرجل الآخر

يلعب البلياردو عند دخول مودي، وقَدَّمه بالفور بإشارة إعجاب من سيجاره على أنه هارالد نيلسن، المولود في أوصلو، ومنها انتقل إلى باث، النابغة الذي لا يُقهر في لعبة الثلاث ورقات، والرامي البارِع... وأضاف نيلسن، واثبًا للأمام بغرض تعظيم الثناء الموجَّه لشخصه أنه حاز بندقية من ماركة إينفيلد ماسكت، الطراز الذي يتم تعميره من الماسورة، وهي أرقى أسلحة الإمبراطورية البريطانية، والسلاح الوحيد الذي تنازل ولمسه. كان الرجلان على استعداد للامتنال لنداء بالفور: نيلسن بغرض التباهي، فهو لا يحتمل أن يكون له دورٌ رئيسي في رواية مثيرة ولا يمثِّل هذا الدور بنفسه، وبالنسبة لبريتشارد، فالغرض المطلوب كان الدقة.

وهكذا سنترك توماس بالفور واقفًا على رصيف الميناء بيديه في جيبه، محدِّقًا خلال المطر. وسنوجَّه نظرنا مسافة مائتي ياردة إلى الشمال، إلى ساحة المزادات على رصيف جيبسون، حيث يقع وراء المنصة باب بلا طلاء يقود إلى مكتب خاص يحمل لافتة نيلسن وشركاه، تجار بالعمولة.

واحترامًا لتناغم ممالك الزمن الدائرة سنستأنف قصَّتنا في نفس اللحظة التي تركها فيها بالفور، في هوكتيكا يوم السبت السابع والعشرين من يناير في الساعة الواحدة إلا خمس دقائق ظهرًا.



في منتصف نهار السبت يمكن عادة العثور على هارالد نيلسن في مكتبه، جالسًا أمام كومة من العقود والوصايا وبوليصات الشحن، وكل عشر دقائق تقريبًا يرُبَّت صدره ليتفقَّد ساعة جيبه الفضية المنوطة بها إطلاق سراحه إلى غدائه الذي يحرص كل الحرص على تناوله في

موعده في النان باريل. ويوصي نيلسن كل مَنْ يقابله بهذا النظام، فهو مؤمن راسخ بالإيمان بالقدرات الشفائية لحساء اللحم الداكن، والمعجنات، والبيرة، نعم، كثيراً ما أوصى بنظامه الغذائي للكثير من الرجال الأقل تبصراً منه، بغرض إفادتهم، ضارباً لهم المثل بعاداته الشخصية. فهو يجد متعة خاصة في الجدل طالما أن الموضوع بطبيعته غير معقول ونظري، ومغرم بصياغة نظريات عبثية يستخلصها من ذوقه الخاص في الحياة، وهو ذوق محدود لكنه مخلص له تماماً. أثار سلوكه إعجاب أصدقائه المحبين، واعتبروه رجلاً مرحاً ومسلّياً. بينما استسخره منتقدوه، واعتبروه رجلاً مغروراً وأنايياً، لكن نيلسن صمّ أذانه عن أصوات المنتقدين، ولم يبذل أي جهد لتغيير رأيهم فيه.

اشتهر هارالد نيلسن في هوكتيكا بذوقه الراقى في الملبس. ارتدى يومها معطفاً مفتوح الذيل يصل للركبة رمادي اللون له تلايب حريرية، وصديرية حمراء داكنة، وربطة عنق رمادية وبنطلوناً رمادياً مخطّطاً. أما قبّعته الحريرية المعلقة على حامل القبعات خلف مكتبه، فكانت من نفس لون معطفه، ومسند تحتها عصا بطرف فضي ويد منحوتة. ويدخن الغليون ليكمل طلّته (وهو يعتبر ملبسه اليومي لوحة يمكن تغييرها ببعض الرتوش) كان غليونه مصنوعاً من خشب الكلاباش، ضخماً قصير الساق، وهو يدخنه ليس حباً في التدخين، ولكن استكمالاً لوجاهة المظهر. وكثيراً ما أمسكه بارداً غير مشتعل بين أسنانه، وتحدّث فتخرج كلماته من جانب فمه كممثل هزليّ في فقرة مضحكة، وهو تشبيه يليق به. ونيلسن معترّ بالانطباعات عنه؛ لأنه يعلم ببراعته في صنع الانطباعات. أما اليوم، فباطن الغليون الماهوجني دافئ، ونيلسن يشدُّ منه أنفاساً بقدر كبير من الضيق. وقد فات ميعاد غدائه، لكنه لا يفكر في معدته، ولا في النادلة متورّدة الوجنتين التي تعمل في النان باريل التي تسمّيه

"هاري" وتؤثره بأفضل قطعة في الفطيرة. كان ينظر مقطبًا للمستند الأصفر المفروود على مكتبه، ولديه ضيف.

وأخيرًا أخرج غليونه من بين أسنانه ورفع عينيه ليلتقيا بنظرة الرجل الجالس أمامه. وبصوت منخفض قال: "أنا لم أرتكب أي خطأ، لم أفعل أي شيء مخالف للقانون".

تحدثت بلهجة نرويجية خفيفة. فلم تفلح الثلاثون عامًا التي قضاها في باث ببريطانيا في جعله بريطاني اللغة.

جوزيف بريتشارد: "القانون سيبحث عن المستفيد مما حدث. يبدو الأمر كأنك جنيت ربحًا سخياً من وفاة هذا الرجل".

"من البيع القانوني لممتلكاته! وهو ما قمت به بعد وفاته!".

"بعد وفاته مباشرة، على ما أعتقد".

نيلسن: "كروسبي ويلز شرب حتى الموت. لم يكن هناك داعٍ لفتح تحقيق في الأمر، ليس هناك ما يدعو للشك. الرجل كان سكيرًا وناسكًا، وحين وصلتني هذه المستندات اعتقدت أن القيمة بسيطة. لم أكن أعلم بالكنز".

"إذن فالأمر مجرد ضربة حظ".

"أنا لم أرتكب أي شيء يخالف القانون".

بريتشارد: "لكن أحدهم ارتكب ما يخالف القانون، شخص ما وراء ما حدث. مَنْ كان يعرف بأمر الكنز؟ مَنْ انتظر حتى دُفن كروسبي ويلز ثم قدّم أوراقه وباع أملاكه بمنتهى الهدوء والسرعة ودون عرضها في المزاد؟ وَمَنْ دَسَّ المهدئ الذي أصنعه تحت سريرته؟".

"دَسَّ...".

بريتشارد: "نعم، دَسَّ. وأقسم أنه دَسَّ. أنا لم أبيع لهذا الرجل قطرةً منه. أنا أعرف زبائني يا هارالد. أنا لم أبيع قطرة واحدة لكروسبي ويلز".

"يمكنك إذن إثبات هذا عن طريق سجلاتك وإيصالاتك".

"علينا أن ننظر لما هو أبعد من أدوارنا في هذه الخطة". وبرتشارد حين يتحدث بانفعال قوي يخفض صوته ولا يرفعه. "نحن شركاء في هذا. وإذا تتبّعنا الأمر لمنبعه فسنعرف من خطئه. إنها كلها قطع من أحجية واحدة".

"أقول إن هذا كله خطة موضوعة مسبقاً؟".

هزَّ بريتشارد كتفيه. "يبدو كأنه جريمة قتل".

صحَّح له نيلسن: "تقصد التآمر للقتل".

"وما الفرق؟".

"الفرق في التهمة الموجهة، في التآمر للقتل يكون الاتهام بالقصد من القتل، وليس القتل نفسه. كروسبي لم يقتله أحد".

برتشارد: "هذا ما أخبرونا به. هل تثق بقاضي التحقيق يا سيد نيلسن؟ هل لديك استعداد أن تتناول المجرفة وتحفر لتخرج جثة الناسك؟".

"دعك من هذا".

"أؤكد لك أنك ستجد أكثر من جثة واحدة في هذا القبر".

"قلت لك دعك من هذا".

ولم يتوقف بريتشارد. "إيميري ستينز. إن لم يكن قد قُتل، فماذا بحق الشيطان قد حدث له؟ هل تبخّر؟".

"بالطبع لا".

"ويلز مات، وستينز اختفى. وكل هذا في غضون ساعات. ويلز دُفِن بعدها بيومين، وهل هناك مكان لإخفاء جثة أفضل من قبر رجل آخر؟".

سعى جوزيف بريتشارد دائماً وراء الدوافع الخفية، بحث عن الحقيقة الكامنة وراء الأحداث. كان متيماً بنظريات المؤامرة. سعى لتكوين القناعات بينما سعى غيره لتكوين الممتلكات، كان متعطشاً لما يؤمن به، وغذا قناعاته الشخصية بكل الشبق المتأجج الآتي من اقتناعه بها عن طيب خاطر. وامتدّت هذه النشوة إلى إحساسه بنفسه. فإذا ما حدث ما يعكّر صفو مياه عقله العميقة، فإنه يغطس داخل نفسه، ويضرب يديه وساقيه بقوة مكافحاً للنزول أعماق وأعماق داخل نفسه، كأنه يودُّ لمس قاع محيط مُخيّلتَه، كأنه يتمنى الغرق. نيلسن: "هذا تكهن لا فائدة منه".

اعتدل بريتشارد في مقعده. "أراهن بحياتي أنهما مدفونان سوياً". انفجر نيلسن: "وما أهمية تخمينك؟ ورهانك؟ أنت لم تقتله. أنت لم تقتل أحداً. هذه جريمة ارتكبتها شخص آخر". "لكن أحدهم يودُّ أن أبدو كما لو كنّا أنا مَنْ ارتكبتها، أحدهم جعلك تبدو أحمق، أغراك بمطاردة السراب باعتباره ماء". "هذه مجرد مظاهر".

"المحلفون يهتمون بالمظاهر".

قال نيلسن بضعف: "بربك، أحقّاً تظن أنه...".

"أنه لن يكون هناك داعٍ للمحلفين؟ لا تكن أحمق. إميري ستينز هو الملك غير المتوّج على عرش هوكتيكا. العامة الذين لن يتعرفوا على رئيس الشرطة إذا وقف في طابور عرض السكارى يعرفون اسم ستينز. ولا شك أنهم سيحققون في الأمر. سيحققون حتى إن وقع

إيميري من على سُلّم وكسر عنقه في وجود اثني عشر شاهداً. وكل ما يتطلبه الأمر هو شبه دليل يربطه بموضوع كروسبي ويلز، ربما جثته مثلاً، عندما يجدونها، وفجأة ستجد نفسك متورطاً. باعتبارك شريكاً فيما حدث. وستحاكم. ما الذي ستقوله حينها دفاعاً عن نفسك؟".

"أني لم... أنا لم... نتأمر...".

وغمره الإحساس بقلّة الحيلة، فلم يكمل جملته.

لم يقطع بريتشارد الصمت. حدّق باهتمام في مضيفه، وانتظر. بعد فترة استأنف نيلسن وهو يجاهد لكي يبقى صوته هادئاً وعملياً: "يجب علينا أن لا نخفي شيئاً، يجب علينا أن نذهب للسلطات بأنفسنا...".

زاد انخفاض صوت بريتشارد. "ونخاطر بأن يتمّ اتهامنا؟ نحن لا نعرف بقية اللاعبين أيها الرجل! اسمعني، إن كان ستينز قد قُتل، حتى إن لم تصدق ما أقوله، عليك أن تعترف أن اختفائه في هذا التوقيت مصادفة عجيبة. إذا كان قد قُتل، ودعنا نفترض هذا، فهناك بالتأكيد مَنْ يعرف شيئاً عن الأمر".

حاول نيلسن أن يبدو متغطرساً. "أنا عن نفسي لن أقف مكاني منتظراً وحبل المشنقة حول عنقي...".

"أنا لا أقترح أن نقف ونتنظر".

أحسّ التاجر بالعمولة بالخوف. "وماذا إذن؟".

ابتسم بريتشارد. "لقد قلت إن هناك حبل مشنقة، حسناً، فلنتبع الحبل".

"تقصد موظف البنك؟".

"تشارلي فروست؟ ربما".

بدا الشك على نيلسن. "تشارلي ليس خائئًا، لقد فوجئ مثلنا جميعًا حين ظهر الكنز".

"من السهل ادعاء المفاجأة. وماذا عن الرجل الذي اشترى الأرض؟ كلينش مدير فندق جريديرون. لا بُدَّ أنه عرف بشكل ما".

هزَّ نيلسن رأسه. "لا يمكنني أن أصدق هذا".

"عليك أن تحاول".

قطَّب نيلسن. "على أي حال، كلينش لن يجني مليماً، فقد قدَّمت الأرملة التماسًا. الأرملة هي مَنْ يجب أن تقلق منها".

لم يكن لبريتشارد رأي بخصوص الأرملة. "ربما لن يجني كلينش مليماً من كروسبي ويلز. لكن ألم يؤجِّر ستينز الجريديرون لكلينش؟".
"ماذا تقصد؟".

"أقصد أن الشخص لا يحزن لوفاة دائنه".

احمرَّ وجه نيلسن. "كلينش لن يقتل أحداً. كلا الرجلين غير قادر على القتل. دعك من هذا يا چو! تشارلي فروست يا رجل؟ إنه جبان كفأر".

"ليس بإمكانك معرفة ما يقدر عليه أحدهم بمجرد النظر إليه. وبالتأكيد ليس بإمكانك معرفة ما اقترفه في الماضي".

"مثل هذا النوع من التَّكهُنَّات...". بدأ نيلسن حديثه، ثم تاه عن كيفية صياغة اعتراضه، فصمت ثانية.

نيلسن لم يعرف المنقَّب المختفي، إيميري ستينز، بشكل جيد على الإطلاق، رغم أنه في حالة سؤاله كان ليعلن العكس، فنيلسن يدَّعي القرب والحميمية إن وقَّـر له الادعاء الواجهة والثناء، وستينز رجلٌ من الطراز الذي يودُّ نيلسن ادعاء معرفة وثيقة تجمعهما. نيلسن

يحب أن ينبهر وأكثر مَنْ يبهره هم هؤلاء الذين يثيرون إعجابه لأقصى مدى. إيميري ستينز الممتلئ بالشباب واليقين كان بطبيعة الحال مدعاة للحسد. حين استدعاه نيلسن في عقله الآن لم يسعه إلا أن يوافق على رأي بريتشارد، من المستبعد أن يغادر ستينز هوكتيكا سرًا، بإرادته الحرة، وفي منتصف الليل. فمناجمه تحتاج صيانة وإشرافًا بصفة مستمرة، ويعمل لديه أكثر من خمسين موظفًا، غيابه يكلفه مالا ليس بقليل، وسيتراكم الدين مع كل يوم يمر. بريتشارد مُحِقُّ فيما يقوله، فالرجل إمَّا اختطف، وإمَّا قُتِل وأُخْفِيَتْ جثته بمهارة، وهو الاحتمال الأرجح.

المعلومات الحالية تفيد أن إيميري ستينز شوهد لآخر مرة قرب غروب شمس الرابع عشر من يناير، يسير في جنوب شارع ريفل متَّجِّهًا لمنزله. لا أحد يعلم ما حدث بعد ذلك. ذهب حَلَّاقه في الثامنة من صباح اليوم التالي إلى منزله فوجد الباب غير مغلق والسرير منكوشًا كما لو نام عليه أحدهم، لكن الموقد بارد. وكل المقتنيات الثمينة موجودة ولم تُمَسَّ.

وعلى حدِّ علم نيلسن، كان إيميري ستينز بلا أعداء. فهو بطبعه مرح ومنفتح، يتمتع بموهبة نادرة تجعله قادرًا على التصرف بكرم وبتواضع في نفس الوقت. كان غنيًّا جدًّا، لكن هوكتيكا تحوي الكثير من الأغنياء، معظمهم أقل منه لُطْفًا بكثير. صَغَر سِنُّه لم يكن مألوفًا بالطبع، وربما كان مثارًا للحسد من الرجال الأكبر في السن والأشد في خيبة الأمل، لكن إن كان الفتى قد قتل، فالحسد دافع ضعيف لفعل مثل القتل.

وبصوت عالٍ قال نيلسن: "ما الذي قد يدفع أي شخص للشجار مع ستينز؟ إن الفتى يُشْعُّ بالخط الحزن، يحوز لمسة الملك ميداس السحرية".

"الحظ ليس إحدى الفضائل".

"هل قتل من أجل ماله؟ ثم...".

مال بريتشارد للأمام. "لنترك ستينز جانبًا الآن. لقد فزت بحصة كبيرة من ثروة كروسبي ويلز".

التفت نيلسن لعقد البيع الأصفر أمامه على المكتب. "نعم، قلت لك، عشرة بالمائة عمولة على بيع ممتلكاته، لكن الآن وبعد اختتام الوصية فقد بطل البيع. ويجب أن أعيد كل ما كسبته. هذه الممتلكات ما كان لها أن تُباع".

لمس المستند بأصبعه، منذ أسبوعين، وعلى نفس هذا المكتب، وقّع عليه وعلى نسخة منه، وكم امتلاً بخيبة الأمل حين وقّع! فبيع ممتلكات شخص توفي في هوكيتيكا ليس عملاً مُربحاً، لكن أعماله ليست مزدهرة، وهو في وضع حرج. كثيراً ما يفكر أنه من العار أن يقطع نصف الكرة الأرضية مسافراً ليرى ثروته تتبدّد وحظه يزوي حتى أصبح ينبش عن الفتات تحت موائد الرجال الأوفر مآلاً وحظاً منه. كروسبي ويلز، الاسم المكتوب في الورقة، لا يعنيه على الإطلاق. كل ما يعرفه عنه أنه رجل وحيد، مسخ مُحطَّم يشرب كل ليلة حتى يغيب عن الوعي، ولا يحلم بشيء. وقّع نيلسن على المستند بمرارة، وبإرهاق. سيتحتم عليه استئجار حسان، والتضحية بيوم عمل، والركوب حتى الأراهورا المهجورة، ليفحص ممتلكات هذا المتوفي كأنه متشرّد يجرُّ شبكته في مصرف بحثاً عما يأكله.

ثم عثر عليها، لامعة، وثقيلة، وناعمة، محشورة في وعاء الدقيق، وصندوق البارود، وخزانة اللحم، والمنفاخ، والخزانة ذات الأدراج بقاعها المشروخ. وبلغت عمولته ما يزيد قليلاً عن الأربعمئة جنيه، وللمرة الأولى في حياته تجري النقود بين يديه. كان باستطاعته أن يرتّب حقائبه ويبحر إلى سيدني؛ كان باستطاعته أن يعود لوطنه؛ كان باستطاعته أن

يبدأ حياته من جديد؛ كان باستطاعته أن يتزوج. لكن لم يكن هناك فرصة ليتمتع بالنقود. اليوم الذي صرف فيه عمولته هو نفس يوم وصول السيدة ويلز؛ وخلال ساعات تمَّ إلغاء البيع والاختصام على الميراث، ووُضِعَت الثروة تحت حراسة البنك. وإذا تمَّ قبول الالتماس، وبالطبع سيتم هذا، سيتوجَّب على نيلسن أن يعيد عمولته بالكامل. أربعمئة جنيه! مبلغ أكبر ممَّا جناه في عام كامل. مرَّر أصبعه على حافة المستند وأحسَّ بطعنة من الغضب. وتمنى، كما تمنى كثيرًا في الأسبوع الماضي، لو يجد مَنْ يلومه على ما حدث.

هزَّ بريتشارد رأسه، لم يكن مهتمًّا بوصية المتوفَّى، ولا ببئودها القانونية. "دعك من هذا الآن، عُذْ بذاكرتك إلى الكوخ. لقد رأيت الثروة بنفسك".

ردَّ نيلسن بفخر. وقد منحته الذكرى بعض الهدوء. "إنه أنا مَنْ اكتشفها. يا لله! لو كنت رأيته، كمية إن فُرِدَت لصفائح يمكنها أن تكسو طاولة بلياردو كاملة بأرجلها. كمية كبيرة وثقيلة. وبريقها خلَّاب".

لم يبتسم بريتشارد. "قلت إنها لم تكن ذرَّات ولا قطعًا. هل هذا صحيح؟".

تنهَّد نيلسن. "نعم، هذا صحيح، كانت كلها سبائك".

أوماً بريتشارد رأسه وقال: "مصهورة ومسبوكة، وهذا يحتاج إلى معدَّات، وصنعة. إذن من الصائغ؟ إنه ليس ويلز".

صمت نيلسن. لم تخطر هذه الملحوظة على باله من قبل. لم تعجبه الثقة والكبرياء التي يعرض بها بريتشارد أفكاره، لكنه يعترف أن الكيميائي اكتشف بعض الصِّلات التي لم ينتبه إليها. وشدَّ نفْسًا من غليونه.

نيلسن لا يعرف الكثير عن كيفية سير العمل في حقول الذهب. لقد حاول التنقيب عن الذهب مرة واحدة، ووجده عملاً بائساً، حمل الماء في جرادل من وإلى النهر لغسل الحصى، صفع ذباب الرمل الزاحف على سترته حتى كاد يجن من الغيظ. وبعدها ألمه ظهره وأصابعه وظلت أقدامه متفخة ومتورمة لأيام. عاد بحصيلة كدّحه وكفاحه مربوطة في طرف منديله، فخضعت لضريبة، ثم ضريبة أخرى، ووضعت على الميزان وعاد عليه عن وزنها البالغ جزءاً بسيطاً من الأوقية خمسة شلنات لا غير، وأحسّ بخيبة أمل بلا حدود، هذا المبلغ بالكاد يغطي تأجير الحصان الذي يركبه من وإلى الأخدود. لم يجرب نيلسن حظّه ثانية. فهو بطبيعته وباختياره رجلاً من رجال عصر النهضة، معتاداً على العوائد السريعة في أي مجال يطرقه، وإن لم يتقن الأمر من المحاولة الأولى، تخلّى عن الحرفة بأكملها. (ولم يكن يخلو من الفكاهة حول عاداته هذه، وكثيراً ما حكى عن محاولته المبتسرة في أخدود هوكتيكا، مبالغاً في ذكر معاناته باستنكار مرح لبنيته الرقيقة - لكنه اختص نفسه فقط بهذا المنظور، وأحسّ بالحرج إذا تبنى شخص آخر نفس هذا الرأي، أو وافقه على ما يقوله).

النظرية التي يطرحها جوزيف بريتشارد منطقية إلى حدّ ما. لا بُدّ أن أحدهم، أو ربما أكثر من شخص، كان يعلم بأمر الثروة المخفية في كوخ كروسبي ويلز. فالثروة ضخمة، وبيع الأملاك تمّ بدرجة من السرية والسرعة تلفت الأنظار. بالإضافة لقنينة المخدر التي وجدها قريبة من الجثة والتي تشير إلى أن أحدهم (ربما نفس الشخص الأول) كان في الكوخ قبل الوفاة مباشرة أو بعدها مباشرة، وربما بنية الأذى. قنينة المخدر تخصّ بريتشارد، تمّ شراؤها من متجره وعليها مُلصّق مكتوب بخط يده؛ ممّا يدلّ على أنها تخصّ أحد قاطني هوكتيكا، المسافرين باتجاه الشمال، وليس أحد الغرباء المتجهين ناحية الجنوب.

وهذا يستبعد السادة المحترمين الذين عثروا على جثة كروسبي وأبلغوا المدينة بخبر وفاته.

اتفق نيلسن بينه وبين نفسه مع بريتشارد في الشك في مشتري التركة، إدجار كلينش، وكذلك موظف البنك، فروست. إنه لا يشك في أن لهم علاقة بمقتل إيميري ستينز كما يعتقد بريتشارد، لكنه يرى أن كلينش تصرف بناء على نصيحة من أحدهم بأنه من مصلحته أن يشتري ممتلكات كروسبي ويلز بأسرع ما يمكن، وأيًا كان مصدر تلك النصيحة، فلا بُدَّ أنها وصلت لعلم تشارلي فروست. ويرى أيضًا أن تورطه هو بالصفقة، رغم صفاء نيته، يبدو مريبًا بكل تأكيد في عيني شخص محايد بعيدٍ عن الأمر، فيلسن بطبيعة الحال هو من اكتشف الثروة، وقد سجَّل قنينة المخدر في دفتره مع كل ما عُثِر عليه (فقد أعدَّ قائمة بما يمكن بيعه)، وقد ربح من هذه الصفقة أربعمئة جنيه.

ولم يقتنع نيلسن بهذه الافتراضات (التي هي في معظمها شكوك وانطباعات). قال بريتشارد إن اختفاء إيميري ستينز ليس مصادفة، وهذا مجرد افتراض؛ وقال إنه قُتل، وهذا مجرد تخمين؛ وقال إن جثة ستينز دُفِنَتْ في قبر ويلز، وهذا مجرد استنتاج؛ وقال إن النزاع القانوني على تركة ويلز مخطَّط للتستر على ما حدث، كخدعة. وهذه الفكرة الأخيرة بالذات أحسَّها نيلسن محض خيال. بريتشارد لم يستطع تفسير وجود قنينة المخدر، ولم يستطع تقديم دافع واحد، ولا متهم واحد... ورغم ذلك لا يستطيع التاجر بالعمولة نفي تلك الافتراضات بالكامل، رغم نفوره البالغ من أسلوب الرجل في الحديث.

نيلسن ليس كالكيميائي، لا تسكره نشوة التنقيب في الأعماق، ليس كضيفه مهووسًا بالبحث عن الحقيقة. بريتشارد يصير غريبًا جدًا حين يتحدث عما يحبه، عن المُرْكَبات التي يصنعها ويتذوَّقها تحت سقف

معمله المنخفض، العجائن والمساحيق التي يشتريها ويبيعها لزبائنه في أوعية معتمدة. وكعادة نيلسن في الهروب من مشاعره الصعبة بالبحث عمّا لا يناسب ذوقه الجمالي فكّر في أن بريتشارد فيه بعض البرود، والقسوة.

وأخيراً، وبضيق ينتابه دائماً إذا ما غلبت حجة رجل آخر حجّته، أخرج نيلسن غليونه من فمه وقال: "ربما يعرف ويلز أحد الصاغة في البنك المركزي. كيلارني مثلاً، أو صائغاً في إحدى الشركات...".

خبط بريتشارد المكتب بكفّه، كان في انتظار تخمين خاطئ من نيلسن، ومستعدّاً بالرد. "لا، أراهنك على أن الصائغ هو أحد الصينيين. المعبد الصيني في كاواراو مزدحم بهم، رجال بلا تصاريح يتبادلون رخصة تنقيب واحدة فيما بينهم. لا يمكن لأحد أن يميّز بعضهم عن بعض لا في الشكل ولا في الاسم، خاصة إن خرج من فمهم. كلهم يعملون بشكل مستقل. لو أنه استعان بإحدى الشركات فإن الأمر سيدو...".

قال نيلسن بأمل في أن يصحّ تخمينه: "أفضل؟".

"على العكس. حين يضطر الشخص لإخفاء آثار أقدامه، حين يدخل من مدخل الخدم، بدلاً من الباب الرئيسي كما تعود، حينها سيبدأ في أخذ احتياطاته والتضحية ببعض الأشياء، أتفهمني؟ إن رجلاً يتبع إحدى الشركات سيتحمّم عليه أن يواجه كل عساكر الشطرنج، وكل عناصر المنظومة. لكن رجلاً مستقلاً يمكنه أن يتعامل مع الشيطان مباشرة دون إضاعة وقت أو طاقة".

خفض نيلسن بصره إلى عقد البيع. كم يكره التعبيرات التي يستخدمها بريتشارد.

بريتشارد: "تذكر ما أقوله، مسبك الذهب في الحي الصيني. هناك رجل اسمه كيني يعمل في سبك الذهب".

رفع نيلسن بصره. "هل ستتحدث معه؟".

الكيميائي: "في الحقيقة كنت أتمنى لو تتحدث أنتَ معه. هناك خلاف بيني وبين الشرقيين حاليًا".

"هل يمكنني أن أسأل عن السبب؟".

بريتشارد: "مجرد مشاكل في العمل. أسرار التجارة. والأفيون. ورفع يده وأسقطها على حجره".

قطب نيلسن. "أتجلب أفيونك من الصين؟".

بريتشارد: "بالطبع لا، من البنغال". ثم تردّد للحظة. "إنه أمر شخصي، بخصوص القاهرة التي كادت تلقى حتفها".

نيلسن: "آنا، أنا ويذريل".

عبس بريتشارد، لم يكن يريد أن يذكر اسمها. وأشاح برأسه وظل يراقب قطرات المطر تكبر وتتجمع تحت حافة النافذة الزجاجية ذات الدرف المنزلة.

خلال لحظة الصمت الذي سبقت استئنافه لكلامه، ذهل نيلسن من فكرة أن الكيميائي ربما يكون يحبها، آنا ويذريل، القاهرة. فُكر في الأمر، مستمتعًا بالتفكير فيه. فالفتاة ذات حُسنٍ غير عادي، تتحرك بخمول ضجر وفتّاك، كأنها بجعة متدمّرة، لكن بالنسبة لنيلسن فطباعها المتقلبة، وجمالها الباهر لا يناسبان ذوقه في النساء (وفي الحقيقة لم يكن نيلسن ليصفها بالجميلة، إنه يخضّ العذاري والملائكة بهذه الصفة). كما أنها مدمنة للأفيون، وهذه العادة قد أضفت على ملامحها ضبابًا لا ينقشع، وعلى سلوكها إرهابًا بلا نهاية، كان إدمانها مذمومًا، والآن فقد أضيف إليه محاولة انتحار. رأى نيلسن أنها تمثّل طراز الفتيات اللاتي قد يحبهن بريتشارد. فسوف يجمعهما الظلام، ويكون لقاؤهما محمومًا ومشؤومًا.

وهنا أخطأ التاجر بالعمولة في ظنّه. فظنون نيلسن كلها تستمدُّ الدليلَ على صحتها من نفسها، فهو يميل لتفضيل الدليل الذي يتّسق مع مبادئه، ويميل بنفس القدر للتمسك بالمبادئ التي تسبغ على نفسها الدليل. وكثيراً ما تحدث عن الفضائل؛ ممّا رسم عنه الانطباع بأنه شجاع ومتفائل بطبعه. لكن إيمانه بالفضائل مرتبط بممارسة أقل مرونة من التفاؤل. وهي حُسن الظن، وحُسن الظن صفة عشوائية، وكان نيلسن مُعتدّاً بذكائه لدرجة لا تسمح له بالتسليم لقوة الافتراضات. وداخل عقله أضاف طبقة حامية للتماثيل الزجاجة للمبادئ السامية، وأحب أن يمعن النظر فيها، ويتعجّب للمعانها. لكنه لم يفكر يوماً في أن ينزلها من مكانها فوق الرفوف المنحوتة من خشب البلوط ويحسّ بها بين يديه. لقد استنتج أن بريتشارد مُغرّمٌ لأنه استمتع بفحص الأمر والتمحيص فيه، وبعد هذا كله عاد إلى معتقداته القديمة التي يؤمن بها منذ البداية؛ أن بريتشارد شخص شاذّ، وأن أنا لا خير فيها، وأن المرء يجب عليه أن لا يحب عاهرة.

بريتشارد: "نعم، إنهم غاضبون مني. الشاب الصيني الذي يدير وكر كانير، وهو يدعى أه سووك، بعد عثورهم على العاهرة في حالة سيئة، ذهب إلى توم بالفور وهو مستاء جداً. وطلب من توم أن يريه سجلات الشحن الخاصة بي، كان يريد أن يفحص آخر شحنة أتت لحسابي".

سأل نيلسن: "ولماذا لم يأت لك مباشرة؟".

هزّ بريتشارد كتفيه. "لأنه يظن أنني أخطط لأمر ما".

"هل اعتقد أنك سممتها عن عمد؟".

"نعم". وأشاح بريتشارد بوجهه مرة أخرى.

حثّه نيلسن. "حسناً، وبماذا ردّ توم؟".

"لقد أطلع أه سووك على سجلاتي ليثبت له أنني بريء".

"سجلاتك نظيفة؟".

ردّ بريتشارد باقتضاب: "نعم".

لاحظ نيلسن أنه أهان ضيفه، وشعر بدفقة بغیضة من البهجة. فقد بدأ يستاء من فكرة تورطهما واعتبارهما شركاء في التآمر، إذا (أو متى) سلّط الضوء على احتمالية تعرّض إيميري ستينز للقتل، وبدا له أن بريتشارد متورط في هذا الأمر بدرجة أكبر منه بكثير. فنيلسن لا علاقة له بالأفيون، ولن يكون له علاقة به. فهذا العقار سُمٌّ، لعنة، ويحوّل الرجال إلى حمقى.

وضع بريتشارد إصبعه على المكتب. "اسمعني، عليك أن تتحدث مع كيي. كنت لأتحدث معه بنفسي إن استطعت، لقد ذهبت إلى الوكر، لكن سووك لم يُعِدْ يطيقني. كيي طيب، وشريف. اسأله عن الثروة، عمّا إن كان هو مَنْ سبكها، وإن حدث وكان الأمر كذلك، اسأله لِمَ ظَهَرَتْ في كوخ ويلز. يمكنك الذهاب لسؤاله عصر اليوم".

تضايق نيلسن بسبب تلقّيه للأوامر بتلك الطريقة، "لماذا لا تسأل كيي بنفسك. فمشكلتك ليست معه، مع الرجل الآخر".

"أنا تحت الأنظار، اعتبرني أحاول البقاء بعيداً عن الأضواء".

اعتبره نيلسن شيئاً مختلفاً بينه وبين نفسه. ودفع المستند الأصفر بعيداً عنه، كأنه يحتمي خلف المشاكسة. "وماذا بحق السماء سوف يحمل أحد الصينيين على التحدث معي؟".

بريتشارد: "لأنك محايد، لم تفعل أي شيء يضايقهم، أليس كذلك؟".

شدّ نيلسن نَفْسًا من غليونه، كادت أوراق التبغ تصبح رماداً. "الصينيون؟ لا".

"أضِف كلمة أه قبل الاسم، أه كيي. أه تعني السيد في لغتهم". صمت بريتشارد للحظة متفحّصًا نيلسن، ثم أضاف، "فكّر في هذا. إن كان هناك مَنْ يحاول أن يلفق لنا تهمة، فرما يلفقها له أيضًا".

طُرق الباب، ودخل الموظف وقال إن جورج شيبرد موجود في المكتب الخارجي ينتظر مقابلة نيلسن.

اضطرب نيلسن قليلًا، وألقى بنظرة خاطفة لبريتشارد. "جورج شيبرد السّجّان؟ هل أخبرك بموضوع المقابلة؟".

ردّ الموظف: "يقول إنه بخصوص بعض الأعمال المربحة للطرفين. أدّعه يدخل؟".

وقف بريتشارد على الفور. "سأنصرف الآن. هل ستبحث عن كيي؟ أرجوك أن تفعل".

تذكّر نيلسن غداءه، وناداة النان باريل. "أأذهب حتى كانيير؟".

بريتشارد: "إنها مسافة ساعة مشي على الأقدام. وتأكّد من أنك تتحدث مع الشخص الصحيح، الرجل المنشود قصير نوعًا ما، ورفيع جدًّا، وحليق الذقن؛ وستميّز كوخه من مدخنة فرن الصهر. سأنتظر رسالتك". وانصرف بريتشارد في الحال.



بدا مكتب نيلسن أصغر من أن يتّسع لهيكل جورج شيبرد الضخم الجامد. وأحسّ تاجر العمولة بنفسه ينكمش في كرسيه، وليعوّض هذا الإحساس قفز واقفًا ومدّ يده صائحًا، "سيد شيبرد، تفضّل، تفضّل. لم يسعدني الحظ بعد بالتعامل معك، أتمنى أن أكون في خدمتك في المستقبل القريب. تفضّل بالجلوس".

ردّ شيرد وهو يجلس، "أنا بالتأكيد أعرفك". وحين رأى غليون نيلسن مشتعلًا مدّ يده في جيبه وأخرج غليونه. مدّ نيلسن يده فوق المكتب بكيس التبغ وأعواد الكبريت، تلت هذا فترة صمت قصيرة ملأ فيها شيرد غليونه بالتبغ وكبسه جيدًا وأشعل عودًا من الكبريت، غليونه كان قصيرًا مصنوعًا من خشب الورد بحلية أنيقة من العنبر بين المبسم وساق الغليون. ونفخ عدة أنفاس حتى اطمأن لاشتعال التبغ، ثم أسند ظهره لمقعده وألقى نظرة فاحصة إلى يساره ثم إلى اليمين، كأنما يودُّ ضبط نفسه في جلسته مع أبعاد الحجرة.

"من سمعتك". أتمّ شيرد جملة، فهو من الرجال الذين يُتّمون دائمًا ما يقولونه ما دام بدأ بتجميع أفكاره. نفخ ملء فمه من الدخان. "ما اسم ذلك الرجل الذي غادر للتو؟".

"اسمه چو بريتشارد يا سيدي، چوزيف، لديه متجر لبيع الأدوية في شارع كولينج وود".

"بالطبع".

صمت شيرد مفكرًا فيما جاء بشأنه. ضوء النهار الشاحب الهابط مائلًا عابرًا مكتب نيلسن جمّد دوامات دخان الغليون المعلقة فوق رأسه، وقفت الخيوط الملفوفة في الهواء، فبدت كبلورات معدنية تحتضن عرق ذهبٍ ملتويًا وتعرضه للعيان. وانتظر نيلسن، مفكرًا، إن حدث وتمّت إدانتني، فهذا الرجل سيصبح سجاني.

قوبل خبر تعيين چورچ شيرد مديرًا لسجن هوكتيكا بالقليل من الاعتراض من الرجال الذين يعيشون وينقّبون عن الذهب في المنطقة الواقعة تحت سلطته القانونية. شيرد شخص بارد ومهيّب، بطيء الحركة بطريقة تبرز منكبيه العريضين وذراعيه المفتولتين. خطواته حين يمشي واسعة وجادة. وصوته إن تحدث (ونادرًا ما تحدث) يخرج عميقًا وفخمًا. سلوكه خالٍ من المرح ولا يثير الإعجاب، لكن في مهنته

تعدُّ حَذَّةُ الطبع فضيلةً، كما أجمع المصوِّتون على أنه لم يتم أبداً اتهامه بالتحامل ولا بالتَّحِيْز.

وإن طالت الإشاعات الفارغة شيرد فهي عادة مجرد تكهُّنات موضوعها علاقته بزوجه. فالحياة بينهما بدت كأنها تجري في صمت تام، بتصميم شرس من ناحيته، وتحفُّظ خائف من ناحيتها. كانت المرأة حين يسألونها عن اسمها تهمس، السيدة جورج. وبدت دائماً تائهة ومرعوبة كحيوان مُعذَّب يرى قفصاً أينما ولى وجهه، وينكمش من أي مفاجئة. نادراً ما خرجت السيدة جورج خارج باب السجن، وفي مرات ظهورها العلني النادرة، شوهدت تمشي محمّرة الوجه بصحبة شيرد في شارع ريفل. وقد مرّت أربعة أشهر على وجودهما في هوكتيكا قبل أن يعرف أحد اسمها، مارجريت، لكنها اعتبرت مناداتها باسمها في وجودها إهانة رهيبة ردّها الوحيد عليها هو أن تلوذ بالفرار.

أسند شيرد يده القابضة على بطن غليونه إلى صدره وبدأ الحديث. "أتيت لمقابلتك في بعض الأعمال يا سيد نيلسن. سجننا الحالي ليس أفضل حالاً من زريبة، من حظيرة حيوانات. الإضاءة شحيحة، والتهوية سيئة. لأغراض التهوية نضطر لفتح الباب وربطه بسلسلة وأجلس وبنديقتي على ركبتني خلف الباب. إنه غير منيع. نحن لا نملك ما يمكّننا من التعامل مع سجناء أكثر خطورة، وجرائم أكثر تعقيداً. مثل القتل، على سبيل المثال".

نيلسن: "حقاً، نعم، بالطبع".

استأنف شيرد بعد توقف قصير: "اعذرني لتشاؤمي، فأنا أرى هوكتيكا توشك على مواجهة زمن عصيب. هذه المدينة على أعتاب عهد جديد. وفي التلال لا يزال المنقّبون يتعاملون بما جرى عليه العُرف بينهم، ويسمّونه قانون المنقّب، وبالنسبة لكانتربري نحن

مجرد منطقة نائية معزولة، لكن في القريب سنكون جوهرة تاجها. فسوف تستقل الأراضي الغربية، وستزدهر هوكتيكا، لكنها في صعودها لا بُدَّ أن تصلح حالها".

"تصلح حالها؟".

شبيرد: "المتوحش والمتمدن".

"أتقصد السكان الأصليين؟ قبائل الماوري؟".

تحدث نيلسن بلمسة من الاشتياق؛ فهو يحمل شوقاً رومانسياً لما يسميه "الحياة القبلية". حين عبرت قوارب الماوري القوية اللامعة أخدود بولر، ولمحهم من بعيد، جمده الانبهار. بدا المحاربون مرعبين، بنسائهم اللائي لا يمكن تمييزهن، وأزيائهم المخيفة البدائية. اجتاحه إحساس أقرب إلى الخوف منه إلى الاحترام. لكنه أحب الرجوع لهذا الخوف. وفي الحقيقة فإن ما حثَّ نيلسن للإبحار إلى نيوزلندا هي صدفة جمعته ببَحَّار ميسور الحال قابله في فندق على طريق سفر بالقرب من ساوثهامبتون. تحدث الرجل بفخر (وبدون صدق، كما اتضح فيما بعد) عن اللقاءات التي جمعته بأهل بحار الجنوب البدائيين. كان بحاراً هولندياً بسترة قصيرة لا تصل لخاصرته. في رحلاته قايض المسامير الحديدية بحبوب الكاكاو؛ وترك نساء الجزيرة يضعن أيديهن على جلد صدره الأبيض؛ وفي إحدى المرات أهدي لأحد فتيان الجزيرة رباطاً مجدولاً. (وسأله نيلسن: "وما هو الرباط المجدول؟" ردَّ الرجل، "رأس تركي"، وتبيَّن أنها رباط للشعر مصنوع من الخيوط المجدولة على شكل زهرة، ورسم الرجل لنيلسن شكل الزهرة المجدولة في الهواء).

هزَّ شبيرد رأسه ردّاً على ملحوظة نيلسن. "لا أعني السكان الأصليين، أعني الأرض نفسها. التنقيب عن الذهب عمل قذر؛ فهو

يجعل الرجال تفكر كاللصوص. وطبيعة الأرض والطقس صعبة لدرجة تجعل حال المنقّبين أسوأ".

"لكن يمكن أن يتم التنقيب بشكل متحضّر".

"ربما، بعد أن تنضب الأنهار ويفسح المنقّبين المجال للسدود والجرافات والمناجم المملوكة للشركات، بعد أن تُقطع أشجار الغابات، ربما يحدث هذا حينها".

قطّب نيلسن. "ألا تؤمن بقوة القانون؟ الأراضي الغربية على وشك أن يكون لها مقعد في البرلمان".

شيبرد: "أرى أنك لم تفهمني، أسمح لي أن أحاول مرة أخرى؟".
"بكل تأكيد".

بدون أن يغيّر السّجّان جلسته، ولا نبرة صوته، بدأ حديثه على الفور. "حين يتواجد نظامان للعدالة في نفس الوقت، سيستخدم الناس أحدهما ليطعنوا في الآخر. فكر في رجلٍ يظن أنه من الحق والعدل أن يرفع دعوى على عاهرته في محكمة الجنج، وينتظر تطبيق القانون عليها وإعفائه هو من القانون. فيتم رفض الدعوى وربما يتم اتهامه بمرافقة الفتاة. فيصبُّ لومه على القانون وعلى الفتاة في نفس الوقت. فالقانون لا يتماشى مع إحساسه بما له وما عليه كمنقّب، فيتولى تطبيق القانون بنفسه ويخونها. في الماضي كان الرجل يحلّ مشاكله بيديه وفي التو واللحظة، هذا هو قانون المنقب. ربما ماتت العاهرة، وربما نجت، في كل الحالات كان الرجل يتصرّف بنفسه وكما يحلو له. أما الآن فهو يحسُّ أن حقّه في المطالبة بالعدل أصبح مهدّدًا، وهو يتصرف بناء على هذا. فغضبه مضاعف، ويسعى للتصرف بناء على هذا الغضب المضاعف. أنا أرى نماذج من هذا النوع كل يوم".

رجع شيرد بظهره في مقعده ووضع غليونه في فمه، كان رصيناً في سلوكه، لكن عينية الشاحبتين مثبّتان على مضيفه.

لا يضيع نيلسن فرصة فتح نقاش نظري. "نعم، لكن، وبناء على ما تقول، أنت بالتأكيد لا تدعو لتطبيق قانون المنقّب؟".

قال المدير شيرد بهدوء: "قانون المنقّب بدائي ووضيع. نحن لسنا متوحشين، نحن أناس متحضّرون. أنا لا أرى القانون قاصراً؛ أنا فقط أشير إلى ما يحدث حين يلتقي المتوحش مع المتمدن. منذ أربعة أشهر كان الرجال والنساء في سجنني من السكارى وصغار اللصوص. والآن أرى السكارى وصغار اللصوص مليئين بالسخط، والإحساس بالجدارة والاستحقاق، ويتحدثون باستقامة وورع، كأنما قد أدينوا ظلماً. وهم غاضبون لذلك".

نيلسن: "لكن، بعد أن قُتلت العاهرة، بعد أن تصرف المنقّب بناء على غضبه. من المؤكد أن القانون المتمدن سيدين هذا الرجل، من المؤكد أنه في النهاية سيلقى جزاءه".

ردّ شيرد: "ليس إذا التّفّ حوله رفاقه، للمحافظة على حقوقه كمنقّب. حين يحسّ الرجل أن قانونه الخاص قد أهين يتمسّك به كأشد ما يمكن، وليس هناك ما هو أكثر وحشية من عصبية من الرجال الغاضبين. لقد كنت سجّاناً لمدة ستة عشر عاماً".

رجع نيلسن في مقعده. "نعم، فهمت مقصدك؛ إنها تلك الفترة التي تحمل الخطر، فترة الغسق ما بين أفول العالم القديم وبزوغ العالم الجديد".

قال شيرد: "لا بُدّ من إنهاء العالم القديم، أنا لن أتحمّل العاهرات، ولا من يتردّدون عليهن".

سيرة حياة شيرد (وهي إن حدث وكُتبت، ستكون حكاية عن حياة جامدة، مليئة باللوم والتقريع، وشحيحة في إنفاق النقود) خالية من الفصل الذي ينغمس فيه بطلنا الشاب في ملذّات الجسد؛ فمنذ زواجه وخياله لم يستحضر سوى قوام السيدة چورچ المربّع بأبعاده العادية جدًّا، وبإيقاع أيامها المتكرر لدرجة أن بإمكانه ضبط ساعة جيبه عليه. كان شيرد نزيه السلوك طول عمره، وترتّب على ذلك انكماش قدرته على التعاطف الإنساني. ومهنة آنا ويزريل لا تستهويه على الإطلاق، وليس لديه من طفولته ذكريات لمشاعر من العطف أو الارتباك تجعله ليناً فيما يتعلق بحساسية مهنتها؛ حين ينظر إليها لم يكن يرى إلا مجلّدًا من الطيش، وعقلًا غير مستقر، واحتياجًا حادًا للأمل. لم يندهش من محاولة إحدى العاهرات الانتحار، ولم ير الأمر مُحزنًا؛ ففي هذه الحالة بالذات ربما يكون الموت رحمة. فالآنسة ويزريل تعيش تحت رحمة الأفيون، المخدّر الذي يلعب دور الخادم للملوك البُلّهاء، وستظل إلى الأبد تحرس العرش الذي يرفعها إليه الأفيون بكل ما أوتيت من قوة.

ومن العدل أن نذكر أنه من بين الفضائل السبع يميل شيرد إلى الأربعة فضائل الأساسية. وفضيلة المغفرة قد نمت إلى علمه، بصفقتها فضيلة دينية لا بُدَّ من معرفتها وطاعتها. ونحن لا نقصد التقليل من التزامه الديني بذكرنا أن المغفرة فضيلة لا بُدَّ على المرء أن يطلبها لنفسه أولاً حتى يتعلم كيف يمنحها لغيره. وشيرد طيلة حياته لم يضطر لطلب المغفرة. لقد صلّى من أجل روح الآنسة ويزريل، كما صلّى لكل النساء والرجال الذين يتولى حراستهم، لكنها صلاة نابعة من الإحساس بالواجب، وليست نابعة من الأمل. إنه يؤمن بأن الروح تسكن الجسد؛ وبالتالي فإن تدنيس الجسد هو عدوان على الروح، وتبعًا لهذه القاعدة الدينية فقد ضلّت العاهرة سواء السبيل، وآنا ويزريل التي يبدو جليًا عليها سوء التغذية، وسوء المعاملة، كانت

صورة للتعاسة لم ير مثلها في حياته. إنه لا يتمنى هلاكها، لكنه بينه وبين نفسه يؤمن باستحالة نجاتها.

مصير الأنسة ويذريل الديني، والطريقة التي حاولت بها تقرير هذا المصير للأبد؛ كل هذا لا يثير اهتمامه؛ تمامًا كما لا يثير مظهرها اهتمامه. وفي هذا يختلف شيرد عن معظم رجال هوكتيكا، الذين (كما سيحكي چاسكوين لمودي، بعد سبع ساعات من الآن) كانت أنا موضوع حديثهم لمدة أسبوعين. وحينما يتعبون من الحديث عن مظهرها، يتحدثون عن محاولتها للانتحار، ويظل الحديث ممتدًا لفترة طويلة.

وانطفأ غليون نيلسن. فخطه على سطح المكتب ليفرغ الرماد ثم بدأ يعبئه. فكَّ رباط كيس التبغ بيده الأخرى. "أعتقد أن أليستار لودرباك ينوي تغيير الأمور، هذا بالطبع إذا تمَّ انتخابه".
لم يجب شيرد على الفور. "هل تتابع الحملات الانتخابية؟".

نيلسن المنشغل بكيس التبغ لم يلحظ تردُّد ضيفه. حين دخل السَّجَّان عليه كان نيلسن خائفًا ومتحفِّظًا، لكنه نادرًا ما يبقى مرتبِّغًا لوقت طويل. النظرية القانونية التي طرحها شيرد أثارت عقله، وأرضته، فاستعاد زمام نفسه. واستغراقه في طقوس تعبئة غليونه - ملمس خيوط كيس التبغ الجلدية التي رققها الاستخدام ومرور الأيام، وأوراق التبغ الجافة - أعاد حواسه لطبيعتها. فردَّ بدون أن يرفع رأسه: "نعم، بالطبع، أنا أقرأ الخطب كل يوم بانتباه شديد. لودرباك موجود الآن في هوكتيكا، أليس كذلك؟".

شيرد: "نعم".

فرك نيلسن قليلًا من التبغ بين أصابعه. "أعتقد أنه سيفوز بالمقعد. ليتلتون تايمز تقف وراءه".

"هل تراه رجلاً صالحاً؟".

نيلسن: "إنه يعد بحفر أنفاق وإنشاء سكك حديدية، أليس كذلك؟
والتقدم، والتحضُّر، وما إلى ذلك. لقد خطر لي أن طريقة تفكيرك
متَّسِقة مع حملة لودرباك". وأشعل عودًا من الثقاب.

فتح شيرد فمه ليرد، ثم تردَّد. "أنا لست معتادًا على التحدث
عن آرائي السياسية مع الآخرين إلا إذا دُعيتُ لذلك يا سيد نيلسن".
هزَّ نيلسن ثقبه مطفئًا إيَّاه وقال بأدب: "تفضَّل".

هزَّ شيرد رأسه الضخم الشاحب. "إن سمحت لي فيأني أؤيِّدك في
اعتقادك أن لودرباك سيفوز بمقعد البرلمان، وأيضًا بمنصب المشرف
العام؛ فهو يتمتع بشخصية قوية، وعلاقاته بالقضاء وبمجلس المقاطعة
دليل على شخصيته وإمكاناته".

قاطعه نيلسن، الذي كان معتادًا على التحدث عن آرائه السياسية
مع الآخرين، والذي نسي للحظة أنه منح ضيفه الفرصة لشرح وجهة
نظره. "وهذا بالنسبة له إعادة انتخاب، إنه وجه مألوف".

شيرد: "وجه مألوف في دائرته الخاصة، فولاؤه لكانتربري، وأنفاقه
وسككه الحديدية - كما سبق وذكرت - هي نفق ليتلتون ومشروع
السكة الحديدية المتوقع إنشاؤه بين كريست تشيرش وديونندن.
وبصفته المشرف العام سيكون عليه تحويل كل الأموال التي لم
يتمَّ ربطها وتخصيصها لمشاريع أخرى إلى ذلك النفق وتلك السكة
الحديدية، للوفاء بوعود حملته الانتخابية".

نيلسن: "ربما تكون مُحِقًّا بخصوص منصب المشرف العام، لكن
بالنسبة لمنصب النائب، فسيكون نائبًا عن الأراضي الغربية".

شيرد: "لودرباك نائب عن الأراضي الغربية أمام الكتلة الانتخابية التي يريد أصواتها، أنا لا ألومه على هذا، بل إنني سأصوت له، لكن يا سيد نيلسن، هو لا يعرف شيئاً عن حياة المنقّبين".

بدا أن نيلسن يستعدُّ لمقاطعته مرة أخرى، فرفع شيرد صوته قليلاً وأكمل: "وهنا يصل بنا الحديث إلى الأمر الذي حضرت بشأنه. لديّ موافقة من المفتش العام على البدء في تشييد سجن جديد، بعيداً عن مخيم الشرطة، على المرتفع الواقع شمال المدينة. هل تتذكر طريق هوكتيكا الذي تمّ تشييده بأيدي السجناء؟ أنا أنوي أن أصنع بالمثل، سأستخدم السجناء في بناء السجن في سي فيو".

اتّسقت تلك الفكرة مع إحساس نيلسن بالثواب والعقاب، فابتسم.

وأكمل شيرد: "ولكن، وكما لاحظت بالفعل، فإن أليستار لودرباك يركّز على المواصلات، وفي خطابه للمجلس ناقش مميزات فكرة استخدام السجناء في تشييد وصيانة طريق كريست تشيرش. فالطريق المار عبر جبال الألب لا يزال وعراً، لا يصلح لراكبي الجياد، فما بالك بالعربات".

سأل نيلسن: "هل المشرف العام هو صاحب القرار في هذا الشأن؟ أليس من حقك أن تكلف سجناءك بالعمل؟".

شيرد: "للأسف لا، من حقي أن أحرسهم فقط".

دخل الموظف حاملاً القهوة على صينية خشبية. كان شديد الحماسة، فقليل ما استقبل نيلسن ضيوفاً، وليس أي ضيوف، بل ضيوف مشهود لهم بالسمعة الغامضة مثل بريتشارد (المشهور بفضل أفيونه)، وشيرد (المشهور بفضل زوجته). صَفَّ الموظف إبريق القهوة والفناجين على الصينية بعناية ورفعها عاليًا وخطا مستقيم الظهر بكوعيه مثنيين. أوماً نيلسن مستحسنًا، فليس من عادتهما أن يقدم الموظف القهوة لرئيسه، لكن نيلسن سعد بأثر مثل هذا المشهد

على ضيفه. وضع الموظف الصينية على الطاولة الجانبية وبدأ يصبُ القهوة. تمنى أن يستأنف الرجلان حديثهما أثناء وجوده في الغرفة، فحاول التآني فيما يفعله، ووخزه الندم حين رأى حَبَّات الشيكوريا التي أضافها لمسحوق القهوة بغرض التوفير تطفو على سطح المشروب، فأفسدت طبقة الحبيبات القبيحة كل جهود ادِّعاءته.

أتى صوت شيرد من خلف الفتى: "بالمناسبة يا سيد نيلسن، ماذا تعرف عن إميري ستينز؟".

ساد الصمت لبرهة، ثم أجاب نيلسن: "أعلم أنه مفقود".

شيرد: "نعم، إنه مفقود، لم يشاهده أحدٌ منذ ما يقرب من الأسبوعين، وهذا غريب جداً".

نيلسن: "أنا لا أعرفه جيداً".

شيرد، "حقاً؟".

"هو من معارفي، لكننا لسنا أصدقاء".

"آه".

بدا نيلسن على وشك أن يكحّ، ثم انفجر قائلاً: "هل انتهيت يا ألبرت؟".

وضع الموظف إبريق القهوة.

"هل أترك الصينية يا سيدي؟".

نيلسن: "نعم، نعم، ثم اخرج، بحق السماء".

انتزع الفنجان المقدَّم إليه ووضعه أمامه بجلبة، مُسبِّباً ارتفاع وانسياب موجة صغيرة من القهوة في طبق الفنجان. قدم الموظف فنجان شيرد له فلم يتحرك من مكانه، وأشار إلى المكتب أمامه بدون كلمة.

حين أغلق الموظف خائب الرجاء الباب خلفه قال شيرد: "سأخبرك بصراحة، أنا أنوي البدء في أعمال بناء السجن فوراً، قبل الانتخابات، بحيث يكون العمل قد بدأ بالفعل حين يصل لودرباك لمنصبه الجديد. أعلم أن هذا قد يبدو للبعض وكأنني أعيق نجاح حملته. لقد أتيت إليك بخصوص هذا الأمر، ملتمساً مساعدتك فيه، وكتمانك له".

بحذرٍ قال نيلسن: "ما الذي تحتاجه؟".

مدَّ شيرد يده في صدره وأخرج بعض الأوراق. "أحتاج مواد البناء، وربما عشرة أو عشرين عاملاً لبدء حفر الأساسات. أنا أعرض عليك تولّي العمل مقابل نسبة العمولة المتعارف عليها. لقد تمَّ شراء الموقع بالفعل، والحصول على الموافقة. وها هو التصميم المعماري".

تناول نيلسن الأوراق من يد شيرد العملاقة وفَرَدَها. "هل هذا أصل الأوراق؟ أم نسخة؟".

شيرد: "الأصل، لا توجد نسخة، أنا أحتفظ بهذه المستندات معي دائماً".

وافقه نيلسن ومدَّ يده لنظارتته. "بالطبع".

وأكمل شيرد: "ما جعلني آتي إليك، ولا أذهب لكوشران، أو موريسون، أو أي شخص آخر في المجال حتى وإن كانت أعماله حالياً -وأرجو ألا تؤاخذني- أفضل حالاً منك، يعود في جزء منه إلى ما هو معروف عنك من الكفاءة".

رفع نيلسن بصره.

شيرد: "اسمح لي أن أتحدث بصراحة. أعلم أنه من غير اللائق أن أتحدث في هذا الأمر؛ لذلك سأحاول أن أكون لَبِيقاً قدر المستطاع. لقد نما إلى علمي أنك ربحت بضع مئات من الجنيهات من جرد وتصفية أملاك كروسبي ويلز".

حاول نيلسن التحدث لكن شيرد رفع يده ليوقفه.

"لا تورط نفسك بالحديث قبل أن تسمع ما لديّ. سأخبرك بما أعرفه بالضبط. لقد أتت جُثة الرجل إلى مخيم الشرطة قبل دفنها، لأنه لا عائلة له ولا أصدقاء. قمنا بمراسم الجنازة في المخيم. وقد حظيت بشرف معاينة جثمانه وحضرت فحص الطبيب لأعضائه الحيوية بحثًا عن أي إصابات. وقد قرّر الدكتور جيليز أن سبب الوفاة هو الشراب؛ وأنا بمعرفتي الضئيلة في هذا الأمر وافقت على ما قرّره. فحص دكتور جيليز محتويات معدته وأمعائه بدقّة، ووجد أنها تحتوي بجانب الطعام والشراب على آثار من المخدر، وعليّ أن أذكر أن مقدار المخدر لم يكن كبيراً بشكل مثير للشكوك. أنا لا أظن أن كروسبي ويلز مات مسموماً بشيء غير الشراب.

وما حدث أنه قبل انتهاء الجنازة، بيعت أرض ويلز وورشته. استعاد البنك المركزي الأرض، كما تعلم، واشتراها في التو واللحظة رجلٌ يدعى إدجار كلينش؛ ورغم أن الصفقة قانونية تمامًا، إلا أن السرعة التي تمّت بها مثيرة للدهشة. وبعدها تمّ إسناد مهمّة جرد الكوخ وبيع محتوياته لك، مقابل نسبة من إجمالي القيمة؛ وقد قُبِلت المهمة، وعثرت على كمية كبيرة من الذهب مخفية (أين عثرت عليها؟ في وعاء الدقيق؟) تُقدّر قيمتها بأربعة آلاف جنيه. الرجال هنا يطلقون على ثروة يمثل هذا الحجم أنها 'تعود بك لوطنك'. كان لك أن تأخذ نسبتك، التي تُقدّر بمبلغ كبير؛ لكن الأمر بأكمله تعطل حين نزلت السيد ويلز على الشاطئ وأعلنت عن نفسها. جاءت السيدة متأخرة عن الدفن بأسبوع كامل، لكنها لم تتأخر لحظة واحدة عن الطعن على بيع أملاكه وأي صفقة ترتبت على هذا البيع.

وكما أخبرتك، أنا لا أعتقد أن كروسبي ويلز مات مسموماً، لكنني أيضًا لا أصدق أن الذهب الذي وجدته في كوخه يخصه، أو يخص

أرملته. ظهور أرملة ويلز هو أمر غريب في قصة مليئة بالغرائب،
قصة لا تعجبني".

صمت شيرد للحظة ثم قال: "هل فيما ذكرته لك الآن أي شيء
تعرف أو تظن أنه غير حقيقي؟ يمكنك إن أردت أن ترفض الإجابة على
سؤالي هذا".

بصعوبة قال نيلسن: "هل تبتزني؟".

"لا، على الإطلاق. لكن لا بُدَّ أنك توافقني أن هذه القصة تبدو
معجونة بالموامرات".
"نعم، أوافقك".

شيرد: "أنا لست مُحققًا، ولا أميل لهذا المجال. ولا يهمني ما
تعرفه. لكنني لا بُدَّ أن أحظى بمبنى السجن الجديد، وأرى أن كلينا
لديه فرصة للربح".
"تحدث يا سيدي".

شيرد: "قدّمت أرملة ويلز التماسًا بالطعن على بيع ممتلكات
زوجها الراحل، سيستغرق الالتماس شهرًا بالطبع حتى يصدر حكم
بشأنه، ككل الأمور القانونية، وفي الوقت الحالي ستوضع الأموال تحت
حراسة البنك. وأعتقد إنه في نهاية الأمر سيتم إلغاء البيع، وإن لم يظهر
مُخطّط أكبر من الحالي، ستطالب الأرملة بالذهب بصفتها المالكة له.
وبالمناسبة، لقد تبادلْتُ الحديث مع كروسبي ويلز عدّة مرات على
مدار الشهور القليلة الماضية، ولم يحدث أن ذكر أنه متزوِّج، لا لي ولا
لأي رجل آخر".

تخيّل نيلسن مشهد قطّة تخطّط فأرًا صغيرًا يمينًا ويسارًا بكفّها
ومخالبها في مكانها داخل أغمارها. إنه ليس مذنبًا، لم يقترب أي ذنب،
وبرغم ذلك أحسّ أنه مذنب؛ أحسّ أنه متورط، كأنه اقترب ذنبًا

شنيعاً أثناء نومه واستيقظ ليجد وسادته ملطخة بالدماء. وملاًه اليقين بأن السجان في أي لحظة الآن سيكتشف جريمته، لكن ما هي جريمته؟ إنه لا يعلم بعد. ما الكلمة استخدمها بريتشارد؟ المشاركة في المؤامرة، نعم، لقد أحسّ بهذا بشدة.

في طفولته المبكرة سرق نيلسن زراً ثميناً من صندوق الكنز الخاص بابن عمه. زُرَّ نحاسي اللون لإسورة سترة عسكرية محفور عليه ثعلب رشيق يركض بفكّ مفتوح وأذنين مثنيتين للوراء. كان الزرُّ مُقَبَّباً وأحد جانبيه أغمق في لونه من الآخر. كما لو أن مالك السترة اعتاد لمس هذا الجانب بإصبعه، وبمرور الوقت تأكلت الطبقة اللامعة. كان ابن عمه ماجنوس مصاباً بلين العظام، يمشي معوجّ الساقين، ولن يعمر طويلاً، فلم يكن مضطراً أن يشارك ألعابه مع أحد. لكن شوق نيلسن للزرّ زاد لدرجة إنه في إحدى الليالي أثناء نوم ماجنوس تسلّل إلى الصندوق وفتحه وسرق الزرّ؛ وتمشّى في أرجاء الغرفة المظلمة لبعض الوقت يتحسّس الزرّ بأصابعه، ويَرْنُه في يده، ويمرر إصبعه على جسد الثعلب، ويحسّ بالنحاس يسحب الدفء من يده، حتى نما بداخله إحساس، لم يكن ندماً، لكنه كان إرهاقاً، خواءً، وأعاد الزر إلى مكانه. لم يعلم ماجنوس بما حدث. لم يعلم أحد بما حدث. لكن لشهور وأعوام وعقود بعدها، وبعد وفاة ماجنوس بمدة طويلة، ظلت هذه السرقة شوكةً في قلبه. ظل يرى غرفة ابن عمه التي ينيرها القمر كل مرة ينطق فيها اسمه؛ وحين تعاوده الذكرى يحمّر وجهه بلا سبب؛ وأحياناً يقرص نفسه، أو يشتم. ورغم أن الآخرين يحكمون على الإنسان بناء على تصرفاته، على ما فعله وما قاله، فإن الإنسان يحكم على نفسه بناء على ما هو مستعدّ لفعله، وما كان بإمكانه أن يقوله أو يفعله، وحُكْمه على نفسه محدود بالضرورة ليس فقط بحدود مخيلته، وإنما أيضاً بالمقاييس دائمة التغير لشكّه في نفسه وتقديره لها.

بنفس الجدية قال شيرد: "أعتقد أن إبطال البيع أمامه على الأقل حتى شهر أبريل. في الوقت الحالي، فأني أعرض عليك استثمار كامل مبلغ العمولة الذي حصلت عليه في بناء سجنى".

رفع نيلسن حاجبيه في دهشة، وللمرة الثانية في عصر هذا اليوم، يقول: "لكن المال ليس مالي. بحكم القانون تم إلغاء عمولتي، وإن ظلت حتى الآن في حوزتي. بمجرد قبول التماس الأرملة وإبطال بيع الممتلكات، سيتعين عليّ إعادتها بالكامل".

شيرد: "يمكن لمجلس المدينة أن يُقرضَ النقود، بفائدة، سيتم تمويل بناء السجن من الأموال العامة على أي حال؛ وحين يحين الوقت لإعادة العمولة، سأتمكن من سحب أموال من البنك المركزي، وسأعيد لك نقودك. وسنجهز عقدًا تضع فيه كل شروطك. استثمارك سيكون آمنًا".

نيلسن: "إن كان لديك تمويل حكومي، لماذا تُقدّم لي هذا العرض؟ ما حاجتك بهذه الجنيئات الأربعمئة؟".

شيرد: "لأن أموالك جاهزة، تستثمرها بنفسك. تمّ قبول طلب التمويل الذي تقدمت به للمجلس، لكن لم يتم صرف الأموال بعد؛ وحتى يتم تخصيص المبلغ وإيداعه في حساب السجن سأكون في انتظار ثلاثين موظفًا من موظفي البنك يمررون عقدي عبر ثلاثين مكتبًا جيئة وذهاباً. ونكون قد صرنا في مارس أو أبريل، والانتخابات انتهت".

نيلسن: "وسيكون السجناء تحت تصرّف لودرباك".

"نعم، وسيكون أيضًا قد سحب مبلغًا جسيمًا من ميزانية المقاطعة".

قال نيلسن: "حسنًا، بافتراض أنني وافقت على عرضك، وبنيت أنتَ سجنك. لقد قلتَ إن هناك مكسبًا لكلينا في هذا الاتفاق".

رمش شيبرد. "حسنًا. إنها فرصة عمل يا سيد نيلسن. ستحصل على عمولتك المعتادة مقابل توفير العمالة، وتوريد الحديد والأخشاب، والمسامير، وكل شيء. هذا مكسبك، وكلها أرباح مشروعة".

لم يجد نيلسن أي عيب في هذا (خاصة وقد مرّت أسابيع عديدة منذ تعاقّد على عمل يضمن مثل هذا الربح)، لكن طريقة شيبرد في عرض الأمر ضايقته بشدة. فقد استخدم السجن كلمة "قتل"، ووصفها بأنها جريمة "أكثر تعقيداً"؛ واستغل وجود ألبرت في الحجرة كشاهد ليسأل عن إيميري ستينز؛ وحين حدّثه عن موضوع ويلز ادّعى أنه يمنع نيلسن عن مقاطعته مخافة أن يورط التاجر بالعمولة نفسه إن تحدث أكثر ممّا يجب، أو تحدث مبكّرًا عمّا يجب. وهذا يعني ضمناً اعتقاده أنه قد يورط نفسه بشكل ما. لقد تعامل شيبرد مع مضيفه كأنه مذنّب.

نيلسن: "وماذا إن رفضت عرضك؟ ماذا يحدث؟".

شدّ شيبرد شفّتيه للخلف في ابتسامة نادرة الحدوث مخيفة الأثر. "أنت مُصرٌّ أن ترى هذا العرض كمحاولة للابتزاز. لا أستطيع أن أتخيل السبب الذي قد يدفعك لهذا".

لم يستطع نيلسن تحمّل نظرة السجن طويلاً. وأخيراً قال في صوت منخفض: "سأمنحك القرض، وأقدّم خدماتي مقابل عمولة". سحب التصميم المعماري ناحيته. وأضاف: "تفضّل بالانتظار حتى أضع قائمة بالخامات التي تحتاجها".

مال رأس شيبرد، وتناول أخيراً فنجان القهوة الذي يبرد أمامه على المكتب. رفع الطبق بحرص شديد؛ وفي يده الضخمة بدا الخرف ضعيفاً بشكل مدهش، كأنه يمكن أن يغلق قبضته وبحركة واحدة

يحطم الوعاء ويحول له لترات. تجرع الفئجان وأعاد له نفس موضعه السابق على مكتب نيلسن. ثم وضع غليونه في فمه، وعقد أصابعه، وانتظر. والصوت الوحيد المسموع بينهما هو الخدش غير المنتظم لقلم نيلسن.

كتب نيلسن الرقم الإجمالي، ثم قال أخيراً: "سأحرر لك شيئاً صباح الاثنين. ويمكننا نشر إعلان لطلب العمالة والخامات في جريدة يوم الاثنين، سأرسل رسالة للوينثال مباشرة. سأطلب من العمال التّجّمع هنا في صالة المزادات في العاشرة تمامًا للحصول على العمل، سيتيح هذا الوقت الكافي للرجال لقراءة الجريدة ونشر الخبر بينهم. وبحلول ظهر يوم الاثنين، وإذا ما كان الطقس يسمح، يمكننا بدء العمل في الأرض".

ضاق علينا شيرد. "هل قلت لوينثال؟ بن لوينثال، اليهودي؟".

رمش نيلسن. "نعم، لا يمكننا نشر إعلان بدون جريدة، يمكنك إن أردت استخدام أوراق الدعاية أو النشرات، لكن كل الناس تقرأ التامز". "أرجو أن تتفهّم أن هذا الاستثمار بيننا أمر خاص جداً".

"مفهوم يا سيدي". وبعد برهة أضاف نيلسن: "أقسم لك". ثم ندم على الجملة الأخيرة فور نطقها.

قال شيرد مازحاً: "ربما علينا وضع بند بهذا المعنى في العقد بيننا. لضمان راحة بالنّا".

احمرّ وجه نيلسن مرة أخرى. "تستطيع أن تثق في". "أتمنى ذلك".

وقف شيرد ومدّ يده. ووقف نيلسن، وتصافحا.

تأهّب شيرد للمغادرة، وفجأة قال نيلسن: "سيد شيرد، حديثك عن المتوحّش والمتحضّر، والعالمين القديم والجديد".

نظر له شيرد ببرود. "نعم".

"في ضوء هذه الفكرة التي طرحتها عليّ، كيف ترى هذه الأمور؛ ممتلكات ويلز، والثروة المخبّأة، وأرملته".

صمت شيرد لفترة طويلة. ثم قال أخيراً: "وقوع المرء على ثروة ضخمة يتيح له الفرصة للبدء من جديد يا سيد نيلسن. يستطيع المرء شراء حياته إن عثر على قطعة من الذهب. مثل هذه الفرص غير متاحة في العالم المتحضّر".

Φ

لوقتٍ طويل بقي نيلسن بمفرده في مكتبه بعد انصراف شيرد، يفكر في العرض الذي قدّمه له السّجّانُ مرّةً تلو المرة. ظلّ الشُّكُّ ينمو في صدره. أحسّ أنه غفّل عن شيء ما، كأنه عثر على عقدة في منديل مكوّر داخل جيب صديريّة قديمة، ولا يمكنه بأي شكل أن يتذكّر ذاك الذي يفترض بهذه العقدة أن تُذكّره به، تلك المهمة، تلك المسؤولية التي عليه أن يتذكّرها؛ أين كان حين عقد أطراف المنديل ووضعه في مواجهة قلبه. نقر بأصابعه، وعبث بتلابيبه. خبط المطر على نافذته. وغيّرت الظلال الرمادية في الغرفة أماكنها حين ارتفعت الشمس ببطء، وراء السحاب.

وقف فجأة، وسار نحو الباب، وفتحه قليلاً. ونادى من خلال الشق: "ألبرت".

ردّ ألبرت من المكتب الخارجي: "نعم يا سيدي".

"كروسبي ويلز، الرجل المتوفي".

"نعم يا سيدي".

مكتبة
t.me/soramnqraa

"مَن وجد جثته؟ ذكّرني".

ردّ ألبرت: "جماعة من الرجال يا سيدي".

"أتذكّر الحكاية؟".

"كانت في الجريدة، أستطيع أن أحضرها لك، إن شئت".

"فقط أخبرني بما تتذكره".

"لقد توقفوا عند الكوخ ليستريحوا، ووجدوا السيد ويلز جالسًا إلى منضدة مطبخه، وقد فارق الحياة لتوّه. هذا ما فهمته، لقد ذكرته الجرائد".

"أخبرني ما اسمه؟"، لكنه كان يعرف. أسند رأسه إلى إطار الباب، وأحسّ بغثيان.

ألبرت: "إنه الرجل الذي يسعى للفوز بمقعد الأراضي الغربية. رجل كانتبري. لقد قابلته الأسبوع الماضي يا سيدي في ستار. إنه يدعى أليستار لودرباك".



بعدها بنحو عشر دقائق ظهر نيلسن على مدخل المكتب الخارجي، خطف قُبْعته مُحدِّثًا ضجّةً عالية قفز الموظف على إثرها من كرسيه. كان يمسك عصاته بطريقة فظّة، قابضًا عليها من منتصفها، كأنه سيستخدمها كهراوة، ووجهه شاحب للغاية.

توجّه التاجر بالعمولة للباب فصاح الموظف خلفه: "هل أخبر مَن يسأل عنك أنك في النان باريل؟".

بدون أن يلتفت نيلسن انفجر: "لا، دعني وشأني. أخبرهم أن ينتظروا. أخبرهم أن يعاودوا المجيء يوم الاثنين". خرج من البوابة

وأوسع الخطا متَّجِهاً لرصيف الميناء، وحين وصل إلى الناصية حيث
متجر الفطائر المفضَّل لديه لم يتوقف. وشدَّ معطفه حول جسده
وتوجَّه للأراضي الداخلية، باتجاه كانيير، وحقول الذهب.

منتصف الليل يتجلى في برج العقرب

حيث يذهب الكيميائي للبحث عن الأفيون، ونقابل أنا ويذريل أخيراً، وينفذ صبر بريتشارد، وتنطلق رصاصتان.

بعد خروجه من مكتب نيلسن، لم يعد جوزيف بريتشارد مباشرة لمعمله الواقع في شارع كولينج وود. وبدلاً من ذلك أخذ طريقه إلى الجريديرون، وهو واحد من ستين أو سبعين فندقاً اصطفت في مساحة هي الأكثر حيوية وازدحاماً في شارع ريفل كله. هذه البناية (بنوافذها ذات الأطر الملونة بالأصفر الكناري، والدُرف الزائفة، تتمتع بواجهة أمامية مبهجة حتى في المطر) هي مقر إقامة الأنسة أنا ويذريل، ورغم أن الأنسة ليست معتادة على مجالسة ضيوفها في هذه الساعة من النهار، فإن بريتشارد ليس معتاداً في قيامه بشؤونه على الالتزام بجدولِ اللهم إلا جدولهِ الخاص. دَبَّ بقدميه صاعداً سُلَّم المدخل،

وشدّ الباب ليفتحه بدون حتى إيماءة منه للمنقّبين المتواجدين في الشرفة الأمامية، جالسين في صفٍّ على حافة السور ساندين أحذيتهم على القضبان. ومنشغلين في حفر الخشب بأظافرهم، ثم تنظيفها، ثم بصق التبغ في الطين. نظروا إليه ببعض الدهشة وهو يعبر متجهماً إلى البهو، معلقين، فور ارتطام الباب خلفه، أن أحدهم مُصمّم على الوصول إلى قاع أمر ما.

لأسابيع عديدة لم يصادف بريتشارد أنا. سمع عن محاولتها للانتحار من ديك مانرينج، الذي حكى له ما سمعه من أه سووك، الصيني الذي يدير وكر الأفيون في كانير. أنا كثيراً ما مارست تجارتها في الحي الصيني في كانير؛ ولهذا السبب اشتهرت باسم: آن الخاصة بالصينيين. وهو لقب أساء إلى شعبيتها في بعض الدوائر. وأحسن إليها في دوائر أخرى. بريتشارد لا ينتمي لأي من المخيمين، فاهتمامه بالحياة الخاصة لغيره من الرجال قليل، لذلك لم تتدغدغ حواسه ولم تشمئز حين علم أن العاهرة عزيزة جداً على أه سووك، وأنّ اقتراب شبح الموت منها -كما حكى مانرينج لبريتشارد- دفع بالرجل الصيني إلى شفا الجنون. (مانرينج لا يتحدث الكانتونية، كان يعرف بعض الكلمات المكتوبة، من بينها: معدن، يريد، ويموت، بما يكفي لإجراء محادثة مصوّرة بالاستعانة بمفكرته، والتي أصبحت بالوقت والاستعمال مثقلة بالعلامات والبقع ويمكنه باستخدامها تقديم تلميحات بلاغية دقيقة جداً بمجرد تقليب صفحاتها والإشارة بأصابعه إلى شجار قديم، أو اتفاق قديم، أو صفقة قديمة).

انزعج بريتشارد أن أنا لم تحاول الاتصال به؛ فهو كيميائي رغم كل شيء، والمورّد الوحيد للأفيون في أوكار الساحل الغربي، جنوب نهر جراي على الأقل، وهو خبير في موضوع الجرعات الزائدة. كان عليها أن تأتي إليه، وتطلب نصيحته. لم يصدق بريتشارد أن أنا حاولت قتل نفسها، لم يستطع تصديق ذلك، كان متيقّناً أن أحدهم أرغمها على

تعاطي المخدر رغم إرادتها؛ إما هذا، وإما أن الأفيون الذي تعاطته ممزوج بشيء آخر بغرض إيدائها. حاول استعادة بقايا قطعة الأفيون من الوكر الصيني، ليفحصها بحثًا عن آثار للسّم. لكن أه سووك كان غاضبًا جدًّا فلم يمنحه ما أراد. وأفصح أه سووك (ومانرينج مَن نقل هذا) عن عزمه التام على عدم التعامل ثانية مع الكيميائي. لم يهتم بريتشارد بهذا التهديد، فلديه العديد من الزبائن في هوكتيكا، وبيع الأفيون يمثّل نسبة ضئيلة من دخله، وحتى الآن لم يشبع فضوله المهني تجاه ما حدث، والآن، يحتاج لسؤال الفتاة بنفسه.

لم يكن مالك الفندق موجودًا حين دخل بريتشارد بهو فندق جريديرون، أوحى المكان إليه بالخواء القلق. بمجرد أن اعتادت عينا بريتشارد على الظلام رأى خادماً كلينش منحنياً على المكتب يقرأ نسخة قديمة من الليدر، تتحرك شفاهه بالكلمات التي يتتبعها إصبعه على السطور. وهناك بقعة زيتية على سطح المكتب حيث صقلت حركة إصبعه الخشب ولمّعه. رفع الفتى رأسه وأوماً للكيميائي حين مرَّ أمامه. رماه بريتشارد بشلن التقطه الغلام برشاقة وخطبه على ظهر يده، وصاح "كتابة" حين بدأ بريتشارد يصعد السلم، فشخر بريتشارد ضاحكًا. فهو يصبح فظًّا حين يحسُّ بالظلم، وهو الآن فظٌّ... كانت الردهة هادئة، لكنه وضع أذنه على باب آنا ويذريل وتصنّت للحظة قبل أن يدق الباب.

صحَّ ظن هارالد نيلسن في أن علاقة بريتشارد بآنا ويذريل موجعة، وهذا عكس علاقته هو بها، لكنه أخطأ حين ظنَّ أن الكيميائي يحبها. فذوق بريتشارد في النساء تقليدي تمامًا في الحقيقة، وطفولي أيضًا. فهو قد يميل لعاملة في مزرعة أبقار ولا يميل لعاهرة، حتى وإن كانت العاملة عاديّة المظهر، والعاهرة باهرة الحُسن. فهو يقدرُ النقاء والبساطة، رداء بسيط، صوت ناعم، إرادة سلسة، وطموح صغير، وهذا بالضبط نقيضه. فالمرأة المثالية بالنسبة له عكسه تمامًا: هي مفهومة

وهو لا يمكن فهمه، وهي هادئة حيث يفتقد هو الهدوء. هي ملاذ من السماء؛ شعاع من النور، وسلوى، وبركة. أنا ويزريل بكل تطرفها وجموحها تشبهه هو نفسه. هو لا يكرهها في الحقيقة، لكنه يشفق عليها.

بريتشارد بصفة عامة لا يتحدث عن الجنس الناعم؛ فهو لا يستمتع بالحديث عن نساء الرجال الآخرين، ويرى أن هذا النوع من الأحاديث نهيق أحرق. فالتزم الصمت، وكنيجة لصمته ظنَّ الرجال أنه ضليع في أمور النساء، أما النساء فظنَّ أنه -بالنظر إليه- غامض شديد العمق. كان حَسَن المظهر، وميسور الحال، وقد يصير العريس المثالي إن قلَّ من انكبَّه على عمله، وزاد من اندماجه في الدوائر المجتمعية. لكن بريتشارد يكره التجمعات الكبيرة للرجال والنساء، والتي فيها -وتحت أعين الحاضرين الناقدة- يتحتم على الرجل أن يتصرف كسفير عن بني جنسه، في حين يقدِّم صفاته الخاصة بشكل هزلي. الحشود الكبيرة تصيبه بالجمود والضييق. وهو يفضِّل الصحبة قليلة العدد، وأصدقاءه معدودون؛ وهو شديد الإخلاص لهم، كما هو، بطريقته الخاصة، مخلص لآنا. الحميمية التي يحسُّها في صحبتها تعود بالأساس إلى حقيقة أن الرجل ليس عليه أن يتحدث بعلاقته بعاهرة مع الرجال الآخرين، فالعاهرة شأن خاص، وجبة يتناولها الشخص بمفرده. هذا الانفراد هو ما يسعى إليه مع آنا. فهي بالنسبة له مكان يختلي فيه بنفسه، وحين يكون معها، يحتفظ دائماً بمسافة بينهما.

أحبَّ بريتشارد مرة واحدة في حياته، ومرت ستة عشر عاماً منذ أصبحت ماري منزيس تُعرَف باسم ماري فيركين، وانتقلت لچورچيا لتعيش حياة من القطن والأرض الحمراء وأيضاً (وهذا ما تخيَّله بريتشارد) من البطء المترامي الأطراف الذي تصنعه الثروة والسموات الصافية. أتراها ماتت؟ أم مات زوجها؟ أتراها لا تزال حيّة؟ أتراها

رُزِقَتْ بأطفال؟ أتراها فقدت أطفال؟ أتراها لا زالت جميلة رغم مرور السنوات، أم بان عليها العمر؟ إنه لا يعرف أي شيء عنها. هي لا زالت ماري منزيس داخل عقله. حين رآها آخر مرة كانت في الخامسة والعشرين، ترتدي فستاناً قطنياً بسيطاً منقوشاً بفروع الشجر، وشعرها مضموم في دائرة على قمة رأسها، ورسغاها وأصابعها الخالية من الزينة على حافة الشباك، تودّعه.

وقالت له: "چوزيف" (وقد سجّل كل ما قالته في مفكرة جيبه، لكي يتذكره على الدوام)، "چوزيف، أنا لا أظن أنك أبداً كنت راضياً، أعتقد أنك لا يعجبك العجب. إنه من الخير أنك لم تلمسني، لأنك الآن ستتذكرني بحب. ولم تكن لتتذكرني بهذه الطريقة، إذا ما جرت الأمور بيننا بطريقة مختلفة".

سمع خطوات أقدام سريعة وراء باب الغرفة.

"آه، إنه أنت"، كانت هذه تحية أنا الوحيدة. بدت مُحَبّطة: لا بُدَّ أنها في انتظار شخص آخر. خطا بريتشارد داخل الغرفة دون كلمة، وأغلق الباب خلفه. خطت أنا إلى بقعة الضوء المربعة تحت النافذة.

كانت ترتدي زي الحداد، لكن من طراز الفستان القديم (بتنورته المنفوخة، وخصره الضيق) ولون قماشه الحائل. حَمَّن بريتشارد أنه لم يُخاط لها، إنه ليس جديداً، قد يكون هدية، أو -وهو الاحتمال الأكبر- فستاناً مُنتشلاً. لاحظ أن نهاية الفستان مفكوكة، ظهرت كشريط بدرجة أغمق من اللون الأسود عرضه بوصتان في وجه الأرض. كان أمراً غريباً أن يشاهد عاهرة في زي الحداد، غريب كمشهد رجل دين متأنق، أو طفل بشارب؛ مشهد يوحي للمرء بالارتباك.

خطر له أنه نادراً ما رأى أنا إلا في ضوء المصباح، أو في ضوء القمر. حيث تبدو بشرتها شفافة، بل حتى زرقاء تتحول تحت عينيها إلى البنفسجي الغامق، كأنها ورقة ملوّنة بالألوان المائية، لكنها ورقة

رقيقة لم تحتمل الرطوبة، فسالت الألوان عليها وتداخلت. أما ملامح وجهها فهي، كما قد تصفها والدّة بريتشارد، مكونة من زوايا. حاجبها مستقيم وذقنها مُدبَّب. وأنفها صغير وهندسي الشكل، بإمكان نَحّات أن ينحته بأربع ضربات لا غير، ضربة على كل جانب، وضربة تحت قسبة الأنف، وثنية أخيرة تحتها. شفتاها رفيعتان، ورغم أن عينيها واسعتان بطبيعتهما، لكنها غالبًا ما تُحدّق بهما في العالم بقلق، ونادرًا ما استخدمتهما في الإغراء. وجنتاها غائرتان وعظام فكّها بارزة كأنها حرف طبلّة بارز ومشدود عليها نسيج بشرتها.

في العام الماضي كانت تحمل طفلًا؛ ممّا أضفى بعض الدفء لوجنتيها، ومنح بعض الاستدارة لعظام ذراعيها التعيسة، وأحبها بريتشارد في تلك الحالة: بطنها المستديرة، وثدييها المنتفخين، المختلفين تحت أمتار من الأقمشة الخفيفة والتُّلّ، وأضفت عليها الأقمشة بعض اللين والبهجة. لكن بعد الاعتدال الربيعي، حين بدأت الأمسيات تزداد اتساعًا، والأيام تزداد إشراقًا، وشمس النهار المعلقة -قريبة وماجنة- فوق سطح بحر تسمان تبقى لساعات طويلة قبل أن تغطس أخيرًا في مياه البحر الحمراء، عندها مات الطفل. لُقّت جثته في قماش قطني سميك ودُفِنَتْ في قبر صغير فوق مرتفع سي قيو. لم يتحدث بريتشارد مع أنا بخصوص موت الطفل. فهو لا يتردد عليها بشكل منتظم، ولا يسألها عن شيء حين يحضر إليها. لكنه بكى بمفرده حين علم بالخبر. هوكتيكا لا تحوي سوى قِلّة قليلة من الأطفال، ربما ثلاثة أو أربعة. والمرء يتوق لرؤيتهم كما يتوق لسماع لهجة مألوفة في حديث، أو لرؤية سفينة في الأفق تحمل مَنْ يحب، شيء يذكّر الإنسان بوطنه. انتظر أن تتحدث أولًا.

قالت: "لا يمكنك أن تبقى، لديّ موعد".

"لن أعطلك، أودُّ الاطمئنان على صحتك".

انفجرت. "أوه، لقد سمئت هذا، سمئت منه!".

أدهشه عنف ردّها. "لم أزرِك منذ مدة".

"لم تزرني".

"لكني رأيتك في الطريق، بعد حلول السنة الجديدة".

"هذه المدينة صغيرة".

اقترب منها. "تفوح منك رائحة البحر".

"لا، لم أستحم في البحر منذ أسابيع طويلة".

"إذن فهي رائحة العاصفة، رائحة شخصٍ أتى من وسط الثلوج، أتى حاملاً البرد إلى الداخل".

"ماذا تفعل؟".

"ماذا أفعل؟".

"متحدّثاً بهذه الطريقة الشعرية".

"شاعرية؟".

(بريتشارد لديه هذه العادة السيئة عند حديثه مع النساء، فهو يجيب عن السؤال بسؤال، اشتكت ماري منزيس من هذه الخصلة مرة، منذ وقت طويل).

"عاطفية، خيالية، لا أدري، لا يهمُّ". شدّت آنا إسورة فستانها. ثم أضافت: "لقد استعدت صحتي. ويمكنك الاحتفاظ بسؤالك التالي لنفسك. لم أقصد أن أسبّب لنفسي أيّ أذى غير طبيعي. كنت أودُّ تدخين الغليون كعادي، ونمت، ثم استيقظت، فوجدت نفسي في السجن".

وضع بريتشارد قبعته على الخزانة. "ومنذ ذلك الوقت والجميع يلاحقك".

"حتى الموت".

"يا مسكينة".

"التعاطف أسوأ".

بريتشارد: "حسنًا، إذن سوف لن أتعاطف معك، سأكون قاسيًا".

"لا يهمني".

بدا له حديثها مُحَمَّلًا بالأسف والتَّبَلُّد. فغضب؛ فكَرَّ في إبداء غضبه، لكنه ذكَّر نفسه بِمَهْمَّتِهِ، فسألها متَهَكِّمًا، "مَنْ هو العميل؟".

كانت عند النافذة، فالتفتت مندهشة: "ماذا؟".

"لقد قُلْتُ إن لديك ميعادًا. مَنْ هو؟".

"ليس هناك عميل، سأخرج مع إحدى السيدات نتفرج على القُبُعَات".

شخر. "أتعرفين مقولة 'عندما تتحدث العاهرة عن الشرف! لست بحاجة لأن تكذبي'".

أمعنت النظر إليه، بدت كأنها تفصلهما مسافات شاسعة، كأنها هو بالنسبة لها مجرد أثر في الأفق، مجرد ذَرَّةٌ بعيدة ولا تزال تبتعد. ثم تحدَّثت ببطء كما لو أنها تُحدِّث طفلًا. "أنت لم تعرف بطبيعة الحال. أنا لا أعمل بالدعارة في الوقت الحالي".

ارتفع حاجباه، ثم ضحك ليخفي دهشته. "هل أنت امرأة شريفة الآن؟ تهتمِّين بالقُبُعَات وصناديق النباتات في النوافذ؟ وترتدين القفازات حين تخرجين؟".

"حتى تنتهي فترة الحداد".

أحسَّ أن إجابتها -التي خرجت من فمها بسيطة وهادئة- جعلت ضحكه يبدو حماقة، وأحسَّ بالإحباط يتجمَّع في صدره.

"وما رأي ديك في هذا؟" كان يقصد السيد مانرينج، رب عملها.

أشاحت أنا بوجهها. "ليس راضيًا".

"أتصوّر هذا!".

"لا أودُّ التحدّث معك في هذا الأمر يا جو".

وقف الشعر على جلد بريتشارد. "ماذا تقصدين؟".

"لا أقصد شيئًا محدّدًا، لقد تعبّت من التفكير في ديك".

"هل أساء إليك؟".

"لا، لم يفعل".

بريتشارد يعرف الكثير عن العاهرات. هناك النوع المتكبرّ الذي يدّعي الدهشة ويتحدّث عن تُرّهات بصوت عالي النبرات؛ وهناك ممثّلات الجسد الخدومات، اللائي يرتدين الملابس ذات الأكمام التي تصل إلى الكوعين في كل فصول السنة، وينادونك "يا فتى"؛ وهناك السكيرات، وهُنَّ طمّاعات، وشاكيات باكيات، بعقلات أصابعهن الحمراء المجروحة، وأعينهن الدامعة. وهناك النوع الذي تنتمي إليه أنا، النوع غير المفهوم، تارة صافية وتارة مُحْتَدِمة، ينطق مُحيّاها ببؤس نادر الوجود، شقاء تام وكامل أضفى عليها الجلال، والوقار. أنا ويزريل ليست مجرد حصان أسود؛ إنها السواد نفسه، إنها ثوب السواد. إنها عرّافة صامتة، إنها عارفة وليست معرفتها بممالك الحكمة والنور، وإنما بالشُّرور، وأيًا ما كان الشر الذي اقترفه المرء، أو قاله، أو شَهِده، فهي قد شهدت ما هو أسوأ.

وقال أخيرًا، وهو يودُّ لو يتّهمها بشيء: "لماذا لم تأتي لي؟".

"متى؟".

"حين مَرَضتِ".

"كنت في السجن".

"وبعد ذلك".

"وما الفائدة؟".

قال بجفاف: "كان هذا ليوفّر عليك الكثير من المتاعب، كنت أستطيع إثبات أن الأفيون مُسمّم إذا ما طلبت شهادتي".

"هل كنت تعلم أنه مُسمّم؟".

"لا أعلم، ولكني أظن ذلك. وإلا فكيف حدث ما حدث يا أنا؟
إلا إذا...".

ابتعدت أنا مرة أخرى، هذه المرة توجّهت إلى رأس السرير، ولقّيت أصابعها حول الرأس الحديدية لعمود السرير. حين تحرّكت شمّ رائحتها مرة أخرى، رائحة البحر. حِدّة الإحساس أذهلتها، اضطر أن يلجم رغبته الملحّة أن يخطو نحوها، ويتبعها، ويملأ صدره من رائحتها. شمّ رائحة الملح، والحديد، والطعم المعدني للطقس السيئ... طعم السحب المنخفضة، والمطر. تلك الرائحة، إنه ليس البحر وحده، إنها سفينة. رائحة الحبال المغطاة بالقار، رائحة الرطوبة الترابية لخشب التيك حائل اللون، وقماش الأشعة المزيّت، والشموع. وبدأ فمه يبتل. حدّقت أنا إليه. "مُسمّم؟ مَنْ سَمّمه؟".

(ربما ما أحسّه هو ذكرى حسيّة، مجرد صدى عابر، يغمر جسد الإنسان فجأة، ثم يختفي فجأة بنفس السرعة. وأبعد الأمر عن باله).
قطّب. "لا بُدّ أن الاحتمالية قد جالت ببالك".

"من الجائز، أنا لا أتذكر شيئاً".

"لا شيء على الإطلاق؟".

"فقط أتذكر أنني أحضرت الغليون. وسَخّنت الدبوس. بعد ذلك لا أتذكر شيئاً".

"أنا متأكد أنك لست من النوع الذي يُقدِّم على الانتحار، وأنت لم تقصدي أن تؤذي نفسك. أنا متأكد من ذلك".

آنا: "حسنًا، أحيانًا تخطر الفكرة على بال المرء، من آنٍ لآخر".

بأسرع من المعتاد ردَّ بريتشارد: "نعم، من آنٍ لآخر". أحسَّ بالانتصار، فخطا نصف خطوة للوراء.

"لا أعلم شيئًا عن السم".

بريتشارد: "إذا تمكَّنتُ من فحص بقايا القطعة أستطيع أن أخبرك إذا ما تمَّ خلط المادة بشيءٍ آخر. ولهذا أتيت. هل يمكنني شراء بعض منها منك لكي أفحصها؟ أه سووك يتجاهلني".

ضاقت عينها. "هل تودُّ فحصها؟ أم استبدالها؟".

"ماذا تعنين؟".

"ربما تودُّ أن تغطي آثارك".

احمرَّ وجه بريتشارد بالسخط. "أي آثار؟". لم ترُدَّ فكرَّ سؤاله. "أي آثار؟".

قالت أخيرًا وهي تحدِّق فيه: "أه سووك يظنُّ أنك سَمَمْتَه".

"أحقًا؟ إن كنتُ أودُّ قتلَك، فهذه طريقة ملتوية للقيام بذلك".

"وماذا إن كنت تودُّ قتله هو؟".

انخفض صوت بريتشارد. "وأخسر التعامل معه؟ افهميني، أنا لا أدَّعي أي مشاعر أخوية أو أي شيء من هذا القبيل، لكنني ليس لديَّ خلافات مع الشرقيين، أسمعيني؟ ليس لديَّ أي سبب على الإطلاق يدفعني لتمني الأذى لأحد منهم".

"شقُّوا خيمته مرة أخرى. الشهر الماضي. وأفسد هذا كل أدويته".

"وتظنين أني الفاعل؟".

"لا، لا أظن".

بريتشارد: "إذن ما الأمر، أخبريني يا آن، ما الأمر؟".

"هو يظن أنك تدير أعمالاً غير قانونية".

شخر بريتشارد. "في تسميم الصينيين؟".

آنا: "نعم، وهي ليست بمثل حماقة المحاولات الأخرى".

"حقًا! وهل أنتِ مقتنعة بما يظنه؟".

"لم أقل هذا، ولست أنا التي أظن...".

بريتشارد: "أنت تظنين أنني عجوز نكد. أعرف هذا. إنني عجوز نكد يا آنا، لكنني لست قاتلاً".

واختفى يقين العاهرة بنفس السرعة التي أتاها بها. فانكمشت وخطت ناحية النافذة، واتجهت يداها إلى الدانتيل المزركشة على ياقتها. وبدأت تشدها. هدأ بريتشارد. وميّز هذه الحركة، ليس لأنها خاصة بها، لكنها لأنها حركة فتاة، أي فتاة.

قال محاولاً مراضاتها: "حسنًا، أيًا كان".

"أنت لست عجوزًا".

ودّ لو يلمسها. "هناك أيضًا موضوع المخدر، ورطة كروسبي ويلز. لقد شغلني هذا الأمر".

"ما موضوع المخدر؟".

"وجدوا قنينة مخدر تحت سرير الناسك. وهي تخصني".

"بسدادتها أم مفتوحة؟".

"مغلقة بسدادتها ومليئة لنصفها".

بدت مهتمة. "أتخصك بمعنى أنها قنينتك الخاصة، أم فقط بيعت من متجرك؟".

"بيعت من عندي. وليس لكروسي. لم أبع لهذا الرجل درهماً من المخدر".
وضعت آنا يدها على خدها مفكّرة. "هذا غريب".

حاول بريتشارد أن يكون ظريفاً. "كروسي ويلز العجوز، في حياته لم يخطر على بال أحد، أمّا الآن فهو على كل لسان".

"كروسي...". بدأت آنا الحديث، وفجأة أجهشت بالبكاء.

لم يتحرك بريتشارد ناحيتها، لم يفتح ذراعيه، لم يحاول مواساتها. راقبها وهي تفتش في كمّها عن منديل وانتظر، ويدها معقودتان خلف ظهره. فهي لا تبكي على كروسي ويلز. هي لم تكن تعرفه. إنها تبكي على نفسها.

بالطبع، لا بُدَّ أن الأمر كان صعباً عليها، أن يحاكموها في محكمة الجنح بتهمة محاولة الانتحار، ويطاردها جميع أنواع الرجال، وينشرون عنها في التايمز كأمر مثير للفضول، ويتحدثوا عنها على موائد الإفطار، وبين أدوار لعب البلياردو، كأن روح المرء ملكية عامة، وهدف للجميع. راقبها وهي تمسح أنفها ثم تعبت بأصابعها الرفيعة لتحشر المنديل مكانه. هذا ليس مجرد إرهاب، هذا حزن من نوع مختلف، هي لا تبدو مرهقة بقدر ما تبدو مُمزّقة ومُشتّتة وحائرة.

قالت أخيراً، بعد أن استعادت السيطرة على نفسها: "لا تشغل بالك، لا تشغل بالك بي".

بريتشارد: "إذا استطعت أن أفحص قطعة منه".

"ماذا؟".

"العجينة. سأشتريها منك. لن أبدّلها، يمكنك أن تعطيني قطعةً منها، لست بحاجة لأن تعطيني القطعة كلها".

هزّت رأسها، وفي دِقَّة حركتها عرف ما كان مختلفًا فيها. فتقدّم إليها، قاطعًا المسافة التي تفصلهما في ثلاث خطوات سريعة، وأمسك بكمّها.

"أين هو؟ أين العجينة؟".

خلّصت نفسها منه. "أكلتها، إن كنت مُصرًّا أن تعرف فقد أنهيتُ آخر قطعة منها الليلة الماضية".

"لا، لم يحدث، لا يمكن!".

لحق بها بريتشارد ولفّ كتفيها لتواجهه. ووضع بطن إبهامه على ذقنها وأمال رأسها للخلف، ليرى عينيها بشكل أوضح.

"أنت تكذبين. أنت بلا أفيون".

هزّت نفسها لتتحرّر منه وكرّرت ردّها: "أكلتها".

"هل أعدتها لسووك؟ هل أخذها منك ثانية؟".

"أكلتها، مثلها مثل غيرها".

"كُفّي عن هذا يا آن، لا تكذبي".

"أنا لا أكذب".

"أأكلتِ قطعةً من الأفيون المسموم وعيناك صافيتان كالفجر؟".

ضيّقت عينيها. "ومن قال إنه مسموم؟".

"حتى لو لم يكن مسمومًا".

"هل تعلم أنه مسموم؟ هل أنت متأكد؟".

انفجر بريتشارد. "أنا لا أعلم أي شيء عن هذا الأمر الملعون، ولا تعجبني لهجتك. أنا فقط أريد قطعة منه لكي أفحصها، بحق السماء!".

ثارت مرة أخرى. "وَمَنْ سَمَّهَا يا چو؟ مَنْ الذي حاول أن يقتلني؟ هل تشكُّ في أحد؟".

لوَّح بريتشارد بذراعه. "ربما هو أه سووك".

ضحكت. "أتتَّهم الرجل الذي يتَّهمك؟ هذه حيلة المذنبين".

ثارت ثائرة بريتشارد. "أنا أحاول مساعدتك، أنا أحاول المساعدة".

صرَّخت أنا: "ليس هناك داعٍ للمساعدة! ليس هناك مَنْ يحتاج المساعدة. للمرة الأخيرة أقولها يا چوزيف، لم يكن في الأمر انتحار، وليس هناك سُمْ!".

"إذن فسُري لي لِمَ انتهى بكِ الأمرِ نصفَ ميتة في طريق كريست تشيرش!".

"ليس لديّ تفسير".

وللمرة الأولى يومها يلمح بريتشارد على وجهها مشاعر حقيقية، الخوف، والغضب.

"هل دَخَنْت غليونك ليلتها كالعادة؟".

"نعم، وكل ليلة بعدها منذ دفعت الكفالة".

"واليوم؟".

"لا، لقد أنهيت آخر قطعة منها الليلة الماضية، لقد أخبرتك بذلك".

"في أي وقت من الليلة الماضية؟".

"متأخراً، ربما عند منتصف الليل".

ودَّ بريتشارد لو يبصق. "لا تحدَّثيني كأني أحمق. لقد رأيتك تحت تأثير المخدر، ورأيتك حين يزول تأثيره عنك. الآن أنتِ متيقِّظة كما الراهبات".

تغضن وجهها. "إذا لم تكن تصدقني فأنصرف".

"لا، لن أنصرف".

"عليك اللعنة يا جو بريتشارد".

"عليك أنتِ اللعنة".

انفجرت باكية مرة أخرى. وابتعد بريتشارد عنها. أين تخبئه؟ اتجه لخزانة الملابس وفتحها وبدأ يقلب بسرعة في محتوياتها. فساتينها المعلقة على الماسورة الحديدية. وتنوراتها وسراويلها الداخلية، ومعظمها بالية ومبقة. ومناديل، وشيلان، ومشدات، وجوارب، وأحذية برقبة طويلة. ولم يجد شيئاً. انتقل إلى منضدة الزينة الموضوع فوقها مصباح زيت في طبق صيني مكسور، وهو المصباح الذي توقد منه الأفيون، بجانبه رقد زوج من القفازات المكورة سوياً، ومشط، ووسادة دبابيس، وعبوة صابون مفتوحة، والكثير من أوعية الكريم والبودرة. كل هذا رفعه من مكانه ثم أعاده ثانية، بسرعة؛ فهو يريد تفتيش الغرفة بأكملها.

"ماذا تفعل؟".

"أنت تخفينه، ولا تخبريني بالسبب!".

"هذه أشياءي".

ضحك. وما هي أشياءك؟ تذكارات قيمة؟ تحف قديمة؟".

وانتزع درج منضدة الزينة بعنف وأفرغه على الأرض. وشغل شلالاً من الحلي الرخيصة. عملات معدنية، وبكرات خيط خشبية، وشرائط، وأزرار قماشية، ومقص خياطة. وثلاث سدادات فلين لزجاجات الشمبانيا. وفرشاة حلاقة رجالية، لا بُدَّ أنها سرقها من مكان ما. وثقاب، ومشدات، وتذكرة سفرها إلى نيوزلندا. وحشوات من القماش. ومراة فضية الظهر. قلب بريتشارد في الكومة. وجد غليون أنا، ولا بُدَّ

أن يوجد معه صندوقًا صغيرًا، أو حقيبة صغيرة تحتوي على عجنتها من الأفيون ملفوفة في مربع من ورق الشمع، كالطوفي الذي يُباع في المتاجر. وأطلق شتمة.

آنا: "أنتَ وحش، أنت كرية".

تجاهلها وتناول الغليون.

كان غليونًا صينيًا، مصنوعًا من البامبو، في مثل طول ساعد بريتشارد. بطن الغليون مُعلّق قبل نهايته بحوالي الثلاث بوصات، بارز كمقبض الباب، ومثبّت في جسم الغليون بإبزيم معدني. حمل بريتشارد الغليون ليختبر ثقله، حمله كما يحمل عازف الفلوت آله الموسيقية. وشمّه. كان هناك بقايا داكنة حول حافة بطن الغليون، وهذا يعني أن أحدهم شرب من الغليون، وحديثًا.

"هل ارتحت؟".

"انتبهي لألفاظك، أين الإبرة؟".

"هناك"، وأشارت لمربع من القماش وسط الانقراض البائسة القابعة على الأرض، مغروس فيه دبوس قبعة طويل، مُسوّد الطرف. شمّه بريتشارد. ثم أدخله في فتحة بطن الغليون وأداره بداخله.

"ستكسره".

"إذا حدث هذا فسأكون قد أسديتُ لك معروفًا".

(استنكر بريتشارد اشتهاه أنا للمخدر، لكن لماذا؟ فهو نفسه قد تعاطى الأفيون مرات عديدة. تعاطاه في كانير، ومع أه سووك، في الكوخ الصغير الذي علّق فيه سووك الأقمشة الشرقية، حتى تسكن حركة الهواء بداخله كي لا ترتعش شعلات مصابيح الثمينة في تيارات الهواء).

وأخيراً ألقى بريتشارد الغليون جانباً بلا اهتمام، فارتطم بطن الغليون بالأرض مُحدِّثاً رنيناً عاليًا.

ردَّدت آنا: "وحش".

"هل حقًا أنا وحش؟".

وهجم عليها، ليس بنيَّة حقيقيَّة لإيذائها، فقط بغرض أن يمسكها من كتفيها ويهزَّها حتى تخبره بالحقيقة. تحرك بطيِّش فنَجَحَتْ هي في انتزاع نفسها منه، وللمرة الثالثة عصر اليوم يمتلئ أنف بريتشارد برائحة المحيط الغنية المالحة، وأحسَّ -رغم استحالة الأمر- بمذاق البرد المعدني، كأن الريح صفعت وجهه، كأن شراعًا انتفض فوق رأسه ممتلئًا بالهواء، كأن السماء مُعبأة بنذر العاصفة. فتعثَّر.

"ابتعدْ". كانت يداها مرفوعتين أمام وجهها، وأصابعها مضمومة في قبضتين. "أنا جادَّة فيما أقوله يا جوزيف، لن أسمح لك أن تدعوني بالكاذبة، ابتعدْ عني واخرجْ من هنا".

"سأدعوكِ كاذبة يا ملعونة إذا ما كذبتِ".

"ابتعدْ".

"أخبريني أين خبأته".

"ابتعدْ!"

وصرخ: "ليس قبل أن تخبريني بمكانه! أخبريني أيتها العاهرة الملعونة عديمة النفع".

هجم عليها مرة أخرى باستماتة؛ ورأى عينيها تتقدَّان، وفي اللحظة التالية مدَّت يدها داخل صدرها وسحبت مسدَّسًا صغيرًا، من النوع الذي يحوي رصاصة واحدة. كان صغيرًا جدًّا، أطول قليلًا من أصبع بريتشارد، لكن من مسافة خطوتين، يمكنه تحطيم صدره. وبحركة غريزية رفع يديه لأعلى. المسدَّس كان مُوجَّهًا بالعكس، فتحة ماسورته

مصوِّبة ناحية ذقن أنا، وعليها أن تلفَّه كي تمسكه بالشكل الصحيح، لكنها كانت فاقدةً الرُّشد، وفي هذه اللحظة حدثت ثلاثة أحداث. خطا بريتشارد للوراء فتعثَّر في طرف الحصيرة المفروشة على الأرض، وانفتح باب الغرفة وأتت منه صيحة، والتفتت أنا خلفها، وبادرت بالتحرك، وأطلقت الرصاص على صدرها.

كان الصوت الصادر عن المسدس مجوِّفًا، يكاد يكون غير ملحوظ، كصوت حركة شراع مرتفع على سطح سفينة، بدا الصوت كأنه صدى من نفسه، كأن الرصاصة الحقيقية قد انطلقت في مكان ما أبعد كثيرًا، وهذه الضوضاء ما هي إلا نسخة منها. التفت بريتشارد بسرعة وبغباء، موليًّا ظهره لآنا، ومواجهًا للشخص الواقف في الباب. أحسَّ بعقله ممتلئًا بالضباب؛ ولاحظ ببعض الانفصال عن الواقع أن الرجل الذي دخل لتوَّه الحجرة هو أوبرت چاسكوين، الموظف الجديد في المحكمة. بريتشارد لا يعرف چاسكوين جيدًا. جاء الموظف لمعمله منذ ثلاثة أسابيع يطلب دواء للقولون، والمدهش أن بريتشارد تذكَّر هذا وتساءل هل ساعده دواؤه كما وعده بأنه سيساعده.

لجزء من الثانية، لم يتحرك أحد، أو ربما لم يمر الوقت بالمرة. ثم صرخ چاسكوين لاعِنًا، وارتمى على جسد العاهرة، دفع برأسها للخلف وسقط المسدس جانبًا، بياض رقبتها لم يكن مجروحًا، لم يجد دمًا، وكانت تتنفَّس، وطارت يداها إلى عنقها.

صرخ چاسكوين: "أيتها الحمقاء، أيتها الحمقاء!"، خرج صوته محشرجًا. أمسك ياقتها الدانتيل بكلتا يديه ومزَّقها. "أهو خرطوش فارغ؟ أهى كرةٌ من الشمع؟ هل تفكرين في إخافتنا جميعا مرة أخرى؟ ماذا بحق الشيطان تظنين أنك فاعلة؟"

كانت يدا أنا فوق صدرها، وأصابعها تلمس وتخبِط هنا وهناك بارتباك. وعيناها متسعَتين.

قال بريشارد: "رصاصه زائفة؟"، وانحنى والتقط المسدس.

كانت الماسورة ساخنة، ورائحة البارود في الهواء، لكنه لم يجد غلاف الطلقة، ولم يجد ثقبًا في أي مكان. خلف أنا كان الحائط مكسورًا بالجصّ وناعمًا، تمامًا كما كان منذ ثمانية مضت. بحث الرجلان في المكان، في الجدران، والأرضية، وأنا. وبحثت العاهرة في صدرها. أمسك بريشارد المسدس وتركه يتدلى بحماقة من سبابته، تناوله منه چاسكوين وبأناقة فتح الماسورة وألقى نظرة إلى خزانة المسدس. ثم التفت إلى أنا.

سألها: "مَن حشا هذا السلاح؟".

قالت أنا، مشوِّشة الفكر: "حشوته بنفسي. يمكنني أن أريك باقي الطلقات".

"أريني، أريني إياها".

نهضت بمشقةٍ وذهبت إلى وحدة الرفوف الصغيرة بجانب السرير، وعادت بعد لحظة بعلبة صفيح بها سبع طلقات تندرج في قاع العلبة فوق قطعة ورق بُيَّية اللون. لمس چاسكوين الطلقات بأصبعه. ثم ناول العاهرة المسدس. "احشيه كما فعلت في المرة السابقة بالضبط". هزّت أنا رأسها بغباء. أدارت الماسورة جانبًا وأدخلت الطلقة في الخزانة. ثم أغلقت المسدس بطريقة صحيحة، وأمالته، وأعادته له. بدت لبريتشارد فَرَعَة، واجمة، وتتحرك كأنها آلة. أخذ چاسكوين المسدس منها، وعاد بظهره عدة خطوات، ورفع، وأطلق النار على رأس سريرها. صدر عن المسدس نفس الصوت، لكن هذه المرة سمع بريشارد همهمات قَلِقَة تأتي من الطابق الأسفل، وخطوات أقدام مسرعة، ونظروا جميعًا إلى حيث أطلق چاسكوين النار. اخترق ثقب دائري منتظم داكن الحواف وسادتها من منتصفها، وطففت في الهواء سحابة صغيرة من ريش الحشو وهبطت أمامهم كغشاء

شفاف. تقدّم چاسكوين، وأزاح الوسادة جانبًا. وتحسّس بأصابعه في رأس السرير، تمامًا كما تحسّست أصابع أنا رقبتها بحثًا عن إصابة، وبعد لحظة ندت عنه زمجرة ارتياح.

بريتشارد: "هل وجدتها؟".

فحص چاسكوين عمق الثقب بطرف إصبعه. "بالكاد أحدثت خدشًا. هذه المسدسات النسائية لا تساوي الكثير".

تحير بريتشارد. "لكن أين...؟"، ولم يكمل جملته.

ردّ چاسكوين: "ماذا حدث للطلقة الأولى؟"، ونظروا جميعًا إلى الطلقة المشوهة في يده. ثم نظر چاسكوين لآنا، ونظرت أنا إليه، وبدا لبريتشارد كأنهما تبادلا نظرة من التفاهم المشترك.

كم هو مؤسف أن يرى المرء عاهرته تتبادل النظرات مع رجل آخر! ودّ بريتشارد لو يحتقرها، لكنه لم يستطع، أحسّ بمشاعره متبلّدة، ومرتبكة. وأحسّ بطنين في أذنيه.

التفتت أنا إليه. "هلاً نزلت وأخبرت إدجار أنني كنت ألعب بالمسدس، أو أنظفه، وأنه انطلق بالخطأ؟".

بريتشارد: "إنه ليس في المكتب".

"إذن أخبر الخادم. أعطهم خبرًا بالأمر. لا أريد أن يصعد أحدهم إلى هنا؛ لا أريد أي متاعب. أخبرهم من فضلك".

بريتشارد: "حسنًا، سأفعل هذا. ثم...".

ردّت أنا بحسم: "ثم عليك أن تنصرف".

"أريد ما أتيتُ في طلبه". تحدّث بريتشارد بهدوء وهو يرمق چاسكوين بطرف عينه، لكنّ عينيّ چاسكوين كانتا مثبتتين في الأرض بتحفظ.

"چوزيف، لا يمكنني مساعدتك، ليس لديّ ما تريد. من فضلك انصرف".

نظر في عينيها مرة أخرى. كانتا خضراوين يحيط بحدقتيهما إطار غامق سميك، وتتجمع بقع من الرمادي الداكن حول البؤبؤ في أشعة. مرّت شهور منذ شاهد لون عينيها، منذ شاهد بؤبؤها كنقطة، كحبة، وليس كقرص من السواد الغائم المتبدّل بالنعاس. ليس لديه أي شك على الإطلاق في أنها منتبهة تمامًا؛ ولهذا فهي كاذبة، وربما أيضًا لصّة، وهي تخدعه. وموعدها مع چاسكوين سرٌّ آخر. كذبة أخرى. ستخرج مع إحدى السيدات لتتفرّج على القُبُعات!

لكن بريتشارد وجد أنه لا يمكنه إحياء ثورة غضبه. وأحسّ بالعار. أحسّ كأنه هو مَنْ تطفّل عليهما، كأنه هو من أزعج لقاء دافنّا بين أنا وچاسكوين في غرفة العاهرة. أحسّ بعار خشن وطفولي، أحسّ به كدفقة من المرارة تتجمع في حلقه.

أخيرًا استدار مغادرًا. عند مدخل الغرفة مدّ يده ليمسك بالمقبض ويغلق الباب خلفه، وقهّل في حركته ليعطي نفسه فرصة لرؤيتهما من فتحة الباب.

بدأ چاسكوين يتحرك قبل تمام انغلاق الباب. دار ناحية أنا وفتح ذراعيه ليحتويها، ورمّت أنا نفسها بين ذراعيه، ورفعت وجنتها الشاحبة لتسندها في تجويف عنقه. لفّ چاسكوين ذراعيه بقوة حول خصرها، وسكن جسد أنا؛ فرفعها، حتى لامست أطراف أصابع قدميها الأرض؛ كان قابضا عليها. وخفض رأسه ووضع وجنته على شعرها. كان فكّه مُطبّقًا؛ وعيناه مفتوحتين؛ ويتنفّس بقوة من أنفه. بريتشارد، ببصره المعلق على الباب، غمره الإحساس بالوحدة. أحسّ أنه لم يحب مطلقًا، ولم يحبه أحد. أغلق الباب بهدوء بقدر ما استطاع، وهبط السلم.

"هل لي أن أقاطع لأستفسر عن شيء ما؟".

"نعم، بالطبع".

"هل يمكن أن تريني بالضبط كيف كانت الأنسة ويذريل تمسك بالمسدس؟".

"بالطبع. هكذا، بباطن يدها هنا. كنت واقفاً أمامها بزاوية، تقريباً في نفس مكان جلوس السيد مانرينج الآن بالنسبة لمكاني، وكان جسدها نصف ملتفت، هكذا".

"وإذا ما انطلق المسدس في هذه الوضعية، ما نوع الإصابة التي قد تلحق بالآنسة ويذريل؟".

"جرح في الكتف إن حالفها الحظ. أما إن خاصمها الحظ، فإلى الأسفل قليلاً. ربما في قلبها. أو الجانب الأيسر من صدرها. الشيء المدهش بحق أنه حتى وإن كانت الرصاصة فارغة، فلا بُدَّ أنها كانت ستتأثر بالغلاف الفارغ، أو تحرقها بودة البارود، أو تلسعها على أقل تقدير. لم نستطع تفسير ما حدث".

"أشكرك، وآسف على المقاطعة".

"هل هناك ما تودُّ أن تُطلعنا عليه يا سيد مودي؟".

"نعم، عمّا قريب، لكنني سأنتظر حتى أسمع بقية القصة".

"عليّ أن أقول يا سيدي إنَّكَ تبدو غريباً جداً".

"أنا على ما يرام، أكمل حديثك من فضلك".



عاد بريتشارد لمتجر الأدوية الخاص به، الواقع في شارع كولينج وود، في ساعة مبكرة من ساعات بعد الظهر، لكنه أحسَّ أن الوقت تأخر، وأن الليل ولا بُدَّ يوشك أن يحلَّ، بحكم الإرهاق الذي يشعر به. دخل المتجر من بابه وأمضى لحظة خرقاء يساوي شرائط شحذ الأمواس مع جوانب الرفوف، ويرتب الزجاجات جنبًا إلى جنب بالتوازي مع حافة شرفة العرض، فجأة أحسَّ أنه لا يستطيع الاستمرار. فوضع لافتة على النافذة تبلغ الزبائن بالعودة يوم الاثنين، وأغلق الباب بالفتحاح، ولجأ إلى معمله.

كان هناك عدة طلبيات موضوعة على مكتبه، في انتظار تجهيزها، لكنه حدَّق في الأوراق بدون أن يراها. خلع سترته وعلَّقها على الخطاف بجانب الموقد. وربط مريسته حول خاصرته بحكم العادة. ثم وقف يحدَّق في اللا شيء.

كلمات ماري منزيس قيَّدته، كانت نبوءته، ولعنته. "أنا لا أظن أنك أبداً كنت راضياً، أعتقد أنك لا يعجبك العجب"، لقد تذكر تلك الكلمات، وخطَّها على الورق؛ وبهذا ضمن تحوُّل كلماتها إلى حقيقة. لقد أصبح الرجل الذي رفضته، لأنها رفضته، لأنها تركته. والآن، هو في الثامنة والثلاثين من عمره، ولم يحب أبداً، بينما حظي غيره من الرجال بعشيقات، وبزوجات. بأصبعه الوسطى لمس بريتشارد عنق زجاجة من زجاجات الوصفات الطبية أمامه على المكتب. كانت في التاسعة عشرة من عمرها. وهي بالنسبة له ماري منزيس.

تذكر إحدى مقولات أبيه: إن أسمى الكلب اسماً سيئاً، سيظل كلباً سيئاً طيلة حياته. ("تذكَّر هذا يا جوزيف". قالها وإحدى يديه فوق كتف بريتشارد والأخرى تسند كلباً حديث الولادة إلى صدره؛ في اليوم التالي أطلق بريتشارد على الكائن الصغير لقب "كرومويل"، وأوماً أبوه برأسه مرة). تذكَّر بريتشارد هذه الكلمات، وفكَّر: هل

هذا ما فعلته في نفسي، وفي قدري؟ هل أنا الكلب في حكمة أبي، الكلب ذو الاسم السيئ؟ لكنه لم يكن يتسائل.

جلس ووضع كَفِّه على مقعد المعمل، وراحته لأسفل. وسرحت أفكاره إلى آنا. حسبما تقوله فهي لم تحاول الانتحار بالمرة، وهو ادّعاء يصدقه بريتشارد. آنا تحيا حياة تعيسة، لكنها لا تخلو من المسرّات، وهي ليست من النوع العنيف من البشر. أحسّ بريتشارد أنه يعرفها، ولا يمكنه تخيّل أن تحاول قتل نفسها. رغم ذلك فإنها قالت: أحيانًا تخطر الفكرة على بال المرء، من آنٍ لآخر. زاد إحساس بريتشارد بالإرهاق. من آنٍ لآخر، يخطر هذا على بال المرء.

أنا معتادة على تعاطي الأفيون. تتعاطاه يوميًا تقريبًا، وهي معتادة على آثاره في جسدها وعقلها. لم يرها بريتشارد أبدًا تفقد الوعي تمامًا ولا يمكن إفاقتها لمدة تزيد عن اثنتي عشرة ساعة متّصلة، إنه يشك أن مثل هذه الواقعة قد تحدث مصادفة. حسنًا، إن كانت حقًا لم تحاول قتل نفسها، كما قالت، فهذا يترك خيارين اثنين لا ثالث لهما: إمّا أن أحدهم خدّرها، واستخدمها لغرض شنيع، ثم تركها في شارع كرايست تشيرش، وإمّا (وأوماً بريتشارد ببطء) أنها تكذب. لقد كذبت بخصوص عجينة الأفيون؛ يمكن أن تكون كاذبة بشأن الجرعة الزائدة أيضًا. ولكن ما السبب؟ من الذي تحاول حمايته؟ ولأي مدى ستحاول حمايته؟

أكد طبيب هوكتيكا أن آنا تعاطت جرعة كبيرة من الأفيون في ليلة الرابع عشر من يناير: وشهادته بخصوص هذا الأمر نشرتها جريدة تايمز الساحل الغربي في اليوم التالي لمحاكمتها. هل تمكّنت آنا من خداع الطبيب؟ أو أقنعتة بطريقةٍ ما أن يقدم تشخيصًا غير حقيقي؟ لقد ظلّت في السجن لمدة تزيد عن اثنتي عشرة ساعة، تعرّضت خلالها للدفع والهزّ ومختلف طرق الفحص من مختلف أنواع الرجال،

وظلت تحت نظر العشرات. من الصعب أن تخدعهم جميعًا. الإغماء الحقيقي لا يمكن تزييفه. حتى العاهرة ليست ممثلةً ماهرة لهذه الدرجة.

حسنًا، ربما تمّ تسميم المخدر بالفعل. قلب بريتشارد كفيه وتأمل الدوائر في بصمات أصابعه، كل يد نسخة طبق الأصل من الأخرى. حين يضمّ أطراف أصابعه سويًا تتطابق كصورة في المرآة، مثلما يضع المرء جبهته على الزجاج. مال للأمام ليتمعن في الدوائر، هو لم يغير المخدر بأي شكل، ولا يعتقد أن سووك الصيني قد يفعل هذا. فسووك مغرم بآنا، ومن المستحيل أن يفعل شيئًا يؤذيها. وهذا يعني أن المخدر تمّ تسميمه إمامًا قبل أن يشتريه هو بالجملة، أو بعد أن اشتريته آنا من أه سووك، لتشربه في البيت.

مصدر بريتشارد لجميع أنواع المخدرات هو رجل يدعى فرانسيس كارفر. تذكره بريتشارد الآن. إنه سجين سابق، وسُمعته سيئة نتيجة لذلك؛ لكنه في تعامله مع بريتشارد مهذب وأمين، وليس لدى بريتشارد أي سبب يدعو للشك في أن يقوم كارفر بما يسيء له أو لتجارته. أما بخصوص ما إذا كان كارفر يحمل نية سيئة تجاه الصينيين، فهو أمر لا يعرف بريتشارد عنه شيئًا، لكنه لا يبيع مباشرة للصينيين. إنه يبيع لبريتشارد، وليس لأحد آخر.

قابل بريتشارد كارفر للمرة الأولى في صالة قمار في شارع ريفل، منذ حوالي سبعة أشهر، بريتشارد يعشق القمار، كان جالساً بين جولات رمي النرد يتناول مشروباً، ويحسب خسائره في عقله، وجلس بجانبه رجل يحمل ندبة على وجهه. وعلى سبيل المجاملة سأله بريتشارد إن كان يحب اللعب بالكروت، وعن سبب مجيئه لهوكتيكا؛ وسرعان ما تبادل الحديث. وحين أتى بريتشارد على ذكر مهنته في معرض الحديث، بدا الاهتمام على وجه كارفر. فنحّى كأسه جانباً وأوضح

لبريتشارد أن لديه علاقة طويلة الأمد مع رجل من شرق الهند يسيطر على مزارع للخشخاش في البنغال. وفي حالة حاجة بريتشارد للأفيون فإن كارفر يضمن توفيره بجودة لا مثيل لها وبكميات غير محدودة. في ذلك الوقت لم يكن لدى بريتشارد أي مخزون من الأفيون، اللهم إلا بعض الشراب المهْدِيُّ ضعيف الأثر اشتراه من محتال؛ لهذا السبب فإنه وبلا تردد شكر كارفر وشد على يده واتفق معه على اللقاء في صباح اليوم التالي للاتفاق على التعاون بينهما.

منذ ذلك التاريخ أمدّه كارفر بثلاثة أرطال من الأفيون. لم يكن يبيع بريتشارد أكثر من رطل واحد في المرة الواحدة، والسبب في ذلك (وقد أوضحه كارفر بمنتهى الصراحة) أنه يريد إحكام قبضته على بضاعته ليمنع بريتشارد من بيع الأفيون بالجملة للباعة الآخرين، وكسب ربح الوسيط. (وفي بيعه الأفيون لأه سووك قام بريتشارد بالطبع بما أراد كارفر منعه، لكن كارفر لم يصله خبر بهذا الاتفاق الجانبي، فنادرًا ما طالت إقامته في هوكتيكا، ولم يتعب بريتشارد نفسه في الاعتراف بالأمر). تأتي عجينة الأفيون ملفوفة في الورق وموضوعة في علبة صفيح تشبه علب الشاي.

شدّ بريتشارد مسمارًا من مقعد المعمل وبدأ ينظف الأوساخ من تحت أظافره، ولاحظ أن أظافره طالت.

أيمكن أن يتجرأ كارفر ويسمّم المخدر قبل أن يبيعه لمتجر أدوية؟ حيث بإمكان بريتشارد تجفيف العجينة وتحويلها لشراب مخدر، وبيع القنينات لعدد كبير من الزبائن؛ وربما يستخدم هو نفسه المخدر. كارفر له تاريخ أسود مع أنا؛ وقد أذاها بشدة مرّة فيما سبق. لكن حتى وإن رغب في قتلها بجرعة زائدة، ليس هناك ما يضمن أن يصل بعض هذا المخدر المسموم إلى يد أنا. كور بريتشارد

بعض الأوساخ بين أصابعه. لا: لن يضع أحدهم خطة تحوي كل هذه الاحتمالات، قد يكون كارفر متوحِّشًا، لكنه ليس أحمق.

بعد استبعاد هذه النظرية، بدأ الكيميائي يفكر في الاحتمالية الثانية، أن المخدر تمَّ تسميمه بعدما أخذت أنا ويزريل قطعة من أه سووك لتعطاه في منزلها. ربما تسلَّل أحدهم إلى غرفتها في الجريديرون وسَمِّمه هناك. ولكن، لماذا؟ لِمَ قد يتعب نفسه بتسميم الأفيون؟ لِمَ لا يقتل العاهرة بطريقة تقليدية، يخنقها، أو يكتم أنفاسها، أو يضربها حتى الموت.

احتار بريتشارد، فعاد إلى ما يعرف بفطرته أنه حقيقي. هو يعلم أن أنا ويزريل لم نقول الحقيقة الكاملة عما حدث يوم الرابع عشر من يناير. ويعلم أن أحدهم تعاطى الأفيون حديثًا في الغليون المخبأ في غرفتها. ويعلم من عينها وحركاتها أنها توقَّفت عن تعاطي الأفيون، ليس لديه شك أنها خالية منه خلَّو العظام من الماء. كل هذه الحقائق بالنسبة لبريتشارد تؤدي إلى استنتاج واحد.

همس: "اللعنة، إنها تكذب، ولحساب شخص آخر".

واستأنف النهار زحفه.

التقط بريتشارد طلبياته المؤجلة، ورغبة منه في صرف ذهنه عمَّا يشغله، بدأ العمل عليها. ولم يحسَّ بمرور الوقت حتى أعادته طريقة خفيفة على باب معمله للَحظة الراهنة. فالتفت، ولاحظ بدهشة خفيفة أن الضوء أصبح شاحبًا والغسق يقترب، ورأى ألبرت، موظف نيلسن الصغير السن، يحوم حول الباب متقطع الأنفاس بنظرة حَجَل تعلقو وجهه. ويحمل رسالة.

قال بريتشارد وهو يتقدم نحو الباب: "آه، رسالة من نيلسن". كان قد نسي تمامًا حديثه مع نيلسن في ساعة مبكرة من عصر اليوم، والطلب الذي طلبه منه، أن يعثر على كيمي صائغ الذهب، ويسأله

عن الذهب المسبوك الذي اكتشفوه في أملاك كروسبي ويلز. كان قد نسي كروسبي ويلز تمامًا، ونسي ثروته، وأرملته، والسيد ستينز المختفي. كم يدور العالم بهدوء حين يكون المرء وحيدًا، غارقًا في تأملاته.

بحث بريتشارد في مريسته عن قطعة من فئة الستة بنسات، لكن ألبرت احمرَّ خجلًا وتلعثم. "لا، يا سيدي"، ورفع كفيه لأعلى، ليعلن أنه يكفيه شرف القيام بالتوصيل.

وفي الواقع فإن ألبرت كان متأكدًا أنه في حياته كلها لم يمر عليه عصر يوم أشد إثارة من عصر يومه هذا. فرئيسه، حين عاد من الحي الصيني في كاننير منذ حوالي نصف الساعة، كان في حالة من الهياج بحيث كاد أن يخلع الباب من مفاصله. وخط الرسالة التي يحملها ألبرت الآن بالعاطفة المتقدمة لمؤلف موسيقي في لحظة انسجام مع عرائس الإلهام. وأغلق الرسالة بختم الشمع بطريقة سيئة، وأسقط من الشمع الذائب على نفسه، وأطلق شتمة، ثم دفع الورقة المطوية المكتلة لألبرت قائلاً بصوت أجش: "بريتشارد، أعطها لبريتشارد، بأسرع ما يمكنك". وحين اختلى بنفسه في حجرة استقبال الكيميائي، قبل أن يدخل إلى المعمل، ثنى ألبرت طرفي الرسالة سويًا بحيث تصبح على شكل أنبوب، وباختلاس النظر للورقة استطاع التقاط بعض كلمات أوحى له بمؤامرة من أخطر الأنواع. وأسعده أن يخطط رئيسه لما لا يُحمد عقباه.

أخذ بريتشارد الخطاب. "حسنًا، شكرًا. هل قال إنه بحاجة لردي؟".

قال الفتى: "لا يا سيدي، لكنه أمرني أن أبقى معك حتى تحرق الورقة، وذلك بعد أن تنتهي من قراءتها".

شخر بريتشارد ضاحكًا. هكذا هو نيلسن، في البداية يتجهَّم، ثم يشتكي من فوضى الأمر كله، ثم يتلجأ، ثم يحاول رمي المسؤولية من

على أكتافه، لكن بمجرد أن يشارك، بمجرد أن يحسّ بأنه مؤثّر، ومثير للإعجاب، يتحوّل الأمر كله بالنسبة له إلى تمثيلية، مسرحية مشوقة؛ ويتألق فيها.

ابتعد بريتشارد عدة خطوات (بدا الفتى محبّطاً)، وأزال الختم بأصابعه وفرد الورقة على مكتب المعمل، وقرأ،

چو،

ذهبت لمقابلة كيي، كما طلبت مني. لقد كنت مُحِقّاً بشأن الذهب، تلك السبائك من صنعه، لكنه يُقسم أنه ليس لديه أدنى فكرة كيف انتهى الأمر بالذهب عند ويلز. العاهرة متورّطة في الأمر كله، ربما تعلم أنت ذلك بالفعل، رغم أننا لا زلنا نجهل حقيقة الأمر فيما يخصّ مدبّر المؤامرة، وأنا هنا أستعير كلامك. ويبدو أن الكثيرين متورّطون مثلهم في ذلك مثلنا، سواء من بعيد أو قريب. لدينا الكثير لنناقشه. أقترح القيام باجتماع، يضمّ الصينيين أيضاً. سنتقابل في الغرفة الخلفية لفندق كراون عند مغيب الشمس. سأحرص ألاّ يزعجنا أحد في اجتماعنا. لا تخبر أحداً، حتى وإن كنت تثق بهم، حتى ولو لهم صلة وقد يقفون معنا يوماً ما كمتهمين، من فضلك تكرّم بتدمير هذه الرسالة.

ه ن

القمر يكبر في برج الثور

حيث يُكون تشارلي فروست حدساً، ويرتدي ديك مانرينج حزام المسدسات الخاص به، ونسافر شمالاً مع النهر إلى حقول الذهب في كانيير.

التحريات التي قام بها توماس بالفور في البنك المركزي لنيوزلندا هذا الصباح أثارت فضول موظف البنك على عدة مستويات، وبمجرد مغادرة توماس للبنك، قرّر السيد فروست أن يشرع على الفور في القيام بتحرياته الخاصة. كان لا يزال ممسكاً بسجل ملكية أسهم منجم الأورورا، الذي يملكه ويديره المستكشف المختفي، إيميري ستينز. خبط فروست بإصبعه النحيلة على المستند وهو يفكر. أورورا، لقد رأى هذا الاسم مؤخراً، لكن أين؟ بعد لحظة ترك المستند جانباً، وهبط من مقعده، وخطا ناحية الخزانة المقابلة لمقصورته، حيث صفّ من

الملفات بكعوب جلدية مكتوب عليها: "العوائد الربع سنوية". فأخذ الرُّبعين الثالث والرابع من السنة الماضية، وعاد إلى كرسيه ليفحص سجلات منجم الذهب.

كان تشارلي فروست رجلاً ضئيل السُّمعة، وقد اختار لنفسه هذه السُّمعة وحرص عليها، فمثلها لا يأتي إلا بالطلب، وفروست شخص متواضع، محتشم في ملابسه، هادئ في ملامحه، وينفر من إثارة الشغب، مهما كانت الاستفزازات. في حديثه كان متأنياً ومراعياً. ونادراً ما يضحك بصوت عالٍ، ورغم أن هيئته تبدو ضعيفة وخاملة، إلا أنه يبدو دائماً متيقظاً، كأنه منتبه بصفة دائمة لبعض قواعد الإتيكيت التي غفل عنها الرجال الآخرون. لا يحب الإفصاح عن ميوله، ولا يحب الاستطراد في الحديث؛ وفي المناقشات يتردد في الدفاع عن أي أجندة من أي نوع. هذا لا يعني أن السيد فروست بلا أجندة، أو أن ميوله قليلة؛ فالطقوس العديدة لحياته الخاصة منظمّة إلى أقصى حد، وطموحاته محددة تماماً. لكن فروست تعلّم قيمة أن يبدو متواضعاً، ويعرف مقدار القوة الكامنة في الغموض (وهي قوة لأنها تثير الفضول في نفوس الآخرين)، وهو متمكن من استخدامها تماماً، لكنه حريص كل الحرص على إبقاء هذه الموهبة مخفية. وانطباع الغرباء عنه حين يقابلونه لأول مرة هو أنه رجل يستجيب ولا يبادر، رجل لا بد أن يكون مرؤوساً في عمله، ولا بد من إغراءه والإيقاع به لكي يحب، وهو في جميع متعه ومسراته ثابت على موقفه من لين الجانب وسلاسة الانقياد.

فروست في الرابعة والعشرين من عمره، من مواليد نيوزيلندا. كان والده موظفاً كبيراً في شركة نيوزلندا، التي توقف نشاطها، وحين نزل والده عند مصب نهر هت، وعثر على ثروة من الأراضي المنبسطة القابلة للتجزئة والبيع، أرسل لوطنه بدون تأخير طلباً لزوجة. فروست ليس فخوراً بموطنه، فالجنسية التي يحملها نادرة بالنسبة لرجل

أبيض، ويحس بالعار منها. لم يكن يتحدث عن طفولته، التي أمضاها في أرض وادي هت المستوية المليئة بالمستنقعات، يقرأ المرة تلو المرة نسخة أبيه القديمة من كتاب الفردوس المفقود، الكتاب الوحيد الذي تملكه العائلة بالإضافة إلى الإنجيل. (وحين بلغ الثامنة من عمره كان بإمكانه سرد كل أحاديث الله، والابن، وآدم، لكنه لم يحفظ أحاديث الشيطان، لأنه اكتشف أنه مشاكس، ولا أحاديث حواء، لأنه أحسّها رَخَوَةً ومُملّة). لم تكن طفولته تعيسة، لكنه يحسّ بالتعاسة حين يتذكرها. وحين يتحدث عن انجلترا يبدو كأنه يفقدتها كثيراً، ويتوق للعودة إليها.

عند تصفية أعمال شركة نيوزلندا، أفلس والده تمامًا، وساءت سمعته. والتفت لابنه الوحيد طلبًا للمساعدة. عثر تشارلي فروست على وظيفة كتابية في ويلنجتون، وسرعان ما عُرضت عليه وظيفة في بنك في خليج لامبتون، وهي وظيفة سمحت له أن يوفّر لوالديه فرصة الحياة بصحة جيدة وبعض الرفاهية. وعند اكتشاف الذهب في أوتاجو، انتقل فروست إلى بنك في لورانس، ووعد بإرسال الجزء الأكبر من أجره كل شهر إلى والديه بالبريد، وهو وعدٌ لم يخلفه فروست بالمرة. لم يُعد ثانية إلى بيته في وادي هت، ولا ينوي العودة. يميل تشارلي فروست إلى التفكير في كل علاقاته على ضوء المكاسب التي تعود عليه منها، وبمجرد أن يرى أنه قد أدى واجبه ناحية الآخرين، فهم لا يخطرون على باله مرة أخرى. والآن، في هوكتيكا (حيث لحق بجموع الباحثين عن الذهب من لورانس إلى الساحل)، فهو لا يفكر بالمرة في والديه، إلا وقتما يكتب لهم كل شهر. والكتابة لهم مهمّة شاقة، فخطابات والده له مبتورة ومعبأة بالخجل والخزي، أما خطابات والدته فملئية بالحيرة والمشاعر الصامتة التي تأسف لحال تشارلي فروست، ولكن بشكل عابر ومختصر. وحين ينتهي من كتابة وإرسال ردوده، يمزق خطاباتها إلى قصاصات رفيعة لإشعال سيجاره،

ويقطع الصفحات طولياً ليحجب قيمتها تماماً؛ ويحرقها بلا مبالاة تامة.

قلب فروست صفحات دفتر العوائد حتى وصل إلى قسم كانير وأخدود هوكتيكا. كانت القيود مرتبة أبجدياً، والأورورا هو ثاني اسم، يسبقه منجم يُدعى "كل الفصول" وهو اسم متفائل جداً بالنسبة للساحل الغربي. مال فروست على الصفحة ليقراً الأرقام، ثم همهم متعجباً.

أعطى منجم الأورورا إنتاجاً رائعاً في الشهر التالي لشرائه، قرابة المائة جنيه؛ لكن في أغسطس انخفضت أرباح المنجم بشكل كبير، لدرجة أنها -ورفع فروست حاجبيه- توقفت تماماً. مجمل ربح الأورورا في ربع السنة الأخير بلغ اثنتي عشر جنيهاً فقط. جنيه واحد في الأسبوع! هذا غريب جداً بالنسبة لمنجم في مثل عمق الأورورا وإمكاناته. جنيه واحد في الأسبوع، هذا بالكاد يكفي لتغطية مصروفات التشغيل. مال أكثر فوق الدفتر، ذكر القيد أن المنجم يعمل فيه رجل واحد فقط، والاسم المكتوب اسم صيني، إذن فتكاليف العمالة منخفضة، لكن حتى في هذه الحالة، فهذا العامل يقبض أجراً يومياً.

قطب تشارلي فروست. طبقاً لدفتر الملكية، فقد اشترى أييري ستينز منجم الأورورا في أواخر خريف السنة الماضية. وبعدها بأسابيع، باع ستينز خمسين بالمائة من أسهم المنجم للغني عن التعريف فرانسيس كارفر، وبعد هذه الصفقة مباشرة -كما يظهر في هذا القيد- نضب المنجم فجأة. إمّا أن الأورورا قد نضب فجأة وأصبح منجماً لا يساوي شيئاً، وإما أن أحدهم يحاول بمهارة أن يظهر المنجم بهذا الشكل. أغلق فروست الدفتر ووقف لبرهة مفكراً. سرح بصره إلى جموع الحاضرين: المنقبين بقبعاتهم عريضة الحواف، والمستثمرين،

وحرس الذهب بشارات أكتافهم المجدولة. وفجأة، تذّكر أين رأى هذا الاسم من قبل.

وضع بطاقة على مقصورته تشير أن الشباك مغلق.

سأله زميل: "أستأخذ بقية اليوم إجازة؟".

رمش فروست. "أعتقد هذا. لم أكن أنوي ذلك، لقد نويت أن أعود بعد ساعة الغداء".

فردّ الموظف الآخر ظهره وخبط بطنه بكفيه. "سنُغلق في الثانية، وليس هناك صفقات شراء أخرى اليوم، بعد الانتهاء من هذه. أراك يوم الاثنين يا تشارلي".

حدق فروست في قمة قبّعته، وكأنه ارتبك لمرآها في يده فغمغم: "هذا لطف منك، شكرًا جزيلاً".

Φ

كان ديك مانرينج بمفرده في مكتبه حين طرق تشارلي فروست بابه. اندفعت كلبة مانرينج من تحت مكتبه في انفجار من طاقة البهجة، ووثّبت على فروست وذيلها يخبط الأرض، وفمها الأحمر مفتوح.

اندهش مانرينج، ودفع كرسي مكتبه للخلف. "تشارلي فروست، لم أتوقّع رؤيتك، ادخل، ادخل وأغلق الباب. لديّ إحساس أن ما ستخبرني به هو أمر خاص".

أمسك فروست خطم الكلبة ونظر في عينيها وعبث بأذنيها. "انزلي يا فتاة"، فرضّخت لأمره راضية وهبطت على أقدامها الأربع وخبث عائدة إلى سيدها، حيث لفّت ورقدت ووضعت أنفها فوق كفيها، ورمقت فروست بنظرة أسفة من تحت حاجبيها.

أغلق الباب تلبية لطلب مضيفه. "كيف حالك يا ديك؟".

فتح مانرينج يديه. "كيف حالي؟ أحس بالفضول يا تشارلي، أتعلم هذا؟ أنا رجل شديد الفضول هذه الأيام. تجاه الكثير من الأشياء. تعلم أن ستينز حتى الآن لم يظهر له أثر في أي مكان. لقد جرّبنا هولي في الأخدود، رغم أنها ليست كلبة بوليسية. أعطيناها منديلاً لتشمّه، وانطلقت، وعادت دون أن تعثر على شيء. نعم، أنا شديد الفضول. أتمنى لو يكون بجعبتك بعض الأخبار، أو بعض الفضائح إن تعدّرت الأخبار. يا الله! يا لهذين الأسبوعين! اخلع معطفك، ولا تقلق بشأن المطر. إنه مجرد ماء، وبحقّ الله فإننا بعد كل هذا الوقت لا بُدَّ أن نكون قد تعودنا عليه".

برغم هذا التشجيع حرص فروست على تعليق معطفه بحيث لا يلمس معطف مانرينج، ويضمن أنه لن ينقط على غطاء حذاء مانرينج الأسود اللامع الموجود تحت حامل المعاطف، وداخل كل فردة منه دعامة للمحافظة على هيئته. ثم خلع قبعته بعناية. فروست: "إنه يوم صعب للغاية".

مانرينج: "اجلس، اجلس، أتودّ بعض البراندي؟".

"سأشرب إن شربت معي". وهذه هي سياسة فروست في التعبير عن شهيته وظمئه. جلس ووضع راحتي يديه على ركبتيه، ونظر حوله.

يقع مكتب مانرينج فوق بهو دار أوبرا برنس أوف ويلز، ويطل على منظر جميل حيث مظلة مدخل الأوبرا المخططة، ومن بعدها شارع ريفل، ومن بعدهم المحيط المفتوح الذي يظهر من بين واجهات المنازل المقابلة كشريط رمادي مزرق، وأحياناً أخضر اللون، واليوم عبر المطر يبدو لونه أصفر مبيّضاً، حيث استعارت المياه لون السماء.

صُمِّمَتِ الغرفة كشهادة على غنى صاحبها؛ لأن مانرينج، بالإضافة إلى إدارة دار الأوبرا، يحصل على دخل من عمله كقَوَّاد، وكلاعب ورق ماهر، وكحامل لأسهم، وكثريًّا من أثرياء حقول الذهب. ويحظى الرجل ببراعة مذهلة في جني الأرباح في كل تلك المهن، وبصفة خاصة الأرباح الذي تأتي كغنائم من الإغارة على الرجال الآخرين: وهو ما يُظهره أثاث المكتب بوضوح. فجدران المكتب مكسوّة بورق الحائط، والخزانات لامعة؛ والأرضية مفروشة بسجادة تركية ثقيلة؛ ويقف تمثال من الخزف على الطراز الروماني كساند متجهم للكتب؛ ويوجد تحت النافذة صندوق عيّنات به ثلاث فراشات سوداء اللون الواحدة منهم في حجم كفّ طفل مفتوحة. وعُلِّقَت خلف مكتب مانرينج لوحة ضخمة بإطار ذهبي لمنظر طبيعي بالألوان المائية: يظهر فيها منحدر صخري شاهق، وأشعة شمس مائلة، ونباتات مظلمة بوهج بنفسجي، وفي أفق اللوحة الغائم مسحة باهتة من قوس قزح تخرج مائلة من سحابة. رأى تشارلي فروست هذه اللوحة كقطعة فنية بديعة، وشهادة على ذوق مانرينج الرفيع. وطالما أسعده أن يجد عُذْرًا للمرور على مانرينج، حتى يجلس في نفس هذا المقعد، ويحرق في اللوحة، ويتخيل نفسه في مكان عظيم وبعيد جدًا.

مانرينج: "نعم، يا لهذين الأسبوعين!. والآن، توقّفت أفضل عاهراتي عن العمل وأعلنت أنها في حداد! هذه مشكلة أخرى كبيرة. لقد بدأت أفكر أنه ربما أصابها الجنون. وهذه خسارة. خاصة أنها أفضل عاهراتي. هذه خسارة. أتعرف أنها كانت مع إميري؟ في الليلة التي اختفى فيها". مكتبة سرّ من قرأ

لَفْ فروست يديه على ذراعَي المقعد المنحيتين وتتبعّت أطراف أصابعه التجويف المنحوت في الخشب. "الآنسة ويذريل، والسيد ستينز؟"

الجمال عند تشارلي فروست هو أحد مرادفات التحسن. والمرأة المثالية بالنسبة له هي المرأة التي تكرس حياتها لمشروع تحسين نفسها، فهي ناجحة في مختلف الفنون النسائية، في التطريز، والعزف على البيانو، وتجفيف الزهور والنباتات، وما شابه ذلك؛ وهي تغني بعذوبة، وتقرأ بهدوء، وتحتجُّ على كل الآراء؛ هي من المقتنيات الساحرة الثمينة؛ وتحب أكثر ما تحب أن يحبها أحدهم. أنا ويزريل لا تتمتع بأيٍّ من هذه الصفات، ولكن الاعتراف بأنها لا تشبه من قريب ولا من بعيد الصورة الخيالية لامرأة فروست المثالية لا يعني أنه لا يهتم بها، أو أنه لم يُرض نفسه معها مثله مثل الباقين. والآن حين تخيل أنا مع ستينز، أحسَّ بطعنة من الانزعاج الذي يصل لحد الامتعاض.

رفع مانرينج الغطاء الكريستالي لدورق الشراب، وحرك الدورق بحيث يدور الشراب داخله. "نعم. لقد اشتراها ليلية بأكملها، ودفع لرجل الشرطة، ولأي شخص قد يأتي طارقًا بابه! وأخذها لبيتها أيضًا! فهو لا يقيم في فنادق! كان محدّدًا جدًّا في طلبه: يريد لها هي، لا يريد كيت، ولا ليزي؛ لابد أن تكون أنا. ويأتي صباح اليوم التالي وهي نصف ميتة، وهو قد اختفى. لقد أغضبني الأمر يا تشارلي. هي بالطبع ميؤوس منها. تقول إنها لا تتذكر أي شيء ممَّا حدث قبل استيقاظها في السجن، ومن النظرة الغبية المرتسمة على وجهها أجد نفسي ميّالًا لتصديقها. إنها أفضل عاهراتي يا شارلي، أتمنى لو يأخذ الشيطان المخدر الذي تتعاطاه؛ أتمنى لو يأخذه الشيطان. أتودُّ سيجارًا؟".

تناول تشارلي سيجارًا من الصندوق، وانحنى مانرينج إلى الفحم ممسكًا بقصاصة ورق، لكن القصاصة كانت أقصر من اللازم، واشتعلت أسرع من اللازم، وحرقت إصبع مانرينج. فألقاها داخل الشبكة الحديدية صائحًا بشتمة. وتحتّم عليه أن يصنع غيرها، فطوى

ورقة تنشيف وأشعلها، وانقضت عدة لحظات قبل أن يشتعل كلا السيجارين.

أضاف مانرينج وهو يعود لمقعده: "لكن هذا كله لا يُعَدُّ شيئاً بجانب المتاعب التي صادفتك".

بدا فروست متأثراً. "متاعبي - كما أسميتها- تحت السيطرة".

مانرينج: "أرى أنها ليست كذلك. وماذا عن وصول الأرملة يوم الخميس، وماذا عن أن الأمر الآن أصبح حديث المدينة كلها! سأخبرك كيف يبدو الأمر من موقعي هذا. يبدو كأنك كنت تعلم أن هناك ذهب مُخبأ في كوخ الناسك، وبمجرد وفاته، حرصت على بيع هذا الكوخ بأسرع ما يمكن".

موظف البنك: "ليست هذه حقيقة الأمر".

أكمل مانرينج: "يبدو الأمر وكأنكما متورطان في هذا يا تشارلي. أنت وكلينش: يبدو الأمر وكأنكما شريكين، حتى النخاع. إنهم سيأتون بقاضٍ. سيرسلون أحد قضاة محكمة الجنايات. مثل هذا الأمر لن يمر مرور الكرام. وستُشدُّ أرجلنا جميعاً إليه، وسيسألوننا عن مكان تواجدنا في ليلة الرابع عشر من يناير، ومثل هذا. يجدر بنا أن نراجع قصصنا معاً قبل أن يحدث ذلك. أنا لا أتهمك بأي شيء، فقط أَصِفُ لك الوضع كما أراه".

دائماً ما يتحدث مانرينج بنبرة سيادية، فثقتة بنفسه راسخة، ومستبدة ومطلقة. وليس بإمكانه أن يرى العالم إلا من حيث يحكمه، وهو يحب إلقاء الخطب. وهو يقف في هذا على النقيض التام من ضيفه، وهذا الاختلاف بينهما يسبب لمانرينج بعض الضيق، لأنه على الرغم من تفضيله لمصاحبة المحترمين من البشر، فإنه يضيّق بمن يعتبرهم غير جديرين باهتمامه. وهو يعامل تشارلي فروست بمنتهى الكرم، فدائماً يقدم للشاب الشراب والسيجار، ويمنحه تذاكر لمقصورات

الدرجة الأولى في أحدث العروض الترفيهية، لكنه ينزعج أحياناً من تحقُّظه الهادئ. ومانرينج يحب تخصيص وظائف لأتباعه، ويصنفهم كما يصنف المرء الآخرين تبعاً لوظائفهم، فهذا طبيب، وهذا جندي. وتصنيفاته تلك التي يصيغها داخلياً في عقله، ولا ينطق بها أبداً، تصف الرجال الآخرين تبعاً لعلاقتهم به، وهي الطريقة التي يرى بها من يقابلهم، فهو يراهم إما كانعكاس، أو كانتقاص، من نفسه الحقيقية.

مانرينج، كما لاحظنا، رجل سمين جداً. كان ضخم الجثة في العشرينات من عمره، وبكرش ضخمة في الثلاثينات؛ وحين وصل للأربعينات أصبح جذعه مدوراً، وأصبح مضطرباً على طلب المساعدة عند اعتلاء حصانه وعند الهبوط منه (وقد أقلقه هذا، وإن لم يعلن عن قلقه). وبدلاً من الاعتراف بأن محيط خصره أصبح عائقاً في وجه أنشطته اليومية، ألقى مانرينج اللوم على النقرس، الذي لا يعاني منه، لكنه أحسَّ أن له وَقْعاً أرستقراطياً. فهو مُغرَم جداً بأن يظن الآخرين أنه أرستقراطي، وهو كثيراً ما يحدث، فلحيته تمتدُّ من السوالم وتتصل بشاربه تاركة ذقنه عارياً، وملامحه حسنة، ويفضِّل ارتداء الملابس الغالية. واليوم يرتدي ربطة عنقة مثبتة بدبوس ذهبي، وصديريّة (أزرارها مشدودة، بشكل واضح، حتى تستطيع الوصول للعرابي) من الطراز الأنيق الذي تتصل ياقته بتلابيبه.

فروست: "نحن لسنا متورطين في أي شيء، ولسنا في شراكة، أوكد لك أنني لا أعرف ما تقصده".

هزَّ مانرينج رأسه. "موقفك صعب يا تشارلي، أنا أرى ذلك! كلاكما في موقف صعب، أنت وكلينش. وإن عُقدت محاكمة -ويمكن أن يحدث هذا كما تعرف- سيتحتَّم عليك أن توضح لِمَ مَتَّ صفقة بيع الكوخ بتلك السرعة. تلك هي النقطة الحاسمة، وهي النقطة التي يجب

عليكما الاتفاق بشأنها. أنا لا أقترح أن تكذبوا تحت اليمين. فقط أقول إن قصصكما يجب أن تتطابق. ما الذي تبحث عنه؟ أحتاج المساعدة؟ أتريد حجة غياب؟".

فروست: "حجة غياب؟ لم؟".

هزّ مانرينج أصبعه كما يهزُّ أبُّ أصبعه لابنه. "بالله عليك. لا تخبرني أنك لم تقصد شيئاً. انظر إلى السرعة التي تمّ بها البيع!".
رشف فروست من البراندي. "يجب علينا ألا نناقش الموضوع بهذه الخِفة. خاصة وأن هناك آخرين متورّطون".

(وهذه أيضاً إحدى سياسات فروست: أن يبدو متردّداً في البوح بالأسرار).

صاح مانرينج: "اللغة على الرجال الآخرين، وعلى ما يجب وما لا يجب! ما القصة؟ تكلم!".

بدأ فروست حديثه، ولم يكن يخلو من الاستمتاع، فهو يحب إيضاح أنه لا لوم عليه بالمرة. "سأقول لك؛ لكن لم يكن هناك أي شيء غير قانوني في الأمر. فالصفقة قانونية وصحيحة تماماً".

"إذن بم تفسر ما حدث؟".

"أفسّر ماذا؟".

"الكيفية التي تمّت بها!".

قال فروست بهدوء: "الأمر يمكن تفسيره بسهولة. حين توفي كروسبي ويلز، علّم بن لوينثال بالوفاة تقريباً فور حدوثها، لأنه ذهب لإجراء حديث مع ذلك السياسي فور وصوله للمدينة، بغرض نشر هذا الحديث في جريدة الصباح التالي. ورجل السياسة -الذي يدعى لودرباك؛ أليستار لودرباك- كان عائداً للتوّ من كوخ ويلز؛ فهو من عثّر عليه ميتاً. وطبيعي أن يخبر لوينثال بالأمر".

قال مانرينج ببعض المتعة: "يهود ماكرون. دائماً موجودون في الزمان والمكان المناسبين، أليس كذلك؟".

ردّ فروست، الذي لا يرغب في الإفصاح عن رأي محدّد: "أعتقد ذلك. لكن، وكما كنت أقول: فقد عِلِمَ لوينثال بوفاة ويلز قبل أي شخص آخر. عِلِمَ بها حتى قبل أن تصل الشرطة للكوخ".

مانرينج: "لكنه لم يفكر في شراء الأرض".

"لا؛ لكنه يعرف أن كلينش كان يبحث عن فرصة للاستثمار، فأسدى إليه معروفاً وأخبره بما حدث، أخبره أن ممتلكات ويلز ستعرض للبيع في القريب. في الصباح التالي جاءني كلينش جاهزاً للشراء ومعه العربون. هذا كل ما في الأمر".

مانرينج: "لا، ليس هذا كل ما حدث".

فروست: "أؤكد لك أن هذا كل ما حدث".

مانرينج: "أستطيع قراءة ما بين السطور يا تشارلي. أسدي إليه معروفاً؟ من طيبة قلبه الفياض بالخير؟ لا، ليس لوينثال الذي يفعل ذلك! إنها إخبارية، إخبارية عن كومة كبيرة من الذهب. إنهما متورطان في هذا سويّاً، لوينثال وكلينش، أراهن بقبعتي على هذا".

هزّ فروست كتفيه. "إن كانا كذلك. فلا علم لي به. ما أقوله هو أن بيع الكوخ قانوني تماماً".

"موظف البنك يقول لي أن البيع قانوني! لكنك لا زلت لم تجب عن سؤالي. لمَ تمّ الأمر بمثل هذه السرعة؟".

ظل فروست رابط الجأش. "لأنه ببساطة لم يكن هناك أعمال ورقية مطلوبة. كروسبي ويلز ليس لديه شيء؛ ليس لديه ديون، ولا تأمين، ولا أي شيء يحتاج لتسوية. لا توجد أوراق".

"لا توجد أوراق؟".

"لم يجدوا أوراقًا في كوخه. لا شهادة ميلاد، ولا تذكرة، ولا رخصة تنقيب. لا توجد أوراق".

لَفَّ مانرينج سيجاره بين أصابعه. "لا توجد أوراق. كيف تفسّر ذلك؟".

"لا أدري، ربما أضاعها".

"وكيف يضيع المرء أوراقه؟".

"لا أدري". كَرَّرَهَا فروست. فهو لا يحب أن يتمّ الضغط عليه لكي يُفصح عن آراءه.

"ربما أحرقها أحدهم. ربما تخلّص منها أحدهم".

قَطَّب فروست قليلًا. "مَن؟".

"ذلك السياسي، لودرباك؛ فهو أول من وصل للمكان، ربما يكون متورطًا في هذا الأمر بشكل ما. ربما أخبر لوينثال عن الثروة المخبّأة في الكوخ. ربما رأى الثروة -وأخبر لوينثال عنها- ولوينثال أخبر كلينش!، وأضاف مُعارِضًا فرضيَّته: "لكنه لن يستفيد شيئًا من مثل هذا الأمر، أليس كذلك؟ وهكذا أيضًا الأمر بالنسبة لليهودي. ما لم ينل كلّ منهم حصة ما أثناء حدوث ما حدث".

فروست: "لم يحصل أحدٌ على شيء. الثروة كلها تحت حراسة البنك، ولا يمكن الاقتراب منها. على الأقل حتى يتم البت في موضوع الأرملة".

قال مانرينج بمتعة: "نعم، الأرملة. يا له من منعطف درامي للأحداث! ما رأيك فيها؟ إنها إحدى معارفي، إحدى معارفي. اسمها قبل الزواج هو جرينواي. لم أعرفها أبدًا باسم السيدة ويلز، فهي بالنسبة لي خليلتي جرينواي. أتعجبك يا تشارلي؟".

هزّ تشارلي كتفيه. "معها الأوراق التي تثبت ادّعاءها. وإذا ثبتت صحة عقد الزواج سيتم إبطال البيع وستصبح الثروة ملكًا لها. الأمر الآن في يد الموظفين المختصين".

"لكنني أسألك هل هي تعجبك؟".

بدا فروست متضايقًا. "تبدو أنيقة. أرى أنها جميلة جدًا". وأدخل سيجاره في جانب فمه وعصّ عليه، فارتسم ظلًا من النفور على ملامحه.

قال مانرينج جدلاً: "إنها حسناء جدًا، إنها حسناء حقًا! تلعب على الرجل كأنه بيانو، ويا لعذوبة مقطوعاتها الموسيقية! أعتقد أن هذا ما حدث للمسكين كروسبي ويلز: لقد لعبت عليه، كما لعبت على غيره".

وافقه فروست. "ليس بإمكانني استيعاب فكرة زواجهما بالمرة. ماذا يملك رجل عجوز مثل كروسبي ويلز ليقدمه لامرأة عادية، فما بالك بامرأة حسناء؟ لا يمكنني تصوّر سبب انجذابها إليه؛ لكنني بالطبع أستطيع تخيّل سبب انجذابه لها".

هزّ مانرينج إصبعه. "وهل نسيت ثروته. الثروة هي أقوى مثيرات الرغبة الجنسية! بالطبع تزوّجت كروسبي العزيز من أجل ماله. ثم خزن هو المال وكتّزه، ولم يعد بوسعها سوى أن تنتظر موته. هل هناك تفسير آخر للأمر؟ وبمجرد موته ظهرت فجأة، كأنها خطّطت لما حدث. ليديا ويلز امرأة ماهرة! تضع المال نصب عينيه. وهي لا تدخل نفسها في أي شأن إلا لتربح منه".

لم يرد فروست على الفور، فردّ مانرينج دكّره بالسبب الذي دفعه لزيارته، أراد تجميع أفكاره قبل أن يتحدث فيما يريد؛ لكن بعد لحظة، انفجر مانرينج ضاحكًا، وخطب بقبضته على المكتب.

وصاح مبتهجًا: "ها أنتَ ذا! كنتُ متأكّدًا! كنت متأكّدًا أنك في مشكلة، وأناي سأجعلك تتخلى عن صمتك! ما الأمر إذن؟ ما جريمته؟ ما المشكلة؟ لقد ظهرت عليك يا تشارلي؛ مكتوبة على وجهك. إنه أمر يتعلق بتلك الثروة، أليس كذلك؟ أمر يتعلق بكروسي ويلز". ورشف تشارلي من البراندي. هو بالفعل لم يرتكب أية جريمة، ورغم ذلك فهناك مشكلة، مشكلة تتعلق بالثروة، وبكروسي ويلز. سرحت نظرتة من فوق كتف مانرينج إلى النافذة، وصمت متأملاً في المشهد ليحدد كيف يحكي الأمر بأفضل طريقة.

بعد أن قدّر البنك قيمة الثروة المكتشفة في كوخ ويلز، منح إدجار كلينش لفروست هدية قيمة جدًّا؛ تقديرًا لدوره في صفقة البيع، والهدية ورقة بنكية بمبلغ ثلاثين جنيهًا. عقب تلقّيه تلك الورقة البنكية انتابت تشارلي فروست حالة من فقدان الرشد المفاجئ، فهو يخصّص معظم دخله لرعاية والدين لا يراهما ولا يحبهما. وفي نوبة من الإثارة هي الأولى من نوعها في حياته، صمّم فروست على إنفاق كامل المبلغ، وفورًا. وعزم ألا يخبر والديه بهذه الثروة المفاجئة، وأن ينفقها بأكملها، ولآخر مليم، على نفسه. فبدل الورقة البنكية بثلاثين عملة ذهبية لامعة، واشترى لنفسه صديريّة حريرية، وعبوة ويسكي، ومجموعة من كتب التاريخ المغلفة بالجلد، ودبوس ياقة مرصّعًا بالياقوت، وصندوقًا من الحلوى الفاخرة المستوردة، ومجموعة من المناديل المطرزة بالحروف الأولى من اسمه مع وردة.

وصلت ليديا ويلز إلى هوكتيكا بعد هذه النوبة من التبذير بأيام. وفور وصولها ذهبت للبنك المركزي، لتعلن عن نيّتها في إبطال صفقة بيع كوخ وممتلكات زوجها المتوفى. وإذا ما حُكم ببطالان الصفقة، سيتحتّم على فروست بدوره أن يعيد الثلاثين جنيهًا، هو متأكد من هذا. ليس باستطاعته بيع الصديريّة، اللهم إلا كملابس مستعملة؛

بإمكانه رهن الدبوس والكتب، لكنه سيحصل فقط على جزء من قيمتهم؛ وكان قد فتح عبوة الويسكي؛ وأكل الحلوى؛ وأي أحمق هذا الذي قد يشتري مناديل مطرّزة بحروف اسم شخص آخر؟ إذا ما حالفه الحظ فكل ما بإمكانه استعادته أقل من نصف ما أنفقه. سيضطر للجوء إلى أحد المرابين العديدين في هوكتيكا طلباً لقرض؛ وسوف يتحمل هذا الدين لشهور وربما لسنوات؛ وأساء ما في الأمر أنه قد يضطرّ للاعتراف بما حدث لوالديه. وهذه الاحتمالية تشعره بالغثيان.

لكنه لم يأتِ إلى مانرينج ليعترف بهوانه. فالتفت ثانية إلى مضيفه قائلاً باقتضاب: "لست في مشكلة، لكنني أظن أن أحدهم ربما يكون في مشكلة. أنا لا أعتقد أن هذا الذهب يخصّ كروسبي ويلز بالمرة. أعتقد أنه ذهب مسروق". ومال لينفض رماد سيجاره، ورأى أنه قد انطفأ.

سأله مانرينج: "حسنًا، مسروق ممّن؟".

قال الموظف الشاب: "هذا بالضبط هو ما أودُّ أن أحدثك فيه". كان يحمل ثقاباً في جيب صديريته، فأمسك سيجاره بيده اليمنى، ليخرج الثقاب. "اليوم عصراً خطر لي خاطر، وكنت أودُّ مناقشته معك. بخصوص إيميري ستينز".

رمى مانرينج بظهره في كرسيه: "إنه بلا شك متورط في كل هذا". (شرع فروست في إشعال سيجاره مرة أخرى). "لقد اختفى في نفس اليوم! لا شك في أنه متورط. وصدّقني حين أقول إنني لست متفائلاً كثيراً بخصوص صديقنا إيميري. لدينا مثّل في حقول الذهب يقول: من سوء الحظ أن تكون سعيد الحظ لمدة طويلة. هل سمعت بهذا المثل من قبل؟ إيميري ستينز كان أكثر الرجال الذين عرفتهم حظاً. هذا الفتى انتقل من الحضيض إلى العلّا، بدون أي مساعدة من أي

شخص. أراهن أنه قُتِلَ يا تشارلي، قُتِلَ في النهر -أو على الشاطئ- وجرّفت المياها جثته. ليس هناك رجل يحب أن يرى فتى يجني ثروة قبل وصوله لسنّ الثلاثين. خاصة إذا كانت هذه الثروة نظيفة. أراهن أن مَنْ قتله يكبره بعشرين عامًا. عشرين عامًا على الأقل. ما رأيك في هذا الرهان؟".

هزّ فروست رأسه قليلًا. "اعذرنى".

خاب أمل مانرينج. "فهمت. أنت لا تراهن. أنت أحد العقلاء الذين لا يرمون بعملة إلا إلى محافظهم".

لم يردّ فروست، فقد تذكّر بضيق الثلاثين جنيها التي بعثرها بمنتهى السفاهة؛ بعدها بلحظة صرخ مانرينج: "لكن لا تدعني في انتظارك طويلًا!"; كان محرّجًا لأن ملحوظته الأخيرة بدت كإهانة على غير قصد منه. "تحدّث، ماذا ترى؟".

شرح تشارلي فروست ما اكتشفه هذا الصباح: أن فرانسيس كارفر يمتلك نصف منجم الأورورا، وأنه كان شريكًا لإيميري ستينز.

قال مانرينج بغموض: "نعم، لديّ فكرة عن هذا. إنها قصة طويلة، ومن شؤون ستينز الخاصة. لِمَ تذكرها؟".

"لأن منجم الأورورا مرتبط بمشكلة كروسبي ويلز".

قطّب مانرينج: "كيف هذا؟".

"سأقول لك".

"تكلم".

نفخ فروست دخان سيجاره للحظة، وأخيرًا تحدّث: "لقد أتت ثروة ويلز للبنك، وقد قمت بالأعمال المتعلقة بها".

"نعم؟".

ديك مانرينج لا يطيق أن يملك غيره زمام الحديث طويلاً، فيقاطع كثيراً، بغرض تشجيع محدثه على الوصول -بأسرع الطرق وأكثرها اختصاراً- إلى نفس استنتاج مانرينج.

لكن فروست لم يتعجّل. "حسنًا، الأمر المدهش أن الذهب كان مسبوغًا بالفعل، وليس عن طريق أحد المؤسسات المعروفة. بدا مسبوغًا بيد أحد العاملين المأجورين بتعاقد خاص".
مانرينج: "مسبوك بالفعل؟ لم أعرف بذلك".

فروست: "لم تكن لتعرف. كل قطعة ذهب توضع على طاولة البنك المركزي لا بُدُّ لنا من سبكها، حتى لو كانت مسبوكة بالفعل. نحن نقوم بذلك للتأكد من نقاء الذهب من أي شوائب قد تُزِيد من وزنه، ولضمان مستوى جودته. وهكذا أعاد كيلارني القيام بالعملية. أعاد صهر ذهب ويلز قبل أن يتم تثمينه، فمن رأى الذهب رآه في شكل سبائك مختومة بختم البنك المركزي. لم يعلم أحد من خارج البنك أن الذهب تمَّ سبكه من قبل، إلا بالطبع مَنْ خبَّاه. وكذلك من وجدته، التاجر بالعمولة، الذي عثر عليه في الكوخ وأحضره للبنك".
"مَنْ هو؟ كوشران؟".

"هارالد نيلسن، من مكتب نيلسن وشركاه".

قطَّب مانرينج: "لِمَ ليس كوشران؟".

شدَّ فروست نَفَسًا من سيجاره، وقال بعد برهة: "لا أدري".

مانرينج: "ما الذي يفعله كلينش بتوريط شخص آخر في الأمر؟ كان بإمكانه إخلاء الكوخ بنفسه. ما الذي يفعله بتوريط هارالد نيلسن في هذه الفوضى؟".

فروست: "صدَّقني، كلينش لم يحلم بأن يجد أي شيء له قيمة في الكوخ. لقد دُهِل حين عثروا على الثروة".

"ذُهِل؟".

"نعم".

"هذا ما قاله؟ أم ما شهدته بنفسك؟".

"ما قاله".

ردّد مانرينج: "ذُهِل؟".

أكمل فروست: "حسنًا، جرى الأمر مع نيلسن كما هو معروف. فقد اتفق على أجر بنسبة عشرة بالمائة من قيمة الموجودات بالكوخ. وكان اليوم يوم سعيده. فقد عاد وفي جيبه أربعمائة جنيه!".

بدا الشك على مانرينج. "حسنًا، أكمل حديثك. كنت تقول إن الذهب كان بالفعل مسبوغًا".

"فقدت بفحصه. دائمًا ما نكتب وصفًا مختصرًا للخام - سواء أتي في شكل رقائق أو غيرها - قبل صهره. ونفعل المثل في حالة الذهب المسبوك، علينا أن نسجل هيئة الذهب الوارد إلينا لأغراض". وتوقّف فروست، كان سيقول "الأمان"، لكنه أحسّ أن الكلمة لا تفي بالمعنى. وأكمل بفتور: "الاحتياط... على العموم فقد فحصت المربعات قبل أن يضعها كيلارني في بوتقة الصهر، ورأيت أن الصائغ -أيًا من كان- قد نقش كلمة في أسفل كل مربع".

وتوقّف عن الحديث.

مانرينج: "حسنًا، ما هي؟".

فروست: "أورورا".

"أورورا".

"هذا صحيح".

فجأة بدا على مانرينج الانتباه. "لكن هذه المربعات -كلها- تمّ صهرها مرة أخرى وصبّها في سبائك بواسطة زميلك في البنك".

أوماً فروست. "ثم وضعت في خزانة البنك، في نفس اليوم بمجرد أن أخذ التاجر بالعمولة نصيبه، وبعد تسديد الضرائب المستحقة عليها".

مانرينج: "إذن ليس هناك دليل على وجود هذا الاسم. أنا على حق؟ هذا الاسم اختفى، انصهر".

فروست: "نعم، لكنني سجّلته بالطبع؛ تمّ تسجيله رسميًا. مُسجّل في سجل العمل الخاص بي، كما أخبرتك".

وضع مانرينج كأسه. "حسنًا يا تشارلي. كم يتكلف اختفاء هذه الصفحة؟ أو اختفاء سجلك بالكامل؟ كم يتكلف ادّعاء بعض الإهمال من جانبك؟ بعض الماء، أو بعض النار؟".

اندهش فروست. "لم أفهمك".

"فقط أجِبْ عن السؤال. هل بإمكانك أن تجعل هذه الورقة تختفي؟".

فروست: "نعم، لكنني لست الوحيد الذي لاحظ هذا النقش. كيلارني رأها. وكذلك مايهيو. وأحد المشتريين أيضًا؛ رجل على ما أتذكر يُدعى چاك هارمون. هو الآن في إجازة في جراي ماوث. وأي من هؤلاء ربما يكون قد ذكر ما شاهده لآخرين. كان النقش واضحًا جدًا. ليس شيئًا ينساه الإنسان بسهولة".

خط مانرينج المكتب بقبضته. "اللعة، اللعة، اللعة".

قال فروست مرة أخرى: "أنا لا أفهمك. ما الأمر؟".

انفجر مانرينج فجأة. "ماذا دهاك يا تشارلي؟ استغرقت أسبوعين ملعونين كاملين لتخبرني بهذا! ما الذي كنت تفعله؟ بما انشغلت؟".

عاد فروست بظهره في مقعده وردَّ برزانة. "أتيت لمقابلتك اليوم لأنني ظننت أن هذه المعلومة قد تساعد في العثور على السيد ستينز. باعتبار أنه من الواضح جدًا أن هذه الثروة تخصه هو وليس كروسبي ويلز!".

"هراء. كان بإمكانك أن تخبرني بهذا منذ أسبوعين. في أي يوم قبل اليوم".

"لكنني لم أعلم عن علاقة السيد ستينز بالأمر إلا هذا الصباح! كيف لي أن أعلم بشأن الأورورا؟ أنا لا أحتفظ بسجلات لأموال الأشخاص، ولمناجمهم. لم يكن لدي سبب...".

رفع مانرينج إصبعه في وجه فروست مقاطعًا. "أنت فزت بحصة. لقد فزت بحصة من هذه الثروة".

احمرَّ فروست. "ليس لهذا صلة بالأمر".

"هل حصلت على حصة من ثروة كروسبي ويلز أم لا؟".

"حسنًا، بصفة غير رسمية...".

سبَّ مانرينج. "وظللت مكانك لم تحرك ساكنًا، أليس كذلك؟"، وعاد بظهره في كرسيه وقذف بعقب سيجاره إلى نار المدفأة بحركة سريعة متقرّزة من رسغه. "وظهرت الأرملة، ووجدت نفسك محاصرًا. فأتيت لتريني أوراق لعبك وكأنك تسدي لي معروفًا! ملعون أنا يا تشارلي إن لم يكن ما أقوله صحيحًا".

بدت على وجه فروست نظرة ألم. "لا، ليس هذا هو السبب. رأيت الصورة الكاملة اليوم فقط. هذه هي الحقيقة. أتى توم بالفور اليوم إلى البنك بقصة مختلقة عن فرانسيس كارفر وطلب مني أن يطلع على سجل أعماله، وقد وجدت أن...".

"ماذا؟".

"... أن كارفر يمتلك نصيب في الأورورا، بعد أن اشتراه السيد ستينز بفترة قصيرة. لم أعلم بهذا قبل صباح اليوم".

"ماذا بشأن توم بالفور؟".

"و حين غادر السيد بالفور بحثت في سجل الأورورا، ولاحظت أن أرباح المنجم بدأت في التراجع تقريبًا في توقيت شراء كارفر لحصته، وقتها تذكّرتُ الاسم المنقوش على الذهب، وربطت الأمور ببعضها. هذا ما حدث".

رفع مانرينج صوته. "ما الذي يريده توم بالفور من فرانسيس كارفر؟".

فروست: "يريد أن يقدّمه للعدالة".

"بخصوص ماذا؟".

"قال إن كارفر سرق ثروة من منجم شخص آخر، أو شيئًا من هذا القبيل. لكنه كان كتومًا بخصوص الأمر، وبدأ حديثه بكذبة".

همهم الثري.

أكمل فروست، أملاً في نيل الاستحسان. "لقد أتيتك بالأمر بعدها مباشرة. غادرت البنك مبكراً لآتيك مباشرة. بمجرد أن ربطت بين كل الأمور".

صاح مانرينج: "كل الأمور! أنت لا تعرف كل الأمور يا تشارلي. ولا تعرف حتى نصف تلك الأمور".

أحسّ فروست بالإهانة. "ماذا يعني هذا؟".

لم يردّ مانرينج. "چوني كيي، چوني كيي الملعون". ووقف فجأة، حتى إن مقعده وقع خلفه واصطدم بالحائط؛ قفزت الكلبة على قدميها، تغمرها البهجة، وبدأت تلهث.

"مَن؟"، قالها تشارلي فروست، ثم تذكّر: كيي هو اسم المنقّب الذي يعمل في الأورورا. اسمه كان مكتوبًا في سجلات البنك.

قال مانرينج بغموض: "إنه مشكلتي الصينية، والآن أصبح مشكلتك أنت أيضًا، للأسف. تشارلي، هل أنت معي أم ضدي؟".

نظر فروست لسيجاره. "معك بالطبع، ولا أرى لماذا تسأل مثل هذا السؤال".

ذهب مانرينج لآخر الغرفة. وفتح خزانة ظهر منها بندقيتان قصيرتا الماسورة، وعدد كبير من المسدسات، وحزام ضخّم به جرابان للمسدسات من جلد الغزال وله شراشيب من الجلد. وبدأ يربط هذا الحزام العجيب حول وسطه المتّسع. "عليك أن تتسلّح. هل تحمل سلاحًا؟".

شحب لون فروست قليلًا. ومال وهرس سيجاره بتمهّل، دهس نهاية السيجار ثلاث مرات في الطبّق، وطحن الرماد محوّلًا إيّاه لتراب أسود ناعم.

خبط مانرينج الأرض بقدمه. "أنت؟ هل أنت مُسلّح أم لا؟". وأخيرًا ترك فروست عقب السيجار. "لست مُسلّحًا. ولأكنّ صادقًا تمامًا معك يا ديك، فأنا لم أطلق رصاصة من قبل".

مانرينج: "الأمر سهل. سهل كأنك تتنقّس". والتفّ ثانية للخزانة وانتقى من الرف مسدسين جميلين بخزينة طلقات دوّارة.

راقبه فروست. وقال محاولًا الإبقاء على صوته هادئًا. "سأكون مساعدًا بلا قيمة إذا كنت أجهل موضوع النزاع الخاص بك، وليست لديّ القدرة على إنهائه".

تفحّص مانرينج مسدساته: "لا تقلق، لا تقلق. كنت سأقول إن لديّ مسدّسًا من طراز كولت آرمي يمكنك أن تستخدمه، لكني الآن حين

فكّرت بالأمر رأيت أنه يستغرق وقتًا طويلاً في حشوه، وقد يتعبك التعامل مع الرصاصات وبودرة البارود. خاصة في هذا المطر. خاصة وأنت لم تفعل ذلك من قبل. سنتصرف، سنتصرف بما لدينا".

نظر فروست إلى حزام مانرينج.

قال مانرينج دون أن يتسم: "يبدو وحشيًا، أليس كذلك؟"، ودسّ المسدسات في جراباتها، وعبر الحجرة إلى حامل المعاطف، وتناول معطفه من على حمّالته الخشبية. "لا تقلق؛ انظر، حين أرتدي معطفي، وأزرّره، لن يلاحظ أحد شيئًا. إن دمي يغلي يا تشارلي، هذا الصيني العفن! دمي يغلي".

فروست: "لا أدري ما السبب".

مانرينج: "هو يعلم السبب".

فروست: "مهملٌ للحظة، فقط دعني... فقط أخبرني بشيء واحد. ما الذي تخطط له بالضبط؟".

دفع الثري ذراعيه داخل معطفه. "سنقوم بإفزاز أحد الصينيين".

لاحظ فروست ضمير الجمع في حديث مانرينج، فارتعب. "كيف سنفزعهم؟ ولماذا؟".

مانرينج: "هذا الصيني يحفر الأورورا. إنه هو يا تشارلي من سبك الذهب الذي أخبرتني عنه".

"وما الشكوى التي لديك ضده؟".

"ليست شكوى، بل ضغينة".

قال فروست فجأة: "أوه! هل تعتقد أنه قتل السيد ستينز؟".

نفد صبر مانرينج فصدر عنه صوتٌ يشبه الأنين. تناول معطف فروست من على الحامل وقذفه إليه؛ التقط فروست المعطف لكن لم يُبدِ أي حركة لارتدائه.

مانرينج: "هيا بنا. فالوقت يضيع".

انفجر فروست. "بحق السماء، هلاً تفضّلتَ وحدّثتني بوضوح. أنا بحاجة لأن أفهم، إذا ما كنا ذاهبين لشَنْ غارة على الحي الصيني الملعون!".

(ندم فروست على تفوّهه بهذه الجملة فور صدورها عنه، فهو لا يريد شَنْ غارة على الحي الصيني تحت أي ظرف من الظروف، سواء فهم أم لم يفهم).

مانرينج: "ليس لدينا وقت. سأخبرك في الطريق. ارتدِ معطفك".

"لا"، قالها تشارلي فروست... الذي اكتشف، لدهشته، أنه قادر على حشد بعض الحزم الرقيق، والثبات على موقفه، "لست في عجلة، أنت فقط مليء بالحماس، أخبرني الآن".

ارتبك مانرينج، وقبّعته في يده. وأخيراً قال: "هذا الصيني كان يعمل عندي. كان ينقّب في الأورورا قبل أن أبيعته إلى ستينز".

رمش فروست. "الأورورا كان ملكك؟".

أوماً مانرينج. "وحين اشتراه ستينز بقي الصيني فيه واستمرّ في التنقيب. فهو يعمل بعقْدٍ، أنفهمني. اسمه چوني كِي".

"لم أعلم أن الأورورا كان ضمن ممتلكاتك".

فرد مانرينج صدره قليلاً. "نصف الأراضي من هنا وحتى جراي كانت ضمن ممتلكاتي في مرحلة أو أخرى". "على العموم. قبل أن يظهر ستينز، نشب بيني وبين كِي خلاف. لا، ليس خلافاً بالضبط. أنا ببساطة أدير أعمالِي بأسلوبي الخاص، هذا كل ما في الأمر، والصينيون

لديهم أسلوبهم الخاص بهم. ما حدث هو أنني كل أسبوع كنت أستلم إجمالي إنتاجية كيي، بعد حسابها بالطبع، ثم أعيدها مرة أخرى إلى أرض المنجم".

"ماذا؟"

"كنت أعيدها إلى أرض المنجم".

ارتسمت الصدمة على وجه فروست. "كنتُ مُلَّح أرضك!".

لم يكن تشارلي فروست باحثًا مدققًا في الطبيعة الإنسانية، وكنتيجة لذلك؛ كثيرًا ما أحسَّ بالخيانة من الآخرين. سيماء الخطط الغامضة الذي غالبًا ما يتحدث به لم يكن مُصطنعًا، رغم وعيه التام بتأثيره على مستمعيه؛ فهو ينبع من جهل أساسي بكل التجارب الخارجية عن نطاقه. فروست لم يعرف كيف ينصت لنفسه بأذني شخص آخر؛ لم يعرف كيف يتأمل طبيعة رجل آخر، إلا في سياق مقارنتها، سواء بحسد أو برثاء، بطبيعته الشخصية. كان باحثًا سرّيًا عن المتعة، متدنّيًا بشرنقة أحاسيسه الخاصة بشكل دائم، ودائم الوعي بما حصل عليه بالفعل وبما لا يزال يسعى للحصول عليه؛ وذاتيته كانت شاملة، وكاملة. لم يكن أبدًا صريحًا، ولم يصرح أبدًا بدوافعه الخاصة في العلن، ولهذا السبب أوحى للآخرين بانطباع أنه مفكر موضوعي صاحب عقل ليس بالمتحيز ولا بالمتقلب. لكن هذه لم تكن الحقيقة. الصدمة التي تظهر جلية عليه الآن سببها ليس الاستياء أو الاستنكار بشكل حقيقي، سببها الحقيقي هو الذهول الآتي من عدم قدرته على رؤية مانرينج بشكل آخر غير أنه رجل صاحب دخل يُحسد عليه وصحة يرثي لها، سيجاره من أجود الأنواع، ودورق خمره لا ينضب أبدًا.

هزَّ مانرينج كتفيه. "أنا لست أوَّل رجل يبحث عن الربح، ولن أكون الأخير".

لكن العار بالنسبة لما نرينج هو شعور ينتاب المرء فقط حين يفشل؛ ولا يمكن أبدًا أن يحسَّ بالعار ما دام -حسب تقديره هو- لم يفشل. واستطرد. "حسنًا، يبدو أن لديك رأيًا عن الموضوع. سأخبرك كيف حدث الأمر. المنجم الأصلي كان عديم الجدوى. أفضل قليلًا من كومة من مُخَلَّفَات التنقيب. بعدما اشتريته دفنت في أرضه ما قيمته حوالي عشرين رطلًا من خام الذهب النقي، دفنتها بين الحصى، ونثرتها في كافة أركانها، ثم أمرت كيني أن يبدأ التنقيب. وبالفعل وجد كيني الذهب. وفي نهاية الأسبوع ذهب ليزنه في محطة المخيم مثله في ذلك مثل الجميع. هذا قبل وجود حرس الذهب إذا كنت تتذكَّر. حين كان موظفو البنوك يعملون في محطات بطول شاطئ النهر، والمشترون يعملون بمفردهم. حين أتى ذهب منجمي وتمَّ وزنه، سألني موظفو البنك إن كنت أودُّ إيداعه وقتها. قلت لا، ليس بعد؛ سأستردُّه كما هو، ذهبًا. قلت إنني أحتفظ به لمشتري سيقوم بتصدير الكمية كلها. أو حكاية مشابهة لهذا لا أتذكرها الآن. وكنت بعد وزن الذهب، وتسجيل قيمته، أجمعه كله مرة ثانية، وأنتظر حلول الظلام، وأتسلَّل للمنجم، وأبعثر الذهب مرة أخرى، فوق الحصى".

فروست: "لا يمكنني أن أصدق".

مانرينج: "صدِّقْ أو لا تصدِّقْ، كما تحب. حدث هذا حوالي أربع أو خمس مرات، ويرجع الفضل فيه بالطبع للرجل الصيني، كان يعود إليَّ كل أسبوع تقريبًا بنفس الكومة. كان يعثر عليه كله مهما بعثرته بين الحصى، ومهما كان العمق الذي تسلَّل إليه، ومهما كان الطقس، ومهما كانت الظروف. يَكِدُّ ويكدح كأحد أبناء طروادة. وهذا ما لا أستطيع إنكاره عن الصينيين، فيما يخصُّ الأعمال التقليدية، لن تجد فيهم عيبًا".

"لكنك لم تخبره أبدًا بما كنت تفعله".

بدا مانرينج مصدومًا. "بالطبع لم أخبره، أأعترف له بإثمِي؟ بالطبع لا! بدا للجميع أن الأورورا ينتج عشرين رطلًا في الأسبوع. لم يعرف أحد أنهم نفس العشرين رطلًا! بدا الأورورا مَنجَمًا جيّدًا منتظم الإنتاج".

بدا مانرينج حكايته من مقعد سخط، لكن طبيعته المُجَبَّة للحكي لا يمكن كبح جماحها طويلًا. فهو يستمتع بسرد الدليل تلو الدليل على مهارته وإبداعه. واسترسل في حكايته وهو يخبط حرف قُبَّعته العالية على ساقه.

"ثم بدأ كيي يفهم ما يحدث. لا بُدَّ أنه رآني، أو ربما استنتج ما أفعله. فماذا يفعل؟ الثعلب الماكر! بدأ يسبك الذهب كل أسبوع في بوتقة صهر صغيرة يمتلكها. ويذهب إلى محطة المخيم بالذهب مسبوغًا في كُتَلٍ تزن حوالي الرطل. كيف يمكنني بعثرة هذا مرة أخرى!".

لم أهتم. فلديّ الكثير من المناجم الأخرى المعروضة للبيع، وتنتج ذهبًا بمعدّل حسن، فيمكنني تبديل الذهب. فأصبحت أودع مُربَّعات الذهب التي يسبكها كيي في البنك كعائد من منجم دريم أوف إنجلاند، كل أسبوع، وأملّح الأورورا بخام الذهب المستخرج من دريم أوف إنجلاند، أفهمتنِي؟ كانت الأورورا تنتج عشرين رطلًا في الأسبوع وقتها؛ ويجب أن تستمرَّ الإنتاجية ثابتة وإلا ظهر المنجم كأن عأده يتراجع، وقتها لن أجنبي ربحًا عند بيعه".

رفع مانرينج صوته في قفلة موسيقية لحكايته. "لكن كيي فهم اللعبة. فبدأ الشيطان الملعون يحفر اسم المنجم -أورورا- على مربَّعاته الصغيرة. كيف يمكنني إيداع مثل هذا كعائد لمنجم دريم أوف إنجلاند دون إثارة الشبهات؟ هل تصدِّق؟ كم هو وقح!".

ردّ فروست الذي لا يزال يحسُّ بالخيانة الشديدة. "أنا لا أصدق".

مانرينج: "حسنًا، هذا ما حدث، على أي حال. وهنا وصل إيميري".

"ثم؟".

"ثم ماذا؟".

"ماذا حدث؟".

"أنت تعلم بما حدث، لقد بعته الأورورا".

"لكنك قلتَ إن المنجم ناضب!".

"نعم".

"بعته منجمًا ناضبًا!".

"نعم".

"لكنه صديقك"، وأحسَّ تشارلي فروست بالندم على هذه الكلمات وهو يتلفظ بها. كم بدت يائسة وهي تؤنّب رجل مثل مانرينج بخصوص الصداقة! مانرينج يعيش أزهى عصوره، يعيش شمس ظهر أغسطس من حياته. فهو غني، أنيق الملبس، يمتلك أكبر وأجمل مبنى في شارع ريفل. تتدلى من سلسلة ساعة جيبه قطع من الذهب. يأكل اللحم في كل وجباته. عرف مائة امرأة -وربما ألف امرأة- وربما أكثر. لم قد يهتم بشأن الأصدقاء؟ وأحسَّ فروست بوجهه يحمرُّ.

تفحص مانرينج الشاب لبرهة، ثم قال: "الأمر باختصار يا تشارلي أن هناك ثروة من الذهب المسبوك المنقوش كل مربّع منه بكلمة أورورا، ثروة تقدّر قيمتها بأربعة آلاف من الجنيهات، ظهرت في منزل رجل ميت. نحن لا نعرف لِمَ حدث هذا، ولا كيف حدث، لكننا نعرف مَنْ فعل هذا، وهو صديقي القديم كيي القاطن في كانيير. هل فهمت؟ ولهذا علينا الذهاب إلى الحي الصيني، لنسأله سؤالًا أو اثنين".

أحسّ فروست أن مانرينج لا يزال يخفي عنه شيئًا. فقال: "لكن ماذا عن الثروة نفسها، من أين تظن أنها أتت؟ إذا كان الأورورا نازبًا، من أين أتى كل هذا الذهب؟ وإذا لم يكن الأورورا مُجِدِّبًا، فَمَنْ الذي يزور في الدفاتر بحيث يبدو المنجم كأنه لا يساوي شيئًا؟".

وضع الثري قبعته فوق رأسه، ومرّر سبابته وإبهامه على حرفها ذهابًا وإيابًا. وقال: "كل ما أعرفه هو أن لي حسابًا يحتاج للتسوية. لا أحد يستغفل ديك مانرينج أكثر من مرة، وممّا أراه فإن هذا الصيني قد ذهب في محاولاته إلى حدٍّ بعيد. هيا معي. أم تراك خائفًا من مصاحبتني؟".

لا أحد يحب أن يوصّف بالجبن، خاصة مَنْ يحسّ بالجبن حتى النخاع. قال فروست بصوت بارد: "أنا لست خائفًا بالمرة".

مانرينج: "حسنًا. إذن لا تتضايق. هيا بنا".

دفع فروست ذراعيه داخل معطفه. "أتمنى فقط ألا يصل الأمر إلى إطلاق الرصاص".

مانرينج: "سنرى. سنرى. هيا يا هولي، هيا يا فتاة! لدينا بعض الشؤون في أخدود هوكتيكا".

Φ

في الوقت الذي ترك فيه فروست ومانرينج دار أوبرا برنس أوف ويلز، يجذبون قبعاتهم بإحكام فوق رؤوسهم تحت المطر. كان توماس بالفور يخطو إلى شارع ويلد، الواقع بعد دار الأوبرا بثلاث نواصٍ في اتجاه الجنوب. أمضى بالفور الساعة ونصف الماضية في دويتشيس جاستهاوس في شارع كامب، حيث ساعدته كومة من مخلّل الملفوف والسجق وحساء اللحم، وموضع للجلوس أمام المدفأة،

وفترة من الاختلاء بنفسه وأفكاره دون مقاطعة، في إعادة تركيز عقله على موضوع أليستار لودرباك. غادر الجاستهاوس وقد استردَّ نشاطه، واتَّجه مباشرة إلى مكتب جريدة تايمز الساحل الغربي.

كانت مغاليق النوافذ مسحوبة إلى الداخل، والباب الأمامي موحد. أمسك بالفور بالمقبض، فوجد الباب مغلقًا من الداخل. انتابه الفضول فخطا إلى ظهر المبنى حيث الشقة الصغيرة التي يعيش فيها بنجامين لوينثال، محرِّر الجريدة. وقف على الباب لبرهة متنصتًا، وحين لم يسمع صوتًا، أدار مقبض الباب بحرص.

انفتح الباب بسهولة ووجد بالفور نفسه وجهًا لوجه مع لوينثال شخصيًا، كان جالسًا إلى منضدته ويديه في حجره، كأنه في انتظار أن يباغته بالفور ليخرج من سرحانه، فوقف بسرعة.

"توم؟ ماذا هناك؟ هناك مشكلة؟ لما لم تطرق الباب؟".

المنضدة التي جلس إليها كانت غالبًا مكتبًا في معمل، سطحها مثقوب وبالٍ، ومبقَّع بالحبر المسكوب والكيماويات؛ رغم ذلك فهي اليوم نظيفة من بقايا عمل لوينثال عليها، ومفروشة بمفرش مُطرز. وفي منتصفها وُضع طبق فيه شمعة كبيرة موقدة.

بالفور: "آه. آسف يا بن. مرحبًا. آسف. آسف. لم أقصد أن أقاطع يوم... أعني أني لم أقصد إزعاجك".

أحسَّ لوينثال أن نوايا بالفور حسنة رغم كل شيء، هو ببساطة أتى بدون ميعاد ليتجاذب معه أطراف الحديث. "ادخل من المطر".

"لم أقصد أن أقاطع يوم...".

"لم تقاطع شيئًا. ادخل، ادخُل وأغلق الباب!".

"إنه ليس عملاً بالضبط". قالها بالفور كنوع من الاعتذار، فهو يعلم أن اليوم المقدس عند لوينثال هو يوم للراحة. "إنه ليس عملاً بالضبط، أودُّ فقط الحديث بخصوص أمر ما".

ردَّ لوينثال بكرم: "الحديث معك ليس عملاً أبداً"، ثم للمرة الرابعة قال: "ادخل من فضلك".

وأخيراً دخل بالفور وأغلق الباب. جلس لوينثال وشبك يديه معاً. وقال: "كثيراً ما فكرت أنه، بالنسبة لليهود، فإن العمل في مجال الصحافة هو المجال المثالي للعمل. ليس هناك جرائد يوم الأحد، وهذا يجعل توقيت يوم السبت مثاليًا. أنا أشفق على منافسي المسيحيين. فيجب عليهم أن يقضوا يوم الأحد في تجهيز حروف الطباعة، وفرد الحبر عليها، استعداداً ليوم الاثنين؛ لا يمكنهم أن يستريحوا. كنتُ أفكر في هذا الآن وأنت قادم في الطريق. علّق معطفك، وتفضّل بالجلوس".

"أنا شخصياً رجل من رجال كنيسة انجلترا"، قالها بالفور، الذي كان، كالكثيرين من أتباع هذا الدين، تثير فيه الرموز الدينية المقدسة قلقاً شديداً. عاين شمعة لوينثال ببعض الحذر، كأن مضيفه قد فرد أمامه رداء خشناً أو سلسلة معدنية من التي يرتديها المؤمنون بفكرة إماتة الجسد لإحياء الروح.

"ماذا ببالك يا توم؟".

لم يتضايق بنجامين لوينثال بالمرة من مقاطعة إجازته الدينية، فهو واثق للغاية في تدينه، وهو بطبيعته لا يشك في نفسه. كثيراً ما كسر عهود يوم السبت بطرق بسيطة، ولم يؤثّر نفسه على ذلك. فهو يعرف الفرق بين الواجب المفروض بالغضب، والواجب المبني على الحب؛ وهو يثق في ذكاء إحساسه، ويحسُّ أنه إذا حدث وخالف القواعد فإنه يخالفها لأسباب وجيهة. كان أيضاً (ويجب الاعتراف بهذا)

بعد ساعتين من الصلاة المتصلة، ضَجِرًا إلى حدٍّ ما، فلوينثال رجل بروح نشطة، ولا يمكنه أن يظل دون محقِّز خارجي لوقت طويل. وضع بالفور أطراف أصابعه على المنضدة بينهما. "اسمع، لقد عرفت ما حدث لإيميري ستينز".

فوجئ لوينثال. "آه! الآن فقط؟ أكان رأسك مدفونًا في الرمال!".

"كنت مشغولًا"، قالها بالفور وهو ينظر مرة أخرى للشمعة، فمند طفولته لم يكن يقدر على الجلوس أمام شمعة بدون أن يلمسها، يخبط اللهب بسبابته حتى يلوّنها السواد، ويعجن الحواف الطرية حيث الشمع الدافئ، ويغمس طرف أصبعه في بركة الشمع السائل ثم يرفعه بسرعة، حتى يكسو الشمع السائل باطن عُقْلَةٍ إصبعه بغطاء أصفر يبيّض لونه ويجمد حين يفقد حرارته.

قال لوينثال مداعِبًا: "مشغول عن الأخبار؟".

"وصل أحد أصدقائي للمدينة. إنه سياسي".

لوينثال: "نعم، الموقَّر لورباك". واعتدل في كرسيه. "حسنًا، أرجو أن يقرأ جريدتي، حتى وإن لم تقرأها أنت! فقد احتلّت أخباره الصفحات لفترة غير قصيرة".

"نعم... أخباره. لكن اسمع يا بن، لديّ سؤال. لقد مررتُ على البنك هذا الصباح، وسمعت أن أحدهم ينشر إعلانات في الجريدة، يناشد فيها السيد ستينز العودة. هل بإمكانني أن أعرف مَنْ نشر هذه الإعلانات؟".

لوينثال: "بالطبع. الإعلانات شأن عام، وعلى كل حال فقد تركت رقم لصندوق في نهاية الإعلان، إن كنت قد رأيته؛ كل ما عليك فعله هو الذهاب إلى مكتب البريد والنظر إلى الصناديق، وسترى اسمها".

"اسمها؟".

لوينثال: "نعم، ستندهش حين تعلم. إنها إحدى فتيات الليل! أتعرف أيهن هي؟".

"ليزي؟ ليزي الأيرلندية؟".

"آنا ويذريل".

"آنا؟".

"نعم!". وأتسعت ابتسامة لوينثال، فهو يتمتع بحسّ العارف ببواطن الأمور، ويستمتع لأقصى درجة حين تتاح له الفرصة لشغل هذا الدور. "لم تكن تتوقع ذلك، أليس كذلك؟ لقد أتت بعد اختفاء السيد ستينز بيومين، حاولت إقناعها أن تترّث حتى يمرّ وقت أكثر، فمن الخسارة مناشدة شخص للعودة بينما لم يمر على غيابه سوى يومين. ربما يكون قد ذهب للأخدود، أو ركب بطول الشاطئ حتى الجري، ربما يعود غدًا! قلت لها كل هذا، لكنها لم تتزحزح عن موقفها. وأخبرتني أنه لم يغادر؛ بل اختفى. كانت متأكدة تمامًا تقوله. واستخدمت نفس هذه الكلمات".

ردّد بالفور: "اختفى؟".

لوينثال: "كانت هذه الفتاة المسكينة قد مثلت أمام المحكمة كمتهمة في نفس ذاك الصباح. ما أتعس حظها في العام الماضي. إنها فتاة طيبة يا توم، طيبة جدًا".

قطّب توم، لم يعجبه أن يسمع أن آنا ويذريل فتاة طيبة، فهزّ رأسه قائلاً: "ليس بإمكانني تصوّر هذا، ليس بإمكانني تصوّرهما معًا. فهما كالطباشير والجبن".

ردّد لوينثال: "الطباشير والجبن". فالأمثال الغريبة عليه تُسعده. "من فيهم الطباشير؟ أعتقد أنه ستينز، بسبب عمله في المناجم!".

بدا بالفور كأنه لم يسمعه. "هل أعطتك أنا أية فكرة عن سبب بحثها عن ستينز؟ أقصد، لماذا؟".

لوينثال: "كانت تحاول العثور عليه بالطبع. لكنني أعتقد أن هذا ليس ما تستفسر عنه".

"لقد قصدت فقط...". ولم يكمل بالفور.

قال لوينثال مبتسمًا: "ليس عجيبيًا يا توم! إذا أظهر لها ذاك الفتى ذرّة من الاهتمام... حسنًا".

"ماذا؟".

طقطق المحرّر بفمه. "حسنًا، عليك أن تعترف بأنك وأنا عجوزان جدًّا مقارنة بالسيد ستينز".

عبس بالفور. فما العيب في بعض الشيب؟ الشَّعر الأبيض يُكسب الرجل هبة ووقارًا. ثم قال، مغيرًا الموضوع: "عندي سؤال آخر، ماذا تعرف عن رجل يُدعى فرانسيس كارفر؟".

رفع لوينثال حاجبيه. "لا أعرف الكثير. بالطبع سمعت عنه بعض الحكايات. يسمع المرء باستمرار حكايات عن رجال من أمثاله".

بالفور: "نعم".

"ماذا أعرف عن كارفر؟ أدار لوينثال السؤال في عقله متفكرًا، ثم قال: "حسنًا، أعرف عنه أن له جذورًا في هونج كونج. والده رجل موسرٌ عمل هناك في تجارة السلع. لكن من المؤكد أنه اختلف مع والده وانقطعت بينهما السبل، لأنه لم يُعد مرتبطًا بمؤسسة والده. إنه يعمل بمفرده الآن، كتاجر. ربما افترق عن والده بعد إدانته".

وألحَّ عليه بالفور: "وما رأيك فيه؟".

"أعتقد أن انطباعي العام عنه ليس انطباعًا جيدًا. فقد انتقل من كونه ابن رجلٍ غني إلى مجرم مدان. لكن ربما يكون الأمر قد حدث بالترتيب العكسي. أظنه يعكس أسوأ ما في العالمين. فهو سَفَّاح، لكنه متآمر. ويمكننا أن نقول إنه يحيا حياة فارهة، لكنها حقيرة".

(رسم ملامح الشخصيات بهذه الطريقة هي إحدى سمات بنجامين لوينثال، ففي عقله دائمًا ما كان يقف كطرف ثالث بين طرفين متضادين، طرف مهمته الشرح والتوضيح. وعند تقييمه للرجال الآخرين يبحث لوينثال عن تناقضٍ ما في الشخصية، ثم يوضح كيفية التقاء طرفي هذا التناقض في نظرية يضعها بنفسه. فقدرة كان أن يرى الثنائية الكامنة في جميع الأشياء -حتى في تقديره هو الخاص للثنائية الكامنة في جميع الأشياء- وكنتيجة لذلك، تحتم عليه اتباع نظام صارم من المبادئ الأساسية الخاصة. لتحسين وحماية نفسه في مواجهة عالم قائم على التمييز والتغيير الدائم. وكان النظام الشخصي الذي اتبعه رابط الجأش، ويعكس شخصيته، وذا ضمير حي. كان أساسه الراسخ الذي يعتمد عليه تمامًا، ومنه ينظر إلى تلك الثنائيات غير المنتهية. وهو يحب أن يكون مستريحًا في إيقاعه اليومي، ومريحًا في دينه، ومريحًا في عمله، وهو في هذا كله يمشي وفق مبادئه، لا يتنازل عنها، ولا يحيد).

استطرد لوينثال: "أوقعني كارفر في مأزق مؤخرًا. منذ حوالي أسبوعين أبحرت سفينته من الميناء خلافًا لجدولها المحدد، وفي منتصف الليل. كان اليوم يوم أحد وأخبار السفن تم نشرها بالفعل في طبعة يوم السبت. ولكن لأن جودسبيد أبحرت يومها خلافًا لجدولها، ولأنها أبحرت بعد غروب الشمس بفترة طويلة، لم يتم تسجيل رحلتها في سجل مكتب الجمارك. ولم يخبرني أحد بشيء عما حدث؛ ولذلك فإن رحيلها لم يُذكر في الصحيفة أيضًا. كأن السفينة لم تغادر مرفأها! واستاء رئيس الميناء جدًا من هذا الأمر".

بالفور: "يوم الأحد؟ هذا يوم وصول لودرباك".

"أعتقد أنك مُحِقٌّ، يوم الرابع عشر".

"لكن كارفر كان في وادي الأراهورا في نفس تلك الليلة".

نظر إليه لوينثال بحدة. "مَن أخبرك بهذا؟".

"رجل من الماوري. اسمه تاي، ولا أذكر بقية الاسم. شاب يافع؛ يرتدي قلادة خضراء كبيرة. لقد تحدثت معه في الشارع هذا الصباح".
"ومَن هو؟".

حكى بالفور كيف أن تي رو تاوهار وكروسبي ويلز كانا صديقين عزيزين، وأن تاوهار رأى فرانسيس كارفر يدخل كوخ الناسك يوم وفاته. وأنه لا يعلم إن كان كارفر قد تواجد في الكوخ قبل وفاة ويلز أم بعدها، لكن تاوهار أكد أن وصول كارفر للكوخ قد سبق وصول لودرباك ورفاقه، وأن وصولهم، كما حكى لودرباك بنفسه، قد حدث بعد الوفاة بقليل لأن غلاية المياه كانت تغلي فوق الموقد ولم تكن قد جفَّت بعد. لذلك من المنطقي أن فرانسيس كارفر تواجد في الكوخ قبل وفاة كروسبي ويلز، وربما حتى (وارتعد بالفور للفكرة) شهد وفاته.

مسّد لوينثال شاربه. "هذه أخبار مثيرة جدًّا. جودسبيد أبحرت في وقت متأخّر من تلك الليلة، بعد غروب الشمس. إذن لا بُدَّ أن كارفر عاد مباشرة من وادي الأراهورا إلى هوكتيكا، ووصل إلى السفينة، ورفع المرساة، كل هذا قبل الفجر. إنه رحيل متعجّل للغاية، على ما أظن".
فكّر بالفور في صندوق الشحن المفقود. "إنه عجيب جدًّا".

"وحين نفكر أن ستينز اختفى في نفس هذا التوقيت تقريبًا...".

قاطعه بالفور: "وآنا، تلك كانت الليلة التي انهارت فيها... لأن لودرباك وجدها، كما تذكر، في الطريق".

لوينثال: "آه، صدفه أخرى".

"يمكننا أن نقول إن العقول الضعيفة فقط هي التي تؤمن بالمصادفات، لكنني أقول... أقول... إن سلسلة من المصادفات لا يمكن أن تكون مصادفة. سلسلة من المصادفات!".

بشروود ردّ لوينثال. "بالطبع لا".

بالفور. "والشباب ستينز. هذا عار عظيم. لا فائدة في أن نضل هادئين تجاه هذا الأمر يا بن، من المؤكّد أنه قُتل. الرجال لا تختفي. قد يختفي الفقراء، لكن الأغنياء لا يختفون".

لم يكن لوينثال يفكر في ستينز. "همم، أتساءل ما الذي كان كارفر يفعل مع ويلز في الأراهورا. وما الذي كان يفرض منه، أو ربما يفرض إليه". وفكر المحرّر لبرهة أخرى ثم صاح: "أهناك احتمال أن يحدث خلط بين لودرباك وكارفر؟".

زفر بالفور طويلاً، وأبدى الكثير من التردد. "حسنًا، هذا هو السؤال الحقيقي. لكنني إن أخبرتك بما أعرف سأكون بذلك خائناً لثقة لودرباك. سأكون قد حنثت بكلمتي". ونظر مرة أخرى إلى فتيل الشمعة، آملاً أن يحثّه صديقه على مواصلة الحديث.

لسوء حظ بالفور فإن مبادئ لوينثال لا تسمح بارتكاب أخطاء من النوع الذي يُلمح إليه بالفور. تمعّن في بالفور للحظة بحياد، ثم اعتدل في مقعده وغير الموضوع. متحدثًا بصوت أكثر حيوية: "أتعلم أنك لست أوّل شخص يأتي لمكتبي ليستفسر عن ذلك الإعلان في الجريدة... إعلان إميري ستينز".

نظر إليه بالفور مُحبطًا ومندهشًا في نفس الوقت. "حقًا... مَنْ غيري؟".

"أتاني رجل في منتصف الأسبوع. الأربعاء. أو ربما الثلاثاء. أيرلندي. يعمل قسًا... ليس كاثوليكيًا؛ أعتقد أنه منهجي. سيشغل وظيفة قسّ السجن الجديد".

بالفور: "المنهجي؟ لقد قابلته اليوم صباحًا. غريب المظهر. بئس الأسنان. ما الذي استفسر عنه؟".

تمتم لوينثال وهو يخطب شفته: "لكني لا أستطيع تذكّر اسمه".

بالفور لا يعرف اسم القسّ، ولا يمكنه مساعدة لوينثال في هذا الشأن، فأعاد سؤاله: "لِمَ كان مهتمًا بشأن ستينز؟".

ضمّ لوينثال كفيه على سطح المنضدة. "حسنًا، الأمر غريب. من الواضح أنه ذهب مع الشرطي إلى كوخ كروسبي ويلز، لإحضار جثمانه".

أومأ بالفور. "نعم، ثم دفنه. لقد حفر القبر بنفسه".

خطب لوينثال على المنضدة. "ديفلن. اسمه ديفلن. لكني لا أتذكّر اسمه الأول، أمهلني دقيقة".

بالفور: "على أية حال، كنت أسأل. ما علاقته بستينز؟".

أقرّ لوينثال. "لا أدري بالتحديد. من محادثتنا المختصرة فهمت أنه يودُّ التحدث مع السيد ستينز على وجه السرعة، إما بخصوص وفاة كروسبي ويلز، وإما بخصوص شيء متعلق بوفاة كروسبي ويلز. لكني لا أستطيع إخبارك بأكثر من هذا. أنا لم أسأله".

بالفور: "خسارة أنك لم تسأله، هذه النقطة لا تزال مبهمة".

قال لوينثال بابتسامة مفاجئة: "توم، تبدو كالمحققين".

احمرّ وجه بالفور. "لست مُحققًا. فقط أحاول فهم أمر ما".

"فهم أمر ما... لصالح صديقك لودرباك، الذي أقسمت له على الكتمان!".

تذكّر بالفور أن القس هو الآخر استمع لحديث لودرباك هذا الصباح، أثارت هذه الفكرة بداخله القلق. هناك بالفعل أمر مبهم. كان على لودرباك أن يكون أكثر حرصًا عند حديثه عن مثل هذه الأمور الشخصية في مكان عام! وقف شعره رهبةً، وقال: "أليس هذا الرجل ديفلن غريبًا؟".

لوينثال: "اسمه كويل ديفلن. كنت متأكدًا أنني سأذكر الاسم. كويل ديفلن. وبالفعل تبدو أسنانه بألسة المظهر".

بالفور: "أيًا كان، أنا لم أره من قبل. لِمَ هو مهتمٌ فجأةً بإيميري ستينز؟ ألا ترى أن هذا غريب؟".

ظل لوينثال مبتسمًا. "غريب جدًا. غريب جدًا. لكنك منفعِل للغاية يا توم".

وبالفعل كان وجه بالفور أحمر قانياً. وبدأ يتحدث: "الأمر يخص لودرباك". لكن لوينثال هزَّ رأسه.

"لا، لا، لن أجعلك تبوح بالسِر، كنت فقط أداعبك. دعنا نغير الموضوع، أنا لن أسأل".

لكن توماس بالفور كان يرغب بشدة أن يسأله لوينثال. كان على أتم الاستعداد لخيانة ثقة أليستار لودرباك. كان يأمل أن ادّعاءه بعدم استطاعته إفشاء سِرِّ السياسي سيدفع لوينثال لاستعطافه لمعرفة السِر. لكن من الواضح أن لوينثال لا يلعب هذه اللعبة. (ربما لأنه لا يريد اللعب، وربما لأنه لا يدري أن بإمكانه اللعب). شعر بالفور بالقهر، وتمنّى لو أنه من البداية جلس ليحكي حكاية ابتزاز لودرباك والانتقام المقترح، بصراحة وبالتفصيل. لكنه الآن مضطّر للمغادرة دون أن يعرف

أي شيء... لأنه لا يستطيع أن يحكي الحكاية الآن، بعد أن أؤكد المحرر أنه لا يريد أن يسمعها.

وهنا سوف نقاطع لنوضح أن هذا الصمت عن السرد أمرٌ مؤسِفٌ؛ لأنه إن حدث وحكى بالفور حكاية لودرباك بالكامل، لكانت أحداث يوم السابع والعشرين من يناير قد اختلفت بالنسبة له ولغيره من الرجال. فالحكاية بها بعض التفاصيل التي من شأنها أن تدفع لوينثال لتذكّر حدث وقع منذ عدة شهور، ومن وقتها لم يحدث ما يستدعي أن يتذكره. تلك الذكرى كانت ستعين بالفور كثيراً في تحرياته عن كارفر، وستساعده، جزئياً على الأقل، في معرفة سرّ ادّعاء هذا الرجل أن اسم عائلته هو ويلز.

لكن ما حدث أن بالفور لم يحك حكاية لودرباك، وأن ذاكرة لوينثال لم تجد ما يدفعها للتذكر، ولم يكن في وسع بالفور سوى أن يترك مقعده على المنضدة المكسوة بالبقع، ويشكر صديقه ويودعه. وبداخله الإحساس... ومثله في ذلك مثل لوينثال، أن محادثتهما مخيئة للآمال، منحته الأمل، ثم خيبت أمله. عاد لوينثال لتأمله الديني الهادئ، وعاد بالفور لوحل شارع ريفل، حيث أعلنت دقّات الساعة تمام الثالثة والنصف؛ وأكمل اليوم مسيرته.

وقمضي السماء... الحاضر غير المحدود، حاملاً معه الماضي المحدود. وتحكى هذه الحكاية، بالكثير من التلميحات والتأكيدات المكررة والمعادة، على أسمع والتر مودي... ويستمتع بنجامين لوينثال الحاضر ليلتها في غرفة التدخين في فندق كراون إلى بعض أجزاء هذه القصة للمرة الأولى. وفجأة يتذكر حدثاً مضى عليه ثمانية أشهر. والآن، حين توقف توماس بالفور عن الحديث ليشرّب، تقدّم لوينثال، ودار حول مائدة البلياردو، ورفع يده مُعلِّناً عن رغبته في المقاطعة. ودعاه

بالفور ليدي بما لديه، وبدأ لوينثال يقصُّ ما تذكره، متحدِّثًا بصوتٍ
جادٍّ خفيض لشخص ينقل أخبار هامة.
وهذا ما حكاه.

في صباح يوم من أيام شهر يونيو عام 1865، دخل رجل بشعر
داكن وندبة على وجنته إلى مكتب لوينثال الصغير الواقع في شارع
ويلد وطلب أن ينشر إعلانًا في جريدة تايمز الساحل الغربي. وافق
لوينثال على طلبه وأمسك قلمه وسأل الرجل عما يودُّ أن يعلن عنه،
قال الرجل إنه فقدَ صندوق شحن يحتوي على متعلقات شخصية
قيمة، وأنه سوف يدفع جائزة قيمتها عشرون جنيهًا إذا ما تمَّ العثور
على الصندوق وإرساله إليه، وأن قيمة الجائزة سترتفع إلى خمسين
جنيهًا إذا ما عاد إليه الصندوق كما هو، مغلق دون أن يُفتح. لم يقل
الرجل شيئًا عما يحتويه الصندوق، لم يقل إلا أن القيمة الشخصية لما
يحتويه عالية جدًّا، كان يتحدث بفضاظة وكلماته مباشرة جدًّا. عندما
سأله لوينثال عن اسمه لم يرُدَّ، وإنما سحب من جيبه شهادة ميلاد
فردها على المكتب. نقل لوينثال الاسم، السيد كروسبي فرانسيس
ويلز، وسأله عن العنوان الذي تصل إليه الردود عن الإعلان في حالة
العثور على صندوقه، فذكر الرجل عنوانًا على رصيف جيبسون، سجل
لوينثال كل هذا وملأ إيصالًا نقديًّا واستلم رسومه، ثم تمنَّى للرجل
نهارًا سعيدًا.

ربما يتساءل المرء (وبالفعل تساءل مودي) كيف يمكن للوينثال أن
يكون متأكَّدًا تمامًا من تفاصيل ما حدث، خاصة وأن هذه الذكرى
أنته توًّا بعد حدوث المقابلة نفسها بثمانية أشهر ولم تُتَّح له الفرصة
للتأكد من تفاصيلها. كيف يمكن للوينثال أن يكون متأكَّدًا أوَّلًا من
أن الرجل صاحب الإعلان لديه ندبة على خدِّه، وثانيًا من أن هذه
الواقعة قد حدثت في يونيو من العام الماضي، وثالثًا: أن الاسم المكتوب

على شهادة الميلاد هو وبدون أي ظل للشك هو كروسي فرانسيس ويلز.

كان رد لوينثال مهذبًا، لكنه طويل نوعًا ما، لقد حكى لمودي كيف أن تايمز الساحل الغربي تمَّ إنشاؤها في مايو من عام 1865، تقريبًا بعد شهر من وصول لوينثال لنيوزلندا. بدأت الصحيفة بطباعة عشرين نسخة من كل إصدار، نسخة لكل فندق من فنادق هوكتيكا الثمانية عشر، ونسخة للقاضي، ونسخة للوينثال نفسه (وفي خلال شهر، وبعد شراء الطابعة التي تعمل بالبخار، ارتفع عدد النسخ إلى مائتي نسخة، وفي الوقت الحالي، يناير 1866، يطبع لوينثال قرابة الألف نسخة من كل إصدار، وقد عيّن طاقم عمل من اثنين). وبغرض أن يعلن للمشتركين في صحيفته أن تايمز الساحل الغربي قد أصبحت أول صحيفة يومية تصدر في هوكتيكا، وضع لوينثال أول عدد من الجريدة في إطار زجاجي وعلّقه في مكتبه؛ ولذلك فهو يتذكر جيدًا تاريخ إنشاء الجريدة (التاسع والعشرون من مايو عام 1865) لأنه يرى هذه النسخة كل يوم. الرجل الذي يتحدث عنه وصل إلى مكتب لوينثال في وقت ما من يونيو، لأن ماكينة الطباعة البخارية الخاصة بلوينثال قد وصلت إليه في أول أيام يوليو، وهو يتذكر جيدًا طباعة الإعلان الخاص بالرجل صاحب الندبة على خدّه على آلة الطباعة اليدوية التي كان يعمل عليها.

أمّا بخصوص السبب الذي من أجله احتفظ بذاكرة واضحة لهذه الدرجة عن هذه الحادثة؛ فذلك لأنه اكتشف وهو يعمل على هذا الإعلان المربّع ذي البوصتين (وهو المقياس المعتاد لعمود الإعلانات، والمساحة التي دفع الرجل ذو الندبة ثمنها) لم تكن تكفي لاحتواء الرسالة كلها، كان الإعلان يزيد عن المساحة المحددة بكلمة واحدة، فإن لم يغيّر لوينثال كل إعلاناته المكررة ويعيد تنسيق الصحيفة كلها؛ فسيكون عليه أن يستخدم ما يطلق عليه عُمال الطباعة "بالأرملة"،

حيث يتم وضع آخر كلمة من الإعلان وهي كلمة "ويلز" في أعلى العمود التالي في الجريدة بلون بني، وهذا يسبب أثراً غير محبوب، وأحياناً يسبب الارتباك للقراء. حين اكتشف لوينثال هذه المشكلة كان الرجل ذو الندبة قد غادر مكتبه منذ وقت طويل، ولم يكن لوينثال يميل إلى فكرة أن ينطلق باحثاً عنه في الطرقات. بدلاً من ذلك بحث عن كلمة يمكنه أن يزيلها من الإعلان، وأخيراً وجدها، يمكنه أن يزيل الاسم الأوسط للرجل، كارفر، وهذه الإزالة ستغنيه عن خلق "أرملة" وستحافظ على تنسيق عموده.

تأهّل الساحل الغربي صدرت مبكراً في اليوم التالي، وقبل حلول الظهر عاد الرجل ذو الندبة، وقد أصرّ دون أن يقدم سبباً على الأهمية القصوى لنشر الاسم الأوسط له في الإعلان. كان مستاءً لأقصى درجة لأن لوينثال قد غيّر من إعلانه بدون الرجوع إليه، وعبر عن استيائه بنفس الأسلوب اللفظ الذي طلب به خدمات المحرر. أسرف لوينثال في الاعتذار عمّا حدث، وطبع الإعلان مرة أخرى في اليوم التالي، ولمدة خمسة أيام بعدها، وكان الرجل قد دفع مقابل أسبوع من الإعلانات، وقد طبع لوينثال الإعلان يومًا إضافيًا بالمجان كنوع من الاعتذار عمّا وقع منه.

أوضح لوينثال لمودي أنه بسبب كل ما سبق وشرحه فإنه متيقن من تاريخ الواقعة ومن الاسم الكامل للرجل. كانت الحادثة لها مكان خاص في عقله؛ فرواد الأعمال يتذكرون دائماً أخطاءهم الأولى حين يعودون بذاكرتهم إلى بدايات مؤسساتهم، واستياء العميل أمر لا يُنسى بسهولة، حين يكون الشخص مخلصاً لعمله.

يتبقى السؤال الخاص بوصف الرجل، كيف يمكن للوينثال أن يكون متأكدًا من أن الرجل يحمل ندبة على خدّه مثل فرانسيس كارفر السجين السابق؟ وليس بلا ندبة مثل كروسبي ويلز الناسك؟

اعترف لوينثال أنه بخصوص هذه النقطة الأخيرة لا يمكن أن يكون متأكدًا تمامًا وأنه ربما عند تذكُّره للواقعة استدعى عقله وجه ذو ندبة بدلًا من وجه صاحب الواقعة. لكنه أضاف أن قدرته على التذكر قوية، وبإمكانه استدعاء صورة واضحة تمامًا لهذا الرجل في ذهنه؛ وأنه يتذكر أنه كان يمسك بقبَّعة عالية الجوانب وأنه كان يضغط عليها بين راحتيه أثناء حديثه كأنها يودُّ ضغطها لطبقة مسطَّحة من قماش الجوخ، هذه التفاصيل بالذات لا يمكن أن تكون مزيفة! وأعلن لوينثال أنه مستعدُّ للرهان بمبلغ كبير على أن الرجل الذي يذكره يحمل ندبة على شكل منجل فوق وجنته، ويحمل شهادة ميلاد تحمل اسم كروسبي فرانسيس ويلز.

وأقرَّ لوينثال أيضًا أنه لم يعرف الناسك كروسبي ويلز، وليس لديه أي فكرة عن ملامحه، حيث لم يترك الرجل خلفه أي صور له.

هذه المعلومة الجديدة، كما هو مُتَوَقَّع أثارت ضجَّةً من المقاطعات والافتراضات في غرفة التدخين بفندق كراون. وتوقَّف السرد لفترة. وسوف نتركهم الآن في الحاضر، وننتقدم، إلى الماضي.

Φ

لم تتوقف المعديّة التي تربط بين كانير ومصب نهر هوكتيكا عن تقديم خدماتها بسبب الطقس السيئ، رغم تباطؤ وتيرة العمل؛ وطاقمها، بلا ركاب ينقلونهم، ولا مهام ينجزونها، جلسوا في المخزن المفتوح الملاصق لرصيف الميناء، يدخلون السجائر ويلعبون الكروت. لم تبدُ عليهم السعادة لترك اللعب والخروج تحت المطر، وطلبوا أجرًا يعكس هذا السخط. وافق مانرينج على الفور، وتحتَّم على

الرجال ترك كروتهم، وإطفاء سجاثرهم، والشروع في حمل المركب على المنحدر إلى الماء.

تبعد كانير حوالي أربعة أميال شمال النهر، وهي مسافة لا تستغرق وقتًا أثناء العودة، حيث لن يكون على المجدفين التجديف عكس التيار؛ لكن الذهاب قد يستغرق ساعة، ويتوقف هذا على حركة النهر، والرياح، والمَدَّ والجَزْر. المنقبون المسافرون ذهابًا وإيابًا ما بين كانير وهوكتيكا يقطعون هذه المسافة عادة بعربة تجرُّها الخيل، أو على الأقدام، لكن العربة كانت قد غادرت بالفعل، والجو لا يشجّع على المشي.

دفع مانرينج أجر المعديّة، وجلس هو وفروست وبينهما كلبته الضخمة هولي في مؤخرة مركب صغير مدهون (كان في حقيقة أمره قارب إنقاذ تمّ انتشاله من حطام سفينة غارقة). دفع المجدفون الخلفيون المركب بقوة بعيدًا عن الضفة بكفوف مجاديفهم، وسرعان ما أخذت المركب طريقها في اتجاه منبع النهر.

وجد فروست ومانرينج أنفسهما، في مجلسهما في مؤخرة المركب، وجهًا لوجه مع المجدفين، كأنهما اثنان من رؤساء الملاحين، ضخام وحَسَنِي الهندام؛ والمسافة التي تفصل بينهم وبين المجدفين تقل كل مرة يميل فيها المجدفون إلى الأمام. لذا لم يتحدث الرجلان في الشأن الذي هم في طريقهم إليه، فالحديث يعني اطلاع المجدفين على خصوصياتهم. وعوضًا عن ذلك تحدث مانرينج بلا انقطاع عن الطقس، والأمريكتين، والتربة، والزجاج، والإفطار، واستخلاص المعادن باستخدام المياه، والأشجار المنتجة للخشب في نيوزلندا، والأسطول الروسي في بحر البلطيق، والحياة في حقول الذهب. أما فروست، الذي يعاني من دوار البحر، فلم يتحرك من مكانه، إلا ليمسح قطرات الماء

المتجمعة تحت حافة قُبْعَتِه. ورده الوحيد على ثرثرة مانرينج كان همهمات التأييد الصادرة من فكيه المطبقين.

وفي الحقيقة فإن فروست كان مرعوبًا للغاية، ورعبه يزيد مع كل خبطة مجداف تقرب المركب من الأخدود. ما الذي ذهاه بحق السماء لكي يقول إنه ليس خائفًا في حين أنه خائف كأكثر ما يكون؟ كان بإمكانه أن يقول إنه يجب عليه العودة للبنك! وها هو الآن يترنح في ثلاث بوصات من الماء بني اللون، مرتعشًا وبدون سلاح ولا استعداد، إنه الاختيار الأضعف في ثنائية شخص آخر، ومن أجل ماذا؟ ماذا بينه وبين الصيني كيي؟ ما الضغينة التي يحملها له؟ لم يسبق أن وقعت عيناه على ذلك الرجل من قبل! ومدَّ يده ليمسح حافة قُبْعَتِه.

شقَّ نهر هوكيتيتا طريقه في أرض من الحصى، صخورها مستديرة ومتآكلة. وحفَّت بضفافه الشجيرات داكنة الخضرة، التي زاد المطر من قتامة لونها. والتلال البادية وراء ضفافه تعجُّ بالسحب متغيرة الهيئة. وعند النظر إليها، يبدو للمرء كأنه يمكنه معرفة المسافات عن طريق الألوان، فأشجار الصنوبر الأبيض الشاهقة النابتة بين الشجيرات بدت عن قرب خضراء اللون، وزرقاء في منتصف المسافة بين النهر والتلال، ورمادية عند قمم التلال، حيث اندمجت مع لون الضباب. أما جبال الألب فكانت محتجبةً، لكنها (وكما قال مانرينج) في الأيام الصافية تبدو ظاهرة كحافة حادة بيضاء في السماء.

تقدَّمت المركب. وفي طريقها مرَّت بقارب يشقُّ الماء بسلاسة في طريقه إلى أسفل النهر، حاملاً مستكشفًا بلحية ومعه رجلان من الماوري كمرشدين، رفع المرشدان قبعاتهما في ترحاب، وردَّ مانرينج تحيتهم. (لم يجرؤ فروست على محاولة الحركة). ومن بعد هذا، خلا المكان؛ لم يُعد هناك إلَّا ضفَّتَا النهر المترجرجتان؛ والمطر يجلد

سطح الماء. النوارس التي تبتعثهم من مصب النهر فقدت اهتمامها بهم وطارَت عائِدة. ومَرَّت عشرون دقيقة أو ما شابه وَلَفَّ المركب حول منعطف ثم وكما يضاء مصباح فجأة في غرفة مزدحمة، وجدوا أنفسهم محاصرين بالضوضاء والحركة من كل جانب.

مخيم كانير يمثِّل منتصف الطريق ما بين هوكتيكا والمناجم الواقعة داخل أراضي البلاد. الأراضي المحيطة بالمخيم منبسطة لحد كبير، محفورة بشبكة من المجاري المائية والينابيع المليئة بأحجار وحصى قادمة من جبال الألب في طريقها للبحر، أما البحر، فصوته حاضر دائماً، يأتي كزئير قادم من مسافة بعيدة، كصوت انفجار، أو اندفاع، أو طقطقة. وكما قال أحد المستكشفين الأوائل، أينما تجد الماء على الساحل، ستجد الذهب، وهنا تجد الماء في كل مكان، يقطر من أوراق السراخس، ويتجمّع كخرز لامع فوق الأغصان، ويثقل الأشنات المتدلّية من الأشجار، ويملأ آثار أقدام المرء ويفيض من جوانبها.

بدا مشهد المخيم لعيني فروست كئيِّباً للغاية. خيم المنقّبين مصطَفّة في صفوف معوّجة، محنيّة السقف تحت ثقل المطر الذي لا يتوقف؛ وبعضها انهار بالفعل. وبين الخيم حبال مشدودة ذهاباً وإياباً مثقلة بالأعلام والغسيل المبتل. اتخذت بعض الخيم لنفسها حوائط من الصخر والطيني، فبدت أحسن حالاً من غيرها، بعض المبتكرين قاموا بتعليق ملءة ثانية في الشجر المظلل لخيمتهم، كمظلة إضافية. وعلى جذوع الأشجار علّقت لافتات مدهونة تعلن عن جميع صنوف التسلية والمشروبات. (فهنا لا يحتاج المرء أكثر من مظلة وزجاجة ليفتتح حانة لبيع الخمور، لكنه قد يتعرّض لغرامة، وربما للسجن، إن تمَّ ضبطه؛ معظم الخمر المباعة بهذه الطريقة تم تخميرها في المخيم. جرَّب تشارلي فروست مرّةً خمر كانير، وبصقه في التَّوَّ باشمئزاز. كان الخمر زيتيّاً حامضاً في طعمه، وثقيلاً مليئاً بالشوائب في قوامه؛ ورائحته تشبه سائل تحميض الأفلام الفوتوغرافية).

تعجّب فروست أن المطر لم يدفع المنقّبين للإحتماء بخيامهم؛ ليس هذا فحسب، بل أن روحهم المعنوية بدت مرتفعة. فقد تجمعوا على جانب النهر، بعضهم خاض في الماء حتى ركبتيه يصفى الحصى، وبعضهم يهزُّ صناديق استخلاص الذهب، وبعضهم ينظف أوعيته، وبعضهم يستحمُّ، وبعضهم يغسل ملابسه، وبعضهم يجدل حباله، وبعضهم يرتق ملابسه على الشاطئ. جميعهم يرتدون زي المنقّبين القطني المعتاد. بعضهم يربط حول خصره حزام قطني أحمر اللون كموضة القراصنة المنتشرة، ومعظمهم يرتدون قبعات بحواف عريضة أداروا حوافها لأسفل. تبادلوا الصياح أثناء عملهم، كأنهم لا يلاحظون المطر. ومن خلف صيحاتهم يمكن للمرء سماع الضجيج المعتاد للمكان، رنة خبط فأس، ضحك، صفير. ودخان أزرق معلق في الهواء تبعثره هبّات الهواء الكسولة فوق النهر. وأتى صوت أكورديون من مكان بعيد بين الأشجار، ومن مكان أبعد أتت موجة عالية من الاستحسان.

مانرينج: "المكان هادئ، أليس كذلك؟ حتى بالنسبة ليوم سبت".

لم يرَ فروست أن المكان هادئ.

مانرينج: "بالكاد هناك بعض الرجال خارج الخيم".

فروست رأى أمامهم عشرات الرجال، وربما مئات.

نظر تشارلي فروست للمشهد المائل أمامه، فهي المرة الأولى التي يزور فيها كانير، والمنطقة المحيطة بهوكتيكا على العموم. فخلال السبعة أشهر الماضية منذ عبر حاجز هوكتيكا القاري لم يحدث مرة أن سافر داخل البلاد، ولم يبتعد على خط الساحل لأبعد من مرتفع سي قيو. ورغم أنه كثيراً ما يأسف لضيق حاله، إلا أنه يدرك في أعماقه أن روحه لا تناسبها المغامرات؛ والآن، وهو يراقب رجلاً يشد غصناً إلى نار صغيرة موقّدة على حافة النهر، ويضع الغصن بجرأة على سرير

الرماد الغامق مُسبَّبًا زخَّةً من الدخان الأسود التي احتوته فبدأ يكحُّ بفظاعة من رئة متوجَّعة لرجل لم يمضِ عليه الكثير في هذا المكان، أحسَّ فروست أن لديه كل الحق في تحقُّظه. فكانير -هكذا حدث نفسه- مكان تعيس وملعون.

وصلت المعدة للمياه الضحلة، واستقرَّ قاعها على الصخر. قفز المجدفون الأماميون وشدُّوا المركب خارج المياه، حتى يتمكن مانرينج وفروست من النزول دون أن تبتلَّ أحذيتهم، وهي مجاملة لا داعي لها، لأن أحذيتهم كانت قد ابتلت تمامًا بالفعل. قفزت الكلبة من فوق المركب وخبطت ببطنها في الماء.

"يا إلهي!"، رفع مانرينج نفسه وخطا فوق الصخور وفرد ظهره. "كان لزامًا عليَّ أن أغيرَ بنظروني. هذا ليس يومًا مناسبًا للتأنق، أليس كذلك يا تشارلي؟ أحرق مَن يتأنق في مثل هذا. يا إلهي!". وقد لاحظ أن فروست لا يبدو بخير، فكان يحاول أن يهوِّن عليه. ورغم أنه يؤمن بأن من مصلحة فروست أن يمر ببعض الخشونة والمعافرة (فالتبيعة المتزمته لشخصية فروست تضايق مانرينج بشدة) لكنه يودُّ لو يظل عند حسن ظنِّ الفتى. فمانرينج يحب المنافسة بطبيعته، ومن بين الجوائز التي يتنافس عليها يوميًا جوائز بعدد الأسماء التي تشملها قائمة معارفه. وإن أجبروه أن يختار ما بين إصلاح حال رجل آخر، أو انصياع هذا الرجل له، لاختار الانصياع، بغضِّ النظر عن التكلفة. هو لن يلين في معاملته لفروست، فالفتى لين بالفعل، وسيؤكد من أن الفتى يلزم حدوده، لكنه ليس من الغرور بحيث يرفض مدَّ يد العطف، خاصة حين يكون العطف مطلوبًا بمنتهى الوضوح.

لم يرد فروست. الذي فزع عند رؤيته لخيمة مثلثة الشكل من قماش أشرعة المراكب، بالكاد تتَّسع لثلاثة رجال ممدِّدين جنبًا إلى جنب، تحمل لافتة مكتوب عليها بخط اليد: "فندق"؛ وزاد فزعه عند

رؤيته لأحد المنقبين يفك أزرار بنطلونه ويتبول، تحت سمع ونظر رفاقه، على الصخور بجانب النهر. عاد للخلف فزعًا ثم سمع صوت ضحكات. كان اثنان من المنقبين جالسين تحت مظلة بإطار خشبي على مسافة عشرة ياردات من مكان رسو المركب يراقبان اقترابها. ومن الواضح أن رعب فروست بدا لهما مسلّيًا جدًّا؛ أحدهما لمس طرف قبّعته، والآخر رماه بتحية ساخرة.

"هل أتق لي نظرة؟".

"لا يا بوب، لقد جاء ليغسل ملابسه في النهر. المشكلة الوحيدة أنه نسي أن يوسّخ ملابسه قبل أن يغسلها!".

ضحك الرجلان وأشاح فروست بوجهه المحمّر عنهما. لقد حددت البوصلتان التوأمتان الواجب والعادة وجهة حياته؛ وهو لم يسافر، ولن يبحث عن الذهب؛ ويرتدي معطفًا تمّ تنظيفه بالفرشاة هذا الصباح، وصديريّة نظيفة. وهو لا يخجل من هذه الأمور. لكن فروست أمضى طفولته وحيدًا بدون أطفال آخرين، فلم يكن يفهم المشاكسة. وإذا ما حدث وسخر رجل آخر منه، لم يكن يعرف كيف يرد عليه. كان وجهه يحمرُّ وحلقه يغص، ولا يصدر عنه سوى ابتسامة، مصطنعة.

أخرج المجدفون المركب من الماء. واتفقوا على العودة بالرجلين لهوكتيكا خلال ساعتين (غاص قلب فروست حين سمع هذا). ثم اقترعوا على مَنْ منهم سيظل عند المركب. وجلس تعيس الحظ بجانب المركب محبّطًا بينما اختفى البقية بين الأشجار، يشخللون بعملياتهم المعدنية.

كان الرجلان الجالسان أمامهما لا يزالان يضحكان.

قال الأول لزميله: "اطلب منه بعض النشوق".

"اسأله عن عدد الخطابات التي يرسلها لأهله في مايفير".

"اسأله هل يعرف كيف يشمر أكمامه لما فوق كوعيه".

"اسأله عن دخل والده، سيسعده أن يتحدث في هذا الموضوع".

هذا ظلم كبير، فهو لم يذهب أبدًا إلى مايفير، ووالده رجل فقير، وهو في الحقيقة نيوزلندي! ودخله تافه إذا ما أخذنا في الاعتبار أن الجزء الأكبر من راتبه يذهب إلى جيب أبيه كل شهر. أما بالنسبة للبدلة التي يرتديها، فقد اشتراها من راتبه الخاص؛ وقد نظّف معطفه بالفرشاة بنفسه هذا الصباح! وكثيرًا ما شمر أكمامه لما فوق كوعيه. وأزرار أساوره مُغلّقة، مثل أساور المنقبين الاثنين الجالسين أمامه؛ وقميصه قد اشتراه من تجار الملابس في هوكتيكا، تمامًا مثلهما. ودّ فروست لو قال كل هذا. لكنه جثا وفرد راحتيه للكلبة لتلعقهما. وقال بصوت خافت لماريننج: "هلاً تحركنا".

"بعد لحظة".

وبعد أن وضع محفظته في جيبه الداخلي، حاول مارينج ربط أزرار معطفه ذي الذيل المفتوح، ولم يستطع أن يقرّر هل يترك كل الأزرار مفتوحة ما عدا آخر زُرٍّ في المعطف؛ ممّا يسهل عليه الوصول لمسدساته، أم يزرر كل الأزرار ما عدا أول زُرٍّ؛ ممّا يخفي مسدساته عن العيون.

ألقي فروست نظرة عصبية أخرى على ما حوله متحاشيًا نظرة المنقبين تحت المظلة. الطريق من حيث رست المعديّة يتفرع عبر الأشجار لطريقين، أحدهما يتجه شرقًا لبحيرة كانيير، والآخر إلى الجنوب الشرقي ناحية أخدود هوكتيكا. فبعد الضفة الجنوبية للنهر توجد بقعة غنية بالمناجم تشمل منجم الأورورا، ضمن مناجم أخرى عديدة. لم يكن فروست يعلم أيًا من هذا؛ وفي الحقيقة فإنه بالكاد يستطيع الإشارة إلى جهة الشمال إن سأله أحدهم. وبحث بعينه عن

لافتة تشير إلى الحي الصيني، لكنه لم يجد. ولم يرَ أي وجه صيني في الزحام.

أوما مانرينج ناحية الشرق، كأنه قرأ أفكاره. "من هنا، شمال النهر، ليس بعيدًا عن هنا".

كان فروست يمسك الكلبة بين ركبتيه؛ ويداعب شعرها المبتل، هادفًا تهدئة نفسه أكثر من مداعبة الكلبة. ورفع بصره محدقًا في مانرينج. "ألا يجب علينا أن نتفق على خطة؟".

قال مانرينج وهو يربط حزامه للأعلى قليلًا: "ليس هناك داعٍ".
"لا داعٍ لخطة؟".

"كبي ليس لديه مسدسًا. وأنا لديّ اثنان. وهذه هي الخطة الوحيدة التي أحتاجها".

لم يطمئن فروست عند سماعه لهذا. فترك هولي -التي جرت بعيدًا عنه في الحال- ونهض. "أنت لن تطلق النار على رجل أعزل، أليس كذلك؟".

حسم مانرينج أمره بخصوص الأزرار، فترك أعلاها مفتوحًا. "هذا أفضل وضع". وساوى معطفه بيده فوق جسده.
"ألم تسمعي؟".

مانرينج: "سمعتك. توقّف عن القلق يا تشارلي وإلا ستلفت الأنظار إليك".

قال فروست في صوتٍ يميل للحدة: "بإمكانك أن تجاوبني، فقد يقلل هذا من قلقي".

التفت مانرينج ليوواجهه. "اسمع، لقد استأجرت الصينيين للعمل في مناجمي خلال الخمس سنوات الأخيرة، وبإمكاني إخبارك أنهم

كلهم بلا استثناء يلاحقون هذا الدخان، كما يلاحق صانع القبعات العاهرات. وفي مثل هذا الوقت من يوم السبت، فإن كل رجل صيني في هذه الناحية من جبال الألب سيكون راقداً بلا حراك والتنين في عينيه. يمكنك أن تدخل الحي الصيني وتجمعهم كلهم وإحدى يديك مربوطة خلف ظهرك. أفهمت؟ لن يكون هناك أي داعٍ للعنف. لن يكون هناك أي داعٍ للمسدسات. إنها للاستعراض فقط، كل الظروف تصبُّ في صالحنا يا تشارلي. فعندما يمتلئ المرء بالأفيون يصبح وكأنه مصنوع من الماء. تذكّر هذا جيداً. يصير المرء بلا فائدة. يصير طفلاً".

الشمس في برج الجدي

حيث يحكي چاسكوين لقاءه الأول مع العاهرة، وتفكُّ كثيرًا من الغرز بالسكين، ويسيطر الإرهاق، وتطلب أنا ويذريل طلبًا.

حين تطلّع چوزيف بریتشارد لآنا وچاسكوين من فتحة الباب الموارب لم يرَ غير أشد ما يتوق إليه، الحب، والعاطفة المخلصة. فبریتشارد كان وحيدًا، وكمعظم الأرواح الوحيدة كان يرى ثنائيات العشاق السعداء في كل مكان. وفي هذه اللحظة حين انثنى جسد أنا على صدر چاسكوين الذي لفَّ ذراعيه حولها ورفعها ووضع وجنته على شعرها، لم يكن ليواسي بریتشارد -بيده المرتخية على مقبض الباب البارد- أن يعرف أن أنا وچاسكوين مجرد صديقين. ولا يمكن التهوين من حدة الوحدة بالتهوين من طبيعة العلاقات. فحتى الصداقة تبدو

لبريتشارد من بعيد جذابة وشهية؛ وأقلُّ لفظة حانية تسيل لعابه وتملؤه بالرغبة.

بُنيت افتراضات بريتشارد عن چاسكوين في حقيقة الأمر على محادثة وحيدة جمعتهما. ومن أسلوبه المتغطرس وملابسه الأنيقة افترض بريتشارد أن چاسكوين يشغل وظيفة ذات نفوذ في المحكمة، وفي الحقيقة فإن مسؤوليات منصبه كانت بسيطة جدًا. ووظيفته الأساسية هي جمع الكفالات يوميًا من السجن في مخيم الشرطة. وبجانب هذه المهمة فهو يقضي ساعاته في تسجيل الرسوم، ومراقبة إيصالات حقوق التنقيب، والتحقيق في الشكاوى، وأحيانًا القيام بمشاوير بالنيابة عن المفوض. كان منصبه متواضعًا، لكن چاسكوين كان جديدًا في المدينة؛ وسعيدًا لأنه وجد عملًا، وواثقًا أنه لن يظل بمرتب خادم لمدة طويلة.

لم يكن قد مرَّ شهر كامل على چاسكوين في هوكتيكا حين قابل آنا ويذريل ممدّدة مكبّلة اليدين على أرض سجن جورج شيرد. كانت جالسة وظهرها للحائط ويداها في حجرها. وعيناها مفتوحتان وتلمعان من الحمى؛ وشعرها مفكوك من مشبكه، والتصق رطبًا بوجنتها. جثا چاسكوين أمامها، ولسبب ما مدَّ يده ناحيتها. فأمسكت بها وجذبتة ناحيتها بعيدًا عن أعين السجن الذي كان جالسًا عند الباب بيندقية على ركبتيه. وهمست، "أستطيع دفع كفالتني، أستطيع دفعها، لكن عليك أن تثق بي. وأن لا تخبره شيئًا عن الأمر".

خفض چاسكوين صوته لحدّ الهمس. "مَنْ؟".

أومأت برأسها ناحية المدير شيرد بدون أن تبعد عينيها عن عيني چاسكوين. واشتدَّت قبضتها وأخذت بيده وضعتها على صدرها. فزع چاسكوين وكاد أن ينتش يده بعيدًا لكنه ساعتهما أحسَّ بما جذبت يده ليحسّه. شيء ما تحت ملابسها يغلف قفصها الصدري، كأنه سترة

من السلاسل، كتلك التي ارتداها الجنود قديمًا كدرع، رغم أنه لم يسبق له أن لمس واحدًا منهم.

همست له: "ذهب، إنه ذهب، في دعامات المشد، وفي البطانة، وفي الفستان بأكمله". وفتّشت عيناها الغامقتان في وجهه، تتضرّعان وتتوسّلان. وقالت: "ذهب، لا أعلم كيف حدث هذا. لكنني وجدته حين استيقظت، مخيطًا في الملابس".

قطب چاسكوين محاولاً أن يفهم. "هل تودّين دفع كفالتك ذهبًا؟".

همست: "لا أستطيع إخراجه هنا بدون سكين؛ إنه مخيط في القماش".

كادت الوجوه تتلامس؛ وشمّ رائحة الأفيون المسكرة، كنفحة البرقوق على أنفاسها. وهمهم: "هل الذهب ملكك؟".

عبرت نظرة يائسة وجهها. "وما الفرق؟ إنه نقود، أليس كذلك؟".

ورنّ صوت من الجانب. "هل احتجزتك العاهرة يا سيد چاسكوين؟".

قال چاسكوين: "لا، لم يحدث". أطلقتته من قبضتها ووقف، وخطا خطوة بعيدًا عنها. وسحب محفظته من جيبه كأنه لا يبالي، كأنه يقوم بعمله. ووزن المحفظة في يده.

شيرد: "يمكنك أن تذكّر الآنسة ويذريل أننا لا نوجّل دفع الكفالة. إمّا أن تدفعها هنا والآن، أو تظل هنا حتى يدفعها لها أحد".

تفحّص چاسكوين آنا. ليس لديه أي سبب للاهتمام بطلب المرأة، أو لتصديق فكرة أن الصفائح الصلبة التي أحسّ بها في مشدّها هي، كما تدّعي، ذهب. وعرف أنه يجب عليه الإبلاغ عنها فورًا للسجان، بتهمة محاولة تعطيله عن أداء مهام وظيفته. يجب عليه أن يقطع

مشدّها إربًا مُستخدِمًا سكين الصيد التي يحملها في حذائه، لأنه إن كانت تحمل ذهبًا على جسدها فهو بالتأكيد ليس ملكًا لها. إنها عاهرة، مقبوض عليها بتهمة السُّكر العلني. وفستانها قذر، وتفوح منها رائحة الأفيون، وتحت عينيها ظلال بنفسجية.

لكن چاسكوين نظر لها بتعاطف، فهو يحمل أخلاقيات الشهامة الأصيلية؛ يُكِنُّ تعاطفًا عميقًا مع مَنْ هم في ظروف حرجة، وتوسُّلها الملتاع بعينيها الواسعتين أثار كلاً من تعاطفه، وفضوله. چاسكوين يؤمن بأن العدالة مرادفة للرحمة، وليست بديلاً عنها. ويؤمن أيضًا بأن التصرفات الرحيمة تنبع من الغريزة قبل أن تنبع من أي قانون. وفي نوبة قوية من الشفقة، ودائمًا ما يغمره هذا الشعور كفيضان، أحس بدافعٍ للاستجابة لطلب الفتاة، ولحمايتها.

قال. "آنسة ويذريل (وهو لم يعرف اسمها قبل أن ينطقه السجان)، تقرّر لكِ كفالة تُقدّر بجنيه وشلن". كان يحمل محفظته بيده اليسرى، ودفتره في يده اليمنى؛ فحرّك يده كأنه ينقل الدفتر ليده اليمنى واستخدمه كغطاء وأخرج من محفظته قطعتين نقديّتين ووضعهما في راحته. ثم نقل محفظته ودفتره إلى يده اليمنى ومدّها لها بيده اليسرى، وراحتها لأعلى، وإبهامها فوقها. واستكمل: "هل يمكنك أن تدفعي هذا المبلغ من المال الذي رأيته في مشدّكِ؟". كان يتحدث بصوت عالٍ وواضح كأنه يكلم أبله، أو طفلًا.

للحظة لم تفهم شيئًا. ثم أومأت وأدخلت أصابعها بين دعامات مشدّها وأخرجتها فارغة. ثم وضعت أصابعها المضمومة في يد چاسكوين؛ رفع چاسكوين إبهامه وهو يومئ كأنه راضٍ عن القطع النقدية التي وضعتها فيها، وسجّل الكفالة في دفتره. ثم أسقط القطع النقدية بصوت مرتفع في محفظته، وبعدها اتجه للسجين التالي.

هذه اللفتة العظوفة غير المعتادة على الإطلاق في سجن چورچ شيرد، ليست غريبةً عن چاسكوين؛ فهو يسعد بعقد الصداقات مع الطبقات الأدنى؛ مع الأطفال، والشحاذين، والحيوانات، ومع النساء العاديات والرجال المنسيين. وهو يشمل بعطفه هؤلاء الذين لا ينتظرون العطف، وحين يقابل رجلاً من مكانة أقل منه لا يتصرف أبداً بوقاحة. لكنه دائماً مع الطبقات الأعلى يحتفظ بمسافة بينه وبينهم في التعامل. لم يكن غير لطيف، لكن معهم اتّسم أسلوبه بالإرهاق والكآبة، وعدم الانبهار، وتعامله بهذا الأسلوب، رغم أنه لا يهدف من ورائه لشيء، أكسبه الكثير من الاحترام، وأكسبه مكانة بين واثري الأراضي والثروات، كأنه خطّط لكي ينتهي به المطاف بينهم. وهكذا فإن أوبرت چاسكوين، الذي وُلِدَ لمربيّة إنجليزية متزوجة، وتربى في البيوت الباريسية المشتركة الحوائط، شاغلاً سندرة البيت، مرتدياً الملابس القديمة التي استغنى عنها أصحابها، ومنفياً طول الوقت إلى كوة الفحم إمّا مُلاماً أو مُهملاً، قد كبر مع الوقت ليصبح شخصية محدودة الدخل لكن دخلها يأتيها من عمل شريف. لقد نجح في الهروب من ماضيه، ورغم ذلك لا يمكن أن نقول عنه إنه رجل طموح، أو أنه وافر الحظ.

ويظهر في شخصية چاسكوين مزيج مدهش من الطبقات العليا والسفلى. لقد ثقّف عقله بنفس الجدية والانضباط الذين يحرص عليهما في تأثقه الشخصي، وهو في هذا قد اتّبع أسلوباً يتسم بالرقي، لكنه قد يُوصف بأنه ينتمي لعهد بائد. لديه شغف بالكتب والتعليم لا يأتي إلا لمن سعى لتعليم نفسه بنفسه. لكن لأن جذور ذلك الشغف كانت خاصة وشريفة فقد جنحت ناحية التدين والازدراء. كانت طبيعته تواقّة للماضي، ليس لماضيه الخاص، لكن للعصور الماضية؛ فهو متشائم من الحاضر، وخائف من المستقبل، وحزين جداً على تدهور العالم. وبصورة عامة، فهو يعطي الانطباع

بأنه عجوز من النبلاء المتمتعين بصحة جيدة (بينما هو في الرابعة والثلاثين من عمره) يعيش عهد من الراحة التي يشوبها -بشكل محسوس- الانحدار، وهو واعٍ بهذا الانحدار، الذي يصيبه بالدهشة، أو بالحزن، حسب حالته المزاجية.

چاسكوين متقلّب المزاج بشكل غير عادي. فموجة التعاطف التي أجبرته على الكذب لصالح أنا قد انقشعت فور الإفراج عنها وتحوّلت إلى شعور بالحزن من أن مساعدته بلا جدوى، وفي غير محلّها، وخطأ، وأسوأ ما في الأمر أنها نبعت من رغبة في إشباع ذاته. فالأنانية هي أعمق مخاوف چاسكوين. وهو يكره أي أثر لها في نفسه، تمامًا كما قد يكره رجلٌ يسعى للكمال أيّ آثار للضعف قد تعيقه عن تحقيقه هدفه الأناني. وهو يعتز كثيرًا بهذه الصفة في شخصيته، ويحب أن يفسّرهما؛ وحين يصبح تفسيره غير منطقي بشكل لا يمكن تجاهله، يقع في نوبة أنانية للغاية من الضيق.

تبعته أنا عند خروجها من السجن، واقترح عليها في الشارع، بطريقة تكاد تكون فظة، أن تعود معه لبيته، لتتاح لها الفرصة لتحديثه عن نفسها على انفراد. وأذعنت لطلبه، وسارا سويًا عبر المطر. لم يعد چاسكوين يشفق عليها، تطاير تعاطفه بسرعة وأفسح الطريق للقلق والشك، فهي على كل حال قد حاولت الانتحار، وقد حدّره السجن وهو يوقّع استمارة الإفراج عنها أنها قد تكون مجنونة.

والآن، بعد مرور أسبوعين، وفي فندق جريديرون، وذراعه حولها، وكفّ يده المفرودة تضغط على ظهرها، ومرفقيها في صدره، وأنفاسها تُرطّب ترقوته، اتّجهت أفكار چاسكوين مرة أخرى إلى احتمالية أنها حاولت للمرة الثانية أن تقتل نفسها. لكن أين الرصاصة التي من المفترض أن تسكن صدرها؟ هل كان لديها علم حين صوّبت الفوهة

لحلقها وداست على الزناد أن المسدس سيخفق بهذه الطريقة العجيبة؟ كيف لها أن تعرف هذا؟

كل الرجال يبغون تعاسة عاهراتهم،" أنا هي مَنْ قالت هذا في الليلة التي خرجت فيها من السجن حين تبعته لمنزله وفكّوا فستانها على منضدة مطبخه، مع صوت هطول الأمطار وفي ضوء مصباح الزيت الذي أسبل نعومة على أركان الغرفة. "كل الرجال يبغون تعاسة عاهراتهم"، وكيف ردّ؟ على الأغلب فإنه ردّ بجفاف واقتضاب. وها هي قد أطلقت الرصاص على نفسها، أو حاولت ذلك. احتضنها چاسكوين لمدة طويلة بعد أن أغلق بريتشارد الباب. أحكم عليها قبضته وملاً صدره برائحة الملح التي تفوح من شعرها. وقد أراحته الرائحة، فقد أمضى سنوات عديدة في البحر.

وقد سبق له الزواج. أجاثا چاسكوين، أو أجاثا بريدوكس كما عرفها في أول مرة. جذابة، سريعة البديهة، مشاكسة، ومريضة بالسُّل، وكان يعرف تلك الحقيقة حين طلب يدها للزواج، لكن الأمر بدا بشكل ما غير مهم، ويمكن التغلب عليه، بدا كدليل على رقّتها وليس كندير بأيام صعبة. ولم تتعاف رئتاها. وسافرا جنوباً طلباً للاستشفاء في جوٍّ أنسب، وماتت في المحيط الواسع، في بقعة قبالة الساحل الهندي، كم هو بشع أن لا يعرف أين توفيت بالضبط!. وكم كان بشعاً انحناء جسدها حين ارتطم بسطح المياه، وصوت الارتطام!. طلبت منه أن يَعدّها بأنها إن ماتت تُدفن كما يُدفن البحّارة، يخيطنون عليها سريرها المعلق بغُرَز متينة. وقد جثا وقَبَّل سريرها المعلق، الأحمر الزاهي، الذي حال لونه وأصبح بُنيّاً، وكم كان هذا رهيباً. بعدها استمر چاسكوين مُبحِراً. ولم يتوقف إلا حين نضبت نقوده.

أنا أضخم من أجاثا، وأكثر خشونة، وأشد واقعية؛ لكن ربما يبدو الأحياء واقعيين لمن يفكرون في الأموات. وحرك يده على ظهرها.

وتتبع خطوط مشدّها بأصابعه، وعرز العرواي التي يمر فيها رباط
المشد.

بعدما غادروا السجن مروا على المحكمة، حتى يتمكّن چاسكوين
من إيداع محفظة الكفالات في صندوق الأمانات، وإحالة إشعارات
الكفالات لتجهيزها للصباح. راقبته أنا يباشر هذه المهام بصبر وبلا
فضول، بدت كأنها ترى أن چاسكوين قد أسدى لها معروفًا كبيرًا،
وقبّلت أن تنصاع له في صمتٍ مقابل ما أسداه لها. وبحكم العادة
لم تمش بجانبه في الشارع، بل تبعته، تفصلهما بضعة ياردات، حتى
يتسنّى لچاسكوين ادّعاء أنه لا يعرفها إذا ما قابلا أحد القائمين على
تطبيق القانون.

حين وصلا لكوخ چاسكوين (لأنه كان يسكن بمفرده في كوخ كامل،
رغم أنه صغير، كابينة من غرفة واحدة من الألواح الخشبية، تقع
على مسافة مائة متر تقريبًا من الشاطئ)، أمر چاسكوين أنا بالانتظار
تحت سقيفة المدخل حتى يقطع بعض الخشب في باحة الكوخ. قطع
الأخشاب بسرعة وهو يحسّ بعيني أنا الداكنتين مثبتتين عليه. وجمع
الأجزاء المتشظية بين ذراعيه بسرعة قبل أن يبتلّ قلب الخشب من
المطر وأسرع إلى مدخل الكوخ حيث تنحت أنا جانبًا لتدعه يمر.

قال بحماقة: "إنه ليس قصرًا"، لكن بمقاييس هوكتيكا، كان بالفعل
قصرًا.

لم تنبس أنا بكلمة وهي تعبر باب المدخل إلى ضباب الكوخ
المعتم، وضع چاسكوين الخشب في المدفأة وعاد ليغلق الباب. أشعل
مصباح الزيت، ووضعه على المنضدة، وانحنى ليشعل النار وهو واعي
تمامًا بإعجاب أنا الصامت بالغرفة. أثّنت الغرفة بالقليل من الأثاث.
أفخم قطعة أثاث يملكها هي كرسيّ بذراعين وظهر مائل، مُنجد
بقماش سميك مُخطّط بالأصفر والوردي، اشتراه كهديّة لنفسه حين

سكن الكوخ، وقد احتلَّ موقع الصدارة في منتصف الغرفة. وتساءل چاسكوين عن الافتراضات التي تكونها عنه، وعن الكوكبة التي تبدو في سماء حياته الشحيحة النجوم. بالمرتبة الضيقة التي طويت بطانيته فوقها ثلاث مرات. والصورة الصغيرة لأجاثا المثبتة بمسمار فوق رأس السرير. ووصف القواقع البحرية على حافة النافذة. والغلاية الصفيح فوق الموقد؛ وإنجيله الذي لا زالت صفحاته ملتحمة لم يفتح منها إلا المزامير والرسائل؛ وعلبة البسكويت الصفيح المزينة بالمربعات، التي يحتفظ فيها بخطابات أمه، وأوراقه، وأقلامه. وصندوق الشموع المكسورة بجانب سريره التي لا تزال متماسكة بفضل فتيلها.

كل ما قالته هو: "بيتك نظيف".

"أنا أعيش بمفردي". وأشار چاسكوين بقطعة خشب إلى الصندوق الموجود أسفل السرير. "افتحي هذا".

فكت أحزمة الصندوق، ورفعت الغطاء، وفتحت الصندوق. أرشدها إلى قطعة من الكتان الغامق، فرفعتها فانزلق منها فستان أجاثا واستقرَّ على ركبتيها، الفستان الأسود ذو الياقة الدانتيل، الذي كرهه كثيرًا.

(قالت مبتهجة: "سيظنُّ الناس أنني زاهدة، لكن الأسود لون رزين"، على المرأة أن تمتلك فستانًا رزينًا). كان الغرض هو إخفاء بقع الدم، ذلك الرذاذ الدقيق على أساوره، كان يعلم هذا لكنه لم يقله. ووافقها على ضرورة امتلاك فستان رزين).

قال چاسكوين وهو يراقبها تملَّس على القماش فوق ركبتيها: "ارتديه". أجاثا كانت أقصر منها. لا بُدَّ من فكِّ ثنية طرف الفستان. حتى وإن فكَّتها سيُظهر الفستان ثلاث بوصات من كاحل العاهرة، وقد يُظهر آخر حلقات تنورتها التحتية. سيبدو الفستان بشعًا عليها،

ولكنَّ الشحاذين لا ينتقون، وأنا الليلة شحاذة. والتفت للمدفأة يجرف الرماد.

كان هذا هو الفستان الوحيد الباقي مع چاسكوين من فساتين أجاثا. فقد ضاعت بقيتهم، كانوا في صندوق من خشب الأرز تفوح منه رائحة الكافور، وضاع الصندوق حين جنحت سفينته البخارية، وسُرقت محتويات مقدمة السفينة ثم امتلأت بالماء، وانقلبت السفينة أخيراً على جانبها وغمرتها الأمواج. سعد چاسكوين بخسارة الصندوق. لم يرغب في الاحتفاظ بأي شيء غير الصورة الصغيرة لأجاثا. فهو يحمل لذكرها كل الاحترام، لكنه لا يزال شاباً بدم حار، وينوي أن يبدأ من جديد.

حين انتهت آنا من تغيير ملابسها كانت النار قد اشتعلت. رمق چاسكوين الفستان بنظرة جانبية. بدا بشعاً عليها، تماماً كما كان يبدو على زوجته الراحلة. ولمحت آنا نظرتة.

آنا: "الآن سأتمكّن من الدخول في فترة حداد. لم يكن لديّ قبل الآن فستان أسود".

لم يسألها چاسكوين عمّن توفي، ولا متى حدثت الوفاة. ملأ الغلابة ووضعها على الموقد.

يفضّل أوبرت چاسكوين أن يبدأ المحادثة عن أن يتماشى مع موضوع وإيقاع شخص آخر؛ ويرتاح للصمت في صحبة الآخرين حتى يشعر بما يدفعه للحديث. آنا ويذريل بحسّ العاهرة بداخلها رأت هذا الجانب من شخصيته؛ فلم تدفعه للحديث، ولم تراقبه ولا تبعته وهو ينجز مهام الأمسية المعتادة: إشعال الشموع، وتعبئة علبة سجائره، استبدال حذائه المغطى بالطين بحذاء منزلي. أخذت الفستان المبطّن بالذهب وفردته على منضدة چاسكوين. كان الرداء ثقيلًا. قدرت آنا وزن الذهب بحوالي خمسة أرطال فوق وزن القماش،

وحاولت حساب القيمة. تشتري المملكة الذهب الصافي بسعر حوالي ثلاثة جنيهات للأوقية، يحتوي الرطل على ست عشرة أوقية، في خمسة أرطال، كم سيكون الإجمالي؟ حاولت حساب المجموع، لكن الأرقام طفت في رأسها.

خلال الوقت الذي قضاه جاسكوين يجهز النار للأمسية ويضع أوراق الشاي في المصفاة استعداداً لنقعها، فحست أنا فستانها. أياً كان مَنْ أخفى الذهب فهو يملك خبرة في العمل بالخيط والإبرة، إمّا امرأة أو بحار. فالخياطة متقنة. والذهب مرصوص فوق دعامات المشدّ وتحتها، مخيَّط في الطيات والثنيات، وموزَّع بالتساوي في ثنية طرف الفستان السفلية، لم تنتبه لوزن الفستان الزائد، لأنها معتادة على حمل كرات الرصاص في أطراف تنورتها التحتية لمنع ملابسها من الارتفاع عند هبوب الرياح.

أتى جاسكوين من خلفها. وأخرج سكينه المنحني الطرف ليقطع المشد، لكنه شرع يمزّقه كجزّار، فصرخت أنا في التبايع.

"أرجوك. أنت لا تعرف الطريقة، من فضلك دعني أقوم بالأمر".

تردّد، ثم ناولها السكين، وتراجع ليراقبها. عملت ببطء في محاولة للحفاظ على هيئة الفستان: فكّنت أولاً الطرف السفلي للفستان، ثم اتّجهت لفوق، عبر كل الطيات والثنيات، تقطع الخيوط بطرف السكين وتُخرج الذهب من بين الغُرَز. حين وصلت للمشد قطعت فتحة صغيرة تحت كل دعامة، ثم أدخلت أصابعها لتُخرج الذهب المحشو في عواميد بين الدعامات. تلك الكتل الناتئة هي التي ذكّرت جاسكوين بقمصان السلاسل الحديدية، في السجن.

لمع الذهب المستخرج من بين الطيات في بهاء. جمعته أنا في منتصف الطاولة. وحرصت ألا يتطاير في الهواء. وكل مرة تضيف للكومة قبضة من ذرات الذهب، أو قطعة ذهبية، كانت يداها

تقتربان من الكومة، وتميل أصابعها ناحيتها، كأنها تتدفأ على البريق.
راقبها چاسكوين، مقطَّبًا.

وأخيرًا انتهت، وأصبح الفستان فارغًا.

التقطت أنا قطعة من الذهب في حجم أكبر عقلة في إبهام
چاسكوين. "تفضّل"، ودفعتها باتجاهه على الطاولة. "جنيه وشلن، أنا
لم أنس".

چاسكوين: "أنا لن ألمس هذا الذهب".

أضفت محمّرة الوجه. "بالإضافة لقيمة فستان الحداد، فأنا لست
بحاجة للصدقة".

"ربما تحتاجينها". وجلس على طرف السرير ومدّ يده يتناول
سجائره من جيب صديريته. فتح العلبة الفضية، وانتزع منها
سيجارة، وأشعلها بعناية؛ وبعد اشتعالها شدّ منها عدة أنفاس عميقة
ثم التفت إليها.

"مَن هو رب عملك يا آنسة ويذريل؟".

"أتعني الذي يدير الفتيات؟ مانرينج".

"لا أعرفه".

"ستعرفه إن رأيته. إنه سمين جدًا. ويمتلك برنس أوف ويلز".

شدّ چاسكوين نفسًا من سيجارته. "لقد رأيت رجلًا سمينًا. هل
هو رب عمل عادل؟".

آنا: "إنه عصبي. لكن معظم شروط العمل معه عادلة".

"هل يعطيك الأفيون؟".

"لا".

"هل يعلم أنك تتعاطينه؟".

"نعم".

"مَنْ يبيعك إياه؟".

"أه سووك".

"مَنْ هذا؟".

"إنه صيني. منعزل. لديه وكر للأفيون في كانيير".

"صيني منعزل؟ ما معنى هذا؟".

آنا: "حسب المصطلحات المحلية فالمنعزل هو مَنْ يَنْقُب بمفرده".

أوقف چاسكوين تحقيقه ليدخن.

"المنعزل هذا يدير وكرًا للأفيون في كانيير؟".

"نعم".

"وَأَنْتِ تذهبين إليه".

ضاقت عيناها. "نعم".

وتحدّث كأنه يتّهمها. "بمفردك؟".

حدّقت فيه. "معظم الوقت، وأحيانًا أشتري قطعة لأدخنها في المنزل".

"من أين يأتي به؟ من الصين، على ما أظن".

هزّت رأسها. "چو بریتشارد يبيعه له. إنه كيميائي، لديه متجر أدوية في شارع كولينج وود".

أوماً چاسكوين. "أعرف السيد بريتشارد. إذن، أتساءل لِمَ تُتعبين نفسك مع الصينيين إذا كان بإمكانك شراؤه من السيد بريتشارد مباشرة؟".

رفعت آنا ذقنها قليلاً، أو ربما ارتعشت؛ لم يستطع چاسكوين أن يُحدّد: "لا أدري".

"لا تدرين".

"لا".

"أعتقد أنه كثير عليك أن تقطعي المسافة من هنا لكانير على قدميك فقط لكي تدخني".

"أعتقد ذلك".

"ومتجر السيد بريتشارد على بُعد عشر دقائق على الأقدام من فندق جريديرون. وأقل من ذلك إذا أسرعت الخطى".

هزّت كتفها.

"لِمَ تذهبين إلى الحي الصيني في كانير يا آنسة ويذريل؟".

تحدث چاسكوين بشكل لاذع؛ أحسّ أنه يعرف الجواب المحتمل لسؤاله، وأراد أن يسمعها تنطقه.

تجمّد وجهها. "ربما يعجبني المكان هناك".

"آه، ربما يعجبك المكان هناك".

(بحق السماء! ما الذي حلّ به؟ ماذا يعنيه إن مارست تجارتها مع الصينيين أم لا؟ ماذا يعنيه إن ذهبت إلى كانير بمفردها أو مع مرافق؟ إنها عاهرة! وقد قابلها لأول مرة في نفس هذا المساء! شعر چاسكوين بموجة من الارتباك، ثم أعقبتها طعنة من الغضب. فلجأ إلى سيجارته).

قال، بعدما أطلق الدخان من صدره: "مانرينج. الرجل السمين. هل يمكنك تركه؟".

"بمجرد أن أسدّد ديني".

"بكم تدينين له؟".

"مائة جنيه، أو ربما أكثر قليلاً".

رقد الرداء الفارغ بينهما، كجثة مسلوخة. نظر چاسكوين لكومة الذهب الالامعة، وأنا تبعت عينيه إلى الكومة.

نظر چاسكوين للذهب. "سَتَمَثِّلِينَ أَمَامَ المحكمة، بالطبع".

"كنت تحت تأثير المخدر في مكان عام. سيغرمونني، هذا كل ما في الأمر".

چاسكوين: "سَتَمَثِّلِينَ أَمَامَ المحكمة بتهمة محاولة الانتحار. لقد أَكَّدَ السَّجَّانُ هذا".

حدّقت فيه. "محاولة الانتحار؟".

"ألم تحاولي قتل نفسك؟".

قفزت واقفة. "لا! مَنْ قال هذا؟".

چاسكوين: "شاويش الدورية الذي جاء بك الليلة الماضية".

"هذا سخف".

چاسكوين: "للأسف تمّ تسجيل الأمر. سيتحتّم عليك الرد على هذا الاتهام بشكل أو بآخر".

صمتت أنا لبرهة ثم انفجرت. "كل الرجال يبغون تعاسة عاهراتهم... كل الرجال".

نفخ چاسكوين خيطاً رفيعاً من الدخان. "معظم العاهرات تعيسات. سامحيني، أنا فقط أذكر الأمر الواقع".

"كيف يتهمونني بمحاولة الانتحار بدون أن يسألوني إذا ما...؟ كيف يمكن؟ أين...؟".

"... الدليل؟".

تفحصها چاسكوين بشفقة. ظهرت على وجه أنا وجسدها بوضوح آثار اشتباكها الحديث مع الموت. بدت شمعيةً، وشعرها ناعل ومزيّت. وأصابعها تجذب أكمام فستانها؛ وبينما تتفحصها نظرات الموظف، انتابتها رعشة سرت في جسدها كموجة من الألم. يرى السجن أنك مجنونة".

"أنا لم أتحدث بكلمة واحدة مع المدير شيبرد طوال الشهور التي قضيتها في هوكتيكا، نحن لا نعرف بعضنا بالمرّة".

"لقد ذكر أنك فقدت طفلاً منذ وقت قريب".

بصوت يملؤه الاشمئزاز، قالت أنا: "فقدت؟ ما أنظفها من كلمة!".

"أهناك كلمة أخرى تصف ما حدث؟".

"نعم".

"هل حُرمت من طفلك؟".

ظهرت نظرة قاسية على وجه أنا. "تمّ ركله حتى خرج من رحمي. والده هو مَنْ فعل ذلك! أظن أن المدير شيبرد لم يخبرك بهذا".

صمت چاسكوين، لم يكن قد أنهى سيجارته، لكنه رماها وهرس جذوتها بكعب حذائه، وأشعل غيرها. جلست أنا مرة أخرى. ووضعت

يذاها على قماش الفستان المفرد على الطاولة. وبدأت تخبطه، نظر
چاسكوين إلى عوارض السقف الخشبية، ونظرت أنا إلى الذهب.

ليس من طبيعتها أن تنفجر بهذه الطريقة. أنا بطبيعتها حَذِرَةٌ
وَمُتَّقِبَةٌ وليست انفعالية، ونادرًا ما تتحدث عن نفسها. ورغم أنه قد
يبدو كتناقض غير معقول، لكن مهنتها تتطلب أشد أنواع الاحتشام
تشددًا. فهي مطالبة بأن تتصرف بلطف وبتعاطف حتى وإن لم تجد
سببًا للتعاطف، ولا داعيًا للُّطف. الرجال الذين تبيع لهم تجارتها نادرًا
ما ساورهم الفضول بشأنها. وإذا ما حدث وتحدثوا، كانوا يتحدثون
عن نساء أخريات، عن الحبيبات المفقودات، عن الزوجات المهجورات،
عن أمهاتهم، عن شقيقاتهم، عن بناتهم، عن اليتيمات المسؤولات
منهم. كانوا يبحثون عنهن حين ينظرون لآنا، وكانوا أيضًا يبحثون عن
أنفسهم، كانت انعكاسًا لظلمتهم، وقبسا من نورهم. وكانت تعرف
أن يؤسها يطمئنهم للغاية.

مدّت أنا إصبعها تخبط إحدى قطع الذهب في الكومة. هي تعلم
أنها لا بُدَّ أن تشكر چاسكوين بالطريقة المعتادة، لأنه دفع كفالتها.
فقد خاطر بالكذب على السجان ليحافظ على سرّها، ودعاها للقدوم
إلى منزله. أحسّت أن چاسكوين ينتظر شيئًا؛ فهو يتململ بطريقة
غريبة، وأسئلته مبتورة ووقحة -وهي علامة تثبت تشبُّهه بسبب أمله
في مكافأة ما- وحين تتحدث يحدّق فيها ثم يشيح بنظره بسرعة،
وكأنها ضايقته إجاباتها للغاية. التقطت أنا قطعة الذهب وأدارتها في
راحتها. كانت سطحها محببًا ومخرمًا، كأنها المعدن مسبوك بشكل
جزئي في مسبك ذهب.

"يبدو لي أن أحدهم انتظرك ليلة أمس حتى انتهيت من تدخين
غليونك، وفقدت الوعي، ثم خاط هذا الذهب في فستانك".

قَطَّبَتْ أَنَا، لَيْسَ فِي وَجْهِ چَاسْكَوِين، لَكِنْ فِي وَجْهِ قِطْعَةِ الذَّهَبِ
الَّتِي فِي يَدِهَا. "لِمَاذَا؟".

رَدَّ الرَّجُلُ الْفَرَنْسِي. "لَيْسَتْ لَدَيَّ فِكْرَةٌ. مَنْ كَانَ مَعَكَ لَيْلَةَ أَمْسٍ يَا
آنِسَةُ وَيَذْرِيلُ؟ وَمَا الْمُبْلَغُ الَّذِي كَانَ مُسْتَعِدًّا أَنْ يَدْفَعَهُ لَكَ؟".

تَجَاهَلَتِ أَنَا السُّؤَالَ. "اسْمَعْنِي، أَتَقُولُ إِنْ أَحَدُهُمْ نَزَعَ عَنِّي هَذَا
الْفَسْتَانَ، وَخَاطَ فِيهِ هَذَا الذَّهَبُ بِمُنْتَهَى الْإِتْقَانِ، ثُمَّ أَلْبَسَنِي إِيَاهُ
مَرَّةً أُخْرَى -مِلْيًّا بِالذَّهَبِ- ثُمَّ تَرَكْنِي فِي مَنْتَصَفِ الطَّرِيقِ؟".

وَأَفْقَهَا چَاسْكَوِين. "الْأَمْرُ بَعِيدُ الْإِحْتِمَالِ بِالْفِعْلِ". ثُمَّ غَيَّرَ مَسَارَ
الْحَدِيثِ. "حَسَنًا، أَخْبَرْنِي إِذَنْ، مِنْذُ مَتَى وَأَنْتِ تَمْلِكِينَ هَذَا الرِّدَاءَ؟".
"مِنْذُ الرَّبِيعِ. إِنَّهُ رِداءٌ مُنْتَشَلٌ مِنَ السَّفْنِ الْغَارِقَةِ، اشْتَرَيْتَهُ مِنْ
تَاجِرٍ فِي شَارِعِ تَانْكَرِيدَ".

"كَمْ فَسْتَانًا تَمْلِكِينَ بِجَانِبِ هَذَا؟".

"خَمْسَةٌ، لَا؛ أَرْبَعَةٌ. لَكِنْ الْآخَرَى لَيْسَتْ لِلْعُھْرِ. هَذَا هُوَ الْفَسْتَانُ
الَّذِي أُرْتَدِيهِ حِينَ أَعْمَلُ، بِسَبَبِ لَوْنِهِ. كَانَ لَدَيَّ فَسْتَانٌ آخَرٌ لِلْوِلَادَةِ
لَكِنَّهُ تَمَرَّقَ، حِينَ، حِينَ تَوَفَّى الطِّفْلَ".

سَادَ السَّكُونُ لِلْحِظَّةِ بَيْنَهُمْ.

چَاسْكَوِين: "هَلْ خِيطُ الذَّهَبِ كُلُّهُ مَرَّةً وَاحِدَةً؟ أَمْ عَلَى مَرَاتٍ؟
أَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ لِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ".

لَمْ تَرُدُّ أَنَا. بَعْدَ لَحْظَةٍ رَفَعَ چَاسْكَوِين رَأْسَهُ، وَتَلَاقَتْ نِظَرَاتُهُمَا.
سَأَلَهَا مَرَّةً أُخْرَى. "مَنْ كَانَ مَعَكَ لَيْلَةَ أَمْسٍ يَا آنِسَةُ وَيَذْرِيلُ؟".
هَذِهِ الْمَرَّةَ لَمْ تَسْتَطِعْ أَنَا تَجَاهُلَ السُّؤَالَ. قَالَتْ بِهَدْوٍ: "كَنتُ مَعَ
رَجُلٍ يَدْعَى سَتِينَزَ".

"أَنَا لَا أَعْرِفُهُ. هَلْ كَانَ مَعَكَ فِي وَكْرِ الْأَفْيُونِ؟".

بدت أنا مصدومة: "لا! لم أكن في الوكر. كنت في بيته. في سريرهِ.
غادرت ليلاً لأدخُن. هذا آخر ما أتذكره".
"غادرت منزله؟".

"نعم، وعُدْتُ إلى الجريديرون، حيث أقيم. كانت الليلة غريبة،
وكنْتُ أحسُّ بإحساس غريب. أردت أن أدخُن. أتذكر أنني أشعلت
الغليون، بعدها وجدت نفسي في السجن، والوقت نهاراً".

وارتعشت، وفجأة لَفَّت ذراعيها حول جسدها وتشبَّثت به. أحسُّ
چاسكوين في حديثها بإجهد مبتهَج، كالذي يأتي حين نحسُّ بالحب
لأول مرة، حين تتوه الروح عن مرساها، وتستسلم للمدِّ المخيف، وهي
تكاد تغرق. لكن الإدمان ليس حبًّا، ولا يمكن أن يكون حبًّا. وكيف
لتلك الظلال البنفسجية تحت عينيها، ولأطرافها الهزيلة، وللشروذ
الحالم الذي تتحدث به، أن يوحى بأي رومانسية؛ وبالرغم من هذا،
فقد أدهشه انعكاس نشوة الحب بهذا الصدق على حطام الأفيون.
قال لها: "فهمتُ. هل تركتِ الرجل نائمًا؟".

"نعم. كان نائمًا حين غادرت، نعم".

وأشار إلى الخرق البرتقالية المفرودة بينهما. "وكنت تلبسين هذا
الفستان".

"إنه فستان العمل. أنا ألبسه دومًا".

"دومًا؟".

"حين أعمل".

لم يرد چاسكوين، ضيق عينيه قليلًا وضمَّ شفَّتيه معًا، إشارة
لسؤال يدور في باله ولا يعرف كيف يسأله بأدب. تنهَّدت أنا. وقرَّرت
أنها لن تُظهر له امتنانها بالطريقة المعتادة؛ ستردُّ له مبلغ الكفالة
نقدًا، وفي الصباح.

"انظر، الأمر كما قلته لك. خلدنا للنوم، ثم استيقظتُ، وأردت أن أدخن، فتركت منزله، وذهبت لمنزلي، أشعلت غليوني، وهذا آخر ما أتذكره".

"هل لاحظتِ أي شيء غريب في غرفتك حين عُدتِ؟ أي أثر يدلُّ على أن أحدهم كان في غرفتك مثلاً".

أنا: "لا، كان الباب مغلقاً، كالعادة. فتحته بمفتاحي، ودخلت، وأغلقته ورائي، وجلست، وأشعلت غليوني، وهذا آخر ما أتذكره".

أرهقها إيجاز وسرد ما حدث... وسيزيد إرهاقها كثيراً في الأيام التالية، حينما يتسرَّب خبر اختفاء إيميري ستينز في الليل، دون أن يراه أحد. وسيتم استجواب أنا بخصوص هذا الموضوع، وإعادة استجوابها، وإهانته، وتكذيبها؛ وسوف تعيد سرد حكايتها مرات ومرات حتى تبدأ تحس بغرابة القصة، وتشك في نفسها.

چاسكوين لا يعرف ستينز، لأنه وصل هوكتيكا مؤخراً، لكنه الآن وهو يراقب أنا، أصبح شديد الفضول تجاه الرجل.

"هل يرغب السيد ستينز في إيدائك؟".

ردَّت على الفور. "لا".

"هل تثقين به؟".

ردَّت بهدوء: "نعم، أثق به لدرجة...".

لكنها لم تكمل المقارنة.

مرَّت لحظة، ثم سألتها: "هل يحبك؟".

احمرَّ وجه أنا. "إنه أغنى رجل في هوكتيكا. لو لم تسمع عنه من قبل، فستسمع قريباً. إيميري ستينز. إنه يملك معظم المدينة".

مكتبة

t.me/soramnqraa

اتجه چاسكوين بنظره إلى كومة الذهب اللامعة على الطاولة، بتركيز هذه المرة: هذه الكومة، بالنسبة لأغنى رجل في هوكتيكا، كومة صغيرة. وكرّر سؤاله: "هل يحبك؟ أم هو مجرد زبون؟".

صمتت أنا، ثم قالت، بصوت أضعف. "زبون".

أطرق چاسكوين برأسه في احترام، كأن أنا أبلغته ب وفاة الرجل.

أكملت بسرعة. "إنه مستكشف. وهذا مصدر ثروته. إنه من نيو ساوث ويلز، مثلي. وصلنا عبر بحر تسمان على نفس السفينة، اسمها: فورشنيت ويند".

چاسكوين. "فهمت، حسنًا، ربما يكون هذا الذهب ذهبه، بما أنه غني".

فزعت أنا. "لا. لن يفعل مثل هذا".

"لن يفعل ماذا؟ لن يكذب عليك؟".

"لن يفعل...".

"لن يستخدمك كدابة لحمل المتاع، لتهريب هذا الذهب بدون علمك؟".

"تهريبه إلى أين؟ أنا لن أغادر، أنا لست ذاهبةً إلى أي مكان".

صمت چاسكوين ليشدّ نفّسًا من سيجارته. ثم قال: "لقد تركت سريريه ليلاً، ألم تفعلي هذا؟".

"نويتُ أن أعود، وأنام حتى يزول أثر المخدر".

"غادرتِ بدون أن تخبريه، على ما أظن".

"لكنني نويت العودة".

"وبالرغم من حقيقة أنه -ربما- اتفق على أن تطلي حتى الصباح".

"أقول لك إنني نويت الخروج لمدة بسيطة".

چاسكوين: "لكنك فقدت الوعي".

"ربما أغمى عليّ".

"أنت لا تصدقني هذا".

عَضَّتْ أنا شفتها. ثم صاحت. "أوه، الأمر غير منطقي! الذهاب غير منطقي؛ والأفيون غير منطقي. لِمَ انتهى بي الأمر هناك؟ في الخارج، في البرد، وبمفردي، وفي منتصف المسافة إلى الأراهورا!".

"بالطبع، فإن معظم ما يحدث حين تكونين تحت تأثير الأفيون غير منطقي".

آنا. "نعم، نعم، حسنًا".

"لكنني سأخذ برأيك في هذه النقطة، فأنا لم ألمس هذا المخدر بالمرة".

بدأت الغلّاية تصفر. حشر چاسكوين سيجارته في جانب فمه، ولفَّ يده بخرقه قماش وأنزل الغلّاية من فوق الموقد. وصبَّ الماء المغلي على أوراق الشاي قائلًا. "ماذا عن صديقك الصيني؟ لقد تعامل مع هذا الأفيون، أليس كذلك؟".

دعكت أنا وجهها من التعب بشكل أخرق، كرضيع مُتَعَب يدعك وجهه. "لم أرَ أه سووك مساء أمس. أخبرتك أنني دخّنت غليونًا في منزلي". وضع چاسكوين الغلّاية على رفِّ فوق الموقد. "غليون مليء بأفيونه!".

"نعم... أعتقد هذا. لكنك يمكن أن تسمّيه أيضًا أفيون چوزيف بريتشارد".

جلس چاسكوين. "لا بُدَّ أن السيد ستينز قد تساءل عما حلَّ بك حين اكتشف أنك تركت سريرَه ليلاً بهذا الشكل المفاجئ، ولم تعودى. رغم أنى ألاحظ أنه لم يأتِ اليوم ليدفع كفالتك، لا هو ولا رب عملك". تحدث بصوتٍ مرتفع بقصد إفاقة آنا من إجهادها؛ وحين أعدَّ الفناجين، وضع فنجان آنا مُحدثاً ضجّةً، ودفعه عبر المنضدة محتكاً بسطحها.

آنا: "هذا شأنى الخاص. سأذهب وأقدم اعتذارى بمجرد أن..."

أنهى چاسكوين جملتها. "بمجرد أن نتفق على ما سنفعله بهذه الكومة. نعم، عليك أن تقومى بهذا".

ومرة أخرى تغَيَّر مزاج چاسكوين: فجأة، أحسَّ بمنتهى السخط. فهو حتى الآن لا يرى تفسيراً واضحاً لسبب امتلاء فستان آنا بالذهب، ولا للكيفية التي انتهت بها فاقدةً للوعي، ولا إن كان الحدثان مرتبطَيْن بأي شكل. ملأته حيرته بالسخط، ولكي يلطّف مزاجه السيئ أصبح متهكِّماً، حيث يمنحه هذا السلوك مظهر السيطرة.

تحركت آنا تلمس كومة الذهب مرة أخرى. "كم تساوى؟ أعنى بالتقريب. أنا لا أستطيع تقدير مثل هذه الأمور".

هرس چاسكوين عقب سيجارته في طبق فنجانه. "أعتقد أن السؤال الذي يجب أن تسأليه يا عزيزتى ليس كم؛ إنه مَنْ، ولماذا. ذهب مَنْ هذا؟ ومن أى المناجم أتى؟ وإلى أين كان ذاهباً؟".

Φ

اتَّفقا في تلك الليلة أن يخفيا كومة الذهب. واتفقا على أنه إذا ما سأل أحدهم آنا عن سبب استبدالها فستانها المعتاد بهذا الفستان

الجديد القاتم، ستقول، بصدق تام، إنها توذُّ ارتداء الأسود حدادًا متأخرًا على موت جنينها، وأنها حصلت على الفستان من صندوق رَمَتِه الأمواج على لسان هوكتيكا الرملي. وكل هذا حقيقي. وإن طلب أحدهم أن يرى الفستان القديم، أو سأل عن مكان وجوده، ستخبر أنا چاسكوين على الفور، لأن هذا الشخص بلا شك على علم بالذهب المخبأ في ثنياته؛ وبالتالي يعلم مصدر الذهب، وربما أيضًا يعلم بوجهته المقصودة، أينما كانت.

بعد الاتفاق على هذه الاستراتيجية، أفرغ چاسكوين علبة البسكويت الصفيح المزينة بالمرَبَّعات، وتعاونًا على نقل الذهب بداخلها، ثم لفَّها ببطانية ووضع اللفة بأكملها في كيس دقيق أغلقه بالخيط. وطلب چاسكوين تخزينه في منزله، تحت سريره، حتى يحصل على المزيد من المعلومات. تردَّدت أنا في البداية، لكنه أقنعها أن الكومة ستكون في أمان معه؛ فهو لا يستقبل ضيوفًا، والكابينة مغلقة نهائيًا، وليس هناك سبب يدعو أي شخص أن يعتقد أنه يخفي كومة من الذهب، فهو على كل حال جديد في المدينة، وليس لديه لا أعداء، ولا أصدقاء.

مرَّ الأسبوعان التاليان في ملح البصر. عادت أنا إلى منزل ستينز واكتشفت أنه اختفى تمامًا؛ بعدها بأيام سمعت عن وفاة كروسبي ويلز، واكتشفت أن الوفاة حدثت في الساعات التي فقَّدت فيها الوعي. بعدها بقليل سمعت باكتشاف ثروة هائلة غير معلومة المصدر مُخبَّأة في أملاك كروسبي ويلز، والتي اشتراها إدجار كلينش مدير فندق جريديرون، الذي يملكه إيميري ستينز والمقر الحالي لآنا نفسها.

لم يتحدث چاسكوين مع أنا مباشرة عن هذه الأحداث، لأنها رفضت أن تُجَرَّ إلى موضوع إيميري ستينز، وليس لديها ما تقوله بشأن كروسبي ويلز عدا أنها لم تعرفه بالمرة. أحسَّ چاسكوين أنها حزينة

على اختفاء ستينز، لكنه لم يستطع تخمين إن كانت تعتقد أنه حي أم مات. ومراعاةً لمشاعرها تجنَّب چاسكوين الحديث عن الأمر كله، وإن تحدَّثًا، اختاراً مواضيع أخرى للحديث. ومن نافذتها المرتفعة في الطابق العلوي من فندق جريديرون، راقبت أنا المنقَّبين غادين رائحين مكافحين في شارع ريفل عبر المطر. ظلت في غرفتها وارتدت فستان أجاثا چاسكوين الأسود كل يوم. لم يستفسر أحدٌ عن سبب تغيير أنا لفستانها؛ ولم يَقم أحدُهم بأي شيء يدلُّ على أنه يعلم بالذهب المخفي في مشدِّها، الذي يقبع الآن في أمان تحت سرير چاسكوين. لسببٍ ما أبدى المسؤول عن هذا الأمر تردُّدًا في الإعلان عن نفسه.

في اليوم التالي لدفن كروسبي ويلز مثلت أنا أمام محكمة الجنج بتهمة محاولة الانتحار، كما توقَّع چاسكوين. لم تدافع عن نفسها، وفي النهاية الأمر تمَّ تغريمها خمسة جنيهاً لشروعها في ارتكاب جريمة، ثم وبَّخها الجميع؛ لإضاعته لوقت القاضي.

Φ

مرَّ كل هذا في عقل چاسكوين وهو واقفٌ في فندق جريديرون وأنا ويزريل متشبَّثة بصدرة، متبَّعًا عراوي مشدِّها على طول ظهرها. لقد ضمَّ أجاثا بهذه الطريقة، بنفس هذه الطريقة، بيدٍ مفرودة تحت عظمة كتفها والأخرى تحضن مفصل كتفها الأخرى، وساعدا أجاثا على صدره، دائماً ترفع ذراعاها لتحمي نفسها حين يضمها. كم هو غريب أنه يتذكَّرها الآن. قد يعرف الرجل ألف امرأة، قد يصطحب لسريره فتاة جديدة كل ليلة لسنوات وسنوات، لكن إن أجلاً أو عاجلاً فإن المحبِّين الجدد سيتذكرون الماضي، وسيجد المرء

نفسه مُجبرًا على الشرود في متاهة عقلية من المقارنات اللا نهائية، محبط للأبد، وللأبد يحن للماضي.

ظلت أنا ترتجف من صدمة الرصاصة الطائشة. صبر عليها جاسكوين حتى انتظم تنفُّسها، بعد حوالي ثلاث أو أربع دقائق من خفوت وقع أقدام بريتشارد هابطاً السلم، وأخيراً بعد أن أحسَّ بجسدها وقد استعاد بعض قوته، تمتم: "ماذا دهاك بحق السماء؟".

هزَّت أنا رأسها وظلت تدفن نفسها فيه.

"أهي رصاصة فارغة؟ طلقة فارغة؟".

هزَّت رأسها مرة أخرى.

"ربما اتَّفقتما أنت والكيميائي على أمرٍ ما".

وأثارها هذا، فدفعت نفسها بعيداً عنه بباطن كَفَّيها، وقالت بصوت مليء بالاشمئزاز، "مع بريتشارد؟".

سعد جاسكوين برؤيتها تنير، حتى ولو بالغضب. وقال: "حسنًا، ما الذي أراده منك؟".

كادت أنا أن تخبره بالحقيقة، لكنها أحست بعار مفاجئ. كان جاسكوين عطوفًا جدًّا عليها، خلال الأسبوعين الماضيين، ولن تتحمل أن تخبره كيف اختفى الأفيون. بالأمس فقط عبَّر لها عن سعادته بانتهاء عبوديتها للغليون: وأبدي إندهاشه من قوتها، وأطرى صفاء عينيها، وأعلن لها عن اعتزازه بها. لم يطاوعها قلبها أن تصحَّح ظنونه وقتها، ولا يطاوعها قلبها الآن.

أشاحت بنظرها قائلة: "إنه جو بريتشارد، كان يحسُّ بالوحدة، هذا كل ما في الأمر".

أخرج چاسكوين علبة سجائره واكتشف أنه يرتعش هو الآخر.
"هل بقي لديك بعض البراندي؟ أودُّ أن أجلس قليلاً، إذا لم يكن لديك
مانع. أحتاج إلى استجماع نفسي".

ووضع المسدس التافه بحرص على حامل الرفوف الصغيرة بجانب
سرير آنا.

"ما أكثر ما يحدث لك. ولا يمكنك تفسيره. ولا يمكن لأحد تفسيره.
لست متأكداً...".

توقَّف عن الحديث. وذهبت آنا للخزانة لتجلب البراندي، وجلس
چاسكوين على السرير ليشعل سيجارته، وللحظة واحدة ثبت
الاثنان وقد ضمَّتْهُما لوحة من النوع الذي يُرسم على الأطباق ويباع
في المعارض باعتباره يحمل طابع تاريخي: هو برسغيه على ركبتيه
ورأسه منكس، وسيجارته معلّقة بين عقلات أصابعه، وهي بيدها
على خصرها وترتكز بثقل جسدها على قدم واحدة، تصبُّ له كأساً.
لكنهما لم يكونا حبيبين، والغرفة التي تضمهما ليست غرفتهما.
شدَّ چاسكوين نفْساً آخر عميقاً من سيجارته، وأغلق عينيه.

قالت آنا بغرض إبهاجه: "أنا في أشد الشوق لمفاجأتي يا سيد
چاسكوين".

لم تكن تكذب على چو بريتشارد حين أخبرته أن لديها ميعاداً مع
سيدة ليتفرّجن سوياً على القبعات. فقد رتَّب لها چاسكوين استشارة
خاصة مع سيدة أنيقة؛ ومن الواضح أنه دفع مقابلها من ماله
الخاص، وأصرَّ على إبقاء تفاصيل الاتفاق وهوية السيدة مفاجأة. لم
يجهز أحد مفاجأة لآنا من قبل، وقد ملأها هذا بمزيج من السعادة
والتعاسة؛ شكرت الرجل الفرنسي بشدة على اهتمامه بها.

لم يردّ چاسكوين، حاولت أنا أن تضغط أكثر. "هل السيدة منتظرة في الطابق الأسفل؟".

أخيراً خرج چاسكوين من أحلام يقظته. وتنهّد وقال: "لا، سأخذك إليها. إنها في الصالون الخاص في الواي فيرر، لكن بإمكانها انتظارنا لعشر دقائق؛ فقد انتظرتنا عشر دقائق بالفعل". ومراً بيده على وجهه. "قبعاتك يمكنها الانتظار".

"ما الذي لست متأكداً منه؟".

"ماذا؟".

"لقد قلت الآن 'لست متأكداً'، لكنك لم تكمل الجملة".

أصبح حديثهما بسيطاً غير متكلف، خلال الأسبوعين الماضيين، كما يحدث كثيراً بين مَنْ يتشاركون المصائب، رغم أن أنا لا تزال تناديه بالسيد چاسكوين، وأبداً لا تناديه: أوبرت. لم يضغط چاسكوين عليها لتناديه باسم أقل رسمية، فهو يحب مظاهر الاحترام، ويظريه أن يسمع اسم عائلته منطوقاً.

قال چاسكوين أخيراً: "لست متأكداً كيف أفسر ما حدث". وتناول منها الكأس، لكنه لم يشرب، وفجأة أحسّ بالتعاسة تغمره.

يعاني أوبرت چاسكوين من القلق بشكل أكثر حدة من الرجال الآخرين. وحين يحدث ما يثير قلقه، مثل حادثة انطلاق مسدس أنا، يميل لتسليم نفسه لنوبات من المشاعر القوية... الصدمة، الحزن، الغضب، الأسف: فهو يفهم هذه المشاعر، وهي تنقل قلقه خارج نفسه، وبشكل ما يمكنها تنظيم الضغط الذي يشعر به داخلياً. وهو يبدو وقت الأزمات قوياً وحكيماً، كما بدا عصر اليوم، إلا أنه بعد أن تمر الأزمة أو يتم تجنبها تتفكك أجزاؤه عن بعضها. وهو لا يزال

يرتجف، هذه الرجة المزعجة لم تبدأ إلا حين أطلق العاهرة من حضنه.

آنا: "هناك أمرٌ أودُّ أن أحدثك بشأنه".

أدار چاسكوين البراندي داخل كأسه. "نعم".

عادت آنا إلى الخزانة وصَبَّتْ لنفسها كأسًا. "أنا متأخرة عن دفع إيجاري. مدينة بإيجار ثلاثة شهور. أبلغني إدجار هذا الصباح بضرورة دفع متأخراتي".

توقَّفت فجأة عن الحديث، والتفتت، ونظرت إليه. كان چاسكوين يسحب نَفَسًا من سيجارته، توقَّف حين امتلأ صدره، وأشار بيده يسأل عن المبلغ.

"عشرة شلنات في الأسبوع بالوجبات بالإضافة إلى حمَّام كل يوم أحد". (زفر چاسكوين). "لمدة ثلاثة أشهر، يكون، لا أعلم بالضبط... ستة جنيهات".

ردَّد چاسكوين. "ثلاثة شهور".

"عطلتني تلك الغرامة. الخمسة جنيهات التي دفعتها للقاضي. إنها مُرتَّبتي في شهر كامل. لقد أفلسني".
وانتظرت.

"من المؤكد أن قَوَّادك يدفع الإيجار".

آنا: "لا، لا يدفعه. أنا أتعامل مباشرة مع إدجار".

"المؤجَّر؟".

"نعم، إدجار كلينش".

رفع چاسكوين رأسه. "كلينش؟ إنه الرجل الذي اشتري ممتلكات كروسبي ويلز".

آنا: "اشترى الكوخ".

"لكنه وقع لتوّه على ثروة ضخمة! ما حاجته بسة جنيها؟".

ارتجفت آنا: "لقد أخبرني بضرورة أن أدفع. وفي الحال".

چاسكوين: "ربما يخشى ممّا قد يحدث في المحكمة. ربما يخشى أنه سيضطر لإعادة الثروة، بمجرد قبول الالتماس".

آنا: "لم يقل السبب". (لم تكن قد سمعت بعدُ بوصول أرملة ويلز المفاجئ، عصر يوم الخميس، وبالتالي لم تعرف أن صفقة بيع ممتلكات كروسبي ويلز مهددة بالبطلان). "لكنه لا يصدقني؛ قال لي إنه لا يصدقني".

چاسكوين: "ألا تستطيعين استعطافه بطريقة ما؟".

ردّت آنا بترفع: "تستطيع استبعاد هذه الطريقة ما'. أنا في حداد. توفي طفلي وأنا في حداد. لن أقوم بهذا بعد الآن".

"يمكنك إيجاد عمل آخر".

"ليس هناك عمل آخر. الشيء الوحيد الذي أجيده هو شغل الإبرة، ولا يوجد طلبٌ عليه هنا. فلا يوجد ما يكفي من النساء".

چاسكوين: "هناك أعمال الإصلاح. الجوارب والأزرار. الياقات البالية. أعمال الإصلاح مطلوبة دائماً في المخيم".

آنا: "الإصلاح لا يدر ما يكفي من النقود".

نظرت إليه مرة أخرى، بترقب، فثار الغضب داخله. فلجأ إلى سيجارته يسحب نفّساً آخر. إن إفلاسها ليس مسؤوليته. هي لم تعرض خدماتها كعاهرة ولا مرة منذ الليلة التي قضتها في السجن، الدعارة هي مصدر دخلها؛ ولهذا السبب فهي مفلسة. أما بشأن مسألة الحداد! فلم يفرضه أحدٌ عليها. والحزن لا يعيقها، بحق السماء، لقد

مرّت ثلاثة أشهر على وفاة الطفل. وفستانها لا يعيقها. يمكنها أن تجني النقود مرتدية فستان أجاثا تمامًا كما كانت تجنيها مرتدية فستانها البرتقالي، فليدورها زبائن مخلصون في ربوع هوكتيكا، وتعداد العاهرات قليل على الساحل. وما المشكلة على أي حال؟ في الظلام لا يستطيع المرء تمييز الألوان.

نوبة الضيق التي ألمّت بچاسكوين لم تكن بسبب التماس أنا لمساعدته. فقد خبر چاسكوين الفقر، وقد استدان أكثر من مرة في شبابه. كان على استعداد لمساعدة أنا بكل سرور، إن اختارت طريقة أخرى لطلب مساعدته. وكمعظم البشر شديدي الحساسية، لم يكن بإمكان چاسكوين احتمال حساسية الآخرين، كان يودُّ إذا ما سُئِلَ أن يُسأل بصدق ومباشرة، ويزداد احتياجه لهذا حين يكون ساخطًا. وقد أحسَّ أن العاهرة تتبع خطة موضوعة للوصول لمطلبها. لقد أغضبتة طريقته لأنه رأى أنها تسير حسب خطة، وأيضًا لأنه يعرف بالضبط ما الذي ستطلبه منه. وزفر دفعة من الدخان.

حين تأكدت أنا من أن چاسكوين لن يتحدث، استمرّت في الحديث. "كان إدجار دائمًا عَطوفًا جدًّا عليّ. لكنه أصبح عصبيًّا في الفترة الأخيرة. لم أعرف السبب في عصبيته. حاولت التفاهم معه، لكنني لم أفلح". وتوقّفت للحظة. "هل يمكنني فقط أن...".

"لا".

أنا: "أنا لا أحتاج سوى لأقل القليل. قطعة واحدة من القطع. يمكنني أن أخبره أنني وجدتها في الغدير، أو في مكان ما على الطريق. يمكنني أن أخبره أنني تقاضيت أجري ذهبًا، فالمنقَّبون يفعلون هذا أحيانًا. يمكنني أن أقول إنها من أحد الأجانب. فأنا أكذب جيدًا".

هزَّ چاسكوين رأسه. "ليس بإمكانك لمس هذا الذهب".

أنا: "ولكن إلى متى؟ إلى متى؟".

انفجر چاسكوين: "حتى تعرفي مَنْ خاطه في مشدِّكِ. وليس قبل ذلك بلحظة واحدة!".

"لكن في الوقت الحالي، ماذا أفعل بشأن إيجاري؟".

رمقها چاسكوين بنظرة حادة. "آنا ويذريل، أنا لست مسؤولاً عنك".

أصمتها ما قاله، وومضت عيناها بالاستياء. فهامت في الحجرة تبحث عن شيء تفعله، محاولةً شغل نفسها بإحدى المهام المعتادة. أخيراً جثت لتجمع حُلاها الرخيصة التي بعثرها بريتشارد على الأرض، أخذت تكومها ناحيتها بغضب، وتقذف بها ببعض العنف في درج منضدة الزينة الفارغ.

قالت: "معك حقٌ، أنت لست مسؤولاً عني. لكني أذكرك بأن كومة الذهب ليست ملكك لكي تُبقيها معك وتمنعني عنها كما يحلو لك!".

"ولست ملكك يا آنسة ويذريل".

"كانت في فستاني. على جسدي. لقد تحمَّلت المخاطرة".

"وسوف تخاطرين بما هو أكثر إن حاولتِ الإنفاق منها".

صاحت آنا: "إذن ماذا أفعل؟ عملت فيما سبق في الدعارة، هل سأظل عاهرة طيلة عمري؟ أهذا هو الخيار الوحيد أمامي!"

حدَّقا في بعضهما البعض، وفكَّر چاسكوين أنه على استعداد لمنحها جنيهاً ذهبياً إن عرضتِ نفسها عليه كعاهرة. وقال لها: "كم لديكِ من الوقت؟".

لَقَّت آنا شريطاً على هيئة كرة قبيحة قبل أن تجيبه. "لم يقل. أخبرني أيِّ إمَّا أن أدفع أو أغادر".

حاول چاسكوين استدراجها. "هل تودين أن أتحدث معه؟"، وهو يعلم أنها لا تؤد هذا بالمرة.

التفتت إليه مُلقيةً بالشريط المكور في الدرج. "وماذا ستقول له؟ سترجوه أن يصبر عليّ أسبوعًا آخر؟ شهرًا آخر؟ ربع عام آخر؟ وما الفرق؟ سيتحتم عليّ أن أدفع إن أجلاً أم عاجلاً".

قال چاسكوين بنبرة ثلجية: "أخشى أن هذا هو ما يميّز الديون".

قالت أنا بنبرة لاسعة: "أتمنى لو عرفت أنك دائن من هذا الطراز، منذ أسبوعين مضيا. ما كنت قِبلتُ مساعدتك".

چاسكوين: "ربما تخونك ذاكرتك. أودُّ أن أذكركِ أنني مددت يدي بالمساعدة لأنك طلبتها".

"هذا؟ أتمني هذا مساعدة؟ هذا الفستان المغطى بالعفن؟ أفضل أن أعيد لك الفستان وأحتفظ بالذهب!".

"آنا ويذريل، لقد أخرجتك من السجن، وقبلت أن أخطر بنفسي، وهذا الفستان إن لم تكوني تعلمين، يخص زوجتي الراحلة". وقذف سيجارته على الأرض وهرسها بكعب حذائه حتى لم يتبق منها شيء. فتحت أنا فمها للرد عليه، فقال بصوت مرتفع: "أخشى أنك لست في حالة مناسبة لمفاجأتي".

"أشكرك، لكنني في حالة رائعة".

رفع چاسكوين صوته أكثر: "مفاجأة جهّزتها لكِ بدافع من الخير الصافي والنية الطيبة...".

"سيد چاسكوين...".

بوجه شديد البياض، أتمّ چاسكوين جُمْلته: "... لأنني اعتقدت أنه قد يفيدك أن تخرجي وترفهي عن نفسك قليلاً. سأخبر السيدة أن حالتك المعنوية سيئة، وأنتك لن تخرجي".

آنا: "حالتي المعنوية ليست سيئة".

چاسكوين: "أعتقد أنها سيئة". وشرب بقية كأسه ووضعها على المنضدة الصغيرة بجانب وسادة آنا، التي يظهر في منتصفها ثقب صغير أسود اللون. "سأتركك الآن، أنا آسف أن مسدسك لم ينطلق كما نويت، وآسف أن أسلوب معيشتك فاق قدرتك على سداد تكاليفه. أشكرك على البراندي".

المنزلان الرابع والعاشر من السماء

حيث يثير چاسكوين موضوع مديونية أنا، ولا يثق إدجار كلينش به.

بينما چاسكوين يعبر ردهة فندق جريديرون، انفتح الباب الخارجي بعنف ودخل منه مدير الفندق، السيد إدجار كلينش، مُسرِعًا. أبطأ چاسكوين من خطواته حتى لا يضطر الرجلان للاقتراب من بعضهما أثناء مرورهما جنبًا إلى جنب... وهو تَصْرُفُ فسره كلينش على أنه نوع مختلف من التردد، وقد جائبه الصواب في هذا؛ فتوقف بغتة في منتصف الطريق إلى الباب، معيّنًا چاسكوين عن الخروج. ومن ورائه انصفق الباب.

كلينش: "هل يمكنني مساعدتك؟".

ردّ چاسكوين بتأدّب: "لا، شكرًا". وتوقّف للحظة منتظرًا أن يتنحى كلينش عن الطريق حتى يمكنه الخروج بدون أن تحتك كتفاهما معًا.

لكن الخادم انتبه على صوت الباب. فخرج من مقصورته الكائنة تحت السُّلَمَ منادياً چاسكوين: "أنت! ما الأمر بخصوص الطلقات؟ لقد نزل چو بريتشارد من فوق كأنه الموت مُجَسِّدًا. وكأنه رأى شبحًا".

قال چاسكوين باقتطاب: "كان خطأ، مجرد خطأ".

قال إدجار كلينش، الذي لم يتحرك من مكانه: "طلقات؟".

كلينش رجل فارغ القامة، في الثالثة والأربعين من عمره، بشعر أشقر غامق ومظهره مسالم ولطيف. شاربه ذو الطراز الإمبراطوري، مدهون الأطراف، يمثل إضافة حَسَنَة لمظهره، خاصةً وأنه لم يَشِبْ بمثل سرعة شعُر رأسه، الذي كان بدوره مدهونًا، ومفروقًا من المنتصف، ومقصوصًا حتى شحمتي أذنيه. وجنتاه بارزتان، وأنفه محمرٌّ، ومظهر هادئ. عيناه غائرتان في وجهه لدرجة أنه يبدو مغمض العينين حين يتسم، وكثيراً ما يتسم، وتشهد الخطوط الرفيعة حول عينيه على ذلك. لكنه في اللحظة الراهنة كان مقطَّبًا.

قال الخادم: "كنت هنا على المكتب. هذا الرجل كان هناك... وشاهد ما حدث. لقد صعد مسرعًا، حين سمع الصياح، وانطلق المسدس فور دخوله. وبعدها أتى صوت طلقة أخرى. كنت على وشك الصعود لأتحرَّى الأمر، لكن چو بريتشارد نزل وأخبرني أنه لا داعي للقلق. أخبرني أن العاهرة كانت تنظف المسدس وأنه انطلق بالخطأ، لكن هذا يفسر الرصاصة الأولى فقط".

عادت نظرة كلينش المتفحصة إلى چاسكوين.

تحدث چاسكوين وهو غير قادر على إخفاء ضيقه؛ فهو لا يحب أن يُحتَجَزَ ضد إرادته. "الرصاصة الثانية أطلقتها أنا بنفسني، على سبيل التجربة، حين اكتشفت أن الرصاصة الأولى قد طاشت".

سأل مدير الفندق: "ماذا كان سبب الصباح؟".

"لقد تمّت تسوية الموقف".

"هل كان چو بريتشارد راقداً فوقها؟".

قال الخادم: "يبدو الأمر كذلك".

رمى چاسكوين الخادم بنظرة سامة، ثم التفت إلى كلينش. "لم يحدث أي اعتداء على العاهرة. إنها بكل خير، ولقد تمّت تسوية الموقف، كما أخبرتك بالفعل".

ضيق كلينش عينيه. "كم هو غريب العدد الكبير من المسدسات التي تنطلق وقت تنظيفها. وكم هن غريبات العاهرات حيث يخطر لهنّ تنظيف مسدساتهن في حضرة السادة الرجال. كم هو غريب العدد الكبير من المرات التي حدث فيها هذا، في فندقتي".

چاسكوين: "أخشى أني ليس لدي رأي بخصوص هذا الموضوع".

قال إدجار كلينش: "أعتقد أن لديك رأياً". وباعد ما بين ساقيه، وعقد ذراعيه أمام صدره.

تنهّد چاسكوين، لم يكن في مزاج يسمح بالاستعراضات الحمقاء للملكية الخاصة.

كلينش: "ماذا حدث؟ هل أصاب أنا شيء ما؟".

چاسكوين: "أقترح أن تسألها بنفسك، وتوفّر على كلينا بعض الوقت. يمكنك سؤالها بمنتهى السهولة؛ إنها في الأعلى".

"لا يعجبني أن يتم استغفالي في فندقتي".

"لم أكن أعلم أني أستغفلك".

ارتعش شارب كلينش بشكل خطير. "ما مشكلتك؟".

قال چاسكوين: "لست متأكدًا أن لدي مشكلة. ما مشكلتك أنت؟".

فقال بغضب: "بريتشارد".

چاسكوين: "ليس هناك داعٍ لأن تُشركني في هذا، بريتشارد ليس صديقي". وأحس أنه محاصر. فمحاولة التفاهم مع رجل قد عقد عزمه بالفعل هي محاولة بلا طائل، ويبدو أن إدجار كلينش متشوّق للشجار.

"هذه حقيقة مؤكدة". قالها الخادم متدخلًا لنجدة چاسكوين. فقد لاحظ أن مديره متعكّر المزاج. حيث كان وجه مدير الفندق محمرًا للغاية، ورجل بنطلونه ترتعش كأنه يؤرجح جسده صعودًا وهبوطًا على كعبيه، وهي علامة مؤكدة على غضبه. شرح الخادم، بصوت مهدئ، أن چاسكوين قاطع الشّجار بين بريتشارد وآنا؛ ولم يكن حاضرًا وقت نشوبه.

لم يبدُ كلينش مخيفًا، حتى في وقفته مستعدًا للشجار، كما هو الآن: بدا مشاكسًا أكثر منه مخيفًا. فغضبه، رغم وضوحه، بدا كأنه يجعله عاجزًا بشكل ما. كانت مشاعره تحتلّه؛ كان عبداً لمشاعره، وليس سيّدًا لها. أحسّ چاسكوين وهو يراقبه أنه أقرب لطفل يستعدُّ للدخول في نوبة غضب منه إلى رجل يستعد للشجار... وبالطبع هذا لا يقلّل من خطورة الطفل، إذا كان المُحفّز واحدًا في الحالتين. وكلينش لا يزال يسدّ باب الخروج. ومن الواضح أنه لن يتصرف بعقل، لكن ربما يمكن تهدئته.

"ما الذي اقترفه بريتشارد في حقّك يا سيد كلينش؟"، قالها چاسكوين ظنًا منه أنه إذا أعطى الرجل فرصة للحديث فإن غضبه سيأخذ مجراه، وبهذه الطريقة ربما يمكنه أن يهدئ من نفسه.

جاء ردُّ كلينش مخنوقًا وغير واضح. صرخ: "ما اقترفه في حقّ آنا! إنه يطعمها المخدر الذي يقتلها... يبيعها إياه!".

هذا لا يفسر الأمر بوضوح: لأبْدَ أن هناك المزيد. وليلاطفه، قال
چاسكوين بخفة: "نعم، ولكن إذا كان أحدهم سَكَّيْرًا، هل نلقي باللوم
على صاحب الحانة؟".

تجاهل كلينش الأسلوب البلاغي. وقال: "لو أن الأمر بيدي چوزيف
بريتشارد لأرضعها إِيَّاه، كما يُرْضَع طفلًا؛ لو كان الأمر بيديه لفعل
هذا. أتوافقني الرأي يا سيد چاسكوين؟".

"آه، إنك تعرفني". قالها چاسكوين بنبرة ارتياح. "هل أوافقك؟".

"مقالتك بالأمس في جريدة التايمز. بالمناسبة فهي تحفة فنية،
حقًا تحفة فنية". (وبدا أن مجاملته لچاسكوين هدأت من ثأثرته،
لكن سرعان ما اكفهرت أساريه ثانية). "كان ليفعل خيرًا إن قرأها.
أتعلم من أين يأتي به؟ من أين يأتي بتلك النفايات القذرة؟ بعجينة
الأفيون؟ أتعلم؟ من فرانسيس كارفر، هذا هو مصدره!".

هزَّ چاسكوين كتفيه؛ لم يعنِ الاسم أي شيء له.

"فرانسيس كارفر الملعون، الذي ركلها، ركلها، ضربها، وكان طفله!
طفله في بطنها! لقد قتل ابنه!".

كان كلينش يصرخ تقریبًا... وفجأة ثار اهتمام چاسكوين. فخطأ
نحوه قائلاً: "ما الذي تقوله؟". لقد أسرت له آنا أن جنينها قُتِلَ على
يد والده... والآن يتَّضح أن نفس هذا الرجل له علاقة بالأفيون الذي
كاد يودي بحياتها.

لكن كلينش التفت لخدمه قائلاً: "أنت، إن جاء بريتشارد إلى
هنا ثانية، ولم أكن موجودًا، فعليك أنت أن تعيده من حيث أتى.
أسمعتني؟".

كان مستاءً جدًا.

چاسكوين: "مَن هو فرانسيس كارفر؟".

تنحنح كليتش وبصق على الأرض. "قطعة من القذارة، قطعة من القذارة القاتلة. چو بریتشارد مجرد شخص فاسد. أما كارفر، فهو الشيطان؛ إنه الشيطان نفسه".

"هل هما صديقان؟".

قال كليتش: "ليسا صديقين. ليسا صديقين". ونخز الخادم بأصبعه. "أسمعتني؟ إذا ما خطت أقدام چو بریتشارد على هذه السلام -على أول سُلْمَة- ستخرج أنت من هنا!".

أصبح واضحًا أن مدير الفندق لم يُعد يعتبر چاسكوين مصدر تهديد... لأنه تحرّك من مدخل الباب، وخلع قبعته من على رأسه؛ أصبح بإمكان چاسكوين الآن الخروج، كما يشاء. لكنه لم يتحرك، وانتظر لسمع المزيد من مدير الفندق، ساوى كليتش شعره للوراء براحة يده، وعلّق قبعته على حامل القبعات، ثم قال: "فرانسييس كارفر مهرّب. سفينته هي جودسبيد؛ قد تكون رأيتها راسية. سفينة شراعية ثلاثية الأشرعة".

"ما علاقته ببریتشارد؟".

بنفاد صبر قال إدجار كليتش: "الأفيون بالطبع". من الواضح أنه لا يحب أن يستجوبه أحد؛ فقطّب مُجدّدًا في وجه چاسكوين وبدا كأن موجة جديدة من الشك قد غمرته. "ماذا كنت تفعل في غرفة أنا؟". قال چاسكوين بنبرة اندهاش مهذّبة: "لم أكن أعلم أن أنا ويزريل تعمل لديك يا سيد كليتش".

"إنها في رعايتي". وساوى شعره للوراء مرة ثانية. "إنها تقيم هنا -هذا جزء من الاتفاق- ولي الحق في معرفة شؤونها، إذا ما جرت هذه الشؤون في فندقتي، ورُفعت فيها المسدسات. يمكنك الذهاب:

لديك عشر دقائق". وهذه الجملة الأخيرة موجّهة للخادم، الذي أسرع إلى قاعة الطعام، ليتناول غداءه.

أمسك چاسكوين تلايب سترته. "أعتقد أنك تظن أنها محظوظة، بالعيش هنا، حيث تتولى أنت حراستها".

كلينش: "أنت مخطئ، أنا لا أعتقد هذا".

سكت چاسكوين مندهشاً. ثم قال، بكياسة: "أعتني بالعديد من الفتيات أمثالها؟".

كلينش: "ثلاث فتيات فقط في الوقت الحالي. ديك يختارهن بعناية. يقبل فقط بالمستوى الراقى، ولا يهبط بمقاييسه؛ إن أردت عاهرة بشلن، عليك بالذهاب إلى حارة كلاب، وتجرب حظك. إنه لا يقبل بالقطع النقديّة الصغيرة، إمّا الجنيهات وإمّا فلا. هل رشح ديك أنا لك؟".

لا بُدّ أنه يقصد ديك مانرينج، رب عمل أنا.

أطلق چاسكوين همهمةً غامضة بدلاً من أن يجاوبه. فهو لا يريد أن يحكي قصة لقائه بآنا.

وأكمل كلينش: "حسنًا، عليك أن تذهب إليه، إذا أردته أن يرشح لك إحدى الأخريات. هناك كيت، الممتلئة؛ وسال، ذات الشعر المجعد؛ وليزي، ذات النمش. ليس هناك فائدة لأن تطلب مني هذا. ليس لي شأن بالحجز وغيره من الأمور. إنهن يَتمنّ هنا فقط". لاحظ أن اختياره للكلمات أثار بعض الشك في الرجل، فأضاف: "أعني أنهن يَبتنّ هنا؛ لم أكن أزيّن الكلام. ليس بإمكانى السماح لهنّ باستقبال الضيوف ليلاً؛ فقد أخسر رخصتي. إذا ما أردتها لليلة كلها، تتحمّل أنت المسؤولية... تأخذها إلى بيتك أنت".

أدار چاسكوين يده مشيراً لما حوله وقال بأدب: "إنه مكان جميل".

قال كلينش بنظرة متهكّمة: "إنه ليس ملكي. أنا أستأجره. وعلى طول الشارع، من ويلد وحتى ستافورد، كله مستأجر. هذا المكان يملكه رجل يدعى ستينز".

اندهش چاسكوين. "إيميري ستينز؟".

"غريب، غريب أن أستأجر من رجل في نصف عمري. لكن هذه هي الطريقة العصرية: الجميع يعمل لمصلحته الخاصة فقط، وكلنا في وضع مقلوب".

أحسّ چاسكوين بشيء من القهر في حديث كلينش: بدت جُمْلُه كأنها مستعارة وتخرج من فمه بتكلّف. وشاب نبرته الحذر وبعض الضيق، كأنه يقي نفسه سوء ظنّ چاسكوين، رغم استحالة هذا. وبينه وبين نفسه قال چاسكوين، إنه لا يثق بي، لا بأس، أنا أيضًا لا أثق به.

وتحدّث چاسكوين: "تُرى ماذا سيحدث لهذا المكان إذا لم يَعد السيد ستينز؟".

ردّ كلينش: "سأظلّ كما أنا، وقد أشتريه". وعبث للحظة بمحتويات درج أسفل المكتب. "اسمع، قد تظن أني مُملّ إذا سألتك مرة أخرى... لكن، ما الذي كنت تفعله في حجرة أنا؟".

وبدا كأنه يتوسّل ردّ چاسكوين.

قال چاسكوين: "تبادلنا الحديث حول المال. إنها مُفْلِسة. لكني أعتقد أنك تعرف ذلك بالفعل".

ردّ كلينش ساخرًا: "مفلسة؟ صدّقني! هي أبعد ما تكون عن ذلك".

ثار انتباه چاسكوين. أهذه إشارة غامضة للذهب المخبأ في فستان أنا؟ أم مجرد تلميح خشن لمهنتها؟، وقال: "ولمّ أصدّقك وأكذّب

آنا؟ لقد أخبرتني أنها لا تملك مليماً، ومع ذلك فأنت ترى أنه من الطبيعي أن تطالبها بستة جنيهات، تدفعها على الفور!".

اتَّسَعَتْ عينا كلينش. لقد حكّت آنا لچاسكوين عن الإيجار الذي تدين به. لقد اشتكت له بمرارة، بالقياس على النبرة الهجومية لصوت الرجل الفرنسي. جرحّت هذه الفكرة كلينش. لم يعجبه أن تتحدّث آنا مع رجال آخرين عنه. فقال في هدوء: "هذا ليس شأنك".

چاسكوين: "على العكس، حدّثني آنا عن الأمر، وترجّعتني".
كلينش: "لماذا؟ لماذا؟".

ردّ چاسكوين بلمسة من القسوة: "أعتقد لأنها تثق بي".
"أقصد ما فائدة أن تترجّاك؟".

چاسكوين: "لكي أساعدها".
قال كلينش مرة أخرى: "ولمَ أنت؟".
"ماذا تقصد بذلك؟".

في صوتٍ يكاد يكون صراخاً قال كلينش: "لِمَ تطلب أنا منك المساعدة؟".

لمعت عينا چاسكوين: "أظنّك تطلب مني توضيحاً لطبيعة العلاقة بيننا".

أطلق كلينش ضحكة خشنة. "لستُ بحاجة للسؤال عن ذلك. أنا أعرف بالفعل".

أحسّ چاسكوين بالغضب يملؤه. "سيد كلينش، أنت قليل الحياء".

كلينش: "قليل الحياء! مَنْ هو قليل الحياء؟ لقد أعلنت العاهرة الحداد، ولا يمكنك إنكار ذلك!".

"والسبب أنها لا يمكنها حاليًا سداد ديونها هي أنها في حداد. ورغم ذلك أنت مُصرٌّ على استغلالها".
"استغلالها...!".

قال چاسكوين ببرود: "أحسستُ أن أنا خائفة جدًا منك"... وهو ما ليس صحيحًا بالمرّة.

بدا مدير الفندق مصدومًا. "هي ليست خائفة مني".

"وماذا ستفعل بستة جنيهاً؟ ما الفرق بين أن تدفع أنا لك غدًا أو بعد عام؟ لقد وقَّعت عليك للتوّ ثروة ضخمة. لديك آلاف الجنيهاً في البنك! ورغم ذلك تقيم الدنيا وتقعدها على إيجار عاهرة، كأحد الانتهازيين الجشعين".
ثار غضب كلينش. "الدينُ يظلُّ دينًا".

قال چاسكوين: "هراء. الضغينة هي التي تظل ضغينة".

"ماذا يعني هذا؟".

چاسكوين: "لستُ أدري حاليًا. لكنني بدأت أفكر أنه عليّ أن أحاول استكشاف الأمر، من أجل خاطر آنا".

واحمراً كلينش مرة أخرى. "لا يصحُّ أن تُحدّثني بهذه الطريقة. لا يصحُّ، وفي فندقتي!".

بدأ چاسكوين يحسُّ ببعض الاندفاع. "أنت تتحدّث كأنك حامي جماها! أين كنت هذا العصر حين أحسّت بالخطر؟ وأين كنت حين عثروا عليها نصف ميتة في منتصف طريق كرايست تشيرش؟".

هذه المرة لم يتراجع كلينش عن هذا الاتهام، كما فعل سابقًا. بل بدا عليه التصميم. أطبق فكّيه ونظر لچاسكوين. "لن يعظني أحدُهم بخصوص آنا. أنت لا تعلم مكانتها عندي. لن أقبل مواعظ".

حدَّق الرجلان في بعضهما، ككلبين غريمين في حلبة مصارعة، ثم صدر عنهما ما يدلُّ على رؤية كل منهما للآخر، واعترف كلاهما أنه يقف أمام نِدِّ له. فچاسكوين وكلينش لا يختلفان كثيراً في طباعهما، حتى اختلافاتهما تتَّسم بدرجة من التناغم، حيث يمثل چاسكوين النغمة الأعلى على السُّلَّم الموسيقي، الأنقى، والأكثر إشراقاً، وكلينش يأتي كالنغمة الأدنى.

يتَّسم إدجار كلينش بطبيعة دائرية، فهو قلق ويشك في نفسه، وهما صفتان متعارضتان، واجتماعهما بداخله وضعه في حالة دائمة من الاندفاع القَلِق. فهو معطاء لمن يحبهم، ويطلب في المقابل رضاهم التام عن رعايته لهم، وانتظاره لرضاهم يثير بداخله العار، فهو حسَّاس تجاه أدق تفاصيل أفعاله، ويشك في قيمة تلك الأفعال؛ وبالتالي يتراجع عن طلب الرضا، ويضاعف من عطائه، وتبدأ الدائرة من جديد، ليجد أن احتياجه للرضا قد تضاعف بقدر ما تضاعف عطائه. وهكذا يظل في تلك الدائرة، يدور بلا توقُّف، كامرأة تدور بلا توقف، مشدودة بلجام إيقاعات القمر.

بدأت علاقته بآنا ويذريل بنفس هذه الطريقة. حين وصلت آنا من ديوندن، وقع كلينش صريعها: كانت أندر الكائنات التي عرفها، وأكثرها حزناً، وأقسم ألا يرتاح حتى تكون محبوبه. منحها أفضل غرفة لديه، ودلَّلها على قدر ما استطاع، وانجرح مشاعره كثيراً حين لم تلاحظ الجهود التي بذلها من أجلها، وحين لم تلاحظ مشاعره المجروحة، أصبح غاضباً. وغضبه كان بلا أساس، وبلا عُمْر؛ لم يمكنه أن يتغذَّى منه، كما يتغذى الرجال أحياناً على غضبهم. لكن غضبه قلَّ منه، تركه خاوياً؛ وبالتالي، أشد استعداداً للحب.

حين وصلت آنا لهوكتيكا كانت تحمل طفلاً بين أحشائها، رغم أن بطنها وقوامها لم يفضحا عن حالتها. قابلها كلينش على رصيف

جيبسون، حيث وصلت على مركب صغير نقلها من جود سبيد التي ألقت مرساتها على بُعد حوالي المائة ياردة من الشاطئ. كان اليوم صافيًا ومشرقًا وباردًا. ومصب النهر يلمع في روعة. والطيور تغرد. وحتى الآن يحسُّ كلينش بقدرته على استدعاء كل تفصيلة. يمكنه رؤية حافة قبعتها تحيط بوجهها، وأطراف شرائط القبعة ترفرف في الرياح، يمكنه رؤية حذائها الذي يصل لكاحلها، وقفازاتها المزررة، وحقبة يدها. يمكنه رؤية لمعان فستانها البنفسجي، الذي اكتشف لاحقًا أنه مؤجّر من رجل الأعمال ومتعهّد الحفلات ديك مانرينج، وستدفع له أنا إيجارًا يوميًا للفستان حتى يتوفّر معها من المال ما يكفي لشراء فستان خاص بها. لون الفستان لم يكن مناسباً لها، فقد أظهر بشرتها شاحبة، وعينيها خاليتين من الحياة. رآها إدجار كلينش متألقه ومشرقة، فاحتوى كَفْها النحيلة بين كَفَّيه الاثنتين وهزّها بشدة. ورَحّب بها في هوكتيكا ومدّ لها ذراعه المثنيةً لَتُمسِكَ بها، وعرض عليها أن يتمشى معها، وقد قبلت عرضه. أمر الحمّالين بنقل صندوق أمتعتها إلى فندق جريديرون، ثم فرد كلينش صدره واصطحب أنا إلى شارع ريفل كحارس يرافق ملكة.

وصل إدجار كلينش لهوكتيكا منذ أقل من شهر من تاريخ لقائه بآنا. لم يكن قد عرف بعدُ ديك مانرينج، رغم أنه سمع باسمه؛ لقاءه بمركب أنا في عصر ذاك اليوم تمّ بدون سابق ترتيب مع الثري أو مع العاهرة. (مانرينج كان محتجزًا في ديوندن، ولم يصل لهوكتيكا إلا في الأسبوع التالي؛ وعلى أي حال فهو يفضّل السفر بالسفن البخارية وليس الشراعية). كان كلينش في الأيام المشرقة يقف على لسان هوكتيكا ويحيّي المنقّبين النازلين على الرمال. يشدُّ على أيديهم، ويتسم في وجوههم، ويدعوهم للإقامة في فندق جريديرون مشيرًا بطريقة عابرة أنه سيقدم خصمًا خاصًا للرجال الذين سيقبلون دعوته خلال النصف ساعة القادمة.

خلال التمشية القصيرة من رصيف جيبسون أحسّ كلينش بالضغط الرقيق ليد آنا على كوعه؛ وحين وصلوا لمدخل فندق جريديرون أحسّ كلينش أنه لا يمكنه الاستغناء عنها. فترجّى الشابة أن تقبل دعوته للغداء في قاعة الطعام؛ وقد قبلت، مستدعيةً نوبة من التضحية إلى صدره، منحها على إثرها أحسن وأوسع غرفة لديه.

دفعت آنا مصاريف إقامتها في الفندق بسند دفعٍ مَوْقَع من ديك مانرينج. وقد قبله كلينش بلا تردّد في خضم طوفان الكرم الذي اجتاحه. وحين اكتشف حقيقة مهنتها كان قد منحها عواطفه بشكل كامل وبلا رجعة. حين وصل مانرينج لهوكتيكا بعدها بأسبوع، قدّم نفسه لكلينش بصفته رب عمل آنا، وتفاوض معه على اتفاق بموجبه تتمتع العاهرة، في مقابل أجر أسبوعي، بالحماية، والمراقبة سرّاً، ووجبتين يوميّاً، وحمام أسبوعي. والبند الأخير من الرفاهيات المُكَلِّفة التي سيتم إلغاؤها (كما أوضح مانرينج لكلينش على انفراد) حين تكتسب الفتاة سُمعة في المدينة. أمّا في الأسابيع الأولى لعملها فمن الضروري الرضوخ لمتطلبات رفاهيتها، وإرضاء احتياجاتها.

سعد كلينش بملاء وعاء الاستحمام النحاسي كل أحد، رغم مشقّة هذا العمل. أحب أن يلمح آنا عقب استحمامها، مبتلّة الشّعر ونظيفة؛ أحب المرور بجانبها في قاعة الطعام مساء يوم الأحد لتلتقط أنفه رائحة الصابون على جلدها. أحب إلقاء المياه العكرة بالأوساخ في البالوعة على حافة الطريق، وتمنى والمياه المتسخة تتدفق مبتعدة، أن ترمقه آنا من عليائها، في شباك غرفتها بالطابق الأعلى.

كل جهود كلينش في سبيل الحب ذات طابع أمومي، فمن خصائص الطبيعة الإنسانية أننا نمنح الآخرين أكثر ما نتمنى الحصول عليه، وأكثر ما نتمناه إدجار كلينش هي أم، لقد فقد أمه وهو رضيع، ومنذ ذلك الحين انبعثت من قبرها وتجسّدت في عقله كآلهة الفضيلة

المنيرة، وجهها غائم الملامح يطل من نافذة في ليلة غارقة في الضباب. لكن كل جهوده في سبيل الحب كان مُقدَّرًا لها الفشل، لأنها تتطلَّب من المحبوبة حدس دقيق لم يكن كلينش نفسه يتمتع به. آمن إدجار كلينش بالحب، لكنه وكما هو متوقع، لم يوفَّق في حبه: فرغم خدمته اليومية المتفانية، ظَلَّتْ أنا ويذريل جاهلة تمامًا بحقيقة أن مدير الفندق يحبها حبًّا ينبع من قلبٍ خالٍ من حب غيرها، ومتهلِّف على حبها. كانت مهذَّبةً معه، واعتنت بحجرتها، لكنها أبدًا لم تلتمس صحبته، واقتصرت في حديثها معه على أبسط المواضيع. وغنيٌّ عن الذكر أن برودها أشعل جمرَ شغف الرجل بها، فزادت ناره، وزاد افتتاحه. وحين اقترح مانرينج، بعد شهر، أن بذخ حمام أنا الأسبوعي يجب أن يتوقَّف، لم يُعد كلينش يسجل هذه البند في فاتورة أنا الشهرية. لكنه في كل أحد كان يعدُّ وعاء الاستحمام، ويفرش المناشف، ويجلب الماء، تمامًا كما سبق.

بدا في تلك الشهور القليلة الأولى، أنه ليس هناك ما يمكن أن يطفئ جمر عشق كلينش لأنا. لم تنفَّر مهنتها، رغم انزعاجه من حقيقة أنها كانت عُرضة للكثير من المخاطر. وحين علم بتعاطيها للأفيون، بصفة يومية، أحسَّ بالحزن والخوف، وليس بالنفور. (وقال لنفسه إن تعاطي هذا المخدر منتشر للغاية، وأنه هو نفسه يتعاطى منوَّمًا حين يتعذَّر عليه النوم؛ وأي فارق بين الأفيون الموجود في المنوم، والأفيون الذي يتم تدخينه؟). جوانب التعاسة في حياة أنا سبَّبت لكلينش التعاسة، لكنها لم تفلح في إبعاده عنها، بل جعلته يتوق أكثر وأكثر لإسعادها.

حين ظهر أن أنا حامل بطفل من رجل آخر، اكتسب حزن كلينش بعض القلق. وبدأ يتساءل إن كان عليه أن يعلن لها عن مشاعره. هل يطلب يدها للزواج. وربما حين يولَد الطفل يتبنَّاه ويرعاه كأنه من صُلبه؛ ربما يمكنهم أن يصبحوا بشكل ما، عائلة.

دارت هذه التساؤلات داخل كلينش عصر يوم في منتصف الشتاء حين وصل لسمعه صوت خبطة على شرفة الفندق، وصرخة مكتومة. فتح النافذة ذات الدرف المنزلقة (حيث كان يشعل المدافئ في غرف الطابق العلوي) ونظر لأسفل، فرى أنا وقد تعثرت على درجات السلم القصير المؤدي لباب الفندق. رآها ترفع ذراعها ببطء وتبحث عن سور السلم.

هبط كلينش السلام وعبر الردهة وفتح الباب ليدخلها، في ذلك الوقت كانت أنا قد قامت وعبرت الشرفة. حين خرج كلينش كانت أنا تمد يدها لمقبض الباب، فسقطت على كلينش، ولتمنع نفسها من الوقوع أرضاً، لفت ذراعيها الثقيلتين حول عنقه، ودفنت أنفها وفمها في حلقه، كأنها تتعلق به. همهم كلينش مندهشاً، ثم صمت تماماً. أحس أنه إذا تحدث أو تحرك بسرعة، قد تضيع اللحظة، وقد تهرّب العاهرة. ألقى بنظره من فوقها، كان الوقت عصر يوم أحد، منير وشاحب، والشارع هادئ. ليس بإمكان أحد أن يراهما. ليس هناك أحد ليراهما. أحاط كلينش خصر أنا بكفّيه، وملاً صدره بالهواء، وملاً مرة أخرى، وبعدها، وفي حركة واحدة وسريعة، ضمّ أنا لصدره ورفعها وهبط بفمه على وجنتها. وظلّ على هذا الحال لفترة طويلة، شفتاه على فكّها. ثم رفعها وعاد للداخل وبجانب قدمه أغلق الباب، وأدار المفتاح في القفل، وحملها للطابق الأعلى.

كان حمّام أنا جاهزاً في الحجرة المقابلة للسلم، حيث تنتظرها على حافة المدفأة أوعية المياح الحديدية المغطاة، نزل كلينش وأنا بين يديه إلى الأريكة الموجودة بجانب حوض الاستحمام. وبقلب متسارع الدقات تراجع ليملاً عينيه منها. كانت عيناها مغلقتين، وأطرافها سائبة ورخوة.

مرّت شهور طويلة منذ أعادت أنا الفستان البنفسجي المستأجر لديك مانرينج، حيث اشترت بدلاً منه عدة فساتين تليق بقوامها أكثر. اليوم لم تكن ترتدي فستانها البرتقالي منفوخ الأرداف الذي تعلن به عن مهنتها، ففي هوكتيكا ترتدي العاهرات الألوان الزاهية في أوقات عملهن، والألوان الهادئة خارج أوقات العمل. اليوم ارتدت أنا فستاناً قطنياً أصفر فاتحاً، صدره على طراز صديريات ركوب الخيل، مُزَرَّر بالكامل حتى حلقها. وعلى كتفها شال مثلث أزرق اللون. من شكل ملابسها، ومن حقيقة أنها فاقدة الوعي من الأفيون، استنتج إدجار كلينش أنها كانت في الحي الصيني: فحين كانت تذهب هناك كانت تذهب متخفية، مرتدية ثيابها الهادئة الألوان.

بأصابع مرتعشة أنزل كلينش الشال من على كتفي أنا وتركه يسقط على الأرض. ثم فكّ العقدة الموجودة في ظهر فستانها وأرعى أربطة مشدها، متحركاً ببطء وعلى مراحل. وعثرت أصابعه على الأزرار المغطاة بالقماش وواحداً واحداً، فكّتهم من عروايهم. كانت مستكينة بين ذراعيه، وحين تحرّك ليخلع الفستان عن كتفها رفعت ذراعيها كطفل صغير. ثم فكّ تنورتها الداخلية، ورفع أنا خارج أعلى حلقاتها فسقطت التنورة أرضاً في ضجيج من الأربطة والخشب. ثم أراحها مرة أخرى على الأريكة، كانت الآن بملابسها الداخلية، طوى شالها فوق جسدها. ثم وقف وبدأ يملأ وعاء الاستحمام، رقدت على الأريكة وخدها فوق ظهر يدها، وصدرها يعلو ويهبط على وتيرة أنفاس نومها المتقطعة. حين أصبحت المياه جاهزة عاد إليها كلينش مهمماً بجمل مُطمئنة؛ وخلع عنها ملابسها الداخلية، وحمل جسدها العاري، وجثا على ركبتيه، وأنزلها في وعاء الاستحمام.

صدر عن أنا صوت ناعم حين لمس جسدها المياه، لكنها لم تفتح عينيها. وضعها كلينش بحيث تستريح رقبتها على الحافة النحاسية لوعاء الاستحمام، حتى يضمن أنها لن تنزلق وتغرق. ثم أبعد شعرها

عن خدّها، ومشى بإبهامه على فكّها. ابتلّت أكمّامه حتى الكتفين وهو ينزلها؛ أخذ خطوة للوراء وأبعد أكمّامه التي يقطر منها الماء عن جسده، ونظر إليها. شعر على الفور أنه وحيد جداً وسعيد جداً.

بعد قليل انحنى مدير الفندق يرفع الفستان القطني عن الأرض لينفضه ويضعه على ظهر الأريكة. فوجد الرداء أثقل ممّا تخيّل... لِمَ هذا، إنه مجرد خيط وقماش! وقد أزال عنه التنورة والسروال الداخليين! لِمَ هذا الشيء بهذا الثقل؟ ضغط القماش بين أصابعه، فأحسّ بشيء غريب. قلب الفستان فأحس بأثقال مُوزّعة بطول غرز ثنية طرف الفستان؟ أحس بها كصفٍّ من الصخور الصغيرة. حشر أصبعه بخفة خلف أحد الخيوط وأحسّ به ينقطع، فأدخل سبابته وإبهامه داخل تجويف طرف الفستان. ربّما يكون محشواً بشيء ما. وسحب أصابعه، ولدهشته، خرجت ممسكة ببعض الذهب الخام.

كانت أنا لا تزال نائمة، وجنتها مسنودة على حافة وعاء الاستحمام. تحسّس كلينش بدقّات قلب متسارعة أماكن الخياطة في الفستان، وثنياته حتى الجزء العلوي منه. أحس بأوقيّات وأوقيّات، وربّما تصل لأرطال من الذهب، مخبّأة في القماش. وكلها من الذهب النقيّ! ما الذي كانت أنا تفعله في الحي لصيني حتى تعود من هناك شبه معتوهة من الأفيون، وفستانها قد خيط فيه ذهب؟ يبدو من شكل الأمور أنها تهربّ الذهب، بشكل غير قانوني. هل تهربّ إلى الحي الصيني؟ هذا لا يُعقل. لا بُدّ أنها تهربّ من الحي الصيني، وربّما يكون المقابل هو الأفيون! تسابقت الأفكار في عقل كلينش. وتذكّر أن إخفاء الذهب بين طيّات الملابس طريقة شائعة للتهربّ من الجمارك، رغم خطورتها؛ لأنه في حالة ضبطها تُفرض غرامات كبيرة على المهرب، وربّما يُحكم عليه بالسجن. لكن أنا ليست من المنقّبين عن الذهب، إنها امرأة، بحق السماء! وهذا الذهب لا يمكن أن يكون ذهبها. لا بُدّ أن أحدهم يثق في أنا بالقدر الكافي بحيث يخفي الذهب في ملابسها.

ولا بُدَّ أنها تثق فيه بالقدر الكافي لتحمل مثل هذه المخاطرة بالنيابة عنه.

ثم خطر مانرينج على باله. ديك مانرينج يملك تقريبًا كلَّ الصينيين في كانير؛ كلهم يعملون في مناجمه مقابل راتب. مانرينج أيضًا رب عمل أنا. نعم، بالطبع! مانرينج معروف بصفقاته المشبوهة... وكيف يكون القوَّاد غير هذا؟ ألم يعلن، مرارًا وتكرارًا، أن أنا ويزريل هي الأفضل من بين كل العاهرات؟

التفت كلينش لآنا، وبوغت حين وجدها مفتوحة العينين، تحدق فيه.

قال بغباء: "كيف تجدين المياه؟"، وهزَّ ثنية الفستان ليخفي الذهب الذي يمسكه بين أصابعه.

همهمت مستحسنةً، لكنها حرَّكت ركبتيها لتستر جسدها وغطت ثدييها بذراعيها. بدت بطنها المنتفخة ككرة كاملة الاستدارة، تطفو وسط المياه المعتمدة كتفاحة في جردل.

سألها كلينش. هل عدت من كانير شيئاً؟ هي بالطبع لم تمش مسافة أربعة أميال... خاصة وهي لا تستطيع إبقاء رأسها مرفوعاً! إنها تكاد لا تستطيع الوقوف!

همهمت مرة أخرى، بنبرة مقسومة قسمين، إشارة إلى الإجابة بالنفي.

كلينش: "كيف رجعتِ إذن؟".

همهمت بكلمات ثقيلة على لسانها كعسل السُّكَّر المعقود. "كان ديك مارًا بالمصادفة".

خطا كلينش مقتربًا. "ديك مانرينج كان مارًا في الحي الصيني؟".

"مممم". وأغلقت عيناها مرة أخرى.

"أوصلك في طريقه؟".

لم تجبه أنا. غرقت في النوم مرة أخرى. انحنى رأسها للخلف مستندًا على حافة وعاء الاستحمام، وسقط ذراعاها عن ثدييها، وخبطا سطح المياها، وغطسا، ثم طفوا من جديد.

كان كلينش لا يزال ممسكًا بالذهب بين أصابعه. فرد الرداء على ظهر الكرسي بحرص ثم فرك أطراف أصابعه في جيبه ملقيًا برقائق الذهب فيه، كأنه يرشُّ الملح على الحساء.

"سأتركك لحمامك"، وانسحب من الغرفة.

لكن بدلًا من أن يعود للأسفل أسرع عبر الردهة، متجهًا لغرفة أنا، وأدخل مفتاحه الرئيسي بسهولة في قفل الباب. دخل غرفتها واتجه إلى الخزانة حيث تحتفظ بملابسها. كان لديها خمسة فساتين، اشترتهم بعد انتشالهم من سفينة شحن بخارية تحطمت على الحاجز القاري. توجه لزي العُهر أولًا. وبخبطات سريعة من أصابعه تحسّس خياطته، وبطائنه. ومثله مثل الفستان القطني، كان الفستان محشوًا بالذهب! اتجه للفستان التالي، والتالي، والتالي؛ كلها على هذا الحال. أجرى كلينش بعض الحسابات في عقله، أنا، في هذه الفساتين الخمسة، تخفي ثروة طائلة.

وجلس على سريرها.

أنا لم تذهب أبدًا إلى الحي الصيني مرتدية فستانها البرتقالي -يعلم كلينش هذا علم اليقين- ورغم ذلك فإن الفستان ممتلئ ذهبًا، مثله مثل الفساتين الأخرى. إذن فالأمر ليس مجرد اتفاق مع الشرقيين كما ظنَّ في البداية! هذه العملية تذهب إلى أبعد من حدود الحي الصيني. وربما حتى أبعد من حدود هوكتيكا. لا بُدَّ أن أحدهم يخطط لسرقة من الطراز الأول.

وفكّر في البدائل. هل يمكن أن يستخدم مانرينج أنا لتهريب الذهب خارج أخدود هوكتيكا، بدون علمها؟ تلك المهمة ليست صعبة: سيكون عليه فقط أن يعطيها غليونًا من الأفيون، وينتظر حتى تغرق في النوم، وبعدها يمكن خياطة الذهب في فستانها، ربما يكون الأمر هكذا. لكن لا: من غير المعقول أن يقدم مانرينج على مثل هذه المخاطرة دون أن يضمن كتمان العاهرة للأمر. بحق السماء، إنها تحمل على جسدها ما قيمته مئات أو حتى آلاف الجنيهات. لا بُدَّ أنها تعلم بالأمر. فمانرينج ليس بأحمق حين يتعلق الأمر بالأموال. لن يضع ثروة في حوزة إحدى العاهرات بدون ضمانات. لا بُدَّ أن أنا قد قدّمت له بعض الضمانات، قد تكون دينًا، أو التزامًا من نوع ما. لكن ما الذي تملكه بحيث يمكنها تقديمه له كضمانة لثروة من الذهب الخالص؟

فجأة ثار بداخله الغضب، فلکم كliness اللحاف بباطن يديه. مانرينج! جن جنونه حين تصوره يخطط لخدعة من هذا النوع، في الوقت الذي تنام فيه أنا تحت سقف كliness، وتتناول طعامها على طاولته! ماذا لو أتت الشرطة؟ ماذا لو فتشوا غرفتها؟ مَنْ سيتحمل المسؤولية وقتها؟ مَنْ سيتم إلقاء المسؤولية على عاتقه؟ كان يجب عليهم أن يمنحوه جزءًا من الأرباح، أو على الأقل، يخبروه! والصينيون بلا شك متورطون في الأمر، أثار هذا غيظه. ربما هوكتيكا بأكملها تعرف بالأمر. تلفّظ كliness بشتمة. واشتد حنقه، فليذهب ديك مانرينج إلى الجحيم.

سمع طرطشة المياه في الغرفة الأخرى -لا بُدَّ أن أنا قد استيقظت- وتساءل، بسرعة، إن كان يجب عليه أن يستولي على الفسّاتين من الخزانة. بإمكانه أن يحتفظ بها كهدية في مواجهة مانرينج. بإمكانه أن ينتزع ينتظر حتى تستعيد أنا وعيها ويسألها عن الأمر. بإمكانه أن ينتزع اعترافًا، أو اعتذارًا. لكن خاتنه شجاعته. دائمًا ما أعاقت إدجار كliness

مشاعره الصعبة؛ فأحزانه رغم حدّتها نادرًا ما تطوّرت لما هو أكثر من التعبير غير المنطوق عنها في عقله. فترك غرفة أنا بقلب مُثقل بالحزن، وعاد للطابق الأسفل، وفتح قفل باب الفندق.

چاسكوين: "أرجو أن تقبل عميق أسفي".

رمش كلينش بعينه. "لماذا؟".

"لأني ألمحت أنك تحمل في قلبك للأنسة ويذريل شيئًا آخر غير مصلحتها".

كلينش: "آه. نعم. حسنًا، أشكرك".

چاسكوين: "مع السلامة".

تلقى كلينش هذا الوداع بإحباط. تمنى لو بقي چاسكوين لبعض الوقت -على الأقل حتى يعود خادمه من غدائه- ليتحدث معه ثانية في الموضوع. دائمًا يؤلمه أن ينهي محادثةً بشكل غير مهذب. وفي الواقع فهو يودُّ أن يتحدث مع چاسكوين عن دين أنا. بالرغم من العدوانية التي تعامل بها حين جاء ذكره للمرة الأولى. إنه لم يقصد أن يفقد أعصابه مع أنا عصر اليوم السابق. لكنها كذبت عليه حين قالت إنها لا تملك شلنًا واحدًا. بينما لديها مئات وربما آلاف الجنيهات مخيطة في فساتينها داخل خزانتها! الفساتين لا زالت في مكانها؛ بالذهب الموجود فيها، حيث يتفقّدها كلينش كل حين وآخر، ليتأكّد أن الذهب لم يُنتزَع منهم. لِمَ يدفع فاتورة معيشتها اليومية، في حين أنها تملك مثل هذه الثروة العظيمة؟ لِمَ يهُون عليها متاعبها، بينما هي تتأمر ضده، بل وتكذب في وجهه؟ ملأته شهور الصمت بالمرارة، وفي لحظة نضجت المرارة وتحولت لضغينة.

خطا للأمام ومدّ يده، قاصدًا تأجيل رحيل چاسكوين. أراد أن يترجّاه ألا يغادر؛ أراد فجأة وبشدة ألا يبقى بمفرده. لكن ماذا عساه

أن يقول لچاسكوين، ليقنعه بالبقاء؟ وكنوع من المماطلة، قال: "إلى أين أنت ذاهب؟".

ضايق السؤال چاسكوين. كم هي مؤلمة المعيشة في الأماكن النائية! حيث يطلب من المرء مشاركة شؤونه الخاصة؛ ليس الحال هنا مثل باريس، أو لندن، حيث يحسُّ بالمرء برفاهية الغربية على كل ناصية؛ حيث يمكن للمرء بحق أن يكون وحيدًا.

قال چاسكوين باقتضاب: "لديّ موعد".

"موعد مع مَنْ؟ وما الموضوع؟".

تنهَّد چاسكوين. كم هو مُملُّ أن يتم سؤاله! كلينش يبدو كأنه متضايق... كأن رحيل چاسكوين يضايقه! كيف هذا، لقد تقابلا للمرة الأولى منذ عشر دقائق فقط.

قال چاسكوين: "أنا ذاهب مع إحدى السيدات، لتتفرَّج على القبعات".

نقطة التقاء في برج العذراء

حيث يتم مقاطعة كيي لونج ثلاثة مرات، ويتشَبَّث تشارلي فروسْت برأيه، ويشير سووك يونج شينج إلى مشتبه به، ويندهش الجميع.

في نفس اللحظة التي غادر فيها چاسكوين إدجار كلينش، صافحاً خلفه الباب الأمامي لفندق جريديرون بطريقة غير لائقة. كان ديك مانرينج وتشارلي فروسْت يترجّلون من المعدية إلى صخور ضفة النهر في كانيير. هارالد نيلسن التاجر بالعمولة كان بدوره يقترب من كانيير، وبسرعة، مشياً على الأقدام؛ وقد مرّ لتوّه باللافتة الخشبية التي تقول أنه على بُعد نصف ميل من المستعمرة، شجّعته اقترابه على الإسراع في خطوه، لكنه ظل يمرّر عصاته في العشب المبتل النامي على حافة الطريق وهو يمشي. الهدف المشترك بين الثلاثة رجال هو الوصول

للحي الصيني في كانير وطلب مقابلة صائغ الذهب الصيني المدعو كيي لونج، الذي فوجئ في نفس هذه اللحظة - كما سيتم مفاجأته مرة أخرى - بوصول ضيف غير متوقَّع بالمرّة.

"الحي الصيني" اسم لا يُصوّر بدقّة التّجمُّع الصغير لبعض الخيم والكبائن المبنية بالحجر، الكائن على بُعد مئات الياردات من مناجم كانير، في اتجاه منبع النهر، ورغم أن جميع رجاله ينحدرون من جوانج دونج، ومعظمهم من جوانزو، لكننا بالكاد يمكننا القول إن تجمُّعهم يصنع حيًّا: حيث يبلغ تعدادهم وقتها خمسة عشر صينيًّا. وفي هذا التجمع الصغير برز بيت كيي لونج بمدخلته الجميلة، المصنوعة من الطمي. تخرج هذه المدخنة من فرن مصنوع من الطوب تمّ بناؤه كمسبك صغير، مزوّد بصندوق من الحديد الزهر تحت رفٍّ مرتفع من الطمي، ومبني في منتصف الغرفة الوحيدة التي يتكون منها البيت؛ هذا الرف الطيني هو السرير الذي يأوي إليه كيي لونج ليلاً، متدفئًا بالحرارة التي احتفظ بها طوب الفرن من نيران النهار. حين يسبك إنتاجه الأسبوعي من الذهب، كان يملأ صندوق النيران بالفحم، لأنه رغم تكلفته العالية كوقود، فهو يعطي حرارةً أعلى من فحم الكوك؛ أما اليوم فإن البوتقة ومنفاخ الكير يجلسان على جنب، وصندوق النيران محشوٌّ بخليط من الحطب، بطيء الاشتعال.

كيي لونج رجل بصدر عريض وجسد متناسق وقوي، عيناه مستديرتان عند الزاوية الداخلية ومسحوبتان للخارج لتنتهيا بنقطة عند خديّه؛ وجهه تقريبًا مُرَبَّع. وحين يبتسم، يكشف عن الكثير من الأسنان المفقودة؛ فقد فقد اثنين من الثمانية قواطع الأمامية، والضروس الأمامية في فكّه السفلي. هذه الفراغات في ابتسامته تُدكّر المرء بطفل يبدّل أسنانه اللبنية، وهو وصف كان كيي لونج ليصف به نفسه، وهو يتمتع بعين ناقدة، وبديهة سريعة، ونزعة للسخرية اللاذعة، وخاصة السخرية من نفسه. فحين يتحدث عن نفسه يرسم

لها صورة رخوة واهية، بغرض المزاح، لكن ذلك يفضح ضعف ثقته الشديد بنفسه. فكيي لونج يقيس كل أفعاله بمقياس خاص للكمال، ودائمًا ما يكدح في خدمة ذاك المقياس، وكنتيجة لذلك؛ لم يكن أبدًا راضيًا عن أي جهد يبذله، أو عن نتيجة تلك الجهود، ومالت روحه للانهمام. لم يعلم مواطنو التاج البريطاني بأي من تلك التفاصيل عن شخصيته، فحصوله كئي لونج من الإنجليزية تبلغ حوالي الثمانين أو المائة كلمة، لكن بالنسبة لمواطنيه فقد اشتهر بدعاباته الساخرة، وروحه الحزينة، وسعيه الدؤوب في خدمة المثاليات التي لا يمكن الوصول إليها، أو الشك فيها.

أتى لنيوزلندا بعقد عمل، بموجب هذا العقد، وفي مقابل تذكرة سفره من وإلى جوانجزو، وافق كئي لونج أن يسلم الجزء الأكبر من دخله من العمل في حقول الذهب إلى خزينة الشركة. وبسبب شروط عقده -التي لم تكن مرنة ولا رحيمة- أصبح فقيرًا مُعَدَمًا؛ ورغم هذا ظلّ عاملاً متفانيًا. وحلمه -الذي يصعب تحقيقه للأسف- هو أن يعود إلى جوانجزو وفي جيبه سبعمائة وثمانية وستون شلنًا، ويعيش عليهم بقية أيامه. (تمَّ اختيار هذا المبلغ بالتحديد لسببين؛ أحدهما يتعلق باليمن والبركة، لأنه حين ينطق الرقم بالصينية يبدو قريب الشبه بجملة "ثروة خالدة"؛ السبب الآخر يتعلق بكئي لونج، فهو يعمل بأقصى طاقته حين يمكنه أن يتخيل وصوله لهدفه).

والد كئي لونج، السيد كئي جيوانج، عمل في جوانجزو كغفير. أمضى حياته العملية يقطع المسافة حول سور المدينة جيئةً وذهابًا، يشرف على فتح وغلق الأبواب، ويتأكد من تغيير دوريات البوابين بشكل صحيح. كان منصبًا مهمًا برغم رتابته، وفي صِغَره كان كئي لونج فخورًا بمكانة أبيه. لكن حين اشتعلت الحروب التجارية في السنوات الأخيرة، بهت رونق منصب السيد كئي جيوانج. في عام 1841 تمَّ اجتياح جوانجزو، ورمقت المدينة تحصيناتها بيأس. حيث

اجتاح الجنود البريطانيون القلاع بأعداد فاقت أعداد جنود الملك كينج، واكتسحت الدفاعات الصينية. احتلّ البريطانيون المدينة، وأسروا كيسي جيوان، مع مئات من رفاقه، واشترطوا في مقابل إطلاق سراحهم أن تفتح جوانجزو ميناءها للتجارة.

العار الذي أحسَّ به كيسي لونج نتيجة استسلام مدينته المتكرر (حيث سيحتل البريطانيون المدينة ما لا يقلُّ عن أربع مرات أخرى في السنوات التالية) قَمَّت مضاعفته مائة ضعف بالعار الذي أحسَّه نيابة عن والده. فقد حطم الخزي كي جيوانج. وتوفي الرجل بعد نهاية الحرب الثانية بقليل؛ بعد أن واجه فوهات البنادق البريطانية المصوبة ناحيته لثلاثة مرات، وبعد أن انهزم واستسلم في المرات الثلاثة.

كيسي لونج لا يرغب في تَخَيُّل رأي والده فيه إن نظر لحاله الآن. فقد وهب كيسي جيوانج حياته وشرفه للدفاع عن الصين ضد المطالب البريطانية غير المعقولة، والآن، وبعد ما يقلُّ عن ثماني سنوات من وفاته، فإن كيسي لونج هنا، في نيوزلندا، يتربَّح من نفس الظروف التي حاول والده، وبلده، بلا جدوى، أن يمنعوها. إنه ينام على أرض غريبة، وينقب عن الذهب (الذهب وليس الفضة)، ويسلم الجزء الأكبر من عائدته اليومي إلى منشأة بريطانية، منشأة لن يُسَمَّح له أبداً أن يشغل أحد مناصبها القيادية. وحين يحصي كل الخيانات التي اقترفها فإن أكثر ما يضايقه لم يكن إحساسه بالعار من حجوده لتراث والده، ولكنه إحساس نافذ بالحرمان من الحقوق. وحين ينظر إلى سلسلة الأزمات الممتدة التي شكَّلت حياته (وهذه هي نظرته لحياته، كأن شخصيته تقف بشكل دائم عند مفترق طرق، لكن أين ستأخذه تلك الطرق، هذا ما لم يعرفه، لأن هذه الحيرة بلا بداية حقيقية، وبلا نهاية متوقَّعة) يحس كيسي لونج دائماً بالانفصال: الانفصال عن عمله، والانفصال عن آمنيات والده، والانفصال عن الظروف التي جلبت العار لبلده، وعائلته. يحس أنه لا يعرف مَآذا يشعر.

لكن هناك أمر واحد ظلّ كيي لونج مخلصاً فيه لذكرى والده: الأفيون... هو لا يتعاطى الأفيون، ولا يسمح لأحد أن يتعاطاه في مجلسه، ولا يسمح لمن يحبهم بتعاطيه. هذا المخدر بالنسبة لكيي لونج رمز يمثّل عمق الهمجية الغربية تجاه حضارته، ووحشيتها التي لا تُغتفر. والازدراء الذي تمّ التعامل به مع حياة الصينيين في مواجهة الأهداف الغربية الخالية من الحياة، والمتمثلة في الربح والطمع. كان الأفيون إنذاراً للصين، إنه الجانب المظلم للتوسع الغربي، إنه نصفه الأسود الذي يكمله، كما تكمل الين اليانج. كثيراً ما قال كيي لونج إن رجلاً بلا ذاكرة هو رجل بلا بصيرة، ثم يضيف، مازحاً، أنه كثيراً ما ذكر هذا المثل قبل ذلك، وأنه مُصمّم أن يستمر في ذكره، بلا تغيير. وأن أي صيني يمسك بيده غليوناً هو، في رأي كيي لونج، خائن وأحمق في نفس الوقت. وكان كل مرة يمر بوكر الأفيون في كانبير، يدير وجهه ويصق على الأرض.

إذن، سيكون من قبيل المفاجأة لنا أن نعرف أن الرجل الذي يتحدث معه كيي لونج في هذه اللحظة ليس إلّا سووك يونج شينج، الرجل الذي يدير وكر الأفيون في كانبير، والذي باع لآنا ويذريل قطعة الأفيون التي كادت تودي بحياتها، منذ أسبوعين. (مبدأ كيي لونج بخصوص تحريم الأفيون لا يشمل آنا ويذريل، التي طالما زارته بعد تعاطيها للأفيون في وكر كانبير، حين يجعل المخدر جسدها مرخياً وطرياً، ولا يمكنها أن تنطق سوى بالأنين. لكن لم يحدث أن رأى كيي لونج أدوات الإدمان الخاصة بها، رغم أنه يستفيد كثيراً منه؛ وإذا ما حدث وأظهرت المخدر في وجوده، فسيخبطه من يدها. على الأقل هذا ما كان يقوله لنفسه. وتحت هذا التشدد الغامض سكن اعتقاد آخر، لم يفصح عنه، يرى في إدمان آنا المثير للازدراء نوعاً من التحقق للعدالة الكونية).

سووك يانج شينج وكيي لونج لم يكونا صديقين، حين دَقَّ الأول باب كيي لونج في عصر هذا اليوم، ملتَمِسًا مساعدته وكرم ضيافته، استقبله الأخير بقدر لا يستهان به من الفزع. فالرجلان، على حدِّ علم كيي لونج، لا يجمع بينهما إلا ثلاثة أشياء: مكان الميلاد، واللغة، والولع بعاهرة غريبة. وقد تصوّر كيي لونج أن البند الثالث من قائمة الاهتمامات المشتركة هو ما يرغب سووك يونج شينج في الحديث بشأنه؛ لأنّ أنا ويذريل كانت موضع الكثير من التكهّنات والآراء في الأيام الأخيرة؛ واندھش حين أعلن ضيفه أن ما يودُّ الحديث بشأنه يتعلق برجلين، أحدهما يدعى فرانسيس كارفر، والآخر يدعى كروسبي ويلز.

سووك يونج شينج يصغر كيي لونج بحوالي العشر سنوات. بوجه ذي حاجبين باهتين للغاية، ومنحنيتين بشكل يعبر عن دهشة خفيفة. وعينين كبيرتين، وأنف عريض، وشفتين بديعتين ممتلئتين. ورغم أنه في حديثه كثير الحيوية والانفعال، لكنه حين ينصت يظل وجهه ساكنًا تمامًا، وبسبب هذه العادة ظنَّ الآخرون فيه الحكمة. وهو كمواطنه حليق الوجه، ومثله أيضًا شعره مُصَفَّف في ضفيرةٍ تتدلى من أسفل رأسه، رغم أنه في باطنه يضمّر مشاعر قوية ضد الجنس المنشوري، ولا يأبه بامبراطورية كينج؛ فتصفيفه لشعره لم يكن بحكم الهوى، وإنما بحكم العادة من صِغَره. كان يرتدي، أيضًا مثل مضيفه، قميصًا قطنيًا طويلًا رمادي اللون وبنطلونًا بسيطًا، وفوقهم معطف صوفي أسود بحزام.

كيي لونج لم يسمع من قبل بفرانسيس كارفر أو بكروسبي ويلز، لكنه أومأ بمنتهى الجدية، وتحنّى جانبًا، واستقبل ضيفه داخل بيته بترحاب، وأصرَّ على جلوس سووك يونج شينج في أفضل وأقرب موضع إلى المدفأة. وقدم له أفضل ما لديه من طعام، وملأ وعاء بالماء لتحضير الشاي، واعتذر لبساطة ما يقدمه. انتظر تاجر الأفيون في

صمت حتى أنهى مضيغه مهامه كلها. ثم انحنى انحناء كبيرة وأثنى على كرم ضيافة أه كىى؁ وذاق من كل الأطباق الموضوعة أمامه؁ وأثنى عليها واحداً واحداً. وبعد الانتهاء من هذه الرسميات بدأ سووك يونج شىنج فى إىضاح السبب الحقيقى وراء زيارته؁ وتحدث بطريقته المعتادة؁ المليئة بالحيوية؁ والمبالغات الشعرية؁ والأمثال الدارجة جميلة المعنى؁ لكن هذه الطريقة ليست دائماً واضحة.

على سبيل المثال؁ فقد بدأ حديثه قائلاً إن الشجرة الكبيرة دائماً ما تحمل أغصاناً ميتة؛ وأن أفضل الجنود ليسوا مولعين بالحرب؛ وأنه حتى الخشب الجيد قد يُفسد الموقد؁ وقد أتت هذه الجمل سريعة ومتتالية؁ وخالية من أى سياق ثابت؁ فارتبك كىى لونج. ووجد نفسه مضطراً لقدح زناد فكره؁ فردّ عليه ساخراً بمثل يقول إن الميزان يتّزن عند الثقل المناسب؁ مُلمّحاً بهذا المثل؁ إلى أن ضيفه بدأ حديثاً يفتقد الترابط.

وهنا سوف نتدخّل؁ ونسرد حكاية سووك يونج شىنج بالطريقة التى حدثت بها الأمور التى يؤدّ أن يبوح بها؁ بدلاً من أسلوبه الخاص فى السرد.

Φ

نادراً ما جازف أه سووك بدخول هوكتىكا. ظل معظم الوقت فى كوخه فى كانىير؁ وقد أثّته كغرفة ضيافة؁ بأرائك قابلة للتحوّل لأسرة مستندة إلى كل حائط من حوائطه؁ ووسائد مبعثرة؁ وأقمشة معلّقة بدبابيس بغرض الحفاظ على دوامات الدخان الكثيف المتصاعدة من الغلايين؁ وحجبها عن الخارج؁ ومجامر للنار؁ ومصابيح زيت؁ وموقد. أعطى وكر الأفيون الإحساس بالحصانة المنيعه؁ وهذا الانطباع

بالإضافة إلى الضباب الدافئ لجوّه المغلق منحا أه سووك راحةً أصبح يدمنها. لكنه على مدار الأسبوعين الماضيين ارتحل إلى مصب النهر لمرات ليست أقل من خمسٍ.

في صباح يوم الرابع عشر من يناير (في توقيت يسبق حادثة أنا ويذريل بحوالي اثنتي عشرة ساعة)، تلقى أه سووك مرسولاً من جوزيف بريتشارد يخبره فيه أن شحنة الأفيون التي طال انتظارها قد وصلت للتو إلى متجر الأدوية الخاص به، وهي جاهزة للبيع. كان مخزون أه سووك من المخدر قليلاً جداً؛ فارتدى قبعته، واتجه لهوكتيكا فوراً.

ومن متجر بريتشارد للأدوية اشترى نصف رطل من عجينة الأفيون ودفع مقابلها ذهباً. وفي الشارع، وقطعة الأفيون الملفوفة بالورق ترقد بأمان في حقيبته، غمر أه سووك إحساس بالابتهاج بالصيف، وهو إحساس نادراً ما يثيره صباح هوكتيكا بداخله؛ فالشمس مشرقة، ورياح بحر تسمان منحت الهواء حدة مألوفة. والجموع في الشارع تبدو مبتهجة، وعند مروره فوق البالوعة، لمس منقّب عابر طرف قبعته وابتسم له. قرر أه سووك، وقد شجعت هذه اللفتة العارضة، تأجيل عودته إلى كانيير. قرر أنه سيقضي ساعة أو نحوها يتفحص صناديق الشحن المنتشرة من حطام السفن في شارع تانكريد، كهديّة يقدّمها لنفسه. وبعدها قد يشتري بعض اللحم من الجزار، ويرجع لبيته ليصنع منه حساء.

ولكن على ناصية شارع تانكريد توقّف كل شيء، وتلاشى مزاجه الرائق الميال للاحتفال على الفور؛ ففي نهاية الشارع وقف رجل لم تقع عيناه سووك عليه منذ أكثر من عقد من الزمن، رجل ظنّ أه سووك أنه لن يراه مرة أخرى.

تغير الرجل كثيراً عن آخر لقاء جمعهما. وجهه المغرور طاله الكثير من التَّشَوُّه، والسجن لعقد من الزمن قتل عضلات صدره وذراعيه. لكن وقفته لم تتغير: كانت كتفاه منحيتين قليلاً، وظهر كفاه على خصره، تماماً كما اعتاد أن يقف في الماضي البعيد. (كم هو عجيب أن تبقى حركات المرء وإيماءاته على حالها، حتى وإن تغيرَّ الجسد، وذبل، واستسلم لتقدُّم العمر ومرور الأيام، كأن الإيماءات هي الوعاء الحقيقي، هي المزهرية التي توضع فيها زهرة الجسد. فرانسيس كارفر بشحمه ولحمه هو مَنْ اعتاد الوقوف بخصره منثنٍ قليلاً للأمام، وأكتافه منحنية، وهي وضعية قد تضيي مظهرًا سيئًا على رجل آخر. لكن حضور كارفر، برزائته، وغموضه، ومهابته، سمح له بالتغاضي عن قواعد المظهر التي يلتزم بها الرجال الآخرون، متوسِّطو الحال، في وقفتهم). التفت كارفر ليلقي بنظرة إلى الشارع، فقفز أه سووك جانبًا، بعيدًا عن مرمى بصره. واستند على خشب الصنوبر الخشن لحائط متجر البقالة، وانتظر قليلاً حتى تهدأ دقات قلبه المتسارعة.

لم تكن تفاصيل التاريخ الذي جمع سووك يونج شينج وفرانسيس كارفر معروفة لكيبى لونج، لكن أه سووك لم يسرد كافة تفاصيل الحكاية في هذه الزيارة. فقط أخبر مضيِّفه أن فرانسيس كارفر قاتل، وأنه، سووك يونج شينج، أقسم أن يقتل كارفر أخذاً بالثأر. وباح بهذا بطريقة تكاد تكون لا مبالية، كأنه من الطبيعي أن يقسم الإنسان على الثأر من أعدائه؛ والحقيقة أن تلك اللا مبالاة كانت نابعة من الألم؛ فهو لا يحبُّ التعمُّق في تفاصيل ماضيه المؤلمة. أحسَّ أه كيبى أن الوقت غير مناسب ليقاطعه، فاكتفى بالإيماء برأسه، لكنه احتفظ بالحقائق المتعلقة بالموضوع، عازماً على تذكُّرها.

وأكمل أه سووك حكايته.

ظل جبينه ملتصقًا بالكِسوة الخشنة لحائط محل البقالة لثوانٍ عديدة. وحين انتظم تنفُّسه تحرك لحافة المبنى لينظر إلى كارفر مرة أخرى؛ فحين ينظر المرء، بعد طول انتظار، للوجه الذي استحضره في أشد أحلامه بطشاً وانتقاماً لهُوَ متعة من أندر المتع وأكثرها إثارة للشغف، وأه سووك قد استحضر وجه كارفر في منامه لما يقرب من خمسة عشر عامًا. كُرهُه للرجل لا يحتاج إلى إحياء أو تجديد، لكنه أحسّ، وهو ينظر لكارفر الآن، بنوبة غير مألوفة، وخارجة عن السيطرة، من الغضب: فهو لم يكره الرجل مثلما كرهه في تلك اللحظة. وإن كان يحمل مسدسًا لأطلق عليه الرصاص فوراً، وفي ظهره.

كان كارفر يتحدث مع شاب من الماوري، ومن وقفتهما خَمَن أه سووك أنهما غريبان عن بعضهما؛ فقد وقفا وبينهما مسافة، كمن تجمعهم معرفة، وليست صداقة. لم يستطع سماع حديثهما، لكن من طبيعته السريعة المتقطعة استشفَّ أنهما يتقايسان؛ الماوري كان يومئ بشدة، ويهزُّ رأسه. وبعد فترة بدا كأنهما اتَّفقا على سعر محدّد، وأخرج كارفر محفظته ووضع بعض القطع النقدية في يد الماوري المفتوحة. من الواضح أنه اشترى معلومات من نوع ما، فالماوري بدأ يتحدث طويلاً، وبإيماءات مبالغ فيها. ردّد كارفر المعلومات، ليثبتها في عقله. أوما الماوري موافقاً، وتحدث قليلاً. بعدها تصافحاً، وافترقاً، اتجه الماوري شرقاً إلى الجبال، واتجه كارفر غرباً، إلى مصب النهر، وأرصفة الميناء.

فكر أه سووك أن يتبع كارفر من مسافةٍ تضمن عدم انكشاف أمره، لكنه تراجع عن الأمر؛ فهو لا يودُّ أن يجتمع بالرجل دون أن يستعدّ لهذا اللقاء. وهو غير مسلّح، ويظن أن كارفر مسلح بسكين على الأقل، وربما بمسدس من نوع ما: من الجنون أن يبادره وهو في حالة غير مواتية. وبدلاً من ذلك، انطلق أه سووك في أثر الماوري الذي كان في طريق عودته إلى وادي الأراهورا لينصب فخاً للطيور، بعد

أن اشترى من متجر هوكتيكا للسلع والأدوات عدة ياردت من خيط سنارات السمك القوي، ورغيفًا صغيرًا من خبز البحارة الجاف ليفتته كطعم.

لحق به أه سووك في مربّع المباني التالي وأمسك كُمه. وترجّاه ليعرف محتوى محادثته مع كارفر، وأخرج قطعة نقدية ليريه أنه سيدفع مقابل المعلومة إذا اضطرّ لذلك. لبرهة نظر له تي رو تاوهار محاولاً سبر غوره، ثم هزّ كتفيه، وأخذ القطعة النقدية، وأخبره بما حدث.

قال تاوهار إنه منذ شهور مضت، عرض عليه فرانسيس كارفر مكافأة مالية مقابل أية معلومات عن رجل يدعى كروسبي ويلز. وبعد هذا العرض بقليل عاد كارفر إلى ديونندن، وعاد تاوهار إلى جراي ماوث: ولم يلتقِ الرجلان ثانية. ولكن تشاء الصدّف أن يلتقي تاوهار بالرجل الذي يبحث عنه كارفر، ومنذ ذلك الحين أصبح كروسبي ويلز صديقًا عزيزًا لتاوهار. استرسل قائلاً إن السيد ويلز يعيش في وادي الأراهورا؛ وهو مستكشف سابق، وقد كرّس حياته حاليًا لمشروع بناء ورشة أخشاب.

(تحدث تاوهار ببطء، وبالكثير من الإيماءات والإشارات؛ من الواضح أنه اعتاد التواصل باستخدام يديه وتعبيراته، وكان يتوقّف بعد كل جملة ليتأكد أن كلامه مفهوم بطريقة صحيحة. اكتشف أه سووك أنه يستطيع فهم ما يقوله بمنتهى الوضوح، رغم أن الانجليزية ليست اللغة الأم لدى الرجلين. وهمس بالأسماء لنفسه: وادي الأراهورا، تي رو تاوهار، كروسبي ويلز).

أوضح تاوهار أنه لم يرَ كارفر ثانية سوى هذا الصباح، صباح الرابع عشر من يناير. لمح كارفر على ساحل هوكتيكا منذ ساعة مضت، وتذكّر العرض الذي قدّمه القبطان منذ شهور مضت، فرأى

فرصة سهلة للربح. فتقدم من كارفر وأعلن أن لديه أخباراً تخصّ كروسبي ويلز مقابل بعض المال، إذا كان عرض كارفر لا يزال قائماً، وكان العرض قائماً. واتفقا على السعر (شلنين) وحين أمسك تاوهار النقود في يديه، أخبره بمحل إقامة كروسبي ويلز.

لم يجد أه سووك ممّا فهمه من قصة تاوهار ما يفيدُه وقتها؛ لكنه شكر الرجل بمنتهى الأدب على ما أخبره به، وودعه. ثم عاد إلى كانيير حيث وجد آنا ويذريل جالسة في بقعة من ضوء الشمس خلف بابهِ، تنتظره. أحسّ فجأة بالعطف عليها (فكل ما يذكّر أه سووك بمتاعب ماضيه يزوّده بثروة من مشاعر الرغبة في التضحية تجاه حاضره) فأهداها نصف أوقية طازجة من المخدر الذي اشتراه ذلك الصباح من بريتشارد. لفّت الهدية في قطعة مربّعة من قماش الشاش وحشرتها في الشريط الذي يزيّن قبعته. بعدها أوقد أه سووك مصباحه، ورقدا سوياً، واستيقظا مع قدوم الغسق حين بدأ الهواء يبرد، حينها غادرته آنا، والتفت أه سووك لإعداد طعامه.

الصائغ أه كيي، الذي تُتلى على أسماعه هذه الحكاية بسرعة كبيرة، وجد أن انطباعه عن ضيفه يتغيّر بسرعة كبيرة. أه كيي لم يظن الخير في أه سووك، الذي دائماً ما بدا مغلفاً بظلال دخانه فوّاح الرائحة، والذي يتحاشى صحبة الرجال الآخرين، ويبعثر ربحه الضئيل في بيت القمار، حيث يرمي نرده في صمت، ويصق على الأرض بقلة احترام. حين نظر لأه سووك الآن أحسّ أنه كان مخطئاً في رفض شخصية المنعزل بالكامل. فقد بدا الرجل الجالس أمامه الآن... ما هي الصفة المناسبة؟ فاضلاً؟ صاحب مبادئ؟ تلك ليست الصفات المناسبة. فحديثه حماسي، وتلك الحماسة تلونها الرقّة التي تكاد تستحيل لسذاجة. أدرك أه كيي، مندهشاً، أنه لا ينفر منه. وأحسّ بالزهو لأن أه سووك سعى لصحبته -واطمأن إليه- في عصر يومهم هذا، وذلك السرور أتاح له أن يتعاطف معه؛ بالإضافة إلى أمر آخر،

فحتى الآن لم يستطع أن يخمّن السبب وراء زيارة الرجل؛ ولهذا كان مفتونًا بحكايته. ونسي لحظتها اعتراضه على مهنته، ورائحة دخانه المثيرة للغثيان، والتي جلبها معه، على ثيابه، وفي شعره.

توقف أه سووك ليملاً فمه من اللبن الرائب. وأثنى مرة ثانية عليه، ثم استأنف قصته.

في ليلة الرابع عشر من يناير، وبعد لقاء فرانسيس كارفر مع كروسبي ويلز مباشرة، رفعت جودسبيد مرساتها، وهو ما لم يعلم به أه سووك إلا بعدها بعدة أيام. فقد ظلّ في كانيير مشغولاً بالتخطيط لجريمته وشيكة الحدوث. فهو شديد الحرص على الطقوس، وكان يرغب بشدة في أن يقتل كارفر بطريقة لائقة؛ لكنه لا يملك مسدّساً، وعلى حدّ علمه، لا يملك أحد مواطنيه مسدّساً. سيتحتم عليه شراء مسدس، سرّاً، وسيتحتم عليه أن يتعلّم إطلاقه بنفسه. وقد أنفق للتو كل ما يملكه من الذهب لشراء الأفيون من متجر بريتشارد، ولا يملك أي مال بحوزته. أيا طلب قرضاً من أحد رفاقه؟ كان يتأمل تلك المشكلة حين أتته الأخبار السيئة من هوكتيكا، بأن أنا ويذريل حاولت إنهاء حياتها، وفشلت في محاولتها.

انزعج أه سووك كثيراً من هذا الخبر، رغم أنه حين تمعّن فيه لم يصدقه بالمرة. وظنّ أن شحنة بريتشارد الجديدة من الأفيون مسمومة. فأنا معتادة تماماً على المخدر، وجزء من الأوقية لا يكاد يكفي لتفقد الوعي لساعات طويلة، بحيث لا يمكن إفاقتها. عاد أه سووك إلى هوكتيكا في الصباح التالي وطلب مقابلة توماس بالفور، وكيل الشحن الخاص ببريتشارد.

وحدث أن ذلك الصباح (السادس عشر من يناير) هو نفس الصباح الذي اكتشف فيه توماس بالفور اختفاء صندوق الشحن الخاص بمتعلقات أليستار لودرباك الشخصية من على أرصفة ميناء هوكتيكا؛

ونتيجة لذلك كان وكيل الشحن مُقْتَضَب في رده ومشتت الفكر. أجل، بالفور للشحن متعاقدة مع بريتشارد، لكن بالفور شخصيًا ليس له شأن بالشحنة نفسها. قد يكون من الأفضل أن يحاول أه سووك التواصل مع المورد الخاص ببريتشارد، وهو رجل يبدو متوحشًا، ضخم الجثة، له ندبة على وجنته وطبعه خشن. واسمه فرانسيس كارفر. تُرى، هل يعرف أه سووك شخصًا بهذا الاسم؟

سيطر أه سووك على إحساسه بالصدمة بأفضل ما استطاع. وسأل عن المدة التي قضاها بريتشارد وكارفر كشركاء في العمل. ردَّ بالفور بأنه لا يعلم، لكن بما أن كارفر ظهر حديثًا في هوكتيكا منذ ربيع العام الماضي، فقد استنتج أن علاقة الرجلين بدأت ولا بُدَّ خلال تلك الفترة. وأضاف بالفور أنه غريب أن أه سووك لم يقابل كارفر رغم أنهما يعرفان بعضهما! (وهو ما ظهر بوضوح من تعبيرات وجه أه سووك). لكن بالأخذ في الاعتبار أن كارفر نادرًا ما جال داخل البلاد، وأه سووك نادرًا ما أتي للمدينة؛ فالأمر ليس غريبًا لهذه الدرجة. هل يعرف كارفر من السنوات التي قضاها في كانتون؟ أجل؟ حسنًا، في هذه الحالة، فإنها لخسارة أن تضيع فرصة اللقاء! نعم، ضاعت، فالسيد كارفر أبحر مؤخرًا. منذ يومين اثنين. يا للخسارة! فالرجل قد أبحر غالبًا إلى كانتون، وفي هذه الحالة فهو لن يعود لهوكتيكا قريبًا. وصل أه سووك لهذه النقطة في روايته حين بدأت الغلاية في الغليان. أنزلها أه كيي من على الموقد وصبَّ الماء على الشاي لينقَّع. سكت أه سووك وراقب أوراق الشاي تغطس إلى قاع سلطانيته وتتجمَّع هناك. وبعد سكون طويل، استأنف الحديث.

باعتبار أن ما افترضه بالفور هو الحقيقة، وأن كارفر غادر هوكتيكا متَّجِّهًا لكانتون، ولن يعود قبل بضعة أشهر، عاد أه سووك إلى كانيير ليفكر في خطوته القادمة. لقد عرف من رجل الماوري، تاوهار، أن

فرانسييس كارفر كان يبحث عن معلومات عن رجل يُدعى كروسبي ويلز قبل مغادرته. ربما يمكنه الاتصال بكروسبي ويلز نفسه وسؤاله. فهو يذكر، من محادثته القصيرة مع تاوهار، أن ويلز يعيش في وادي الأراهورا، على بُعد بعض الأميال من الساحل في اتجاه منبع النهر. فذهب إلى هناك، واكتشف، لخيبة أمله الشديدة، أن الكوخ خالٍ: لقد مات الناسك.

في الأسبوع التالي، تابع أه سووك قصة ثروة ويلز عن قرب، وظنَّ، وليس ما ظنَّه عجيبيًا، أن وفاة الناسك مرتبطة بشكل ما برحيل كارفر. واستحوذ عليه هذا الهاجس لما يقرب من ثمانية أيام، حتى هذا الصباح، صباح السابع والعشرين من يناير، حين وقع على اكتشافين أثارا بداخله الكثير من الدهول.

كان أه سووك على وشك الإفصاح عن سبب زيارته حين مرَّق الهواء صوت الرصاص -فحدَّق في دهول- ثم ألقى صياح من خارج باب أه كيي.

"اخرج من عندك أيها الصيني العَفِن! اخرج من عندك وقِفْ أمامي كرجل!".

التقت عينا أه سووك مع عيني أه كيي. وبدون أن ينطق سألَه: مَنْ هذا؟ تقلَّصت عضلات فم أه كيي مُعلِنَةً قرفه: مانرينج. وبدا الخوف في عينيه.

في اللحظة التالية دُفعت ستارة الخيش جانبًا وسدَّ جسد مانرينج الباب. ويده قابضة على مسدس. "أجالسُ أنتَ حول الفرن؟ أتحيك المؤمرات؟ أنتما متورطان سويًا في الأمر؟ ظننتك أفضل من هذا يا چوني سووك! أهكذا تمرُّغ نفسك في الوحل بهذه الطريقة! يا الله... جنس حقير!".

وخطا داخلا الكابينة... بدا أقلَّ خطرًا ممَّا يحب، فالهيكل الداعم للجدران كان منخفضًا، فاضطر أن ينحني، ولفَّ ذراعه القوية حول جسد أه كيي. ووضع فوهة مسدسه ماركة سميث وويسون في رأس الرجل، وعلى الفور تجمَّد أه كيي.

مانرينج: "حسنًا، أخبرني. ما الأمر بينك وبين كروسبي ويلز؟".

للحظة لم يتحرك أه كيي بالمرة، ثم هزَّ رأسه قليلًا، مع إحساسه بضغط فوهة المسدس على جمجمته. فهو لا يعرف رجلًا يدعى كروسبي ويلز غير الذي حدثه عنه الآن أه سووك، وكل ما عرفه من الحكاية هو أن الرجل كان ناسكًا، وعاش في وادي الأراهورا، ومات منذ وقت قريب. ومن خلف مانرينج انسلَّ للغرفة تشارلي فروست... مبيضَّ الوجه، وبعدها بلحظات، قفزت الكلبة هولي داخلةً. كان فروها مبتلِّ للغاية. تمشَّت في الغرفة لاهثة الأنفاس، ونبحت بقوة عدة مرات، ولم يشغل أحدٌ نفسه بإسكاتها.

حين لم يُجب أه كيي، قال مانرينج، "حسنًا، هل أسألك بطريقة أخرى؟ أخبرني يا چوني كيي. ما الذي يفعله كروسبي ويلز بأربعة آلاف جنيه من ذهب الأورورا؟".

صدر عن أه كيي صوتًا متحيرًا. ذهب الأورورا؟ ليس هناك ذهب في الأورورا! الأورورا منجم ناضب. ومانرينج من بين كل الناس يعلم ذلك!

وزأر مانرينج. "محشورة في وعاء الدقيق. ومخبَّأة في الوسائد. وفي إبريق الشاي. وخزانة اللحم. هل تفهمني؟ أربعة آلاف جنيه من الذهب الصافي!".

كان أه كيي مقطبًا: ففهمه للإنجليزية محدود للغاية، لكنه يعرف كلمة "ذهب" وكلمة "أورورا" وأيضًا كلمة "ألف"، وبدا واضحًا جدًّا له أن مانرينج يرغب في استرجاع شيء قد فقده. لا بُدَّ أنه يقصد ذهب

فساتين أنا، الذهب الذي عثر عليه في عصر أحد الأيام حين رفع طرف تنورتها ووجدها ثقيلة، كأنها مليئة بالحجارة؛ الذهب الذي اختلسه منها، أسبوعًا وراء أسبوع، بفكّ خيط الفستان، غرزة غرزة، وقت نومها فوق سرير الطوب المبنى فوق هذا الموقد، وبطنها المنتفخ بحملها يعلو ويهبط مع أنفاسها، مُهمِّمةً إذا لمس طرف إبرته بشرتها. لقد سبك الذهب خلال الأسابيع والشهور التي تلت اكتشافه، ودمغ كل سبيكة مربّعة باسم المنجم الذي تعاقد على العمل به -الأورورا- قبل أن يذهب بالسبائك إلى محطة المخيم في كانير...

صرخ مانرينج. "أربعة آلاف جنيه!" (بدأت هولي في النباح) "الأورورا الملعون ناضب... إنه كومة من المخلفات! أنا أعلم هذا! وستينز يعلم هذا! الأورورا خالٍ من الذهب، وكان دائماً خالٍ من الذهب. أخبرني بالحقيقة. هل عثرت على ذهب في الأورورا؟ هل عثرت على عرق من الذهب؟ هل عثرت على عرقٍ من الذهب وسبكته وأخفيته في كوخ كروسي ويلز؟ أخبرني أيها الملعون! هولي، اسكتي! اسكتي!"

تعاقد أه كيي ينصّ على قيامه بالعمل فقط وبشكل حصري في منجم الأورورا؛ ينصّ التعاقد على منعه من التّربُّح إلا من الذهب المستخرج من تلك القطعة من الأرض. بعد أن سبك الذهب المخبأ في فساتين أنا ودمغ كل سبيكة منهم بكلمة أورورا سلّمها لمحطة المخيم ليتم وزنها وإيداعها بالبنك. حين نُشر سجلّ عائدات الأورورا ربع السنوية في الأسبوع الأول من يناير، ذُهل أه كيي حين اكتشف أن الذهب لم يتم إيداعه في البنك تحت حساب المنجم. لقد سرقه أحدهم من خزانة محطة المخيم.

دفع مانرينج المسدس أكثر في رأس أه كيي، وأمره مرة أخرى أن يتحدث، متلفظًا ببذاءات لن نستطيع تسجيلها هنا.

بلل أه كيي شفتيه. ليس لديه من اللغة الإنجليزية ما يكفي
ليعترف بكل ما حدث؛ وبحث بين الكلمات الإنجليزية القليلة التي
يعرفها. وأخيراً قال: "سيئ الحظ، سيئ الحظ للغاية".

صرخ مانرينج: "أصبحت الحق في ذلك، أنت سيئ الحظ. ولسوف
يزداد حظك سوءاً". وخبط وجنة أه كيي بمقبض مسدسه، ثم ضغط
فوهة المسدس في رأسه مرة أخرى، دافعاً رأسه جانباً. "لابد أن تفكر
في حظك يا چوني كي. لابد أن تفكر في كيفية تحسين حظك. سأقتلك.
سأثقب رأسك، وبوجود رجلين شاهدين علينا. سأفعل ذلك".
أصبح تشارلي فروست عصبياً جداً، فقال: "توقف عن ذلك".

"اصمت يا تشارلي".

فروست: "لن أصمت، أبعد هذا المسدس".

"لن أبعده ولو في مقابل أفريقيا".

"أنت تربكه!"

"هراء".

"أنت فعلاً تربكه!"

"أنا أحدثه باللغة الوحيدة التي يمكنه فهمها".

"لديك مفكرتك!"

وهذا حقيقي بالفعل. وبعد لحظة، وكأما اعترف بما قيل، أبعد
مانرينج المسدس عن رأس أه كيي. لكنه لم يُعد السلاح إلى جرابه.
توقّف للحظة يزن المسدس في يده، ثم رفعه مرة ثانية ليس ناحية
أه كيي، لكن ناحية أه سووك، الذي هو، من بين الرجلين، يتحدث
الإنجليزية الأحسن. وبفوهة المسدس مصوبة في وجه أه سووك قال

مكتبة
t.me/soramnqraa

مانرينج: "أريد أن أعرف إن كان قد وجد في الأورورا كنزًا، أريده أن يخبرني بالحقيقة، اسأله".

أعاد أه سووك سؤال مانرينج على أسمع أه كيي بالكانتونية، وجاءت إجابة أه كيي مطوّلة. حكى الصائغ التاريخ الكامل لمنجم أورورا، وكيف كان مانرينج يُملّحه، وكيف اشتراه ستينز؛ وشرح السبب وراء قراره بسبك حصىلة الإنتاج الأسبوعية للمنجم، ثم دمغ السبائك باسم المنجم الذي يعمل فيه؛ وأكّده لأه سووك أن الأورورا، على حد علمه، لم يكن يساوي شيئًا، وأن إنتاجه طوال ستة أشهر بالكاد يغطي نفقاته. نقل مانرينج ثقل جسده من قدم إلى الأخرى عابثًا. بينما هولي لا تكف عن الدوران في الحجرة بفم مبتسم، وهي تهز ذيلها العريض. أنزل لها تشارلي فروست يده لكي تلعقها.

حين انتهى أه كيي من حديثه ترجم أه سووك، "ليس هناك قطع ذهبية، ليس هناك كنز. أه كيي يقول إن الأورورا منجم ناضب". مانرينج: "إذن هو كذاب لعين".

فروست: "ديك! أنت بنفسك قلت إن الأورورا ناضب!".

صرخ مانرينج: "بالطبع ناضب! إذن من أين بحق الجحيم أتى كل ذلك الذهب -الذي سبكه هذا الكافر القذر- وفي نفس هذه الحجرة؟ هل هو متواطئ مع كروسبي ويلز؟ اسأله!".

وهز مسدسه في وجه أه سووك، الذي قال، بعد أن تأكد من الإجابة من أه كيي: "إنه لا يعرف كروسبي ويلز".

كان يمكن لأه سووك بكل سهولة أن يطلع مانرينج على ما يعرفه من معلومات، المعلومات التي جلبته إلى كوخ أه كيي عصر يومهم هذا، طلبًا لمشورته بخصوصها، لكنه لم يكن مؤيداً لأسلوب مانرينج في تحرّي الحقيقة، وأحس أن الثري لا يستحق إجابة قد تساعد.

وصل غضب مانرينج لحدود اليأس. فقال موجَّهًا حديثه لأه سووك: "إذن وماذا عن ستينز؟ ماذا عن إميري ستينز؟ أنت تعرف هذا الاسم، أليس كذلك يا چوني كيي، بالطبع تعرفه! أجبني، أين هو؟".

وكالسابق ترجم أه سووك السؤال لأه كيي. حين انتهى أه كيي من الحديث قال أه سووك، مرة أخرى: "إنه لا يعرف".

انفجر مانرينج من الضيق. "إنه لا يعرف، لا يعرف، إنه لا يعرف الكثير من الأمور يا چوني سووك، ألا توافقني؟".
صاح فروست: "لن يجيبك إذا سألته بهذه الطريقة!".
"اصمت يا تشارلي".

"لن أصمت!".
"الأمر لا يخصك، بحق السماء. أنت تعطيني".
قال فروست: "سيخصني الأمر إذا ما أريقتم الدماء، أبعد مسدسك".

رفع مانرينج مسدسه مرة أخرى في وجه أه سووك وزأر. "امسح هذه النظرة الغبية من على وجهك، وإلا مسحتها لك.. أنا أسألك أنت الآن، وليس هو، ليس چوني كيي. أسألك أنت يا سووك. ما الذي تعرفه عن ستينز؟".

كانت عينا أه كيي تتحركان جيئة وذهابًا بينهما.
قال أه سووك بسرور: "السيد ستينز رجل لطيف جدًا".
"رجل لطيف، أليس كذلك؟ هل لك أن تخبرني أين اختفى الرجل اللطيف؟".

أه سووك: "لقد غادر".

مانرينج: "حقًا؟ لَمْ رحاله ورحل؟ وترك خلفه كل مناجمه؟ وتخلّى عن كل مَنْ يعرفهم؟".

أه سووك: "نعم. نشروا عنه في الجريدة".

مانرينج: "أخبرني لماذا؟ لم قد يفعل هذا؟".

أه سووك: "لا أعرف".

مانرينج: "أنتما الاثنان تلعبان بالنار. سأسألك مرة أخيرة، وسأنطق ببطء حتى تفهمني. تمّ العثور على ثروة ضخمة. مخبّأة في منزل رجل ميت. كل الثروة مسبوكة ومدموغة بكلمة أورورا. هذا من صنّع يد صديقي كيي وإن أنكر هذا فليتعقّن في الجحيم. والآن، ما أودّ معرفته هو هل أتى هذا الذهب بالفعل من الأورورا، أم لا؟ أسأله هذا. نعم أم لا".

وجه أه سووك السؤال لأه كيي، فقرّر، بناء على صعوبة الموقف، أن يجيب بالحقيقة. نعم، لقد عثر على كنز، ولا، لم يأتِ هذا الذهب من الأورورا، رغم أنه حين سبك الذهب دمغه باسم المنجم، حتى يضمن أن يحصل على جزء من الأرباح. وشرح أنه، ورغم غرابة الأمر، قد وجد الذهب على أنا ويذريل، مخيط بداخل فستانها. اكتشف الأمر لأول مرة منذ حوالي ستة أشهر، واستنتج، بعد بعض التفكير، أن أنا تهربّ الذهب لصالح شخص آخر. وهو يعلم أن أنا ويذريل تعمل لدى مانرينج؛ ويعلم أيضًا أن مانرينج قام بتزوير سجلّاته المالية من قبل. لهذا فمن المعقول أن يستنتج أن مانرينج يستخدم أنا ويذريل لنقل الذهب خارج الأخدود، ليتهرّب من الضرائب التي يفرضها البنك.

مانرينج: "ماذا يقول؟ بماذا أجب؟".

فروست: "إنه يحكي حكاية طويلة لدرجة مخيفة".

وكان هذا حقيقي، وكان هذا دور أه سووك لكي ينهر. أنا ويزريل كانت تخفي كنزاً؟ أنا؟ التي لا يسمح لها مانرينج بحمل محفظة خوفاً عليها من اللصوص؟ لا يمكنه أن يصدق ذلك! وأكمل أه كيي.

لم ينسَ أه كيي الظلم الذي أوقعه عليه ديك مانرينج، فمن الواضح أنه السبب أن أه كيي ملزم بالعمل في منجم ناضب. ورأى أمامه فرصة لضرب عصفورين بحجر واحد: الانتقام من مانرينج، واستعادة حريته. فبدأ أه كيي يدعو أنا ويزريل لكوخه كل أسبوع، حين تكون تحت تأثير الأفيون، فهي دائماً تغادر كوخ أه سووك في حالة من البلادة والغباء الشديدين؛ وغالباً ما تسقط نائمة في غضون دقاق من وصولها، وقد هدهدتها حرارة موقد أه كيي. وقد ناسبه هذا. بمجرد أن تستريح أنا فوق السرير الحجري الذي يعلو موقده، كان يمزق فستانها ومعه إبرة وخيط. وقد استبدل قطع الذهب الصغيرة في ثنية طرف فستانها بقطع من الرصاص، حتى لا تلاحظ الخفة المفاجئة للفستان عند استيقاظها؛ وإن تقلبت في نومها، كان يقرب كوباً من الشراب القوي من شفيتها ويحثها لتشربه كله.

حاول أه كيي أن يصف كيف كان الذهب مخبأ داخل ثنيات فساتين أنا، لكن ذراع مانرينج تحيط بجسده، فلم يستطع إضافة الإيماءات لوصفه، فلجأ لاستخدام التشبيهات لشرح كيف تمّت خياطة المعدن في مشدّها وفي أرداف الفستان المستعارة "مثل رداء المحاربين المعدني"، ابتسم أه سووك لهذا الوصف، فداًماً ما تسعده التعبيرات الشعرية. وأكمل أه كيي حديثه، كانت أنا أمتلك أربعة فساتين، وفي تقديره أن كل فستان منهم يحوي بالتقريب ما قيمته ألف جنيه من الذهب الصافي. وظلّ أه كيي يعمل على الفساتين حتى أفرغها جميعاً، وسبك

كل الذهب حتى آخر ذرّةٍ منه وصبّه في سبائكه المعروفة، ونقش كل سبيكة باسم المنجم الذي هو مُلَزَمٌ بالعمل فيه، كأنه وجد الذهب بطريقة شريفة وقانونية، في حفرة الأورورا. ثم أضاف أنه شعر بالسعادة تغمره لفترة من الوقت؛ فبمجرد أن يتمكّن من دفع كفالاته، سيُمكنه أخيراً العودة إلى جوانجزو وسيعود كرجل غني.

خبط مانرينج الأرض بقدمه بنفاد صبر، وقال لأه سووك: "حسنًا، ما القصة؟ ماذا يقول؟".

نسي أه سووك دوره كمتّرجم. كان يحدّق في أه كيي باندهاش؛ فقد أذهلته الحكاية! آلاف الجنيّهات... أنا كانت تحمل آلاف الجنيّهات على جسدها، لشهور طويلة! إنها ثروة بإمكانها إحالة دسّته من الرجال، إن لم يكن أكثر، إلى التقاعد، وفي بذخ. يمكن لأنا أن تشتري بمثل هذا القدر من المال ساحل المدينة بأكمله... وقد يتبقّى معها بعض المال! لكن، أين هي هذه الثروة الآن؟

وفي اللحظة التالية، فهم أه سووك الأمر.

وتنهّد أه سووك: "سي چين"... "أربعة آلاف". إذن فالثروة التي اختلسها أه كيي من فساتين أنا قد انتهت بها الأمر ربما بنزوة، أو بخدعة ما، في حوزة الناسك، كروسبي ويلز. لكن ما الغرض من تلك الخدعة... ومَن الملام؟

صرخ مانرينج: "تحدث بالإنجليزية، تحدث بالإنجليزية، عليك اللعنة".

فجأة وبمَنْتهى الحماس سأل أه سووك أه كيي كيف انتهت الأمر بالثروة مخبأة في كوخ ويلز. وبمرارةٍ جاوبه أه كيي بأنه لا يدري. إنه لم يسمع باسم كروسبي ويلز قبل عصر هذا اليوم. وعلى حدّ علمه فإن آخر مَن لمس تلك الثروة المسبوكة هو المالك الحالي للأورورا، إيميري ستينز، وستينز حاليًا لا يمكن العثور عليه. وقال أه كيي إن

ستينز كان ينقل الذهب المستخرج من الأورورا من محطة المخيم إلى البنك المركزي في نهاية كل شهر، ومن الواضح أن هذه المهمة لم تتم. مانرينج: "كل ما أسمع هو ضوضاء ولغو. إذا لم تخبرني ما الأمر يا چوني سووك..."

فروست: "لقد فرغوا من الحديث، فقط انتظر قليلاً".

كان أه سووك مقطّباً. هل حقاً قام إيميري ستينز بسرقة خزنته الخاصة؟ ثم خزّن الثروة المسبوكة في كوخ ناسك على بُعد اثني عشر ميلاً؟ ما الغرض من ذلك؟ لِمَ قد يسرق ستينز ثروته الخاصة ويعطيها لرجل آخر؟

قال مانرينج بوجه بنفسجي: "سأعدّ حتى خمسة. خمسة...!".

نظر أه سووك إلى مانرينج أخيراً، وتنهد.

"أربعة!".

رفع أه سووك راحتيه وقال: "سأخبرك"، لكن ما أكثر ما عليه أن يحكيه... وما أقل الكلمات التي يعرفها ويمكنه استخدامها! وفكر للحظة محاولاً تذكّر الكلمة الإنجليزية التي تعني "درع" حتى يمكنه الحفاظ على التعبير الشعري الذي استخدمه أه كيي، أخيراً تنحنح وتحدّث: "الكنز ليس من الأورورا. ارتدت أنا درعاً سرّيةً مصنوعة من الذهب. عثر كيي لونج على درع الذهب السرية التي ارتدتها أنا. حاول كيي لونج إيداع ذهب الدرع على أنه ذهب الأورورا. ثم سرق ستينز من كيي لونج".

وبالطبع لم يفهم ديك مانرينج شيئاً من هذا.

كرر مانرينج، "إذن فالكنز لم يكن من الأورورا. لقد حالف الحظ ستينز في مكان آخر - لكنه أبقى الأمر سرّاً - حتى اكتشف كيي لونج

الأمر. ثم حاول كيبي لونج إيداع ذهب ستينز في البنك في حساب الأورورا، فاسترده السيد ستينز".

أثار هذا الكثير من الارتباك! فبدأ أه سووك يتحدث إلى أه كيبي بالكافتونية بسرعة شديدة... وفسّر مانرينج هذا على أنه إشارة للموافقة على ما قاله. فألحّ في السؤال: "أين السيد ستينز الآن؟ توقّف عن طرح الأسئلة الأخرى. أسأله فقط هذا السؤال. أين السيد ستينز الآن؟". مكتبة سرّ من قرأ

أطاعه أه سووك وتوقّف عن الحديث، وطرح السؤال. وهذه المرة بدا الضيق واضحاً في نبرة أه كيبي. قال إنه لم يتحدث مع إيميري ستينز منذ ديسمبر، لكنه يرغب بشدة في مقابلته، لأنه اكتشف حين نُشرت عائدات منجم الأورورا ربع السنوية في بداية يناير أنه قد خدعه. وأن الثروة التي وجدها في فساتين أنا لم تودّع في البنك تحت حساب الأورورا كما كان يريد ويقصد، وأنه متيقّن من أن السيد ستينز هو المسؤول عن هذا الخطأ. لكن في الوقت الذي اكتشف فيه هذا، اختفى السيد ستينز. وفيما يتعلّق بمكان اختفائه، فإن أه كيبي ليس لديه أي فكرة.

التفت أه سووك إلى مانرينج وقال، للمرة الثانية: "إنه لا يعلم".

قال تشارلي فروست من جانب الكوخ: "هل سمعت يا ديك؟ إنه لا يعلم".

تجاهله مانرينج وأبقى مسدسه مرفوعاً في وجه أه سووك، وقال: "أخبره أنه إن لم يكن أميناً معي، فلإني سوف أقتلك". وهزّ المسدس ليؤكّد على كلامه. "أخبره إن لم يتحدث چوني كيبي، سيموت چوني سووك. أخبره بذلك. أخبره الآن".

بخضوعٍ أعاد أه سووك هذا التهديد على مسامع أه كيبي، الذي لم يرد. وخيّم صمتٌ توقّع فيه كلُّ منهم أن يتحدث أحد الآخرين...

وفجأة صدرت عن يد مانرينج اليمنى حركة خاطفة، فدفَعَ أه كيي للأمام وقبض بيده على ضفيرته جاذبًا رأسه للخلف بعنف. بينما لا يزال مسدسه مرفوعًا ناحية أه سووك. لم ينبس أه كيي بصوت، لكنَّ عينيه امتلأتا بالدموع على الفور.

قال مانرينج لأه سووك: "لن يحسَّ أحدٌ بغياب أحد الصينيين. خاصة في هوكتيكا. أتساءل كيف سيشرح صديقك هذا الأمر لمفتش الشرطة؟ سيقول: 'غير محظوظ. سووك مات... في الوادي، سيئ الحظ'. وما الذي قد يقوله المفتش؟"، وجذب مانرينج ضفيرة أه كيي بعنف. "سيقول... چوني سووك؟ إنه المنعزل الذي يدخُن الأفيون؟ أليس كذلك؟ الذي يقضي معظم الأيام مستلقيًا والتنين ظاهر في عينيه؟ الذي يبيع الأفيون المسموم للصينيين والعاهرات عديمي النفع؟ هل مات؟ حسنًا! لماذا بحق السماء تظنني قد اهتَم بهذا؟".

تُعَدُّ هذه النوبة من الضغينة سابقة من نوعها، فالعلاقة بين مانرينج وأه سووك هادئة؛ وأه سووك حين يغضب، أو يهان، لا يُظهر مشاعره. حدِّق في مانرينج بتعبير جامد، ولم يرمش أو يخفض بصره. وأه كيي برأسه منحنيٌّ للوراء حتى بانَّت عضلات حلقه خلف جلده، كان بدوره صامتًا.

بعد فترة صمت قال أه سووك: "لم أُسمِّها، لم أُسمِّ أنا".

مانرينج: "سأقول لك شيئًا، أنت تُسمِّ أنا كل يوم".

قال فروست بيأس: "ديك، إن ما تقوله بعيد عن الموضوع...".

صرخ مانرينج: "بعيد عن الموضوع؟"، وصوَّب المسدس بعيدًا عن رأس أه سووك بحوالي قدم وأطلق الرصاص. ودوَّى الصوت عاليًا، صرخ أه سووك في فزع ورفع ذراعيه في الهواء، ثم ألقى صوت ديب تساقط الحجارة المفتتة من ثقب الرصاصة. وصرخ مانرينج: "إليك شيئًا قريبًا من الموضوع: أنا ويزريل ولسته أيام في الأسبوع تفقد وعيها كليَّةً في

الوكر القذر المملوك لهذا الرجل (وأشار بالمسدس ناحية أه سووك) ستة أيام في الأسبوع. وهذا الرجل (وجذب رأس أه كيي بعنف) يصف ستينز باللص. من الواضح أن ستينز اكتشف سرًا له علاقة بالذهب، وشيئًا له علاقة بالكنز. أنا متأكد أن أنا ويذريل كانت مع إيميري ستينز في الليلة التي اختفى فيها. والتي هي بالمناسبة نفس الليلة التي ظهر فيها كنز في موقع عجيب للغاية، وتصرّفت أنا بجنون! اللعنة يا تشارلي، لا تحدثني عما هو قريب أو بعيد عن الموضوع!".

في اللحظة التالية تحدث الرجال الأربعة في نفس اللحظة.

أه كيي: '(لي جو سي هاي نا ويو) إن ما تفعله لن يكون...".

فروست: "إن كنت متأكدًا تمامًا من الأورورا...".

أه سووك: "(نور مو زو شور يي) لم أرتكب أي خطأ...".

مانرينج: "لقد أعطى أحدهم هذا الذهب لكروسي ويلز!".

ثم أتى صوت آخر من خلف تشارلي فروست: "بحق السماوات ماذا يجري هنا؟".

إنه هارالد نيلسن، التاجر بالعمولة. الذي انحنى تحت حلق باب الكوخ المنخفض ووقف ينظر حوله مذهولًا. قفزت عليه الكلبة تشمشم حرف سُترته وأساوره. مدَّ نيلسن يده وأمسكها من خلف أذنيها. وكرَّر سؤاله: "ماذا يجري؟ ديك... بحق السماء، صوتك مسموع من مسافة خمسين خطوة! سكان السماء يحدقون من عليائهم علينا".

أحكم مانرينج قبضته على ضفيرة أه كيي. وصرخ: "هارالد نيلسن. أنت شاهد على المحاكمة! أنت الرجل المناسب لم يد العون".

"اخفضُ صوتك"، قالها نيلسن وهو ينزل هولي إلى الأرض ويضع يده فوق رأسها ليهدها. "اخفض صوتك! ستجلب إلينا الشاويش بعد قليل. ماذا تفعل؟".

استمرَّ مانرينج في الحديث، ولم يخفض صوته: "لقد ذهبت لكوخ كروسبي، ألم ترَ أن الذهب تمَّ سبكه. هذا الشيطان الأصفر يظن أننا حمقى!".

"نعم"، قالها نيلسن ببعض السخف، كان يحاول أن يمسخ المطر عن معطفه. "لاحظت أن الذهب مسبوك. وهذا في حقيقة الأمر السبب في قدومي إلى هنا. لكن كان عليك أن تستفسر مني بهدوء. فأنت الآن لست بمفردك".

قال مانرينج لأه كيي: "أرأيت؟ ها قد أتى رجل آخر ليرغمك على الحديث! ها قد أتى رجل آخر ليصوّب مسدس إلى رأسك!".

نيلسن: "أستمحيك عذراً، أنا لم آتِ لأصوّب مسدساً إلى رأس أحد. وأسألك مرة أخرى عمّا تفعله. فهو يبدو قبيحاً، أيّا ما كان".

قال فروست، الذي ضايقه تورطه في هذا القبح: "إنه لا يسمع لأحد".

انفجر نيلسن: "دع الرجل يتحدث بنفسه! ماذا يجري؟".

سنُغفل ذكر إجابة مانرينج عن هذا السؤال، والتي جاءت غير صحيحة ومستفزة؛ وسنُغفل أيضاً المناقشة التي تلتها، والتي اكتشف مانرينج ونيلسن خلالها أن غرضهم من القدوم إلى الحي الصيني واحد، وفروست، الذي استشعر أن التاجر بالعمولة يحمل بعض الشكوك ناحيته بشأن بيع ممتلكات ويلز، التزم بصمت عبوس. استغرقت التوضيحات بعض الوقت، وبعد حوالي عشر دقائق اتجه الحديث، أخيراً، للصائغ أه كيي، الذي لا يزال ممسوكاً من مؤخرة

عنقه في وضعية شديدة الإيلام والمهانة. اقترح مانرينج أن تُقَصَّ ضفيرته لإقناعه بمدى دقّة الموقف؛ وشدّ رأس أه كيي وهو يقترح ذلك، وبدت عليه السعادة بتلك الحركة، كأنها يَزِنُ غنيمة. لكن مقاييس نيلسن الأخلاقية لا تسمح بالمهانة، ومقاييسه الجمالية لا تسمح بالقبح؛ فأعلن اعتراضه مرة أخرى؛ ممّا أثار شجاراً بينه وبين مانرينج عطل إطلاق سراح أه كيي، وأدخل هولي في نوبة من الشغب والبهجة يصعب السيطرة عليها.

وأخيراً اقترح تشارلي فروست، الذي تمّ تجاهله بنجاح تام حتى هذه اللحظة، أن الصينين ربما لم يفهموا أسئلة مانرينج. واقترح أن يتمّ سؤال أه سووك مرة أخرى بطريقة مكتوبة، وبهذه الطريقة يمكنهم التأكّد من أن شيئاً لم يفقد في الترجمة. رأى نيلسن أن الفكرة وجيهة، ووافق عليها. وأصيب مانرينج بالإحباط، لكن بما أنه يمثل الأقلية كان مجبراً على الموافقة. فأطلق سراح أه كيي، وأعاد مسدسه إلى جرابه، وأخرج مفكرته من صديريته، لغرض تكوين سؤال بالكتابة الصينية. كانت مفكرة مانرينج عملاً يحقّ له أن يفخر به. أُعِدَّت صفحاتها ككتاب مبسّط للغة الصينية، حيث كُتبت الرموز الصينية تحت معانيها الإنجليزية؛ وأعدّ مانرينج فهرساً يمكن بواسطته تجميع الرموز سوياً لتكوين كلمات أطول. لم تحتوِ المفكرة على ترجمة للصوتيات؛ ولهذا فأحياناً ما تثير المفكرة الارتباك بدلاً من أن تخفف منه، لكنها في المجمل كانت أداة حوار مبدعة ومفيدة. وضع مانرينج حرف لسانه في جانب فمه كعادته دائماً حين يقرأ أو يكتب، وبدأ يقلب صفحات المفكرة.

لكن قبل أن يكون مانرينج سؤاله، أجاب عليه أه سووك. قام المنعزل من مكان جلوسه، بجانب الفرن، وبوقوفه بدا الكوخ صغيراً جداً، وتحنّج.

قال: "أنا أعرف سرًا عن كروسبي ويلز".

هذا السر هو ما اكتشفه في كانيير هذا الصباح؛ وقد أتى لمنزل أه
كيسي بغرض مناقشته.

مانرينج: "ماذا؟ ماذا؟".

أه سووك: "كان في دنستن، في حقل أوتاجو".

وهدم الإحباط مانرينج، فانفجر: "وما فائدة ذلك؟ وما السرُّ فيه؟
كروسبي ويلز في دنستن! ومتى كان هناك؟ منذ عامين أو ثلاثة! أنا
أيضًا كنت في دنستن، كل هوكتيكا كانت في دنستن!".

قال نيلسن لمانرينج: "هل قابلته هناك؟".

مانرينج: "لا، لم أعرفه قطُّ. لكنني أعرف زوجته، منذ ديوندن".

بدا الاندهاش على نيلسن: "تعرف زوجته؟ الأرملة؟".

قال مانرينج باختصار: "نعم". ولم يهتم بإيضاح المزيد. قلب صفحة
من المفكرة، "لكنني لم أعرف كروسبي أبدًا، كانا منفصلين. والآن هدوء
من فضلكم، أنا لا أستطيع سماع أفكاري إلا في بعض الهدوء".

Φ

قال والتر مودي هو يخبط على ذقنه بإبهامه وسبابته: "دنستن".

"إنه حقل في أوتاجو".

"في منتصف أوتاجو".

"لقد ولَّى عهد دنستن. جرافات الشركات فقط هي التي تعمل
هناك الآن. لكن دنستن كانت نجمة ساطعة وقت ازدهارها".

مودي: "هذه هي المرة الثانية التي يُذكر فيها هذا الحقل تحديدًا هذا المساء، أليس كذلك؟".

"أَنْتَ مُحِقٌّ تَمَامًا يا سيد مودي".

"انتظر قليلًا. كيف هو مُحِقٌّ؟".

"الذهب الذي استُخدم في ابتزاز السيد لودرباك أتى من حقل في دنستن. هذا ما قاله لودرباك".

أوما مودي، "بالضبط، هذا ما قاله لودرباك. أتساءل هل يمكن أن أثق في نوايا السيد لودرباك، حين ذكر هذا الاسم بطريقة عابرة للسيد بالفور هذا الصباح".

"ماذا تقصد يا سيد مودي؟".

"هل تثق به، بلودرباك؟".

مودي: "عدم ثقتي بالسيد لودرباك أمر غير عقلائي بالمرة، حيث إنني لم أقابل الرجل في حياتي. أنا واعي تمامًا بأن الحقائق المتعلقة بهذه الحكاية يتم سردها علي أسماعي ممّن سمعها من أصحابها، وأحيانًا ممّن سمعها ممّن سمعها من أصحابها. فمثلاً ذكر حقل ذهب دنستن. فرانسييس كارفر ذكر اسم ذلك الحقل للسيد لودرباك، وهو بدوره ذكره للسيد بالفور، والسيد بالفور حكى تلك المحادثة بينهما لي، الليلة! ألا توافقونني جميعًا على أنه من حماقة أن أعتبر ما قاله السيد بالفور حقيقيًا".

لكن مودي أخطأ تقدير الحاضرين، حين شكك في أمر حسّاس مثل الحقيقة، فانفجر الاستياء في أنحاء الغرفة.

"ألا تثق في رجل يحكي قصته الخاصة؟".

"كل ما حدّثتُك به حقيقي تمامًا يا سيد مودي".

"وماذا بإمكانه أن يخبرك إذا لم يخبرك بما سمعه؟".

صُدِم مودي، وردَّ بحرص هذه المرة: "أنا لا أعتقد أن هناك جزءًا في قصتكم تمَّ تغييره أو إخفاؤه". ونظر في وجوه الحاضرين واحدًا واحدًا. "وددتُ فقط أن أسجِّل أن المرء لا يجب عليه أن يعتبر الحقيقة في رأي غيره هي الحقيقة في رأيه هو".

"ولمَ لا؟"، وأتى هذا السؤال من أكثر من شخص في الحجرة في نفس الوقت.

توقَّف مودي للحظة مفكِّرًا، وأخيرًا قال: "في المحكمة يقسم الشاهد على أن يقول الحقيقة، الحقيقة في رأيه هو. وبهذا فهو يوافق على متغيرَيْن: أن تتضمن شهادته الحقيقة كلها، وألا تتضمن شيئًا غير الحقيقة، والمتغير الثاني وحده هو الذي له حدُّ. أما المتغير الأول فهو عُرضة للكثير من الاجتهاد. فحين نقول 'الحقيقة كلها' نحن نقصد بشكل محدَّد كل الحقائق والانطباعات المتعلقة بالأمر محل البحث. وكل ما ليس متعلِّقًا هو ليس فقط غير هام؛ لكنه يكون في الكثير من الحالات مُضللًا بشكل مقصود. أيها السادة (جاء هذا النداء الجماعي غريبًا إذا أخذنا في الاعتبار المجموعة المختلطة الموجودة بالغرفة) أعتقد أنه لا يوجد حقيقة كاملة، فقط، ولا بُدَّ أن توافقوني، توجد حقائق ذات علاقة، وعلاقات وثيقة الصلة، والأمر دائمًا يتوقف على الطريقة التي ننظر بها للأمور. أنا لا أعتقد أن أيًا منكم قد كذب الليلة بأي شكل من الأشكال. وأثق تمامًا أنكم قلتم لي الحقيقة، ولا شيء غير الحقيقة. لكن تتعدَّد الطرق التي تنظرون بها للأمور، واعذروني إن لم آخذ قصتكم على أنها القصة كاملة".

ساد الصمت عقب انتهاء مودي، ورأى أنه قد أهانهم. فأضاف، بهدوء أشد: "لقد استعجلت فيما قلته؛ فأنتم لم تُتمُّوا قصتكم بعد".

ونقل نظره بين وجوههم. "لم يكن عليّ أن أقاطعكم. وأكرّر أنا لم أقصد الاستخفاف بأي منكم. أكملوا الحديث من فضلكم".

Φ

نظر تشارلي فروست صوب أه سووك بفضول. "لِمَ قُلْتَ ذلك يا سيد سووك؟ لِمَ قُلْتَ إِنَّكَ تعرف سرّاً عن كروسبي ويلز؟".

نقل أه سووك بصره إلى فروست متفحّصاً. وقال: "لقد عثر كروسبي ويلز على ثروة طائلة في دنستن. عثر على الكثير من قطع الذهب الضخمة. إنه سعيد الحظ للغاية".

والتفت نيلسن: "كروسبي ويلز عثر على ثروة طائلة؟".

رفع مانرينج رأسه. "ماذا؟ ثروة؟ كم بلغت قيمتها؟".

كرر سووك يونج شينج وهو لا يزال ينظر لفروست: "في دنستن. إنه سعيد الحظ للغاية. عثر على كنز كبير. أصبح فاحش الثراء".

تصدّى نيلسن للأمر... وقد ضايق هذا فروست، لأنه صاحب هذا المدخل في الحوار. وقد بدا كأن الاثنين -نيلسن ومانرينج- قد نسيا أن فروست حاضر.

ألحّ نيلسن في السؤال: "متى؟ متى حدث ذلك؟".

رفع أه سووك أصبعين اثنتين وقال: "اثنان".

مانرينج: "منذ عامين!".

نيلسن: "كم؟ كم وجد من الذهب؟".

"عدة آلاف".

رفع نيلسن أربع أصابع، "كم؟ أربعة؟ أربعة آلاف؟".

هزَّ أه سووك كتفيه؛ لم يكن يعرف.

فروست: "وكيف عرفت هذا يا سيد سووك؟ كيف عرفت أن السيد ويلز عثر على كنز في دنستن؟".

أه سووك: "سألت الحرس".

مانرينج: "لم يثق في البنك! ما رأيك في ذلك يا تشارلي؟ إنه لم يثق في البنك!".

نيلسن: "أي حرس؟ شركة جيليجان؟ أم جراس وود وسبيرز؟".
"جراس وود وسبيرز".

فروست: "إذن فقد عثر كروسبي ويلز على ثروة في دنستن، ثم استأجر جراس وود وسبيرز لنقل الكنز من حقل الذهب؟".
أه سووك: "نعم، أحسنت".

هزَّ نيلسن رأسه، "إذن فويلز كان يجلس على كنز كل هذه الفترة! وهذا المال ماله! لم يصدق أيُّ منّا ذلك".

أشار مانرينج إلى أه كيي وقال: "وماذا عنه؟ هل كان يعلم بهذا؟".
أه سووك: "لم يعلم".

انفجر مانرينج ضيقًا: "إذن ما علاقة هذا بما نحن فيه؟ الذهب الذي عثروا عليه في كوخ كروسبي من صنع يديه، أتذكر هذا! إنه مسبوك بيدي چوني كيي!".

فروست: "ربما اتفق كروسبي ويلز معه".

أشار نيلسن لأه كيي قائلاً: "هل هذا صحيح؟ هل اتفقت مع كروسبي ويلز؟".

قال أه سووك: "إنه لا يعرف كروسبي ويلز".

مانرينج: "آه، بحق الله".

نقل نيلسن بصره بين الوجهين الصينيين متفحّصًا كأن ملامحهما قد تفضح تواطؤهما. نيلسن لا يثق في الصينيين، وهو لا يعرف أحدهم بصفة شخصية؛ وظنه السيئ بهم ليس مبنياً على أي أساس عملي، وغالبًا ما تنفيه تعاملاته معهم، ورغم ذلك فلم يغيّر رأيه فيهم. فقد قرّر منذ فترة طويلة أن الصينيين محتالون، وظل على رأيه، برغم أيّ دليلٍ قابله على خطأ ظنّه. أثناء تحديقه في أه كيي تذكر نيلسن نظرية المؤامرة التي طرحها عليه جوزيف بريتشارد في وقت مبكر من عصر اليوم، وفكر: "إذا ما كان أحدهم يحاول توريطنا، فربما يحاول توريطه هو الآخر".

وقال نيلسن: "أحدهم وراء هذا، أحدهم متورط فيما حدث".

أه سووك: "نعم".

سأل نيلسن بلهفة: "مَن؟".

مانرينج: "لن تحصل منه على مثقال خردلة من النفع. صدّقني إن الأمر لا يستحق تعبك".

لكن المنعزل أجاب، وأدهشت إجابته كل مَن في الغرفة، فقد قال: "تي رو تاوهار".

الزهرة في برج الجدي

حيث تتحدث الأرملة عن مشروعاتها للثروة، وتتحطّم آمال جاسكوين، ونعرف شيئاً جديداً عن كروسيبي ويلز.

عقب مغادرته لفندق جريديرون، اتجه أوبرت جاسكوين مباشرة لفندق واي فيرر الذي يتميز بلافتة مطلية معلّقة بسلسلتين تتدليان من سارية بارزة من المبنى. لم تحمل اللافتة كلمات، حملت بدلاً منها ظلّاً مرسوماً لرجل يمشي بذقن مرفوعة وكوعين منثنيتين، وعلى كتفه عصا مربوط في طرفها صرّة. ومن الحيوية البادية على الظل المرسوم لن يكون عجيباً أن نستنتج أن هذا الفندق مُخصّص لاستقبال الرجال فقط؛ فالمبنى بأكمله يفتقد الطابع الأنثوي، توحى بذلك المبصقة النحاسية الموجودة على الشرفة، والمراحيض الخارجية الملحقة بالمبنى في الحارة الجانبية، وقلة الستائر. لكن في الحقيقة فإن هذه

التفاصيل أُضيفت للمكان من باب التوفير وليس من باب التنظيم: ففندق واي فير لا يميز بين الجنسين، ويتبع سياسة حازمة تقضي بعدم استجواب نزلائه، وعدم تقديم تعهدات من أي نوع، وفي المقابل يتقاضى منهم أجرًا زهيدًا مقابل المبيت. ومن الطبيعي في ظل هذه الشروط أن يستعد المرء لاحتمال الكثير، هذا ما جال ببال السيدة ليديا ويلز، المقيمة حاليًا بالفندق، والتي تتميز بذكاء كبير في التوفير.

تبدو ليديا ويلز دائمًا للناظر إليها وقد اتخذت وضعيات تتسم بالرفاهية، حتى تتيح الفرصة للآخرين لمغافلتها وإفزازها فترك تلك الوضعيات ضاحكة. وقد عثر عليها چاسكوين ممددة على الأريكة في صالون فندق واي فير وخفها المنزلي يتأرجح من أصبع قدمها، وإحدى ذراعيها مفرودة، ورأسها مرتاح على وسادة؛ ويدها الأخرى ممسكة برواية للجيب، كأنها ساهم الكتاب في إغفاءتها. وجنتاها المحمرتان ومظهرها الرخو السائب اصطنعتهم في اللحظات السابقة لدخول چاسكوين، لكنه لم يعلم بذلك. وقد أوحى مظهرها، كما كانت نيتها، أن السياق الذي يستحوذ على انتباهها له طبيعة إباحية للغاية.

حين دقّ چاسكوين على إطار الباب (كنوعٍ من التأدّب ليس أكثر، لأن الباب كان مفتوحًا) رفعت ليديا ويلز جسدها وفتحت عينيها عن آخرهما وأطلقت ضحكة رنانة، وأغلقت الكتاب بسرعة وقذفت به إلى مسند القدم، بحيث يكون غلاف الكتاب وعنوانه تحت نظر الرجل.

انحنى چاسكوين، ثم اعتدل وأطال النظر إليها، مستمتعًا بما يراه... فليديا ويلز امرأة ذات جمال باهر، وحُسن أخاذ. كانت في حوالي الأربعين من عمرها، وأحيانًا تبدو كامرأة ناضجة في الثلاثين، وأحيانًا أخرى تبدو كصبية في الخمسين من عمرها؛ وهي لن تبوح

أبدًا بعمرها الحقيقي. فهي في مرحلة من منتصف العمر يصعب فيها تحديد عمرها بدقّة، وتلك الصعوبة في تحديد العمر هي بالتحديد أكثر ما يجذب الانتباه لهذه المرحلة. فحين تتصرف كصبيّة، تبرز تصرّفاتنا أكثر لكونها ليست صبيّةً، وحين تتصرف بحكمة، تحظى حكمتها بالمزيد من التقدير لكونها ليست عجوزًا. ملامحها تشي بأنثى سليطة مشاكسة: عيناها مسحوبتان قليلاً وطرف أنفها متجه لأعلى مانحاً إياها مظهر كائن يَقيظ وفضولي. وشفاتها ممتلئتان؛ وأسنانها، حين تكشف عنها، بديعة الشكل، ومنظمة ومستوية. وشعرها بلون النحاس اللامع، اللون الذي يسمّيه الرجال "أحمر" والسيدات "كستنائي"، ويتغير لون شعرها مع الحركة للأغمق، كأنه شعلة من النار. وقد جمعته يومها إلى الخلف في ضفائر صفّقتها بحيث تغطي أعلى وأسفل رأسها. وارتدت فستاناً مخطّطاً من الحرير الرمادي الداكن لا يمكننا أن نسميه رداء حداد، تمامًا كتعبيرات وجه ليديا التي لا يمكن أن نسميها تعبيرات امرأة، ولا تعبيرات فتاة. كان الفستان بياقة مرتفعة ذات أزرار، وأرداف مستعارة منفوشة، وأكمام منفوشة تبدأ واسعة عند الكتفين وتضيّق حتى تصل للرسغين، أظهرت الأجزاء المنفوشة من فستانها صدرها الناهد، وصغّرت من خصرها. ومن أطراف تلك الأكمام الضخمة بدت يداها صغيرة ورقيقة كيدي دُميّة، وقد شبكتها سويًا الآن تعبيرًا عن سعادتها برؤية چاسكوين يقف عند الباب.

"مسيو چاسكوين"، نطقت الاسم ممطوياً بتلذّذ. "أنت بمفردك!".

چاسكوين: "أتيت لأبلغك باعتذارها عن الحضور".

نظرت إليه ليديا متفحّصَةً. "أنت إذن تحمل أخبار سيئة. دعني أحاول تخمين السبب: صدام؟".

هزَّ چاسكوين رأسه وحكى باختصار قصة رصاصة أنا الطائشة. سرد الأمر بصراحة. ندت عن ليديا همهمات تعبر عن القلق، وألحت على چاسكوين بأسئلتها، وأجابها باستفاضة وبإرهاق شديد ظهر بوضوح في ارتعاش صوته. وأخيراً أشفقت عليه ودعته للجلوس وتناول مشروب، وقَبِلَ دعوتها فوراً وبارتيحاح.

قالت: "لديّ چين فقط للأسف".

جلس چاسكوين في الكرسي ذي المسندين الأقرب للأريكة وقال: "الچين بالماء مشروب ممتاز".

قالت ليديا باستمتاع: "إنه مشروب نَتْن، وسيحتّم عليك أن تبتسم وتحمّله. كان عليّ أن أحضر معي زجاجة من ديوندن، يا لحماقتي! لم أعرّ على قطرة من الخمور الجيدة في هذه المدينة".

"أنا لديها زجاجة من البراندي الأسباني في غرفتها".

بدا الاهتمام على ليديا: "أسباني؟".

چاسكوين: "خيرير دي لا فرونتيرا، من الأندلس".

ليديا ويلز: "أنا متأكدة أنني سأعشق البراندي الأسباني. اتساءل كيف حصلت على تلك الزجاجة؟".

ردَّ چاسكوين بدون تفكير: "أنا آسف لأنها ليست هنا لتخبرك بنفسها". لكن لحظتها أدخلت ليديا قدمها في حُفّها المنزلي وهي ترفع تنورتها لتُظهر سَمَانَتِي ساقِها المكتنزتين، فأحسَّ چاسكوين وقتها أنه ليس آسِفاً.

ليديا: "نعم، كنا لنقضي أطيّب وقت سوياً. لكن يمكننا ببساطة تأجيل خروجتنا. وأنا أحب انتظار الخروجات. هل تودُّ أن تأتي معي بدلاً من أنا؟ ربما تكن شغفاً لِقُبُعَات السيدات!".

قال چاسكوين: "يمكنني ادعاء الشغف". وضحكت ليديا مرة أخرى.

وبصوت خفيض قالت: "لا يجوز ادعاء الشغف". ونهضت من على الأريكة وذهبت إلى منضدة جانبية، حيث اصطفت زجاجة بسيطة وثلاثة أكواب مقلوبة على صينية خشبية. عدلت كوبين وتركت الثالث مقلوبًا. وأضافت: "أتعلم أنني لست مندهشة".

"أتقصدين المسدس؟ أنت لست مندهشة من أنها حاولت الانتحار مرة أخرى؟".

توقفت ليديا والزجاجة في يدها. "بحق السماء، لا، ليس هذا. أنا لست مندهشة لرؤيتك هنا بمفردك".

احمرَّ وجه چاسكوين وقال: "لقد نفذت تعليماتك. لم أُبَح باسمك. قلتُ لها إنها مفاجأة، وأنها ستخرج مع إحدى السيدات للفرجة على القُبُعات. سعدت بالفكرة. وودت أن تأتي. لولا حادثة المسدس. فقد هزَّتْها... وبعدها لم تكن حالتها تسمح بالخروج".

أحسَّ نفسه يثرثر. يا لها من امرأة بدیعة... الأرملة ويلز! كم تبدو منحنيات الأرداف المستعارة للرداء جميلة عليها!

قالت ليديا ويلز لتهدئه: "أنت دائمًا لطيف جدًا وتجاريني في حماقاتي. سأخبرك أمرًا، حين تصل المرأة في عمرها إلى المرحلة التي أنا فيها حاليًا، تحب أن تلعب دور الجنية الطيبة، من آنٍ لآخر. تحب أن تشير بعصاتها السحرية، وتصنع بعض السحر، لمصلحة الفتيات الأصغر. أعلم أنك لم تفسد مفاجأتي. لقد أتاني هاجس بأن أنا لن تأتي. فأنا تأتيني الهواجس يا أوبرت، تأتيني أحاسيس مسبقة بالأمر".

أحضرت لچاسكوين كوبه، أتت تحمل معها الرائحة الحادة الغامضة لليمون الطازج... فهي قد استخدمت عصير الليمون في تبيض بشرتها وأظافرها هذا الصباح.

كرر چاسكوين كلامه: "لم أحنُ ثقتك، لقد أقسمت لك أني لن أخون". فقد أحبّ، لسبب غامض، أن تظل راضية عنه.

وافقته ليديا، "بالطبع، بالطبع لم تحنُ ثقتي!".

"لكنني متأكد أنها لو عرفت أنه أنت...".

"ستأتي إلي... فوراً!".

"ستأتي إليك".

(هذا التأكيد، الذي ردّده بثقة ضعيفة، مبنيٌّ على تأكيد ليديا، الذي طالما كرّرتَه، أنها وأنا كانتا في وقت ما أصدق الأصدقاء. وبناءً على هذا التأكيد وافق چاسكوين على ترتيب "مفاجأة" ليديا، التي سيجتمع بها شمل المرأتين، وتتجدّد عهد الصداقة بينهما... وليس من المعتاد أن يوافق چاسكوين على مثل هذا؛ فهو نادرًا ما يؤدي للآخرين خدمات بإمكانهم أن يؤدّوها بأنفسهم، والمناورات الاجتماعية بجميع أشكالها تبعث فيه إحساسًا بعدم الارتياح: وهو يفضل أن يكون موضوع المناورة الاجتماعية عن أن يكون القائم على تنفيذها. لكن چاسكوين كان، كما هو واضح، مُغرّمًا لدرجةٍ ما بليديا ويلز... وهي حماقة كانت من القوة بحيث دفعته ليس فقط لفعل ما لا يميل إليه، بل لتغيير ميوله نفسها).

قالت ليديا ويلز: "مسكينة أنا ويذريل، هذه الفتاة صورة متجسّدة للحظ السيئ".

"المدير شيرد يظن أنها جُنّت".

"المدير شيرد!" وضحكت ليديا بمرح. "حسنًا، إنه خبر حقيقي في هذا الموضوع. ربما هو على حق".

لم يكن لچاسكوين رأي محدد بخصوص المدير شيرد، لم يكن يعرفه جيدًا، ولم يكن يعرف زوجته المخبولة بالمرّة. وعاد بفكره إلى آنا. أحسّ بالندم على النبرة الحادة التي أحدثها بها، في غرفتها في فندق جريديرون. ليس بوسع چاسكوين أن يظل حائقًا لوقت طويل؛ فحتى أصغر فترات الراحة تكون دائمًا كافية لتؤلّد فيه تأنيب الضمير. فوافق على كلام ليديا بصوت عالٍ: "مسكينة آنا، أنت مُحقّقة، إنها صورة للتعاسة. ليس بإمكانها سداد إيجارها، ومدير الفندق سيطردها. وهي لن تنتهك حرمة الحداد وتعود للشوارع. إنها لن تهين ذكرى طفلها المسكين الراحل... ولهذا فهي في ورطة. إنها صورة للتعاسة".

تحدث چاسكوين بإعجاب وشفقة.

قفزت ليديا صارخةً: "أوه، يجب عليها أن تأتي وتقيم معي... يجب عليها ذلك!"، وتحدّثت كأنها أمضت بعض الوقت في إقناع چاسكوين بهذا الموضوع، وليس كأنها تقترح هذا الآن فقط. "بإمكانها أن تنام في سريري، كأنها أختي... ربما لديها أخت، في مكان بعيد؛ وربما تفتقد أختها. أوه يا أوبرت، يجب عليها أن تأتي. من فضلك ترجّأها أن تأتي".

"أعتقدين أنها سترغب في ذلك؟".

قالت ليديا بحزم: "آنا المسكينة تعشقني. إننا أقرب ما يكون الأصدقاء لبعضهم، نحن سوياً كحمامتين... أو على الأقل كنا كذلك، في ديونندن العام الماضي. ولا قيمة للوقت وللمسافات في وجه الوائم والانسجام: سنلتقى مرة أخرى. لا بُدَّ أن نرتّب لهذا. يجب عليك أن تجعلها تأتي".

ابتسم چاسكوين مطاوعًا وقال: "كرمك مثير للإعجاب... لكنه، قد يكون مبالغًا فيه. أنت تعرفين مهنة أنا. ستجلب مهنتها معها، حتى ولو عن طريق سمعتها السيئة. بالإضافة إلى أنها مفلسة".

قالت ليديا ويلز: "أوه، هراء، هناك دائمًا فرصة لكسب المال عند حقول الذهب. يمكنها أن تعمل عندي. أنا أتوق لخادمة، لرفيقة، كما تسميها السيدات. وخلال ثلاثة أسابيع سينسى المنقَّبون أنها كانت عاهرة في يوم من الأيام! لا يمكنك تغيير رأيي يا أوبرت... لن تستطيع ذلك. فأنا أصبح عنيدة جدًا إذا عقدت عزمي على أمرًا ما، وقد عقدت عزمي على هذا".

نظر چاسكوين لكوبه وهو يحسُّ بالإرهاق. "حسنًا. هل أعبر الشارع... وأطلب منها ذلك؟".

فقالت بنعومة ودلال: "لن تفعل أي شيء إن لم ترغب فيه تمامًا. سأذهب بنفسني. سأذهب الليلة".

قال چاسكوين: "بهذه الطريقة لن تكون مفاجأة. لقد كنتِ ترغبين بشدة في مفاجأتها".

ضغطت على كُمِّه وقالت بحزم: "لا، لقد فوجئت الفتاة المسكينة بما يكفي. حان الوقت لنعطيها بعض أسباب الراحة؛ ولنعتني بها. سأخذها تحت جناحي. سأدُلُّها!".

قال چاسكوين مبتسمًا: "هل أنت طيبة هكذا في كل مهامك؟ أتخيِّلُكِ في صورة السيدة التي تحمل المصباح وتطوف من سرير إلى سرير تخدم بطيبة وحنان...".

ليديا: "جميل أنك ذكرت هذه الكلمة".

"الطيبة؟".

"لا، التخيل. أوه يا أوبرت، أكاد أنفجر بالأخبار التي أحملها".

"أخبار عن الممتلكات؟ بهذه السرعة؟".

لم يتمكن چاسكوين من فهم طبيعة العلاقة بين ليديا ويلز وزوجها المرحوم كروسبي. واستغرب أن كليهما عاش تفصله عن الآخر مئات الأميال... ليديا في ديوندن، وكروسبي في أعماق وادي الأراهورا، في مكان لم يحدث أن زارته ليديا من قبل، ولو لمرة واحدة، وحتى هذه اللحظة، بعد حوالي أسبوعين من وفاة زوجها. وبسبب تمسكه بمظاهر اللياقة السطحية لم يستفسر چاسكوين من ليديا عن زواجها بطريقة مباشرة... رغم فضوله، وليديا لا تبدو حزينة بأي صورة. وحين يُذكر اسم كروسبي تصبح غامضة وحمقاء.

وهزّت ليديا رأسها: "لا، لا، لا. الأمر لا يتعلق بهذا! يجب أن تسألني عمّا كنت أفعله منذ لقائنا الأخير... عمّا كنت أفعله صباح اليوم. كنت أتمنى لو تسألني. لا أكاد أصدق أنك لم تسألني".
"هيا، أخبريني".

اعتدلت ليديا في جلستها، وفتحت عينيها الواسعتين عن آخرهما، حتى لمعتا. وقالت: "لقد اشتريت فندقًا".
قال چاسكوين متعجبًا: "فندق؟ أي فندق؟".
"هذا الفندق".
"هذا...؟".

خبطت كفيها سويًا وقالت: "أظن أنني متقلبة الأطوار!".
قال چاسكوين: "أظن أنك مقدمة، وشجاعة، وجميلة جدًا، وآلاف الأشياء الأخرى. أخبريني لماذا اشتريت هذا الفندق بأكمله؟".
قالت ليديا: "أنا أنوي تغيير هذا المكان! تعلم أي امرأة ذات خبرة: فقد أدّرت عملي الخاص في ديوندن لمدة تصل لعشر سنوات، وقبلها

في سيدني. أنا أعَدّ بحق من رواد الأعمال يا أوبرت! أنت لم ترني بعدُ أُبدعُ فيما أجیده. ساعتها ستعلم كم أنا مقدامة".

نظر چاسكوین حوله: "ما التغيرات التي ستقومين بها؟".

قالت لیدیا: "وصلنا أخيراً إلى الصورة التي أتخيلها". ومالت ناحيته. "هل رأيت إعلان جلسة تحضير الأرواح في صحيفة الصباح... الذي يقول إن التاريخ والمكان سيتم تحديدهما لاحقاً؟".

"أوه، بربك... لا!".

رفعت لیدیا حاجبيها. "بربي لا ماذا؟".

ابتسم چاسكوین، "المنضدة المتحركة والأرواح؟ جلسات تحضير الأرواح حماقة مسئّية... لكنها ليست عملاً! عليكِ ألا تحاولي التبرّج من حيل الصالونات! فالناس يثورون إذا أحسّوا أنهم خُدعوا وتمّ الاستيلاء على أموالهم". ثم أضاف: "بالإضافة إلى أن الكنيسة لا توافق عليها".

قالت لیدیا ويلز... التي تُحس بكثير من الضجر تجاه عدم موافقة الكنيسة: "إنك تتحدث وكأن هذا الفن ليس فناً حقيقياً! كأن الأمر كله مجرد احتيال. عالم ما وراء الطبيعة ليس بحيلة يا أوبرت. والأثير ليس بخدعة".

قال چاسكوین مرة أخرى: "بربك. إنك تتحدثين عن الترفيه، وليس عن الوحي: نحن لا نتحدث عن العوالم".

تصنّعت لیدیا الإحباط: "إذن أنت لا تؤمن بهذا. لم أكن لأختار هذا أبداً، ربما أختار الواقعي، وربما حتى غير المُصدّق، إن كان رقيق القلب".

قال چاسكوين بترْفُوع: "إذا لم أكن مؤمنًا، فأنا كذلك لأني رجل فِطْن. لقد حضرت عدة جلسات لتحضير الأرواح يا سيدة ويلز؛ وإن وصفتها بأنها مجرد خرافات حمقاء، فأنا لا أصفها من فراغ".

ترددت قليلًا، ثم مدّت يدها المكتنزة بسرعة وأمسكت بكمّهُ.

قال چاسكوين مُلَطِّفًا: "لكنني في قولي هذا ينافيني الذوق: فأنت تبدين شغوفة بال موضوع".

خبطت قماش إسورة كُمّهُ للحظة، ثم سحبت يدها بنفس السرعة التي مدّتها بها وقالت: "ليس هذا. لا تناديني بالسيدة ويلز... لن تناديني بهذا الاسم لمدة طويلة".

خفض چاسكوين رأسه وسألها: "أترغبين أن أناديكِ باسمكِ قبل الزواج؟"، ودار في رأسه أنه إن كانت تقصد هذا، فهو أمر غير لائق بالمرّة.

عَضَّت ليديا شفتها، "لا، لا". ثم مالت مقربة منه وهمست، "سأتزوِّج".
"تتزوِّجين؟"

"نعم... بمجرد أن تواتيني الجرأة؛ لكن هذا سِرٌّ".

"سِرٌّ... تخفينه عني؟".

"أخفيه عن الجميع".

"هل لي أن أعرف اسم محبوبكِ؟".

قالت ليديا: "لا، لا أنت ولا غيركِ. إنها قصة غرامي السرية".
وضحكت، "تأمّل حالي... إنني كفتاة في الثالثة عشرة تستعد للهروب لتتزوج محبوبها! أنا لا أجرؤ على ارتداء خاتمته... رغم أنه خاتم جميل؛ مصنوع من ذهب دنستن ومُرَصَّع بياقوتة من دنستن".

"إذن فعليّ أن أبارك لك". قالها چاسكوين... بقدرٍ وافٍ من المودّة، لكن بتحقّظ جديد؛ فقد حطّم هذا الخبر آماله. أحسّ بنافذة أمل أُغْلِقَتْ، وشعاع من الضوء انطفأ، وباب انصفق. فمنذ أن وقعت عينا چاسكوين على المرأة وهو يحلم بأن تصبح ليديا ويلز في يوم من الأيام محبوبته. تخيلها في كوخه، رآها تهزُّ خصلات شعرها المحمر بجانب سريرها، وشاهدها تشعل موقده صباحًا مرتدية ثوبًا قطنيًا خفيفًا؛ وتخيّل الأيام الجامحة الأولى لعلاقتهم، وتخيّل بناء البيت الذي سيجمعهما، وتخيّل الأعوام تمر عليهما. حلم چاسكوين بكل هذا بلا خجل ولا حرج، وحتى بلا وعي حقيقي بشرود عقله. فقد بدا الأمر ببساطة، طبيعيًّا؛ فهي أرملة، وهو أرمل. وكلاهما غريب في مدينة غريبة، وجمعتهما معرفة ودية. ولن يكون غريبًا أن تجمعهما قصة حب.

أما الآن، وقد علم أن ليديا ويلز مخطوبة، أصبح چاسكوين مُجبرًا على التخلي عن أحلامه... ولكي يتخلى عنها يتوجب عليه الاعتراف بها، ورؤية مدى جنونها. في البداية أحسّ بالشفقة على نفسه، لكنه حين انتبه لإحساسه بالشفقة، اندهش من مدى ضحالة الإحساس.

قالت الأرملة: "إنني السعادة مُجسّمة".

ابتسم چاسكوين. "إن لم أنادِكِ بالسيدة ويلز، فيمَ أنادِكِ إذن؟".

قالت الأرملة: "أوه يا أوبرت. نحن أصدقاء مُقَرَّبون. لست بحاجة لأن تسأل هذه السؤال، عليك بالطبع أن تنادينني بليديا".

(سنتدخل سريعًا لنوضح أن أوبرت چاسكوين وليديا ويلز ليسا أصدقاء ولا مُقَرَّبين، وفي حقيقة الأمر، لم يتقابلا إلا منذ ثلاثة أيام. قابل چاسكوين الأرملة لأول مرة في عصر يوم الخميس، حين أتت للمحكمة لتستفسر عن ثروة زوجها الراحل... الثروة التي عثر عليها رجال آخرون وأودعوها البنك. كتب چاسكوين التماس السيدة ويلز

ببطلان بيع الكوخ، وفي الوقت الذي استغرقته إجراءات الالتماس تجاذبًا أطراف الحديث. عادت الأرملة إلى المحكمة مرة أخرى في صباح يوم الجمعة، وبسبب الاهتمام الكبير الذي أولته لچاسكوين تشجّع ودعاها إلى الغداء. وقد قبلت دعوته باندهاشٍ لعوب، ورافقها چاسكوين حاملاً مظلتها في الطريق إلى مطعم ماكسويل، حيث طلب طبقين من شوربة الشعير، وأكثر الخبز المتاح بياضاً، وزجاجة صغيرة من الشيري... ثم أجلسها في أفضل كرسي في المكان، بجوار النافذة.

وسريعاً اتّضح أن ليديا ويلز وأوبرت چاسكوين لديهما الكثير ليتحدّثا بشأنه، ولديهما العديد من الجوانب المشتركة. وأبدت السيدة ويلز فضولاً شديداً لمعرفة كل ما حدث منذ وفاة زوجها الراحل، وهو موضوع قاد چاسكوين تلقائياً إلى آنا ويذريل وأنها كادت تموت على طريق كانير. اندهشت ليديا ويلز... لأنها، كما قالت، تعرف أنا ويذريل. وأن الفتاة أقامت لبضعة أسابيع في فندقها في ديونندن، قبل انطلاقها لتكسب عيشها في حقول هوكتيكا السنة الماضية، وخلال إقامتها توثّقت العلاقة بينهما. في تلك اللحظة من حوارهما خطّطت ليديا "المفاجأة". وبعد انتهائهما من الغداء مباشرة، أرسلت چاسكوين إلى فندق جريديرون، حيث أبلغ آنا ويذريل أنها ستخرج في مهمة تسوّق غامضة في عصر اليوم التالي، في الساعة الثانية بعد الظهر).

قال چاسكوين: "إذا كان لديك خطيب، ومؤسسة جديدة، فهل من حقي أن أتمنى أن تطول إقامتك في هوكتيكا؟".

"من حق المرء دائماً أن يتمنى". قالتها ليديا ويلز... التي تتمتع بمخزون من الجُمَل البلاغية، من أمثال هذه الجملة، حيث تحب أن تصمت بطريقة مسرحية بعد أن تنطق بهم.

"أظنّ أنك قمت باستثمارك بمساعدة من خطيبك، هل أنا مُحِقُّ في ظني؟ ربما هو أحد الأثرياء!".

ضحكت الأرملة وقالت: "أوبرت، لن تستدرجني للحديث!".

"اعتقدت أنك تنتظرين أن أحاول استدراجك".

قالت الأرملة: "نعم، تحاول فقط، ولكن لا تنجح!".

قال جاسكوين بجفاف: "أظن أن هذه فكرة أنثوية بجدارة".

ردّت الأرملة بضحكة صغيرة: "ربما، لكننا نفرق بين الجنسين في المعاملة... وأتصور أنك لن تقبل بغير ذلك".

أعقب ذلك تبادل للمجاملات المعسولة، في مباراة وجد فيها كل من الأرملة والأرمل في الآخر نده ونظيره. وعوضًا عن تسجيل هذا التبادل العاطفي، سنتجاوزه، وسنصف ببعض التفصيل جانب قد يظنه الناس عيبًا خطيرًا في شخصية الرجل الفرنسي.

سعد جاسكوين بليديا ويلز سعادة طاغية، وأعجب كثيرًا بالتوقّد شديد الدقة والانضباط لحديث تلك المرأة وسلوكها... لكنه لم يثق بها. ولم يخُن ثقة آنا ويذريل، وحين قصّ لليديا حكاية آنا، لم يتطرق للذهب الذي وجدوه في فستان آنا البرتقالي في الأسبوع الماضي، الذهب المحفوظ الآن تحت سريره ملفوفًا في كيس دقيق. أيضًا قصّ جاسكوين أحداث يوم الرابع عشر من يناير كأنه يصدق بالفعل أن آنا حاولت قتل نفسها... أحسّ أنه من الأحوط ألا يلفت الانتباه للألغاز الكثيرة التي أحاطت بذاك المساء، حتى يتّضح تفسير أفضل. كان متأكدًا أن آنا ليس لديها فكرة عن الطريقة التي قضت بها ساعات منتصف تلك الليلة... أو في قول آخر، ليس لديها فكرة عمّن سرق منها تلك الساعات... ولم يرغب في أن يُعرّض آنا لأي شكل من أشكال الخطر؛ لذا التزم جاسكوين بالقصة "الرسمية"، التي تقول إن آنا حاولت الانتحار، وتمّ العثور عليها فاقدة الوعي وفي حالة بئسة على جانب الطريق. وتبنّى نفس وجهة النظر هذه حين يناقش الأمر مع رجال آخرين، ولم يتطلب الأمر منه الكثير من الجهد.

ويمكننا بسهولة الدفاع عن چاسكوين في أمر سعادته البالغة بليديا ويلز، وفي عدم شكّه في تقبُّلاتها العديدة. فقد لاحظنا أن انجذابه لها حدث قبل أن يعرف أسباب قدومها للمحكمة؛ حدث حتى قبل أن تنطق الأرملة باسمها. أمّا الآن فچاسكوين يعلم أن ليديا جمعتها بزوجها الراحل علاقة غامضة جدًّا؛ وأن الثروة الغامضة التي وجدوها في كوخ الرجل الميت أصبحت محلّ نزاع. ويعلم أنه يجب عليه ألاّ يثق بها... ويعلم أنه حين يكون معها فإن سيلاً من الإعجاب الصافي يملأ قلبه. والعقل ليس أبداً نذّاً للرغبة، حين نحسُّ بها، صافية عارمة، وقتها تصبح الرغبة نفسها عقلاً. وليديا كانت نادرة الوجود كإحدى تُحفّ الماضي المجيد... وچاسكوين يعلم بهذا، يعلم به كأنه حقيقة مثبتة بالمنطق. يعلم أنها استمدّت ملامحها الناعمة الماكرة، كما هي بلا أيّ تغيير، من عصر أقدم، وأفضل. ويعلم أن شكل رسغها وكاحلها بلا نظير، وأن صوتها...

لكننا بالفعل أوضحنا ما نوذُّ إيضاحه؛ وعلينا أن نعود إلى المشهد الحالي.

وضع چاسكوين كوبه قائلاً: "أعتقد أنه أمر حسنٌ أن تتزوجي. أنتِ أجمل بكثير من أن تظلي أرملة".

قالت ليديا ويلز: "لكن ربما، ربما أنا أجمل بكثير من أن أصبح زوجة رجل آخر".

ردّ عليها چاسكوين: "على الإطلاق. أنت جميلة كما يجب على زوجة رجل آخر أن تكون. فأنت تجعلين من الزواج فكرة محتملة للغاية".

قالت: "أوبرت، إنك تجميل".

قال الرجل الفرنسي: "أودُّ أن أجاملك أكثر بدعوتك للحديث عن الموضوع الذي أنتِ عليمة به، والذي قلّلتُ أنا من شأنه دون قصدٍ

مني. هيا يا ليديا، حدّثيني عن الأرواح، وعن قوى الأثير، وسأبدل قصارى جهدي لأكون ساذجًا ومتفائلًا، وغير متشكك بالمرة".

كم هي جميلة، وضوء وقت العصر الخافت يسقط كوشاح على كتفها! كم هو بديع ذاك الظل الذي ملأ الفجوة تحت شفتها!

اعتدلت ليديا ويلز في مجلسها وقالت: "أولًا، أنت مخطئ في ظنك أن الناس لن يدفعوا مقابل قراءة طالعهم؛ فالرجال يصدقون الخرافات كثيرًا حين يواجهون مخاطر كبيرة، وحقل الذهب مكان كثير المخاطر، وكثير المكاسب. وسيدفع المنقّبون دائمًا مالا كثيرا مقابل نصيحة... برّبك، إن كلمة 'طالع' تتردّد على ألسنتهم يوميًا! وسيجربون حظهم في أي شيء، إذا ظنوا أنه سيمنحهم ميزة في حقول الذهب. وعلى أي حال، فهل المستكشف إلا غجريّ يرتدي زيًا مختلفًا عن زي الغجر؟".

ضحك چاسكوين وقال: "أظن أن العديد من المستكشفين لن تعجبهم هذه المقارنة، لكنني أفهم وجهة نظرك يا آنسة ليديا؛ فالرجال مستعدون دائمًا أن يدفعوا مقابل نصيحة. لكن هل سيثقون في فعالية نصيحتك... أقصد فعاليتها العملية؟ أخشى أن هذا يُشكّل ضغطًا غير طبيعي... ستعانين تحت ثقل عبء تقديم الدليل! كيف ستضمنين أنك لن ترشدي بعضهم لطريق الضياع؟".

قالت ليديا ويلز: "يا له من سؤال كئيب للغاية!. أظنك تشك في مهارتي في المجال".

نعم، كان چاسكوين بالفعل يشك. لكنه أثر إخفاء هذا تأدّبًا، وقال: "أنا لا أشك، أنا أجهل الأمر، ومتشوّق للمعرفة".

قالت الأرملة: "لقد امتلكت ناديًا للقمار لمدة عقد كامل. توقّفت عجلة القمار عند الجائزة الكبرى مرة واحدة فقط طوال ذلك الوقت؛ وذلك بسبب أن الذراع تعطلت عن الدوران بسبب حصة انحشرت بجانبها. لقد رُكّبت العجلة بحيث يقف السهم دائمًا بعيدًا

عن الجوائز القريبة من الجائزة الكبرى. وإجراء احتياطي إضافي، يتم
تشحيم المساند المحيطة بالرقم من الناحيتين. فينزلق السهم بعيداً
عنها، بعد أن كاد يقف عليها، بعد أن يثير بداخلهم الطمَع في الجائزة،
ثم يبخل بها... في اللحظة الأخيرة، فلا يملك الرجال سوى التَّجُمُّع
ورمي شلناتهم لكي تَلْفَّ العجلة من جديد".

چاسكوين: "يا للهول، آنسة ليديا، هذا ظلم شيطاني!".

ليديا: "لا، إنه ليس كذلك".

چاسكوين: "بالطبع هو كذلك! هذا غش!".

ليديا ويلز: "أخبرني، هل يكون البقال غشَّاشاً إن وضع أشهى
التفاحات في آخر العرابة، حتى يبدأ ببيع الثمرات المبقة أولاً؟".
چاسكوين: "ليس هذا كذاك".

قالت الأرملة: "هراء، هذا هو نفس الشيء. البقال يؤمن لنفسه
دخلاً؛ لأنه إن وضع أشهى التفاحات في المقدمة، فإن الثمرات المبقة
لن تباع، وستبقى حتى تتعفن، ويتحتم عليه رميها. إنه يضمن حصوله
على دخل ثابت بحثاً زبائنه على الرضا بثمرة معيبة بدرجة بسيطة،
بسيطة جداً. أنا أيضاً لا بُدَّ أن أضمن حصولي على دخل، إذا أردت
أن أبقى في مجال العمل، وأنا أقوم بهذا باتباع نفس الطريقة. حين
يعود المقامر لبيته ومعه مكافأة صغيرة - لنقل مثلاً خمسة جنيهات -
وإحساس بأنه كان بينه وبين ربح ثروة عظيمة مقدار شعرة، فكأنه
عاد لبيته بتفاحة مبقعة. معه مكافأة متواضعة، وذكرى سعيدة
لأمسية لطيفة جداً، وإحساس بأنه اقترب للغاية من شيء مذهل.
فهو، بشكل أو بآخر، سعيد. وكذلك أنا".

ضحك چاسكوين مرة أخرى وقال: "لكن القمار إثمٌ. والتفاحة
المبقعة ليست إثماً. سامحيني: أنا لا أقصد أن أكون كئيماً، لكن المثل

الذي ذكرته -مثله مثل عجلة القمار الخاصة بك- مُرَّكَبٌ لمصلحتك الخاصة".

قالت الأرملة باحتقار: "القمار إثمٌ بالتأكيد. بالطبع هو خطيئة رهيبة وبلاء ويحطّم الرجال وكل هذا. وماذا يهمني في ذلك؟ جرّب أن تقول للبقال إنك لا تحب التفاح! سيردُّ عليك أنه لا أهمية للأمر الذي تقوله، فهناك الكثيرون غيرك يحبون التفاح!".

رفع چاسكوين يده إلى رأسه بالتحية العسكرية. وقال: "لقد اقتنعت بقدرتك على الإقناع. أنتِ قوّة لا يُستهان بها يا آنسة ليديا! إني مشفق على ذلك الفتى المسكين الذي ربح الجائزة الكبرى... وتحتمّ عليه أن يأتي إليك بعدها، ويطلب بما ربحه".

قالت ليديا ويلز: "أوه، نعم... لكني لم أدفع".

ذهل چاسكوين: "تهرّبتِ من دفع الجائزة التي كسبها في ناديك الخاص؟".

رفعت ذقنها وقالت: "مَن التي تهرّبت؟ كل ما في الأمر أني منحته خيارًا آخر. قلت له إن بإمكانه الحصول على ما قيمته مائة جنيه من الذهب، أو الحصول عليّ". وأضافت بعد أن رأت النظرة على وجه چاسكوين. "وليس بصفتي عاهرة. بل كزوجة، أيها السخيف. كان هذا كروسبي. وقد اختار. وأنت تعلم ما اختاره!".

فغر چاسكوين فمه: "كروسبي ويلز".

قالت الأرملة: "نعم، تزوجنا قبل انتهاء الليلة. ما الأمر يا أوبرت؟ بالتأكيد لم أكن لأعطيه مائة جنيه. لم يخطر ببالي أبدًا أن العجلة قد تتوقّف عند الجائزة الكبرى، لقد ركبّتها بحيث لا يحدث هذا أبدًا! لم أكن لأنجو من هذا. كنت لأحطّم نفسي كلية. كنت لأفلس. ليس هناك داعٍ أن تصدم".

"أعترف بأنني مصدوم، قليلاً". قالها چاسكوين، رغم أن صدمته كانت مليئة بالإعجاب. "عجباً... هل كنت تعرفينه من قبل؟".

قالت ليديا ويلز: "بالطبع لا، كم أنت مليء بالأفكار العصرية!".

احمرَّ وجه چاسكوين وقال: "لم أقصد هذا"، ثم أردف مُسرِعاً، "بالطبع، إن كنت تحولين دون دمارك المالي، كما تقولين...".

"كنا غير منسجمين بشكل رهيب، وخلال شهر واحد لم يعد أحدٌ منّا يطبق النظر إلى الآخر. وكان هذا مُتَوَقَّعاً. نعم: كان هذا أقصى ما نتوقعه نظراً للظروف".

تساءل چاسكوين لماذا لم يرتَّب الزوجان للطلاق، لكنه لا يمكنه أن يسأل هذا السؤال بدون أن يחדش حياء الأرملة، فاكثفى بهزُّ رأسه.

أضافت ليديا: "لكنني عصيَّة جدًّا في أمر آخر. أظنك ستوافقني في التزامي بجانبِ الحذر... وإصراري على حدوث الانفصال أكثر من الحصول على الطلاق! لقد سبق لك الزواج يا سيد چاسكوين".

لاحظ الدلال في استخدام اسم عائلته، فابتسم لها وقال: "نعم، لكن دعينا من الحديث عن الماضي، لنحدث عن الحاضر، والمستقبل، وكل ما هو آتٍ. أخبريني عن التغييرات التي ستقومين بها في هذا الفندق".

سعدت ليديا بالحصول على فرصة الحديث. فهبَّت واقفة على قدميها وشبكت يديها متَّخذةً هيئة منشدة في كورس، وتقدَّمت أمام مسند القدمين. ودارت على كعبيها تنظر في أنحاء الصالون... نحو النافذة رأسية القوائم؛ والحوائط المغطاة بطبقة خفيفة من الجص؛ والعَلَم الانجليزي البالي، الذي ولا بُدَّ تَمَّ انتشاله من حطام إحدى السفن الغارقة، والمعلَّق رأسياً على الحائط المقابل للنافذة.

قالت: "سأغيّر الاسم بالطبع، لن يظل اسمه الواي فيرر: سيصبح الواي فيرر فورتنش".
"اسم له رنة موسيقية".

أعجبها ما قاله. خطت بضع خطوات بعيدًا عن الأريكة، وفردت ذراعيها. "سأعلّق ستائر -فأنا لا أطيّق الغرفة بلا ستائر- وأرائك من الطراز الحديث، الذي يصلح كسريرٍ نهاري. في غرفة المعيشة سأضع مقصورةً بأبواب تشبه أبواب الحانات التي تدفع لتُفتَح من الناحيتين... تشبه مقصورة الاعتراف. وسأجعل الصالون الأمامي غرفة انتظار. سأقوم بجلسات تحضير الأرواح هنا بالطبع. أوه، لديّ الكثير من الأفكار. سأقرأ الطالع، وأرسم خرائط الميلاد النجمية، وسأقرأ كروت التاروت. أمّا في الطابق الأعلى... ما هذا؟ أنت لا تزال متشكّكًا يا أوبرت!".

"لم أعد متشكّكًا! إنني أسحب تشكّكي، قالها چاسكوين وهو يمد يده يتشبّث بيدها... مدفوعًا برغبته في محو ابتسامة" (فقد كان متشكّكًا حتى النخاع، وحين سمعها تنطق حرف الراء في كلمة تاروت كاد ينفجر ضاحكًا). وضغط على يدها وأضاف، "وإني أحب أن أكافأ على سحبي لتشكّكي".

قالت ليديا ويلز: "أنا خيرة في هذا المجال، وأنت مجرد رجل من العامّة. عليك أن تتذكر هذا، برغم ظنّك السيئ بشأن ممالك الأثير".
كانت ذراعها الممتدّة في استرخاء تفصل بينهما، كسيدة من الطبقة الراقية تمُدُّ يدها لأحدهم ليطلع قبله على خواتهما، كبح چاسكوين رغبته في جذب يدها وتقبيلها.

ضغط على يدها مرة أخرى قائلاً: "أنتِ مُحِقَّة، أنتِ مُحِقَّة تمامًا".
وأطلق يدها، فتحرّكت باتجاه إطار المدفأة.

قالت: "سأكافئك بحقيقة، لكن بشرط أن تأخذ ما أقوله على محمل الجد... تمامًا كما تعامل رجلًا آخر".

تمتم چاسكوين: "بالطبع"، واعتدل في جلسته مُظهرًا الجدية.

قالت ليديا ويلز: "الحقيقة أن الشهر القادم سيكون شهرًا بلا قمر".

قال چاسكوين: "يا للهول!".

"أقصد أن البدر لن يكتمل أبدًا. فبراير شهر قصير. سيكتمل القمر بدرًا قبل بداية الشهر مباشرة، وسيكتمل مرة أخرى بعد اليوم الثامن والعشرين مباشرة؛ ولهذا لن يكتمل القمر في فبراير".

ابتسم چاسكوين لها، "وهل يحدث هذا كل عام".

قالت ليديا: "لا، إنها ظاهرة نادرة الحدوث"، ومررت أصابعها على حافة إطار المدفأة المصنوعة من الجص.

"وهل هذه النُدرة تمثّل قيمة؟ أم تمثّل خطرًا؟".

أكملت ليديا: "يحدث هذا مرة كل عدة سنوات"، وأصلحت من وضع الساعة الموضوعة على إطار المدفأة.

"وبماذا ينبئ شهر بلا قمر يا آنسة ليديا؟".

التفتت ليديا ويلز إليه، ووضعت يديها على خصرها وقالت: "سأخبرك إن أعطيتني شلنًا".

ضحك چاسكوين وقال: "ليس الآن. حتى الآن ليس لديّ دليل على خبرتك. سيتحتّم عليّ أن أختبرك قبل أن أتخلى عن مال أو غيره ممّا ينتمي لهذا العالم. الليلة ستحجب السحب السماء... لكنني سأنفحص جريدة يوم الاثنين، وسأرى إن استجدّ أمرٌ ما".

حدّقت فيه الأرملة بصلابة وقالت: "لست مُخطئةً، فلديّ روزنامة التقويم الفلكي، وأنا بارعة في قراءتها. القمر يكتمل الآن، فوق السحاب. وسيكتمل بدرًا بحلول ليلة يوم الاثنين، وسيبدأ المحاق من الثلاثاء. الشهر القادم سيكون شهرًا بلا قمر".

ارتباطات

حيث تنصلح كل الانطباعات السيئة، وتتعدّد الدعوات، ويتقدّم الماضي ليلا مس الحاضر.

ظَلَّ القسُّ كويل ديفلن في قاعة طعام فندق بالاس حتى ساعات منتصف العصر، عندئذ بدأ يحسُّ بالتَّبلُّد والغباء، وقلَّ استيعابه لما يقرؤه. فرأى أنه بحاجة لبعض الهواء النقي، فأنهى قهوته، وجمع كتيباته، ودفع حسابه، ورفع ياقته ليقبى نفسه من المطر وانطلق شمالاً باتجاه الشاطئ. سطعت شمس العصر فوق السحاب، وأضافت على المشهد ضياءً فضياً جعل لون البحر أشد صفاءً ونثراً في الرمال نقاطاً من الضوء الأبيض. وبدت قطرات المطر كأنها تلمع في الهواء؛ وحملت الرياح الباردة الآتية من المحيط رائحة لطيفة واهنة. ساهم كل هذا في تبديد خدر ديفلن، وسرعان ما صار متورّداً الوجنتين

مبتسمًا، وراحته تضغط بإحكام على قبعته عريضة الحواف لتثبيتها على رأسه. وقرر أن يطيل تجواله لأقصى مدى ويعود لهوكتيكا عن طريق مرتفع سي فيو، حيث مكان السجن الجديد، ومحل سكن ديفلن في المستقبل.

حين وصل لقمة التل، استدار، وهو يلهث بشكل بسيط، واندesh حين شاهد أحدهم يتبعه، شاب يرتدي قميصًا وبنطلونًا من القطن، كلاهما ملتصق بجسده من البلل، يصعد الطريق متجهًا للمرتفع بخطوات مسرعة. كان الرجل منكس الرأس، لم يتعرف عليه ديفلن على الفور؛ وحين ضاقت المسافة التي تفصلهما لعشرين ياردة عرف من هو. إنه رجل وادي الأراهورا، الماوري، صديق المرحوم كروسبي ويلز.

لم يتدرب ديفلن لكي يصير مبشرًا، ولم يأتَ لنيوزلندا لهذا الغرض. واندesh تمامًا حين عرف أن العهد الجديد تُرجم للغة الماورية قبل وصوله للبلاد بقرابة العشرين عامًا؛ وزادت دهشته حين علم أن النسخة المترجمة متاحة للبيع في محل بيع أدوات الكتابة في شارع جورج في ديوندن، بسعر معقول جدًا. حين قلب ديفلن صفحات الكتاب المترجم تساءل عن الطريقة التي اتبعوها في تبسيط الرسالة الإلهية، وأثر هذا التبسيط عليها. بدت له الكلمات غير المألوفة في أبجديتهم البتراء طفولية؛ مكوّنة من مقاطع صوتية مكررة وتمتمات... ليس بالإمكان تمييزها، ككلمات طفل. لكن سرعان ما عاتب ديفلن نفسه؛ ألا يُعدُّ إنجيله ترجمةً من نوع آخر؟ عليه أن لا يتسرع، وأن لا يتعجرف، بهذه الطريقة. وكتكفير عن الشكوك التي دارت بداخله أخرج مفكرة الجيب الخاصة به وسجّل بعناية بعض الفقرات الرئيسية من الترجمة الماورية، هي أروها تي أتوا. إي أروها أنا تاتو كي اه ايا نو تي اي كو ايا كوا ماتوا اروها كي اه تاتو. كو أهوا تي هواراهي، تي بونو، تي أورا. چون 14,6. واندesh حين وقعت عيناه على "من رسائل باورا". لقد غيّر المترجم الأسماء.

رفع الماوري وجهه؛ وتوقّف حين رأى ديفلن واقفًا على حافة المرتفع فوقه، وبدون كلمة، تبادلًا النظر من مسافة عدة ياردات. فجأة هبّت الريح فساوت الأعشاب حيث يقف ديفلن بالأرض، وأبعدت شعره عن صدغيه. فرفع صوته: "مساء الخير".

ردّ عليه الآخر محدّقًا: "مساء الخير".

"أرى أن كلينا لا يعيقه سوء الجو!".

"نعم".

فردّ ديفلن ذراعه مشيرًا للأفق المحجوب أمامهم، "العيب الوحيد أن المشهد ناقص بشكل ما. يبدو المكان بلا ملامح حين تغيم السماء، يبدو كأننا من الممكن أن نكون في أي موضع على الكرة الأرضية، أليس كذلك؟ أتصوّر أنه حين تصفو السماء سنجد أنفسنا في مكان آخر مختلف تمامًا!".

من مرتفع سيّ قيو، الجدير باسمه، هناك منظر واحد للمحيط، حيث بدا من هذا الارتفاع كمتّسع بلا ملامح، رحاب شاسع أحادي اللون، بسماء ملوّنة بدرجة أفتح من نفس لونه. ولا يمكن رؤية الشاطئ، بسبب الانحدار الحاد للتل، وتنتهي حافة المرتفع بغتةً بمنحدر من الحصى السائبة والطيني... اجتمع سويًا ثالثا الأرض والماء والهواء في خلق سواد هذا المشهد، الذي خلا من الأشجار القادرة على تغيير رتابته، وخلا من أي حدود تلتطّف من شكل الأرض، المشهد قادر على إثارة القلق في حواس المرء للدرجة التي تجبره على أن يدير ظهره للمحيط تمامًا، ويتجه بنظره للجبال الشرقية التي حجبته، يومها، ستارة من السحب البيضاء متغيّرة الشكل. وفي الأسفل أفسحت سقوف هوكتيكا المحتشدة المجال لمجرى نهر هوكتيكا البني المتسع ولمنحني اللسان الرملي الرمادي؛ وفيما يلي النهر، نرى خط الساحل المسافر جنوبًا يغشاه الضباب والمسافات حتى يبتلعه الضباب تمامًا.

قال الماوري: "إنه مشهد حسن".

"إنه كذلك بحق؛ رغم أنني يجب أن أعترف أنني لم أمر بمشهد لم يعجبني، في هذا البلد". وهبط ديفلن بضع خطوات بيده ممدودة. "اسمي هو كويل ديفلن. للأسف فأنا لا أتذكر اسمك".
"تي رو تاوهار".

"تي رو تاوهار". ردّد ديفلن الاسم بجدية. "تشرّفنا".

تاوهار لا يعرف معنى كلمة 'تشرّفنا'، فتوقّف مفكراً فيها؛ بينما استأنف ديفلن. "أذكر أنك كنت صديقاً حميماً لكروسي ويلز".
صحّح له تاوهار: "كنت صديقه الوحيد".

"آه، لكن حتى وإن لم يحظَ المرء سوى بصديق واحد مخلص، فإنه عليه أن يعتبر نفسه محظوظاً".

لم يرّد تاوهار على الفور. وبعد لحظة قال: "لقد علّمته اللغة الماورية".

أوماً ديفلن. "شاركته في لغتك. وحكايات شعبك، إن العلاقة التي تُبنى على مثل هذا الأساس هي علاقة حسنة".
"نعم".

واستطرد ديفلن: "لقد قلت عن كروسي ويلز إنه أخوك. أنا أتذكر ذلك، لقد استخدمت هذه الكلمة، تلك الليلة في مخيم الشرطة... الليلة السابقة لدفن جثمانه".

"إنها طريقة في الحديث".

"نعم، لكن العاطفة النابعة منها حسنة جداً. لم تكن لتقولها إن لم تكن مخلصاً للرجل، إن لم تكن تحبه، تماماً كما تحب نفسك. أعتقد

أن كلمة أخ تعطي معنى الحب. الحب الذي نختار أن نهبه بكل سرور".

فكّر تاوهار فيما سمعه، ثم قال: "بعض الأخوة لا يمكنك اختيارهم".

ديفلن: "آه، بالطبع. هل بإمكاننا اختيار أقربائنا؟ لا يمكننا اختيار عائلاتنا. نعم، إن ملاحظتك جيدة. جيدة جدًا".

استطرد تاوهار متشجعًا بالإطراء: "وداخل العائلة الواحدة يمكن لأخوين أن يكونا مختلفين تمامًا".

ضحك ديفلن. "أنت مُحقُّ مرة أخرى، يمكن للأخوة أن يكونوا مختلفين تمامًا. لم ألاحظ بإخوة، كان لديّ أخوات. أربع أخوات كلهن أكبر مني. وقد جعلن مني لعبتهن". وسكت ليتيح لتاوهار الفرصة للبوح ببعض المعلومات عن عائلته، لكن تاوهار كرّر ملحوظته بخصوص الإخوة وهو بادي الرضا عن فطنته الخاصة.

قال ديفلن فجأة: "هل يمكنني يا تي رو أن أسألك عن أمر بخصوص كروسبي ويلز".

فهو لم ينسَ القصة التي سمعها، اليوم صباحًا، في قاعة الطعام بفندق بالاس. السياسي أليستار لودرباك مقتنع، لسبب غامض، أن المرحوم كروسبي ويلز والمبتز فرانسيس كارفر أخوان رغم اختلاف الأسماء؛ ولم يفصح لودرباك عن سبب اقتناعه بهذا. ربما يعلم تاوهار شيئًا عن هذا الأمر، بصفته صديق ويلز المقرب.

قال تاوهار مقطّبًا: "لا تسألني عن الثروة، أنا لا أعلم شيئًا عن الثروة. لقد تمّ استجوابي بالفعل عن طريق القاضي، والشرطة، ومدير السجن. لا أريد الإجابة عن هذا السؤال مرة أخرى".

قال ديفلن: "أوه لا... ليس بخصوص الثروة، أردت سؤالك عن رجل يدعى كارفر. فرانسيس كارفر".

تجمّد تاوهار. "لماذا؟".

"سمعت أنه قد جمعته بالسيد ويلز معرفة قديمة. ومن الواضح أن هناك نزاعًا بينهما. بخصوص أمر... إجرامي".

ضاقت عينا تاوهار. ولم ينبس بكلمة.

ديفلن: "هل تعلم شيئًا بخصوص هذا الأمر؟".

صباح يوم الرابع عشر من يناير، حين أخبر تي رو تاوهار فرانسيس كارفر، وفي مقابل شلنن، عن مكان سكن كروسبي ويلز، لم يحسّ أنه بهذا يُعرّض صديقه للخطر. لم يكن في العرض ولا في طريقة القيام به أي غرابة. فكثيرًا ما يعرض الرجال مكافآت مقابل معلومات عن أشخاص مفقودين في حقول الذهب، وليس كلهم إخوة، فهناك أيضا آباء، وأعمام، وأبناء، ومدينون، وشركاء، وأصدقاء. بالطبع هناك صفحة للمفقودين في الجريدة، لكن ليس كل المنقّبين يستطيعون القراءة، وليس كل مَنْ يستطيع القراءة لديه الوقت أو الرغبة لمتابعة الأخبار اليومية. فمن الأرخص، والأفضل أحيانًا، أن يعرضوا مكافآت للمعلومات الشفهية. أخذ تاوهار الشلنن بسعادة، وحين شاهد كارفر يقترب من كوخ ويلز في نفس ذلك المساء، ويخبط على الباب، ويدخل، لم تداخله الريبة. قرّر أن يبيت ليلته على التل بجوار الأفخاخ التي نصبها. حتى يتيح لكارفر وويلز الفرصة للانفراد ببعضهما البعض. لقد تصور أن كارفر زميل قديم لويلز من سنواته في ديوندن، ولم يسرح عقله لأبعد من هذا الافتراض.

لكن، في صباح اليوم التالي، عثروا على ويلز ميتًا؛ وفي يوم الجنازة عثروا على قنينة منوّم تحت فراشه؛ بعد ذلك بأيام، اتّضح أن سفينة كارفر، جودسبيد، قد أبحرت مساء يوم الرابع عشر من يناير، خلافًا

لجدولها، وتحت ستار الظلام. فارتعب تاوهار. كل الأدلة تشير إلى حقيقة أن فرانسيس كارفر قد لعب دورًا في موت الناسك... وإن حدث وأنّضح أن هذا حقيقي، فإن تي رو تاوهار هو مَنْ أتاح له الفرصة لذلك، بإعلامه عن المكان الذي يمكن العثور فيه على ويلز! والألعن من هذا هو أنه تلقى مكافأة على خيانتة.

قدرة تاوهار على السيطرة على نفسه، والكامنة في إحساسه بذاته، لم تسمح له بالقيام بأي تصرف غير حكيم. ومعرفته بأنه خان صديقه مقابل المال ملأته بإحساس عميق بالعار، ظهر هذا العار على هيئة غضب متقزز مُوجّه للخارج والداخل في نفس الوقت. وقضى الأيام التالية لدفن ويلز في مزاج سوداوي، يجزُّ على أسنانه، ويشد شعره، ويلعن فرانسيس كارفر في كل خطوة يخطوها.

جدّد استفسار ديفلن ذاك المزاج السوداوي. أنار الغضب عيني تاوهار، ورفع ذقنه وقال: "إن كان هناك نزاع بينهما، فقد انتهى الآن". رفع ديفلن راحتيه ليهدئ من ثائرة الرجل، قائلاً: "بالطبع، لكني سمعت إشاعة تفيد بأنهما كانا أخوين. كروسبي ويلز وكارفر. ربما يكون الأمر مجرد طريقة في الحديث، كما سبق وذكرت، لكني أردت أن أتأكد".

ذهل تاوهار ممّا سمعه، وليخفي ذهوله؛ قطّب بشدة في وجه القس.

مكتبة

t.me/soramnqraa

"هل لديك أي فكرة عن هذا الأمر؟".

ردّ تاوهار بغضب: "لا".

"ألم يتحدث ويلز أمامك عن رجل يدعى كارفر؟".

"لا".

لاحظ ديفلن تغير مزاج تاوهار؛ فقرّر تغيير الموضوع. "إلى أي مدى وصل تقدم كروسبي ويلز في تعلم اللغة الماورية؟".

قال تاوهار: "ليس بمستوى لغتي الإنجليزية".

"لا شك في هذا! فإنجليزيتك جيدة جدًا".

رفع تاوهار ذقنه. "لقد سافرت مع مستكشفين. وأرشدت العديد من الرجال في الطرق الجبلية".

ابتسم ديفلن، وقال: "أتعلم، أشعر كأني أعرفك منذ زمن طويل يا تي رو. أظن أننا، وأنا وأنت، لا نختلف عن بعضنا كثيرًا، فنحن نشارك قصصنا، ولغتنا، مع الآخرين، ونصنع منهم أخوة لنا. أظن أننا لا نختلف عن بعضنا بالمرة".

تحدث ديفلن انطلاقًا من إحساسه وليس بناء على مُدركات واقعية؛ فالسنوات التي قضاها كرجل دين علمته أنه من الحيلة أن يبدأ حديثه من نقطة التقاء، وإن لم توجد تلك النقطة، فإنه يدّعي وجودها. ولم يكن يخلق كَلِيَّةً ما يدّعيه، لكنه في الحقيقة، وإذا ألحنا عليه، فإنه لن يستطيع تقديم وصف دقيق لتلك الجوانب المشتركة التي يدّعي وجودها، قبل أن ينحدر إلى التعميم.

قال تاوهار مقطّبًا: "أنا لست رجل دين".

ردّ ديفلن: "ورغم ذلك هناك الكثير من الدين فيك. أعتقد أنك أتيت اليوم لأنك ترغب في الصلاة يا تي رو. ترغب في زيارة قبر صديقك العزيز... والصلاة من أجله".

هزّ تاوهار رأسه، "أنا لا أصلي من أجل كروسبي. أنا أتذكره".

قال ديفلن: "هذا حسن، حسن جدًا. التذكر مكان جيد جدًا لتبدأ منه". ثم ابتسم ابتسامة خفيفة وضمّ راحتيه المفرودتين معًا ثم ثنى كفيه للأسفل... متّخذًا وضعية القس. "تبدأ الصلوات عادة كذكريات.

فحين نتذكر هؤلاء الذين أحببناهم، وفقدناهم، فمن الطبيعي أن نأمل أن يكونوا بأمان وسعادة، أينما كانوا. ويتحوّل أملنا إلى أمنية، وحين ننطق بأمنية، حتى ولو في صمت، بدون كلمات، تصبح ابتهالاً. ربما لا نعلم مَنْ الذي نخاطبه؛ وربما نطلب قبل أن نعرف بحق مَنْ الذي يسمعنا، أو حتى قبل أن نؤمن بوجود هذا الذي يسمعنا. لكنني أرى أنها بداية جيدة جداً، أن نتذكر هؤلاء الذين أحببناهم. فحين نتذكر الآخرين بحب، نتمنى لهم الصحة والسعادة وكل ما هو خير. وهذه هي صلوات الرجل المسيحي. فالرجل المسيحي ينظر خارج نفسه يا تي رو، إنه يحب الآخرين قبل أن يحب نفسه. ولهذا السبب فالرجل المسيحي لديه الكثير من الإخوة. سواء مَنْ يشبهونه أو مَنْ لا يشبهونه. فنحن لا نختلف كثيراً عن بعضنا في حقيقة الأمر حين ننظر من منظور شامل... ألا توافقتني الرأي؟".

(ونحن نرى، حين ننظر من ذاك المنظور الشامل، أن تي رو تاوهار وكويل ديفلن متماثلان في الكثير من الجوانب؛ وأكبر هذه الجوانب لن يلاحظه ولن ينتبه إليه أحد. وهو أن كلا الرجلين لا يمتلك من الفضول القدر الكافي لإزعاج السكينة المتكبرة في الآخر، ولا لأن يدفعه للحديث، وقد يقفان بالقرب من بعضهما للأبد، أحدهما يعبر عن نفسه، والآخر هو الدليل على هذا التعبير).

أضاف ديفلن: "بالطبع ليست كل الصلوات ابتهالات؛ فبعض الصلوات تعبير عن السعادة، وبعضها تعبير عن الشكر. لكن الأمل موجود في كل المشاعر الجميلة يا تي رو، حتى في المشاعر التي تتذكّر الماضي. الرجل الذي يصلي، الرجل الصالح، دائماً ممتلئ بالأمل؛ دائماً متفائل. فالرجل قملؤه صلواته بالأمل".

استقبل تاوهار هذه الخطبة بتشكُّك، لم يَزِدْ عن أن أوماً برأسه. ثم قال، مُشَفِّقاً على محدّثه: "إنها كلمات حكيمة".

اقتصر مفهوم تاوهار عن الصلاة عمومًا على النوع الطقسي الخطابي. فالاحترام المفروض عليه تجاه الخطب والطقوس الكلامية والمراسم الدينية، يثير بداخله الإحساس بالاستقرار والهدوء، وهو إحساس لا يحسُّ بمثله بمفرده، ولا يودُّ أن يحسَّه بمفرده. هذا الإحساس يختلف تمامًا عن الحب الذي يحسه تجاه عائلته، والذي يأتيه كوثبة مباغتة في صدره، وهو مختلف أيضًا عن إحساس الفخر الذي يملؤه، ويحسُّه كحماس مكبوت، كيقينٍ مزهوٍّ بأنه لا مثيل له بين الرجال، ولن يجروا أحد على مقارنة نفسه به. سرى هذا الإحساس بداخله أعمق من الطيبة التي كان يحسُّ بها وهو يراقب أمه تفلق المحار وتكوّم اللحم اللزج في سلّة من الكتان على الشاطئ، ويملؤه اليقين وهو يراقبها، بأن حبه طيب، ونقي للغاية؛ سرى الإحساس بالفخر أعمق من الإرهاق الطاهر الذي يحسُّ به بعد قضاء اليوم في رصّ البطاطا في حفر تخزين الطعام، أو جرّ أخشاب الأشجار، أو جدل سيقان نبات الكتان حتى تدمى أطراف أصابعه. آمن تي رو تاوهار أن الدين الحقيقي هو خدمة الآخرين بحب، وعلى مذبح هذا الدين ليس هناك مكان للأصنام.

قال ديفلن: "هلا ذهبنا سويًا إلى القبر؟".

استسلم الشاهد الخشبي لقبر كروسبي ويلز لمناخ الساحل. وبعد مرور أسبوعين اثنين من وفاة الناسك. نرى اللوحة الخشبية وقد انتفخت، وبقيعتها طبقة من العفن الأسود. وصارت أطراف الحروف التي نحتها صانع البراميل ناعمة، وبهتت طبقة الطلاء الرقيقة متحوّلةً من اللون الأبيض إلى أصفر رمادي عكِرٍ؛ ممّا أوحى بعكس ما تشير إليه سنة الوفاة، وأوحى بأن الرجل قد مات منذ زمن بعيد. كانت بقعة الأرض بلا أشنات ولا أعشاب، ورغم المطر المنهمر بدت البقعة قاحلة ليس بسبب أنها حُفرت حديثًا، ولكن لأنها لن تحفر ثانية.

كانت المراثيات المفضّلة هنا هي تطويات مثنى، أو الآيات المعتاد قراءتها من المزامير. لكن التوصيات بالخلود للنوم في سلام لا تجلب الاطمئنان هنا كما قد تجلبه في أبرشية مُحاطة بسياج ومُعَبَّدة الطرقات، وتقع على بُعد عشرة آلاف ميل. لقد رقد كروسبي ويلز رقدته الأبدية بين المفقودين والغرقى، وضُمَّت تلك البقعة في سي فيو القليل من شواهد القبور، معظمها شواهد تذكارية تخليدًا لذكرى سفن تحطّمت أو فُقدت في البحر، جلاسجو، ذا سيتي أوف ديوندن، ذا نيوزيلند... كأن مدناً بأكملها، وبلدانًا بأكملها، كادت أن تصل بأمان للساحل، لكنها جنحت، أو غرقت، أو اختفت. على يمين قبر الناسك وقف شاهد تذكاري للسفينة الشراعية أووك، أول مركب تغرق في مصب نهر هوكتيكا، بدت الجملة المحفورة على الشاهد الحجري مُخَضَّر اللون كنبوءة بالخطر؛ وعلى يسار قبر ويلز وقف شاهد خشبي بالكاد يزيد عن حجم لافتة، ولا يحمل اسمًا، عليه فقط آية، بدون سنَدٍ أو مصدر، تقول "إن حياتي بين يديك". بالقرب من المقبرة يقع مكان سجن جورج شيرد المستقبل. حيث قيست أبعاد أساسات المبنى، ورُسِّمَت على الأرض بطلاء الرصاص الأبيض.

كانت هذه هي المرة الأولى التي يأتي فيها تاوهار إلى سي فيو بعد دفن جثمان ويلز، في مراسم تمّت بحضور جمع قليل العدد غير مبالٍ، وتحت زخّات المطر الغزير. بهذه الملابس، وبالوتيرة المعتادة التي جرّت بها تلاوة الصلوات. أتت جنازة ويلز كتجسيد لكل أشكال انعدام الذوق، ولكافة أنواع الضجر. وغني عن الذكر أن قي رو تاوهار لم يكن مدعوًا للاشتراك في الجنازة، وفرض عليه جورج شيرد، بإشارة متوقعة من إصبعه ضخم المفاصل، أن يظلّ صامتًا تمامًا طوال الوقت حتى يصل القس إلى "آمين"... وحين ردّدها الحاضرون خلف القس، لم يضم تاوهار صوته لصوتهم، حيث ابتلع انهمار المطر دعاء ديفلن. وقد سمحوا لتاوهار بالمساعدة في إنزال تابوت ويلز إلى طين الحفرة،

وسمحو له بأن يهيل ثلاثين، أو أربعين، أو خمسين جاروفًا من التربة الرطبة عليه. وقد تمنى لو أhal التراب على التابوت بمفرده، فاشترك المجموعة في إهالة التراب ملأ الحفرة بسرعة، وأحسّ تاوهار أن كل شيء انتهى بأسرع مما يجب. رفع الرجال ياقاتهم حتى آذانهم، وزرّروا معاطفهم، والتقطوا أدواتهم الملطّخة بالطين، وهبطوا الطريق الطيني واحد وراء الآخر إلى حيث دفء هوكتيكا ونورها، حيث علّقوا معاطفهم وجفّفوا وجوههم، وبدّلوا أحذيتهم المبللة بأحذية المنزل.

اقترب تاوهار من قبر صديقه في صمت، وتبعه ديفلن، معقود اليدين، ومليئًا بالسلام. وعلى بُعد خمس أو ست أقدام من الشاهد الخشبي توقّف تاوهار، ونظر للبقعة كأنه ينظر من باب غرفة إلى فراش موت أحدهم... بدا كأنه خائف أن يخطو داخل الغرفة.

لم يحدث أبدًا أن رأى تاوهار كروسبي ويلز خارج وادي الأراهورا. وبالتأكيد لم يحدث أبدًا أن رآه هنا، على هذا المرتفع المهجور الذي دمّرتَه السماء. ألم يقل الرجل مرّاتٍ لا تُعدّ ولا تُحصى أنه يودُّ أن يقضي أيامه في هدوء الأراهورا؟ ليس من العقل أن يدفنه هنا، بين رجال ليسوا إخوةً له، في أرض لم يعمل عليها، ولم يحبها... في الوقت الذي يقف فيه كوخه العزيز خاليًا مهجورًا، على بُعد عدة أميال! تلك الأرض هناك هي الأولى بضّمّه واحتوائه. تلك الأرض هي الأولى بتحويل موته لحياة خصبة. كان عليهم أن يدفنه في الأراهورا. على حافة الأرض التي أخلاها لبيني كوخه... أو في حديقته الصغيرة... أو في الجانب الشمالي لكوخه، في بقعة مشمسة.

اقترب تاوهار وخطا إلى داخل الغرفة الخيالية، ووصل لنهاية الفراش الخيالي. وغمرته موجة من الإحساس بالذنب، هل عليه أن يعترف للقس بأنه هو، تاوهار، مَنْ قاد كروسبي إلى حتفه؟ أجل، سوف يعترف، وسيصلي ديفلن من أجله، كأنه رجل مسيحي. وجثا

تاوهار، ووضع يداً حانية فوق التراب المبتل الذي يغطي قلب كروسبي، وترك يده عليه.

ديفلن: "ربما يمتد البكاء طوال الليل، لكن الفرح يأتي في الصباح".

تاوهار: "كل البشر سيفنون لكن الأرض ستبقى".

"فليحفظه الرب، وليحفظنا الرب، ونحن نصلي من أجله".

تركت يد تاوهار تجويفاً في التربة؛ حين رآه تاوهار، رفع يده قليلاً، وبأطراف أصابعه مسح أثر يده.



في مكتب جريدة تايمز الساحل الغربي الواقع في شارع ويلد، كان سبت بنجامين لوينثال يكاد ينتهي. وقد عثر عليه تشارلي فروست جالساً إلى منضدة مطبخه، ينهي عشائه.

كانت سعادة لوينثال برؤية فروست أقل من سعادته برؤية توماس بالفور عصر هذا اليوم، فقد ظن، وهو محق في ظنه، أن فروست قد أتى ليتحدث عن ممتلكات كروسبي ويلز... وهو موضوع قد ملَّ الحديث فيه منذ فترة طويلة. ورغم هذا فقد رحَّب بفروست في مطبخه بأدب، ودعا موظف البنك الشاب للجلوس.

فروست، من ناحيته، لم يعتذر عن مقاطعة لوينثال في يوم اعتكافه. لأنه لم يكن عارفاً بأمور الدنيا، ولم يكن يعرف أن هناك أياماً للاعتكاف. جلس إلى المنضدة المبقَّعة بالحبر، مستغرباً أن لوينثال طبخ لنفسه مثل هذا العشاء متعدد الأصناف، ليتناوله بمفرده. وألقى على الشمعة نظرة واحدة؛ وظنَّ أن وجودها أمر شاذ.

وقال: "أتيت للحديث عن الممتلكات".

تنهَّد لوينثال وقال: "لقد خَمَنْتُ ذلك، إذن، فهي أخبار سيئة".

أعطاه فروست موجزًا مختصرًا بما حدث في الحي الصيني وقت العصر، وتحدث عن خلاف مانرينج القديم مع أه كيي ببعض التفصيل.

وحين انتهى، سأله لوينثال: "وأين الأخبار السيئة؟".

قال فروست بحرص: "للأسف، فقد أتى ذكر اسمك".

"في أي سياق؟".

بمزيد من الحرص، ردَّ فروست: "فكِّروا في أن لودرباك ربما يكون قد استغلَّك، في ليلة الرابع عشر. حين أتى إليك مباشرة، ليلة وفاة الناسك، وحكى لك ما حدث. ربما يكون قدومه إليك مخطئًا".

قال لوينثال: "هذا لا يُعَقَّل، كيف للودرباك أن يعلم أنني سأذهب مباشرة إلى إدجار كلينش؟ أنا لم أذكر إدجار أمامه... وهو لم يقل لي أي شيء غير معتاد".

فتح فروست راحتيه. "حسنًا، نحن نضع قائمة بالمشتبهِ بهم، هذا كل ما في الأمر، والسيد لودرباك ضمن تلك القائمة".

"ومَن غيره ضمن قائمتك؟".

"رجل يدعى فرانسيس كارفر".

لوينثال: "آه، ومن غيره؟".

"الأرملة ويلز بالطبع".

"بالطبع، ومَن غيرها؟".

فروست: "الآنسة ويذريل، والسيد ستينز".

لم يشِ وجه لوينثال بشيء مما يجول بداخله. وقال: "هذا تصنيف واسع. أكمل حديثك".

أخبره فروست بأن جمعًا صغيرًا من الرجال سيجتمع في فندق كراون بعد حلول الظلام، بهدف تبادل المعلومات، ومناقشة الموضوع باستفاضة. سيضمُّ الجمع كلَّ مَنْ كان في كوخ كيب لونج وقت العصر، وإدجار كلينش، مشتري ممتلكات ويلز، وچوزيف بريتشارد، صانع المخدِّر المكتشَّف في كوخ الناسك عقب وفاته. وأخبره أن هارالد نيلسن يشهد لصالح حضور بريتشارد، وأنه، فروست، يشهد لصالح حضور كلينش.

لوينثال: "تشهد لصالح حضور كلينش؟".

أجابه فروست بالإيجاب، وأضاف أنه يسعده أن يشهد لصالح حضوره هو، لوينثال، إذا ما ودَّ لوينثال أن يحضر الاجتماع.

دفع لوينثال كرسيه بعيدًا عن المنضدة، ووقف قائلاً: "سأحضر"، وتحرك ليحلب علبة ثقاب من رفٍّ بجانب الباب. "لكني أعتقد بضرورة حضور شخص آخر".

بدا القلق على فروست. "مَنْ هو؟".

سحب لوينثال عود ثقاب، وحكَّه في إطار الباب، وقال: "توماس بالفور". وأماله وشاهد اللهب الصغير يصعد متسلِّقًا خشب عود الثقاب. وأضاف: "أعتقد أن لديه معلومات ذات قيمة تتعلق بموضوع مناقشتنا، هذا بالطبع إذا رغب في مشاركتها معنا". وأنزل عود الثقاب بحرص في المصباح المثبت على الحائط فوق المنضدة.

قال فروست: "توماس بالفور".

لوينثال: "توماس بالفور، وكيل الشحن". ولفَّ رأس المصباح ليوسع فتحته، وصدر هسيسٌ وتوهَّجت قُبَّة المصباح بلون برتقالي مُحمَرٌّ.

وأضاف: "لقد ذهب إليك هذا الصباح، أليس كذلك؟ أعتقد أنه أخبرني أنه قابلك في البنك".

قال فروست مقطَّبًا: "نعم، حدث. لكنه سأل بعض الأسئلة العجيبة، ولأُكن صادقًا معك: أنا لم أكن متأكَّدًا من غرضه".

قال لوينثال وهو يهزُّ الثقباب: "هذا بالضبط هو ما أشير إليه، هناك بُعدٌ آخر لهذا الأمر بأكمله، وتوم لديه فكرة عنه. لقد أخبرني عصر اليوم أن أليستار لودرباك يُخفي سرًّا خطيرًا. ربما لن يرغب في خيانة ثقة لودرباك فيه، بالطبع (وقد احتفظ لنفسه بالأمر في حضوري) لكن إن أخبرته بالأمر في سياق هذا التجمع... يمكنه أن يتصرف كما يرى. يمكنه أن يقرر بنفسه. وحين يدلو كل حاضر بدلوه، ربما يحفضه هذا على الإفصاح عما لديه".

قال فروست: "الإفصاح عمَّا لديه، حسنًا. لكن هل يمكننا الوثوق به وإخباره بما لدينا؟".

توقف لوينثال، وفرك الثقباب المحروق بين إبهامه وسبابته، وقال ببرود: "من فضلك صحِّح لي إن كنت مخطئًا، لقد فهمت أنك تدعوني لتجمُّع رجال أبرياء... ليسوا دسَّاسين، ولا متآمرين، ولا مجرمين من أي نوع".

فروست: "هذا صحيح، ورغم ذلك...".

وأكمل لوينثال: "لكنك تتساءل إن كان بالإمكان الوثوق بتوماس بالفور. هل أنت متأكَّد أنك لا تملك معلومات تدينك؟ هل أنت متأكَّد أنك لا تملك معلومات لا تريد أن تشاركها، بمطلق الحرية، مع مجموعة من الأبرياء المجتمعين حول هدف مشترك؟".

احمرَّ وجه فروست، وقال: "بالطبع لا، لكننا بحاجة لأن نلزم الحذر...".

لوينثال: "الحذر؟"، ورمى الثقاب على كومة الخشب، وفرك أطراف أصابعه سويًا. "لقد بدأت أشك في مقصدك يا سيد فروست. لقد بدأت أفكر فيما إذا كان هذا الأمر مؤامرةً من نوع ما".

وتبادلا النظر لبعض الوقت، لكن إرادة فروست لم تكن في قوة إرادة لوينثال؛ فنُكس رأسه المشتعل الوجنات، وأوماً.

"عليك أن تدعو السيد بالفور... بكل تأكيد. بالطبع عليك أن تدعوه".

قطعق لوينثال بلسانه. حين يتم انتهاك المبادئ التي يؤمن بها، قد يدفعه هذا للتصرف كمعلم في مدرسة، ويقوم بفرض إجراءات عقابية دائماً ما تكون حازمة، ودائماً ما تكون فعالة. كان يحدق الآن في وجه الشاب بنظرة آسفة، سببت ازدياد اشتعال وجنتيه، كأنه تلميذ ضُبط يُخرب كتابًا.

وعلى أمل تحسين موقفه، اندفع فروست قائلاً: "ولا تزال هناك أمور غير معلنة بخصوص بيع الكوخ... أقصد أن السيد كلينش لن يرغب في التصريح بها".

نظر إليه لوينثال بعينين تقدحان شرراً، وقال: "سأقول لك شيئاً. أنا أثق في حكمك على الأمور، تماماً كما تثق أنت في حكمي على الأمور، تماماً كما يثق الاثنان منّا في حكم السيد كلينش على الأمور، لكن الحكم على الأمور بعيد كل البعد عن السرية يا سيد فروست. وأنا لا أرى أن أيّاً منّا يُخفي معلومات بالمعنى القانوني. هل تخفي أنت شيئاً من هذا القبيل؟".

حاول فروست أن يخرج صوته طبيعياً. "حسنًا، فلنأمل أن يكون السيد كلينش عند حسن ظنك". قاصداً بهذا القول الأحمق محاباة لوينثال بالثناء عليه. لكن لوينثال هزّ رأسه وقال: "سيد فروست، أنت لا تلزم جانب الحذر. وأنا لا أنصحك بهذا".

بنجامين لوينثال ينحدر من هانوفر، ومنذ رحل عن أوروبا، وقعت المدينة تحت الحكم الروسي. (وهو في شكله يشبه كثيراً أوتو فان بيسمارك، بشاربه الكثيف المنسدل على شفتيه وخطُّ شعره المتراجع للخلف بشدة، والشبه الكبير بينهما لم يكن مقصوداً بالمرّة من طرف لوينثال، فلم يخطر على باله بالمرّة أن يتشبه بأحدهم). كان لوينثال الابن الأكبر لتاجر منسوجات، وكانت أمنية والده الوحيدة في الحياة هي تعليم ولديه الاثنين. ولا يمكن وصف سعادته حين تحقّق له ما تمنّى. بعد أن أتمّ الولدان دراستهما، أصيب الوالدان بالانفلونزا. وقد علّم لوينثال أنهما توفّيا في نفس اليوم الذي منحت فيه الدولة الهانوفرية لليهود حريتهم.

كان هذا الحدث بالنسبة للشاب لوينثال حدّاً فاصلاً. ورغم أنه لا يؤمن بالخرافات؛ وبالتالي لم يمثّل تزامُن الحدثين قيمة حقيقية بالنسبة له، لكنهما رغم ذلك ارتبطا ببعضهما في عقله، وانتابه إحساس عميق بالانفصال عن كلا الحدثين لحدوثهما سوياً. في ذاك الوقت عُرضت عليه وظيفة صحفي متدرّب في جريدة دي هيني في إلميناو بألمانيا، وهي فرصة لا بُدَّ أن والداه كانا سيشجعانه على اغتنامها... لكن ولاية ثورينجيا لم تكن قد حرّرت مواطنيها اليهود رسمياً بعد؛ ولهذا أحسّ أن قبوله العرض سيكون فيه عدم احترام لذكرى والديه. أحسّ بنفسه ممزّقاً، ولوينثال يعاني من الخوف من وقوع الكوارث بشكل أشد من المعتاد، ويميل للإسراف في التحليل حين يفكر في نفسه؛ ويعطي دائماً لأفعاله الكثير من المبررات المنطقية لأقصى درجة. وستتجاوز تلك الأسباب، ونذكر فقط أن لوينثال اختار ألا يذهب إلى إلميناو، وألاً يبقى في هانوفر. وبعد وفاة والديه مباشرة، غادر أوروبا كلها، ولم يعد إليها مرة أخرى. تولى أخوه هينريش إدارة تجارة والدهما في هانوفر، وحمل بنجامين شهادته الدراسية وعبر الأطلسي إلى أمريكا...

إلى حيث أمضى شهوياً وسنوات وعقوداً من عمره، يحكي لنفسه هذا التاريخ، مستخدماً نفس هذه الكلمات، وبنفس هذه الطريقة.

التكرار تحصين لا مثيل له. وبمرور الوقت ثبت انطباع لوينثال من ناحية ماضيه، ونتيجة لذلك (نتيجة لذلك الثبوت) أصبح من المسلّمات التي لا تقبل المراجعة. وفقد الرجل القدرة على التحدث عن حياته بأي مفردات سوى تلك التي حدّدها بنفسه؛ والتي من ضمنها أنه رجل على خلق كريم، وأنه رجل واجهته التناقضات، وأنه رجل أقدم على التصرف السليم. ورأى بعين عقله جميع اختياراته كاختيارات أخلاقية. وفقد القدرة عن التمييز بين ما هو تفضيل شخصي وبين ما هو ضرورة أخلاقية، وفقد القدرة على قبول احتمالية وجود فرق بين الأمرين. وكنتيجة لكل هذا فقد أثب تشارلي فروست بلا أي حرج.

خفض فروست عينيه وقال بهدوء: "بإمكاني التزام الحذر. ليس عليك أن تقلق بشأنني".

قطع لوينثال الغرفة في خطوتين واسعتين، قائلاً: "سأذهب وأتحدث إلى توم بنفسني". وفتح الباب لموظف البنك لينصرف. "أشكرك على الدعوة، أراك الليلة، في فندق كراون".

Φ

ذهب ديك مانرينج، بعد عودته من كانيير مباشرة، إلى فندق جريديرون، حيث وجد إدجار كلينش بمفرده في غرفة مكتبه، جالساً إلى المكتب. جلس الثري دون انتظار دعوة للجلوس، وتحدث عن أحداث عصر يومهم هذا، وشرح بسرعة الاجتماع المقترح انعقاده مساءً، وأنه التزاماً للحذر، قرّر الرجال اللقاء على أرض محايدة، وغرفة التدخين في

فندق كراون، باعتبارها أقل الغرف جاذبية في أقل المنشآت شعبية في هوكتيكا، بدت اختياراً جيداً لكل المجتمعين. تحدث مانرينج بسرور غامر لأنه من أشد المعجبين بالمجالس السرية؛ وطالما تمنى أن يكون عضواً في طائفة، من النوع المسؤول عن الوثائق التاريخية السرية، ذلك النوع الذي يحمل أعضاؤه رتباً إقطاعية، ويطبق بداخلها قانونها الخاص بها. انتبه مانرينج الآن إلى أن مدير الفندق لا يصغي لحديثه بتركيز. فقد وضع كلينش كلتا راحتيه أمامه على المكتب، كأنها يحفظ توازنه في وجه الرياح، وخلال حديث مانرينج الطويل لم يغيّر من وضعه ولو مرة، ونظراته الحائرة تدور في أرجاء الغرفة باضطراب. ووجهه المتورّد في العادة أصبح شاحباً للغاية، وشاربه يرتعش.

أخيراً قال مانرينج بنبرة غاضبة: "أراك منشغل البال". فمانرينج على ثقّه أنه أيّما ما كان هذا الذي يجول ببال مضيفه فإنه لا يرقى لفترة العصر الشّيقة التي قضاها في الحي الصيني، ولا لفكرة اجتماع سري يُعقد لمناقشة الاختفاء المحير لرجل غاية في الثراء.

قال إدجار كلينش بخواء: "أتت الأرملة إلى هنا، قالت إنها تودّ مقابلة أنا لأمرٍ ما. صعدت إليها... وبعدها بأقل من نصف ساعة، نزلت ووراءها أنا".

"ليديا ويلز؟".

"ليديا ويلز"، نطق كلينش الاسم كأنه يطلق شتيمة.

"متى؟".

كلينش: "الآن، غادرتا قبل دخولك بلحظة"، ثم سكت.

صدر عن مانرينج صوت ينمُّ عن قلة الصبر، "لا تجعلني أتوسل لك لتحكي".

انفجر كلينش، "إنهما يعرفان بعضهما، ليديا وأنا يعرفان بعضهما! إنهما صديقتان عزيزتان!".

هذا الاكتشاف ليس جديدًا على مانرينج، فقد كان زبونًا منتظمًا على هاوس أوف ميني ويشيز في ديوندن، وشاهد المرأتين سوياً هناك. وفي الواقع فقد اتفق مانرينج على أن تعمل أنا لحسابه داخل هاوس أوف ميني ويشيز. فهزّ كتفيه وقال: "حسنًا، وما المشكلة؟".

قال كلينش نائحًا: "كانتا على وفاق كما للصوص، كما للصوص، إنهما لصتان يا ديك".
"مَن اللص؟".

صاح كلينش: "إنهما متواطئتان سوياً في الأمر".

فكر مانرينج أن كلينش يصبح مزعجًا للغاية حين يحدث ما يضايقه؛ يصير مستغلًا على الفهم بالمرة. وقال له: "أتقصد الالتماس الذي قدّمته الأرملة؟".

كلينش: "أنتَ تعلم ما أقصده، تعلم ما أقصده".

مانرينج: "ما الذي تقصده؟ أتقصد الثروة؟ أهذا ما تقصده؟".

"ليس ثروة ويلز، الثروة الأخرى".

"أي ثروة أخرى؟".

"أنت تعلم!".

"على العكس، ليس لديّ أدنى فكرة".

"أقصد فساتين أنا!".

كانت هذه هي المرة الأولى التي يذكر فيها كلينش الذهب الذي اكتشفه في فساتين أنا في الشتاء الماضي... حين حملها للدور العلوي، وأنزلها في حوض الاستحمام، والتقط فستانها، وأحسّ بثقله، وقطع

خيوط طرفه، وأخرج بعض ذرّات الذهب اللامعة بين أصابعه. وأضفى الضغط الناتج عن كتمانهِ الطويل لهذا الأمر مَظهرًا جنونيًا على انفجارهِ الآن؛ فهو لا يزال مقتنعًا أن الثري متورّط في مكيدة من نوع ما، رغم أنه لم يستطع بالمرة إيجاد فائدة تُرجى من تلك المكيدة.

بدت الحيرة على مانرينج، وقال: "ما الأمر؟ ما الذي تقصده؟".

تجهّم وجه كلينش، "لا تدّع الغباء".

قال مانرينج: "اسمح لي، أنا لا أفعل مثل هذا. ما الذي تقصده يا إدجار؟ ما علاقة فساتين العاهرة بأي شيء على الإطلاق؟".

انتابت إدجار كلينش رجفة من الشك وهو يتمعّن في مانرينج. فحيرته تبدو صادقة تمامًا. وهو لا يسلك سلوك مَنْ انفضح أمره. هل يعني هذا أنه لا يعلم شيئًا عن الذهب المخبأ في الفساتين؟ أتكون أنا متأمرة مع شخص آخر من وراء ظهر مانرينج؟ شعر كلينش بالحيرة؛ فقرر أن يغيّر الموضوع.

فقال برعونة: "أقصد زي الحداد. الفستان ذا الياقة السخيفة الذي ترتديه منذ أسبوعين".

لوّح مانرينج بيده وقال: "إنها فقط تتظاهر بذلك لتضفي على نفسها الاحترام. سينتهي هذا الأمر".

قال كلينش: "لست متأكّدًا من هذا. لقد أخبرتها الأسبوع الماضي أن عليها سداد ديونها قبل أن تتوقّف عن الدعارة... واحتدّ الحديث، وأظن أني غضبت، وهددتها بالطرد من الفندق".

قال مانرينج بصبر نافذ: "ما علاقة هذا بليديا ويلز؟ ما علاقة فقدانك لأعصابك بأي شيء؟".

قال كلينش: "لقد سدّدت ليديا ويلز دين أنا". ورفع يديه أخيرًا عن المكتب، ومن تحتها ظهرت ورقة بنكية بمبلغ ستة جنيهات،

مُغْضَنَةً، ومبَلَّلَةً قليلاً من ضغط راحتيه. "انتقلت أنا إلى الواي فيرر. لأجلٍ غير مسمى. وقالت لي أنها حصلت على وظيفة جديدة. وأنها لن تصبح عاهرة بعد الآن".

نظر مانرينج إلى الورقة، وظلَّ صامتًا لبرهة.

وأخيراً قال: "هذا دَيْنُها لك. هذا من أجل الإيجار. إنها مدينة لي بمائة جنيه... وأكثر! إنها مدينة بالمال... بالكثير من المال... وهذه الملعونة تتلقَّى تعليماتها مني! وليس منك، وبكل تأكيد ليس من الملعونة ليديا ويلز! لكن ما الذي تقصده بأنها لن تصبح عاهرة بعد الآن؟".

إدجار كلينش: "أقصد أنها لن تعمل كعاهرة بعد الآن. هذا ما قالته".

تحوَّل وجه مانرينج للون البنفسجي، "ليس باستطاعة المرء ببساطة أن يتخلَّى عن وظيفته. سواء كانت الوظيفة عاهرة أم جزاراً أم خَبَّازاً لعيناً! ليس بإمكان المرء التخلي عن وظيفته... حين يكون مدينًا ولم يسدِّد دينه!".

"هذا ال...".

هَبَّ مانرينج صارخاً: "لقد قالت إنها في حداد! لبعض الوقت! إن أعطيت الفتاة منهن شبرًا ستأخذ هي بقية الفدان! لكن هذا لن يُجدي معي! بالتأكيد لن يُجدي وهي مدينة لي بمائة جنيه!".

نظر كلينش للثري ببرود، وقال: "قالت لي أن أخبرك أن أوبرت چاسكوين يحتفظ بالمال الذي تدين به لك. وأن أخبرك أنه مخبأ تحت سريره".

"مَنْ هو أوبرور چاسكوين بحق السماء؟".

كلينش: "موظف في المحكمة، هو مَنْ تلقى التماس الأرملة بخصوص ثروة كروسبي ويلز".

مانرينج: "أرأيت! نحن ندور ونعود لنفس الموضوع، أليس كذلك؟ اللعنة!".

كلينش: "هناك أمر آخر، عصر اليوم كان السيد چاسكوين في غرفة أنا، وانطلقت بعض الطلقات. طلقتان. سألته عن الأمر بعدها... فردّ عليّ بذكر موضوع دَيْن أنا. لقد صعدت لألقي نظرة. ووجدت ثقبًا في منتصف وسادة أنا. وقد خرجت حشوة الوسادة منه".

"ثقبان؟".

"ثقب واحد".

مانرينج: "وهل رآته الأرملة؟".

كلينش: "لا، لقد أتت بعدها. لكن حين غادر السيد چاسكوين، قال إنه لديه ميعاد مع سيدة... ثم أتت الأرملة بعدها بساعتين".

قال مانرينج فجأة: "ما هي الثروة الأخرى؟ لقد قلت إن هناك ثروة أخرى".

خفض كلينش عينيه وقال: "لقد ظننت... لا، الأمر ليس مهمًا، لقد أخطأت، انسَ الموضوع".

قطَّب مانرينج وقال: "لِمَ سَدَدَتَ ليديا ويلز دَيْن أنا؟ ما هو مكسبها في هذا الأمر؟".

كلينش: "لا أدري، عصر اليوم بدا الأمر كأنهما قريبتين من بعضهما للغاية".

"قريبتان... هذا ليس مكسبًا".

قال كلينش مرة أخرى: "لا أدري".

"هل شبكتا ذراعيهما سوياً؟ هل بدا عليهما السرور؟ كيف بدّوتا؟".

كلينش: "نعم. لقد تشابكت ذراعاهما... وحين كانت الأرملة تتحدث، كانت أنا تنصت بانتباه".

وصمت، غارقاً في الذكرى.

وفجأة، صرخ مانرينج فيه: "وتركتها تذهب؟ تركتها تذهب -بدون أن تسألني- بدون أن تخبرني؟ إنها أفضل فتياتي يا إدجار! أنت تعلم هذا دون الحاجة لإخبارك به! الأخريات بجانبها كرقعة بجانب فستان!".

بدا كلينش مليئاً بالمرارة، وقال: "لم يكن بوسعي احتجازها. ماذا كان بوسعي أن أفعل... أحبسها؟ وعلى كل حال فقد كنت أنت في كانيير".

هَبَّ مانرينج من مقعده.

"إذن فأنا الخاصة بالصينيين لم تُعد تخص أيّ رجال من أي نوع!، وخبط قبعته على ساقه. "إنها تجعل كل الأمور تبدو سهلة، أليست كذلك؟ تترك مهنتها! كأن بإمكاننا جميعاً أن نستيقظ في أحد الأيام، ونقرّر أن...!".

لكن إدجار كلينش لم يود متابعة هذا الحديث. كان يتأمل، بأسف، حقيقة أن الغد هو يوم الأحد، وهو أول أحد منذ شهور طويلة يأتي دون الإعداد لحمام أنا. وقال: "ربما يجب عليك أن تذهب وتحدث مع السيد چاسكوين بخصوص المال".

مانرينج: "أتعلم ما يُغضبني يا إدجار؟ يُغضبني سماع الأخبار من شخص ليس هو مصدرها. يُغضبني ترتيب الفوضى التي صنعها رجال آخرون. يُغضبني سماع كل هذا منك... ماذا تريدني أنا أن أفعل؟ أطرق باب رجل أكاد لا أعرفه؟ ماذا بوسعي أن أقول؟ 'لا تؤاخذني، يا

سيدي، أظن أن هناك مالا كثيرا موجود تحت سريرك، وأنا ويزريل مدينة لي بهذا المال'. هذه قلة احترام. قلة احترام. لا: على حد علمي فتلك الفتاة لا تزال تعمل عندي. ولا تزال عاهرة. ولا يزال دينها لي غير مُسدّد".

أوما كلينش، فقد تبدّدت طاقته، وودّ الآن أن يبقى بمفرده. التقط الورقة البنكية، وطواها، ووضعها داخل محفظته، بجانب قلبه. "متى سنلتقي، في اجتماع الليلة؟".

مانرينج: "عند غروب الشمس، لكن يُفضّل أن تصل قبل الموعد أو بعده، حتى لا نحتشد جميعاً في نفس الموعد. هناك مجموعة كبيرة من الرجال لديهم الإحساس بأن هناك شخصاً ما وراء ما حدث".

قال كلينش وكأنه يتحدث مع نفسه: "لا أستطيع أن أقول إن الكراون يعجبني. أعتقد أنهم بخلوا في الإنفاق على الزجاج. كان يجب أن تكون النوافذ الأمامية أوسع... وكان يجب أن تكون الشرفة الأمامية مسقوفة".

"حسناً، سيكون المكان هادئاً، وهذا كل ما يهمنا".

"نعم".

ارتدى مانرينج قبّعته، "إن كنت سألتني في الأسبوع الماضي عمّن يقع عليه اللوم في كل هذا الجنون، كنت سأخمن أنه اليهودي. إن كنت سألتني بالأمس، كنت سأخمن أنها الأرملة. أما عصر اليوم فكنت لأخبرك أنهم الصينيون. والآن؟ حسناً يا إدجار، سأكون ملعوناً إن لم أراهن على تلك العاهرة. تذكّر كلمتي: أنا ويزريل تعلم تماماً سببَ ظهور تلك الثروة في كوخ كروسبي ويلز، وهي تعلم تماماً بما حدث لإيميري ستينز -رحمه الله- رغم أن حديثي سابق لأوانه. دعك من محاولة الانتحار، إنها هراء. ودعك من فستان الحداد، إنه أيضاً

هراء. إنها متورطة من رأسها حتى قدميها مع ليديا ويلز... وهما يخططان معًا لأمر ما".

Φ

خطا سووك يونج شينج وكيي لونج على طريق كانير باتجاه هوكتيكا، كلاهما يرتدي ملابس هي نسخة طبق الأصل من ملابس صاحبه: قبعة جوخ عريضة الحواف، وحرملة صوفية وحذاء قماشياً. خيّم الغسق الذي جلب معه انخفاضاً سريعاً في درجات الحرارة، واستحالت في ضوءه المياه الراكدة على جنبات الطريق من اللون البنيّ إلى الأزرق اللامع. خفّت الأقدام عن الطريق إلا من عربة تمر كل حين وآخر، أو راكب فوق ظهر حصان ينشد، من على بُعد ميلين منها، دفء المدينة ونورها، ورغم المسافة فالمرء بإمكانه سماع زئير المحيط الذي يصل كضوضاء ثقيلة بلا إيقاع، وتحمل معها في بعض الأحيان صيحة أحد طيور البحر، تأتي خفيفة وطافية فوق صوت المطر.

تجاذب الرجلان أطراف الحديث، بالكانتونية.

قال أه كيي: "ليس هناك ذهب في الأورورا".

"هل أنت متأكد؟".

"المنجم ناضب، كأنما قد نُقبت الأرض من قبل".

ردّ أه سووك: "قد تُفاجأ بما ينجم عن تقليب الأرض. أعرف الكثير من الرجال الذين يكسبون عيشهم من بواقي المناجم".

صَحَّحَ لَهُ أَهْ كِيي: "أَنْتِ تَعْرِفِ الْكَثِيرَ مِنَ الصِّينِيِّينَ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ عَيْشَهُمْ مِنْ تَقْلِيلِ بَوَاقِي الْمَنَاجِمِ. ثُمَّ يَتَمَّ ضَرْبُهُمْ، وَحَتَّى قَتْلَهُمْ، بِيَدِ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ الَّذِينَ لَا يَمْتَلِكُونَ أَعْيْنَ لَهَا نَظْرَةَ ثَاقِبَةً".

قَالَ أَهْ سُووك: "إِنْ أَمَالَ عَبَاءً". وَكَثِيرًا مَا رَدَّدَ هَذَا الْمَثْلَ.

قَالَ أَهْ كِيي: "أَكْثَرُ مَنْ يَحْسُ بِهَذَا الْعَبَاءِ هُمُ الْفُقَرَاءُ". وَنَظَرَ بِجَانِبِ عَيْنِهِ إِلَى أَهْ سُووك. "تَجَارَتِكَ أَنْتِ الْآخِرُ قَدْ أَصَابَهَا بَعْضُ الرُّكُودِ مُؤَخَّرًا".

رَدَّ أَهْ سُووك بِهَدْوٍ: "نَعَمْ".

"فَقَدْتُ الْعَاهِرَةَ رَغْبَتَهَا فِي الْمَخْدَرِ".

"نَعَمْ. لَا يُمْكِنُنِي تَفْسِيرُ الْأَمْرِ".

"رَبَّمَا وَجَدْتَ بَائِعًا بَدِيلًا".

"رَبَّمَا".

"أَنْتِ لَا تَصْدُقِ هَذَا".

"أَنَا لَا أَدْرِي مَاذَا أَصْدُقُ".

"أَنْتِ تَشْكُ فِي الْكِيمْيَائِيِّ".

"نَعَمْ؛ هُوَ وَآخَرِينَ".

فَكَّرَ أَهْ كِيي لِلْحِظَةِ، ثُمَّ قَالَ: "لَا أَظُنُّ أَنَّ الثَّرْوَةَ الَّتِي اكْتَشَفْتُهَا تَخْصُ أَنَا شَخْصِيًّا".

وَأَفْقَهُ أَهْ سُووك قَائِلًا: "هَذَا وَارِدٌ. فَهِيَ لَمْ تَنْتَبِهْ لِسُرْقَتِهَا".

الْتَفَتَ إِلَيْهِ أَهْ كِيي وَقَالَ: "أَتُظَنُّ أَنَّ مَا قَمْتُ بِهِ يُعَدُّ سُرْقَةً؟".

قَالَ أَهْ سُووك: "لَا أَوَدُّ أَنْ أَطْعَنَ فِي شَرْفِكَ". ثُمَّ تَرَدَّدَ عَنِ الْاسْتِمْرَارِ فِي الْحَدِيثِ.

"تلميحك يحمل غير ما تتمنى يا سووك يونج شينج".

نكس أه سووك رأسه. "سامحني، إني جاهل، وجهلي يتضح بشكل أقوى مما تتضح به نيتي".

قال أه كيي: "حتى الجهلة لديهم رأي. أخبرني. هل أنا لص في نظرك؟".

قال المنعزل بضعف: "أكثر ما يميز اللص هي رغبته في إبقاء الأمور سرًا".

"قولك هذا يطعن في شرف الكثير من الرجال!".

"إن تحدثت بغير الصدق، فإني أتراجع عما قلته".

احتدَّ أه كيي: "لقد تحدثت بغير الصدق. حين يجد المرء قطعة ذهب في حقل ذهب، فهو لا يعلن عنها. إنه يخفيها، ولا يخبر عنها رفاقه. هنا في حقول الذهب، يرغب كل الرجال في إبقاء الأمور سرًا. فقط الحمقى هم من يتحدثون عما اكتشفوه. وأنت ستفعل مثلهم يا سووك يونج شينج، إن عثرت على كومة من الذهب".

قال أه سووك: "لكنك لم تجد الذهب الذي تتحدث عنه في حقول الذهب. لقد وجدت ثروتك في جيب امرأة؛ وأخذتها منها، وليس من الأرض".

"لم تعلم المرأة شيئًا عما تحمله! كانت كرجل يخيم بجانب نهر مليء بالذهب، ولا يرى شيئًا، ولا يشك في شيء".

"لكن ذهب النهر ليس ملكًا لأحد؛ ولا حتى للنهر".

"لقد قلت بنفسك إن الذهب لا يمكن أن يكون ملكًا لآنا!".

"ليس ملكًا لآنا؛ لكن ماذا لو طالبها به الخياط؟ ما غرض الخياط من تخبئة مثل هذا الكُم من الذهب في طيات رداء امرأة؟".

قال أه كيي بحدّة: "أنا لا أعرف الخيّاط. إن عثرت على قرش فضي، هل تسأل عمّن سبكه؟ لا: أنت فقط تفكر في آخر شخص امتلك هذا القرش! أنا لست لَصًّا إذا أخذت شيئًا ضائعًا".
"ضائعًا؟".

قال أه كيي: "ضائعًا، لم يطالب أحد بتلك الثروة، لقد تمّت سرقتها قبل أن أجدها، وهي لا زالت مسروقة حتى الآن".
قال أه سووك: "سامحني. لقد أخطأت".

"ليست العاهرة بعشيقة". قالها أه كيي وقد احتدت ثأثرته؛ من الواضح أنه أراد درء الاتهام عن نفسه في هذا الأمر منذ فترة طويلة. "العاهرة لا يمكنها أن تصبح محترمة. ولا يمكنها أن تصبح غنية. كل الاحترام وكل الربح يذهب إلى القوّاد، وليس العاهرة. الوحيد المستفيد من تجارتها هو الرجل الواقف خلفها، ممسكًا بمحفظة في يد، ومسدس في اليد الأخرى. أنا لم أسرق من أنا! إنها لا تملك شيئًا. وذاك الذهب لم يكن أبدًا ملكًا لها".

سمعا وقع حوافر وراءهما، فالتفتا فوجدا رجلين على ظهور الخيل، يخبّان في طريقهما لهوكتيكا، وكلا الحصانين يلهث ويرغي، وكلا الراكبين يجلد حصانه بسوطه طلباً لمزيد من السرعة. تنحّى الصينيان ليفسحا لهما الطريق.

حين اختفى الراكبان، قال أه سووك مرة أخرى: "سامحني. لقد أخطأت. أنت لست بلصّ يا كيي لونج".

استأنفا المسير. وقال صائغ الذهب: "السيد ستينز هو اللص الحقيقي. لقد سرق متعمّداً، ثم هرب بلا ندم. كنت أحقق حين وثقت به".

قال أه سووك: "ستينز شريك لفرانسييس كارفر، سجّلات الأورورا تثبت ذلك، وهذه الشراكة سبب كافٍ للشك في قيمته كشخص".
رمق أه كيي رفيقه بنظرة خاطفة: "أنا لا أعرف فرانسييس كارفر هذا الذي تتحدث عنه. لم أسمع اسمه قبل اليوم".
بقسّامات جامدة قال أه سووك: "إنه تاجر. عرفته وأنا طفل في جوانجزو. لقد خان عائلتي، وأقسمت على أن أقتله".
قال أه كيي: "الآن وقد عرفت هذا، أودُّ أن أعرف المزيد".
"إنها قصة حزينة".

"إذن سأنصت بتعاطف. إن الخيانة التي يتعرّض لها رجل من بلادي هي خيانة لي أنا شخصياً".
قطّب أه سووك عند سماعه هذا، "أنا من سأقتضّ لهذه الخيانة".
"قصدت فقط أن أقول أننا يجب أن نساعد بعضنا البعض يا سووك يونج شينج".
"لِمَ تقول 'يجب'؟".
"حياة الصينيين رخيصة في هذه البلاد".
"كل الحيوانات على حقل الذهب رخيصة".

قال أه كيي: "أنت مخطئ. لقد رأيت اليوم رجلاً يضربني، ويشدّ شعري، ويهينني، ويهدّد بقتلي... كل هذا بلا أي عواقب. ولن يكون هناك أي عواقب. كل الرجال في هوكتيكا سينحازون لصفّ مانرينج وليس لصفّي، ولِمَ؟ لأنني صيني وهو ليس صينيّاً. أنا وأنت يجب أن نساعد بعضنا يا أه سووك. يجب علينا ذلك. القانون متّحد ضدنا؛ علينا التماس السبل للاتحاد ضد القانون".

لم يسبق لأه سووك أن سمع تعبيرًا عن تلك المشاعر من قبل؛ فضلًا صامتًا لفترة، يستوعبها. خلع أه كيي قبعته، وخطبها عدة مرات براحة يده، ثم أعاد وضعها فوق رأسه. ومن الأجمة القريبة منهم أطلق طائر الجرس من حلقه صيحته القوية، وتلتها صيحة أخرى، وثالثة، وللحظة أيقظت الأغنية الحياة في الأشجار المحيطة بهم.

اختار سووك يونج شينج العيش والعمل بمفرده بدافع التفضيل وليس الضرورة. فهو ليس نكد المزاج، وفي الحقيقة لا يجد صعوبة في تكوين الصداقات، ولا في السماح لتلك الصداقات التي يكوّنها بالنمو؛ لكنه ببساطة فضّل أن يبقى بمفرده. كان يكره كل أعباء المسؤولية، خاصة إن كانت تلك المسؤولية منتظرة، أو مفروضة... والصداقة، من واقع تجربته، تطوّرت وتحوّلت في معظم الحالات إلى أمور من الدّين، والذنب، والتوقعات. مَنْ اختار أن لا يكونوا أصدقاءه لم يطالبوه بشيء، ومنحوه الكثير، وكنتيجة لذلك؛ حظي ماضي أه سووك بالعديد من الخيرين، وأقرّ أه سووك بشغفه بالقليل منهم. كان لديه إحساس الطليعة المجتمعية، إحساس أنه غير مرتبط بشيء ولا بشخص، وممتلئ باليقين، ويساء فهمه من الكون كله، على الأقل في اعتقاده الخاص. وبمرور الوقت تحوّل إحساسه بأن العالم لا يقدره حقّ قدره إلى إحساس بعدم الانتماء؛ كان واثقًا من شمول رؤيته، ونادرًا ما أحسّ بضرورة إيضاح ما بداخله للآخرين. وقد آمن بعالم أبسط وأفضل، وتوقع ميلاد ذلك العالم، وأحبّ أن يسكن بخياله فيه... وهو يفضّل التوهج النقي لخلوته على كل الواجبات الاجتماعية، وحين يتواجد وسط صحبة، يميل إلى الانعزال بنفسه عنهم. وقد وعى تمامًا لميوله فهو منكفئ على ذاته كثيرًا، ميّال للإفراط في تحليل نفسه بصرامة وإمعان. وقد حلّل عقله كما يحلّل نبيّ رؤياه الغريبة... باحترام، وبإيمان أنه مُقدّر له أن يصبح الرسول المفسر لأسباب الوجود الكونية، والمبشر بخطة عالمية.

وأخيراً قال: "حكاييتي مع فرانسيس كارفر حكاية لها الكثير من البدايات؛ لكنني أتمنى أن تكون لها نهاية واحدة".
قال أه كيي: "احكِها".



أغلق هارالد نيلسن باب مكتبه الكائن على حافة رصيف الميناء، وجلس إلى مكتبه، وبدون أن يخلع قبعته أو معطفه، خط رسالة مستعجلة لـجوزيف بريتشارد. كانت أسلوبه في كتابة الخطاب جنونياً، وغير مرتّب، ولم يهتمّ نيلسن بمراجعته. وبدون أن يقرأ ما كتب، جفّف الصفحة من الحبر الزائد، وطوى الورقة، وختم الشمع بالختم المعدني المستدير الذي يحمل اسم نيلسن وشركاه. ثم استدعى ألبرت، وأمر الفتى بتوصيل الرسالة بأقصى سرعة إلى متجر الأدوية الخاص ببريتشارد في شارع كولينج وود.

بمجرد أن غادر الفتى علّق نيلسن قُبْعته، واستبدل معطفه المنقوع في ماء المطر بمعطف منزلي جاف، ومدّ يده إلى غليونه... وحتى بعد أن اشتعل التبغ، وبعد أن جلس، ورفع قدميه، ووضع كاحله فوق الآخر، لم يحسّ بالسكينة. بل أحسّ بالبرد. كان ملمس جلده رطباً، ودقّات قلبه لا تهدأ. فوضع الغليون في جانب فمه، كما يحب أن يضعه، ورگّز انتباهه على الأمر الذي يزعجه: الوعد الذي قطعه على نفسه، في وقت سابق من نفس اليوم، لـجورج شيرد، مدير سجن هوكتيكا.

تساءل نيلسن إن كان عليه أن يخلف وعده بالصمت ويشارك مع الجمع المنعقد الليلة تفاصيل عرض شيرد. فالأمر بالفعل له علاقة مباشرة بموضوع نقاشهم، أوّلاً بسبب أنه يتعلق بنسبة من ثروة

كروسبي ويلز، وأيضًا لأن نيلسن يشكّ في أن كراهية شيرد للسياسي لودرباك، ليست بسبب تشغيل السجناء، وليست بسبب السجون، والطرق. فحين يفكر المرء في أن أليستار لودرباك هو أول من عثر على جثة كروسبي ويلز... يبدو الأمر لنيلسن وكأن المدير شيرد متورط في شأن كروسبي ويلز تمامًا كالباقيين! لكن ما الذي يعلمه شيرد... ولصالح مَنْ يعمل، بجانب مصلحته الشخصية؟ هل كان على علم بالثروة المخبأة في كوخ كروسبي ويلز؟ هل كان لودرباك على علم بها؟ وبوجه واجم، عكس نيلسن وضع كاحليه فوق بعضهما، وأعاد وضع غليونيه في فمه ممسكًا باطنه بين ثنية سبابته وباطن إبهامه. وفكر أنه مهما كانت الزاوية التي ننظر منها للأمر، فليس بإمكاننا أن ننكر أن چورچ شيرد يعلم عن الأمر أكثر مما يقوله بكثير.

اعتاد هارالد نيلسن على الاستيلاء على انتباه مَنْ حوله، وقد اكتسب هذا النفوذ باستخدام بديهته، وفنون خطابته، وسخريته من نفسه. وإذا ما اضطرت الظروف إلى البقاء على هامش غرفة مزدحمة فإنه سرعان ما يملّ. فغروره بحاجة للتحفيز المستمر، بحاجة لدليل دامغ على أنه مسيطر على مشروع صياغة هويته الخاصة. وفي اللحظة الراهنة كان ممتلئًا بالضجر، لأنه يرى أنه تمّ استغفاله، وليس لأنه يرى نفسه غير جدير بالاستغفال (نيلسن يعي تمامًا أنه من الطراز سريع التأثر، وكثيرًا ما تندّر على هذا)، لكن لأنه لا يستطيع فهم الدوافع التي دفعت شيرد لمعاملته بهذه الطريقة.

وانكبّ على غليونيه، مستحضّرًا في ذهنه صورة للسجن المستقبلي، يقف عاليًا فوق المرتفع، الملجأ، المشنقة الخشبية. وكل هذا تم إنشاءه بنقود عمولته، وبإذن منه. وفجأة صرخ بداخله الإحساس، اللعنة على المدير شيرد. ليس عليه أي التزام حقيقي بحفظ سرّ ذلك الرجل، بل إنه حتى لا يدري، على وجه الدقة، حقيقة هذا السر! سيخبر الحاضرين الليلة عمّا طلبه منه شيرد، وسيخبرهم أيضًا بشكوكه

حوله، كلها. إنه لا يزال غير مُلزم بعقد يضطره للكتمان. لم يوقع باسمه على أي مستند من أي نوع. وما ضرورة الكتمان على أي حال؟ السجن ليس منشأة خاصة. إنه يخصُّ هوكتيكا كلها. السجن تبنيه الحكومة بالنيابة عن المؤيدين للقوانين.

سمع نيلسن صوت باب المكتب الخارجي يُفْتَح ويُغْلَق. فهبَّ واقفًا. كان القادم ألبرت، راکضًا طوال طريق العودة من متجر أدوية جوزيف بريتشارد. وسترته مبللة تمامًا، وحين خطا داخل مكتب نيلسن، فاحت منه رائحة المطر.

قال نيلسن بقلق: "هل أحرق الخطاب؟ هل شاهدته يحرقه؟ ما هذا الذي تحمله؟".

رفع ألبرت ورقة مطويةً قائلاً: "رد بريتشارد".

"قلت إني لا أريد ردًّا! لقد قلت ذلك!".

قال ألبرت: "نعم، أخبرته بذلك... لكنه كتب ردًّا".

نظر نيلسن للورقة في يد ألبرت، "هل أحرق خطابي، على الأقل؟".

قال ألبرت: "نعم". ثم تردّد.

"ماذا؟ ما الأمر؟".

قال ألبرت: "حسنًا، حين أخبرته أن عليه أن يحرقه... ضحك".

ضيق نيلسن عينيه، "لِمَ ضحك؟".

قال ألبرت: "لا أدري، لكنني رأيت أن أخبرك أنه ضحك. ربما يكون الأمر غير مهم".

بدأت عضلة تحت عين نيلسن ترتعش. "هل ضحك حين قرأ الخطاب؟ حين قرأ الكلمات؟".

قال ألبرت: "لا، لقد ضحك قبل أن يقرأها. حين أخبرته أن عليه أن يحرقه".

"وجد الفكرة مسلية، أليس كذلك؟".

أوماً ألبرت، "ضحك لأنك قلت له أن يحرقه". كان يلمس حواف الخطاب الذي يمسكه بأطراف أصابعه. وودَّ بشدة لو يسأل رب عمله عن الأمر، لكنه لم يعرف كيف يسأل دون المخاطرة بتلقي التوبيخ. "أتودُّ قراءة الرد؟".

مدَّ نيلسن يده: "هاته، أنت لم تقرأه، أليس كذلك؟".

بدا الألم على ألبرت وقال: "لا، إنه مغلق".

قال نيلسن: "أوه، نعم، مغلق". أخذ الخطاب من يد ألبرت، ولفَّه، ومزق الختم بأصابعه. وقبل أن يفضَّ الورقة خاطب ألبرت: "ماذا تنتظر؟ يمكنك الانصراف".

قال ألبرت بصوت مليء بالإحباط: "أنصرف من العمل؟".

قال نيلسن: "نعم أيها الأحمق. وقبل أن تغادر أترك المفتاح فوق المكتب".

لكن الفتى لم ينصرف. وقال: "في طريق عودتي، حين مررت على برنس أوف ويلز، رأيت أنهم سيفتتحون عرضًا جديدًا الليلة: عرضًا أجنبيًا. والسيد مانرينج يوزع تذاكر بالمجان - بمناسبة الافتتاح - وقد أحضرت لك تذكرة". قصَّ الفتى كل هذا بسرعة شديدة، ثم لوى وجهه وأشاح بنظره بعيدًا.

لم يكن نيلسن قد فضَّ خطاب بريتشارد بعد، وقال: "ماذا؟".

قال الفتى: "'أحاسيس من الشرق'. تذكرة لمقصورة أمامية وفي المنتصف، إنه أفضل مكان. لقد طلبتها خصيصًا".

قال نيلسن: "خُذْهَا لِنَفْسِكَ. اذْهَبِ أَنْتِ. أَنَا لَا أُرِيدُ تَذْكَرَةً
لِلْمَسْرَحِ. هِيَ أَنْصَرَفَ الْآنَ".

حَكَ الْفَتَى حِذَائِهِ فِي الْأَرْضِيَّةِ. وَقَالَ: "لَقَدْ أَحْضَرْتُ لِنَفْسِي وَاحِدَةً.
وَفَكَّرْتُ -بِهَا أَنْ الْيَوْمَ هُوَ السَّبْتُ- وَتَمَّ تَأْجِيلُ سَبَاقَاتِ الْخَيْلِ...".

هَزَّ نَيْلسِنُ رَأْسَهُ وَقَالَ: "لَيْسَ بِإِمْكَانِي الذَّهَابُ إِلَى الْمَسْرَحِ اللَّيْلَةَ".

قَالَ أَلْبِرْتُ: "أَوْه، لِمَاذَا؟".

"أَحْسُ أَنِّي مَتَوَعِّكُ".

قَالَ الْفَتَى: "تَعَالِ إِلَى أَوَّلِ فِقْرَةٍ فَقَطْ. مِنْ الْمَفْتَرَضِ أَنَّهُمْ سَيَقْدُمُونَ
الشِّمْبَانِيَا، وَالشِّمْبَانِيَا سَتَفِيدُكَ إِذَا كُنْتَ مَتَوَعِّكًا".

"خُذْ مَعَكَ هَنْرِي فُولِرَ".

"عِنْدَ بَابِ الْمُثَلِّينَ رَأَيْتُ سَيِّدَةً تُمْسِكُ مِظْلَةً".

"خُذْ هَنْرِي".

قَالَ أَلْبِرْتُ نَائِحًا: "إِنَّهَا يَابَانِيَّةٌ. لَمْ يَبْدُ مَا رَأَيْتَهُ كَطَلَاءٍ وَجْهِهِ. بَدَتْ
يَابَانِيَّةً بِحَقٍّ. هَنْرِي فُولِرُ عَلَى الشَّاطِئِ. لِمَ لَا تَأْتِي أَنْتِ؟".

"أَنَا مَرِيضٌ لِلْغَايَةِ".

"لَا تَبْدُو مَرِيضًا، إِنَّكَ تَدْخُنَ".

قَالَ نَيْلسِنُ وَضِيقَهُ يَزْدَادُ: "أَنَا مُتَأَكِّدٌ أَنَّكَ تَسْتَطِيعُ الْعَثُورَ عَلَى
مَنْ يَذْهَبُ مَعَكَ. مَا رَأَيْتُكَ أَنْ تَذْهَبَ إِلَى سِتَارٍ وَتَلُوحَ بِتِلْكَ التَّذْكَرَةِ".

حَدَّقَ أَلْبِرْتُ فِي خَشَبِ الْأَرْضِيَّةِ لِبُرْهَةٍ وَهُوَ يَعْصُ شَفَتَيْهِ. وَبَعْدَ
فِتْرَةٍ تَنْهَّدَ وَقَالَ: "حَسَنًا، أَرَأَيْتَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ يَا سَيِّدَ نَيْلسِنَ".

"نَعَمْ، أَرَأَيْتَ يَوْمَهَا يَا أَلْبِرْتَ".

"مَعَ السَّلَامَةِ".

"مع السلامة. عليك أن تقصّ عليّ كل ما رأيته في العرض، اتفقنا؟".

قال ألبرت: "ربما يمكننا الذهاب معًا. التذاكر التي بحوزتي لعرض الليلة. لكن ربما يمكننا الذهاب مرة أخرى".

قال نيلسن: "نعم. ربما في الأسبوع القادم. بعدما أتحمّن".

وانتظر حتى غادر مرؤوسه المحبط الغرفة، مغلقًا الباب خلفه بهدوء. ثم فضّ خطاب بريتشارد، وخطا ناحية النافذة، ليحظى بضوء أفضل.

أؤكّد لك حضوري. لكن اسمع: حدث حادث عجيب وقت العصر في غرفة أنا. وفيه مسدسات. سأشرح لك بالتفصيل حين أراك. شهد أ ج موظف المحكمة وقوع الحادث. ربما عليك أن تتحدث معه، إذا كنت ستقوم بدور المحقّق. أيّا كان الأمر الذي تورّطت فيه أنا، أنا متأكّد أن أ. ج. يعلم به. هل تثق به؟ لا يمكنني أن أقول إنني أثق به: حسنًا، وكما يقول المثل، لا زلنا بعيدين عن القطع برأي في الأمر. دمّر هذا الخطاب. ج. س. ب.



قرب نهاية فترة العصر، عاد توماس بالفور إلى فندق بالاس، بنينة العثور على القسّ كويل ديفلن، الذي سمع مصادفةً حديثه مع لودرباك صباحًا. ودّ أن يعتذر للرجل عمّا بدر منه من وقاحة، وأيضًا (وهو الأمر الأكثر إلحاحًا) أراد أن يستفسر منه عن علاقته بالمستكشف المختفي، إميري ستينز. فهو متأكّد أن الاستفسار الذي قام به ديفلن في مكتب جريدة تايمز الساحل الغربي له علاقة ما بموضوع كروسبي ويلز.

لكنه لم يجد ديفلن في الفندق، وعلم بالفور من العاملين في المطبخ أنه غادر قاعة الطعام منذ عدة ساعات. ولم يجده في خيمته المنصوبة على الشاطئ، ولا في سجن مخيم الشرطة، ولا في أي كنيسة من الكنائس؛ ولم يجده في أي متجر، ولا في أي صالة من صالات البلياردو، ولم يجده على رصيف الميناء. تجوّل بالفور في أنحاء هوكتيكا لعدة ساعات، حزين النفس، وكاد أن يستسلم ويعود لبيته، وفجأة لمح ديفلن أخيراً. كان القسّ يمشي في شارع ريفل، بقبعته ومعطفه المنقوعين بماء المطر؛ وبصحبه رجل آخر، أطول وأضخم منه كثيراً. عبر بالفور الشارع ورفع ذراعه ليلوح له، لحظتها عرف الرجل المرافق لديفلن: إنه رجل الماوري الذي تحدث معه سابقاً اليوم، واتّسم سلوكه معه هو الآخر بوقاحة لا تغتفر.

ونادى: "مرحباً أيها الموقر ديفلن. أتصدّقني إن أخبرتك أنني كنت أبحث عنك! مرحباً يا تيد، أنا سعيد لرؤيتك مرة أخرى".
لم يرد تاورهار التحية. أما ديفلن فابتسم وقال: "أرى أنك عرفت اسمي. للأسف أنا لم أعرف اسمك بعد".

مدّ بالفور يده متهللاً، "توم بالفور". وتصافحاً. ثم قال: "نعم، ذهبت لمقابلة بن لوينثال في التايمز، وتحدثنا بشأنك. وبصراحة فقد بحثت عنك خلال الساعات الماضية. لأستفسر منك عن أمر".

قال ديفلن: "إذن فلقاؤنا مصادفة مضاعفة".

قاطعه بالفور: "إنه بخصوص إيميري ستينز. لقد سمعت أنك سألت عنه. وأردت أن تعرف من الذي نشر الإعلان الذي يناشده العودة. أخبرني بن أنك ذهبت إليه. أودُّ أن أعرف لِمَ تسأل عنه... أقصد لِمَ تسأل عن ستينز، وما هي علاقتك به؟".

تردّد كويل ديفلن. فالحقيقة هي أن إيميري ستينز أحد الأسماء الثلاثة المكتوبة على صكّ الهبة الذي أخذه من درج الرماد الخاص

بموقد كروسبي ويلز، في اليوم التالي لوفاته. لكنه لم يُطْلَع أي شخص على هذا الصَّكِّ، وقرر أنه لن يطلع أحد عليه، حتى يعرف المزيد عمَّن لهم علاقة به. هل عليه أن يكذب على بالفور؟ إنه لا يحب أن يكذب، لكن بإمكانه أن ييوح بجزء من الحقيقة. وعَضَّ على شفته. أحسَّ بالفور بتردد الكاهن، لكنه استقبله كنوع من التأييب له. فرفع يديه وصاح: "ويحي، ماذا دهاني! أسألك في الشارع -وفي هذا الطقس- والمطر يزيدنا بللاً في كل لحظة تمر! اسمعني؟ ما رأيك بأن نتناول وجبة سوياً؟ وجبة طعام ساخنة. لا يُعَقَّل أن نتبادل الحديث على قارعة الطريق... ونحن محاطون بالفنادق الدافئة من كل جانب، حيث يمكننا أن نحظى بوقت طيب".

نظر ديفلن إلى تاوهار، الذي برغم كرهه لبالفور، قد أبهجه الوجبة المقترحة بشكل واضح.

كحَّ بالفور، ثم خبط صدره بقبضته وقد تقلص وجهه. "لم أكن على طبيعتي هذا الصباح، كنت متوعكاً قليلاً؛ لم أكن على طبيعتي. واعتذر لكما عن ذلك، وأودُّ أن أعوِّض كليكما عما بدر مني. إني أدعوكما لتناول بعض الطعام والشراب سوياً... كأصدقاء. هيا، امنحوني الفرصة لكي أعتذر، فأنا أودُّ ذلك".

بعد ذلك بقليل اجتمع ثلاثتهم على منضدة في إحدى الزوايا في ماكسويل. وبالفور، الذي يروق له لعب دور المضيف الكريم، طلب لهم ثلاث سلطانيات من الشوربة الصافية، ورغيفاً من الخبز، وسحق الدم الضخم، وجبنة صلبة، وسرديناً في الزيت، وجَزْراً ساخناً بالزُّبد، ووعاء من حساء المحار، وزجاجة كبيرة من الشراب. ورأى ببصيرته أن يؤجل أي حديث بخصوص كروسبي ويلز أو إيميري ستينز حتى يتخم ضيوفه بالطعام والشراب، ودار الحديث بينهم حول صيد الحيتان، وهو موضوع يحمل الثلاثة رجال تجاهه تصوُّراً رومانسياً

لأقصى درجة، ولديهم الكثير ليتشاركونه بخصوصه. بعدها بثلاثة أرباع الساعة، حين عثر عليهم بنجامين لوينثال، كان ثلاثتهم منسجمين في صحبة سعيدة للغاية.

صاح بالفور حين رأى لوينثال يقترب: "بن! لكن ماذا عن يوم السبت الخاص بك؟".

وللمرة الثانية في هذا اليوم، يصبح بالفور سكران بدرجة ما.

قال لوينثال باقتضاب: "إنه ينتهي بظهور النجوم". وموجَّهاً حديثه لتاورهار، "أرى أننا لم نتعارف من قبل. اسمي بنجامين لوينثال؛ أنا أُصدر جريدة تايمز الساحل الغربي".

ردَّ رجل الماوري: "تي رو تاوهار". وهزَّ يد بنجامين بشدة.

قال بالفور: "يمكنك أيضاً أن تناديه تيد. إنه صديق مقرب من كروسبي ويلز".

قال لوينثال لتاورهار: "هل كنت صديقه؟".

ديفلن: "كان أقرب أصدقائه".

بالفور: "كانا أقرب لبعضهما من أخوين".

لوينثال: "حسنًا، في هذه الحالة فإن ما جئت بشأنه يتعلق بثلاثتكم".

بنجامين لوينثال ليس له الحق أن يمدَّ الدعوة لاجتماع فندق كراون بحيث تشمل ديغلن وتاورهار. لكن وكما لاحظنا بالفعل، فإن لوينثال يصير بغيضاً حين تُهان المبادئ التي يؤمن بها، وقد أهانة تشارلي فروست، وقت العصر، باقتراحه وجوب اقتصار الجمع في فندق كراون على قلة قليلة مختارة. أحسَّ لوينثال بالحاجة لتصحيح ما اعتبره خطأ أخلاقياً اقترفه فروست، فمد الدعوة لتشمل تاورهار وديغلن كصورة مبهمة من صور العتاب.

قال بالفور: "عظيم، شدّ لنفسك كرسياً".

جلس لوينثال وضمّ راحتي يديه معاً، وبصوت منخفض، وضّح السبب وراء اجتماع الليلة... وقد قبل بالفور الدعوة فوراً، وقبلها تاوهار باهتمام، أما كويل ديفلن فقد قبل الدعوة بعد فترة طويلة من التفكير. فكر القس في صكّ الهبة الذي أخذه من موقد الناسك، والموجود حالياً داخل إنجيله، بين العهدين القديم والجديد. وقرر أن يأخذ إنجيله معه إلى اجتماع هذا المساء، وأن يُظهر لهم الصك، إذا ما سنحت له الفرصة، والوقت.

Φ

تصاعد الدخان من مدخنة چاسكوين، وحين طرق مانرينج على الباب، انفتح على الفور، وظهر چاسكوين ممسكاً بسيجارة قد أشعلت حديثاً، وقد بدّل سترته الرسمية بقميص بأكمام وصديريّة صوفية.

قال چاسكوين: "نعم؟"

قال ديك مانرينج: "علمت من مصدر موثوق به أنك تحتفظ ببعض المال كأمانة. إن هذا المال يخصني، وقد جئت لآخذه".

نظر إليه أوبرت چاسكوين، ثم وضع سيجارته بين شفتيه، وسحب نَفَسًا وأطلق الدخان من فوق كتف مانرينج، إلى المطر. وقال بلطف: "ومن هو مصدرك الموثوق به؟".

قال مانرينج: "الآنسة أنا ويذريل، أبلغتني عن طريق السيد إدجار كلينش".

استند چاسكوين على إطار الباب. "وما الذي تخيلت الآنسة أنا ويزريل أنك ستفعله، حين تصلك تلك المعلومة التي أبلغتك بها عن طريق السيد إدجار كلينش؟".

قال مانرينج: "لا تتذاك عليّ. وسأقولها لك مرة واحدة: أنا لا أحب أن يتذاكى عليّ أحدٌ. لقد قالت إن المال مُخبأ تحت سريرك".

هزّ چاسكوين كتفيه وقال: "حسنًا، إن كنت أحتفظ بثروة تخصّ أنا، فأنا أفعل ذلك بناء على رغبتها، ولا أرى أي داعٍ لأن أخون ثقتها، وأسلمّ المال لرجل آخر... لمجرد أنه يدّعي أن المال يخصّه. وهي بالتأكيد لم تخبرني أنها سترسل أحدًا إليّ".

"هذا المال يخصّني بالفعل".

"كيف هذا؟".

مانرينج: "إنه دَيْنٌ. إنها مدينة لي".

چاسكوين: "الدَّيْنُ شأن خاص".

"الدَّيْنُ يمكن بسهولة أن يصبح شأنًا عامًا. ما رأيك في أن أقوم بإشاعة خبر مفاده أنك تحتفظ بما يفوق المائة جنيه من الذهب؟ تأكد أنه بحلول منتصف الليل سيكون باب بيتك مكسورًا، وبحلول الفجر سيكون اللص على مسافة خمسين ميلًا من هنا، وبحلول هذه الساعة غدًا، ستكون ميتًا. ولن يكون هناك أسهل من هذا... خاصة وأنت بلا حلفاء، وتعيش وحيدًا".

اكفهرّ وجه چاسكوين: "هذا الذهب في ذمتي، وتحت حراستي، ولن أسلمّه لأحد بدون موافقة الآنسة ويزريل".

ابتسم مانرينج، "سأعتبر هذا اعترافًا بالذنب".

قال چاسكوين: "وأنا سأعتبر هذا دليلاً على قصور قدرتك على الفهم. تصبح على خير. إن أرادت أنا نقودها، يمكنها أن تأتي لتأخذها بنفسها".

وحاول إغلاق الباب، لكن مانرينج تقدّم ومد يده ليمنعه. وقال: "أليس الأمر غريب!".

عبس چاسكوين وقال: "ما الأمر الغريب؟".

"غريب أن تقع عاهرة عادية فجأة على ذهب يكفي لتغطية جميع التزاماتها... ثم تخفي هذا الذهب تحت سرير رجل لم يمض في هوكتيكا من الوقت ما يكفي ليعرف اسم تلك العاهرة".

"هذا غريب للغاية".

"ربما عليّ أن أعرفك بنفسي".

قال چاسكوين: "أعلم مَنْ أنت، وأعلم ما تفعله".

فكّ مانرينج أزرار معطفه ليظهر مسدساته: "هل تعلم ما هذه؟ هل تعلم ما تفعله؟".

قال چاسكوين بهدوء: "نعم، إنها مسدسات تصادّمية، بإمكان الواحد منها إطلاق ست رصاصات في ست ثوانٍ".

قال مانرينج: "سبع رصاصات، إنها الإصدار الثاني لسميث وويسون، لكن معلومة الستة ثوانٍ صحيحة".

سحب چاسكوين نفّساً آخر من سيجارته.

وضع مانرينج يديه فوق جرابات المسدسات، مبتسماً: "يجب أن أطلب منك أن تدعوني للدخول يا سيد چاسكوين".

لم يُجِبْه الرجل الفرنسي، لكنه بعد لحظة هرس طرف سيجارته على حافة الباب، وأسقطه أرضاً، وتنحى جانباً وأشار لمانرينج بتهذّب

مُبَالَغ فيه بالدخول. جال مانرينج بنظره في أرجاء الغرفة، وأطال النظر إلى سرير چاسكوين. وما أن أغلق چاسكوين الباب خلفه حتى التفت إليه مانرينج قائلاً: "مَن يحظى بولائك؟".

قال چاسكوين: "لا أظنني أفهم سؤالك. أتودُّ أن أعدَّ لك قائمة بأصدقائي؟".

حدَّق فيه مانرينج وقال: "سؤالي هو: هل تحظى أنا بولائك؟".

قال چاسكوين: "نعم. إلى حدِّ ما بالطبع". وجلس في مقعده ذي القماش المخطط، ولم يَقم بأي إشارة يدعو بها ضيفه للجلوس.

شبك مانرينج يديه وراء ظهره: "إذن لو علمت أنها متورِّطة في أمرٍ ما، فإنك لن تخبرني".

قال چاسكوين: "حسنًا، هذا يتوقف على طبيعة الموقف بالطبع، ما نوع الأمر الذي تتحدث عنه؟".

"هل تكذب بالنيابة عنها؟".

قال چاسكوين: "لقد وافقت على أن أخبِّئ بعض المال بالنيابة عنها. وقد خبَّأتَه تحت سريرِي. وأنت تعلم بذلك. إذن اعتقد أن الإجابة هي لا".

"لم تمنحها ولاءك؟ لدرجة ما؟".

استرخى رسغي چاسكوين على ذراعي الكرسي؛ كان جالساً في وضعية مريحة، كملك يجلس على عرشه. وأوضح لمانرينج انه عطف على أنا حين تمَّ إطلاق سراحها من السجن منذ أسبوعين، وأنهما أصبحا صديقين منذ ذلك الحين. وأنه يشفق عليها، لأنه يرى أن أحدهم يستغلها في أمور سيئة، وأنه لا يمكنه القول بأن علاقتهما وثيقة، ولم يحدث أن منحها مالاً في مقابل لقاءه بها. وأضاف أن الفستان الأسود يعود لزوجته الراحلة، وأنه منحه للعاهرة من باب العطف عليها؛

لأن فستان الدعارة الخاص بها تمزَّق من جراء احتجازها في السجن، وأنه لم يتوقع أنها ستدخل في فترة حداد، حين تحصل على الفستان، وفي الحقيقة فإنه قد أصيب ببعض الإحباط مما حدث؛ فهو يرى أنها جميلة جداً، وكان يتمنى أن يستمتع بصحبته بالطريقة المتعارف عليها مع أمثالها.

قال مانرينج: "قصتك لا تذكر الجزء الخاص بالذهب المخفي تحت سريرك".

هزَّ چاسكوين كتفيه. أحسَّ أنه مُتعب جداً، وغاضب جداً، أكثر من أن يستطيع أن يكذب. وقال: "في الصباح التالي لوفاة كروسبي ويلز، استيقظت أنا في السجن ووجدت أنها تحمل كمية كبيرة من الذهب على جسدها. لقد خيط الذهب في مشدَّ الفستان. لم تكن تعلم كيف وصل إليها هذا الذهب، وكانت، بطبيعة الحال، خائفة جداً. وطلبت مساعدتي. ورأيت أنه من الأفضل أن نخفي الذهب، لأننا لا نعلم مَنْ الذي خبَّأه على جسدها، وما السبب الذي دعاه لهذا. لم نثمنه بعد لكنني أظن أن قيمته أكثر بكثير من مائة جنيه. هذه يا سيد مانرينج هي الحقيقة الكاملة لما حدث... على الأقل فيما يتعلق بي".

صمت مانرينج. لم يكن هذا التفسير منطقياً بالمرّة بالنسبة إليه.

أضاف چاسكوين: "يجب أن أقول أنك تسيء إليَّ كثيراً بافتراض أنني مذنب قبل أن تستوضح الأمر مني. وأنا مستاء جداً من تعديك على وقتي وخصوصيتي بهذا الأسلوب العدواني".

قال مانرينج: "دعك من هذه الطريقة في الحديث، أسلوب عدواني! هل رفعت مسدساً في وجهك؟ هل هددتك باستخدام العنف؟".

"لم تفعل ذلك... لكنني سأكون أسعد حالاً إذا خلعت حزامك".

بدا على مانرينج الازدراء. "أخلع حزامي؟ وأضعه في منتصف الطاولة، في منتصف المسافة بيني وبينك، حتى تسرع وتسبقني إليه! لن أنخدع بهذا؛ فقد رأيت هذه الحيلة من قبل".

قال چاسكوين: "إذن سأطلب منك طلب آخر. أريد أن يدوم وجودك في منزلي لأقل مدة ممكنة. إذا كان لديك المزيد من الاستفسارات، عليك أن تطرحها عليّ الآن... لكني أخبرتك بكل ما أعرفه عن هذا الذهب".

قال مانرينج بحزم (وقد أذهله أنه فقد السيطرة على الموقف بهذه السهولة): "انظر، أنا لم أقصد أن يبدأ تعارفنا بطريقة سيئة". چاسكوين: "بالطبع قصدت ذلك، ربما تكون نادماً الآن، لكنك قصدته".

أطلق مانرينج شتمة، وصاح: "أنا لستُ نادماً على أي شيء! أنا لست نادماً على الإطلاق!".

"هذا دليل على اطمئنانك لما فعلته".

قال مانرينج: "دعني أخبرك شيئاً"، لكنه توقّف عن الحديث، فقد ألقى صوت دقّات قوية على الباب.

وقف چاسكوين في الحال. ومانرينج الذي بدا عليه الخوف فجأة، خطا عدة خطوات للخلف وسحب أحد مسدساته من جرابه. وأمسكه ملاصقاً لساقه، ليخفيه عن الأنظار، وأوماً لچاسكوين ليفتح الباب.

وعلى عتبة الباب وقف هارالد نيلسن، ممسكاً عصاه بشكل أنيق، وقبعته مائلة للخلف بعيداً عن حاجبيه. انحنى نيلسن لچاسكوين وكان على وشك أن يبدأ بالحديث حين لمح، من فوق كتف چاسكوين،

ديك مانرينج يقف بطريقة غريبة وذراعه متصلة بجانبه. فانفجر نيلسن ضاحكًا.

"حسنًا، ماذا بك يا ديك؟ أينما ذهبت اليوم... أجذك قد سبقتني! مرحبًا يا سيد چاسكوين. اسمي هارالد نيلسن. أنا سعيد جدًا بمقابلتك. أرجو ألا أكون قد قاطعتكما".

انحنى چاسكوين بأدب، رغم أن ملامحه ظلّت باردة. وقال: "لا، على الإطلاق. تفضّل بالدخول".

قال نيلسن ببشاشة، وهو يحكّ خذائمه لينظفه قبل دخوله: "أتيت لأتحدث معك بخصوص أنا ويزريل، لكنني أرى أنني خسرت السباق!".

أغلق چاسكوين الباب وقال: "ما الأمر بخصوص أنا؟".

تحدث مانرينج في نفس اللحظة قائلاً: "تريث يا سيد نيلسن".

أجاب نيلسن چاسكوين: "حسنًا، إنه يتعلق بأمر غريب قليلًا. ربما يكون أمرًا تافهًا. لكنني لا أودُّ مقاطعتكما. يمكنني العودة في وقت تكون فيه غير مشغول".

قال چاسكوين: "لا، تفضّل من فضلك. السيد مانرينج على وشك الرحيل؛ لقد أخبرني بذلك بنفسه".

ضايق مانرينج استبعاده بهذه الطريقة. وقال لنيلسن: "ما الأمر؟".

انحنى نيلسن انحناء بسيطة. "آسف؛ إنه موقف دقيق للغاية".

قال مانرينج: "ملعون هو الموقف الدقيق. بحقّ الله، لست بحاجة لأن تخفي عني شيئًا؛ نحن في هذا سويًا! هل الأمر بخصوص الأرملة؟ أم بخصوص الذهب؟".

لم يفهم نيلسن مقصده. "أتقصد ثروة ويلز؟"، والتفت لچاسكوين. "هل أنت أيضًا متورط في أمر الثروة؟".

انفكت أسارير چاسكوين فجأة، بدا وكأن ما يحدث يسليه للغاية. وقال: "يبدو أنني أخضع للاستجواب من الجميع في نفس الوقت. هل أنت مسلّح بالمسدسات أيضًا يا سيد نيلسن؟ يجب عليك أن تخبرني إن كنت مسلّحًا".

قال نيلسن: "أنا لا أحمل مسدسات". وألقى نظره على مانرينج ورأى المسدس في يده. "لماذا تمسك مسدسًا؟ ما الذي تفعله؟".

لكن مانرينج لم يرد؛ فقد كان في هذه اللحظة في وضع صعب، فهناك أمور يريد أن يخفيها عن نيلسن، وأمور يريد أن يخفيها عن چاسكوين. وتردّد، وتمنى لو لم يذكر أمر الأرملة ولا أمر الذهب.

قال چاسكوين، وكأنه يفتح باب الحديث: "كان السيد مانرينج يريني مسدسه، الإصدار الثاني من سميث وويسون. هذه الاسطوانة تَسع سبع رصاصات".

بدا نيلسن متشكّكًا: "أوه، لماذا؟".

ومرة أخرى يعجز مانرينج عن الرد. هو لا يريد أن يعلم نيلسن بأمر الذهب المخبأ تحت سرير چاسكوين... ولا يريد أن يعلم چاسكوين بأزمة كروسبي ويلز، وأه كيلي، وأه سووك، والأفيون، وكل ما سيتناقشون فيه هذا المساء في فندق كراون.

ردّ چاسكوين بالنيابة عن الرجل الأكبر سنًا: "إنه موقف دقيق"، ومال ناحية نيلسن. "كل ما يمكنني إخبارك به هو أن السيد مانرينج لديه معلومة مؤكّدة من الأنسة أنا ويذريل، نقلها له السيد إدجار كلينش".

عثر مانرينج على صوته أخيرًا. "يكفي هذا. نيلسن، ما الأخبار التي تحملها عن أنا؟ ما الأمر؟".

وأساء نيلسن فهم غرض مانرينج من سؤاله عن الأمر أمام چاسكوين. وتذكر أن خطاب بريتشارد جاء به ذكر المسدسات، وأنا، وأيضًا إدجار كلينش... بطريقة غير مباشرة، فقد ذكر بريتشارد وقوع حادث غريب في غرفة أنا بفندق جريديرون وقت العصر. بالطبع! هكذا فكّر نيلسن فجأة. لا بُدَّ أن الموقف الدقيق الذي يتحدثون عنه هو نفس الموقف.

رفع يده قائلاً: "انظروا، أعتقد أننا نقصد جميعاً نفس الأمر. وإذا كان السيد چاسكوين يعرف السر، فأرى أن ننتظر حتى نجتمع كلنا الليلة، ونتبادل ما نعرفه فيما بيننا. ونوفّر عناء أن نحكي كل شيء مرتين. هلاًّ تقابلنا الليلة في الكراون؟".

تنهّد مانرينج.

قال چاسكوين: "للأسف إني لا أعرف السر، ولم يدعني أحد إلى اجتماع في فندق كراون".

وساد الصمت. ونظر چاسكوين إلى نيلسن، ثم إلى مانرينج. ونظر مانرينج إلى چاسكوين، ثم إلى نيلسن. ونظر نيلسن إلى مانرينج بتعبير من الاعتذار على وجهه.

قال الثري: "لقد حدث ما حدث". وأطلق شتمة، وأعاد مسدسه إلى جرابه، ثم رفع أصبعه في وجه چاسكوين وقال: "حسنًا، لا بأس... لتحلّ عليّ اللعنة إن كان حضورك مرغوبًا فيه، ولتحلّ عليّ اللعنة إن لم أضعك تحت نظري حتى انتهاء الأمسية، وبعدها. ارتد معطفك. سوف تأتي معنا".

عطار د فف برآ القوس

آف فمعن والفر مودف الففكر فف اللآز المطفروح؁ ونعلم بما آف ف خلال رآلفه من دفونفن؁ وفآف فرسال بأآبار لا ففوقعها أأف.

آفم الصمف على آرفة الفآآفن فف فنءق كراون... صمف بفا؁ للآظة؁ وكأنه ففمء أنفاس الرآال؁ وفآمء ءواماف الفآان الصاءرة عن الغلافن؁ والسآائر؁ ومآآلف أنواع السفآار.

فآاوأرآ الساعة منفصف اللفل. وأأاطف الظلمة بزوافا الآرفة؁ وبءف مآارفط النور الصاءرة عن مصابفح الزفف قوفا وباعآة على الفف؁ بفنما بءف من قبل آاففة ومرآآفة. وفسللف أصواف لfle السبف من الشارع... صوف أكورءفون؁ صفاآ بعفء؁ صرآة اسفآآسان؁ ءقات آوافر آصان. وقء فوقف المطر؁ رآم أن السآب لم ففآشع

بعدُ، وبدا القمر ذو الوجه الأحدب كبقعة مربّعة من الضوء في السماء المتجهمة.

قال توماس بالفور: "هذا هو الأمر. هذا ما وصلنا إليه".

رمش مودي بعينه ونظر حوله، رواية بالفور، بكل تفكُّها وفوضيَّتها، شملت كل الحاضرين. هناك بجانب النافذة نجد النَّحَّاتِ الماوري، تي رو تاوهار، الصديق الوفيّ في حياة كروسبي، والذي خانهُ في النهاية، عن غير قصدٍ منه. وهناك في أبعد أركان الغرفة نجد تشارلي فروست، موظف البنك الذي أجرى صفقة بيع بيت ويلز وأرضه، وأمامه، نجد الصحفي بنجامين لوينثال، الذي علم بالوفاة في غضون ساعات من حدوثها. أمّا إدجار كلينش، الذي اشترى ممتلكات ويلز، فإنه يجلس على الأريكة بجانب طاولة البلياردو، يمسّد شاربه بسبابته وإبهامه. وهناك بجانب المدفأة نجد ديك مانرينج، القَوَّاد، وصاحب المسرح، والشريك المقرب من إيميري ستينز؛ وخلفه نجد عدوّه أه كيي. ويقف هارالد نيلسن التاجر بالعمولة ممسكًا بعصا البلياردو، وهو مَنْ اكتشف ثروة طائلة داخل كوخ كروسبي ويلز، واكتشف أيضًا قنينة منوّم مغلقة نصف فارغة، تمّ شراؤها من متجر أدوية جوزيف بريتشارد. الذي يجلس أقربهم إلى مودي؛ وعلى الناحية الأخرى من مودي يجلس توماس بالفور، الخادم المطيع للسياسي لودرباك، مالك صندوق الشحن الذي اختفى مؤخرًا. وبجانب توماس بالفور، في المقعد ذي الذراعين، يجلس أوبرت چاسكوين، الذي دفع كفالة أنا ويذريل، واكتشف ثروة أخرى، أصغر، مخبأة في فستان أنا البرتقالي المخصص للدعارة. وخلفه أه سووك، بائع الأفيون المتجول، والذي يدير وكر الأفيون في كانيير، وزميل فرانسيس كارفر السابق، والذي اكتشف عصر يومهم هذا، أن كروسبي ويلز كان ثريًا في يوم من الأيام. وأخيرًا، نجد القس كويل ديفلن، يقف مستندًا إلى طاولة

البلياردو عاقِدًا ذراعيه على صدره، وهو من أودع جسد الناسك مستقره الأخير على مرتفع سي فيو.

هذا الجمع، في تقدير مودي، جمع غريب للغاية. الاثنا عشر رجلًا لا يجمع بينهم سوى علاقتهم بالأحداث التي جرت في الرابع عشر من يناير، في الليلة التي كادت آنا ويذريل تموت فيها، والتي مات فيها كروسبي ويلز، واختفى إيميري ستينز، وأبحر فرانسيس كارفر، ووصل لودرباك للمدينة. وخطرت لمودي فكرة أدهشته؛ ليس هناك أحد من هؤلاء حاضِرًا. أيضًا فإن مأمور السجن، المدير شيبرد، ليس حاضِرًا، وكذلك الأرملة الداهية ليديا ويلز.

فكرة أخرى أدهشت مودي: ليلة الرابع عشر من يناير هي نفس الليلة التي خطت فيها قدماه أرض نيوزلندا لأول مرة. حين نزل من ناقلة البريد البخارية الصغيرة التي أقلته من ليقربول إلى ديوندن، ورفع بصره للسماء، وأحس لأول مرة بغربة المكان. فالسماء كانت مقلوبة، والكوكبات النجمية غير مألوفة، والنجم القطبي موجود تحت قدميه، ضخّم الحجم. في البداية بحث عنه، لحماقته؛ رغبةً منه في قياس ميل ذراع النجم الثابت، ليحدّد من خلاله موقعه الحالي من خطوط العرض، كما كان يفعل وهو صبي، في النصف الآخر من الكرة الأرضية. فوجد كوكبة الجوزاء... معكوسة، جعبة سهامه تحته، وسيفه معلّقًا في حزامه لكنه متّجه لأعلى. أما كوكبة الكلب الأكبر... فقد بدت له ككلب ميّت معلّق في خطّاف جزّار. أثار الأمر حزن مودي لأقصى درجة. وكأن الكوكبات العريقة لا تعني شيئًا هنا. بعد طول بحث عثر على كوكبة الصليب الجنوبي، وحاول أن يتذكر قاعدة تحديد القطب، فليس هناك نجم آخر لتحديد مكانه، هنا في ظلام المتناقضات، حيث كل الأشياء معكوسة الوضع وعديمة الشكل. ترى هل من المفروض أن نستخدم الخط الأفقي أم الخط الرأسي للكوكبة؟ لم يستطع أن يتذكر. هناك صيغة ما: طول عقلة أصبع، أو معادلة ما.

ربما شيء نقيسه بالبوصات. لقد انزعج للغاية من عدم وجود نجمة تشير إلى القطب.

حدَّق مودي في المدفأة، التي تحوّل فحمها لرماد منذ وقت طويل. لم يقصّ توماس بالفور قصته بترتيبها الزمني الصحيح، وزاد من تعقيدها أنها تعرضت لعدد لا نهائي من المقاطعات، والتوضيحات والتكرارات... المتعاقبة، واحد وراء الآخر، في دوائر لا نهاية لها. كم هي معقدة تلك اللوحة التي رسمها... وكم هو صعب رؤيتها كصورة كاملة! وفكّر مودي في كل ما سمعه هذا المساء. وحاول ترتيب الأحداث في عقله حسب ترتيب حدوثها.

منذ حوالي تسعة أشهر تسبق يومنا هذا، سلب السجين السابق فرانسيس كارفر السفينة جودسبيد من مالكة أليستار لودرباك بخدعة. بعد ذلك، وكنتيجة لمشكلة غير معلومة، فقد كارفر صندوق الشحن الذي استخدمه في إجبار رجل السياسة على التنازل عن سفينته. احتوى صندوق الشحن على ذهب تقدّر قيمته بحوالي أربعة آلاف جنيه، وقد خيط الذهب بمنتهى الدقة داخل بطانة خمسة فساتين. والخياطة التي قامت بخياطته هي امرأة تدعى ليديا ويلز، والتي كانت وقتها تقدم نفسها بصفقتها زوجة فرانسيس كارفر.

أربعة آلاف جنيه هو مقدار ضخّم من النقود، وكارفر، بطبيعة الحال، حين اكتشف ضياع الصندوق، أراد استعادته. فأبحر إلى هوكتيكا مفترضاً احتمالية شحن الصندوق إليها بالخطأ، ونشر إعلاناً في تايمز الساحل الغربي، عارضاً مكافأة كبيرة مقابل إعادة الصندوق سالمًا. نشر كارفر الإعلان باسم كروسبي فرانسيس ويلز -وقدّم شهادة ميلاد تثبت هذا الاسم- رغم أن الرجل كان معروفًا، قبل ذلك الوقت وبعده، باسم فرانسيس كارفر. وهناك أمر آخر غير مفهوم، لمَ استخدم كارفر اسمًا مستعارًا عند ابتزازه للودرباك؟ هل احتاج لذلك؟ أم أن الابتزاز

ألهمه فكرة استعارة الاسم؟ من غير المعروف أيضًا سبب حيازة كارفر لشهادة ميلاد كروسبي ويلز في ذلك الوقت (بافتراض أنها شهادة ميلاد أصلية وليست مزورة).

أما كروسبي ويلز الحقيقي (أو ربما كروسبي ويلز آخر) فقد عاش وحيدًا في وادي الأراهورا، على مسافة عدة أميال شمال هوكتيكا. لم يكن ويلز شخصًا مشهورًا، ومعارفه كانوا قلة قليلة؛ وقبل وفاته لم يسمع عنه أحد في هوكتيكا، ومن سمع عنه لم ير فيه شخصًا صاحب ثروة أو نفوذ. وقد اكتشف أه سووك، حين تحرّى عن ملابس وفاته التي حدثت بعد تسعة أشهر، أن ويلز قد عثر على كنز في حقول ذهب دنستن منذ عدة سنوات، وأنه استخرج ثروة تقدر بآلاف الجنيهات. ومن الواضح أن ويلز، لسبب ما، أراد الاحتفاظ بهذا الأمر سرًا.

نشر فرانسيس كارفر إعلانه في تايمز الساحل الغربي في بداية شهر يونيو (وقد أُكِّد بنجامين لوينثال على صحة هذا التاريخ). وحين كان كارفر في هوكتيكا عرض على تي رو تاوهار مكافأة مقابل أي معلومات عن رجل يدعى كروسبي ويلز. وقتها تاوهار لم يكن يعرف أحد بهذا الاسم وتلك الأوصاف، ولم يعثر كارفر على صندوق الشحن؛ وعاد إلى ديونندن صفر اليدين.

وصلت أنا ويذريل إلى هوكتيكا على متن جودسبيد، مرتدية فستان عمل بنفسجيًّا مستأجرًا من رب عملها الجديد، ديك مانرينج. وحين علمت، بعد وصولها بعدة أسابيع، أن صندوق يحتوي على ملابس نسائية تم انتشاله من حطام إحدى السفن، اشترت كل محتويات الصندوق، المكوّنة من خمسة فساتين.

وليس غريبًا أن نفترض أن أنا لم تعلم شيئًا عن الثروة التي حوتها تلك الفساتين، ولا عن مصدرهم. فهي لم تتحدث عن الذهب المخبأ

مع أحد، ولم تحاول أبداً استخراجها بأي شكل. لكن هل هذا الجهل التام ممكن بالفعل؟ ربما تسبب إدمانها للأفيون في أنها لم تشعر بثقل هذه الفساتين على جسدها، كما قد تشعر به امرأة منتبهة متيقظة؛ ثم إنها، وكما أكد چاسكوين، لها سابق معرفة بليديا ويلز، وربما تعرفت على الفساتين لأنها فساتين ليديا. على أي حال، فقد ارتدت أنا هذه الثروة داخل تلك الفساتين منذ ذلك الحين، ما عدا شهر واحد ما بين سبتمبر وأكتوبر، حين اضطررتها ظروف حملها لارتداء فستان مخصص لفترة الولادة.

حين اكتشف إدجار كلينش، مدير الفندق الذي تستأجر أنا إحدى غرفه، الذهب المخفي في الفساتين، استنتج أن القوَاد ديك مانرينج يستخدم أنا في تهريب الذهب من حقول الذهب، كوسيلة للتهرب من الضرائب التي يفرضها البنك. أثار التفكير في هذه المؤامرة الحزن الشديد داخل كلينش، لكنه لا يملك سبباً يدعوهُ للتحدث مع أنا أو مع مانرينج بخصوص هذا الأمر؛ لذلك فقد التزم الصمت.

كلينش لم يكن الرجل الوحيد الذي عثر بالمصادفة على الثروة المخبأة في فساتين أنا، ولم يكن الرجل الوحيد الذي أساء فهم سبب وجودها. فالمنقب كيلي لونج اكتشف هو الآخر الأسرار المخبأة خلف الغرز في فساتين أنا -وتقريباً في نفس التوقيت الذي اكتشفها فيه كلينش- وخطر لذهنه نفس التفسير الذي خطر لكلينش. أه كيلي يعرف جيداً أن مانرينج قادر على الغش، فالرجل الثري غشّه من قبل. وقرّر أه كيلي أن يتفوق على مانرينج في الغش. فبدأ يفرغ فساتين أنا من الذهب، ويصهر الخام ويسبكه في مربعات تحمل اسم منجم أورورا... ليتأكد من أن إيداع الذهب في البنك سيتم تحت حساب المنجم الذي يعمل به، والذي كانت ملكيته وقتها قد آلت لمستكشف صغير السن يدعى إميري ستينز.

استغرق استخراج الذهب من فساتين أنا عدة أشهر. ففي كل مرة تذهب أنا لكوخ أه كيي في الحي الصيني في كانير، تكون فاقدة لحواسها بسبب الأفيون؛ وهكذا تمكن أه كيي من استخراج الذهب بالإبرة والخيط أثناء نومها، ودون أن تدري شيئاً. لم ترتد أنا فستان العمل البرتقالي وقت ذهابها إلى الحي الصيني. ولهذا السبب ظلّ الفستان البرتقالي مليئاً بالذهب، بعد أن أفرغ أه كيي الفساتين الأربعة الآخرين من الثروة المخبأة فيهم.

لا أحد يدري كيف، ولا لماذا، سُرقت الثروة التي سبكها أه كيي من خزانة المخيم. وطبقاً للمعلومات المتاحة حالياً، فالشك يحوم حول ستينز، المستكشف المختفي، الذي لا يملك دافعاً للقيام بمثل هذا. فالشاب فاحش الثراء، وهو أيضاً، طبقاً للآراء المعلنة على الأقل، سعيد الحظ. لِمَ قد يرغب شخصٌ مثله في السرقة من العامل الذي يعمل عنده؟ ولم قد يفضّل تخزين ذهبه في كوخ رجل آخر، بعيداً عن مناجمه. أيّاً كانت أسباب الشاب فهناك على الأقل أمر واحد مؤكّد: أن ستينز لم يودع حصيلة أه كيي في البنك تحت حساب منجم أورورا كما يجب عليه أن يفعل قانوناً. هذا أمر مثير للحيرة، فإيداع هذا الذهب المسبوك في البنك، سيحول منجم أورورا، بين عشية وضحاها، من منجم ناضب إلى ثروة تعود بالمرء لوطنه.

إيميري ستينز متورط أيضاً بشكل غريب في صكّ الهبة الذي اكتشفه كويل ديفلن في موقد كروسبي ويلز... حيث يحمل الصك اسمه، رغم أنه لا يحمل توقيععه. هذا الصك يشير أن إيميري ستينز وكروسبي ويلز كانا شركاء من نوع ما، وأن الثروة المخزونة من المفترض أن يتم منحها كهدية، لسبب ما، من إيميري ستينز لآنا ويذريل. وهذا يثير المزيد من الدهشة، لأنه حين ينظر المرء لكافة الجوانب، يرى أن ستينز ليس لديه الحق في إهداء هذا الذهب.

كانت آنا تحمل طفلاً في أحشائها -من كارفر- قبل أن تصل لهوكتيكا، وفي الربيع بدأ حملها يظهر عليها. لكن حملها لم يكتمل، وطفلها لم يولد: ففي منتصف أكتوبر عاد كارفر لهوكتيكا، وواجه آنا، وضربها بعنف. لم يتحمل الجنين ذلك اللقاء. وحين وصفت آنا لإدجار كلينش ما حدث أشارت إلى أن كارفر قد قتل الطفل بدم بارد.

أوقف مودي ترتيبه للأحداث لیتمعن في هذا الحدث الحزين. ورغم الإشارة بإيجاز عدة مرات هذا المساء لموت الطفل، لم يبدو أن أيًا من الحاضرين لديه فكرة واضحة عن الكيفية التي حدث بها هذا الشجار القاتل. وحالت طبيعة الموضوع الحساسة بين مودي وبين سؤال الحاضرين طلبًا للمزيد من المعلومات بشأنه، لكنه الآن يتساءل عن طبيعة العلاقة بين آنا وكارفر في سياق الحكاية بشكل عام. هل كان مقتل الطفل متعمدًا بالفعل، وإن كان متعمدًا، ما الذي قد يدفع كارفر لاقتراف مثل تلك الجريمة الشنعاء. لم يكن بإمكان أحد من الاثني عشر حاضرًا الإجابة عن هذه التساؤلات بأي نوع من اليقين الموضوعي؛ بإمكانهم فقط وصف ما تم إخبارهم به على اعتبار أنه الحقيقة.

(كم هي غامضة عقول هؤلاء الرجال والنساء الغائبين عن هذا الجمع! وكم هو محير ذلك الحافز الذي قد يدفع فرانسيس كارفر لقتل طفله في تعبير قاس عن الرفض، هل قتله كتعبير عن الكره، أم أن القتل تم كفعل وقائي وحشي، أم أن القتل حدث كحادث عارض: وبما أنه لا يمكنه أن يسأل الرجل مباشرة، فليس من الممكن معرفة السبب الحقيقي. وحتى آنا ويذريل التي قالت إن كارفر هو القاتل، قد يكون لديها الكثير من المبررات للكذب).

فكر مودي في هذا، ثم عاد لترتيب الأحداث في عقله.

قابل تي رو تاوهار كارفر بالصدفة صباح يوم الرابع عشر من يناير، وتذكّر العرض الذي قدمه له العام الماضي. فعرض تاوهار على كارفر أن يخبره بالمكان الذي يعيش فيه كروسبي ويلز، مقابل شلّين. ووافق كارفر، وصف له تاوهار الطريق، وذهب كارفر إلى وادي الأراهورا في نفس اليوم... في الليلة الأخيرة من حياة ويلز. ربما حضر كارفر وفاة الناسك، وربما غادره قبل لحظات من وفاته. لكنه في الحالتين دخل الكوخ ومعه قنينة من المخدر الذي وُجِدَتْ آثار منه في معدة كروسبي ويلز أثناء فحص جثته. وبعد لقائهما، عاد كارفر إلى هوكتيكا، وجمع بحّارة جودسبيد، ورفع المرساة، وغادر قبل طلوع الفجر. وسافر كارفر من هوكتيكا إلى ديوندن وليس إلى كانتون (كما توقّع بالفور)، وهي حقيقة يستطيع مودي نفسه إثباتها، فقد صعد على متن تلك السفينة من ميناء تشالمرز بعدها باثني عشر يومًا. وصل أليستار لودرباك إلى كوخ ويلز بعدما غادره كارفر بقليل، ووجد الناسك ميتًا على منضدة مطبخه، ورأسه يستند على ذراعيه. وأكمل السياسي رحلته إلى هوكتيكا، حيث أجرى مقابلة صحفية مع المحرر بنجامين لوينثال، الذي كان ينوي نشر تقرير سياسي في نسخة يوم الاثنين من جريدة التايمز. وتوقّع لوينثال، حين علم بوفاة كروسبي ويلز من لودرباك، أن يتم عرض ممتلكات المتوفى للبيع. وفي صباح اليوم التالي أخبر لوينثال إدجار كلينش مدير الفندق بهذا الحدث المتوقّع؛ لمعرفته أن كلينش يبحث عن فرصة للاستثمار في الأراضي. وعلى الفور اتجه كلينش للبنك حيث دفع عربوًا، وقام تشارلي فروست موظف البنك بإتمام إجراءات شراءه لممتلكات الرجل الميت.

كلف كلينش هارالد نيلسن بإفراغ كوخ المتوفى والتصرف في محتوياته. ويتولى نيلسن المهمة... ويكتشف، ويا للعجب، ثروة ضخمة، مخفية في كل مكان يمكن إخفاء شيء فيه داخل الكوخ

المكون من غرفة واحدة. قُدِّرَت قيمة الذهب بعد سبكه في البنك بما يزيد عن أربعة آلاف جنيه. استلم نيلسن عمولته المقدَّرة بعشرة في المائة، وتبقى ما يزيد عن ثلاثة آلاف وستمئة جنيه، ومن هذا المبلغ تمَّ استقطاع عدد لا يُحصى من الضرائب المفروضة عند الموت، ومن الرسوم، والمصاريف، ومن ضمنها هدية لتشارلي فروست موظف البنك مقدارها ثلاثون جنيهًا. أما الباقي، الذي هو مبلغ لا يستهان به... فقد تمَّ التحفظ عليه في البنك المركزي. وغالبًا لن يرى كلينش مليماً من المبلغ. فليديا ويلز، التي وصلت بطريقة غامضة من ديوندين بعد جنازة الناسك بعدة أيام، قدَّمت التماسًا ببطلان صفقة الشراء الخاصة بكلينش، بدعوى أن ممتلكات الناسك تخصُّها بحكم القانون.

الذهب الذي تمَّ العثور عليه في كوخ كروسي لا يمثل كل الثروة التي نبحت أمرها. فأه كيي قد أفرغ الذهب من أربعة من أصل خمسة فساتين تخصُّ أنا. الجزء الخامس من الثروة، الذي خيط داخل طيات فستان أنا البرتقالي الذي ترتديه في العمل، في الدعارة، اكتشفت أنا بنفسها هذا الجزء من الثروة منذ أسبوعين، حين استيقظت في السجن بعد تعرضها لأزمة تعاطي جرعة زائدة. وقد ظنَّت، ولها الحق في ظنها، أن الذهب خيط في فستانها حديثًا... حيث إنها لا تتذكر ما حدث لها خلال الاثنتي عشرة ساعة التي سبقت إلقاء القبض عليها، وكانت في حالة من الارتباك الشديد. فالتمست مساعدة چاسكوين، واستخرجها المعدن من الفستان البرتقالي سويًا وأخفياه في كيس دقيق تحت سرير چاسكوين.

حين عادت أنا إلى فندق جريديرون مرتديَّة الفستان الأسود الخاص بزوجة چاسكوين الراحلة، تجدَّدَت شكوك إدجار كلينش القديمة. وأحسَّ، وقد صدق إحساسه هذه المرة، بأن تغيير أنا لفستانها له علاقة بالذهب المخبأ، ولاحظ -بمراةٍ- اختفاء فستان الدعارة البرتقالي

الخاص بها. واستاء كثيراً من ادّعاءها أنها لا تستطيع سداد ديونها له، في الوقت الذي يعلم فيه أنها تحتفظ بالكثير من الذهب؛ وحين سمح لاستيائه أن يسيطر عليه، اختدّ عليها في الحديث، وهذّدها بالطرد من الفندق إن لم تدفع ما عليها.

لكن تهديد كلينش لم يأتِ بالنتيجة التي يتوقعها. فقد سدّدت له أنا ويذريل دينها كاملاً، وليس من الذهب المخفي في فساتينها، ولا حتى من الدخل الذي يأتيها من عملها. بل تمّ سداد الدين عصر هذا اليوم بقرض قيمته ستة جنيهات من أرملة كروسبي، ليديا ويلز؛ وبالنسبة لما تدين به أنا لمانرينج، الذي يقدره الثري بما يزيد عن مائة جنيه، فسيغطيه وزيادة الذهب الذي استخرجه مع چاسكوين من الفستان البرتقالي. وغادرت أنا فندق جريديرون بلا عودة. فقد تمّت دعوتها، من الآن فصاعداً، للإقامة مع ليديا ويلز في الواي فيرر فورتشن، حيث لن تصير عاهرة بعد اليوم.

هل علمت ليديا ويلز أن صندوق الشحن المفقود الخاص بكارفر قد انتهى به الأمر في هوكتيكا، وأن أنا قد اشترت الفساتين، وأن الثروة التي وجدوها في كوخ كروسبي ويلز هي نفسها التي استخدمها كارفر لابتزاز السياسي لودرباك، منذ عشرة أشهر مضت؟ مثل هذا السؤال تعتمد إجابته بالكامل على أنا. ما مقدار ما تعرفه أنا عن تورطها في هذا الأمر المتشعب، وما مقدار ما هي مستعدة للكشف عنه أمام ليديا ويلز. ومن المحتمل أن أنا لم تعلم أن هذه الفساتين كانت مملوكة لليديا. في هذه الحالة لن تعلم السيدة ويلز بما حدث للفساتين، فأنا لا تزال ترتدي الفستان الأسود الخاص بـ زوجة چاسكوين الراحلة، وقد أقسمت أن تظلّ في حداد لفترة من الوقت. خطر لمودي أنه لو حدث وفتحت أنا خزانة الملابس في غرفتها لتعرّفت الأرملة على الفساتين... وبما أن الفساتين في الوقت الحالي مبطنّة بأثقال من الرصاص وضعها الصائغ كي يـ بغرض الخداع. فربما لن تدرك السيدة

ويلز من النظرة الأولى أو من اللمسة الأولى، أن الثروة تمَّ استبدالها بما لا قيمة له. وقد انطلت هذه الحيلة على كلينش بالفعل. وتساءل مودي إن كانت الأرملة قد سَدَّت دَيْنَ آنا وقت العصر بضمن تلك الثروة المزيفة.

إن كانت آنا تعلم أن الفساتين الخمسة تخصُّ ليديا ويلز، فهي تعلم بالتأكيد، ومنذ البداية، بالثروة المخفية فيها، وتعلم بالتالي بابتزاز لودرباك، وإكراهه على التنازل عن جودسبيد، منذ عشرة شهور مضت. وفجأة، وعلى ضوء هذا، بدت الظروف التي قُتِل فيها طفل آنا منطقية وفي محلها في هذا اللغز الذي بين أيديهم، حيث إن علاقة آنا بفرانسيس كارفر، تمامًا كعلاقتها بليديا ويلز، أمرٌ لا يعرف عنه أحد الحاضرين شيئًا.

شاردًا، تحسَّس مودي حافة كأسه بأطراف أصابعه. لا بُدَّ أن هناك تفسيرًا أفضل لكل هذا من التفسير القائم على افتراض وقوع المصادفات. ماذا قال بالفور، منذ ساعات؟ "إن سلسلة من المصادفات لا يمكن أن تكون مصادفة؟" وهل المصادفة إلا لحظة سكون في سلسلة من الأحداث التي يجب تفسيرها؟

بلهجةٍ بها بعض الاعتذار، قال بالفور: "هذا على الأقل دورنا في هذا الأمر. إنه ليس إجابة يا سيد مودي... لكنه السبب الذي جاء بنا هنا الليلة؛ سبب اجتماعنا".

قال ديك مانرينج: "ربما يكون أكثر مما توقعه".

أجابه بالفور: "دائمًا ما يكون الأمر كذلك... إن كنت تبحث عن الحقيقة".

قلب مودي نظره بين الوجوه. ليس بين الحاضرين من يمكن أن ندعوه بالمذنب، وليس بينهم من يمكن أن ندعوه بالبريء. أجميعهم مشاركون؟ متورطون؟ مشتبكون؟ قطَّب مودي. أحسَّ أنه لا يجد

الكلمة المناسبة لوصف علاقاتهم المتداخلة. استخدم بريشارد لفظ "المؤامرة"... لكن المصطلح ليس مناسباً، لأن تورط كل منهم كان عارضاً تماماً، وعلاقة كل منهم بالأحداث التي وقعت مختلفة بوضوح. لا، إن المتورطين الحقيقيين، والمتأمرين الحقيقيين، هم الرجال والنساء الذين غابوا عن اجتماع اليوم... الذين يحوز كل منهم على سرٍّ، ويحاول كل منهم إخفاء سره.

وفكر مودي في الغائبين.

يسعى فرانسيس كارفر خلف أمرٍ ما، وقد ثبت هذا كثيراً هذه الليلة. وحسب ما قاله لودرباك على الأقل، فإن كارفر دسّاس عتيد، ويهوى الابتزاز؛ إضافة إلى أنه زار كروسبي ويلز يوم وفاته، وربما يكون قد شاهده يموت. مثل هذه السمعة لا يجب أن تغيب عنّا، لكن لا بُدَّ ألاَّ نمُنحها من المصادقية أكثر ممّا تستحق، لا يمكن أن يكون كارفر السبب في كل الأمور التي جرت في نفس الوقت، ولا يمكنه بالتأكيد التخطيط لدسيّة بمثل هذا الحجم، بحيث يورّط اثني عشر رجلاً في نفس الوقت.

وهناك ليديا ويلز، الزوجة المزعومة لكلِّ من ويلز وكارفر، عشيقة أليستار لودرباك في وقت سابق، والخطيبة السرية لرجل غير معروف في الوقت الحالي (كما أسرت لچاسكوين). ومثلها مثل كارفر، أثبتت السيدة ويلز قدرتها على القيام بأشد وأقسى أنواع الابتزاز، وأكبر الكذبات تفصيلاً وإحكاماً. وقد عملت كشريكة لكارفر من قبل، وبالنسبة لأحقيتها في ممتلكات كروسبي ويلز، فسيتم الفصل قانوناً في هذا الأمر في الوقت المناسب... لكن حتى وإن صحّت أحقيتها في الثروة، فإن طريقتها في المطالبة بها، على أفضل تقدير، منافية للأدب، وعلى أسوأ تقدير، منعدمة الرحمة بشكل تام. وأحسّ أنه يشكُّ في ليديا ويلز أكثر ممّا يشكُّ في فرانسيس كارفر... رغم أن إحساسه بلا

مبر؛ فهو لم يقابلها من قبل، ولم تقع عيناه عليها؛ كل ما عرفه عنها قد عرفه من حكاية، وهي حكاية من النوع قليل الترابط كثير التفاصيل.

سرح عقل مودي إلى الثنائي الثاني: أنا ويزريل وإيميري ستينز... اللذين كانا معًا في ليلة الرابع عشر من يناير، قبل أن تسقط أنا في غيبوبة، ويختفي إيميري، بساعات. ما الذي حدث حقًا تلك الليلة، وما الدور الذي لعبوه، سواء بقصد أو بدون قصد، في موضوع كروسبي ويلز؟ ويبدو، من ظاهر الأمور، وكأن ستينز قد حظي بكل الحظ السعيد، بينما لم تحظ أنا بأي قدر منه... ورغم ذلك فقد نجت أنا من الموت، بينما ستينز، على ما نظن، لم ينج. وخطرت لمودي فكرة أدهشته، إن كل رجل من الموجودين في هذا الاجتماع كان بشكل ما يغار جدًا من ستينز، ويغار جدًا على أنا. فستينز كمستكشف تمتّع بمفرده بحسن حظ لا مثيل له، وأنا، بصفتها عاهرة المخيم، كانت من الممتلكات العامة، التي يتشاركون كلهم فيها.

تبقى لمودي السياسي والسجان. وفكر فيهما سويًا، أليستار لودرباك، مثله مثل خصمه جورج شيرد، رجل يملك سلطة التفويض، رجل يتمتع بالحماية من تحمّل المسؤولية الكاملة لعواقب أفعاله وذلك بسبب أن نزواته في الغالب يقوم بها وينجزها رجال آخرون. وهناك أوجه أخرى للتشابه بينهما. لودرباك سيشغل في القريب مقعد البرلمان عن الأراضي الغربية؛ وشيرد سيبنى في القريب سجنه الواقع على مرتفع سي فيو. لودرباك له ماضٍ مع ليديا ويلز، عشيقته السابقة في نادي القمار، وشيرد له ماضٍ مع فرانسيس كارفر، سجينه السابق في سجن سيدني.

رتّب مودي في عقله هذه الشخصيات إلى ثلاث ثنائيات: الأرملة والمهزّب؛ والسياسي والسّجان؛ والمستكشف والعاهرة. وأسعده هذا

الترتيب... فعقله من النوع المنظم، وإيجاد الأنماط بجميع أنواعها يثير فيه الإحساس بالاطمئنان. وبطريقة تكاد تكون غريبة تساءل مودي عن الدور الذي لعبه في هذه المجموعة المعقدة التي تنتظر حلًا. تساءل إن كان هو نفسه لديه نقيض، أياكون كروسبي ويلز؟ أياكون شريكه في ثنائيته رجل ميت؟ وفجأة، استدعى مودي شيخ السفينة جودسبيد، وارتجف بشكل لا إرادي.

قال هارالد نيلسن: "ماذا يجول بخاطرك". وأدرك مودي أن رجال الغرفة ينتظرون أن يتحدث منذ بعض الوقت. كانوا ينظرون له بوجوه يرتسم عليها الأمل بدرجات متفاوتة... وباختلاف طبيعة كل منهم كانت وجوههم إمّا تفصح مشاعرهم رغماً عنهم، وإمّا تنجح في تكبيلها، وإمّا تُظهر مشاعرهم بوضوح. ودار بخاطر مودي أن الدور الذي سيلعبه هو دور الكاشف، دور المفتش.

أضاف هارالد نيلسن مخاطباً مَنْ في الغرفة: "لا تستعجلوه،" رغم أنه هو الذي حثّ مودي على كسر صمته. "دعوه يتحدث براحته". لكن مودي وجد نفسه عاجز عن الحديث، قلب بصره في الوجوه، وهو لا يدري ماذا يجب أن يقول.

بعد برهة، مال بريتشاد ووضع إصبعًا طويلة على ذراع مقعد مودي. وقال: "اسمع يا سيد مودي، لقد قلت أنك وجدت شيئًا في حمولة جودسبيد جعلك تشك أن إيراد السفينة ليس إيرادًا شريفًا. ما الذي وجدته؟".

قال بالفور: "هل عثرت على صندوق الشحن؟".

قال مانرينج: "الأفيون، أهو شيء يخص الأفيون؟".

قال نيلسن مرة أخرى: "لا تستعجلوه، دعوه يجيب براحته".

دخل والتر مودي غرفة التدخين تلك الليلة بدون أي نيّة للبوح بما حدث أثناء رحلته من ديونندن. فهو بالكاد قد تمكّن من الاعتراف بما شاهده بينه وبين نفسه، فما بالك بمحاولة شرحه وتفسيره لشخص آخر. ولكن في سياق القصة التي قُصّت عليه الآن، كان يرى أن ما مرّ به يقدّم تفسيراً من نوع ما.

وأخيراً قال: "أيها السادة، لقد تشرّفتُ بثقتكم في شخصي هذا المساء، وأشكركم على القصة التي قصصتموها عليّ. ولديّ قصة أودُّ أن أقصّها عليكم. قصة تحتوي على بعض الجوانب التي قد تكون مهمة بالنسبة لكم، رغم أنني للأسف لن أفعل أكثر من استبدال أسئلتكم الحالية بأسئلة أخرى".

قال بالفور: "نعم، نعم، تفضّل بالحديث يا سيد مودي، حاول أن تحكي".

أطاعه مودي ووقف، وأدار ظهره للمدفأة؛ وفجأة أحسّ بالحماسة، وتمنى لو ظلّ جالساً. شبك يديه وراء ظهره وتأرجح للأمام عدة مرات على كعبيه قبل أن يتحدث.

ثم قال أخيراً: "في البداية أودُّ أن أخبركم، أنني أظن أن لديّ أخباراً عن إيميري ستينز".

قال مانرينج: "أخبار جيدة أم سيئة؟ هل هو على قيد الحياة؟ هل رأيته؟".

بدا أوبرت چاسكوين وكأنه يزداد ضيقاً كل مرة يفتح فيها مانرينج فمه: لم يغفر للثريّ وقاحته معه وقت العصر، ولا يبدو أنه سيغفر له. چاسكوين لا يمكنه تحمّل الإهانة، ويمكنه أن يحمل ضغينة لمدة طويلة جدّاً. وعند هذه المقاطعة من مانرينج أصدر چاسكوين صريراً من بين أسنانه استهجاناً لها.

ردّ مودي: "لست متأكّدًا. يجب أن أنبّهك يا سيد مانرينج، وأنبّهكم جميعًا أن قصتي تتضمّن بعض التفاصيل التي (كيف أقولها؟) لا تقودني إلى تفسير منطقي فوري. أتمنى أن تسامحوني لأنني لم أبح بتفاصيل رحلتي في وقت مبكر من أمسيتنا؛ وأعترف لكم بأنني لم أعرف كيف أفسرها لنفسي".

ساد الغرفة صمت تام.

قال مودي: "تذكرون أن رحلتي من ديوندن إلى الساحل كانت رحلة شاقّة جدًّا؛ وتذكّرون أيضًا أن التذكرة التي اشتريتها على عجلة لم توفر لي مقصورةً أو سريرًا من أي نوع، فهي تذكرة في أرخص مكان على السفينة. كان المكان حالك الظلمة، وسيئ الرائحة، وغير مناسب لسكنى البشر. وحين هبّت العاصفة، يا سادة، كنتُ على سطح السفينة، تمامًا كما كنت خلال معظم الرحلة.

في البداية بدت العاصفة كطقس سيئ أكثر من المعتاد، مجرد زخة من المطر مع هبة بسيطة من الرياح. ومع ازدياد قوتها، زاد قلقي. لقد حذّروني أن البحر قبالة الساحل الغربي بحر هائج، وأنه في كل رحلة إلى حقول الذهب يلقي الموتُ بترده في لعبته أمام شيطانة الكوابيس. وبدأت أحسّ بالخوف.

كنتُ أحمل حقيبتَي، وأردت أن أعيدها إلى باطن السفينة، بحيث إن جرفتني الأمواج من فوق سطح السفينة تظل أوراقي سليمة، وأحظى بفرصة جنازة جيدة، باسمي الحقيقي. فقد سمّيت نفسي اسمًا مزيّفًا أمام بحّارة السفينة، وأريتهم أوراق هوية تخص شخصًا آخر. كما أخبرتكم. وفكرة أن يطلقوا عليّ اسمًا غير اسمي في جنازتي...".

قال كلينش: "فكرة بشعة".

انحنى مودي، "أنت تفهمني. حسنًا، كافحت على سطح السفينة، متشبّثًا بحقيبتَي ومحتضنًا إياها، وفتحت المدخل الأمامي بصعوبة

بالغة؛ فالرياح عاصفة والسفينة تؤرجحها الأمواج في كل اتجاه. وتمكّنت أخيراً من فتحه، وقذفت بحقيبتني داخل الفتحة... لكنني لم أصوّب جيداً. فارتطم إبزيم الحقيبة بالأرض؛ وانفتحت الحقيبة وخرجت محتوياتها. وتبعثرت مقتنياتني في أنحاء مخزن بضائع السفينة، وأصبح لزاماً عليّ أن أتأرجح نزولاً على السلم لأجمعها.

استغرق نزولي السلم بعض الوقت. وكان المخزن حالِك الظلمة، لكن هناك شعاع من الضوء ينجح في الدخول من الفتحة كل حين، أثناء تأرجح السفينة وسط العاصفة، ويلفُّ المخزن كله كنظرة شاردة. كانت رائحة المكان شيطانية. والصناديق تئنُّ في أربطتها وسلاسلها في ضوضاء جهنمية. وهناك العديد من صناديق الإوز، والكثير من الماعز. وكانت الحيوانات المسكينة تصرخ وتثغو وتشهق وتصيح معبرةً عن رعبها بكل الأصوات التي يمكنها إصدارها. وشرعت في جمع أشياءي بقدر ما استطعت؛ رغبةً مني في قضاء أقصر وقت ممكن في هذا المكان. لكن وسط كل هذه الضوضاء انتبهت لصوت آخر.

فمن صندوق الشحن الأقرب لي صدر صوتٌ دقٌّ... دقٌّ غاضب، دقٌّ مرتفع الصوت لدرجة تسمح بسماعه رغم كل الجلبة الأخرى".

بدا القلق الشديد على الفور.

أكمل مودي: "بدا الصوت كأن رجلاً محبوباً بالداخل، ويخبط بكل أطرافه، فعلا صوتي قائلاً 'مرحباً، وترنّحتُ مُتّجهاً نحوه -والسفينة تتأرجح بشكل رهيب- ومن داخل الصندوق سمعت اسماً واحداً يتردّد مراراً وتكراراً: ماجدالينا، ماجدالينا، ماجدالينا. تأكدتُ وقتها أن هناك رجلاً في الداخل، وليس فأراً أو حيواناً من أي نوع. وتحركتُ لأنزع المسامير من غطاء الصندوق بأسرع ما استطعت، وتمكّنتُ من رفع الغطاء وفتح الصندوق". وأضاف مودي بتأكيدٍ هادئ: "أظن أن

الساعة كانت في حدود الثانية بعد الظهر، على أي حال، كان ذلك قبل أن نرسو في هوكتيكا بأربع أو خمس ساعات".

صاح مانرينج: "ماجدالينا، إنها أنا".

وبدا چاسكوين غاضبًا للغاية.

نظر مودي إلى مانرينج. وقال: "اعدُرني، لم أفهم قصدك. هل ماجدالينا هو اسم الأنسة ويذريل الأوسط؟".

أوضح مانرينج: "إنه اسم نطلقه على العاهرات".

هزَّ مودي رأسه في إشارة لأنه لم يفهم.

"كما نطلق على أيِّ كلب اسم فيدو، ونسمِّي أي بقرة باسم بِسْ".

قال مودي: "آه، نعم، فهمت". وفكَّر أنه كان من الأفضل أن ينتقي الرجل مثاليَّين ألطف ممَّا ذكر، خاصة أنه هو نفسه يعمل في مجال الدعارة.

قال بينجامين لوينثال ببطء: "ربما، ربما يمكننا أن نقول -ببعض الشك طبعاً- إن الرجل الذي كان بداخل هذا الصندوق هو إيميري ستينز".

وافقه مانرينج، "كان مُعجَبًا بآنا، هذا أمر مؤكَّد".

اعتدل بالفور في مجلسه. وقال: "اختفى ستينز في نفس اليوم الذي أبحر فيه كارفر! وفي نفس اليوم الذي اختفى فيه صندوق الشحن الخاص بي! إذن هذا ما حدث! ستينز يدخل في الصندوق... كارفر يسرق الصندوق... ويبحر!".

قال بريتشارد: "ولكن لماذا؟".

"ألم تسنح لك الفرصة لتلقي نظرة على بوليصة الشحن؟".

قال مودي بإيجاز: "لا، لم يحدث". لم يكن قد أكمل قصّته بعد، ولم يكن يحب أن يقاطعه أحد في منتصف الحديث، لكن جمهور الحجرة المذهول قد تحوّل، للمرة المائة هذه الأمسية، إلى قطيع من الممتتمين، يجهر فيه كل رجل بشكوكه، ويعبّر عن دهشته.

قال مانرينج: "إيميري ستينز... على متن سفينة كارفر!".

"السؤال هو، هل دخل بنفسه داخل صندوق الشحن... هذا احتمال؛ وهناك احتمال آخر... أنه دخل السفينة بالخطأ؛ هل احتجزه كارفر، وحبسه في صندوق شحن، عن عمد؟... هذا احتمال ثالث".

هزّ نيلسن رأسه. "لقد قال إن الصندوق كان مُغلّقًا بالمسامير! ليس بالإمكان أن تقوم بهذا من الداخل!".

"لكنه سيصبح تابوتًا. كيف سيتنفس الرجل بداخله؟".

"هناك وصلات في خشب الصنوبر... فجوات...".

"ليست كافية للتنفس بكل تأكيد!".

"توم، هل يوجد داخل صندوق الشحن الخاص بك مكان يتّسع لرجل ناضج؟".

"ما حجم صندوق الشحن على أية حال؟".

"لا تنس أن كارفر وستينز شركاء في العمل".

"تقريبًا في حجم عربة الكارو، عربة نقل البضائع. لا بُدَّ أنك رأيتهم، مرصّون بطول رصيف الشحن. يمكن لرجل أن يرقد بداخله بمنتهى الراحة".

"شركاء في منجم ناضب!".

"لكنه أمر غريب أن يظل في صندوق الشحن خلال رحلة العودة من ديوندن. أليس هذا غريبًا؟ يبدو الأمر كأن كارفر لا يعلم بوجوده داخل صندوق الشحن".

"يجب أن ندع السيد مودي يكمل قصته".

"أهذه طريقة تعامل بها شريكك في العمل... تحبسه وتتركه ليموت!".

الوحيدان اللذان لم ينضمّا لقطيع الشكوك هما الصينيان، كي لونج وسووك يونج شينج، اللذان كانا يجلسان منتصبَي القامة وعيناهما مثبتتان بمنتهى الجدية على مودي، كما كان مجلسهما خلال الأمسية كلها. التقت عيون مودي وأه سووك... ورغم أن تعبيرات وجه أه سووك لم تتغير، إلا أن مودي أحسَّ في عينيه بالتعاطف، كأنها يخبره الصيني أنه يتفهَّم تمامًا إحساسه بنفاد الصبر.

حال عدم وجود لغة مشتركة بين أه سووك وبين أن يحكي للجمع القصة الكاملة لما حدث بينه وبين فرانسيس كارفر هذا المساء. وكنتيجة لذلك؛ ظلَّ الجمع المتحدث بالإنجليزية جاهلاً تمامًا بتفاصيل تلك العلاقة السابقة، ما عدا حقيقة أن كارفر قد ارتكب جريمة قتل، وأن أه سووك عازم على الانتقام منه. حين تلاقت نظرة أه سووك الثاقبة، بنظرة مودي الشاحبة. تمعَّن مودي فيه، وتساءل عن الماضي الذي جمع بين الرجلين. لقد قال أه سووك فقط إنه كان طفلًا حين قابل فرانسيس كارفر لأول مرة، ولم يُوح بأي شيء آخر. قدَّر مودي عمر أه سووك بحوالي خمسة وأربعين عامًا؛ ممَّا يعني أنه وُلِد في بداية العشرينيات من القرن؛ إذن، ربما يكون قد عرف كارفر خلال الحروب الصينية.

قال كويل ديفلن: "سيد مودي، دعنا نوجّه هذا السؤال إليك. هل تعتقد أن الرجل الذي وجدته في صندوق الشحن يمكن أن يكون إيميري ستينز؟".

ساد الصمت الغرفة على الفور.

قال مودي بعناد: "لم أقابل السيد ستينز من قبل، ومن ثمّ فلن أتعرّف عليه، لكنني أظن أنه هو".

كان بريتشارد يجري بعض الحسابات في عقله. وقال: "إذا ظلّ ستينز داخل صندوق الشحن منذ أبحر كارفر إلى ديوندن، فهذا يعني أنه ظلّ لثلاثة عشر يومًا بلا ماء ولا هواء".

تمتم أحدهم: "رقم غير محظوظ". صدمت مودي فكرة أن عدد الرجال المجتمعين حاليًا في غرفة التدخين هو ثلاثة عشر... وأنه هو نفسه كان الرجل الثالث عشر.

قال چاسكوين: "ثلاثة عشر يومًا... هل هذا ممكن؟".

مسّد بريتشارد على ذقنه. "بدون ماء؟ بالكاد. لكن بدون هواء... مستحيل بالطبع".

أشار بالفور، "لكن ربما لم يكن هناك منذ غادر هوكتيكا، ربما تمّ وضعه داخل الصندوق في ديوندن، سواء بإرادته، أو رغماً عنه".

قال مودي: "لم أكمل قصتي بعد".

قال مانرينج: "نعم، هذا صحيح! إنه لم يكمل بعد. توقّفوا عن الحديث".

توقفت الافتراضات. وتأرجح مودي ثانية على كعبيه، وبعد لحظة، استأنف حديثه.

"وهمجرد أن تأكدت أن هناك رجلاً داخل الصندوق، ساعدته على الخروج... بصعوبة، فقط كان ضعيفاً جداً، ولا يتنفس بشكل جيد. بدا كأنه أضع كل طاقته في دقّ الصندوق. فككت ياقته -كان يرتدي ربطة عنق- وهمجرد أن فككت ياقته، حتى بدأ صدره ينزف".

قال نيلسن: "هل جرحته؟".

لكن هذه المرة لم يُجبه مودي، بل أغلق عينيه وأكمل، كأنه في غيبوبة: "كان الدم يتدفق... يفور، كأنه يخرج من مضخة؛ أمسك الرجل بصدرة، محاولاً أن يوقف النزيف، بينما لا يزال ينشج ذلك الاسم، ماجدالينا، ماجدالينا... شاهدته وأنا مرعوب، أيها السادة. لم أستطع النطق. مقدار...".

قال نيلسن بإصرار: "هل خدش نفسه في صندوق الشحن؟".

قال مودي وهو يفتح عينيه: "كان الدم بحقّ يضخّ من جسده. بكل تأكيد لم يكن هذا خدشاً يا سيدي. أنا لم أخدشه، وإن حدث فساكون خدشته بظفري، وأنا أقص أظافري دائماً، كما يمكنكم الملاحظة. وأكرر، بدأ الدم يتدفق بعد أن خرج من الصندوق، وبعد أن جلس. ظننت أن هناك دبوساً في ربطة عنقه... لكنني لم أجد دبوساً. كانت ربطة عنقه مربوطة على شكل عقدة".

كان بريتشارد مقطّباً. وقال: "إذن لا بُدّ أنه كان مصاباً بالفعل قبل أن تفتح الصندوق. ربما جرح نفسه... قبل أن تصل إليه".

قال مودي دون تأكيد: "ربما. للأسف، فإن استيعابي لما حدث أقل...".

"ماذا؟".

استجمع مودي نفسه وقال: "حسناً، سأقولها بهذه الطريقة. لم يبدُ الجرح... طبيعياً".

قال مانرينج: "لم يبدو طبيعياً؟".

بدا الحرج على مودي، فهو يؤمن بإمكانات العقل التحليلية: يؤمن بالمنطق بنفس اليقين الهادئ الذي به يثق في قدرته على فهمه. والنسبة له، يمكن للحقيقة أن تكون كاملة، والحقيقة الكاملة جميلة جداً وواضحة تماماً. لقد سبق وذكرنا أن مودي لم يكن متديناً... وبالتالي لا يدرك حقيقة الأسرار، لا يدرك الحقيقة فيما لا يمكن تفسيره، ولا يمكن شرحه، لا يدرك الحقيقة في تلك الغيوم التي تحجب قدرة المرء على رؤية الأمور بشكل علمي، كما تحجب السحب سماء هوكتيكا.

وقال: "أعرف أن هذا يبدو عجيباً جداً، لكنني لست متأكداً حتى من أن الرجل الذي وجدته داخل صندوق الشحن كان حياً؛ فالضوء في المخزن، والظلال..."، وخفت صوته، ثم قال بصوت أكثر خشونة: "سأقول لكم إنني لست متأكداً أن ما خرج من الصندوق كان رجلاً".

قال بالفور: "ماذا يكون؟ ماذا يكون إن لم يكن رجلاً؟".

ردّ مودي: "طيف. رؤية ما، شبح. أعلم أن هذا يبدو أحرق للغاية. ربما تستطيع ليديا ويلز أن تصفه أفضل مني".

وساد الصمت لبرهة.

قال فروست: "ماذا حدث بعدها يا سيد مودي؟".

دار مودي موجّها حديثه لموظف البنك. "للأسف، فإن تصرفي بعد ذلك كان تصرفاً يتسم بالجبن. لقد التفتُّ، وأمسكت حقيبتني، وتسَلَّقْتُ السلم. وتركته هناك... لا يزال ينزف".

قال بالفور مرة أخرى: "أظنك لم تَرِ بوليصة الشحن... على صندوق الشحن؟"، لكن مودي لم يرد عليه.

قال لوينثال: "هل كان هذا آخر لقاء لك بالرجل؟".

قال مودي بمشقة: "نعم، لم أنزل إلى المخزن ثانية... وحين وصلنا إلى هوكتيكا، تمَّ نقل الركاب للشاطئ بمركب خفيف. إن كان الرجل الذي حكيت عنه حقيقياً - إن كان هو إيميري ستينز- فهو لا يزال حتى هذه اللحظة على متن جودسبيد... هو وفرانسيس كارفر بالطبع. كلاهما بعيد عن الشاطئ، بعد مصب النهر بقليل، ينتظران المذد. ربما أكون قد تخيلتُ كل هذا. تخيلتُ الرجل، والدم، وكل شيء. لم أعانِ من الهلوس من قبل، لكن... حسناً؛ لا يمكنني أن أقطع برأيي في الموضوع. لكن وقتها، كنت متأكداً أني رأيت شبحاً".

قال ديفلن: "ربما يكون شبحاً بالفعل".

قال مودي، خافضاً رأسه: "ربما. سأقبل بهذا التفسير كحقيقة ما حدث، إذا وجدت دليلاً مُقنعاً لدرجة كافية. لكن سامحوني إن بدا تفسير ما حدث لعقلي خيالياً".

قال لوينثال الذي بدا عليه التعب الشديد: "شبح أم لا، يبدو أننا نقترُب أخيراً من حلٍّ من نوع ما. صباح غد، حين يذهب السيد مودي إلى رصيف الشحن لاستلام صندوق أمتعته...".

وقوطع لوينثال. فجأة انفتح باب غرفة التدخين على مصراعيه لدرجة أنه اصطدم بالحائط خلفه بعنف، فزِع جميع الموجودين. والتفتوا جميعاً في نفس اللحظة... ورأوا صبيَّ مانرينج في مدخل الباب، منقطع الأنفاس، ويده ضاغطة على نهاية قفصه الصدري.

شهق الصبي: "الأضواء".

استند مانرينج على يديه ليرفع نفسه قائلاً: "ما الأمر؟ أي أضواء؟ ماذا حدث؟".

قال الفتى وهو لا يزال ضاغطاً بيده على نهاية قفصه الصدري... ويلتقط أنفاسه في شهقات: "الأضواء على اللسان".

"انطق!"

"لا أستطيع...". وبدأ الفتى يكحُّ.

صاح مانرينج: "لماذا كنت تجري بحق السماء؟ من المفترض أن تكون واقفًا في الخارج! واقفًا، يا ملعون! أنا لا أدفع لك لكي تترىض!".

استطاع الفتى أن ينطق: "إنها جودسبيد".

وفجأة هدأت الغرفة تمامًا.

صرخ مانرينج وقد جحظت عيناه، "جودسبيد؟ ماذا عنها؟ انطق يا أحمق!".

قال الفتى: "انطفأت الأضواء الملاحية على اللسان... بسبب الرياح، والمَدَّ...".

"ماذا حدث؟".

قال الفتى: "اصطدمت جودسبيد بالشاطئ. غرقت على الحاجز... انقلبت، منذ أقل من عشر دقائق". وشهق بمعاناة، وأكمل: "انكسر الشارع الرئيسي... ثم انقلبت مرة أخرى... ودخلتها مياه الأمواج عبر فتحاتها وسحبتهما لأسفل. لقد غرقت يا سيدي، غرقت، لقد تحطّمت".

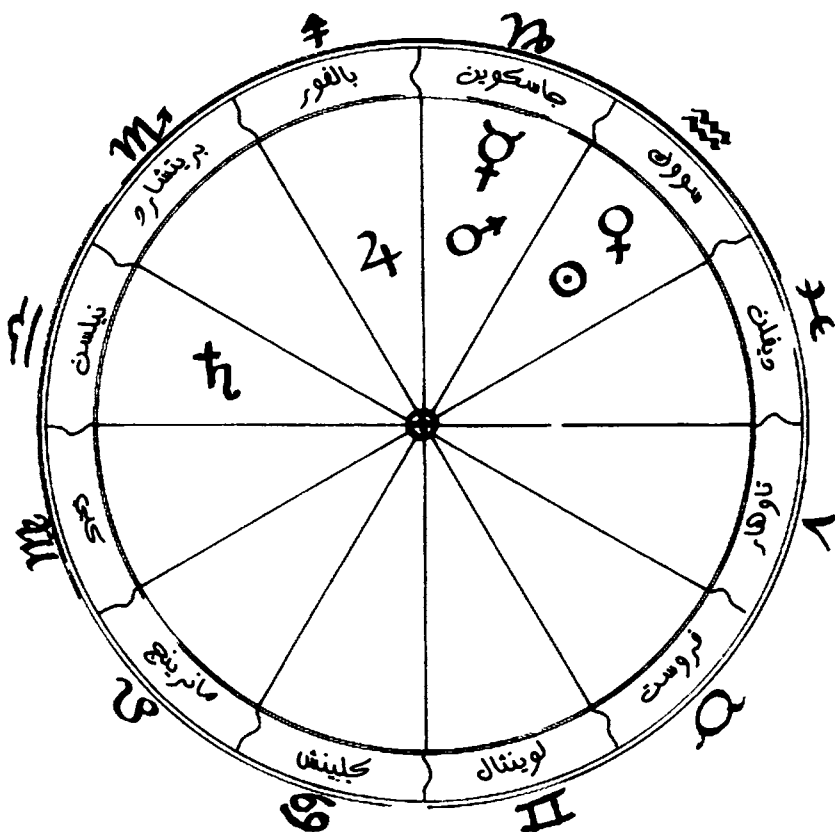
مكتبة
t.me/soramnqraa

الجزء الثاني

تباشير

18 فبراير 1866

$42^{\circ}43'0'' \text{ د} \int 170^{\circ}58'0'' \text{ ع}$



درب الشمس احتجاب القمر

حيث يتغيّر ولاؤنا، كما تتّضح ملامحنا.

مرت ثلاثة أسابيع منذ وطأت قدم والتر مودي الرمال لأول مرة، ومنذ انعقد الاجتماع السري في الكراون، ومنذ أضيفت الباخرة جودسبيد إلى حطام الحاجز القاري. صار الاثنا عشر رجلاً حين يتبادلون التحية الآن، يتبادلونها بتفاهمٍ خاص... كما يحدث بين أبناء الطوائف، حين يتقابلون نهاراً، ويتبادلون نظرات بليغة ورزينة. أوماً ديك مانرينج لكويل ديفلن في طريق كانيير؛ رفع هارالد نيلسن قُبْعته مرتين لتوماس بالفور؛ تبادل تشارلي فروست وجوزيف بريتشارد تحية الصباح أثناء وقفهما في طابور الإفطار عند حانة الستة بنسات. فالأسرار معروفة بأثرها في تقوية روابط الصداقات الجديدة، ومثلها في

ذلك مثل الانطباع المشترك بأن المسؤول عن الخطأ شخص خارج عنّا: وقد لاحظنا أن اتحاد رجال الكراون يعود الفضل فيه ليس إلى مبادئهم المشتركة وإنما إلى هواجسهم المشتركة... والتي هي، في معظمها، موجّهة للخارج. وبفضل التحليلات والدراسات العديدة التي قاموا بها، لأليستار لودرباك، وچورچ شيرد، وليديا ويلز، وفرانسيس كارفر، وأنا ويزريل، وإيميري ستينز، أصبح رجال الكراون، بمرور الوقت، مُتخَمين بالأفكار والاقتراحات، بالرغم من أنه لم يتأكّد شيء، ولم يُقدّم أحدٌ للمحاكمة، ولم تظهر معلومات جديدة. وأصبحت قناعاتهم أكثر خيالية، وفرضياتهم أقلّ عملية، واجتماعهم أقلّ صلة بالأمر. وبمرور الوقت، تتحول الشكوك غير المؤكّدة وتصير عنيدة، ومخادعة، وتتغدّى على تقلّبات المزاج، وتكتسب كل سِمات الخرافات التقليدية، ورجال فندق كراون، الذين، رغم كل شيء، حيكت روابط ولائهم معًا في الخيط الزاهي للزمن والحركة، مثلهم مثل غيرهم، ليسوا محصّنين ضد المؤثرات.

غيّرت الكواكب مواضعها في لوحة النجوم الدوّارة، وتقدّمت الشمس بمقدار خطوة من اثنتي عشرة خطوة على دربها الواقع على العجلة المائلة. ومع هذه الخطوة يأتي للعالم نظام جديد، ويأتي للأمور منظور جديد. فحين تكون الشمس في برج الجدي نكون متحفّظين، ومتطلّبين، ومرتفعين في مساحاتنا. وحين تطلعنا إلى الإنسان، سعينا لإصلاحه: فبكينا هزائمه، ودرّسنا مواهبه. لم نستطع تصوّر ما يمكن أن يحدث إن تمّ إغواؤه ليخون طبيعته، أو إن خان طبيعته دون إغواءات، وهو ما سيكون أفضل. لكن الحقيقة لا توجد إلا في علاقتها بأمر ما، والعلاقات السماوية عبارة عن عجالات في حركة دائمة، ومحاور مائلة، وأقراص تدور، نظام مُرتّب ومتناغم يتغير في كل دقيقة، دون تكرار، ولا سكون. فنحن لم نُعد مستورين داخل قوقعة ذكريات الماضي. نحن الآن نتطلع للمستقبل، عبر أوهام قناعاتنا: فنرى العالم كما نودّ أن نتقنه، ونخيّل استغراقنا فيه.

برج الحمل في المنزل الثالث

وفيه يسعى تي رو تاوهار باحثًا عن عمل وتُقَابَل اقتراحات لوينثال بالرفض.

في مكتب الجريدة الواقع في شارع ويلد، وجد تي رو تاوهار الباب مفتوحًا ومسنودًا بحامل القبعات، وصوت صفير يصدر من الداخل. فدخل بدون أن يطرق الباب، وعبر المكتب حتى وصل إلى غرفة العمل الواقعة في الخلف، حيث جلس بنچامين لوينثال، محرّر الجريدة، إلى منضدة العمل، يجهّز حروف الطباعة لطبعة يوم الاثنين من تايمز الساحل الغربي.

أمسك لوينثال بيده اليسرى مصفّ حروف الطباعة الحديدي، يبلغ حجم الأداة تقريبًا حجم مسطرة التلاميذ؛ ويده اليمنى يختار مكعبات حروف الطباعة الصغيرة ويرصّها بمهارة على الحافة المستوية للمصفّ،

بحيث تكون تجاوبها لأعلى، وهي مَهْمَةٌ تتطلَّب منه أن يُتَقَنَ القراءة من اليمين إلى اليسار وأيضًا من الخلف إلى الأمام، فالنصوص على مصفِّ الحروف تكون معكوسة ومقلوبة. وما أن ينتهي من إعداد السطر، حتى يرصّه في قالب الطباعة، وهي صينية حديدية مسطّحة أكبر قليلًا من حجم صفحة الجريدة، وتحت كل سطر يحشر أشرطة رفيعة من الرصاص ليصنع المسافات بين السطور، وأحيانًا ما يضع مسطرة نحاسية مرتفعة ليرسم خطًّا تحت السطر. وحين ينتهي من رصّ آخر سطر في القالب، يرگب سنادات خشبية حول حافة القالب، ويخبط عليها بمطرقة ذات رأس خشبي ليتأكد من إحكام وضع كل قطعة؛ ثم يساوي سطح القالب بقطعة خشب ليتأكد من أن كل مكعبات الحروف على ارتفاع واحد. وأخيرًا، يغمس فرشته اليدوية الدوارة في صينية من الحبر، ويغطي القالب كله بطبقة رقيقة من الحبر الأسود اللامع... وبسرعة، حتى لا يجفّ الحبر، ثم يفرد فوقها صفحة رقيقة من ورق الجرائد. دائمًا ما يطبع لوينثال نسخته الأولى يدويًا، ليفحصها من الأخطاء قبل أن يضع قالب الطباعة في الطباعة... رغم أنه نادرًا ما يخطئ، حيث إنه بطبيعته، حريص على الكمال.

رَحَّب بتاوهار بمنتهى الدفء. وقال: "لم أرك منذ ليلة غرق جودسبيد يا سيد تاوهار، أيعقل هذا؟".

ردّ تاوهار بلا مبالاة: "نعم. كنت في الشمال". وألقى بنظره على منضدة عمل لوينثال: حيث صناديق مكعبات الحروف المطبعية، وزجاجات من الحبر ومحلّول التنظيف، وفرش، وملاقط، ومطارق خشبية، والعديد من مكعبات النحاس والرصاص مختلفة الأشكال، ووعاء من التفاح المبقع، وسكين صغير.

"هل وصلت حالًا؟".

"هذا الصباح".

"حسنًا، أظن أن بإمكانني تخمين سبب عودتك".

قطَّب تاوهار. "كيف هذا؟".

"عدت من أجل جلسة تحضير الأرواح التي تقيمها الأرملة! أليس هذا صحيحًا؟".

ظلَّ تاوهار مقطَّبًا، ولم ينطق لبرهة. ثم قال بنبرة متشكِّكة: "ما هي جلسة تحضير الأرواح؟".

ضحك لوينثال. وترك مصفَّ الحروف من يده، وعبر الغرفة، والتقط نسخة يوم السبت من الجريدة، المطوية بجانب حوض غسيل الأيدي وقال: "ها هي"، وفتحها على الصفحة الثانية وخبط بإصبعه المبقَّعة بالحبر على إعلان، وناول الجريدة لتاوهار. "يجدر بك الحضور. ليس لجلسة تحضير الأرواح نفسها - فهي تتطلب تذكرة منفصلة - ولكن للحفلة التي ستقام قبلها".

امتدَّ الإعلان على مساحة عمودين، مطبوعًا بنبط قياس ثمانية عشر الذي يخصُّه لوينثال للعناوين الرئيسية والتاريخية فقط، وأحاط بالإعلان إطار سميك باللون الأسود، وجاء فيه: الواي فير فورتن، الذي تملكه وتديره السيدة ليديا ويلز، القادمة من ديوندن، أرملة كروسبي، سيفتح أبوابه مساء يوم الاثنين للمرة الأولى لاستقبال الجمهور. وبهذه المناسبة فإن السيدة ويلز، الوسيطة الروحانية الشهيرة، ستتكرم بإقامة جلسة هوكتيكا الافتتاحية لتحضير الأرواح. سيقصر حضور جلسة تحضير الأرواح على نخبة مختارة، ويبيع العدد المحدود من التذاكر طبقًا لأسبقية الحضور؛ يسبق الجلسة أمسية "المشروبات والتكهنات"، الأمسية مفتوحة للراشدين من العامة، ونوصيهم بالحضور بعقل متفتح.

ليس من السهل الالتزام بالتوصية الأخيرة؛ لأنه، وكما هو مذكور في الإعلان، فالغرض من جلسة تحضير الأرواح، أنه بواسطة حساسية

السيدة ويلز الفائقة، سيتم تحديد اهتزازات روحية معينة واستجوابها، وسيفتح ذلك قناة اتصال ما بين هذا العالم والعالم الآخر، وينشئ بعض الألفة مع الأموات. ومن بين جميع الأموات، اختارت السيدة ويلز، بمنتهى الدقة والثقة، أن تستدعي روح السيد إميري ستينز، الذي لم يعد بعد إلى هوكتيكا، والذي لم يتم العثور على جثته، رغم مرور خمسة أسابيع على غيابه.

لم توضّح الأرملة ما تنوي أن تسأل روح السيد ستينز عنه، لكن ظنَّ الجميع أنها بكل تأكيد ستسأله عن ملابس موته. أي وسيط روحاني جدير بالاحترام سيخبرك بأن الروح المقتولة أكثر استعداداً للحديث بكثير من الروح التي غادرت عالمنا في سلام، ولسنا بحاجة لتأكيد جدارة ليديا ويلز كوسيلة روحانية.

قال تاوهار مرة أخرى: "ما هي جلسة تحضير الأرواح؟".

قال لوينثال بمرح: "إنها حماقة متناهية. لقد أعلنت ليديا ويلز لهوكتيكا بكاملها أنها ستحاول الاتصال بروح إميري ستينز، وأكثر من نصف هوكتيكا صدّقوها. جلسة تحضير الأرواح ما هي إلا استعراض. ستدخل في غيبوبة... كما لو أصابتها نوبة، أو تشنُّجات... ثم ستنطق بضع كلمات بصوت رجل، أو ستجعل الستائر تتحرك بطريقة غير متوقّعة، أو ستدفع قرشاً لصبي وتجعله يتسلّق المدفأة ويصيح في فتحها. إنها مسرحية مُبتدّلة. وبالطبع سيعود الرجال لبيوتهم وهم مؤمنون بأنهم تواصلوا مع شبح. أين قلت إنك ذهبت؟".

قال تاوهار، وهو لا يزال مقطّباً للجريدة: "ماوهيرا، جاري ماوث".

"لا أظن أنهم يعلمون شيئاً عن السيد ستينز هناك".

"لا".

"ولا هنا. يؤسفني أن أقول ذلك، ولكننا نكاد نفقد الأمل. ربما يصلنا دليل من نوع ما هذا المساء. إن سبب الشك الحقيقي هو ثقة السيدة ويلز من وفاة السيد ستينز. إن كانت تعلم هذا، فماذا تعلم غيره، وكيف علمت به؟ أوه، لقد لاكت الألسنة الكثير طيلة الأسبوعين الماضيين يا سيد تاوهار. لن أتخلف عن هذه الحفلة مهما كان. كم كنت أتمنى لو استطعت الحصول على تذكرة".

اختارت الأرملة أن يقتصر حضور جلسة تحضير الأرواح على سبعة أشخاص؛ باعتبار أن رقم سبعة له دلالة سحرية، بامتلاكه لحلقة غامضة مظلمة، وقد وصل لوينثال إلى الواي فيرر فورتشن في التاسعة إلا ربع صباحًا، وغمره الندم الشديد حين اكتشف أن السبعة أماكن حُجِرَت بالفعل. (ولم ينجح سوى تشارلي فروست وهارالد نيلسن، من رجال الكراون، في شراء تذاكر لأنفسهم). أمَّا لوينثال، وكثيرون غيره من خائبي الرجاء، فليس لهم سوى الرضا بحضور حفلة "المشروبات والتكهّنات" والانصراف قبل انعقاد جلسة تحضير الأرواح. حاول لوينثال أن يشتري تذكرة بضعف ثمنها من أحد السبعة المحظوظين، لكن بلا جدوى؛ فقد رفض كلُّ من فروست ونيلسن عرضه على الفور، لكن نيلسن وعده أن يَصِفَ له الجلسة كلها بدرجة عالية من التفصيل، بعد انتهائها، وطلب فروست من لوينثال أن يقوم بمساعدته في التدريب على القيام بالاستطلاع المنظم، قبل الجلسة.

"ثمّ التذكرة ثلاثة شلنات تُدْفَع عند الدخول". قالها لوينثال ظنًّا منه أن تاوهار لا يستطيع القراءة، وأنه ربما يحاول إخفاء هذا العجز. نظر إليه تاوهار وقال: "ثلاثة شلنات؟ لماذا؟"؛ فالمبلغ ضخم جدًّا، كمقابل الليلة واحدة من الترفيه.

هزَّ لوينثال كتفيه: "هي تعلم أن بإمكانها أن تطلب ما تريده، وستفعل ذلك. قد تستطيع شرب براندي بما ستدفعه، إن شربت

بسرعة، فهي تعرض الشراب بلا حساب، لكنك مُحِقٌّ، إنها سرقة. ونصف الرجال يتحرّقون شوقاً للفوز بفرصة لتجاذب أطراف الحديث مع أنا. إنها مصدر الجذب الحقيقي، منبع الجاذبية! لم يرها أحدٌ لمدة ثلاثة أسابيع إلا على باب الواي فيرر. وحده الله يعلم ماذا كان يحدث بالداخل".

قال تاوهار: "أودُّ أن أنشر إعلاناً في جريدتك". وقذف بالجريدة على المنضدة، بطريقة وقحة إلى حدٍّ ما، فانزلقت واستقرت فوق قالب طباعة لوينثال.

"بكل تأكيد"، قالها لوينثال باستهجان، ومدَّ يده إلى قلمه الرصاص. "هل لديك إعلان جاهز؟".

"مرشد من الماوري، متمرّس للغاية، يتحدّث الإنجليزية بطلاقة، يتمتع بمعرفة واسعة على المستوى المحلي، يعرض خدماته على المسّاحين والمنقّبين والمستكشفين ومَن شابهمم. النجاح والأمان مضمونان".

وكرّر لوينثال بينما يكتب، "المسّاحين، والمنقّبين، والمستكشفين. النجاح والأمان. نعم، حسنٌ جدًّا. ثم أضع اسمك، مضبوط؟".

"نعم".

"سأحتاج أيضًا لعنوان، هل ستظل في المدينة لفترة؟".

تردّد تاوهار. كان قد خطّط للعودة إلى وادي الأراهورا هذه الليلة ليبيت في كوخ كروسبي ويلز المهجور، ولم يرغب في أن يبوح بهذا لـلوينثال؛ وذلك بسبب العلاقة التي تربط لوينثال بإدجار كلينش، الرجل الذي يملك المكان الآن بحكم القانون.

كثيراً ما خطر إدجار كلينش على بال تاوهار في الثلاثة أسابيع الماضية منذ اجتماع فندق كراون، فمن بين كل الصفقات التي تمّت

بين الماوري والباكيها (الأجانب بلغة الماوري) على مدار العقد السابق من الزمان، ظلّ تي رو تاوهار يرى وادي الأراهورا كأرضه التي يمتلكها. ويغضبه لأقصى حدّ أن تباع أي قطعة من أراض تي تاي بوتيني لغرض الربح وليس لاستخدام الأرض. وعلى حدّ علم تاوهار، فإن كلينش لم يقض أي وقت في الأراهورا قبل الصفقة التي أجراها؛ ومنذ اشترى المكان لم يتعب نفسه بالمشي حول حدود الأرض الذي امتلكها بحكم القانون. ماذا كان غرضه من الشراء؟ هل ينوي كلينش الاستقرار هناك؟ هل ينوي أن يحرث الأرض ويفلحها؟ ويقطع أشجار المكان؟ ويبني سدًا على النهر؟ أو ربما يحفر بحثًا عن الذهب؟ هو لم يقيم بأي شيء لكوخ كروسبي اللهم إلا تجريده من كل ما يمكنه بيعه... وحتى هذا لم يفعله بنفسه ووكّل غيره لإتمامه. كان إيرادًا أجوف، لم يتطلب أي قدر من المهارة، ولا الحب، ولا ساعات من العمل الدؤوب: مثل هذا الإيراد لا بُدّ أنه سيذهب هباء، فقد وُلد من الهباء، وإلى الهباء سوف يعود. ليس بإمكان تاوهار أن يحترم رجلًا يعامل الأرض كأنها مجرد عملة من العملات. فالأرض لا يمكننا سكها في عملات مثل القطع النقدية، الأرض يمكن فقط أن نعيش عليها، ونحبها.

لم يكن تي رو تاوهار منافقًا في هذه الأفكار. فقد سافر إلى كل شبر في الساحل الغربي، إما على قدميه، أو على عربة، أو على ظهر حصان، أو على قارب. كان بإمكانه رؤية كل جزء منه داخل عقله، وكأنه ينظر لخريطة مفصّلة: ففي أقصى الشمال، في موهيكينوي وكراميا حيث الأشنات كثيفة ورطبة، وأوراق النبات شمعيّة، والشجيرات المتشابكة المعبّقة برائحة المطر، وسعف النيكاو (النخيل) المتساقط من الجذوع يرقد على الأرض ضخماً وثقيلًا، كذيول الحيتان؛ وإلى الجنوب منها حيث مياه التاراماكاو البرونزية المصقولة، ومرتفعات بوناكاياكي المتجعدة، والمستنقعات المنبسطة الواقعة شمال هوكتيكا، المسكونة بالضباب الزاحف المنذر بهطول المطر، والبحيرات بمياهها

الحاضنة المَهْدِدة؛ وبعدها الوديان الصامتة، كثيفة الخضرة؛ وبعدها الأفرع الملتوية للأنهار الجليدية، المتموجة بالأزرق والرمادي؛ وبعدها سلسلة الجبال بِقَمَمِها المدبَّبة وجوانبها شديدة الانحدار، وبعدها، وأخيراً، وفي أقصى الجنوب يأتي أوكاهو وماهيتاهي، بشواطئهم الواسعة التي يغطيها الحصى وتتناثر فوقها جذوع الأشجار العملاقة، والأمواج المتكسرة دون توقُّف، وعويل الريح الذي لا ينقطع. ومن بعد أوكاهو يصبح خطُّ الساحل منحدرًا ولا يمكن اجتيازه. وبعده، كما يعلم تاوهار علم اليقين، الممرات المائية العميقة للمضايق الجنوبية، حيث تغرب الشمس مبكَّرًا خلف القمم الشاهقة، فتكتسب المياه المظهر الغامق للفضة المتأكسدة، وتتجمَّع الظلال كبقع من الزيت. لم يحدث أن وقعت عينا تاوهار على بيوبيوتاهي، لكنه سمع بها، وأحبها لأنها من أرض تي تاي بوتيني.

كان هذا هو شريط الساحل... وفي القلب منه، يأتي نهر الأراهورا، العزيز (تاونجا)، المقدس (واهي تابو)، المحبوب من كل البشر! وإذا كان الأراهورا هو خط الاستواء بالنسبة لتاوهار، يقسم أراضي تي تاي بوتيني إلى نصفين، فإن كوخ كروسبي، الواقع في قلب الوادي في منتصف المسافة بين الجبال والمحيط، كان بمثابة خط الطول الرئيسي. ورغم كل هذا فهو لا يستطيع المطالبة به؛ ولا تستطيع قبيلته المطالبة به؛ ولا يستطيع شعبه المطالبة به. وقبل أن يوارى جسد كروسبي ويلز الثرى، كانت المائة فدان الممتدة على مرتفعات وادي الأراهورا ومنخفضاته، قد اشتراها أجنبيٌّ متعطِّش للربح، أجنبي بإمكانه أن يقسم، بشرفه، أنه حصل على الأرض بأمانة، وبلا أي تلاعب من أي نوع، وأنه لم يخرق أي قوانين.

قال لوينثال: "فندق؟ أو منزل للمبيت؟ أحتاج فقط إلى اسم المكان".

قال تاوهار: "ليس لي عنوان".

فمدَّ لوينثال يد العون، وقال: "حسنًا، سأكتب 'الاستفسارات لدى المحرر، في شارع ويلد'. ما رأيك بهذا؟ بإمكانك القدوم آخر الأسبوع لتعرف إن كان هناك أي استفسار بشأن الإعلان".

قال تاوهار: "هذا جيد".

انتظر لوينثال أي تعبير عن الامتنان من تاوهار، لكنه عبثًا انتظر. فقال ببرودٍ بعد لحظة صمت: "تكلفة الإعلان في العواميد ستَّة بنسات لأسبوع، وعشرة بنسات لأسبوعين، وشلن وستة بنسات للشهر كله. تُدفع مُقدِّمًا بالطبع".

هزَّ تاوهار محتويات محفظته بعناية في راحته، قائلاً: "أسبوع". أظهرت كومة البنسات وأرباع البنسات الصغيرة بوضوح أن الرجل بأمس الحاجة للعمل. فمنذ ليلة الكراون لم يكسب سوى شلن فضي في مباراة قوة منذ أسبوعين. وبعد أن دفع للوينثال أجر الإعلان، تبقى معه بالكاد ما يكفي لوجبات يومه.

راقبه لوينثال برهَةً يعدُّ البنسات، ثم قال بصوت أطف: "يا سيد تاوهار، إن كان المال ينقصك، يمكنك التفضل بالذهاب إلى اللسان الرملي. فهم بحاجة لأيدٍ عاملة على رصيف جيبسون. لقد قرعوا الجرس منذ ساعة، ربما لم يصل صوته لأسماعك. فقد خرجت جودسبيد أخيرًا من الماء، وهم بحاجة لعمَّال لإفراغ حمولتها".

على مدار الثلاثة أسابيع الماضية قُطِرَت السفينة الغارقة بواسطة زورقين ضخمين من زوارق السحب إلى مياه أقل عمقًا؛ حيث تمَّ رفع هيكليها على عجلات حاملة ووُضعت بمحاذاة الشاطئ؛ وأخيرًا، في الصباح وقت الجَزَر، تم جرُّها خارج الماء بواسطة فريق من جياذ الجَرِّ الاسكتلندية الملجَّمة وونش رفع. وهي تقف الآن على اللسان الرملي خالية من المياه، وتبدو بحطامها الضخم أشبه بمخلوق

أسطوري مصنوع من الرياح سقط من عليائه، عنها بحوتٍ هالك على الشاطئ. عرج لوينثال على اللسان الرملي هذا الصباح؛ وتخيّل السفينة وقد سقطت من ارتفاع شاهق وتحطّمت حين سقطت. فقد انكسرت أشرعتها الثلاثة من بدايتها، وبدون أشرعتها وحبالها بدت السفينة زعراء. أطلّ لوينثال النظر إليها قبل أن يستأنف مسيره. وبمجرد أن يتمّ إفراغ حمولتها وإزالة دقّتها سيتم تفكيكها وبيعها بالقطعة، حيث تُستخدم في أغراض الصيانة والإصلاح.

وأكمل لوينثال: "والشيء بالشيء يذكر، أظنه من المفيد جدًّا أن يتواجد أحد رجالنا حين يتم إفراغ الحمولة. فلربما تعثر على صندوق الشحن الخاص بتوماس بالفور، وما يظن السيد مودي أنه رآه في بطن السفينة. يمكنك أن تكون عيننا وأذننا يا سيد تاوهار. ولديك الحجة المثالية؛ فأنت بحاجة للمال ولعمل شريف. ولن يسألك أحدهم كيف أو لماذا".

هزّ تاوهار رأسه. فقد أقسم بينه وبين نفسه ألا يتعامل مع فرانسيس كارفر مرة أخرى، تحت أي ظرف من الظروف. وضع ستة بنسات فوق المنضدة قائلاً: "أنا لا أعمل في الوظائف الغريبة".

ألحّ لوينثال: "اذهب إلى جودسبيد. لن يوجّه لك أحد أي أسئلة. لديك الحجة المثالية".

تاوهار لا يحب قبول النصائح من غيره، مهما حسّنت نوايا الناصح. وقال: "سأنتظر عملاً في الإرشاد".

"ربما تنتظر لوقت طويل".

هزّ كتفيه. "ربما".

بدأ لوينثال يحسّ بالضيق. وقال: "أنت لا تتصرف بحكمة. إنها فرصة لتسدي لنا جميعاً، وتسدي لنفسك، معروفاً. لن تتمكن من

حضور حفلة الأرملة بدون تذكرة، ولن تتمكن من شراء تذكرة إذا كانت محفظتك فارغة. اذهب إلى رصيف جيبسون، واشتغل اليوم هناك، وأسد لنا جميعًا معروفًا".

"لا أريد حضور الحفلة".

لم يصدقه لوينثال. "ولم لا بحق السماء؟".

"لقد قلت إنها ستكون حماقة، مجرد مسرحية".

ساد الصمت بينهما، ثم قال لوينثال: "أعلمت أنهم أحضروا محاميًا من محكمة الجنايات؟ اسمه السيد چون فيلوز، من شرطة جراي ماوث. تم تعيينه لتسوية قضية كروسبي ويلز".

هزّ تاوهار كتفيه. مكتبة سر من قرأ

أكمل لوينثال: "إنه يجري تحرياته الآن، من أجل أن يعرف إن كان الأمر يحتاج لفتح تحقيق. إنه يعدّ تقريرًا لقاضٍ من محكمة الجنايات. ومحكمة الجنايات تنظر جرائم القتل يا سيد تاوهار. إنها تختص بالمحاكمات في جرائم القتل".

قال تاوهار: "لا دخل لي في القتل".

"نعم... لكن كلانا يعلم أن لك صلة بالأمر، مثلك مثلنا. بريك! لقد رأى السيد مودي شيئًا داخل جودسبيد، ولديك فرصة مثالية لمعرفة ما رآه".

لكن تاوهار لم يهتم بما رآه، أو لم يره، السيد مودي. فقال مكرّرًا: "سأنتظر عملاً شريفًا".

"ما رأيك في أن تُبدي بعض الإخلاص؟".

اشتعل غضب تاوهار لسماعه هذا. وقال: "أنا لم أخلف وعدي".

مدّ لوينثال يده عبر منضدة العمل، ووضع يده فوق كومة البنسات، وسحبها وسكبها في جيب مريّته. وقال: "أنا لا أقصد مجموعة الكراون. أقصد صديقك العزيز ويلز. فتلك التي نتحدث بشأنها، رغم كل شيء، هي أرملته. أرملته، وتركته، وذكراه. يمكنك بالطبع أن تفعل ما تراه. لكن إن كنت مكانك لحرصت على حضور حفل الليلة".

"لماذا؟"، نطقها تاوهار باحتقار.

التقط لوينثال مصفّ حروف الطباعة مرة أخرى قائلاً: "لماذا؟ لماذا تعبّر عن إخلاصك لصديقك العزيز ويلز؟ لأني ظننت أنك مدينٌ له بهذا، بعد أن وشيت به لفرانسييس كارفر".

المشتري في برج القوس

حيث يعاني توماس بالفور من هفوة في الكتمان، وتثار مواضيع قديمة، ويكتب أليستار لودرباك شكوى.

لم يعد أليستار لودرباك إلى هوكتيكا منذ صباح الأربعاء، والسبب الرئيسي لهذا هو أن حطام جودسبيد ظاهر بأكمله من جناحه الواقع في الدور العلوي من فندق بالاس، وقد أصابه مرآه بمرار لا نهاية له. حين عُرضت عليه فرصة إلقاء خطاب في دار بلدية جراي ماوث، وأن يقصّ شريط افتتاح منجم بالقرب من كومارا، قَبِلَ الدعوتين بمنتهى السعادة، وفي الحال. وفي هذه اللحظة التي ننضمُّ إليه فيها -وهي نفس اللحظة التي غادر فيها تاوهار لوينثال- كان لودرباك يشقُّ طريقه عبر مستنقعات كومارا بسرعة كبيرة، يعلق في كتفه بندقية من طراز شاربس، وفي يده حقيبة مليئة بالطلقات. وبجانبه صديقه

توماس بالفور، مسلّحًا مثله، ومثله أحمر الوجه بفضل بذل الجهد في شريف الأعمال. أمضى الرجلان الصباح يتسليان بالصيد، وكانا الآن في طريق العودة إلى جواديهما المربوطين في نهاية الوادي، وبدا الجوادان من هذه المسافة كبقعتين صغيرتين إحداهما بيضاء والأخرى سوداء في السماء.

هتف لودرباك، يكلم نفسه بقدر ما يكلم بالفور: "يا له من يوم. يوم رائع بحق! يجعل المرء يكاد يسامح المطر، أليس كذلك... حين تشرق الشمس هكذا، رغم كل شيء".

ضحك بالفور وقال: "ربما نسامح، لكن لا ننسى، أنا لن أنسى".

قال لودرباك: "إنها بلد عظيمة. تطلّع لتلك الألوان! تلك ألوان نيوزيلندية، مغسولة بأمطار نيوزلندية".

بالفور: "ونحن مُحِبُّون لوطننا نيوزلندا. هذا المشهد لنا يا سيد لودرباك. متاح لنا كغنيمة".

لودرباك: "نعم، بالتأكيد، نحن مُحِبُّون للطبيعة".

بالفور: "ليس هناك ضرورة لأن نحمل راية".

لودرباك: "كم نحن محظوظان. أخطر على بالك كم هو قليل عدد الرجال الذين وقعت أعينهم على هذا المشهد. كم هو قليل عدد الرجال الذين وطأت أقدامهم هذه الأرض".

بالفور: "أكثر مما نتوقع بلا شك، إذا كانت الطيور قد تعلمت أن تطير مبتعدة حين ترانا".

لودرباك: "أنت تظنهم أفضل مما هم في حقيقتهم يا توم. فالطيور غبية جدًا".

"سأتذكر هذا حين تعود المرة القادمة بزوج من البط وقصة طويلة عن كيف أوقعتهم في الفخ".

"افعلْ ذلك؛ وسأجعلك تسمع القصة كالعادة".

سعد توماس بالفور كثيراً بتبادل المزاح بهذه الطريقة. فعلى مدار الثلاثة أسابيع الماضية كانت صحبة لودرباك ثقيلة إلى حدٍّ بعيد، وقد سئم بالفور منذ وقت طويل مزاج صديقه المتقلب ما بين الهشاشة، والشراسة، والنكد. فلودرباك، إن حدث وتحطمت آماله، يميل للارتداد إلى نوبات من السلوك الطفولي، وتحطم جودسبيد صاغ بداخله تغييراً غير محمود. أصبح يغار من صحبة المجموعات، وبحاجة دائمة لأن يحاط بالبشر؛ لم يعد يقضي أي وقت بمفرده، ويعترض إن طُلب منه البقاء بمفرده. لم يتغير سلوكه العام - كان يفيض بالحماسة والقدرة على الإقناع إذا ما اعتلى المنبر - لكن سلوكه الخاص أصبح بصفة عامة نكداً. تكفي أقل المثيرات لإدخاله في نوبة من الانفعال الحاد، ويعامل خادميه المخلصين علناً بمنتهى الاحتقار، وقد أرجع الرجلان تلك التقلبات المزاجية لطبيعة الحياة السياسية الشاقة، ولم يعترضا عليها. وهذا الأحد تم منحهم إعفاءً من صحبة لودرباك، بفضل النقص في البندقيات، وأيضاً، بفضل ميل لودرباك الطبيعي لعدم المشاركة، فأمضيا وقت غياب سيدهما في كنيسة كومارا، يتأملان في ذنوبهما، كما أمرهما لودرباك.

كان أليستار لودرباك رجلاً شديد الإيمان بالخرافات، وأحس أن التغير في حظه يعود لليلة وصوله إلى هوكتيكا، حين عثر على جثة الناسك، كروسبي ويلز. وحين يتمعن في كل الأحداث السيئة التي حدثت له منذ تلك الليلة - وخاصة تحطم جودسبيد - يملؤه الضيق تجاه الأراضي الغربية كلها، كأن المنطقة المهجورة بأكملها متواطئة في مشروع إعاقة نجاحاته، وإحباط رغباته. ويعدُّ حطام جودسبيد دليلاً، في رأيه، على أن المكان ملعون بالنسبة له. (وهذا الظن منه ليس عديم المنطق كما قد نعتقد، فالتغيرات التي تحدث في الحاجز القاري لهوكتيكا تعود إلى حدٍّ كبير إلى الحجارة والحصى التي يحملها النهر من المناجم

الموجودة على ضفافه والتي سَدَّت مصب النهر بصورة غير مرئية، مكوَّنة تشكيلات يغيِّرها المدُّ والجَزْرُ بصورة مستمرة، خلاصة الأمر أن نهاية جوسبيد أتت على يد مخلفات آلاف المناجم؛ ولهذا يمكننا القول بأن كل رجل في هوكتيكا يتحمَّل جزءاً من مسؤولية غرق جودسبيد).

بعد تحطُّم جودسبيد بأيام، اعترف توماس بالفور لودرباك بأن صندوق الشحن المحتوي على مستندات وأغراض لودرباك اختفى من على رصيف جيبسون، بسبب خطأ في الشحن لا يمكن إلقاء اللوم فيه على شخص بعينه. واستقبل لودرباك الخبر بتعاسة، لكن بدون اهتمام حقيقي. فبما أن جودسبيد تحطَّمت، لم يُعد هناك داعٍ لابتزاز فرانسيس كارفر، بغرض استعادة سفينته العزيزة مرة أخرى، وعقد البيع الموجودة وسط أوراقه الخاصة في صندوق الشحن، لم يُعد له قيمة.

اتَّجه لودرباك للَّعب بالنرد في الأمسيات مؤخَّراً، فالقمار نقطة ضعف فيه يقع فريسة لها من فترة لأخرى كلما أحسَّ بالعار، أو انعدام الحظ الحَسَن. ومن الطبيعي أن يأمر چوك وأوجستوس بممارسة هذه الرذيلة معه، فهو لا يطيق الجلوس إلى مائدة القمار وحيداً، وخضعاً لأمره، لكن رهاناتهما اتَّسمت بالحذر الشديد، وكانا ينسحبان مبكَّراً. وضع لودرباك رهاناته بعزيمة شرسة كرجل يمثل الفوز بالنسبة له أمراً شديداً الأهمية، وتعامل مع فيشات لعبه بحرص كما يتعامل مع الويسكي الخاص به، والذي يشربه ببطء شديد، لكي تطول الأمسية حتى مطلع الفجر.

"لن تعود عصر اليوم، أليس كذلك؟"، قالها لودرباك بإلحاح يوحى بالحزن.

قال بالفور: "بل سأعود. أودُّ أن أصل هوكتيكا في وقت تناول الشاي".

توسّل لودرباك: "خُذ اليوم إجازة، تعال معي إلى جورنزي الليلة لنلعب القمار. ليس هناك داعٍ لأن تعود بمفردك. عليّ أن أبقى لكي أقصّ شريطاً في الصباح... لكنني سأعود لهوكتيكا غداً وقت الظهيرة، سأكون في المدينة وقت الظهيرة".

هزّ بالفور رأسه وقال: "لا أستطيع، لديّ شحنة ستصل غداً صباحاً".

"بالتأكيد ليس هناك ضرورة لتواجدك... من أجل شحنة!".

ابتسم بالفور، "أوه... لكنني بحاجة للوقت لأرتّب أموري المالية، فأنا أفقر من يوم الأربعاء باثني عشر جنيهاً... وهذه الجنيهات الاثني عشر في جيبيك. جنيه مقابل كل وجه في النرد".

(أخفى بالفور السبب الرئيسي لاستعجاله في العودة، وهو رغبته في حضور حفلة الأرملة "المشروبات والتكهنات" التي تقام الليلة في الغرفة الأمامية من الواي فيرر فورتشن. لم يذكر السيدة ويلز أمام لودرباك منذ حديثهما في قاعة الطعام بفندق بالاس، ورأى أنه من الحكمة ألا يطرق باب الحديث في أمرها وأن يترك خيار الحديث فيه للودرباك. وتجنّب لودرباك من ناحيته أي ذكر لها، وأحسّ بالفور أن صمته يشي بالاضطراب واليأس، وأنه قد ينفجر في أي لحظة صارخاً باسمها).

لودرباك: "هذا يذكّرني بأيام المدرسة، كنا نتلقّى جلدّة مقابل كل نقطة على وجه النرد... إن ضبطونا. مكعّب النرد يحمل إحدى وعشرين نقطة، حقيقة تافهة لم أنسها أبداً".

"لن أبقى حتى أخسر واحداً وعشرين جنيهاً، إن كان هذا ما تقصده".

ألحَّ عليه لودرباك: "عليك أن تبقى، ليلة واحدة أخرى. عليك أن تبقى".

قال بالفور: "انظرُ إلى هذا السرخس الرائع!"، وكان السرخس رائعًا بحقٍّ: ملفوفًا بطريقة بديعة كما يد الكمان، لمسه بالفور بفوهة بندقيته.

التغير الذي طرأ في الفترة الأخيرة على مزاج لودرباك ترك أثرًا سيئًا على صداقته مع توماس بالفور. فقد ملأ بالفور اليقين بأن لودرباك لم يخبره بالحقيقة الكاملة عن تعاملاته السابقة مع كل من فرانسيس كارفر وكروسبي ويلز، وهذا المنع الذي أحسه من صديقه جعله غير راغب في مجاراته وإرضائه. وحين يعبرُ لودرباك عن عدم رضاه عن الأراضي الغربية، والحواجز الرملية، والعشاء المكوّن من أصناف باردة، وياقات القمصان التي يمكن تغييرها، والتمثيل، والمستردة الألمانية، ورئيس الوزراء، والشوك في السمك، والفخامة، والأحذية سيئة الصنع، والمطر. كان ردّ بالفور عليه يحمل من الطاقة والإعجاب أقل مما حمله من شهر واحد فقط. وبصراحة، كان لودرباك قد فقد أفضليته عند صديقه. وكلا الرجلين يعرف ذلك. وكره السياسي الاعتراف بفتور صداقتهما؛ وأصرَّ أن يستمر في الحديث مع بالفور بنفس طريقتيه السابقة، بنبرة أحيانًا ما تكون متعجرفة، ودائمًا ما تكون خطابية، ونادرًا ما تكون متواضعة، وبالفور، الذي بإمكانه أن يصير متعجرفًا جدًا إذا أراد، أصرَّ أن يظل مستاء من صديقه.

والآن وصلا لجواديتهما، وركبا، واتَّجَّها إلى كومارا ببطء. وبعد أن ركبا بفترة قصيرة، التقط لودرباك طرف الحديث ثانية.

"قلنا إننا سنقف عند سي فيو سويًا... في طريق عودتنا. لنلقي نظرة على أساسات مبنى السجن".

بالفور: "نعم، عليك أن تحكي لي كل شيء عنه".

"أظن أني سأذهب بمفردي".

"بمفردك ومعك چوك وأوجستوس! بمفردك وأنتم ثلاثة أفراد!".

بدا الاستياء على لودرباك، وغيّر موضعه على السرج.

ثم قال: "ما اسم السجان... شيفلد؟".

رمقه بالفور بنظرة حادّة. "شبيرد، چورچ شبيرد".

"شبيرد، نعم. أتساءل إن كان يخطّط لطلب شيء من القاضي. لقد حصل على ما أراده من ميزانية رئيس البوليس، نجح في تحريك الأمور بمنتهى البراعة. نجح نجاحًا باهرًا بكل تأكيد".

"أظن هذا. يا الله على هذا!!"، وأشار بطرف سوطه إلى سعف سرخس آخر، لونه البرتقالي أغنى، وورقه أكثف من سابقه. وأضاف: "ما أجمل منظره. رأييت الطريقة التي يتحرّك بها؟ كأنه ثابت في حركته. يا لها من فكرة!".

لكن لودرباك لم يشتتّه منظر السراخس الجميل. وقال، متحدّثًا عن چورچ شبيرد: "لقد نفذ إلى جيب رئيس الشرطة، بالطبع. وأظن أنه صديق قديم للقاضي".

"إذن ربما سيُيقون الأمر بينهم".

"إن الأمر يفوح بالطموح، ألا تظن ذلك؟ أقصد السجن. إنه منهمك في المشروع. منهمك في الأمر بأكمله. لقد تصرّف فيه بطريقة جيدة جدًا".

لودرباك بصفته رجلًا طموحًا، يثير طموح الآخرين بداخله الكثير من الشك. أما بالفور، فقد شخر.

لودرباك: "ما الأمر؟".

بالفور: "لا شيء". (لكنه لم يكن لا شيء، لم يعجبه حصول رجل على تقدير معنوي -مهما كان بعيدًا- ليس جديرًا به).

قال لودرباك مرة أخرى: "ما الأمر؟ لقد سمعت صوتًا".

قال بالفور: "حسنًا، احسبها: خشب للمشائق، وحديد للسور، وأحجار للأساسات، وعشرون عاملاً يعملون باليومية...".

"وماذا في ذلك؟".

صاح بالفور: "دعك من ميزانية رئيس الشرطة! لا بُدَّ أن هذا المال له مصدر آخر! احسبها بعقلك!".

وجّه لودرباك نظره إليه وقال: "استثمار خاص؟ أهذا ما تعنيه؟".

هزَّ بالفور كتفيه. كان يعلم تمامًا أن جورج شيرد يمُول بناء السجن من عمولة هارالد نيلسن عن ممتلكات كروسبي ويلز... لكنه أقسم على كتمان السر، في اجتماع فندق كراون، ولا يحب أن يخلف وعوده.

ألحَّ عليه لودرباك: "أقلتَ إنه استثمار خاص؟".

قال بالفور: "اسمع، لا أريد أن أخلف وعدي، لا أودُّ أن أضايق أحدًا. لكنني سأخبرك بالآتي: إن توقَّفتَ في سي فيو، عليك أن تتحرى الأمر قليلًا. هذا كل ما أقوله. تحرَّ الأمر، وربما تصل لشيء".

سأله لودرباك: "أهذا سبب عودتك مبكرًا؟ أن تتجنَّب شيرد؟ أهناك أمر بينكما؟".

قال بالفور: "لا! لا، لقد جاءني بعض الأخبار، هذا كل ما في الأمر".

"أخبار؟ مَنْ أخبرك بها؟".

"لا أستطيع البوح".

"توم، لا تتكبر عليَّ. ما الذي تقصده؟".

فكر بالفور للحظة ناظرًا لأرض الوادي ناحية منحدرات الشرق المتغضنة. كان حصانه أقصر قليلًا من فرصة لودرباك السوداء، ولأنه أقصر من لودرباك في الطول، جاءت أكتافه تحت أكتاف لودرباك بحوالي قدم، حتى لو شدَّ ظهره وفرد كتفيه، كما يفعل الآن. وقال: "فكّر في الأمر. عشرون عاملًا يعملون في الأساسات. وتم دفع قيمة كل الخامات نقدًا، هذه ليست طريقة العمل إن كنت تنفق من تمويل المجلس. أنت تعلم ذلك جيدًا! لا بُدَّ أن شيبرد يتعامل بأموال جاهزة".

لودرباك: "هل أدركت هذا بالتفكير فيه؟ أم جاءتك بعض الأخبار؟"
"بالتفكير".

"إذن لم تأتِكَ أخبار".

قال بالفور بحدّة: "بل جاءتنى. لكنني كنت سأفهم الأمر بمفردي. وهذا ما أقوله، كنت سأفهم ما يجري بمفردي".

"إذن ماذا كان الغرض؟".

"أي غرض؟".

"الغرض من وراء إخبارك؟".

عبس بالفور وقال: "لا أفهمك، كلامك ليس واضحًا".

لكن كلام لودرباك كان مفهومًا تمامًا، وبالفور يعلم هذا.

قال لودرباك: "ما الذي لا تفهمه يا توم؟ أأنت من أتتك الأخبار عن السجن! لِمَ قد تهتمُّ بالفور للشحن بشأن الأموال العامة وكيفية إنفاقها؟ وَلِمَ قد تهتمُّ بشأن استثمار خاص، إلا إن كان متعلّقًا بأمر آخر؟".

هزَّ بالفور رأسه وقال: "لقد أسأت فهمي".

قال لودرباك: "هل الأمر متعلق بأحد السجناء؟ استثمار خاص... في مقابل...".

قال بالفور: "لا، لا، ليس الأمر كذلك".

"ماذا إذن؟".

لم يجب بالفور على الفور. فأردف لودرباك: "اسمع، إن كان الأمر يتعلق بتمويل خاص، فهو يتعلق بحمّلي الانتخابية، ويجب أن أعلم به. أي أمر يتم استعجاله في مكتب رئيس الشرطة قبل الانتخابات مباشرة هو أمر جدير بالفحص... ومن الواضح أن هذا الرجل شيرد يستعجل أمرًا ما. يبدو لي أن لديه خططًا سياسية، وأودُّ أن أعرفها. إن كنت عرفت شيئًا مجرد التفكير في الأمر، فلم لا تخبرني به... وإن سألني أحد، سأقول إني عرفت بنفسي".

بدا هذا لبالفور معقولًا بما يكفي. فمشاعره تجاه لودرباك لم تتلاش تمامًا خلال الشهر الماضي، وأراد أن يظل عند حسن ظنّ السياسي، رغم كل الظنون الجديدة التي تشكّلت داخل نفسه. لن يضار أحد إن أخبره من أين أتت نقود شيرد... خاصة إن ادّعى لودرباك أنه توصل لهذه المعلومة بنفسه.

سعد بالفور أيضًا بتوقُّد لودرباك المفاجئ، وباللهفة التي شابت إلحاح الرجل الأكبر سنًا لمعرفة ما لديه. لم يعجبه لودرباك في نكده، وهذا التغيير المفاجئ في مزاج السياسي ذكّره بلودرباك القديم؛ لودرباك أيام ديوندن، الذي يتحدث كقائد عسكري، ويمشي كملك؛ الرجل الذي صنع ثروته، ثم ضاعفها؛ الرجل الذي يعرف رئيس الوزراء شخصيًا؛ الرجل الذي لن يجروا أبدًا على التَّوَسُّل لرجل آخر للبقاء معه ليلة أخرى في كومارا، حتى لا يضطر لاصطحاب أحزانه بمفرده إلى نادي القمار. لقد تعاطف بالفور مع لودرباك القديم، الذي لا يزال مُغرَمًا به، وقد أطراه أن الرجل ترجّاه ليخبره بما يعرفه.

وهكذا، وبعد فترة صمت طويلة، أخبر بالفور صديقه بما يعرفه عن السجن: أن تمويل البناء يتمُّ بجزء من الثروة المكتشفة في كوخ كروسبي ويلز. لم يخبره بالسبب، ولا بالكيفية، التي تمَّ بها الاتفاق على الأمر، ولم يخبره بالشخص الذي أبلغه بالأمر. أخبره أن جورج شيرد هو من حرَّض على القيام بهذا الاستثمار، وأن الاتفاق تمَّ بعد وفاة كروسبي بأسبوعين، وأن مدير السجن حريص جدًّا على إبقاء الأمر سرًّا.

لكن التدريب القانوني الذي تلقَّاه لودرباك لم يذهب هباء؛ فهو محقِّق ماكر، خاصة إذا عرف أن ما يسمعه هو فقط جزء من الحقيقة. سأل عن قيمة الجزء المستثمر من الثروة، وأخبره بالفور أنه يزيد قليلًا على أربعمئة جنيه. سأل لودرباك بسرعة عن السبب في استثمار عشرة في المائة من قيمة الثروة المكتشفة في الكوخ، وحين ظلَّ بالفور صامتًا، خَمَّن، ببديهة مثيرة للدهشة، أن عشرة في المائة هي النسبة المعتادة للعمولة، وأنه ما تمَّ استثماره هي أتعاب التاجر بالعمولة.

ذهل بالفور من السرعة التي فهم بها لودرباك الأمر، وأصرَّ على إخباره أن هارالد نيلسن لم يكن مخطئًا.

ضحك لودرباك، "لكنه وافق! لقد سلَّم عمولته!".

"لقد حاصره شيرد. لم يخطئ الرجل في شيء. كان الأمر أشبه بالابتزاز. لا تُعطِ الأمور أكبر من حجمها. لأجل خاطر السيد نيلسن". تعجَّب لودرباك، "تمويل خاص، في آخر لحظة". (لم يكن مهتمًّا بهارالد نيلسن، لقد قابله مرة واحدة في فندق ستار في هوكتيكا، منذ أكثر من شهر مضى. ورآه كشخص ريفيٍّ ساذج، معتاد على صحبة من ثلاثة أو أربعة رجال على الأكثر، ويثرثر أكثر من اللازم إذا شرب؛ وقد نفر منه لودرباك على اعتبار أنه رجل مُملٌّ، راضٍ عن نفسه،

ولن يصبح ذا قيمة أبدًا). وقف لودرباك على ركايتي السرج. "هذه أمور سياسية يا توم، أمور سياسية، أفهمت! أتدري ما الذي يحاول شيرد القيام به؟ يحاول أن يبدأ بناء السجن قبل حصول الأراضي الغربية على كرسيها في البرلمان، ويستخدم تمويلاً خاصاً لدفع المنشأة الرسمية للموافقة. يا للهول! سأكتب عن هذا في التايمز... أوكد لك على ذلك".

لم يطمئن بالفور لما قاله، ولم يستطع أن يهدأ. فاعترض، وبعد مفاوضات قصيرة وافق لودرباك على إبقاء اسم نيلسن بعيداً عن الأمر. وقال: "لكني لن أفعل مثل هذا مع جورج شيرد". وضحك مرة أخرى.

قال بالفور: "أفهم من ذلك أنك لا تظن أنه سيتولى منصب القاضي". وتساءل إن كان لودرباك يخطط للوصول إلى هذا المنصب السامي.

ردّ لودرباك: "لا يهمني منصب القاضي في شيء! إنها مسألة مبدأ، هذا ما يهمني".

"أين المبدأ في هذا؟"، قالها بالفور، وهو يحسّ بالحيرة. فلودرباك يهّمه منصب القاضي. لقد بدأ حديثه بذكره، وبسخرية فظة.

صاح لودرباك: "هذا الرجل لصّ! هذه الأموال تخصّ كروسبي ويلز... سواء حيّاً أو ميتاً. جورج شيرد ليس له الحق في إنفاق أموال شخص آخر كما يحلو له، بغضّ النظر عن وجه الإنفاق!".

صمت بالفور. حتى هذه اللحظة لم يذكر لودرباك أبداً الثروة التي تمّ اكتشافها في كوخ ويلز، ولا أظهر أي اهتمام بالكيفية التي سيتم بها توزيعها. ولا ذكر الأزمة القانونية المتمثلة في مطالبة الأرملة بممتلكات زوجها الراحل. وظنّ بالفور أن هذا الصمت يرجع إلى أن ليديا ويلز متورّطة بالأمر، لأن لودرباك لا يزال مُحَرَجاً من خزي

الماضي لدرجة أنه لا يذكر اسمها. أما الآن فالأمر يبدو وكأن لودرباك قد انتفض للدفاع عن كروسبي ويلز. وكأن لودرباك قد كوّن رأيًا عاطفيًا تجاه موضوع ثروة كروسبي ويلز. رمقه بالفور ببصره، ثم أشاح بعينه بعيدًا. هل خَمَّن لودرباك أن الثروة المكتشفة في كوخ ويلز هي نفسها الثروة التي تمَّ ابتزازها بها منذ عام مضى؟ ثار فضول بالفور. وقرَّر أن يستفزَّ الرجل الآخر.

قال بهدوء: "وما المهم في الأمر؟ أغلب الظن أن هذه الثروة مسروقة من شخص آخر؛ لأنها بالتأكيد لا تخصُّ كروسبي ويلز. ما الذي يفعله رجلٌ مثله بأربعة آلاف جنيه؟ لا يخفى على أحد أنه كان سفيهاً، والمسافة بين السفية واللص مسافة قريبة".

بدأ لودرباك حديثه: "ليس هناك دليل على ذلك". لكن بالفور قاطعه: "إذن ما أهمية الأمر؟ ما أهمية أن يسرقها أحدهم مرة أخرى بعد وفاته؟ هذا ما أسأل عنه. فعلى الأغلب هذا المال مال حرام منذ البداية".

وانفجر لودرباك: "ما أهمية الأمر؟ إنه المبدأ، المبدأ! لا يمكننا معالجة جريمة بارتكاب جريمة أخرى. والسرقة من لص لا تزال جريمة، مهما كانت طريقة نظرك للأمور! لا تكن سخيفاً".

إذن فلودرباك يدافع عن كروسبي ويلز، وبشدة، هذا ما يبدو عليه الأمر، وهذا يدعو للاهتمام.

قال بالفور، وهو لا يزال يحتفظ بهدوءه، كأنهم يتحدثون عن أمر بالغ التفاهة: "لكنك ستحصل على الملجأ الذي أردته، هذه النقود لا يتمُّ تبديدها. إنها تستخدم في تشييد مبانٍ عامة".

انفجر لودرباك غاضباً: "لا يعني إن كان المدير شيرد يصبُّ هذه النقود في جيبه الخاص أو كان يبنى بها مذبحةً للكنيسة. هذه مجرد

حجّة، هذا استخدام لمبدأ الغاية تُبرّر الوسيلة. أنا لا أتعامل بمثل هذا المنطق".

أردف بالفور، كأن لودرباك لم يقل شيئاً: "وليست أي مبانٍ عامة. ستحصل على ملجأ المشردين الذي أردته رغم كل شيء! بربك، ألا تتذكر حديثنا في البالاس؟ 'وأين تذهب المرأة؟' و'فرصة جديدة لحياة من نوع آخر'، وكل هذا الحديث؟ حسنًا، نحن على وشك توفير فرص جديدة! وچورچ شيرد يجعل هذا ممكناً!".

بدا الغضب على لودرباك، إنه يتذكر بوضوح حديثه عن مميزات ملجأ المشردين منذ ثلاثة أسابيع. لكنه لم يكن يحب أن يقتبس أحد كلماته سوى لغرض واحد وهو المدح.

قال باقتضاب: "إنه عدم احترام للموتى، هذا كل ما سأقوله بهذا الصدد".

لكن بالفور ليس من السهل ردعه، وقال، كأن الفكرة خطرت له تواءً: "هل الذهب الذي أظهره فرانسيس كارفر وقت استيلائه على جودسبيد... الذي خيط في بطانة...".

"ماذا بخصوصه؟".

"أنت لم تره مرة أخرى، أليس كذلك؟ ولم تسمع أي شيء عنه. ثم، نفس هذا المقدار -أقل أو أكثر بقليل- يظهر في كوخ كروسبي ويلز، بعدها بعام. ما يزيد قليلاً عن أربعة آلاف جنيه. ربما يكون هو نفس الذهب".

قال لودرباك: "محمّل جدًّا".

قال بالفور: "أتساءل كيف وصل إلى هناك؟"

قال لودرباك: "نعم، الأمر يدعو للتساؤل".

وافترقا عند جولدن لايون... وبدا لودرباك كأنه تخلى عن رغبته في بقاء بالفور في كومارا ليوم إضافي، فقد ودّع صديقه بجفاء، وبلا ندم.

اتّجه بالفور لهوكتيكا وهو يحسُّ بقدرٍ كبير من عدم الارتياح. لقد وعد بصوّن سرّ نيلسن، كما وعد بصون أسرار كل رجال الكراون، وقد نقض وعده. وما المقابل؟ ما الذي كسبه من نقض عهده وكسر كلمته؟ بالفور، الذي ملأه الاشمئزاز من نفسه، غرز كعبه في جنب فرسه، ليحثّها على الخبب، وظلّت على تلك السرعة حتى وصل إلى نهر الأراهورا، وتحتّم عليه النزول من فوق الفرس، واصطحابها حتى الشاطئ، وإرشادها بحرصٍ عبر المياها الضحلة حيث سيل المياها الجارف يفرش الرمال.

لم ينتظر لودرباك ليشاهد صديقه يبتعد. فقد بدأ بالفعل في تجهيز الخطاب الذي يريد كتابته داخل عقله: فشفتاه مزمومتان في تركيز، وعلى حاجبه ظهرت تجعيده. قاد فرسه إلى الاسطبلات، ووضع ستة بنسات في يد السائس، ثم بعدها مباشرة صعد السلام إلى غرفته. وبمجرد أن اختلى بنفسه، أغلق الباب عليه وشدّ مكتبه إلى بقعة الضوء مخروطية الشكل تحت النافذة، وجلب كرسيًا، وجلس، وأخرج ورقة فارغة، وبعد بعض لحظات أخيرة من التفكير وقلمه على شفّتيه، هزّ أساور قميصه، ومال للأمام، وكتب:

استثمار بعد الوفاة؟ إلى محرّر جريدة تايمز الساحل الغربي

18 فبراير 1866

سيدي

إنه لمن المستحب من السيد جورج شيرد أن ينشر على هذه الصفحات قائمة بأسماء الأشخاص المكلفين بأعمال بناء سجن هوكتيكا

فوق مرتفع سي فيو؛ وأيضاً أن يقدم قائمة بالأعمال التي تعاقد عليها؛ والأعمال التي شرع في تنفيذها؛ بغرض الإفصاح عن الأموال التي سيتكلفتها البناء، متضمنة ما تم إنفاقه حتى تاريخه، وما سوف يتم إنفاقه (إن وجد) حتى إتمام البناء وتجهيزه للقيام بالمهام المطلوبة منه.

إن نشر مثل هذه المعلومات سيصلح اعتقاد الموقع أدناه بأن السيد شيرد قد ارتكب انتهاكات جسيمة؛ حيث إن إنشاء أساسات سجن هوكتيكا قد تمّ بتمويل خاص دون الحصول على موافقة مجلس المقاطعة، أو لجنة الأعمال العامة للأراضي الغربية، أو مجلس شؤون البلدية، أو حتى المستثمر نفسه... حيث تمّ استثمار الأموال بعد وفاة مالکها بحوالي أسبوعين! وأقصد بمالكها السيد كروسبي ويلز الذي كانت ممتلكاته محلّ الكثير من التكهّنات على هذه الصفحات. فعلى حدّ علمي فإن الهبة (كما يمكن أن يطلق عليها) قد تمّ انتزاعها من مسكن السيد ويلز بعد وفاته، وخُصّصت، بدون علم أحد، لإقامة السجن. وإن خلا ما طرحته هنا من الصحة فإني على أتم الاستعداد للاعتراف بخطئي؛ أمّا في الوقت الحالي فإني أطالب بإيضاح فوري من السيد شيرد نفسه.

وإني هنا أتمسّك بأن الشفافية بخصوص تصرّفات السيد شيرد في هذا الأمر هي مسألة مُلحّة وبشدة ليس فقط بسبب طبيعة المؤسسة التي يأمل في بنائها، ومصدر النقود التي تموّل البناء؛ لكن أيضاً لأن الشفافية المالية في إدارة الأموال العامة لها أهمية عظيمة نظراً لأن هذا الجزء البكر من المقاطعة غنيّ جداً بالذهب؛ ولهذا فإنه للأسف فريسة لإغراءات الفساد الجاهلة.

أقدّر بشدة نوايا السيد شيرد، في تحريك هذا المشروع. كما أي متأكّد من أنه يتصرف لمصلحة المقيمين، وطبقاً للقانون الخاص بالمستعمرة. فقط أتمنى أن أوضح قناعاتي بأن كل المصادقات الخاصة

على الأعمال العامة يجب أن تتسم بالشفافية تحقيقًا لمصلحة الجميع، وأؤكد لك يا سيدي، وأؤكد لكل مقاطعة الأراضي الغربية أني أعمل لمصلحتكم.

المخلص،

السيد أليستار لودرباك، عضو بمجلس المقاطعة، وعضو البرلمان.

اعتدل وقرأ الخطاب بصوت عالٍ، وبنبرة رئانة، كأنه يتدرب لخطاب عامٍّ وهامٍّ؛ ثم طوى الصفحة وهو راضٍ عنها، ووضعها في مظروف، وخطَّ على المظروف اسم محرِّر جريدة تايمز الساحل الغربي، وكتب على المظروف أيضًا، "يُقرأ فور وصوله"، و"عاجل". وحين أغلق المظروف مدَّ يده إلى صديريته، ونظر في ساعته: كانت في حدود الثانية ظهرًا. إن ركب أوجستوس سميث إلى هوكتيكا مباشرة الآن؛ قد يتمكّن من الوصول إلى لويثنال قبل الانتهاء من تجهيز طبعة يوم الاثنين. وخير البرِّ عاجله، وذهب لودرباك للبحث عن خادمه.

عطارد في برج الجدي

وفيه يعيد چاسكوين سرد نظرياته، ويتحدث مودي عن لموت.

كان والتر مودي ينهي غداءه في قاعة طعام ماكسوين حين وصلتته رسالة تُفيد بأن شحنة جودسبيد قد تمّ تفريغها أخيراً وأن صندوقه قد تمّ توصيله إلى غرفته في فندق كراون.

صاح مندهشاً، "حسنًا!"; ونفح حامل الرسالة قطعة نقدية ببنتين، أخذها الفتى وأسرع مهرولاً بالرحيل. "وأخيراً يُحسَم الأمر بخصوص ما أسميته أنا شبحاً... أليس كذلك؟ إذا كان إيميري سنيوز على ظهر السفينة، كانوا بالطبع سيعثرون على جثته بين حمولتها".

قال چاسكوين: "أشك أن الأمر يمثل هذه السهولة".

"أتعني أنه قد لا يتم الإبلاغ عن اكتشاف جثته؟".

قال چاسكوين: "أعني أنه قد لا يتم العثور على جثته. أي رجل -حتى لو مصاب- يستطيع أن يكافح حتى يصل إلى إحدى فتحات السفينة... والحطام لم يكن مغمورًا تمامًا بالماء. أعتقد أنه على الأرجح قد جرفته المياه بعيدًا".

على مدار الثلاثة أسابيع الماضية مَّت بين مودي وأوبرت چاسكوين علاقة قوية، حيث اكتشف مودي أن شخصية چاسكوين قد تحسَّنت كثيرًا خلال لقاءاتهما المتوالية... فچاسكوين ماهر جدًا في التأقلم مع كل المواقف الاجتماعية، ويمكنه أن يكسب ودَّ أي رجل بنجاح كبير إن عقد عزمه على هذا. وقد عقد چاسكوين عزمه على أن يصادق مودي بطموح إن علم به مودي، لتسبَّب في إصابته ببعض القلق؛ لكن مودي رأى في چاسكوين شخصية راقية وسعد بالحصول على رفيق من مستواه الفكري يمكنه تجاذب أطراف الحديث معه بسهولة. فتناوَلَا الغداء سويًا كل يوم تقريبًا، ودخَّنا السيجار في ستار وجارتر في الأمسيات، حيث لعبا هناك لعبة الويست كشريكين.

عَلَّق مودي: "أنت مُصرٌّ على نظريتك الأصلية. أن البحر ابتلع جثته بدلًا أن يقذفها للشاطئ".

قال چاسكوين: "إما هذا وإمَّا أنهم تخلَّصوا منها. ربما صرخ طلبًا للمساعدة، فقتلوه، وربطوه في ثِقَل، وألقوه في البحر. لقد جدَّف كارفر ذاهبًا للحطام مرات عدة، كما تعلم... هذا طبعًا بالإضافة لفرص الغرق السانحة".

طوى مودي الرسالة إلى نصفين، ثم إلى أربعة أرباع، ممرًّا ظفر إبهامه على الطيَّات. "هذا أيضًا مُحتمَل. لكن تظل المشكلة أننا بشكل أو بآخر لا نستطيع أن نعرف بشكل مؤكَّد، وإن كنت محقًّا في أن ستينز قد غرق، سواء عَرَّضَا أو عن عمد، فنحن لن نعرف أبدًا. يا لها من جريمة تعيسة... ليس لدينا جثة، ولا قاتل".

وافقه جاسكوين، "إنها جريمة تعيسة جدًا".

"ونحن مُحققون تعساء جدًا"، قالها مودي قاصدًا غلق باب الحديث، لكن جاسكوين مَدَّ يده لوعاء الصلصة، ولم يبدُ عليه أنه ينوي إغلاق أية أبواب.

صبَّ الصلصة على بقايا وجبته، قائلاً: "يمكنني أن أقول إننا سنشعر بمنتهى الحماسة، حين يعثرون على ستينز في قاع أخدود، وقد انكسرت رقبتة، بدون أي أثر للعدوان عليه".

قرب مودي شوكته من سكينه. "أخشى أننا جميعًا نرغب في أن يكون السيد ستينز قد قُتِل... حتى أنت وأنا، بدون أن نقابل الرجل بالمرّة. وفكرة الرقبة المكسورة لن ترضينا".

كانت سترة مودي مُعلّقة خلف كرسيه. ويعرف أنه من قِلّة الذوق أن يمدّ يده ويرتديها في حين أن صديقه لم ينتهِ من غدائه بعد... لكنه بعد أن عرف بوصول صندوقه أخيرًا، كان متلهفًا على أن يغادر ليذهب إليه. ليس فقط لأنه يودُّ معرفة حالة ممتلكاته بعد غرق السفينة، ولكن لأنه لم يُغيّر سترته وبنطلونه منذ ثلاثة أسابيع.

ضحك جاسكوين موافقًا، "مسكين السيد ستينز، والسيدة ويلز تجعل منه أضحوكة! أظن أني سأصاب بالذعر إن استدعوا روعي في جلسة تحضير أرواح بشلن. لن أعرف كيف أتصرف بشأن تلك الدعوة".

قال مودي: "إن استدعوا روعي أنا، سأرتاح لهذا؛ وسأقبل الدعوة على الفور. أنا أرى العالم الآخر كمكان كئيب للغاية".

"كيف تتصوّره هكذا؟".

"نحن نُمضي حياتنا كلها نفكر في الموت. وبدون مشروع الموت، الهادف لإلهائنا، أظنُّ أننا جميعًا سنحسُّ بملل قاتل. لن يكون هناك

ما نتجّبّه، لن يكون هناك ما نتحاشاه، ولن يكون هناك ما نتساءل بشأنه. ولن يصبح لمرور الزمن عواقب".

قال چاسكوين: "لكن التجسس على الأحياء سيكون أمرًا مُسليًا".

قال مودي: "على العكس، أظن أننا سنحسُّ بالوحدة التامة. سننظر للعالم من علياننا، بدون أن نتمكن من لمسه، أو تغييره، رغم أننا نعرف كل ما حدث، وكل ما كان".

رش چاسكوين المالح على طبقه. "لقد سمعت أنه طبقًا لعقائد سكان نيوزلندا الأصليين، فإن الروح حين تموت، تتحوّل إلى نجمة". "هذا أفضل اقتراح سمعته حتى الآن، أن نتبع تعاليم السكان الأصليين".

"هل ستدقُّ وشمًا على وجهك؟ وترتدي تنورة من الحشائش؟".

"ربما أفعل ذلك".

التقط چاسكوين شوكته ثانية، قائلاً: "سأحبُّ أن أرى ذلك. سأحبُّ أن أرى ذلك أكثر ممَّا أحبُّ أن أراك ترتدي قبعتك القماشية وحذاءك ذا الرقبة المرتفعة للركبتين، وتنقّب عن الذهب! سيتحتّم عليّ أولاً أن أصدق أنك ستقوم بهذا".

اشترى مودي صرّةً لحمل الأمتعة، وصندوقًا لغربلة المعادن، وزيّ المنقّبين التقليدي المصنوع من القطن والشاش، وفيما عدا قيامه بعدة غزوات تغلب عليها عدم الجدية، على كانيير، لم يكن مودي قد أعدَّ عقله بعدُ لفكرة غربلة الحصى وتصفيتها بحثًا عن الذهب. لم يشعر بعدُ أنه جاهز لبدأ حياته الجديدة كمنقّب، وقرّر أنه لن يبدأ هذه الحياة حتى يتم إغلاق القضية المتعلقة بإيميري ستينز وكروسبي ويلز... وهو قرار أخذه بدعوى الضرورة، لكن في حقيقة الأمر لم يكن هناك شيء يمكنه أن يقوم به سوى انتظار ظهور

معلومات جديدة، وسوى، كچاسكوين، الاستمرار في إطلاق التكهّنات اعتماداً على المعلومات التي لديه.

مدّ إقامته في الكراون مرتين، وفي عصر يوم الثامن عشر من فبراير، كاد أن يمدها للمرة الثالثة. دعاه إدجار كلينش لنقل إقامته إلى الجريديرون، مقترحاً عليه النزول في الغرفة التي شغلها سابقاً أنا ويزريل، والتي هي شاغرة الآن. فمن الخسارة إهدار المنظر البديع الذي يشرف على سقوف مباني هوكتيكا ويمتد حتى جبال الألب المغطاة بالثلج في الشرق، على منقّب عادي، ومودي، كسيّد من السادة، سيتمتع بتناغم الطبيعة الذي قد لا يلحظه غيره من الرجال. لكن مودي رفض بأدب؛ فقد أحب إقامته في الكراون، رغم رثاء المكان، ولم يرغب في الاحتكاك عن قرب بإدجار كلينش؛ لأن هناك احتمال كبير أن تنظر المحكمة في قضية ثروة ويلز المخزونة، وفي تلك الحالة فإن كلينش -ومعه نيلسن، وفروست، وعدد كبير من الرجال- سيتم استدعاؤهم واستجوابهم. لقد أقسم الثلاثة عشر رجلاً بشرفهم أن يكتموا سرّ اجتماع الكراون، لكن مودي لا يحب الاعتماد على شرف رجل آخر، ولا يثق في نزاهة غيره، وتوقّع أنه بمرور الوقت، سيخلف واحد على الأقل من الاثني عشر الآخرين وعده، وعقد عزمه على البقاء بمعزل عنهم؛ توقّعاً لصدور هذا الفعل منهم.

قدّم مودي نفسه لأليستار لودرباك، واكتشف أنه بسبب خلفيتهما القانونية المشتركة، فلديهما معارف مشتركة تتمثل في بعض المحامين والقضاة من لندن، الذين قام لودرباك بتمجيد بعضهم، واستنكار بعضهم، واستبعاد بعضهم في إلقاء خطابي واثق الرأي يغلق الأبواب في وجه محاولة مقاطعته، أو الرد عليه. أنصت مودي إليه بأدب، لكن انطباعه عنه لم يكن جيداً، وغادر مودي لقاءهما الأول منتوياً أن يكون الأخير. فقد رأى لودرباك من طراز الرجال الذين لا يحاولون أن يكونوا عند حسن ظنّ رجل لا تصبّ علاقته به في مصلحتهم الخاصة.

وخلافًا لتوقعاته، ولدهشته الشديدة؛ اكتشف مودي أن ميوله الطبيعية تتفق كثيرًا مع مدير السجن، عنها مع لودرباك رجل السياسة. فقد التقى مودي بشيرد لقاءً عابرًا في اجتماع عمومي في شارع ريفل، وأعجب مودي بمدير السجن كرجل يسيطر على نفسه، ومهذب بصفة دائمة، رغم البرود والجمود الذي يتسم به سلوكه. ظهرت شخصية شيرد في اجتماع فندق كراون في مجملها كشخصية عنيفة بقدر ما ظهرت شخصية لودرباك كشخصية لطيفة... مما أكد لمودي على ضرورة ألا يثق في تقدير غيره للأمور. فالطبيعة البشرية مركب سريع التغير يتألف من الإحساس والظروف؛ ويرى مودي الآن أن ما يمكنه أن يعرفه عن شيرد الحقيقي من حكاية نيلسن ليس أكثر مما قد يعرفه عن نيلسن الحقيقي من الصورة التي رسمها لشيرد.

نقر بإصبعه على الرسالة المطوية قائلاً: "أتعلم؟ حتى عصر اليوم، كنت أكاد أصدق أن ستينز لا يزال حيًا. ربما كنت أحمق... لكني اعتقدت أنه موجود في هذا الحطام، واعتقدت أنهم سيعثرون عليه".

قال چاسكوين: "نعم".

شرح مودي في أفكاره، وأصابه لا تزال تنقر. "والآن يبدو أنه مات. وانتهى للأبد، بلا شك. اللعنة على الجهل! سأدفع أي مبلغ مقابل مقعد في جلسة تحضير الأرواح التي تقيمها الأرملة الليلة".

قال چاسكوين: "ليست الأرملة فقط، لا تنس أن لها مساعدة".

هز مودي رأسه، "أشك أن الأنسة ويذريل لها دور هذا الأمر".

أوضح چاسكوين: "لقد ذكرتها الجريدة بالاسم، وليس فقط اسمها، بل دورها المحدد أيضًا. ستقوم بدور مساعدة الأرملة".

قال مودي ببعض الحدة: "حسنًا، أرى أن فترة تدريبها أقصر بكثير من المعتاد. وهذا يجعل المرء يشك في جودة التدريب... وجودة الموضوع".

اتَّسَعَتْ ابتسامة چاسكوين، "ألا تُعدُّ ممارسات العاهرة العملية تدريبًا على الأمور الخفية؟ إذن ربما هي قد تدربت طيلة حياتها". دائماً ما يصاب مودي بالحرص من مثل هذا النوع من الحديث، فاعتدل في جلسته، وقال مؤيِّدًا: "الممارسات العملية في مهنتها السابقة تشمل الأمور الخفية بالمعنى الحرفي للكلمة، لكن فنون الأنثى هي أمور طبيعية، ولا يمكن مقارنتها باستحضار الموتى".

قال چاسكوين: "أنا واثق بأن حيل المهنتين تقريبًا واحدة. فالعاهرة لا بُدَّ أن تكون أستاذة في الإقناع، مثلها مثل العرافة، إن أرادت أن يصدقها الناس. وعليك ألا تنسى أن الجمال واليقين مقنعان دائماً، أيًا كان السياق الذي يظهران فيه. إن مصير أنا لم يتغير كثيرًا. يمكنك أن تظل تطلق عليها اسم ماجدالينا".

قال مودي بعناد: "ماري ماجدالينا لم تكن عرافة".

ظل چاسكوين مبتسمًا، ووافقه قائلًا: "لم تكن كذلك، لكنها أول من عثر على المقبرة المفتوحة. وهي من أقسمت أن الشاهد الصخري تدرج بمفرده. ومن الجدير بالذكر أن نبأ الارتقاء إلى السماء جاء أول ما جاء كقسَم على لسان امرأة... وأنهم في بداية الأمر كذبوا قسمها".

قال مودي: "حسنًا، الليلة ستقسم أنا ويذريل على مقبرة رجل آخر. ولن نكون حاضرين لنكذبها". وحرك شوكتة وسكينه ليستقيما جنبًا إلى جنب، وتمنى أن يأتي النادل ليرفع طبقه.

"نحن في انتظار الحفلة التي تسبق الجلسة". قالها چاسكوين بصوت خالٍ من البهجة، فهو أيضًا كان مُحَبِّطًا للغاية بسبب استبعاده

عن حضور الاتصال وشيك الحدوث للأرملة مع الأموات، وقد سبّب له استبعاده من الضيق والمرارة ما لم يسبّبه لمودي، لأنه أحسّ، بصفته أوّل صديق لليديا ويلز في هوكتيكا، أنه يستحق أن تحجز له مقعداً في الجلسة. لكن ليديا ويلز منذ عصر يوم السابع والعشرين من يناير، لم تحاول الاتصال به ولا مرة واحدة، ولم تستضفه ولا مرة واحدة، ولا حتى لتناول الشاي.

لم يقابل مودي بعدُ أيّاً من المرأتين بشكل رسمي. لكنه لمهما يعلّقان الستائر على النوافذ الأمامية للمبنى الذي كان فندقاً فيما مضى، لمهما مُظَلَّلَتَيْن بلون غامق، كعروستين من ورق خلف الزجاج. غمرت مودي وهو يراقبهما موجة قوية من الشوق... وهو شعور غريب غير معتاد بالنسبة له، فليس من عادته أن يغبط العلاقات التي تربط النساء بغيرهن من النساء، بل ليس من عادته أن يفكر في النساء بأي قدر من الاهتمام من أساسه. لكن حين مرّ من أمام واجهة الواي فيرر فورتشن التي كساها الظل، ورأى جسديهما يتحركان خلف الزجاج الذي يلوي هيئتيهما، تمنى لو استطاع سماع حديثهما. تمنى أن يعرف ما الذي أخجل أنا حتى عضّت شفرتها ووضعت باطن كفيها على وجنتيها كأنها تختبر حرارتها؛ تمنى أن يعرف ما الذي دفع ليديا كي تبسم، ثم تنفض يديها من التراب، ثم تبعد... تاركة أنا وذراعيها مثقلتين بالقماش، والدبابيس تغطي صدر فستانها.

استطرد چاسكوين: "أعتقد أنك محق في أن تشك في دور أنا في كل هذا... أو على الأقل، في أن تستعجب منه. حين تحدّثت معها عن ستينز لأول مرة، أحسست أن الفتى يحظى بمنزلة خاصة لديها؛ حتى إنني تخيلتُ أنها قد تكون معجبة به. أمّا الآن، فإنه يبدو من ظاهر الأمور أنها تسعى للتربُّح من موته!".

قال مودي: "لا يمكننا التأكد من درجة تواطؤ الآنسة ويذريل. الأمر كله يعتمد على مدى معرفتها بالثروة المخبأة في الفساتين... وبالتالي، معرفتها بالابتزاز الذي وقع على السيد لودرباك".

قال چاسكوين: "لم يأت أحدٌ على ذكر الفستان البرتقالي. ظننت أن السيدة ويلز ستبذل مجهودًا لاستعادته، إذا حدث وأخبرتها أنا أن الفستان مُخبأً تحت سريري".

"ربما ظننت الآنسة ويذريل أن السيد مانرينج قد أخذ الذهب، حسب تعليماتها".

قال چاسكوين: "نعم، ربما، لكن في هذه الحالة، ألا تظن أن السيدة ويلز ستحاول الاتصال بالسيد مانرينج، من أجل استعادة الذهب؟ هم ليسوا غرباء عن بعضهم؛ فهي ومانرينج أصدقاء قدامى من أيام القمار. أظن أن السيدة ويلز على الأغلب لا تعلم شيئًا عن الفستان البرتقالي، ولا عن بقية الفساتين".

قال مودي: "ممم".

قال چاسكوين: "مانرينج لن يلمس الذهب؛ خوفًا من العواقب... وأنا بكل تأكيد لن أخذه للبنك. وهكذا سيبقى الذهب في مكانه. تحت سريري".

"هل ثُنَّتَ قيمته؟".

"نعم، بشكل غير رسمي. جاء السيد فروست ليفحصه. وهو يرى أن قيمته في حدود المائة وعشرين جنيهًا".

قال مودي: "حسنًا، أتمنى من أجل خاطر الآنسة ويذريل ألا تأمن السيدة ويلز على سرّها. أخاف ممّا قد تفعله السيدة ويلز خلف الأبواب المغلقة، حين تعلم بالأمر. فهي ستُحمَلُ أنا المسؤولية عن خسارة الثروة، أنا متأكد من ذلك".

فجأة ترك چاسكوين شوكتة، وقال: "لقد خطرت لي فكرة. المال الذي كان في الفساتين هو نفسه المال الذي وجدوه في الكوخ. إذا تمَّ قبول التماس الأرملة، وآلت إليها الثروة كميراث مُستحق، ستكون قد استردَّت الذهب كله... عدا الجزء الموجود في الفستان البرتقالي بالطبع. سينتهي بها الأمر حيث بدأت، رغم كل شيء".

قال مودي: "حسب ما رأيته، فالبشر لا يرضيهم أبدًا أن ينتهوا حيث بدؤوا. إن صحَّ انطباعي عن ليديا ويلز، أعتقد أنها ستحسُّ بمראה شديدة تجاه استحواذ أنا على تلك الفساتين، بغَضِّ النظر عن نوايا أنا، وبغَضِّ النظر عن النتيجة".

"لكننا على الأقل متأكَّدون أن أنا لم تعلم شيئًا عن الذهب الذي تحمله، حتى وقت قريب للغاية".

رفع مودي يده قائلاً: "سيد چاسكوين، رغم صِغَر سَنِّي فلديَّ رصيد من المعرفة بالجنس الناعم، ويمكنني إخبارك أن كل النساء بلا استثناء لا يحبون أن ترتدي غيرهن ملابسهن دون استئذان".

ضحك چاسكوين مبتهِّجًا بالنكتة، وأقبل على غدائه ينهيه بحيوية، ومزاج حسن.

رغم صحَّة ملحوظة مودي، لا بُدَّ لنا من أن نذكر أن رصيده من المعرفة بالجنس الناعم، كما أطلق عليه، مبنيٌّ على مراقبته لوالدته الراحلة، ولزوجة أبيه، ولخالتيه، وبصراحة، فمودي لم يكن لديه حبيبة أبدًا، ولا يعرف الكثير عن النساء، لا يعرف سوى كيف يتحدث إليهن بأدب، وكيف يحبهن كابن أخت وكابن. وبسبب الانحيازات المعهودة في الشباب فمساحة تجربة مودي الدنيوية كانت أكبر قليلًا من ثقب المفتاح، ومن خلال هذا الثقب، ونحن هنا نتحدث بشكل مجازي، ملح مودي غرفة سن الرشد المظلمة الواقعة خلف الباب. والحقيقة أنه قد سنحت له العديد من الفرص لتوسيع ذلك الثقب، بل ولفتح

الباب بالكامل، والدخول منه إلى تلك الغرفة، التي هي أكثر الغرف خصوصية وانفراداً، لكنه رفض كل الفرص بنفس الانزعاج والعناد المهذب الذي يجيب به على معاكسات چاسكوين البلاغية الآن.

حين كان في الحادية والعشرين، قادته سهرةٌ صاخبةٌ في ساعة متأخرة في لندن، عبر الطرق والأساليب المعتادة، إلى ساحة مضاء بمصباح ليست بعيدة عن سوق سميثفيلد. هذه الساحة، كما صرَّح رفاق مودي في الكلية، تتردَّد عليها أشهر العاهرات... ويمكن التعرف عليهنَّ بسهولة من ستراتهن الحمراء القصيرة ذات الأكمام الواسعة والأزرار النحاسية، والتي هي أحدث صيحات الموضة الباريسية وقتها، والتي أثارت قلق السيدات الإنجليزيات لهذا السبب. ورغم أن الطراز العسكري لستراتهن أضفى عليهن مظهرًا جريئًا ومُلفتًا، إلا أنهن كُنَّ يدَّعين الحياء، ويشحن بوجوههن حتى يتسنى لهنَّ النظر إلى الرجال من فوق المنحنيات الدائرية لأكتافهن، ويتصنَّعن، ويطلَّعن ضحكات مكتومة، ويمددن أصابع أرجلهن. أحسَّ مودي وهو يشاهدهن بحزن مفاجئ. لم يسعه سوى أن يتذكر والده... فكم من المرات، في طفولة مودي وصباه، يصادف والده في ركن مُعتمٍ من المنزل، ويرى في حجره امرأة غريبة، تلهث بشكل غير طبيعي، أو تصرخ كخنزير، أو تتحدث بصوت مرتفع مصطنع، وتترك وراءها دائماً نفس الرائحة الدهنية، رائحة طلاء وجه ممثلي المسارح. وقف رفاق الكلية يجمعون نقودهم ويقترعون على مَنْ تتاح له الفرصة ليختار أولاً؛ وبصمت، انسحب من الساحة، واستأجر حنطورًا، وأوى إلى سريرهِ. ومن بعدها، صارت تلك الذكرى منبعًا لرضاه عن نفسه، فهو لن يفعل ما فعله والده؛ لن يقع فريسة لردائل والده؛ سيصبح رجلًا أفضل. لكن، ألم يكن من الأسهل عليه أن يشارك بنقوده، ويقترع، ويختار إحدى السيدات ذوات السترات ويتبعها إلى أحد التجاويف المبطَّنة بالحجر على الجانب المظلم من الكنيسة! ظنَّ زملاءه في الكلية أنه قد وضع

عينيه على وظيفة كتابية. واندeshوا حين علموا، بعدها بسنوات، أنه التحق بإينر قبل، وبدأ يدرس ليصبح قاضيًا.

ولهذا، ولنجاح مودي الباهر في إخفاء جهله؛ نجح في لعب دور المتحدث اللبق أمام چاسكوين، وكلينش، ومايرينج، وبريتشارد، والآخرين، حين دار الحديث حول أنا ويذريل، والتقدير الذي يُكُونه لها، كعاهرة. فمهارة مودي في اختيار التوقيت المناسب لمتمة كلمات مثل "من الطبيعي" و"بالطبع" و"بالضبط"، بالإضافة للجمود الذي يصيب جسده كلما ذُكر اسم أنا، قد أوحى لهؤلاء الرجال بأن مودي ببساطة ينزعج من الحقائق الخفية في الطبيعة البشرية، وأنه يفضّل، مثل كل رجال الطبقات الراقية، أن يحتفظ بأموره الخاصة لنفسه. وقد لاحظنا أن إحدى الخصائص العظيمة للكتمان هي أن بإمكانه إخفاء جهل من أشد الأنواع شيوعًا وفداحة. ووالتر مودي كتوم للغاية. والحقيقة أنه لم يتحدث كلمتين على بعضهما مع امرأة من مهنة أنا ويذريل أو بمثل خبرتها، ولا يعرف كيف يتحدث معها -ولا عن أي موضوع تدور محادثتهما- إن سنحت له الفرصة.

وقال: "وبالطبع فإنه من دواعي الاطمئنان أن صندوق أمتعة الأنسة ويذريل لم يلحق بها إلى الواي فيرر فورتنش".

قال چاسكوين بدهشة: "حقًا؟".

"لا، الأثواب المبطنة بالرصاص لا تزال في الجريديرون، مع غليونها، ومصباح الأفيون الخاص بها، وأشياء أخرى كثيرة؛ فهي لم تُرسل في طلبها".

"والسيد كلينش لم يثر الموضوع؟".

قال مودي: "لا، وهذا جيد على ما أظن: فأيا كان الدور الذي لعبته الأنسة ويذريل في اختفاء السيد ستينز، وأيا كان الدور الذي ستلعبه في جلسة تحضير الأرواح السخيفة هذا المساء، نستطيع أن

نكون متأكدين بدرجة كبيرة من أنها لم تأمن بشكل كامل للسيدة ويلز. وهذا يدعو للاطمئنان".

نظر حوله بحثًا عن النادل، فقد انتهى چاسكوين من طعامه، وودَّ أن يدفع الحساب بأسرع ما يمكن، حتى يمكنه العودة للكراون، وإفراغ محتويات صندوقه بعد طول انتظار.

مسح چاسكوين فمه بفوطة المائدة قائلاً: "أنت متلهّف على الرحيل".

قال مودي: "سامحني على وقاحتي، لم يصيبنني الملل أبداً من الجلوس معك... أنا فقط متلهّف للعودة إلى ممتلكاتي. فأنا لم أغيّر سُرتي منذ عدة أسابيع، ولا أعلم بعدُ لأي درجة تضرّر الصندوق من العاصفة. هناك احتمال لأن تكون كل ملابسني وأوراقني قد تدمّرت".

"وماذا تنتظر؟ دعنا نذهب فوراً"، قالها چاسكوين، راضياً عن العذر الذي ساقه مودي، ومرتاحاً لسماعه؛ فهو يخشى كثيراً أن تكون صحبته ثقيلة، ويضايقه كثيراً أن يبدو الملل من صحبته على رجل يُكنُّ له چاسكوين الاحترام. أصرَّ على دفع الحساب كله بنفسه، وهو يهشُّ مودي بعيداً كأنه مُربّيته العطوف؛ وبمجرد أن انتهى، خطا الصديقان إلى ضجة الحركة في شارع ريفل، حيث مرّت بهم مجموعة من المنقبين الصاخبين في مرج. ومن خلفهم أتت صيحة مستكشف يكبح جماح الحصان الذي يعتليه، ومن فوقهم دقّ الجرس الوحيد للكنيسة الويسيلية مُعلنًا الساعة، دقّة، دقّتين. رفعاً صوتيهما فوق تلك الضجة، فوق قعقة عجلات عربة، ولافتة تضرب الهواء، وضحكات، وطرقات بمطرقة، وصوت حادّ لامرأة تنادي رجلاً، وودّع الصديقان بعضهما، وتصافحا بمنتهى الودّ، ثم انصرف كل لطريقه.

المريخ، الشرير الأصغر

حيث يتم الاختلاف حول بعض الحقائق الرئيسية، ويتصرف فرانسيس كارفر بفضافة، ويتم استفزاز لوينثال ليبوح بما لديه.

اعتاد لوينثال، حين يتم تسليم خطاب من الاتهامات النارية إلى تايمز الساحل الغربي، أن يتصل بكل المعنيين بالخطاب قبل أن ينشره؛ فهو يرى أنه من الصحيح أن يحظى أي شخص على وشك التعرض للانتقاد بتحذير عادل، فمحكمة الرأي العام في هوكتيكا توقع أقسى العقوبات، وقد يخسر أحدهم سمعته ما بين عشية وضحاها؛ وهو يمدُّ الدعوة لأي رجل مُهدَّد بمثل هذا لكي يخطَّ رَدًّا.

وخطاب أليستار لودرباك المسهب قليل التنظيم بخصوص مسألة إهمال المدير شيرد الوظيفي ليس استثناء لهذه القاعدة، وبعد أن قرأه بالكامل، شرع لوينثال على الفور في عمل نسخة منه؛ ليستخدمها

عند الطبع، أمّا الأصل فسيأخذه إلى مخيم الشرطة؛ ليقرأ مدير السجن الخطاب بنفسه؛ فمن المؤكد أن شيرد سيرغب في الدفاع عن نفسه لأكثر من سبب، والوقت مبكّر كفاية بحيث يمكن نشر ردّ شيرد على خطاب لودرباك في نسخة يوم الاثنين من التايمز.

جَهَّز لوينثال أدوات الكتابة بوجه عابس. فهو يعلم أن هذه المعلومات بخصوص استثمار شيرد الخاص قد تسرّبت بالتأكيد من أحد رجال الكراون الاثني عشر، وهذا يعني أن أحدهم -للأسف- قد أخلف وعده بالتزام الصمت. وعلى حدّ علم لوينثال، فالوحيد الذي له علاقة بأليستار لودرباك هو صديقه توماس بالفور. وبقلب مثقل بالحزن، سحب الصحفي ورقة نظيفة، ولفّ غطاء حَبَّارته، وغمس سِنَّ قلمه. وفكّر في توم، وعاتبه في عقله. وهزّ رأسه وتنهد.

كان لوينثال ينسخ آخر جزء من خطاب لودرباك حين سمع صوت الجرس. فوقف على الفور ووضع قلمه على النشافة، وخرج للمتجر بوجه مسترخٍ بابتسامة ترحيب... تجمّدت، قليلاً، حين رأى الرجل الواقف على الباب.

ارتدى القادم معطفًا طويلًا رمادي اللون بياقة وأساور من القطيفة؛ كان المعطف مصنوعًا من نسيج سميك ولامع يشبه جلد الفقمة ويبدو لونه زيتيًا عند الحركة. وعُقدت ربطة عنقه مرتفعة عند حلقه، والتلابيب العريضة لسُترته واقفة من الجانبين، تضيف لكتفيه ضخامة ولرقبته غلظة. واتّسمت ملامح وجهه بالثقل، كأنها نُحتت من معدن خشن غير قابل للصقل، وثقيل الوزن للغاية. كان فمه عريضًا، وأنفه قصير؛ وجهته بارزة. وعلى وجنته اليسرى ندبة رفيعة، فضية اللون، مقوَّسة الشكل من جانب عينه حتى فكه.

لم يَطُل ارتباك لوينثال سوى لحظة. في اللحظة التالية اندفع ماسِحًا يديه في مريلتة، راسِمًا ابتسامة واسعة على وجهه؛ وبعد أن

نظّف يديه، مدّ كلتا راحتيه تجاه ضيفه قائلاً: "سيد ويلز! أنا سعيد برؤيتك ثانية. مرحبًا بعودتك لهوكتيكا".

ضاقت عينا فرانسيس كارفر، ولم يتلّع الطعم. "أريد أن أنشر إعلانًا". قالها دون أن يخطو مقترّبًا من لوينثال؛ وظلّ عند الباب، تفصل بينهما مسافة ثمانية أقدام.

قال لوينثال: "بالطبع، بالطبع. إنه لِمِمّا يشرفني ويسعدني أن تأتي طلبًا لخدمات جريدتي للمرة الثانية. وممّا يؤسفني كثيرًا أن أخسر زبون بسبب خطأ ارتكبته".

لم ينطق كارفر بكلمة. ولم يخلع قبعته، ولم يصدر عنه ما يدلّ على أنه قد يخلعها.

لم يَهَاب الصحفي غطسة كارفر. وابتسم بابتهاج قائلاً: "دعنا من الماضي يا سيد ويلز؛ ولنتحدث عن الحاضر! أخبرني من فضلك بما تريده".

وأخيرًا أظلم وجه كارفر بظلّ من الضيق. وصحّح للوينثال: "كارفر. اسمي ليس ويلز".

عقد لوينثال أصابعه معًا برضا. كان أول أصبعين في يده اليمنى مصبوغتين بالحبر، وحين يشبك أصابعه يظهر شكل مُخطّط مثير للدهشة... كأنّ اليدين لمخلوقين مختلفين، أحدهما أسود، والآخر منافق.

وقال لوينثال: "ربما تخونني ذاكرتي، لكنني أشعر أنّي أتذكرك بوضوح. لقد كنت هنا منذ قرابة العام، أليس كذلك؟ وبحوزتك شهادة ميلاد. ونشرت إعلانًا عن صندوق شحن مفقود... وعرضت مكافأة مقابل إعادته. وحدث بعض الخلط فيما يتعلق باسمك، على ما أتذكر. فقد ارتكبت خطأ في الطباعة -وحذفت اسمك الأوسط- وقد عُدتّ

لي في صباح اليوم التالي، لتلفت نظري للخطأ. أظن أن شهادة ميلادك تقول إن اسمك كروسبي فرانسيس ويلز. هل أنا أخلط بينك وبين رجل آخر؟".

ومرة أخرى لم يجبه كارفر.

وأضاف لوينثال بعد لحظة: "يقولون عني أنني أمتع بذاكرة قوية".

كان يخاطر بالتحدث بوقاحة... لكنه فكر أن هذا ربما يثير اهتمام كارفر. ظلّت تعبيرات وجهه هادئة. وانتظر أن يتحدث ضيفه.

علم لوينثال أن كارفر يقيم في فندق بالاس، ومن هناك أدار الأعمال المثيرة للحنن المتعلقة بجلب حطام جودسبيد إلى الشاطئ. وهو بالتأكيد أمر يحتاج في إدارته للخداع والتزام الكثير من المحاذير، خاصة إذا أراد كارفر أن يخفي رجل مقتول على متن السفينة الغارقة. لكن وبشهادة الجميع -من فيهم توماس بالفور وكيل الشحن- فإن كارفر قام بتقديم جميع التسهيلات التي يحتاجها الأمر. قدّم طلباً لرئيس الميناء لحجز مساحة لتخزين حمولته. وقابل مندوبين من جميع شركات الشحن في هوكتيكا، بغرض تسوية حساباتهم؛ وجدف بنفسه حتى الحطام مرات عدة، مصطحباً معه نجّاري السفن، وتجار البضائع الغارقة، وغيرهم.

قال كارفر أخيراً: "اسمي ليس ويلز. قمت بذلك الأمر بالنيابة عن أحدهم. أما الآن فالأمر لا يهم".

قال لوينثال بنعومة: "عُذراً. إذن فالسيد كروسبي ويلز قد ضاع منه صندوق شحن... وكنتّ تساعده في استعادته".

مرّت لحظة صمت، ثم: "نعم".

"حسنًا، أتمنى أن تكون قد وُفِّقَ في سعيك! وهل عاد إليه الصندوق في نهاية الأمر؟".

حرّك كارفر رأسه بضيق وقال: "الأمر لا يهم، أخبرتك بذلك".
قال لوينثال: "إذن سأكون مُقَصِّرًا إن لم أقدم تعازيَّ إليك يا سيد
كارفر".

تمعّن فيه كارفر.

أكمل لوينثال حديثه: "أحزنني كثيرًا خبر وفاة السيد ويلز. لم أحظّ
بشرف مقابلته، لكن الجميع أجمع على أنه كان مواطنًا شريفًا. أوه
-أتمنى لو أُنِي لستُ أوّل مَنْ يحمل إليك الخبر- لقد توفي صديقك".

مرة أخرى قال كارفر: "لا".

"أنا سعيد لذلك. كيف تعرّفتما ببعض؟".

وعاد ظلّ الضيق. "أصدقاء قدامى".

"من ديوندن؟ أم من قبلها؟".

لم يبدُ على كارفر أنه سيجيب، فاستطرد لوينثال، "حسنًا، أتوقّع
أنه من دواعي ارتياحك، أن تعلم أنه مات في سلام".

التوى فم كارفر، وبعد برهة انفجر: "ما معنى 'في سلام'؟".

"أن نموت ونحن نيام... في بيوتنا. أظن أن هذا أفضل ما يمكن
أن نتمنّاه جميعًا". وأحسّ لوينثال أنه حقّق بعض التقدم. فأضاف:
"رغم أنه -للأسف الشديد- لم تكن زوجته بجانبه وقت وفاته".

هزّ كارفر كتفيه. أيّا ما تسبّب في انفجاره المفاجئ، بدا وكأنه تمّ
إخماده بشكل مفاجئ. وقال: "الزواج شأن خاص بالمرء".

قال لوينثال: "أتّفق معك تمامًا". وابتسم. "هل لك معرفة بالسيدة
ويلز؟".

صدرت عن كارفر همهمة مبهمّة.

واستطرد لوينثال، غيرَ هيَّاب: "لقد سعدت بمقابلتها، لوقت وجيز. أنا أنوي الذهاب إلى الواي فيرر فورتشن هذا المساء، كمتشكِّك بالطبع، لكن مستعدٌّ لتقبُّل الاختلاف. أأتوقَّع أن أراك هناك؟".

قال كارفر: "لا، لا تتوقع ذلك".

"ربما تشك في جلسات تحضير الأرواح أكثر مني!".

قال كارفر: "ليس لدي رأي عن جلسات تحضير الأرواح. قد أذهب وقد لا أذهب".

بدأ الوهن يصيب مناورات لوينثال الكلامية. "على أي حال، أتوقع أن السيدة ويلز قد رجَّبت بعودتك لهوكتيكا بمنتهى السرور. نعم، أنا متأكد أنها سعدت كثيرًا حين سمعت بعودتك".

بدا كارفر متضايقًا علانية الآن. وقال: "لماذا؟".

قال لوينثال: "لماذا؟ بسبب كل الصخب الدائر حول ممتلكاته! لأن الإجراءات القانونية تأجَّلت لحين الحصول على شهادة ميلاد ويلز! حيث لم يتمكنوا من العثور عليها!".

خرج صوت لوينثال مرتفعًا أكثر ممَّا أراد، وساوره القلق من أنه تصرف بثقة أكثر من اللازم. ما قاله كان صحيحًا تمامًا، كما أنه كان معروفًا للجميع: فالتماس السيدة ويلز ببطلان بيع ممتلكات زوجها لم يُعرَض على القاضي للبتِّ فيه لأنه لم يتم العثور على أي أدلة مستندات تخصُّ الراحل وثبتت هويته الحقيقية. لقد وصلت ليديا ويلز إلى هوكتيكا بعد دفن زوجها الراحل بأيام؛ وبالتالي لم تتعرف على جثته، ولتعذُّر استخراج جثته (وقد اعتذر القاضي للأرملة عن ذلك) بدا الأمر كأنه ليس هناك من سبيل لإثبات أن الناسك الذي توفي في وادي الأراهورا والسيد كروسبي ويلز الموقَّع على وثيقة الزواج من السيدة ويلز هما نفس الشخص. ونظرًا لضخامة التركة المتنازع

عليها؛ قرّر القاضي أنه من الحكمة تأجيل نظر المحكمة للأمر حتى يتم التوصل إلى دليل أكثر قطعياً... ومُنْتَهَى اللطف شكرت السيدة ويلز القاضي فور نطقه بهذا الحكم. وأكّدت للقاضي أنها قادرة على الصبر بأفضل ما تستطيعه الأنثى، وأنها ستنتظر سداد هذا الدين لها (وهذا تصوّرها عن الميراث).

لكن كارفر لم يغضب؛ ظلّ ينظر إلى المحرر من رأسه إلى قدميه، ثم قال، بصوت من اللا مبالة الفظة: "أريد أن أنشر إعلاناً في التايمز". قال لوينثال: "نعم، بالطبع". وتسارعت دقات قلبه. وشدّ ورقة ناحيته قائلاً: "ما الذي ترغب في بيعه؟".

أوضح له كارفر أن هيكل جودسبيد سيتم تفكيكه في القريب العاجل، وقبل القيام بذلك، فهو يرغب في بيع أجزاء السفينة في مزاد يعقد يوم الجمعة، سيتم عقد المزاد برعاية جلاسون ورولي لخدمات الإنقاذ. تحدث كارفر بمنتهى الاختصار. لن يتم بيع أي جزء من السفينة قبل المزاد. ولن يتم منح امتيازات، ولن يتم تلقي أو إرسال مراسلات. جميع الاستفسارات يتم إرسالها بالبريد، باسم السيد فرانسيس كارفر، بفندق بالاس.

قال لوينثال: "أنا أسجل بحرص. هذه المرة سوف لن أرتكب خطأ حذف أي جزء من اسمك! بالمناسبة... هل لك صلة قرابة بكروسبي؟". التوى فم كارفر مرة أخرى. "لا".

أوماً لوينثال قائلاً: "إن فرانسيس اسم شائع جداً". كان يخطُ اسم فندق كارفر، ولم يرفع عينيه لعدّة ثوانٍ؛ وحين رفعهما، وجد وجه كارفر وقد ازداد تجهماً.

سأله كارفر: "ما اسمك؟"، مؤكِّدًا على حقيقة أنه لم يهتم باستخدام الاسم من قبل. وحين أجابه لوينثال، أومأ ببطء كأنه يحفظ الاسم جيدًا. ثم قال: "أغلق فمك القذر".

صدم لوينثال. واستلم مقابل الإعلان وكتب لكارفر الإيصال في صمت... يخطُّ الكلمات ببطء شديد وحرص، وبيدٍ ثابتة. كانت هذه هي المرة الأولى التي يتم فيها إهانته في مكتبه الخاص، ومن صدمته لم يستطع أن يرد على الفور. شعر بحماسٍ يتجمّع داخله؛ كضغط؛ كصوت صاخب بالابتهاج. لوينثال من طراز الرجال الذين يصبحون مقاتلين حين يتمُّ إهانتهم. أحسَّ في صدره بحماس حربي، واثق من النصر، وسعيد، كأن الدعوة التي طال انتظارها لحمل السلاح قد انطلقت أخيرًا في مكان قريب، وأحسَّ بمفرده برنينها المتفرد، يقرع طبول الحرب في قفصه الصدري، وفي دمه.

أخذ كارفر الإيصال والتفت مغادرًا دون أن يشكر لوينثال أو حتى يودعه... وهي قلّة ذوق أطلقت موجة من الغضب داخل صدر لوينثال: فلم يُعدّ يقدر على السيطرة على نفسه. وانفجر، "ستدفع ثمن ما فعلته، كم أنت جريء لقدومك هنا ثانية!".

توقّف كارفر، ويده تمسك بمقبض الباب.

قال لوينثال: "بعد ما فعلته لآنا، لعلمك الخاص، أنا من عثر عليها. غارقة في دمها. ليست هذه طريقة تعامل بها امرأة. أيّا كانت هذه المرأة. ليست هذه طريقة تعامل بها امرأة... خاصة وهي حامل، وعلى وشك الولادة".

لم يجبه كارفر.

شعر لوينثال بغضبه يتزايد لحدّ الهياج. "كِدَت تقتلها هي الأخرى. أتعلم هذا؟ أتعلم كيف بدت؟ هل رأيته وكدماتها تزول

مع الوقت؟ هل تعلم أنها اضطررت لاستخدام عصا لمدة أسبوعين؟
تستند عليها حتى تتمكن من المشي! أعلمت بهذا؟".

نطق كارفر أخيراً وقال: "إنها متورطة في الأمر".

كاد لوينثال يضحك. "وماذا فعلت... هل تركتك في بركة من الدماء؟
هل لكمتك حتى فقدت الوعي؟ ماذا يقول المثل... العين بالعين؟".
"أنا لم أقل هذا".

كان لوينثال يكاد يصرخ. "هل قامت بقتل طفلك؟ هل قامت
بقتل طفلك... فقتلت أنت في المقابل طفلها؟ انطقي يا رجل! انطقي!".
ظل كارفر لا مبالياً. "أعني أنها ليست فتاة بريئة".

"فتاة بريئة! أظن أنك ستخبرني الآن أنها السبب... وأنها تستحق
ما فعلته بها!".

قال كارفر: "نعم، لقد تلقت جزاءها".

رفع لوينثال إصبعه المصبوغة بالحبر في وجه كارفر قائلاً: "ليس
لديك الكثير من الأصدقاء في هوكتيكا يا سيد كارفر. قد تكون أنا
ويذريل مجرد عاهرة لكنها لها مكانتها الخاصة عند الكثير من
الرجال في هذه المدينة، أكثر مما تظن، وسواء كنت مُسلحاً أم لا،
عليك أن لا تنسى ذلك. دعني أحذرك، إذا أصابها أي أذى...".

قال كارفر: "لن يصيبها أذى على يدي. لم يعد لي شأن بها. لقد
سوَّيتُ حسابي معها".

بصق لوينثال على الأرض. "حسابك! أتقصد الطفل؟ طفلك الميت...
قبل أن يلتقط أول أنفاسه! أهذا هو حسابك!".

فجأة نظر إليه كارفر بوجه منبسط، كأنه يكاد يضحك.

"طفلي؟".

صاح لوينثال: "سأخبرك، رغم أنك لم تسأل. لقد مات طفلك. أتسمع؟ لقد مات طفلك... قبل أن يلتقط أوّل أنفاسه! وعلى يديك!".

ضحك كارفر بخشونة، كأنها يُخرج شيئاً محشوراً في حلقه. وقال: "هذه العاهرة لم تحمل مني. مَنْ أخبرك بذلك؟".

أحسّ لوينثال لأول مرة بهزّة من الخوف. وقال: "أخبرتني أنا بذلك، هل تنكره؟".

ضحك كارفر مرة أخرى وقال: "أنا لن ألمس هذه الفتاة ولا حتى بعضا المركب". وانصرف، قبل أن يردّ عليه لوينثال.

الشمس في برج الدلو

والذي فيه يقوم سووك يونج شينج بزيارة أخرى غير متوقعة، وتتلقى ليديا ويلز نبوءة وشيكة الحدوث، وتجد أنا نفسها بمفردها.

لم تذهب أنا ويذريل لزيارة وكر الأفيون في كانير منذ عصر يوم الرابع عشر من يناير. ونصف أوقية عجينة الأفيون التي أهداها إليها سووك يونج شينج يومها لم تكن لتصمد أكثر من أسبوعين، بمعدل الاستهلاك المعتاد لانا. لكن الآن فقد مرّ أكثر من شهر، ولم تعد أنا ثانية لكانير، لا طلبًا لغليون أفيون تشاركه مع رفيقها القديم، ولا لتجدّد مخزونها... ولم يجد أه سووك أي تفسير معقول لغيابها.

افتقد المنعزل زيارات العاهرة بشدة. وانتظر عصر كل يوم، بلهفة، أن تظهر على حافة المنطقة الخالية خلف حدود الحي الصيني في كانير، بقبعتها متدلية على ظهرها، وخاب أمله كل يوم. وفكر أنها

ربما تكون قد قرَّرت التوقف عن تعاطي الأفيون، إمَّا هذا، وإمَّا أنها قررت الحصول على المخدر من الكيميائي مباشرة. ومن المفترض أن يكون الخيار الأخير هو الأكثر إيلاَمًا لأه سووك؛ لأنه لا يزال يشك أن جوزيف بريتشارد له دور في جرعة أنا الزائدة ليلة الرابع عشر من يناير، فهو لا يزال يعتقد أن بريتشارد قد حاول لسبب ما أن يقتل أنا، رغم العديد من التأكيدات على عكس ذلك. لكن في الحقيقة فإن الخيار الأول كان هو الأصعب احتمالًا بالنسبة لأه سووك. فهو ببساطة لم يستطع تصديق -و لم يرغب في تصديق- أن أنا قد استطاعت أن تخلص نفسها، للأبد، من إدمانها.

كان أه سووك مُغرَمًا جدًّا بآنا، ويعتقد أنها مغرمة به. ويعلم، أيضًا، أن العلاقة الخاصة التي جمعت بينهما قد جمعت بينهما كافرين كل بمعزل عن الآخر، وليس كشخصين بصحبة بعضهما... فليس هناك علاقة أشد خصوصية من علاقة المدمن بمخدره، وكلاهما أحسَّ بتلك العزلة بشدة. لقد كره أه سووك خضوعه للأفيون، وكلما زاد كرهه، كلما اشتد شوقه للمخدر، واتَّخذ هذا الكره شكلًا مشمئزًّا في قلبه، وفي عقله. كرهت أنا هي الأخرى إدمانها. وكرهته أكثر حين بدأ الحمل يظهر عليها، وبدأ عملها في هوكتيكا يقلُّ تدريجيًّا، ومرت عليها أيام وأسابيع، تقضي ليلها مع الدخان، حتى طلوع الشمس، وحيدة في مساحة واسعة من الزمن، تستدقُّ عند الحواف ويغلفها الضباب، حتى مات الطفل، واكتسى إدمان أنا بياسٍ لم يحاول حتى أه سووك أن يفهمه. لم يعرف كيف مات الطفل، ولم يسأل.

لم يتحدثا في وكر كانيير، لم يتحدثا بالمرة... لم يتحدثا وهما يشعلان المصباح، ولم يتحدثا وهما يجلسان في استرخاء في انتظار ذوبان عجينة الأفيون وتساعد فقاقيعها في وعائها. أحيانًا كانت أنا تملأ غليون أه سووك أولًا، وتمسكه له ليسحب أنفاس الأفيون لجوفه، وينفثها، وينطلق بعيدًا... ليستيقظ لاحقًا ويجدها ممدَّدةً بجانبه طرية وندية،

وشعرها المبتل ملتصق بوجنتها. من الضروري لإشعال الغليون ألا يتم التفوه بكلمة، وسعد هـ سووك أنهما اتفقا على هذا دون طلب أو تفاوض. وتماماً كما الرباط الزوجي، لا يصحُّ التحدث عنه علانية لأسباب بعضها مقدّس وبعضها غير مقدّس. هكذا كانت طقوس الغليون بالنسبة ل كليهما، طقوس مكللة بالخزى ولا يصح الحديث عنها، وهي بنفس القدر طقوسٌ سماوية مثيرة للنشوة، حيث تكمن قدسيّتها في ابتذالها، ويصل ابتذالها إلى حدّ القداسة. وكم هي جليّة متعة الانتظار في صمت حتى تنصهر العجينة؛ كم هي فريدة متعة الاشتياق إليه، بخجل، وانهار، وحين تصل رائحته الحلوة لأنفك؛ وتسحب الإبرة عبر السائ الكثيف؛ وتطفئ اللهب، وترقد، وتأخذ الدخان لداخل جسدك، وتحسّ به، يسرع بشكل مذهل، حتى يصل إلى أطراف الجسد، إلى أصابع اليد، وأصابع القدمين، وأعلى الرأس! كم كان يرمقها برقّة، حين يستيقظان.

في عصر يوم جلسة تحضير الأرواح (الذي وافق يوم الأحد، وهو توقيت مستفزٌ للغاية من جانب الأمّلة، وهي على علم تام بذلك) جلس أه سووك في رقعة الشمس المستطيلة الآتية من مدخل كوخه، ينظف بطن غليون الأفيون الخاص به، ويهمهم من بين أسنانه، ويفكر في أنا. ظل منشغلاً بهذا قرابة الساعة، وقد صار الغليون نظيفاً منذ وقت طويل. فلم يعد سكينه يخرج حاملاً المسحوق الأحمر الذي يتخلف عند احتراق صمغ الأفيون، وأصبح التجويف الطويل خاليًا. لكن تكرار الحركة تناغم مع تكرار أفكاره. ومنحه إحساسًا بالطمأنينة.

"ما الذي حدث مع أه كيي؟".

مكتبة

t.me/soramnqraa

سأل تونج وي، الرجل حليق الوجه ذو الثلاثين عامًا، الذي وقف يراقبه من المنطقة الخالية. لم يرد أه سووك. فقد أقسم ألا يتحدث بما جرى في اجتماع فندق كراون، ولا بما جرى قبله، لأي شخص.

وألحّ الفتى، "هل تعرّض للسرقّة؟" ظلّ أه سووك صامتًا، ففقد تونج وي الأمل، وقتمم معبرًا عن سخطه، وانسحب باتجاه النهر.

وجلس أه سووك في سكون لفترة طويلة بعد انصراف الفتى، ثم فجأة اعتدل في جلسته، ونطق بقسم، ثم طوى سكينه. إنه لجحيمٌ مقيم أن يمضي أيامه في انتظارها، وفي التفكير فيها، وفي الاندهاش من أمرها. لن يتحمل هذا بعد الآن. سيذهب إلى هوكتيكا اليوم، ويطلب لقاءها. سيذهب على الفور. وجمع غليونه وأدواته، ووقف، ودخل ليجلب معطفه.

لم يفهم أه سووك سوى جزء ممّا تم نقاشه في غرفة التدخين في فندق كراون منذ ثلاثة أسابيع مضت. ولم يساعده ابن بلده في هذا الصدد. فإنجليزية أه كيي أسوأ من إنجليزيتة هو، ولم يساعده أي من الرجال الآخرين، الذين ينفذ صبرهم سريعًا من أي طلب للمزيد من الإيضاح يطلبه الصينيون. واتّسم حديث بالفور بالسرعة وبلهجة شاعرية صعبة الفهم على أذن أجنبية، وقد غادر كلّ من أه سووك وأه كيي الكراون بفهم محدود لكل ما تمّت مناقشته.

ونقاط الجهل الأساسية هي الآتي: لم يعرف أه سووك أن أنا تركت فندق جريديرون وانتقلت إلى الإقامة مع ليديا ويلز. لم يعرف أيضًا أن فرانسيس كارفر هو قبطان السفينة جودسبيد، السفينة التي غرقت على حاجز هوكتيكا القاري. فحين انفضّ اجتماع الكراون، بعد انتصاف الليل بقليل، لم يلحق أه سووك ببقية الرجال الذين ذهبوا إلى لسان هوكتيكا الرملي ليلقوا نظرة على الحطام؛ فهو لا يهتم بحوادث السفن، ولا يحب أن يظل في شوارع هوكتيكا بعد حلول الظلام. فعاد

إلى كانيير وظل فيها حتى يومنا هذا. ونتيجة لذلك؛ ظلّ يعتقد أن فرانسيس كارفر قد غادر البلاد متّجهاً إلى جوانج دونج منذ أكثر من شهر ولن يعود إلى هوكتيكا قريباً. وتوماس بالفور، الذي نسي أنه نقل هذه المعلومة المغلوطة لأه سووك، لم يفكر أن يصحّحها له.

حين دقّت الأجراس مُعلنة الساعة الثالثة والنصف، صعد أه سووك سلام شرفة فندق جريديرون، وعند مكتب الاستقبال، طلب مقابلة آنا ويذريل، ناطقاً اسمها بإجلالٍ ورضا، وكأنها لقاءه بها قد تم التخطيط له منذ شهور. وقدّم شِلْناً ليُظهر استعداده أن يدفع ليحظى بشرف محادثة العاهرة، ثم انحنى بمنتهى الاحترام. وقد تذكر إدجار كلينش من الاجتماع السري، وقد أحسّ، وقتها، أنه رجل مهذب وعاقِل.

أمّا كلينش، فلم يفعل شيئاً سوى أن هزّ رأسه. مشيراً، أكثر من مرة، إلى الواي فيرر فورتشن، الذي تمّ غسله حديثاً، على الناحية المقابلة من شارع ريفل، ونطق بعض كلمات؛ وحين لم يفهمه أه سووك، أمره بالخروج، وأشار للفندق المقابل، وشرح له، بصورة أبطأ، أن أنا الآن تقيم هناك. وأخيراً، لمح أه سووك حركة في النافذة الأمامية من المبنى، وأدرك أن الصورة المتحركة خلف الزجاج هي آنا؛ انحنى مرة أخرى، برضا، لكلينش، واستعاد شلنه من راحة يده، ووضعه في جيبه. ثم عبر الشارع، وصعد سلام شرفة الواي فيرر، وطرق الباب بقوة.

لا بُدَّ أن آنا كانت في الردهة، لأنها فتحت الباب في غضون ثوانٍ. وبدت، كعادتها مؤخراً، في الهيئة المشتّتة لخدمة، مليئة بالضيق والاستنكار، ويدها ممسكة بإطار الباب استعداداً لغلظه على الفور. (فعلى مدار الثلاثة أسابيع الماضية تلقّت العديد من الزوار العابرين، معظمهم منقّبون محزونون، يفتقدون وجودها في دست آند ناجت في الأمسيات. ويترجّونها أن تسمح لهم بدعوتها لتناول كأس من الشمبانيا،

أو البراندي، أو كأس صغيرة من البيرة، ولتجاذب أطراف الحديث في إحدى الحانات حسنة الإضاءة في شارع ريفل... لكنّ رجاءهم كان بلا جدوى، فآنا كانت فقط تهزّ رأسها، ثم تُغلق الباب). حين رأت الواقف على العتبة، فتحت الباب على مصراعيه، وندت عنها آهة اندهاش.

اندهش أه سووك بدوره؛ ووقف محدّقًا فيها في صمت. فبعد أسابيع عديدة استدعى فيها صورتها إلى عقله... ها هي ذي واقفة أمامه! هل حقًا تغيّرت لهذه الدرجة؟ أم أن ذاكرته تخونه، لأنها بدت في وقفها على الباب كامرأة مختلفة تمامًا عن تلك التي أمضى معها العديد من ساعات العصر المترفة، مع ضوء الشتاء البارد الذي يأتي مائلًا من الشباك، والدخان الذي يلفّ جسديهما في دوامات. كان فستانها جديدًا، أسود اللون، بسيطًا للغاية. لكن الأمر ليس مجرد فستان جديد. إنها امرأة مختلفة تمامًا.

كانت منتبهة، وعلى وجنتيها بريق جديد، وعيناها أكثر لمعانًا، واتساعًا، ويقظة. اختفى الاستياء التي اتّسمت به حركاتها، اختفت الغلالة الحاملة التي طالما غطّت ملامحها، كحجاب من القماش الشفاف. اختفت شبه الابتسامة الغامضة، وارتعاش زاوية فمها، والحيرة الخائفة... كأنها اطلّعت على أمر يثير ارتباكها، ولا يعرفه غيرها. وفي اللحظة التالية، أفسح اندهاش أه سووك المجال للمرارة. إذن فالأمر صحيح. لقد خلّصت أنا نفسها من تئين الأفيون. لقد شفت نفسها... في حين ظلّ هو يحاول لعقد من الزمان أن يقوم بما فعلته، وظلّ عبدًا لهذا الكائن عديم الهيئة.

أمسكت يد آنا بإطار الباب، كأنها تستند عليه. وهمست قائلة: "لا يمكنك الدخول... لا يمكنك الدخول يا أه سووك".

انتظر أه سووك لحظة قبل أن ينحني، لأنه يشق بانطباعه الأول، ويريد له أن يدوم. كانت أنحف كثيراً مما يتذكر، فقد برزت عظام رسغها، وغارت وجنتاها.

قال: "مساء الخير".

همست أنا: "ماذا تريد؟ مساء الخير. أنا لا أتعاطى الأفيون الآن. أتعرف ذلك؟".

نظر إليها.

وأضافت، كأنها لتقنعه: "ثلاثة أسابيع. لم أدخن غليوناً منذ ثلاثة أسابيع".

قال أه سووك: "كيف؟".

هزّت رأسها. "عليك أن تتفهم، أنا لم أعد كما كنت".

قال أه سووك: "لَمْ لَمْ تأتي إلى كانبير ثانية؟". لم يعرف كيف يخبرها أنه يفتقدها؛ وأنه وقت العصر قبل وصولها كان يرتب المساند على الأريكة، ويرتب أشياءه، ويتأكد من أن ملابسه مهندمة وأن ضفيرته مربوطة؛ وأنه كثيراً ما كاد يختنق بالسعادة وهو يتأملها في رقدتها بجانبه؛ وأنه أحياناً ما مدّ يده وحركها فوق صدرها بمسافة بوصة كأنه يشعر بنعومة بشرتها في هذا الفراغ المسكون بالدخان بين بشرته وبشرتها؛ وأنه أحياناً بعد أن تدخن غليونها كان ينتظر بعض الوقت قبل أن يدخن غليونه، حتى يمكنه أن ينظر إليها، ويثبت صورتها في عقله، ليتذكرها دائماً.

قالت أنا: "لا أستطيع أن آتي لزيارتك بعد الآن. لا يجب عليك أن تظل هنا، لا يمكنني القدوم".

تمعّن فيها أه سووك بحزن. "لن تدخني بعد الآن؟".

قالت أنا: "لا، لن أدخن، ولن أذهب لكانبير بعد الآن".

"لا أستطيع أن أشرح لك هنا. لقد توقفتُ يا أه سووك، توقفتُ تمامًا".

"ليس لديك مال؟"، قالها أه سووك، محاولاً أن يفهم. فهو يعلم أن أنا تزرع تحت دَينٍ ضخم. فهي تدين بمبلغ ضخم لديك مانرينج، والدَّين يتراكم كل يوم. ربما لم يُعَد لديها مال لتشتري المخدر. أو ربما لم يُعَد لديها وقت لتأتي وتأخذه.

قالت أنا: "الأمر لا يتعلق بالمال".

في هذه اللحظة أتى من داخل المنزل صوت أنثوي منادياً على أنا، وبنبرة من التلطف الخالي من الصبر، طالب الصوت بمعرفة اسم وغرض من الباب.

أدارت أنا ذقنها دون أن ترفع عينيها من وجه أه سووك. وصاحت: "إنه رجل صيني أعرفه، ليس الأمر مهماً".

"حسنًا، ما الذي يريده؟".

صاحت أنا مرة أخرى: "لا شيء، إنه فقط يريد أن يبيع شيئاً".

وساد الصمت.

قال أه سووك: "أنا أحضره إليك هنا"، وثنى أصابعه وضمَّ راحتيه معاً وقدمهما إليها، في إشارة لأنه مستعدُّ أن يحضر لها المخدر بنفسه. همست أنا: "لا، لا يمكنك أن تفعل هذا. سيكون هذا بلا فائدة، أنا فقط... إن الأمر... أنا لا أستطيع أن أحسَّ به بعد الآن".

لم يفهم أه سووك ما قالت. وقال: "القطعة الأخيرة". يقصد الأوقية التي أهداها لها عصر اليوم الذي كادت تموت فيه.

"القطعة الأخيرة، غير محظوظة؟".

"لا"، بدأت أنا الحديث، لكن قبل أن تستطيع استكمال ما تقوله أتى صوت خطوات أقدام سريعة في الممر، وفي اللحظة التالية ظهرت امرأة أخرى بجانب أنا.

وقالت: "مساء الخير. ماذا تبيع؟ سأتولى أنا الأمر يا أنا". وعلى الفور انكمشت أنا للخلف.

أه سووك هو الآخر عاد خطوة إلى الوراء... في ذهول وليس في خضوع، فهذه هي المرة الأولى التي يرى فيها ليديا جرينواي منذ قرابة الثلاثة عشر عامًا. متى كانت آخر مرة وقعت عيناه عليها؟ كانت في محكمة سيدني، حيث جلست في قاعة المحكمة، وهو في قفص الاتهام؛ تحرك أمام وجهها المحمرّ مروحة مُطرّزة من خشب الصندل الذي تسللت رائحته إليه، وأعادته الرائحة، في هجوم من المشاعر، إلى مخزن عائلته على ساحل البحر في جوانجزو، حيث الصناديق المصنوعة من خشب الصندل التي يعبئ فيها التجار لقات الحرير، قبل الحرب. ارتدت في المحكمة -وهو يتذكر ذلك بكل وضوح- فستانًا أخضر فاتحًا؛ واحتفظت بتعبير وقور على وجهها، طيلة المحاكمة. وحين أدلت بشهادتها، أدلت بها باختصار وإيجاز. ولم يفهم منها أه سووك كلمة، لم يفهم إلا حين أشارت مباشرة إليه، بقصد أن تتعرّف عليه أمام المحكمة. وحين صدر الحكم ببراءة أه سووك من تهمة القتل لم يظهر عليها أي شيء، كل ما فعلته هو أن نهضت في صمت، وتركت قاعة المحكمة دون أن تلقي بنظرة خلفها. مرّت أكثر من اثني عشر عامًا على هذا اليوم! أكثر من اثني عشر عامًا... وها هي ذي حاضرة بشكل مخيف، وبشكل مخيف لم تتغير! شعرها الأحمر يلمع كما كان؛ وبشرتها نضرة، وبالكاد تظهر خطوط الزمن على وجهها. كانت ممتلئة ومكتنزة، بقدر ما كانت أنا نحيلة وهزيلة.

وفي اللحظة التالية، انفكَّت أسارير ليديا -على غير عادتها؛ فتعبيرات وجهها دائماً مرسومة ببراعة، ولا تحب أن يظهر عليها الدهشة- واتَّسَعَتْ عيناها.

وقالت بنبرة مندهشة: "أنا أعرف هذا الرجل". ورفعت يدها إلى حلقها. "أنا أعرفه".

نظرت أنا إلى ليديا، ثم إلى أه سووك، ثم إلى ليديا ثانية. وقالت: "كيف؟ أنت لم تذهبي لكانير!".

اكتست شفة أه سووك العليا بالعَرَق. ولم ينبس بحرف، واكتفى بالانحناء؛ ربما ظنوا أنه لم يفهمهم. والتفت لآنا ثانية، فقد أحسَّ أنه إن طال التقاء عينيه بعيني ليديا للحظة إضافية فستتذكَّر أين تقابلاً. ظلَّ يراها بجانب عينه تنظر إليه.

كانت أنا بدورها مقطَّبة، وقالت للسيدة ويلز: "ربما تخلطين بينه وبين رجل آخر. فمن الصعب غالباً التمييز بين الصينيين".

قالت السيدة ويلز: "نعم، ربما". لكنها ظلت تحدِّق في أه سووك. لم يستطع أن يعرف هل تعرَّفت عليه أم لا. وشرح بفكره في شيء يقوله لآنا، لكن عقله كان كصفحة بيضاء.

"ماذا تريد يا أه سووك؟"، لم تَقُلْها أنا بقسوة، بل باشتياق؛ وظهرت في عينيها نظرة متوسِّلة يشوبها الخوف.

قالت المرأة الأكبر سنّاً بسرعة: "بما نادَيْتِه؟".

قالت أنا: "أه سووك، إنها تعني على ما أعتقد السيد سووك. إنه تاجر الأفيون في كانير".

احتدَّت نظرتها فوراً: "آه! الأفيون!", إذن فقد عرَفته. قد تذكَّرته. فغيَّر أه سووك طريقته في الحال. والتفت لآنا وأعلن، "أنا أشتريكِ بأعلى سعر".

وضحكت الأرملة.

احمرَّ وجه أنا بشدة وقالت: "آه، ليس بإمكانك هذا. أظن أن أحدًا لم يخبرك. لقد تركت مهنة الدعارة. أنا لست عاهرةً الآن. ليس هناك بيع، أنا لست للبيع".

قال أه سووك: "وماذا أنت الآن؟".

قالت السيدة ويلز: "الآنسة ويذريل هي مساعدتي". لكن أه سووك لا يعرف هذه الكلمة. "إنها تعيش هنا الآن".

رددت أنا وراءها: "أنا أعيش هنا الآن. ولا أتعاطى الأفيون بعد الآن. أفهم؟ لن أدخن بعد الآن. لقد... لقد تخلّيت عنه".
وذهل أه سووك.

قالت أنا: "حسنًا، مع السلامة. شكرًا لمجيئك".

فجأة انطلق رسغ السيدة ويلز وأمسكت معصم أه سووك بيدها البيضاء، وضغطت عليه بقوة. وقالت: "يجب أن تحضر جلسة تحضير الأرواح هذا المساء".

قالت أنا: "إنه لا يملك تذكرة".

تجاهلتها السيدة ويلز، وقالت: "حضور شرقي، إنه ما نحتاجه بالضبط! أخبريني باسمه ثانية!".

قالت أنا: "أه سووك".

قالت السيدة ويلز، "آه، نعم. فكّري بالأمر، حضور شرقي في جلسة تحضير الأرواح".

قالت أنا بشك: "هل تحضير الأرواح ممارسة شرقية؟".

لم يفهم أه سووك كلمة جلسة تحضير الأرواح... لكنه فهم كلمة شرقي، وخمّن أنه موضوع نقاشهم، والسبب في نظرة الطمع التي

بدت فجأة على وجه ليديا. أذهله أنها تقريبًا لم تتغير على مدى عقد من الزمان، بينما أنا، في غضون شهر واحد، قد تغيّرت كليّةً. ونظر إلى يدها الملفوفة بإحكام حول معصمه، وتفاجأ برؤية خاتم من الذهب حول إصبعها.

أشار إلى الخاتم وقال: "السيدة كارفر؟".

اتسعت ابتسامة المرأة، وقالت لآنا: "أرى فيه لمسة من القدرة على التنبؤ. أليس هذا عظيمًا؟".

سألت آنا أه سووك، بتجهّم: "ماذا تقصد بالسيدة كارفر؟".

قال أه سووك: "زوجة كارفر". ولم تفهم آنا مقصده.

قالت آنا: "إنه يظن أنك زوجة كارفر".

قالت السيدة ويلز: "إنه يخمّن"، وقالت لأه سووك: "أنا لست السيدة كارفر. زوجي ميت. أنا أرملة الآن".

"لستِ السيدة كارفر؟".

"أنا السيدة ويلز".

اتسعت عينا أه سووك. وردّد: "السيدة ويلز".

قالت الأرملة لآنا، مثثرةً: "إنه من الجيد أن إنجليزيتيه محدودة. بهذه الطريقة لن يتشّئت. ولن يهتَزَّ ائزانه. كم هو وسيم! أظن أن وجوده سيفيدنا كثيرًا".

قالت آنا: "إنه يعرف كارفر".

قالت السيدة ويلز بنبرة مبتهجة: "لا شك في هذا. القبطان كارفر لديه علاقات مع الكثير من الشرقيين. وربما أجريا بعض التعاملات معًا هنا في هوكتيكا. تعال إلى حجرة الاستقبال يا أه سووك". وأحكمت

قبضتها على ذراعه. "تعال. امكث قليلاً. لا تتصرف كالأطفال؛ أنا لن أؤذيك! ادخل".

قال أه سووك: "فرانسييس كارفر... في جوانج دونج؟".

أخطأت السيدة ويلز فهم سؤال أه سووك على أنه جملة تصريحية. "نعم؛ أو في كانتون، هناك احتمال كبير. فقد أقام كابتن كارفر في كانتون. أقام هناك لسنوات كثيرة. تعال إلى غرفة الاستقبال". وقادت أه سووك إلى غرفة الاستقبال، مشيرة إلى أبعد ركن في الغرفة. وقالت: "ستجلس على وسادة... هناك. ستراقب الوجوه المحيطة بك، وتضيف على جلستنا الغامضة لتحضير الأرواح جواً من البصيرة اللطيفة. سنطلق عليك العرّاف الشرقي، أو تمثال الشرق الحي، أو الروح الملكية، أو شيئاً من هذا القبيل. ماذا تفضّلين يا أنا، التمثال... أم العرّاف؟".

لم تفضّل أنا شيئاً. فمن الواضح أن ليديا ويلز وأه سووك يعرفان بعضهما، وأن تاريخهما المشترك له علاقة بفرانسييس كارفر، وأن الأرملة لا ترغب في الحديث عن الأمر. وهي تعرفها أفضل من أن تطلب منها إيضاحاً، لكنها سألت: "ما الغرض من وجوده؟".

"مجرد أن يلاحظنا!".

"نعم، لكن لماذا؟".

لوّحت الأرملة بيدها. "ألم تشاهدي عرض برنس أوف ويلز؟ ليس هناك شيء يزيد من مبيعات التذاكر أكثر من اللمسة الشرقية".

قالت أنا: "إنه ليس غريباً عن هوكتيكا! سيتعرّفون عليه".

ردّت السيدة ويلز، "كما سيتعرّفون عليك! وهذا لا يهم بالمرة".

قالت أنا: "لست أدري، لست متأكدة".

قالت السيدة ويلز بضيق مصطنع: "آنا ويذريل، أتذكرين الخميس الماضي؟ حين اقترحت عليك تعليق صورة الساحر فوق السلام، واعترضتِ أنتِ، بحجة أن سُلَّم السندرة سيلقي عليها بظله، وعلَّقْتُها أنا برغم اعتراضك، وكان الضوء مناسباً تماماً كما أخبرتك؟".

قالت آنا: "نعم".

"حسنًا، أرايت". وضحكت السيدة ويلز. لم يفهم أه سووك كلمة واحدة ممّا قيل. فالتفت لآنا وعبس قليلاً؛ ليظهر لها حاجته للتوضيح.

قالت آنا، بلا فائدة: "جلسة تحضير أرواح".

هزّ أه سووك رأسه. لم يكن يعرف الكلمة.

قالت السيدة ويلز: "دعونا نجرب. تعال، تعال إلى الركن... آنا، أحضري للرجل وسادة ليجلس عليها. أم مقعدًا بلا ظهر أو مساند ليعطيه مظهرًا أكثر تقشُّفًا؟ لا، وسادة؛ حتى يتمكن من عقد ساقَيْه كما يفعل الرجال الشرقيّون، نعم، تعالي هنا، أبعد... أبعد. هكذا".

ودفعت أه سووك لأسفل فوق الوسادة، وخطّت عدة خطوات سريعة للوراء، لتعاينه من الجهة الأخرى من الغرفة. وأومات بسعادة.

وقالت: "نعم. أرايته يا آنا؟ ألا تظنين أنها فكرة جيدة؟ كم يبدو جليلاً! ترى أنطلب منه أن يدخُن غليونًا... فالدخان المتموج حول رأسه سيبدو لطيفًا بحق. لكن التدخين داخل الغرفة المغلقة يُتعبني".

قالت آنا: "إنه لم يوافق بعد".

بدا ضيق ضئيل على السيدة ويلز؛ لكنها لم تعترض على هذه الملحوظة، بل تقدّمت من أه سووك، وابتسمت له، ونظرت إليه ويداها على خصرها. وقالت: "هل تعرف إيميري ستينز؟"، ونطقت الكلمات بوضوح. "إيميري ستينز؟ هل تعرفه؟".

أوماً أه سووك، إنه يعرف إيميري ستينز.

قالت المرأة: "حسنًا، سنجلبه إلى هنا. الليلة. ونحدث معه. إميري ستينز... هنا". وأشارت إلى ألواح الأرضية بيد تفوح منها رائحة الليمون.

عبر شعاع من الفهم على وجه أه سووك. ممتاز: لا بُدَّ أنهم عثروا على المستكشف أخيرًا... عثروا عليه حيًّا! إنها أخبار سعيدة. وقال، "حَسَنٌ جدًّا".

قالت السيدة ويلز: "الليلة. هنا، في الواي فيرر فورتن. في هذه الغرفة. ستبدأ الحفلة في السابعة؛ وجلسة تحضير الأرواح، ستبدأ في العاشرة".

قال أه سووك، محدِّدًا فيها: "الليلة".

"بالضبط. ستأتي إلى هنا. ستحضر. وستجلس، حيث تجلس الآن. أفهمت؟ أوه، أنا... هل فهمني؟ من الصعب أن أعرف؛ فوجهه ثابت كتمثال. أعرفت من أين أتتني الفكرة... فكرة التمثال الحي!".

ببطء، شرحت أنا لأه سووك أن ليديا ترغب في حضوره، هذا المساء، ليحضر لقاء مع إميري ستينز. واستخدمت كلمات جلسة تحضير الأرواح أكثر من مرة؛ وأه سووك، الذي لم يجد داعيًا لتعلُّم معناها، استنتج من السياق أن هناك تجمُّعًا أو لقاء له برنامج محدَّد، وأن إميري ستينز مدعوُّ لحضور هذا الاجتماع. وأوماً ليظهر أنه فهم. شرحت له أنا أنه مدعوُّ للعودة، هذا المساء، للجلوس فوق الوسادة في الركن، تمامًا كما هو جالس الآن. وأن هناك رجلًا آخرين مدعوُّون. وأنهم سيجلسون في دائرة، وأن إميري ستينز سيقف في منتصف الغرفة.

قالت السيدة ويلز: "هل فهم؟ هل فهم الأمر؟".

قال أه سووك: "نعم"، ثم أضاف ليُرِيَهَا: "جلسة تحضير أرواح مع إميري ستينز، الليلة".

قالت السيدة ويلز: "ممتاز"، وابتسمت له نفس الابتسامة التي قد يبتسمها المرء لطفل نابغة عزف مقطوعة موسيقية... ابتسامة بها إعجاب مرتاب ومُفْتَعَل إلى حدٍّ ما.

واستطردت: "عاهرة في حداد، وصوفي شرقي. إن هذا أمر مثالي، مجرد التفكير فيه يريحني! جلسات تحضير الأرواح ليست تقليدًا شرقيًا بالطبع..."، قالت هذا ردًّا على سؤال أنا السابق... "لكن أُم أذكر في كل يوم طيلة الأسبوعين الماضيين إن الجو العام في هذا المجال هو نصف المعركة؟ أه سووك سوف ينفعنا كثيرًا".

أشاحت أنا بنظرها وقالت برفق: "يجب أن يتلقى مقابلًا بطبيعة الحال". التفتت الأرملة لآنا بنظرة مخيفة للغاية، لكن أنا لم تكن تنظر إليها، فلم تَرَ شيئاً؛ وفي اللحظة التالية صَفَّت تعبيراتها. وقالت بلا اهتمام: "بالطبع! لكن عليك أن تسأليه كم يظن أنه يستحق مقابل هذا العمل السهل. اسأليه يا آنا؛ باعتبارك صديقه العزيزة".

وفعلت أنا ما طلبته منها، وشرحت لآه سووك أن الأرملة مستعدة أن تدفع له أجرًا مقابل اشتراكه في جلسة تحضير الأرواح هذا المساء. وأه سووك، الذي لم يفهم بعد أن إيميري ستينز سيحضر بالروح فقط، رأى في الأمر عرض رائع. وأثار العرض الشُّك بداخله، وأعلن عن شكّه. وتَلَّت ذلك جولة سخيفة من المفاوضات، وبعد وقت طويل وافق أه سووك، من أجل خاطر آنا، أن يتلقَّى شِلْنًا كأجر.

لم يكن أه سووك أحمق. كان يعلم جيدًا أنه لم يفهم حقيقة ما سيحدث هذا المساء. واستغرب من تأكيد أنا على أن إيميري ستينز سيقف في منتصف الغرفة بالضبط، ويتحرك الحاضرون حوله، واستغرب أكثر أن الأرملة مستعدة أن تدفع له أجرًا دون أن يفعل أي شيء. واستنتج أنه سيلعب دورًا في دراما من نوع ما (وهو في تخمينه هذا قد اقترب كثيرًا من الحقيقة) وقرَّر أن أي إهانة قد يتعرض لها

بسبب ذلك، تهون بجانب حصوله على فرصة الحديث مع السيد ستينز. وقَبِل دعوة الأرملة، وقَبِل تعهُّدها بالدفع، بيقينٍ أن كل عدم اليقين الذي يحسُّ به سيتلاشى مع الوقت.

انتهت مفاوضاتهم. ونظر أه سووك لآنا. والتقت أعينهما للحظة، بنظرة ثابتة في عيون أه سووك، ونظرة انفصال هادئ في عيني آنا، لم يفهمه المنعزل بالمرة. هل هذا انفصال بالفعل؟ أم أنه ببساطة ليس معتادًا على وضوح تعبيراتها التي يراها الآن بدون أن يغطيها حجاب الأفيون السميكة؟ لقد تغيَّرت كثيرًا، ولولا أنه يعرفها جيدًا لقال إنها تبدو متغطرة... كأنها ترى نفسها أرقى من المجتمع الصيني، بما أنها لم تُعد عاهرة.

قرَّر أه سووك اعتبار تعبيرها الهادئ إشارة بالرحيل، فنهض من على وسادته. وأجرى حسابات الوقت في رأسه ورأى أن لديه وقتًا كافيًا ليذهب لكانير ويعود منها مشيًا قبل غروب الشمس، وأراد أن يخبر مواطنه كيي لونج أن إيميري ستينز سيكون موجودًا، هذا المساء، في الواي فيرر فورتشن في شارع ريفل. فهو يعلم أن أه كيي يرغب بشدة في مقابلة ستينز، ليسأل المستكشف الشاب عن مسألة ذهب الأورورا؛ وهو يعلم أن مواطنه سيسعد كثيرًا لمعرفة أن ستينز لا يزال حيًا.

انحنى أه سووك للأرملة، ثم لآنا. ردَّت آنا تحيته بانحناء بسيطة، من النوع الذي لا يُعبَّر عن الشوق، ولا عن الندم، ثم التفتت مبتعدة على الفور، لتصلح من وضع الدانتيل المفروش على ذراع الأريكة.

قالت ليديا ويلز: "ستعود الليلة... من أجل جلسة تحضير الأرواح. الليلة، في حدود الساعة السادسة".

ردَّد أه سووك: "الساعة السادسة"، وأشار إلى الوسادة التي نهض من فوقها، ليربها أنه يفهم. وألقى نظرة أخيرة على آنا، ثم أمسكت

ليديا ويلز ذراعه وأرشدته للردهة. ومدّت يدها جانبه وفتحت الباب، ففاض ضوء النهار فجأة وأغرق المكان.

قال أه سووك: "مع السلامة"، وعبر عتبة الباب.

لكن الأرملة لم تغلق الباب وراءه كما توقّع؛ بل تناولت شالها، ولفّته حول كتفيها، وخرجت وراء أه سووك إلى شرفة مدخل البيت. وقالت لآنا: "سأخرج لبعض الوقت؛ سأعود بعد ساعة تقريبًا".

رفعت أنا بصرها بدهشة، من غرفة الاستقبال. ثم أخفت دهشتها. وأومأت بجمود، وعبرت غرفة الاستقبال، ووصلت إلى الباب لتغلقه خلف السيدة ويلز.

وقالت ويدها على إطار الباب: "مع السلامة يا سيدة ويلز. مع السلامة يا أه سووك".

نزلا السلام إلى الشارع، حيث افترقا: اتجه أه سووك جنوبًا إلى النهر، واتجهت ليديا ويلز شمالًا. وبعد عدة خطوات ألقت السيدة ويلز نظرة من فوق كتفها، كأنها تعاین المبنى من الشارع، وأسرعت أنا بإغلاق الباب.

ظلت يدها على مقبض الباب، ولم تغلقه، وبعد لحظة فتحته ثانية بهدوء وحذر، ونظرت من فتحة الباب. زادت ليديا من سرعة خطواتها؛ ولم تلتفت لتلحق بأه سووك لتتحدث معه على انفراد، كما توقّعت أنا. فتحت أنا الباب قليلًا. هل ستعود ليديا أدراجها؟ اعتقدت أنا أن سبب خروجها المفاجئ هو أن تتحدث على انفراد مع الرجل الذي، وبلا أدنى شك، تعرفه من قبل! أما الآن فقد دار أه سووك عند ناصية رصيف جيبسون واختفى، تقريبًا في نفس اللحظة التي خطت فيها ليديا ويلز فوق مصرف المياها على جانب الطريق، واعتلت سلام، أي مبنى هذا؟ -أطالت أنا النظر- إنه مبنى من طابقين بجانب متجر تيجرين للمعدات والمستلزمات. أهو إحدى

الحانات؟ من الواضح أن هناك شخصًا على الشرفة الأمامية، لأن ليديا ويلز توقفت للحظة، وتبادلت بعض الكلمات، قبل أن تفتح الباب، وتختفي بداخل المبنى، وحين تأرجح الباب لينغلق، لمحت أنا اللون الأزرق الباهت، وعرفت المبنى. إذن فقد خرجت ليديا ويلز في زيارة اجتماعية. لكن لمن؟ هزّت أنا رأسها متسائلة. حسنًا، أيًا كان، فهو بكل المقاييس ليس مُنقَّبًا عاديًا. لا بُدَّ أنه رجل له بعض الثقل، لأنه يقيم في فندق بالاس.

زحل في برج الميزان

وفيه يخالف هارالد نيلسن شروط عقد، ويتم فتح الكتاب المقدس، ويرتبك كويل ديفلن، ويضع چورچ شيبرد خطة.

كان هارالد نيلسن قد انتهى لتوّه من إعداد وتجهيز إبريق شاي الساعة الرابعة الخاص به، واسترخى في جلسته، مع طبق من البسكويت المسكّر وكتاب، حين وصله استدعاء في البريد من چورچ شيبرد، يحمل علامة "عاجل" دون أي يحدد السجن سببًا. اعتقد نيلسن، والضيق يملؤه، أن الأمر بلا شك يتعلق بتفاصيل تافهة: حصة في أساسات مبنى السجن، قطرة قهوة سقطت فوق أوراق العمل. وتنهّد، ولفّ إبريقه بغطاء قماشي ليحفظ حرارته، وبدل قميصه الصوفي بسترّة، ومدّ يده ليتناول عصاه. إنه لأمر في منتهى الوقاحة أن تُزعج رجلًا عصر يوم الاحد. إنه يعمل ستة أيام من سبعة في الأسبوع.

ويستحق يوم راحة دون أن يعذبه چورچ شيرد بطلبه للإيصالات، أو سجلات الأجور، أو باقتباساته عن البعد عن الذنوب. واستخدام البريد إهانة إضافية... فشيرد لم يُتعب نفسه بقطع المسافة القصيرة الممتدة عبر ستة شوارع بين مخيم الشرطة ورصيف جيبسون؛ بل أصرَّ على ذهاب نيلسن إليه، كأنه خادم لدى أحد الإقطاعيين! أغلق نيلسن باب مكتبه خلفه وهو في مزاج سيئ للغاية، وخطا إلى شارع ريفل بقبعته مائلة فوق رأسه وذيل معطفه يرتفع خلفه.

فتحت السيدة شيرد الباب في مخيم الشرطة. وأرشدت نيلسن، في هيئة يُرثى لها، إلى غرفة الطعام، ثم فرّت قبل أن يتسنى لنيلسن النطق بأيّ من عبارات المجاملة والتأدب، وجذبت الباب خلفها بقوة حتى ارتجت الجدران المصنوعة من قماش أشعة السفن، ولبرهة وجيزة انتاب نيلسن الإحساس بأنه في البحر.

كان السجان جالسًا على رأس الطاولة، يلتهم بسرعة ملحوظة وجبةً باردة مكوّنة من لحم بالچيلاتين، وعدة أصناف متشابهة، وخبزًا سميكًا داكنًا واسع المسام. وقد جلس مستقيم الظهر يملأ شوكتة، ولم يوجه لنيلسن الدعوة للجلوس.

وقال، حين انغلق الباب، وابتلع ما بفمه: "إذن، فقد أخبرت أحدهم باتفاقنا؛ لقد خلّفت وعدك. من الذي تحدثت معه؟". قال نيلسن: "ماذا؟".

وأعاد شيرد سؤاله؛ وأعاد نيلسن إجابته المذهولة، بصوت أعلى.

كان وجه شيرد باردًا: "لا تكذب عليّ يا سيد نيلسن. أليستار لودرباك سينشر خطابًا في التايمز غدًا صباحًا، ينتقدي فيه. فهو يدّعي أنه تمَّ استثمار نسبة من الثروة المكتشفة في كوخ كروسي وِيلز في مبنى سجن هوكتيكا. أنا لا أعلم كيف وصلته هذه المعلومة، وأودُّ أن أعرف. على الفور".

اضطرب نيلسن، كيف عرف أليستار لودرباك بموضوع عمولته؟ لا بُدَّ أن أحد رجال الكراون قد أخلف وعده! هل هو بالفور؟ بالفور ولودرباك مقرَّبان من بعضهما، ولم يرَ نيلسن لودرباك في صحبة أي من الرجال الآخرين. لكن ما السبب الذي دعا بالفور لخيانته؟ فهو لم يُرد به السوء أبدًا. هل يمكن أن يكون لوينثال هو الفاعل؟ ربما... فالخطاب سينشر في الجريدة. لكن نيلسن لم يستطع تصديق أن يخلف لوينثال وعده، كما لم يستطع تصديق أن يخلف بالفور وعده. وراقب شيبرد وهو يملأ شوكتة باللحم بالچيلاتين والخيار المخلل والبطاطس، وبشكل غير مفهوم (فنيلسن لم يكن جائعًا بالمرة) بدأ لعبه يسيل.

قال شيبرد: "مَن الذي أخبرته؟ أرجو أن تلاحظ أن صبري قد نفذ: لن أسألك مرة أخرى". ووضع فمه فوق شوكتة المليئة، وسحب منها الطعام، وبدأ يمضغه.

لم يعرف نيلسن ماذا يقول. الحقيقة هي أنه أخبر اثني عشر رجلًا، والتر مودي والأحد عشر الآخرين المجتمعين في غرفة التدخين في الكراون. لم يكن باستطاعته الاعتراف بأنه أفشى سرَّ شيبرد لاثني عشر رجلًا! أعليه أن يدعي أنه لم يخبر أحدًا على الإطلاق؟ لكن من الواضح أنه أفشى السر لأحدهم... بما أنه وصل لعلم لودرباك! كان عقله يسابق الريح.

وقال بيأس: "لا أتصور كيف حدث ذلك، لا أستطيع التصور".

انشغل شيبرد بتكديس شوكة جديدة يملأ بها فمه، وعيناه مثبتتان على عشاءه بشكل مقصود. "هل ذهبت للودرباك بنفسك؟ أم ذهبت إلى شخص آخر... وهو بدوره ذهب للودرباك؟".

قال هارالد نيلسن بكثير من الاستياء: "لم أتبادل كلمتين على بعضهما مع لودرباك طوال حياتي".

رفع شيبرد رأسه، وأدوات طعامه سائبة في يده. "إذن مَن؟".

لم ينطق نيلسن. وبدأ يتصبَّب عَرَقًا.

قال شيرد باستنكار: "أرى أنك تحترم شرف المنقَّب. حسنًا، على الأقل هناك مَنْ يحظى بولائك يا سيد نيلسن".

وعاد لعشائه، ولم يتحدث لفترة أحسَّها نيلسن طويلة للغاية. كان شيرد مرتديًا بذلة يوم الأحد السوداء، وقد فرد ذيل معطفه على جانبي كرسيه حتى لا يتغصَّن تحته أثناء جلوسه. ومنحه بنطلونه مرتفع الخصر وصديريته عديمة الياقة مظهرًا منفردًا وجنازيًا، وربطة عنقه العريضة (والتي هي من طراز قديم عفى عليه الزمن، وقد لاحظها نيلسن بلمسة من التعالي؛ فربطة عنقه كانت رفيعة ومفكوكة قليلًا كأحدث صيحات الموضة) بدت وكأنها تزيد من المظهر اللّوَّام للسجان. حتى طعامه البارد بدا متقشَّفًا في بساطته. فقد تناول نيلسن على الغداء نصف دجاجة مسلوقة مقدَّمة مع لفِّ مِهْرُوس بالزبدة والكثير من الصلصة البيضاء؛ وشرب بجانبها نصف دورق من النبيذ الجيد.

دقَّت الساعة من مكان ما في المنزل معلنة ربع الساعة. تحرَّكت السيدة شيرد خلف الجدران المهلهلة تدبُّ من غرفة إلى غرفة. أما شيرد فقد ظل مثبتاً إلى وجبته. انتظر نيلسن حتى أتى شيرد على آخر لقمة في طبقه، على أمل أن يتحدث السجان ما أن ينتهي من وجبته، وحين تأكد من زيف هذا الأمل، قال، بشيء من الضعف: "حسنًا... ماذا أنتَ فاعل؟".

ردَّ شيرد وهو يمسح فمه بفوطة طعام: "أولًا سأعفيك من كل مهامك المتعلقة بإنشاء مبنى السجن. لن أتعامل مع رجل يخلف وعوده".

قال نيلسن: "هل سيتم إعادة المبلغ المستثمر لي؟".

قال شيرد: "لا، على الإطلاق". وقذف فوطة الطعام إلى طبقه، "وفي الواقع فهذا الطلب غير معقول بالمرّة، خاصة وأن المبنى قيد الإنشاء بالفعل".

فقد نيلسن صوته تحت تأثير الصدمة، وقال بعد برهة: "فهمت".
"أنت لن تخالف مبادئك كمنقّب".
"لا".

"هذا مذهل".

"أعتذر لك".

دبّ النشاط في شيرد، فدفع طبقه بعيدًا. "سينشر خطاب السيد لودرباك غدًا في التايمز؛ لديّ نسخة منه هنا".
رأى نيلسن خطابًا مفتوحًا على المنضدة بجانب طبق السّجّان. فتقدّم ماديًا يده. "أسمح لي...؟".

تجاهله شيرد. واستأنف حديثه رافعًا صوته: "الخطاب لا يشير لك بالاسم. يجدر بك أن تعلم أنني سأكتب للمحرر بنفسي الليلة، من أجل تصحيح هذا التجاوز. سيتم نشر ردّي تحت خطاب السيد لودرباك، كردّ رسمي مني".

حاول نيلسن مرة أخرى، "أيمكنني أن أقرأه؟".

"يمكنك أن تقرأه غدًا في الجريدة، مع كل رجال المنطقة الغربية".
لفظ شيرد هذه الجملة بتأكيد خطير.

سحب نيلسن يده. "حسنًا، أفهم ما تعنيه".

توقّف شيرد قبل أن يضيف: "إلا إذا كان لديك ما تودّ أن تقوله".

وبصوت منكسر لدرجة تثير الاشمئزاز، قال نيلسن: "نعم".

"نعم؟".

"نعم... هناك أمر ما".

مسكين هاراد نيلسن! يظنُّ أن بإمكانه استعادة ثقة السجان عن طريق انتهاك آخر، كأنه بارتكابه لخيانة ثانية، يستطيع أن يحوِّل حقيقة الخيانة الأولى! لقد استسلم برعب... ففكرة أن يظنَّ الآخرون به السوء تحطم روحه. لم يكن يستطيع احتمال أن يعرف أنه غير محبوب، وبالنسبة له لم يكن هناك فارق بين أن يكون غير محبوب، وبين أن يكون بغيضاً؛ وكل الجراح التي تعرَّض لها كانت جراحاً نالت من إحساسه بذاته. وبهدف حماية نفسه، ارتدى ثيابه على أحدث صيحات الموضة، وتحدث بتكلف وحذقة، ووضع نفسه موضع بطل كل حكاية، لقد بنى الشخصية التي يظهر بها أمام الناس كحصن حول نفسه الحقيقية، لأنه يعلم تماماً أن نفسه الحقيقية ضعيفة الاحتمال. وقال شيرد: "أكمل من فضلك".

"الأمر يخص... (في بحث أهوج عن مخرج) السيدة ويلز".

قال شيرد: "كيف هذا؟".

"كانت عشيقة لودرباك".

رفع شيرد حاجبيه: "أليستار لودرباك كان يستغل كروسبي ويلز؟".

فكَّر نيلسن بالأمر. "نعم، أظن هذا. فالأمر يعتمد على التوقيت الذي تزوَّج فيه كروسبي من ليديا".

قال شيرد: "أكمل حديثك".

"ما حدث أنه... ما حدث أنه... أن لودرباك... تمَّ ابتزازه... وحصل كروسبي ويلز على الثروة. إنها الثروة... التي اكتشفناها في كوخ كروسبي".

"كيف تم هذا الابتزاز؟ وكيف عرفت بشأنه؟".

تردّد نيلسن؛ فقد خشي ممّا رآه على وجه السجان، الذي امتلأ فجأة بالطمع الشديد والحدة.

وألحّ شيرد: "كيف عرفت بالأمر؟".

"أخبرني أحدهم".

"مَن؟".

"السيد ستينز". فقد وقع اختيار نيلسن على الرجل الذي سيصيبه أقلُّ ضررٍ ممكن، على الأقلّ في المدى القريب.

"هل ستينز هو مَن ابتزّه؟".

ارتبك نيلسن. "لا أدري، أقصد نعم، ربما".

"هل أنت معه أم ضده؟".

"أنا... لا أدري".

بدا الضيق على شيرد، وقال: "وماذا لديك ضده؟ لا بُدَّ أنك تحمل شيئاً ضده، بما أنك لست متأكّداً من ولائك له".

قال نيلسن بتعاسة: "كان هناك صُكُّ هبة، في موقد كروسبي ويلز... محترقٌ جزئياً، كأن أحدهم حاول أن يتخلص منه. وقد وجده القسُّ. حين ذهب إلى الكوخ ليحضر الجثة، في اليوم التالي للوفاة. هو لم يخبرك بشأنه؛ لقد احتفظ به، ولم يخبر دكتور جيليز عنه".

لم تظهر على شيرد ذرّة من المشاعر. "صُكُّ هبة من أي نوع؟".

سرد نيلسن باختصار تفاصيل المستند. مثبّتاً عينيه على نقطة تبعد ثلاث أقدام إلى يسار وجه السجان، وظل يحدق بغرابة... فقد أحس في صدره بفقاعة من الألم تنمو وتضغط على ضلوعه. فقد أراد أن يثبت للسجان إخلاصه له بإفشاء هذا السر؛ وهو الآن يرى أنه

بما فعله قد أثبت للسجان انعدام إخلاصه، وانعدام قيمته. لكنه وبالرغم من تعاسته- أحسّ براحة رهيبة حين تحدث عن مؤامرة الكراون. أحسّ بثقل ضخم يزول من على كتفيه، وتحلّ محلّه خفّة رهيبة. وألقى بنظره سريعاً إلى السجان، ثم ألقى بنظره بعيداً.

قال السجان: "هل ديفلن هو مَنْ تحدّثت معه؟ هل أخبرت ديفلن بالاستثمار... وأخبر هو لودرباك؟".

قال نيلسن: "نعم، هذا صحيح" (أي طراز من التعساء هو... حتى يتّهم قساً؟ لكنها فقط نصف كذبة... وأن يتهم رجلاً واحداً أفضل من أن يتهم اثني عشر). وأضاف: "أقصد أنني أظنه مَنْ أخبر لودرباك. لست أدري. أنا لم أتحدث إلى لودرباك على الإطلاق... كما أخبرتك".

قال شيرد: "إذن ديفلن هو مَنْ أخبر لودرباك؟".

قال نيلسن: "لست أدري. لست أدري بالمرّة".

هزّ شيرد رأسه ووقف قائلاً: "حسناً يا سيد نيلسن. أظن أنه بهذا تنتهي مناقشتنا".

زاد طرد نيلسن من رعبه. وقال: "الجزء المتعلّق بالصك، أعني... إن كنت ستحدث مع الموقّر بخصوصه...".

"نعم، سأحدث معه بخصوصه".

اكتسى وجه نيلسن بالتعاسة التامة. وقال: "أيمكن أن يبقى اسمي بعيداً عن الموضوع؟ يمكنني إخبارك بالمكان الذي يحتفظ فيه بالصكّ، وبهذه الطريقة يمكنك أن تعثر عليه بنفسك، دون أن أخسر علاقتي بالرجل. هلأ فعلت ذلك؟".

نظر شيرد إليه مليّاً، بلا شفقة، "أين يحتفظ به؟".

قال نيلسن: "لن أخبرك إلا إذا وعدتني".

هزَّ شيرد كتفيه وقال: "حسنًا".

"أَتَعِدُّني؟".

انفجر شيرد، "أقسم بشرفي أني لن أذكر اسمك لقسِّ السجن. أين يحتفظ به؟".

قال نيلسن بمنتهى الحزن: "في إنجيله. في إنجيله، بين العهد القديم، والعهد الجديد".

Φ

حين زادت وتيرة العمل في مبنى السجن الجديد، قلَّت لقاءات كويل ديفلن وجورج شيرد، فيما عدا الأمسيات حين يعود شيرد من موقع البناء في سي فيو ليكتب خطابه ويحسب حساباته. وديفلن، الذي وجد المناخ العام لمخيم الشرطة المؤقت يتحسن كثيرًا بغياب شيرد، لم يسعَ لتوثيق علاقتهما. وإن اضطرَّ لأن يصرح برأيه في شخصية السجان، فلربما اعترف، بعد صمت طويل، أنه يشعر بالأسى تجاه تزمُّت شيرد، وملؤه الحزن تجاه الاستنكار الواضح الذي يبديه شيرد للعالم من حوله؛ وبعد المزيد من الصمت، قد يضيف ديفلن أنه يتمنى الخير لشيرد، لكنه لا يتوقع أن تصل العلاقة بينهما إلى ما هو أكثر من وضعها الحالي، والذي هو علاقة مهنية بحتة، ولا تتسم بالدفع.

كان اليوم يوم أحد، وقد توقفت أعمال البناء فوق المرتفع يومها. أمضى شيرد الصباح في الكنيسة، وفترة بعد الظهر في مكتبه في مخيم الشرطة، الذي يغادره مسرعًا في هذه اللحظة هاراد نيلسن؛ وديفلن الذي عاد مؤخرًا من مخيم كانيير، كان في السجن المؤقت، يعظ السجناء في موضوع الصلوات المحفوظة. وقد اصطحب معه إنجيله

البالي، كما يفعل دائماً حين يغادر خيمته، رغم أن طبيعة عظة اليوم لا تحتاج الإنجيل؛ وحين خطا شيرد داخل السجن، كان الإنجيل يرقد مغلقاً على كرسي بجانب ديفلن.

انتظر شيرد حتى تحلّ لحظة سكون في المحادثة، وهو ما حدث في خلال لحظات، بفضل حضوره الطاغي في الغرفة. تطلّع ديفلن ناحيته متسائلاً، فقال شيرد: "مساء الخير أيها الموقر. هلاً ناولتني إنجيلك من فضلك؟".

قطّب ديفلن، "إنجيلي؟".

"إن لم يكن لديك مانع؟".

وضع القس راحته فوق الكتاب وقال: "يمكنك أن تسألني عمّا تبحث عنه، إني أفخر بمعرفتي الجيدة بكتابي".

ردّ شيرد: "ليس لديّ شكّ في هذا؛ لكن التصفح يُسعدني".

"لكنك تملك إنجيلاً!".

وافقه شيرد، "بالطبع، لكنها الآن ساعة الصلاة الخاصة بزواجتي، ولا أودُّ أن أزعجها".

للحظة فكر ديفلن أن يستخرج الصك المسروق من بين صفحات الإنجيل... لكن مظهره المحروق سيثير انتباه السجان بكل تأكيد، وعلى أي حال فالسجناء يحيطونه من كل جانب، أين يمكن أن يخفيه؟ وقال: "ما الذي تبحث عنه بالضبط، آية؟ أم تورية؟".

انفجر شيرد، "بالنسبة لرجل من رجال الله فأنت شديد الحرص على إنجيلك. بحق السماء يا رجل! أنا فقط أودُّ أن أتصفحه! هل ستمنعني من ذلك؟".

اضطّرّ ديفلن لتسليم الإنجيل. وشكره شيبرد وأخذ الكتاب إلى مكتبه الخاص، وأغلق الباب.

في النصف ساعة التالية، حاد مسار عظة ديفلن عن الصلوات المحفوظة، حيث ظل انتباهه يسرح بشكل دوري إلى مكتب السجن، حيث يجلس خلف مكتبه، يقلب بيديه الضخمة البيضاء صفحات الكتاب الرقيقة. لم يشك ديفلن في أنه ربما يكون شيبرد قد علم بالصك الذي أخفاه بين العهدين القديم والجديد، فطبيعته ليست شكاكة، ولم يكن يستمتع، كبعض الرجال، بفكرة أنه تمّت خيائته والغدر به. وتمنى، والدقائق تمر زاحفة، أن يقتصر شيبرد في قراءته على النصوص الأقدم من الكتاب؛ تمنى أن يعود الكتاب إليه بالصك المحترق دون أن يتم اكتشافه ولا لمسه. وديفلن يعلم جيدًا أن إيمان شيبرد إيمان لاوي لا يتزعزع؛ وليس من غير المعقول أن يقتصر تصفحه على الأسفار الخمسة الأولى، أو على سفر الملوك. ومن غير المحتمل أن يختار سفر الأنبياء... لكن البشارات وجهة معتادة، خاصة في قراءات يوم الأحد. من المحتمل أن يتجه إليها، بغضّ النظر عن ميوله، وفي هذه الحالة من المؤكد أنه سيعثر على الورقة المخبّأة.

وأخيرًا، انتهت مناقشة بعد الظهر، استأذن ديفلن السجناء، الذين هم في عهده الروحية، في الانصراف، وهو يحسّ ببعض الضيق. أوماً له الشاويش الذي يقاوم الثأوب برأسه مودعًا؛ خرج ديفلن؛ وخيم الصمت على السجن. عبّر الساحة وصعد سلالم الشرفة الأمامية لكوخ السجن، وطرق الباب.

من الداخل أتاها صوت شيبرد العميق يسمح له بالدخول؛ دخل ديفلن وعبر الردهة قماشية الجدران متجهًا لمكتب السجن. كان الباب مفتوحًا ورأى ديفلن على الفور إنجيله مفتوحًا على مكتب السجن، والورقة المحترقة الأطراف ترقد فوقه، على مرأى من الجميع.

في هذا اليوم، الحادي عشر من أكتوبر 1865، يدفع مبلغ ألفين من الجنيهات للآنسة آنا ويذريل، من نيو ساوث ويلز، من السيد إيميري ستينز، من نيو ساوث ويلز، بشهادة السيد كروسبي ويلز وتوجيهه.

عقد شيرد كَفَّيه وانتظر أن يتحدث ضيفه.

قال ديفلن: "لقد وجدته، لكنه بلا قيمة".

استفسر شيرد بهدوء: "بلا قيمة؟ لِمَ تقول هذا؟".

قال ديفلن: "لأنه باطل. لم يوقَّعه المانح؛ لذا فهو غير قانوني".

كويل ديفلن، مثل أي رجل لا يعترف بخطئه أمام نفسه، يكره الاعتراف بخطئه أمام شخص آخر. وحين يُضبط متلبِّسًا بفعل خاطئ، يصبح ماکراً ومتعالياً.

قال شيرد: "بالطبع، إنه ليس قانونياً".

قال ديفلن بتقطيعة خفيفة: "أقصد إنه غير مُلزم. إنه غير مُلزم من الناحية القانونية".

لم ترمش عينا شيرد، "وهي خسارة كبيرة، ألا تظن ذلك؟".

"لماذا؟".

"لأنه بتوقيع إيميري ستينز عليه، ستؤول نصف الثروة المكتشفة في كوخ كروسبي ويلز إلى آنا ويذريل! وستدخل الأحداث في منعطف جديد، أليس كذلك؟".

"لكن الثروة التي في كوخ الناسك ليست ملكاً لإيميري ستينز".

قال شيرد: "ليست ملكًا له؟ اعذرني، ولكنك تبدو متأكدًا من هذه الحقيقة أكثر مني".

كويل ديفلن يعلم تمامًا أن ذهب كوخ كروسبي ويلز أتى من أربعة فساتين، خاطته ليديا ويلز بداخلها، واشترتها آنا ويذريل؛ ويعلم أن الصائغ أه كيي هو مَنْ أخرج الذهب من الفساتين وسبكه، وأن إيميري ستينز سرق الذهب وأخفاه في كوخ ويلز في وقت ما بعدها. وهو لا يستطيع إخبار شيرد بأي من هذا، فقال: "ليس هناك سبب للاعتقاد بأن هذه الثروة تخص السيد ستينز".

"بعيدًا عن حقيقة أن السيد ستينز اختفى يوم وفاة السيد ويلز، وأن السيد ويلز بحسب المعروف عنه ليس رجلًا ثريًا". وطعن شيرد الصك بسبابته. "هذا الصك شديد الصلة بالقضية التي بين أيدينا أيها الموقر. هذا المستند يشير إلى أن الثروة تخص ستينز، وأن ستينز أراد أن يهب نصفها، نصفها بالضبط، إلى إحدى العاهرات. وسأجازف بتخمين أن كروسبي ويلز، بصفته الشاهد على المستند، كان يحتفظ بالثروة لحساب ستينز، حين وفاته".

رأى ديفلن أن هذه الفرضية معقولة. ربما يكون شيرد مُحققًا في جزئها الثاني، أما في الجزء الأول فهو مخطئ. وقال: "أنت مُحقٌّ بخصوص علاقة المستند بالأمر؛ لكن، وكما قلت لك بالفعل، الصك باطل؛ فالسيد ستينز لم يوقّع باسمه".

"أظن أنك عثرت على هذا الصك في كوخ كروسبي ويلز، يوم ذهبت لتحضر جثمانه".

قال ديفلن: "هذا صحيح".

قال شيرد: "لقد كنت حريصًا جدًا على الاحتفاظ به، وهذا يحملني على الظن بأنه قد خطر لك مدى أهمية هذا الصك".

لبعضهم. لآنا ويذريل على سبيل المثال. فبموجب هذه الورقة، قد تصبح أغنى امرأة في هذا الجانب من جبال الألب الجنوبية!".

قال ديفلن: "لن يحدث ذلك. الصك ليس مُوقَّعًا".

قال شيرد: "إذا تم توقيعه".

قال ديفلن: "إيميري ستينز مات".

قال شيرد: "حقًا؟ يا إلهي، هذه حقيقة أخرى لا نتفق عليها".

لكن كويل ديفلن ليس من السهل إرهابه. فشبك يديه فوق بطنه كعادة القساوسة. قائلاً: "إن الأمل في امتلاك ثروة طائلة أمر خطير. إنه أشد الإغراءات؛ لأنه يَعِدُ الإنسان بالحصول على نفوذ كبير وفرصة عظيمة، وهي أشياء نتوق لها جميعًا. إن علمت الآنسة ويذريل بهذا الصك، سيرتفع سقف آمالها بناءً على أمل كاذب. ستبدأ تحلم بالحصول على نفوذ كبير وفرصة عظيمة؛ ولن تقنع بحياتها كما كانت. وقد خشيت من حدوث هذا؛ ولهذا قررت الاحتفاظ بالمعلومة لنفسى، على الأقل حتى يتم العثور على السيد ستينز، أو التأكد من وفاته. وإذا تمَّ العثور عليه مَيِّتًا، سأدمر الصَّكَّ. لكن إذا كان حيًّا، سأذهب إليه وأريه الورقة وأسأله إن كان يرغب في توقيعها. ويكون الخيار خياره".

قال السجان: "وماذا إذا لم يتم العثور على ستينز مطلقًا؟ ماذا ستفعل وقتها؟".

قال ديفلن بحزم: "لقد أخذت قراري بعين الرحمة يا سيد شيرد. فقد خشيت كثيرًا ممَّا قد يحدث للآنسة ويذريل المسكينة إذا شاع خبر العثور على هذا الصك، أو إذا وقع في أيدي غير أمينة. وإذا لم يتم العثور على السيد ستينز، فلن تتحطم آمال، ولن يراق دم، ولن يضيع إيمان. وأرى في هذا رحمة كبيرة، ألا توافقني الرأي؟".

ترقرقت عينا شيرد الشاحبتين؛ في إشارة إلى أنه يدير الأمر في رأسه. وquem: "بشهادة كروسبي ويلز وتوجيهه".

وأضاف ديفلن: "على أي حال، من المستبعد أن يمنح رجل مثل هذا المبلغ الضخم لعاهرة. في أغلب الأمر فهي مزحة، أو خدعة من نوع ما".

وبدا المرح فجأة على شيرد وقال: "أتشكك في مواهب المرأة؟".

قال ديفلن بهدوء: "أخطأت فهمي. كل ما قصدته أنه من المستبعد أن يعطي رجلٌ لعاهرة ألفين من الجنيهات. أقصد أن يهدي إليها المال، وبشكل مفاجئ".

فجأة أغلق شيرد الإنجيل على المستند المسروق. وناول القسّ الكتاب بيدٍ ومدّ يده الأخرى يتناول قلمه، كأن الأمر كله لم يعد يعنيه في شيء.

"أشكرك لإعارتي كتابك". وأوماً برأسه يأذن لديفلن في الانصراف. ثم انحنى على دفتر حساباته وبدأ يجمع عواميد الأرقام.

ظلّ ديفلن في مكانه للحظة متردّدًا، وإنجيله في يده. وطرف المستند المحترق يبرز منه، ويقسمه لقسمين غير متساويين. ثم قال أخيرًا: "ما رأيك في الأمر؟ ماذا فهمتَ منه؟".

لم يتوقف شيرد عن الكتابة. "ماذا فهمتُ من ماذا؟".

"من الصك!".

قال شيرد: "أظن أنك مُحِقٌّ، لا بُدَّ أنها مزحة، أو خدعة من نوع ما". ووضع أصبعًا على دفتره، ليتذكر أين كان، ثم مدّ يده ليغمس قلمه في المحبرة.

قال ديفلن: "آه، نعم".

قال شيرد: "المستند باطل كما قلت". وخط سنّ القلم على حافة المحبرة.

"نعم".

"والشاهد قد مات، والمناخ على أرجح الاحتمالات مات".

"نعم".

"ولكن إذا أردت إجابة من أحد العارفين بالأمر، فرمها عليك أن تذهب إلى الواي فيرر فورتنش الليلة، مع بقية الكفرة".

"لأتحدث إلى السيد ستينز؟".

قال السجان، باستنكار واضح: "لتتحدث مع أنا. والآن، إذا أذنت لي أيها المبجل، فلديّ الكثير من العمل لأنجزه".

بعدما أغلق ديفلن الباب خلفه، ترك شيرد قلمه واتجه لمكتبته، وجذب ملفاً أخرج منه ورقة: النسخة الوحيدة من عقد العمل الذي وقَّعه منذ ثلاثة أسابيع مع نيلسن. والذي بموجبه يلتزم التاجر بالعمولة بكتمان أمر استثماره لعمولته البالغة أربعمئة جنيه. حكّ شيرد عوداً من الكبريت على جانب الخزانة ولمس به الورقة، وأمسكها من طرفها وأمالها حتى التهم اللهب المستند واختفت التوقيعات، وحين لم يُعد باستطاعته حملها أكثر من هذا أسقطها أرضاً وراقبها وهي تنكمش إلى عدم رماديّ، وركل الرماد جانباً بطرف حذائه.

عاد إلى مكتبته، وجذب ورقة بيضاء من تحت دفتره، وتناول القلم وغمس سنّه. وبيدٍ حَذَرَةٍ وبطيئة، كتب:

18 فبراير 1866

سيدي

أكتب لك ردًا على السيد أليستار لودرباك، عضو مجلس المقاطعة، والنائب بالبرلمان. والذي قذف بافتراءات مدمرة على الموقع أدناه، وشركائه، بما فيهم لجنة الإنشاءات العامة للأراضي الغربية، والمجلس المحلي لشؤون البلدية، ومكتب المفوض العام، ومجلس مدينة هوكتيكا، وغيرهم. ومن واجبي أن أصحح للسيد لودرباك أخطاءه؛ الأدبية، والأخلاقية، والمعلوماتية.

تم إنشاء السجن الجديد لمدينة هوكتيكا اعتمادًا على تبرع قام به أحد رجال الأراضي الغربية، وهو السيد هارالد نيلسن، صاحب مكتب نيلسن وشركاه. فقد تبرع للمجلس بمبلغ يقارب الأربعمائة جنيه لاستخدامها، حسب تعليمات السيد نيلسن، في أغراض المصلحة العامة. وهذا المبلغ يمثل عمولة تقاضاها عن عمل شريف. فهي، كما أقر السيد لودرباك، تمثل جزءًا من الثروة المكتشفة في ممتلكات السيد ويلز، وقد استحقها السيد نيلسن، التاجر بالعمولة، قانونًا بعد قيامه بتأدية الأعمال المكلف بها بشكل مُرضٍ. والسيد لودرباك يعلم أن التبرع، من الناحية القانونية، يختلف عن الاستثمار، لأنه لا يخلق علاقة المدين والدائن، وبلغة أبسط، فالتبرع لا يُرد. وبالنظر إلى لفتة السيد نيلسن الخيرية، التي هي من أنبل الأعمال وأكثرها إثارة، يمكن للسيد لودرباك الاطمئنان إلى عدم خرق أي قوانين أو لوائح.

إني أرى، في إنشاء وتشيد المنشآت العامة، أعمق الدلائل وأبقى الشهادات على التقدم الحضاري، وأنا سعيد أن سجن هوكتيكا يستوفي في ظروف إنشائه كل جوانب هذا التعريف. وإذا ما وجد السيد لودرباك هذا الإيضاح غير كافٍ، فيإني أدعوه أن يكشف للجمهور

صاحب الحق الانتخابي ما أخفاه حتى يومنا هذا من علاقته السابقة بالسيدة ليديا ويلز، أرملة كروسبي. أنا في انتظار الرد الكامل على هذا الموضوع من السيد لودرباك، وأظُلُّ مُخْلِصًا

چورچ م. شيرد

حين انتهى شيرد من الكتابة، جَفَّفَ الصفحة من الحبر الزائد، وتناول ورقة جديدة، وخطَّ نسخةً طبق الأصل من الخطاب، لدرجة أن المرء سيقارن بينهما لبعض الوقت حتى يكتشف الاختلافات الطفيفة بين النسختين. ثم طوى الصفحتين وأغلقهما بالشمع وكتب عنوانين بيده الكادحة. وبمجرد أن جَفَّفَ الشمع، رنَّ الجرس مستدعيًا السيدة چورچ، وطلب منها استدعاء ساعي البريد للمرة الثانية هذا اليوم. وقد نفَّذَت تعليماته فورًا.

كان ساعي البريد كائن ذا وجه مليء بالنمش، ورأسه عبارة عن كتنة من الخصلات الشقراء المتموجة.

وقال شيرد: "هذا للوينثال في التايمز. وهو ما يجب تسليمه أولًا. وهذا يُسَلَّم إلى هارالد نيلسن في صالة المزادات على رصيف جييسون. أفهمتي؟".

وضع الشاب الخطابات في جيبه قائلاً: "أهناك رسالة؟".

"فقط للسيد نيلسن. أخبره أنه عليه الذهاب إلى عمله غدًا صباحًا. هل يمكنك أن تتذكر ذلك؟ أخبره أنه ليس هناك مجال للشكوى، ولا للضييق، ولا لطرح الأسئلة".

المريخ في برج الجدي

حيث يجد جاسكوين بعض الجوانب المشتركة مع فرانسيس كارفر، ويتصرّف سووك يونج شينج بناء على انطباع خاطئ، ويسدي كيي لونج بعض النصح للمنتقم.

يُكِنُّ أوبرت جاسكوين للسفن حبَّ البحَّار الأخرق. وعلى مدار الثلاثة أسابيع الماضية قصد لسان هوكتيكا الرملي عدة مرات ليتأمل هيكل جودسييد المحطم، ويتابع تقدمها وهم يجرجرونها تدريجيًّا أقرب وأقرب للشاطئ. والآن، وبعد أن تمَّ سحبها إلى الرمال اتَّسع أمامه المجال ليفحصها، ويقيس، بعينه الخرقاوين، مدى الدمار الذي حاق بها. وقد أتى إلى هنا، بعدما ترك مودي... حيث ليس لديه ما يشغله، في عصر يوم الأحد، فقد فرغ من قراءة الجرائد، ولم يكن

يحسُّ بالعطش، واليوم مشرقٌ وبهيج لدرجة لا تسمح بقضائه في الأماكن المغلقة.

ظلَّ جالسًا مستندًا بظهره إلى المنارة لعدة ساعات يشاهد مقدار التقدم في سحب السفينة، ويقلب حجرًا منقُطًا بالأخضر بين يديه؛ وقد بنى بجانبه قلعة صغيرة أسوارها مصنوعة من صفوف من الحصى المبطُط الموضوعة داخل تلال من الرمال. وفي وقتٍ ما بعد الساعة الخامسة، غيَّرت الرياح اتجاهها فجأة، فخبطت ياقة قميصه على رقبتِه وأرسلت رعشةً رطبة حتى أسفل عموده الفقري؛ فقرر چاسكوين الرحيل. وقف ونفض الرمال عن نفسه، وكان يتساءل هل يركل قلعته فيحطمها أم يتركها سليمة حين ملح رجلًا يقف على بُعد خمسين ياردة منه. غارَسًا في الرمال قدميه بعيدتين عن بعضهما، وعاقِدًا ذراعيه، كأنها في استنكار؛ وهيئته العامة تشي بسخط من أشد الأنواع، تمامًا كملابسه، القائمة. أدار الرجل رأسه قليلًا، ولمح چاسكوين لوهلة قصيرة، اللمعان الزجاجي لندبة.

لم يلتقي چاسكوين بفرانسييس كارفر بشكل رسمي، رغم أن سمعة كارفر قد وصلت لأسماعه، السمعة المتأثرة بشكل كبير بما صرحت به آنا ويذريل منذ أكثر من شهر بخصوص موضوع مقتل جنينها. وما قالته آنا مستفزٌ بدرجة كافية لضمان تجنب القبطان السابق نهائيًا، لكن إحساس چاسكوين بالبُغض يحتاج إلى إثبات شخصي أكثر مما يحتاج للعرض العام: وهو يجد متعة حقيقية في عقد روابط الصداقة مع رجل لديه سبب لكرهيته، وهو يحب كثيرًا إحساس أنه يتعامل مع الآخرين بناء على تصنيفه الخاص، الذي ينبع من داخله، كبر، يستطيع أن يعكّره، أو يشرب منه، على هواه الخاص، وفي الوقت الذي يختاره.

مشى باتجاه كارفر رافعًا قبعته.

"اسمح لي يا سيدي، هل أنت قبطان هذه السفينة؟".

نظر إليه فرانسيس كارفر، ثم بعد برهة، أوماً قائلاً: "كنت قبطانها".

كانت الندبة البيضاء على وجنته متغضنة قليلاً عند أحد الأطراف، بالشكل الذي يظهر حين تتوقف الخيطة عن عملها وتترك إبرتها في القماش؛ وتلك الإبرة الخيالية ترقد بجانب فمه، وتبدو كأنها تشده لأعلى، في محاولة فاشلة لإقناع وجهه المتجهّم بالابتسام.

قال چاسكوين وهو يمد يده: "اسمح لي أن أعرفك بنفسي، أنا أوبرت چاسكوين، موظف في المحكمة".

نظر إليه كارفر ثانية وقال بنفور: "موظف؟ ما هو عملك؟"، وصافح چاسكوين، وظهر نفوره في قبضته المرتخية التي أفلتت يد چاسكوين سريعاً.

قال چاسكوين بلا تواضع ولا تنازل: "تخصصي هو الأعمال البسيطة، التظلمات المالية صغيرة القيمة، وأحياناً أتولى مطالبات التأمين التي تأتي إلينا. هذه السفينة مثلاً"، وأشار إلى حطام سفينة بخارية ترقد على جانبها بجانب مصب النهر على مسافة خمسين ياردة منهما. "لقد تمكّنا من جمع المال الكافي لتغطيتها، بالكاد. وسعد القبطان للغاية؛ فقد كان يواجه ديناً بمبلغ خمسمائة جنيه".

قال كارفر: "قيمة التأمين؟".

"قيمة التأمين ومضافاً إليها بنود أخرى، لديّ بعض المعارف في هذا المجال"، وأضاف وهو يخرج علبة سجائره: "والد زوجتي الراحلة كان يعمل في التأمين الملاحى".

قال كارفر: "في أي مؤسسة؟".

قال چاسكوين وهو يفتح العلبة الفضية: "اللويذن، في لندن. كنت أتابع تقدّم جودسبيد، في الأسابيع القليلة الماضية. أنا سعيد أنها خرجت من الماء أخيرًا. يا له من جهد جسيم! اسمح لي أن أثني على الطاقم... وعليك يا سيدي، في إدارتك للأمر".

راقبه كارفر للحظة، ثم أدار عينيه إلى جودسبيد، وقال وعيناه على سفينته المحطمة: "ماذا تريد؟".

قال چاسكوين، حاملاً سيجارته بخفة بين أصابعه: "بالتأكيد لا أسعى لإهانتك"، ثم توقف للحظة وراحته متجهتان لأعلى: "أنا لا أقصد اقتحام خصوصيتك بأي شكل. كنت أراقب تقدّم حالة السفينة، هذا كل ما في الأمر. فمن النادر أن تتاح للمرء فرصة رؤية مثل هذه السفينة على اليابسة. والتّمعن فيها".

ظلت عينا كارفر على السفينة: "أقصد: هل تريد أن تبيعني شيئاً؟".

كان چاسكوين يشعل سيجارته، ومرّت برهة قبل أن يجيب، ثم قال، نافثاً دفعة من الدخان من فوق كتفه: "لا، على الإطلاق. أنا لست مندوباً لأي شركة تأمين. يمكنك أن تقول إنني أهتم بهذه الأمور بصفة شخصية. بدافع الفضول".

لم ينطق كارفر.

أضاف چاسكوين: "أحب الجلوس على الشاطئ أيام الأحد، حين يكون الجو لطيفاً. لكن عليك أن تخبرني إن كنت أضايقك بسؤالي".
حرّك كارفر رأسه، "لم أقصد أن أكون فظاً".

لوّح چاسكوين بيده مشيراً أنه لا داعي للاعتذار. "إنني أحزن لرؤية سفينة جيدة محطمة".

"إنها سفينة جيدة جداً".

"رائعة، إنها فرقاطة، أليس كذلك؟".

"سفينة شحن".

تمتم چاسكوين معبراً عن استحسانه: "صناعة إنجليزية؟".

أوماً، "إنها مغلّفة بالنحاس كما ترى".

أوماً جاكسوين شارد الذهن، "نعم، سفينة جيدة... أرجو أن تكون مغطّاة بتأمين".

قال كارفر: "لا يمكنك أن ترسو في أي ميناء بدون تأمين. وهذا ينطبق على كل أنواع السفن. بدون تأمين لن تتمكن من الرسو. ظننتك تعرف هذا، إن كان لديك أي فكرة عن التأمين".

تحدث بصوت جاف النبرة، مليء بالاحتقار، كأنه لا يكثرث كيف يتم فهم كلامه، أو تذكّره، أو استخدامه.

قال چاسكوين باستخفاف: "بالطبع، بالطبع، ما أقصده هو أنني سعيد أنك لم تخسر مالاً من جيبك الخاص".

شخر كارفر. "حين ينتهي كل شيء سأكون قد خسرت ألف جنيه. كل ما تراه أمامك الآن يكلّفني مالاً... ومن جيبي الخاص".

سكت چاسكوين برهة قبل أن يسأله: "ماذا عن الحماية والتعويض؟".

"لا أعرف هذا".

أوضح له چاسكوين، "الحماية والتعويض ضد الحوادث غير المعتادة".

كرّر كارفر كلامه: "لا أعرف هذا".

"هل أنت مشترك في جمعية لمالكي السفن؟".

"لا".

خفض چاسكوين رأسه بوقار وقال: "آه، إذن ستتحمّل أنت كل هذا..."، مشيراً بيده للمشهد الماثل أمامه، لهيكل السفينة المستقر على الشاطئ، وبكرات الرفع، والخيول، وزوارق السحب، والزلاجات، والونش.

قال كارفر، بنفس النبرة الجافة: "نعم، كل ما تراه أمامك. وعليّ أن أدفع لكل رجل أكثر من حقه، حتى يقف بلا جدوى، يربط رباط حذاءه، ويعود ويفك الرباط، ويعقد اجتماعاً بخصوص اجتماع آخر، حتى يلهث الجميع، وأكون قد خسرت ألف جنيه".

قال چاسكوين: "أنا آسف لخسارتك، أترغب في سيجارة؟".

نظر كارفر لعبة السجائر الفضية، وقال بعد لحظة: "لا، شكرًا، لا أدخنها".

سحب چاسكوين نفّسًا عميقًا من سيجارته ووقف للحظة مفكّرًا.

قال كارفر مرة أخرى: "يبدو أنك مصمم على أن تبيع لي شيئًا".

ضحك چاسكوين. "أتقصد السيجارة؟ كنت أعرضها دون مقابل".

قال كارفر: "أظن أن رفضي لها يمنحني المزيد من الحرية". وضحك چاسكوين مرة أخرى.

"أخبرني، متى اشتريت هذه السفينة؟".

قال كارفر: "أنت تطرح الكثير من الأسئلة، لِمَ أنت مُهتَمٌّ بهذه المعلومات؟".

قال چاسكوين: "لا بأس، دعك مني، الأمر ليس مهمًا، قد يكون مهمًا إذا كنت قد اشتريتها منذ أقل من العام".

كان قد نجح في جذب انتباه كارفر. الذي نظر إليه الآن بإمعان وقال: "اشتريتها منذ عشرة أشهر، في مايو".

قال چاسكوين: "آه! حسنًا، هذا أمر جيد. قد يكون هذا في صالحك".

"كيف؟"

لم يجبه چاسكوين على الفور، بل ضيق عينيه وادّعى الانشغال بالتفكير. "هل منحك البائع التغطية المعتادة؟ أقصد هل أخذت منه وثيقة التأمين القديمة؟ أم تعاقدت على وثيقة جديدة؟".

قال كارفر: "لم آخذ منه أي شيء".

"هل اشتريتها من شخص يعمل في مجال السفن؟ ألدیه سفن أخرى غير جودسبيد على سبيل المثال؟".

قال كارفر: "لديه اثنتان غير هذه، سفن شحن كبيرة، ويؤجرهم".
"سفن بخارية؟".

قال كارفر: "سفن شراعية، لِمَ تسأل؟".

"ومن أي ميناء أبحرت؟ حين غرقت السفينة؟".

"ديوندن. هل ستخبرني ما الغرض من كل هذه الأسئلة؟".

أوما چاسكوين قائلاً: "فقط من ديوندن. حسنًا، والآن، اسمح لي بسؤال أخير، هل يمكنني أن أسألك عن ملابسات غرق السفينة. أظن أنه لم يحدث إهمال أو تقصير، أو شيء من هذا القبيل، يمكن أن يتسبب في غرق السفينة".

هزّ كارفر رأسه وقال: "كان المذمّن مخفضًا، لكننا كنا بعيدين عن الشاطئ بمسافة كافية. ألقيت سلسلة المرساة لعمق خمس وستين قدمًا، وحين وصلت السلسلة للقاع ألقيت مرساتين وعشرون قدمًا

إضافية من السلاسل. وأعطيت تعليمات بالمراقبة والانتظار حتى الصباح. بعدها وجدنا السفينة على جانبها على اللسان الرملي. والسماء تمطر والسحب تحجب القمر. والرياح قد أطفأت ضوء المنارة. لم يكن هناك شيء يمكن لأحد أن يفعله. لا يوجد ما قد يُصنّف كإهمال أو تقصير. ليس وأنا في موقع القيادة".

كان هذا، بالنسبة لفرانسيس كارفر، خطبة طويلة للغاية؛ حين أنهى حديثه عقد ذراعيه على صدره، وأظلم وجهه، وقطَّب في وجه چاسكوين.

"اسمع. ما شأنك بكل هذا؟ سيكون من الأفضل أن تحدثني بصراحة؛ فأنا لا أحب التجار المحتالين".

تذكر چاسكوين أن الرجل قد قتل ابنه. وأثارته هذه الفكرة بشكل غريب، فقال ببساطة: "لقد خطر لي شيء ربما يساعدك".

زاد عبوس كارفر، "ومن قال إني بحاجة للمساعدة؟".

قال چاسكوين: "أنت مُحقِّق، لقد تخطَّيتُ حدودي".

قال كارفر: "قل ما عندك".

قال چاسكوين: "حسنًا. كما ذكرت لك فإن والد زوجتي الراحلة كان يعمل في التأمين الملاحى. وقد تَخَصَّص في الحماية والتعويض".

"أخبرتكَ أُنَى لا أملك هذا".

قال چاسكوين: "نعم، لكن هناك احتمال أن يكون الرجل الذي باعك السفينة، ما اسمه؟".

قال كارفر: "لودرباك".

توقَّف چاسكوين ليظهر دهشته، "أهو السياسي؟".

"نعم".

"أليستار لودرباك؟ إنه في هوكتيكا حاليًا، مُرَشَّحًا لمقعد الأراضي الغربية في البرلمان!".

"أكمل ما كنت تقول. الحماية والتعويض".

هزَّ چاسكوين رأسه وقال: "نعم. هناك احتمال لأن يكون السيد لودرباك، باعتباره مالِكًا لعدة سفن، قد انضم لإحدى جمعيات مُلَّاك السفن. هناك احتمال أن يكون قد دفع سنويًا مبلغًا يودَع في وديعة مشتركة تسمى الحماية والتعويض، كنوع من التأمين الإضافي الذي له طبيعة مختلفة قليلًا عمَّا نعرفه من التغطيات التأمينية المعتادة".

"لحماية حمولة السفينة؟".

قال چاسكوين: "لا. الحماية والتعويض يعمل بمثابة وعاء مشترك، يدفع فيه مُلَّاك السفن مبلغًا سنويًا، ويمكنهم في حالات الضرورة السحب منه إذا وجد الفرد منهم نفسه مُطالبًا بتحمُّل تكاليف تلفيات لا يغطيها التأمين العادي. تكاليف من النوع الذي تواجهه الآن. مثل إزالة حطام السفينة على سبيل المثال. هناك احتمالية لأن تكون جودسبيد مُغطاة بمثل هذا التأمين حتى وإن تغيَّر مالِکها".

قال بدون أي فضول: "كيف ذلك؟".

"حسنًا. إن تمَّ الاشتراك في هذا النوع من التأمين منذ عدة سنوات، وكانت هذه هي أولى الحوادث الجسيمة التي تواجهها هذه السفينة، ربما يكون من حقِّ السيد لودرباك أن يسحب بعض النقود لحساب جودسبيد. فالحماية والتعويض لا يتبع قواعد التأمين العادي، فليس هناك شركة تأمين، ولا حاملو أسهم لتلك الشركة، وبالتالي فإن مفهوم تحقيق الربح هنا ليس موجودًا. الفكرة هنا هو وجود كيان يتعاون فيه الرجال بصفاتهم جميعًا من مُلَّاك السفن. كل فرد منهم يدفع مبلغًا سنويًا، حتى يجمعوا ما يكفي لتغطيتهم جميعًا. وبعدها، تظل السفن مغطاة، أو على الأقل تظل مغطاة حتى يحدث حادث يضطر

أحد منهم للسحب من الوعاء المشترك. أتعرف القول الدارج 'أحدهم مدين لي؟' إنه يناسب هذا الموقف تماماً".

قال كارفر: "أتعني أن جودسبيد قد يكون لها حساب خاص".
"بالضبط".

فكر كارفر قليلاً، "كيف أعلم عن مثل هذا؟".

هزّ چاسكوين كتفيه، "يمكنك أن تتحرى الأمر. مثل هذه الجمعية لا بُدَّ أن تكون مُسجَّلة، وأسماء مالكي السفن المنضمين لها مسجَّلة أيضاً. هذا بالطبع بافتراض أن لودرباك منضمٌ لجمعية منها... لكني أعتقد أن هناك احتمالاً كبيراً لهذا".

وفي الواقع فالأمر أكثر من مجرد احتمال، إنها حقيقة. أليستار لودرباك لديه تأمين للحماية والتعويض يغطي جميع سفنه، كل سفينة منهم مغطاة بما يقرب من الألف جنيه، وكارفر له الحق، قانوناً، في سحب بعض هذه الأموال لتساعده في نفقات إزالة حطام السفينة من على لسان هوكتيكا الرملي، إذا قُدِّم طلب الحصول على التعويض قبل منتصف شهر مايو، قبل أن يمر عام على بيع السفينة، وتنتهي مسؤولية لودرباك القانونية عنها. وچاسكوين يعلم كل هذا علم اليقين لأنه تحرَّى الأمر بنفسه. أوَّلاً في مكتب توماس بالفور للشحن، ثم في أرشيف أخبار التايمز، وبعدها في مكتب رئيس الميناء، وفي البنك المركزي. حيث علم أن لودرباك عضو في جمعية تعاونية صغيرة لمالكي السفن تُدعى "مجموعة جاريتي"، وقد سُمِّيت باسم أشهر أعضائها، چون هينشر جاريتي، الذي هو (كما اكتشف چاسكوين) بطل عصر الأشرعة المتحمَّس، رغم الغروب الوشيك لهذا العصر، والذي اتَّضح أنه أيضاً، يشغل مقعد دائرة هيثكوت في البرلمان، وصديق لودرباك الحميم.

علينا أن نوضح أن چاسكوين قام بهذه التحريات في سياق إجراءاته لتحقيق خاص... تحقيق ليس له أدنى علاقة بالتأمين الملاحي، ولا بچون هينشر جاريتي. فمنذ ليلة السابع والعشرين من يناير، أمضى چاسكوين ساعات طويلة في مكتب مدير الميناء مُنكبًا على السجلات القديمة والصفحات القديمة المحتوية على أخبار السفن؛ واشترك مع لوينثال في مراجعة كل النشرات السياسية القديمة في جرائد الليدر، وأوتاجو وتنس، ودايلي ساوذرن كروس، وجريدة تايمز ليلتلون؛ وتصفح، في أرشيف المحكمة، كل هو متعلق بتعيين چورچ شيرد في منصبه، ومخيم الشرطة المؤقت، والسجن المزمع إنشائه. وكل هذا من أجل البحث عن شيء محدّد جدًّا: عن دليل يربط شيرد بلودرباك، أو يربط لودرباك بكروسبي ويلز، أو يربط كروسبي ويلز بشيرد، أو يربط الثلاثة معًا. كان چاسكوين متأكدًا أن علاقة واحدة على الأقل من هذه العلاقات لها دور في اللغز الذي يتصدّون له. وحتى هذه اللحظة، لم يثمر بحثه عن أي نتائج مفيدة على الإطلاق.

اكتشاف التأمين على التلفيات غير العادية الذي تتمتع به جودسبيد هو أحد هذه "النتائج غير المفيدة" لبحث چاسكوين، فتاريخ لودرباك التأميني ليس له أي علاقة بقضية كروسبي ويلز، ولا يرتبط بأي شكل بچورچ شيرد، ولا بمبنى السجن الذي هو تحت الإنشاء حاليًا. لكن چاسكوين بالفعل لديه بعض الخبرة في مجال التأمين الملاحي، كما أخبر فرانسيس كارفر، ولم يكذب حين قال إن هذا الموضوع يثير فضوله باعتباره مجال عمل حميّه السابق؛ وبالتالي فقد كان محور العديد من الأمسيات في غرفة المعيشة على مدار سنين عدّة. وقد أثار ارتباط لودرباك بمجموعة جاريتي اهتمامه، واحتفظ بالمعلومة في عقله كبند يحتاج لمزيد من البحث المفصل في المستقبل.

علم أوبرت چاسكوين أن فرانسييس كارفر متوحش، ولم يسعَ لكسب صداقته؛ لكنه شعر بأن نجاحه في كسب كارفر سيكون مفيداً بشكل ما؛ ولهذا الغرض حاول جذب انتباهه على لسان هوكتيكا الرملي عصر اليوم.

كان كارفر يفكر في الحماية والتعويض. وقال: "أعتقد أنني سأحتاج إلى موافقة من لودرباك. لأقدم طلباً للحصول على ذلك التعويض. أعتقد أنني سأحتاج توقيعه".

ردّ چاسكوين: "ربما، لكن حقيقة أن انتقال ملكية السفينة مضى عليه عشرة شهور فقط لها قيمتها. ربما يكون هذا منفذاً للنجاة. (وهذا صحيح تماماً). وحقيقة أنك بسرائك السفينة تستحق انتقال هذا التأمين إليك لها قيمتها أيضاً، فمن يأخذ الكل، يأخذ الجزء، أليس كذلك؟ (بالطبع هو كذلك). ولوَّح چاسكوين بيده، ختاماً لحديثه، "لقد كنت تبهر في مياه نيوزيلندية، وإذا لم يكن هناك إهمال من جانبك، كما قلت، فمن المحتمل جداً أنه يحقُّ لك تقديم طلب للحصول على هذا التمويل".

لقد أجرى الرجل بحثه على أكمل وجه، وأوماً كارفر منبهراً.

قال چاسكوين، وهو يحسُّ بنجاحه في غرس بذور الفضول: "عليك أن تتحرى الأمر؛ فربما توفّر على نفسك مبلغاً ضخماً". ولفَّ سيجارته في يده ليرى إن كانت مشتعلة، وليتيح لكارفر الفرصة لينظر إليه براحتة.

قال كارفر: "وما الفائدة التي تعود عليك من هذا؟".

قال چاسكوين: "لا شيء على الإطلاق. لقد أخبرتك أنني أعمل في المحكمة".

"ربما لديك صديق في الحماية والتعويض".

قال چاسكوين: "لا. وكما أخبرتك فإن الأمر له نظامه الخاص".
وقذف بعقب سيجارته إلى الصخور أسفل المنارة.

"أنت مجرد رجل يخبر رجلاً آخر بمنفذ للنجاة".

قال چاسكوين: "أظن أني كذلك".

"ثم تذهب لحال سبيلك".

رفع چاسكوين قبعته. وقال: "سأعتبر أن هذا إشارة لي بالانصراف.
يومك سعيد... أيها القبطان...؟".

"كارفر"، قالها القبطان السابق وهو يشدُّ على يد چاسكوين بقوة
هذه المرة. "اسمي فرانك كارفر".

وبابتسامة لطيفة قال چاسكوين: "وأنا أوبرت چاسكوين. إذا ما
احتجتني، ستجديني في المحكمة. حظاً سعيداً مع جودسبيد".

قال كارفر: "حسنًا".

"إنها حقًا سفينة بديعة".

خطا چاسكوين مبتعدًا، وهو يحسُّ باندعاش من نفسه يشرق
داخله. نظر ناحية الطريق، ولم ينظر خلفه... لعلمه أن عيني كارفر
الداكنتين تتبعانه على اللسان الرملي، وعلى جانب الرصيف، وحتى
نهاية الناحية الجنوبية من شارع ريفل، حيث استدار عند الناصية،
واختفى عن الأنظار.



في طريقه لكانير، ساعياً لمقابلة مواطنه كيي لونج، غرق سووك
يونج شينج في أفكاره، مشى ويده معقودتان خلف ظهره، وعيناه
ثابتتان -دون أن تبصرا شيئاً- على الأرض أمامه. بالكاد أدرك مَنْ مرَّ بهم

على جانب الطريق، لم ينتبه لقطعة عربات الكارو المثقلة بالأحمال، ولا للقلّة القليلة من الركاب المتجهين إلى الأخدود، جميعهم يرتدون القمصان، وجميعهم بلا قبعات، يتمتعون بشمس الصيف الشاحبة التي بدت، لندرتها، كأنها تشرق بنور العناية الإلهية العطوف. سادت أجواء المرح على طول الطريق، ومن بين الأشجار، ومن حين لآخر، تأتي قطعة من ترتيلة، مُغنّاة، بتناغم، وبلا عزف موسيقي يصاحبها، في إحدى الكنائس المؤقتة المبنية في مخيمات الأراضي الداخلية. لم ينتبه آه سووك لأي من هذا. فلقاؤه هذا الصباح بليديا جرينواي -ليديا ويلز حاليًا- قد كدّره بشكل عميق، وكان الآن، وفي محاولة لتهدئة اضطرابه، يسترجع تاريخه في عقله، ويحيكي نفس الحكاية التي حكاها لأه كيي منذ ثلاثة أسابيع.

حين تعرّف فرانسيس كارفر على عائلة سووك لأول مرة، كان شاباً في الحادية والعشرين من العمر، وسووك صبيّاً في الثانية عشرة، وبسبب فارق العمر بينهما نظر سووك لكارفر باعتباره مثلاً أعلى، كان كارفر شاباً مقتضب الحديث كثير التفكير، وُلِدَ في هونج كونج لتاجر بريطاني، وتربى في البحر. ويتحدث الكانتونية بطلاقة، رغم أنه لا يحمل بين جوانحه أيّ حب للصين، وينوي مغادرة أراضيها بمجرد الحصول على سفينة... وكثيراً ما أشار لهذا الطموح. عمل كارفر في مؤسسة دنت وشركاه التجارية، فرع جوانجزو، التي يشغل والده فيها منصباً كبيراً، تولى كارفر مسؤولية الإشراف على نقل البضائع الصينية من وإلى مخازن التصدير الواقعة على نهر بيرل. أحد هذه المخازن، كان ملكاً للسيد سووك تشن يو ون، والد سووك يونج شينج.

لم يكن سووك يونج شينج يعلم الكثير عن الجوانب المالية لأعمال والده. لكنه يعلم أن مخزن سووك يعمل كمركز اتصال للتجار، ومعظمهم من الشركات التجارية البريطانية. ويعلم أن دنت وشركاه هي أشهر هذه الشركات وأوسعها نفوذاً، وأن والده فخور للغاية

بالعمل معهم. ويعلم أن زبائن والده يدفعون قيمة مشترياتهم بالفضة، وهذه مدعاة أخرى لفخر سووك تشن يون؛ ويعلم أيضًا أن والده يكره الأفيون، ويكنّ تقديرًا عميقًا للمفوض الإمبراطوري، السيد لين تسو شو. لم يدرك آه سووك أهمية أيًا من تلك التفاصيل لكنه ابن مخلص، واعتنق كل معتقدات والده دون مناقشة، واثقًا في نقائنها وحكمتها.

في فبراير من العام 1839 تمّ استهداف مخزن عائلة سووك ليخضع لتفتيش إمبراطوري... وهو مجرد إجراء روتيني، لكنه محفوف بالمخاطر، حيث أنه تحت حكم السيد المفوض لين، يواجه أي تاجر صيني يُضبط متلبسًا بإخفاء الأفيون عقوبة الموت. استقبل سووك تشن يون قوات الإمبراطورية في مخزنه بترحاب، حيث عثروا على حوالي ثلاثين أو أربعين صندوقًا من عجينة الأفيون مُخبأة بين الشاي، وزن الصندوق الواحد حوالي خمسين رطلًا. وذهبت احتجاجات سووك تشن يون سُدَى، وتم إعدامه فورًا، ودون محاكمة.

واحترأه سووك. فتقته الفطرية في نزاهة أبيه تدفعه للظن بأنه مظلوم، وثقته الفطرية في فطنة أبيه تدفعه للشك في أنه مظلوم. ولم يدرك ماذا يصدق... ولم يملك الوقت الكافي للتفكير، فخلال أسبوع من إعدام والده، اندلعت الحرب في جوانجزو. وحرصًا على حياته وحياته أمه التي كادت تُجنّ حزنًا على والده؛ لجأ أه سووك للرجل الوحيد الذي يثق به: مندوب شركة دنت وشركاه، الشاب فرانسيس كارفر.

أظهر السيد كارفر ترحيبًا بالغًا بالاستيلاء على أعمال عائلة سووك، وتولّى جميع مسؤوليات التنظيم والإدارة، على الأقل، كما قال، حتى تهدأ أحزان أه سووك، وتهدأ الحرب الأهلية، أو تنتهي. وفي لفتة عطوف، اقترح كارفر على الصبي الاستمرار في العمل في مجال التصدير؛ احترامًا لذكرى والده، التي طالها الخزي. وأنه إن أراد

الصبي، فبإمكان كارفر أن يوفر له فرصة عمل شريفة ومحترمة، رغم تفاقتها، في تعبئة البضائع؛ ممّا ستتيح للصبي كسب عيشه خلال الحرب. سعد أه سووك بهذا العرض سعادة بالغة. وبعد ساعات من هذه المحادثة أصبح عاملاً لدى فرانسيس كارفر.

قضى أه سووك الخمسة عشر عاماً التالية، في لفّ مختلف أشكال وأنواع المصنوعات الخزفية بالقش، وفي تغليف لفّات القماش الحريري المطبوع بالورق، وفي رصّ عبوات الشاي الصغيرة في صناديق، وفي تعبئة وتفريغ شحنات البضائع، وفي دقّ المسامير في أغطية صناديق الشحن الخشبية، وفي لصق الملصقات على الصناديق الورقية، وفي تصنيف المنتجات دقيقة الصنع عديمة النفع التي تسمّى في مخازن البضائع باسم "التحف الصينية". وخلال تلك الفترة، نادراً ما التقى بكارفر، الذي قضى معظم وقته في البحر، لكن لقاءتهما، إن حدثت، اتّسمت بالدفع: حيث اعتادا أن يجلسا سوياً على رصيف الميناء ويشربا سوياً زجاجة من الخمر، ويحدّثا في مصب النهر حيث يتحوّل لون المياه من البني إلى الأزرق، ثم إلى الفضي، وأخيراً إلى اللون الأسود، ثم ينهض كارفر ويخبط بيديه على كتفي أه سووك، ويلقي الزجاجة الفارغة في النهر، ويغادر.

في صيف عام 1854 عاد كارفر إلى جوانجزو بعد غيبة عدة أشهر، وأخبر أه سووك -الذي أصبح رجلاً يقترب من الثلاثين- أن اتفاقهما قد شارف على نهايته. وأن حلم حياته بقيادة ناقلة تجارية قد تحقّق أخيراً: فمؤسسة دنت وشركاه بصدد إنشاء خطّ تجاري إلى سيدني وحقول الذهب الفيكتورية، وأن والده قام بتأجير سفينة شحن كبيرة تُدعى بالمرستون لصالحه. وهي ترقية كبيرة لا يمكن لكارفر أن يرفضها. وقد أتى، كما قال، ليودع عائلة سووك، وكل هذه الحقبة من حياته. حزن أه سووك لوداع كارفر. في هذا التوقيت كانت أمه قد توفيت، وأفسحت حروب الأفيون في جوانجزو المجال لثورة دموية

محتدمة تُنذر بالحرب، وربما أيضًا بنهاية الإمبراطورية. كان التغيير قادمًا. فبمجرد رحيل كارفر سيتم بيع المخزن، وستنتهي العلاقة مع دنت وشركاه، وسينفصل أه سووك عن حياته القديمة تمامًا. وبوحي اللحظة توَّسل لكارفر أن يأخذه معه؛ فبإمكانه أن يجرب حظه في حقول الذهب في فيكتوريا، حيث رحل بالفعل الكثير من أبناء وطنه إلى هناك، وربما؛ وهكذا قال أه سووك، يمكنه أن يصنع لنفسه حياة جديدة، كما فعلنا هنا سويًا. فلم يعد في الصين ما يبقى لأجله.

وافق كارفر على طلبه بلا حماس. أخبره أن بإمكانه القدوم، لكنه سيتحتم عليه دفع ثمن التذكرة، والبقاء في حاله بعيدًا عنه.

من المفترض للسفينة بالمرستن أن ترسو في سيدني، وتبقى في ميناء چاكسون لمدة أسبوعين لأغراض الشحن والتفريغ، ثم تستأنف رحلتها حتى ميلبورن جنوبًا؛ وخلال هذين الأسبوعين يجب على أه سووك أن يظل في حاله، وألا يزعج كارفر -الذي أصبح، من الآن فصاعدًا، يُدعى بلقب "القبطان"- بأي شكل. وحين ترسو بالمرستن في ميناء فيليب، سيفترقان كالغرباء، في سلام، لا يدين أحدهما للآخر بشيء، ولا يتوقع منه شيئًا، ومن بعدها، سوف لن يلتقيا مرة أخرى. وفي نوبة من الحماس المفاجئ، وافق أه سووك. وتنازل عن ممتلكاته القليلة، وبدل مدخراته الضئيلة بجنيهاً، واشترى تذكرة لأفضل مكان سمح له كارفر بالنزول فيه، وهي الدرجة الثالثة. واكتشف بعد قليل، أنه الراكب الوحيد على سطح السفينة.

مرّت الرحلة حتى سيدني بدون مشاكل؛ حين يعود أه سووك بذاكرته إليها يراها كسديم من التشوش والغثيان، الذي يتضح ببطء، كأنه بداية صداع نصفي. وحين اقتربت السفينة من فم الميناء العريض الضحل، عافر أه سووك للصعود من مرقده إلى سطح السفينة أخيرًا، كان ضعيفًا وهزيلًا من بقائه في البحر لأسابيع طويلة متواصلة.

بدا ضوء الشمس غريبًا جدًا في عينيه؛ أحسَّ أن ضوء الشمس في الصين كان أكثر رقةً، وبياضًا، ونظافة. أما الشمس الاسترالية فكانت صفراء اللون، سمكة الضوء، كأنها باستمرار في طريقها للغروب، حتى في الصباح الباكر، حتى في منتصف النهار.

حين وصلت السفينة لمربطها في ميناء دارلينج، لم يطق قبطانها صبراً على مغادرتها: نزل سلم حبال البالمستون، ومشى بطول الرصيف، ودخل بيت دعارة على جانب رصيف الميناء، دون أن يلقي نظرة خلفه. وتبعه طاقم السفينة؛ وسرعان ما وجد أنه سووك نفسه وحيداً. غادر السفينة وهو يحفظ مكان مربطها في ذاكرته، واتجه داخل البلاد عازماً، بشكل ساذج، أن يكون فكرة عن البلد التي سيعيش فيها.

كانت إنجليزية أه سووك سيئة جداً؛ لسبب بسيط، هو أن حديثه مع كارفر كان يدور بالكانتونية، ولم يكن أه سووك يعرف ممن يتحدثون الإنجليزية سواه. بحث بلا طائل عن وجوه صينية على أرصفة الميناء؛ وتوغل أكثر للداخل، مشى لساعات طويلة في الشوارع، متفقداً ما حوله؛ بحثاً عن لافتة ملونة، أو حتى حرف واحد يمكنه فهمه. ولم يجد شيئاً. ذهب إلى مكتب الجمارك، حيث أخرج إحدى الأوراق البنكية المطوية مع بقية مدخراته المخبأة في الشريط الذي يزين قبعته، ورفعها عالياً؛ فربما تستطيع النقود أن تتحدث، ما دام هو لا يستطيع الحديث. رفع ضابط مكتب الجمارك حاجبيه، وقبل أن ينبس بكلمة كانت قبعة أه سووك قد نُزعت من يده. التفت أه سووك ولمح صبيًا حافي القدمين يجري بسرعة مبتعداً. صرخ أه سووك غاضبًا وطارد الصبي، لكن الصبي كان سريعاً ويعرف خبايا أرصفة الميناء جيداً، وخلال دقائق، اختفى.

بحث أه سووك عن الصبي حتى حلول المساء. وبعد أن فقد الأمل عاد إلى مكتب الجمارك، وهناك هزّ الضباط رؤوسهم وفردوا أيديهم. وأشاروا إلى داخل البلاد، وأطلقوا وابل من الكلمات. لم يعرف أه سووك ما أشاروا إليه، ولم يفهم ما قالوه. وأحسّ بنشيج يتصاعد في حلقه. فشريط قبّعته يحوي كل ما يملكه من نقود، ما عدا الورقة الوحيدة التي أمسكها في يده الأخرى: لقد أصبح مُعدَمًا. وباضطراب شديد خلع حذائه ووضع آخر ورقة مالية يملكها في التجويف البالي تحت كعبه، وارتدى حذاءه وعاد إلى بالمرستن. فعلى الأقل، هناك شخص واحد يعرف الكانتونية في سيدني.

اقترب أه سووك بحذر من بيت الدعارة. ألقى لأسماعه من الداخل صوت بيانو، رنين الصوت لم يكن مألوفًا بالنسبة له، وأحسّ به مجوفًا ومريحًا. وطال وقوفه على عتبة الباب متسائلًا هل يطرقه أم لا، وفجأة انفتح الباب على مصراعيه وظهر من خلفه رجل.

انحنى له أه سووك. وحاول أن يشرح بأدب أنه يريد التحدث مع رجل يدعى كارفر، قبطان بالمرستن. ردّ عليه الرجل بسلسلة من الأصوات غير المفهومة. أصرّ أه سووك على طلبه، وكرّر اسم كارفر بهدوء وعناية. فجاءه نفس الرد. بعدها حاول أن يشرح للرجل براحة يده أنه يريد المرور من خلفه والدخول ليتمكن من الحديث مع كارفر بنفسه. وهذه كانت غلطة. قبض الرجل بيد ضخمة على ياقة قميص أه سووك ورفعته ورماه في الشارع. وقع أه سووك وقعة مؤلمة وانجرح ساعده وفخذه. شمر الرجل أكمّام قميصه ونزل السلام وأخذ نفّسًا أخيرًا من سيجاره قبل أن يلقيه جانبًا على رصيف الميناء بحركة سريعة من يده. ثم رفع قبضتيه مبتسمًا. غمر القلق أه سووك، ورفع يديه في إشارة إلى أنه لا يريد شجارًا، واستجدى الرجل طلبًا للرحمة. أدار الرجل رأسه مناديًا، وفي لحظات ظهر على الباب رجل آخر بوجه رفيع وأنف معقوف. اندفع هذا الرجل ودار حول أه سووك، وأوقفه

على قدميه، وثبتت ذراعيه خلف ظهره، وهو وضع ترك وجهه أه سووك وصدره بلا حماية. تبادل الرجلان بعض الكلمات. وكافح أه سووك لكنه لم يستطع تحرير معصميه. نقل الرجل الأول ثقل جسمه من قدم لأخرى، وتقدم وتراجع عدة خطوات، رافعًا ساعده أمام وجهه، وكرر هذا لعدة مرات، ناقلًا خطواته بخفة، ثم اندفع ناحية أه سووك وأخذ يضرب وجهه وبطنه بقبضتيه. زعق الواقف خلف أه سووك، فردَّ عليه المعتدي بصوت يشبه النخير، وتراجع ليتقدم بنفس الطريقة ويطلق مجموعة جديدة من اللكمات. وسرعان ما ثار المعربدون داخل بيت الدعارة. وخرجوا إلى الشارع، جالبين معهم ضوضاء احتفالهم.

وظهر فرانسيس كارفر في مدخل بيت الدعارة. بدون سترته، مرتديًا قميصًا مُزِينًا بثنيات على الصدر، وربطة عنق زرقاء مربوطة بإهمال. فوضع يديه في خصره وراقب المشاجرة بهيئة قَلْقَة. والتقت عينا أه سووك بعينه.

صرخ أه سووك بفم مليء بالدماء: "مه جوي بونج نجو" ساعدني!
"مه جوي بونج نجو!" ساعدني!

بدا فرانسيس كارفر كأنه لا يراه. ولم يصدر عنه ما يدل على أنه فهم ما سمعه من أه سووك. قال أحد المعربين شيئًا، فردَّ عليه كارفر بالإنجليزية، وأشاح بنظره بعيدًا.

"بانج يوو! هوو بانج يوو!" يا صديقي! يا صديقي العزيز!

لكن كارفر لم ينظر ناحيته ثانية. وظهرت في الباب بجانب كارفر امرأة بشعر أحمر، وتسَلَّلَت تحت ذراعه؛ فأمسكها من خصرها وشدَّ جسدها ناحيته. وتمتم شيء في شعرها. فضحكت، وعادا إلى الداخل.

بعد قليل لم يُعَد باستطاعة الرجل الثاني تحمُّل ثقل جسد أه سووك؛ فألقاه أرضًا وهو يعبر عن سخطه من الدماء التي تناثرت

على سترته وأساوره. وبدأ الرجل الأول يركل أه سووك الملقى أرضاً، لكن من الواضح أن ذلك لم يكن مسلياً كرياضته الأولى، وفقد الحشد اهتمامه وانفضّ. وركل الرجل أه سووك ركلة أخيرة بطرف حذائه في ضلوعه، ثم عاد هو الآخر للداخل. وحين دخل بيت الدعارة علت موجة من الضحك، وعزف البيانو لحناً جديداً.

ومستخدماً كوعيه وركبتيه، جرّج أه سووك جسده المتكسّر إلى الحارة الجانبية بعيداً عن الأعين. ورقد في الظل يحسّ بألم حاد في كل مرة يسحب نفّساً داخل صدره. راقب أشعة السفن تتحرك غادية رائحة. وغربت الشمس. مرّ بعض الوقت ثم سمع مُشعل المصابيح يخطو على الرصيف، قريباً منه، وأتاه صوت هسيس ثم خبطة أثناء إشعال المصباح. وتحوّلت الظلمة إلى اللون الرمادي. خشي أن تكون كل ضلوعه قد تكسّرت. وأحسّ لزوجته مبللة كإسفنجة فوق منبت شعره. وأصبحت عينه اليسرى مغلقة. ولم يعرف إن كان يملك من القوة ما يمكنه من الوقوف.

انفتح الباب الخلفي لبيت الدعارة، رامياً بعض الضوء الأصفر على الأحجار. وخطت أقدام سريعة في الحارة. سمع أه سووك رنة طبق من الصفيح يوضع على الأحجار، ثم شعر بلمسة باردة من يد توضع فوق حاجبه. وفتح عينه اليمنى. ورأى شابةً بوجه رفيع مسحوب وأسنان أمامية بارزة جاثية أمامه. غمست قطعة قماش في الماء الدافئ، متممة ببعض الجمل التي لم يفهمها، وبدأت تمسح الدماء من على وجهه. ترك صوتها يغمره. كانت ترتدي مريلة منشأة مثل التي ترتديها نادلات الحانات، وخمّن أنها تعمل هنا. وتأكد من صحة تخمينه، بعد لحظة، حين تعالت صيحة من الداخل تناديها، تمنت الفتاة، وتركت قطعة القماش، واندفعت مبتعدة.

انقضت عدة ساعات. وتوقف عازف البيانو، وبدأت الضوضاء الصادرة من المكان تخفت. غفا أه سووك قليلاً، واستيقظ ليجد الهدوء يغمر ما حوله، وليجد النادلة وقد عادت. هذه المرة كانت تحمل علبة شاي تحت إحدى ذراعيها، وعدة أدوات ملفوفة في قطعة قماش، ومصباح زيت. جثت بجانبه ووضعت المصباح بحرص على الأحجار ولقّت مفتاحه فتوهّجت زجاجته بالضوء الأبيض. أدار أه سووك رأسه بقدر ما استطاع من رفق، ورأى، ببعض الدهشة، أن علبة الشاي التي كانت تحملها تحمل اسم عائلته، مطبوعاً بالصينية. انتابته رعشة، أخطأت المرأة فهمها؛ فقد ابتسمت وأومأت، ووضعت إصبعها على شفيتها بما يدل على سرّ. ثم فتحت العلبة وبحثت بأصبعها بين أوراق الشاي وجذبت لفافة صغيرة مربّعة، ملفوفة بالورق. وابتسمت لأه سووك. واحتار هو. فأدار رأسه بعناء للناحية اليمنى ليرى الأدوات التي أخرجتها المرأة من ربطتها... ورأى غليوناً قصيراً قبيح الشكل يرقد بجانب إبرة، وسكيناً، وسلطانية من الصفيح. التفت للمرأة متسائلاً، لكنها كانت مشغولة بضبط فتيل المصباح، وتركيب الغليون، وتجهيز العجينة. وأخيراً حين بدت الفقاعات على الأفيون، وفرّ خيطٌ ملتبس من الدخان الأبيض من التجويف الرقيق للغليون، وضعت المرأة فم الغليون على شفتيّ أه سووك. كان متعباً لدرجة لا تسمح له بالرفض. استقبل البخار في فمه، واستبقاه.

وأشرق نورٌ سائلٌ في صدره، وغمرت سكينه تامة جسده بأكمله. وتسربّ الألم من رأسه وصدره، ببساطة وسرعة كماء يتسرب عبر نسيج حريري. وأدرك ببطء، الأفيون، إنه الأفيون. إنه رائع. هذا المخدر رائع. إنه معجزة، إنه بلسم شافٍ. ناولته الغليون مرة أخرى ومضّ منه بنهيم، كمتسوّل يرشف من ملعقة. لم يتذكر متى غاب عن الوعي، لكن حين فتح عينيه ثانية كان الوقت نهائياً، والنادلة غائبة. ووجد نفسه يرقد مسنوداً بين صندوقين لفضلات الأطعمة خلف

المبنى، مغطى ببطانية ويتوسّد بطانية أخرى مطوية. أحدهم -النادلة غالبًا- جرجره إلى هنا. أم أنه أتى إلى هنا بنفسه؟ لم يستطع أن يتذكر. كان يعاني من صداع رهيب، وعادوه ألم قفصه الصدري. ومن داخل المبنى أتاها صوت انسكاب مياه وأصوات سكاكين.

ثم تذكر قطعة الأفيون المدفونة بداخل علبة الشاي. كانت شركة دنت وشركاه تدفع مقابل مشترياتها من بضائع بالأفيون... لأن بريطانيا لم تعد تملك الفضة، والصين ليست بحاجة للذهب. كيف كان مُغفلاً لهذه الدرجة؟ فرانسيس كارفر قام بتهريب المخدر إلى الصين مستخدمًا مخزن عائلة سووك كمركز اتصال. فرانسيس كارفر خان والده. وتخلّى عنه، وادّعى أنه لا يفهم استغاثته. ورقد أه سووك على جانبه في الحارة بلا حراك. وفي صدره ينمو يقين قاتل.

على مدار الأسبوع التالي قدّمت له السيدة ذات الأسنان البارزة الطعام والماء والمخدر. تفقّدت حاله عدة مرات يوميًا، ودائمًا بحجّة ما؛ إما إطعام الخنزير، أو التخلص من مياه غسيل الأطباق، أو نشر الملابس على حبل الغسيل؛ وعند حلول المساء، تأتي ومعها الغليون، وتسقيه الأفيون حتى يخفّ ألمه، ويغرق في النوم. قامت بكل هذا في صمت، وراقبها أه سووك في صمت. وتساءل بينه وبين نفسه عنها. ذات ليلة جاءته بكدمة حول عينها. فرفع يده ليلمسها، لكنها قطّبت، وانصرفت.

خلال بضعة أيام تمكّن أه سووك من الوقوف، رغم الألم المصاحب للحركة، وخلال أسبوع تمكّن من المشي ببطء في الساحة. كان يعلم أن بالمرستن ستبقى في سيدني لمدة أسبوعين فقط؛ وعمّا قريب ستبحر متجهة لحقول الذهب الفيكنتورية جنوبًا. لم يعد أه سووك مهتمًا بأن يكمل طريقه إلى ميلبورن. كل ما أراده هو أن يواجه كارفر قبل أن تبحر السفينة.

منذ وصلت السفينة لمربطها، لم يقضِ كارفر ليلة واحدة على متنها، أمضى جميع ليلائه في بيت الدعارة، بصحبة المرأة ذات الشعر الأحمر. رآه أه سووك يقترب كل مساء، ماشياً على رصيف الميناء بذراعيه تتأرجحان وذيل معطفه يرتفع من خلفه. ولم يكن يغادر بيت الدعارة قبل الساعات الأولى من العصر، وكثيراً ما صحبتته ذات الشعر الأحمر حتى باب الخروج الخلفي حتى تسنح لهما الفرصة بوداع خاص. لمعهما أه سووك مرتين يتمشيان على الرصيف سوياً بعد الغروب. يتحدثان كعشيقين. يميل أحدهما على الآخر ليستمع إلى حديثه، ويد المرأة دائماً متشبثة بمرفق كارفر، وتضغط عليه.

ثامن ليلة بعد الاعتداء على أه سووك وافقت يوم أحد، انتهت العريضة في بيت الدعارة قبل منتصف الليل، مراعاة لساعات حظر التجوال. تسلَّل أه سووك للمدخل الأمامي ورأى ظل كارفر في النافذة الوسطى للطابق العلوي، كان كارفر مستنداً بساعده على الحافة العلوية للنافذة ينظر لأسفل إلى الظلام. ورأى المرأة ذات الشعر الأحمر تقترب من ظهره وتمسك بكُمِّه وتجذبه داخل الغرفة بعيداً عن الأنظار. تسلَّل أه سووك عائداً في الظلال حتى وصل إلى النافذة ذات الدرف المنزلقة الواقعة فوق لوحة التقطيع في المطبخ وفتحها. ودخل منها. ووجد الغرفة خالية. بحث عن شيء يصلح كسلاح، واختار أخيراً ساطوراً بيدٍ مصنوعة من العظم وجده فوق الرِّفِّ الواقع أعلى لوح التقطيع. لم يحدث أن رفع سلاحاً من أي نوع في وجه شخص آخر، لكن ثَقَلَ الساطور في يده أعطاه إحساساً بالثقة. وتحركَ بحثاً عن السلم في الظلمة.

كان هناك ثلاث أبواب أعلى السلم، كلها مغلقة. تصنَّت عند الباب الأول (صمت) وعند الثاني (اشتباك بلا صوت) ثم عند الثالث، سمع صوتاً رجالياً يهمس، وصرير كرسي، وامرأة تردُّ بصوت منخفض. حاول أه سووك أن يقدِّر المسافة من أسفل المنزل إلى النافذة التي رأى

كارفر يقف فيها منذ لحظات. هل يمكن أن تكون تلك النافذة خلف هذا الباب الثالث؟ هل هذا معقول؟ نعم، لأنه كان على بُعد عشر أقدام من بسطة السلم، وإذا ما تخيّل واجهة البيت في عقله فإن النافذة تكون على ارتفاع اثنتي عشرة قدمًا من حافة المبنى. إلا في حالة أن يفتح الباب الثاني على غرفة أكبر ويفتح هذا الباب الثالث على غرفة صغيرة. وضع أه سووك أذنه على الباب. وسمع الرجل يرفع صوته وينطق بضع كلمات بالإنجليزية بحدة وبنبهة قاطعة، كأنه مستاء جدًا. لا بُدَّ أنه كارفر، لا يمكن أن يكون هذا إلا كارفر. وداهمه الغضب فجأة، ففتح الباب على مصراعيه... إنه ليس كارفر. إنه الرجل الذي ضربه منذ أكثر من أسبوع. ومعه المرأة ذات الأسنان البارزة جالسة في حجره، وإحدى يديه ملفوفة حول حلقها والأخرى مفرودة على صدرها. تراجع أه سووك مشدوهاً، وزمجر الرجل مستاءً، ورمى المرأة من حجره، وهبَّ على قدميه.

نطق الرجل بسلسلة من المقاطع الصوتية التي لم يفهم منها أه سووك شيئاً، ومدَّ يده يتناول مسدسه من على منضدة السرير الجانبية. وفي نفس اللحظة مدَّت المرأة يدها في صدرها وسحبت مسدسًا صغيرًا. صوّب الرجل مسدسه وسحب إبرة إطلاق النار -وجفل أه سووك- لكنها انحسرت؛ فهناك غلاف فارغ في المغلاق. وفي الوقت الذي فتح فيه الرجل اسطوانة مسدسه ليزيل الغلاف الفارغ، كانت المرأة قد لحقته ودفعت فوّهة مسدسها في رأسه. حاول الرجل، وهو مُشتّت الانتباه، أن يدفعها بعيدًا، وأتى صوت لطمة، وانهار الرجل. وقع مسدسه معه وارتطم بالأرض. ولم يتحرك أه سووك من مكانه. اندفعت المرأة ذات الأسنان البارزة ونزعت المسدس من يد الرجل الميت، ووضعت مكانه مسدسها. ثم خبطت المسدس على صدر أه سووك، وأغلقت أصابعه على ماسورته، ودفعته ليغادر، وبسرعة. التفت أه سووك، ذاهلاً، ممسكاً بالمسدس في يد وبالساطور

في الأخرى. أمسكت المرأة بكتفيه وجذبتة للوراء ووجهته ناحية سُلم الخدم الواقع على الناحية الأخرى من الصالة، حيث أسرع خارجاً بعيداً عن الأنظار، وصوت أقدام وضجة يصل لمسامعه من السلم الرئيسي.

وفي الخارج، ألقى أه سووك السلاحين في الماء وراقبهما يغطسان بسرعة بعيداً عن الأنظار. وأتى من الداخل صوت صراخ، وصيحات مكتومة. فالتفت وبدأ يجري. وقبل أن يصل لآخر الرصيف سمع صوت أقدام خلفه. وخطبه شيء ما في ظهره فوقع واصطدم وجهه بالأرض. فصرخ من الألم - فأضلعه لا تزال ضعيفة - وأحسّ بيديه يتمّ تقييدهما بغلظة وراء ظهره. لم يعترض حين تمّ رفعه ليقف على قدميه، ثم دفعه ليمشي حتى مربوط الخيول ثم دفعه مرة أخرى علي حائطه، حيث قيّده مَنْ قبض عليه بزواج آخر من القيود في الحلقة الحديدية، ظلّ في هذا القيد حتى أتت عربة الشرطة وأخذته إلى السجن.

لم يفقه أه سووك شيئاً من الأسئلة التي أُلقيت عليه بالإنجليزية، وبعد فترةٍ يئس منه المحققون. لم يوفّقوا له مترجماً، وحين نطق اسم "كارفر" اكتفى رجال الشرطة بهزّ رؤوسهم. وتمّ إيداعه في الحجز الضيق محشوراً مع خمسة رجال آخرين. تمّ التحقيق في الحادثة وتحويلها للمحكمة، وحُدِّدت جلسة لنظر القضية بعد ستة أسابيع. حيث بالطبع ستكون بالمرستين قد غادرت منذ زمن طويل؛ ويكون كارفر قد اختفى للأبد. قضى أه سووك الستة أسابيع التالية في حالة من الضيق والبؤس الشديدين، وفزع من نومه يوم محاكمته كأنها اليوم هو يوم إعدامه. كيف له أن يأمل أن يدافع عن نفسه؟ ستمّ إدانته وشنقه قبل انتهاء الشهر.

جرت وقائع المحاكمة باللغة الإنجليزية، وأه سووك، من مكانه في قفص الاتهام، لم يفهم كلمة واحدة. وتفاجأ بعد بضع ساعات من إلقاء الخطب وحلفان اليمين، بفرانسيس كارفر وقد أتوا به ليمثل أمام المحكمة مُقيِّدًا بالأصفاد، وتعجَّب أه سووك، إنه الشاهد الوحيد الذي يأتي مُقيِّد اليدين. حين اقترب كارفر من منصة الشهود وقف أه سووك وناداه بالكانتونية. فتلاقت أعينهما... وفي السكون المفاجئ، تحدَّث أه سووك، بهدوء ووضوح، وأقسم أن ينتقم لمقتل أبيه. وكارفر، ويا للعار، لم يحتمل النظر إليه، وأشاح بوجهه بعيدًا.

علم أه سووك بحقيقة ما جرى أثناء المحاكمة بعدها بوقت طويل. اكتشف أن الرجل الذي اتُّهم بقتله يُدعى جيرمي شيرد، وأن السيدة ذات الأسنان البارزة التي مرَّضته وقت إصابته هي مارجریت، زوجته. والسيدة ذات الشَّعر الأحمر تدعى ليديا جرينواي؛ وهي صاحبة بيت الدعارة في ميناء دارلينج، الذي يُدعى وايت هورس سالون. وقت المحاكمة لم يعرف أه سووك أيًا من هذه الأسماء؛ لم يعلم بأي شيء إلا صباح اليوم التالي للإفراج عنه، حيث عثر على نسخة من جريدة سيدني هيرالد ودفع بعض الأموال لتاجر كانتوني لكي يترجم له ما جاء في صفحات المحكمة، والتي -لطبيعتها المثيرة- تشغل أكثر من ثلاثة عواميد، وتغطي تقريبًا صفحة كاملة.

وتبعًا لما ذكرته سيدني هيرالد فقد بنى المدعي العام قضيته على ثلاث نقاط؛ أولها أن أه سووك لديه سبب قوي لحمل ضغينة تجاه جيرمي شيرد لأنه ضربه وسبَّب له إصابات جسيمة قبل الحادثة بأسبوع. وثانيها أن أه سووك تمَّ القبض عليه وهو يجري هاربًا من وايت هورس سالون بعد لحظات من إطلاق الرصاص؛ ممَّا يشير إلى احتمالية ارتكابه الجريمة. وثالث هذه النقاط هي أن الصينيين بصفة عامة لا يمكن الاطمئنان إليهم؛ لأنهم بالفعل يحملون ضغينة موروثه تجاه الرجل الأبيض.

وكانت حجج الدفاع في مواجهة هذه الاتهامات ضعيفة. فقد ردّ المحامي بأنه من غير المحتمل أن رجلاً في مثل حجم أه سووك قد اقترب بشكل كافٍ من شيرد بحيث يضع فوهة المسدس في رأسه؛ فجسد سووك ضئيل للغاية مقارنة بشيرد؛ ولهذا السبب يجب عدم استبعاد احتمالية إقدام شيرد على الانتحار. وحين تدخّل المدعي العام ليؤكد أن الانتحار يتنافى بشكل حادّ مع طبيعة جيرمي شيرد، بشهادة أصدقائه، قدّم المحامي رأياً يرى أنه ليس هناك رجل على الأرض محصّن تماماً ضد فكرة الانتحار... وهو رأي تسبب في تلقيه تأنيباً حاداً من القاضي. قدم المحامي اعتذاره للقاضي واختتم دفاعه بأن سووك يونج شينج قد يكون فرّ هارباً من وايت هورس صالون بدافع الخوف من صوت الطلقة التي سمعها. وحين عاد المحامي لمقعده لم يبذل المدعي العام أي جهد في إخفاء ابتسامته الساخرة، وتنهّد القاضي بصوت مسموع.

وأخيراً طلب المدعي العام شهادة مارجريت شيرد، أرملة جيرمي شيرد، وهنا أخذت المحكمة منعطفاً مذهلاً. فعلى منصة الشهود رفضت مارجريت شيرد بشكل صريح اتهامات المدعي العام. وأصرّت أن سووك يونج شينج لم يقتل زوجها. وأنها متأكّدة من هذا لسبب بسيط: وهو أنها شاهدت انتحار زوجها بنفسها.

هذا الاعتراف المذهل أثار موجة من الهياج في المحكمة للدرجة التي اضطرت القاضي للمطالبة بعودة النظام. أه سووك، الذي ستُترجم له هذه الأحداث بعد وقوعها بكثير، لم يكن ليتصوّر أن تخاطر المرأة بنفسها لتنقذ حياته. حين تمّ السماح باستئناف استجواب مارجريت شيرد سألها المدعي العام عن سبب إخفائها لهذه المعلومة المهمة حتى هذه اللحظة، أجابت مارجريت شيرد بإنها عاشت في خوف دائم من زوجها الذي كان يضربها بصفة يومية، ويمكن للعديد من الأشخاص أن يشهدوا بهذا. وأن روحها كانت مكسورة، ولم تستجمع ما

يكفي من الشجاعة بحيث تحكي ما حدث إلا الآن. بعد هذه الشهادة المثيرة للحن، انتهت المحاكمة. ولم يملك القاضي سوى أن يحكم ببراءة أه سووك من تهمة القتل، ويطلق سراحه. وصدر الحكم بأن جيرمي شيرد، رحمة الله عليه، قد انتحر، رغم أنه بالنظر إلى الرأي الديني فيما حدث، فإن الرحمة لا تجوز عليه.

أول ما فعله أه سووك بعد إطلاق سراحه هو الاستفسار عن أخبار فرانسيس كارفر. وعلم، لدهشته الشديدة، أن بالمرستن مُحْتَجَزة في ميناء سيدني منذ بضعة أسابيع، بعد تفتيش روتيني. حيث تمّ اتهام فرانسيس كارفر بارتكاب جرائم انتهاك اللوائح والقوانين، والتهرّب، والتَّهْرُبُ من الرسوم والجمارك: فتبعًا للتقرير الذي تمّ رفعه لشرطة الملاحه، تمّ العثور على ست عشرة صبيّة من جوانجزو في مخزن السفينة، جميعهن في حالة من سوء التغذية الشديد، والرعب. فتمّ التحفظ على بالمرستن، وإعادة النساء إلى الصين، وإيداع كارفر في الحبس الاحتياطي، وانتهى تعاقد كارفر مع دنت وشركاه بصفة رسمية. وتمّ الحكم عليه بعشر سنوات من الأشغال الشاقة في سجن جزيرة كوكاتو. تنفذ فوراً.

لم يكن هناك ما يمكن عمله سوى انتظار انقضاء عقوبة كارفر. فأبحر أه سووك إلى فيكتوريا، وبدأ ينقّب عن الذهب، واكتسب بعض المعرفة بالإنجليزية، وتدرّب على العديد من المهن، وظل يحلم بقتل كارفر انتقامًا لمقتل أبيه، وازداد وضوح الحلم بمرور الأيام. وفي يوليو من عام 1864 أرسل استفسارًا مكتوبًا إلى جزيرة كوكاتو يستعلم فيه عن مكان تواجد كارفر بعد إطلاق سراحه. وتلقّى ردًا بعدها بثلاثة أشهر يبلغه بأن كارفر بعد إطلاق سراحه قد أبحر إلى ديوندين في نيوزلندا على متن السفينة البخارية إسبارطة. فاشترى أه سووك تذكرة إلى هناك، وهناك فقد أثر كارفر. فبحث وبحث ولم يجد شيئًا. وأخيرًا استسلم أه سووك وفقد الأمل. فاشترى رخصة للتنقيب عن الذهب

وتذكرة اتجاه واحد للساحل الغربي، وهناك، بعدها بثمانية أشهر، صادف كارفر: واقفًا في الشارع، وجهه يحمل ندبة جديدة، وصدره يحمل عضلات جديدة، ويعدُّ قطعًا نقدية في يد تي رو تاوهار.

Φ

عثر أه سووك على أه كيي جالسًا عاقدًا ساقيه على كومة من الحصى على بُعد أقدام من الوتد الذي يشير إلى الجانب الجنوبي الشرقي لمنجم أورورا. كان صائغ الذهب ممسكًا بطبق المنقبين بكلتا يديه، ويهزه بانتظام محررًا رسغه بثقة رجل تمرّن كثيرًا على ما يفعل. وهناك سيجارة مشتعلة في جانب فمه لكن لا يبدو عليه أنه يدخنها، فرمادها يتناثر على سترته أثناء حركته. وأمامه طبق مليء بالماء، وبجانبه بوتقة صهر حديدية بقم مبطّط.

أخذ نظامه في العمل شكلًا دائريًا. وحافظ على إيقاع منتظم في العمل. فهو أولًا يهزُّ الطبقة ليخرج الأحجار والكتل الكبيرة منه، وتهبط الحصى الأصغر تدريجيًا لقاع الطبقة، ثم يميل للأمام بحيث يغطّس حافة الطبقة الأبعد في الماء العكر، ثم بحركة حادة يرفع الطبقة ناحيته وهو يلفُّ الماء بحذر في اتجاه عقارب الساعة ليصنع دوامة في الطبقة. الذهب أثقل من الحجارة، فيغرق لأسفل الطبقة، وحين يزيل الحصى المبتل من على السطح، يتبقى المعدن النقي، ويلمع مبتلًا، كنقاط صغيرة من الضوء في الظلام. وبأصابعه يلتقط أه كيي هذه الرقائق اللامعة ويضعها بحرص في بوتقته؛ ثم يعيد ملء طبقه بالتراب والحصى، ويعيد الكرة، دون أي تغيير، حتى تغرب الشمس وراء قمم الأشجار الواقفة في الناحية الغربية.

كان الأورورا بعيدًا عن النهر، وعن البحر، وهذا العيب أحد أسباب انعدام الرغبة فيه كمنجم للذهب. واضطر أه كيي أن ينقل مياه النهر التي يحتاجها في المنجم كل صباح؛ لأنه بدون الماء، تصبح مَهْمَّتُه مستحيلة؛ وحين يتعكر الماء من التراب والطيني، يصبح من الصعب عليه أن يرى الذهب، ويتوجَّب عليه وقتها أن يمشي حتى النهر ملء جرادله مرة أخرى. من الممكن أن تُشَقَّ قناة متفرعة من نهر هوكتيكا، أو يتم حفر بئر، لكن مالك المنجم أوضح منذ البداية أنه لن يخصَّص للأورورا أي موارد على الإطلاق. ليس هناك داعٍ فالأورورا الممتد على مساحة فدانين بالكاد يحقق أرباحًا؛ إنه مجرد بقعة أرض جرداء، مكوَّنة من الحجارة، خالية من الأشجار. وخلف أه كيي، وكشهادة على ساعات طويلة من العمل الفردي، تبدو كومة من مخلفات التنقيب، ممتدة طويلاً، ومنخفضة، مثل كومة تراب فوق قبر لم يُدفن فيه أحد.

رفع أه كيي رأسه حين اقترب أه سووك.

"مرحبًا".

"مرحبًا، مرحبًا".

نظر الرجلان لبعضهما، دون عدا، او احتفاء، لكنهما تبادلًا نظرة طويلة. بعد لحظة نزع أه كيي باقي السيجارة من فمه ورمائها بعيدا على الأحجار.

وقال بالكانتونية: "الإيراد قليل اليوم".

ردَّ أه سووك بلغته الأم: "ألف تعاطف لك مني".

"الإيراد ضئيل كل يوم".

"أنت تستحق أفضل من هذا".

كان أه كيي في مزاج سيئ. فقال: "حقًا؟".

قال أه سووك: "نعم، يجب أن يكافأ الاجتهاد".

"بأي نسبة؟ وبأي عملة؟ هذه كلمات فارغة".

ضمَّ أه سووك راحتيه سوياً، "لقد أتيت ببعض الأخبار الجيدة".

علّق أه كيي: "أخبار جيدة ومجاملات".

لم يعلق المنعزل على هذه الجملة. وقال: "لقد عاد إيميري ستينز".

تجمّد أه كيي وقال: "أوه، هل رأيته؟".

قال أه سووك: "ليس بعدُ، لكنني علمت أنه سيتواجد في هوكتيكا الليلة، في فندق في شارع ريفل، حيث سيقومون احتفالاً بعودته، وقد دُعيتُ إليه، وكدليل على حُسن نيّتي، فلإني أمدُّ دعوتي لتشملك".

"مَن دعاك؟".

"أنا ويذريل، وأرملة الرجل الميت، كروسبي ويلز".

قال أه كيي متشكّكاً: "امراتان".

"نعم"، وتردّد أه سووك قليلاً ثم اعترف بما اكتشفه هذا الصباح: أن أرملة كروسبي هي نفس المرأة التي أدارت وايت هورس صالون في ميناء دارلينج. المرأة التي شهدت ضد أه سووك في محاكمته، والتي كانت في وقتٍ ما عشيقة عدوّه، فرانسيس كارفر. المرأة التي عُرفت باسم ليديا جرينواي، وأصبحت الآن تدعى ليديا ويلز.

لبث أه كيي لحظة يستوعب المعلومات، ثم قال أخيراً: "هذا فخ".

قال أه سووك: "لا، لقد أتيت إلى هنا من نفسي، وليس تبعاً لتعليمات أحد".

قال أه كيي: "هذا فخ، لاصطيادك. أنا متأكد من هذا. وإلا فلأني سبب آخر يطلبون حضورك في احتفال الليلة؟ ليس لك أي علاقة بالسيد ستينز. بَمَ سيفيدهم وجودك في احتفال بمناسبة عودته؟".

"سألعب دورًا في دراما مسرحية. سأجلس فوق وسادة وأمثل أني تمثال". وبدا ما قاله أه سووك، حتى لأذنيه هو، أحرق. فأسرع يقول: "إنه نوع من الأداء المسرحي. وسأتلقي أجرًا عن دوري".

"سيدفعون لك؟".

"نعم؛ عن دوري في المسرحية".

تفحصه أه كيي. "ماذا لو أن المرأة جرينواي شريكة لفرانسيس كارفر؟ لقد كانا عاشقين فيما سبق. ربما تكون قد أعلمته بالأمر بالفعل، بأنك ستكون موجودًا في الحفلة الليلة".

"كارفر في البحر".

"حتى وإن كان، ستبلغه بأسرع ما تستطيع".

"حين يحدث هذا سأكون مستعدًا".

"كيف ستكون مستعدًا؟".

قال أه سووك بعناد: "سأكون مستعدًا. الأمر غير مهم الآن. كارفر في البحر".

"المرأة متحالفة معه... وقد أقسمت أن تثار لنفسك منه، ولا بُدَّ أنها تتذكر ذلك. ليس من الممكن أن تتمنى لك الخير".

"سأكون حذرًا".

تنهّد أه كيي، ووقف، ونفض ملابسه، ثم توقّف وتنفّس عميقًا من أنفه. ثم تقدّم عدة خطوات من أه سووك وأمسكه من كتفيه بيديه الاثنتين.

وقال: "إنه يفوح منك. أنت تترنّح في مشيتك يا سووك يونج شينج. أستطيع شم رائحته العفنة من على بُعد عشرين خطوة!".

وبالفعل كان أه سووك قد عرج على وكره في كانيير ليدخن غليون ساعة العصر، والذي ظهرت آثاره جليئةً عليه؛ لكنه لا يحب أن يوبّخه أحد. فخلّص نفسه من قبضة أه كيي وقال بمرارة: "أنا ضعيف أمامه". صرخ أه كيي، "ضعيف!" وبصق على الأرض. "هذا ليس ضعفًا، إنه نفاق. عليك أن تخجل من نفسك".

مكتبة

t.me/soramnqraa

"لا تحدثني كأني طفل".

"المدمن رجل يتصرف كطفل".

قال أه سووك: "إذن فأنا أتصرف كطفل. هذا لا يعنيك في شيء".

"يعينني كثيرًا، إن كنت سأذهب معك الليلة".

"لست بحاجة لحمايتك".

قال أه كيي: "إن كنت تعتقد هذا فأنت واهم".

قال أه سووك مدّعياً الدهشة: "واهم... ومنافق! إهانتان، في الوقت الذي أعاملك فيه بكل لطف!".

قال أه كيي: "أنت تستحق الإهانة. أنت تُدّل نفسك بالمدّخر الذي قتل والدك... ولديك من الجرأة ما يكفي لادعاء أنك حارسه وحاميه! أنت تؤكد أنهم خانوه وغدروا به... ورغم ذلك تخونه وتغدر به في كل مرة توقد مصباحك للأفيون!".

خطأ أه سووك للخلف قائلاً: "فرانيس كارفر قتل والدي".

قال أه كيي: "الأفيون قتل والدك. تأملّ حالك..."، فقد تعثّر أه سووك في جذر، وكاد أن يقع. "يا لك من منتقم جبار يا سووك يونج شينج؛ لا تستطيع حتى أن تصلب طولك!".

مدّ أه سووك يده واستند عليها، وانتصب واقفاً، مليئاً بالغضب، والتفّ لأه كيي بعينين بؤبؤهما غامق ورقيق، وقال: "أنت تعرف ما

جری. لقد أخذت المخدّر أوّل ما أخذته كدواء. لم أتناوله بناءً على رغبتی. ولا أستطيع التغلب على سيطرته علیّ".

قال أه كيي: "كان لديك متّسع من الوقت لتتخلص من إدمانك. لقد مكثت في السجن لأسابيع قبل محاكمتك، أليس كذلك؟".

"تلك الفترة لم تفلح في تحريري من اشتياقي له".

قال أه كيي، وهو مليء بالازدراء: "اشتياقك! يا لها من كلمة مثيرة للاشمئزاز. لم أسمع هذه الكلمة منك وأنت تسرد حكايتك. لا عجب في ذلك؛ فأنت تفضّل الكلمات الضخمة الفخمة مثل الشرف، والواجب، والغدر، والانتقام".

"حكايتي...".

"حكايتك كما تحكيها أنت ترکز على الظلم الذي تعرّضت له أكثر مما ترکز على العار الذي لحق بعائلتك. أخبرني يا سووك يونج شينج. هل تسعى للانتقام من الرجل الذي قتل والدك؟ أم من الرجل الذي رفض مساعدتك أمام وايت هورس صالون؟".

صدم أه سووك. وقال: "أنت تُشكّك في دوافعي".

قال أه كيي: "هذه الدوافع ليست دوافعك. لا يمكن أن تكون دوافعك! انظر إلى حالك. أنت بالكاد تستطيع الوقوف".

وساد الصمت بينهما. وأقى من الوادي المجاور لهما صوت طلقات خافتة، ثم صرخة بعيدة.

وأخيراً أوماً أه سووك وقال: "إلى اللقاء".

"لماذا تودّعني؟".

قال أه سووك: "لقد أعلنت عن رأيك. أنت تستنكر ما أقوم به؛ وتشمئز مني. سأذهب لاحتفال الأرملة الليلة بغض النظر عن أي شيء".

ورغم أن أه كيي سريع الغضب، إلا أنه لا يحتمل أن يكون الشرير في أي جدال؛ فهز رأسه وهو يتنفس بقوة من أنفه وقال: "سأذهب معك. أحتاج بشدة للحديث مع السيد ستينز".

قال أه سووك: "أعلم هذا. لقد أتيت إليك بنوايا طيبة يا كيي لونج". بصوت هادئ قال أه كيي: "كل امرئ أدري بقلبه. لقد أخطأت حين شككت في دوافعك".

أغلق أه سووك عينيه لبرهة. ثم فتحهما ثانية قائلاً: "في الوقت الذي نصل فيه إلى هوكتيكا، سأكون منتبهاً".

أوما أه كيي وقال: "ستحتاج إلى ذلك".

البرج الترابي المسيطر

حيث يقع والتر مودي على اكتشاف مذهل، ويتم حسم بعض الأمور المحيرة، وتكشف الأقدار عن تشابه المواقف.

بعد افتراقه عن چاسكوين، عاد والتر مودي مباشرة إلى فندق كراون، حيث تم تسليم صندوق الشحن الخاص به. فتح باب الفندق على مصراعيه، وعبر الردهة مسرعًا، وقطع السلم إلى البسطة العلوية كل درجتين في خطوة؛ حين وصل للباب تحسّس بالمفتاح بحثًا عن الفتحة في القفل، وأطلق شتمة بصوت مرتفع. لقد أصبح فجأة وبشكل غريب لا يستطيع الصبر حتى يلقي نظره على ممتلكاته... أحسّ أن التقاءه بأشيائه العزيزة التي تنتمي لحياته السابقة ستصلح بشكل ما علاقة بدت وكأنها تبدّدت، كأنها لم تعد موجودة، منذ غرق جودسبيد.

مؤخرًا، أصبحت أفكار مودي تنجرف أكثر وأكثر للقاء الذي جمعه بوالده في ديوندين. ووجد نفسه يندم على تسرعه في الهروب من المشهد الحزين. لقد خانه والده. وأخوه أيضاً قد خانه. لكن رغم هذا، أحس أنه كان بإمكانه أن يسامح؛ كان بإمكانه أن يبقى ويسمع القصة من وجهة نظر فريديريك. لم ير أخاه حين كان في ديوندين، لأنه فرَّ من لقائه بوالده قبل أن يتمكن من استدعاء أخيه؛ لذلك لم يتمكن أن يعرف إن كان فريديريك بخير، وإن كان قد تزوج، وهل هو سعيد؛ لم يعرف رأيه في أوتاجو، وهل ينوي قضاء بقية أيامه في نيوزيلندا؛ لم يعرف هل نقَّب والده وأخوه بحثًا عن الذهب سويًا، أم اتَّخذ كل منهم رفيقًا مختلفًا، أم نقَّب كلٌّ بمفرده. وكل مرة يستغرق فيها في التفكير في هذه الاحتماليات، يملؤه الحزن. كان عليه أن يحاول لقاء أخيه. لكن هل يرغب فريديريك في لقائه؟ حتى هذا لا يعرفه مودي. ومنذ وصوله إلى هوكتيكا جلس ثلاث مرات لكي يكتب لأخيه، لكن بعد أن يخطُّ التحية والتاريخ، يظل جالسًا بلا حراك.

وأخيرًا دار المفتاح في القفل. ودفع مودي الباب، ودخل الغرفة... ثم توقف. هناك صندوق يرقد في منتصف الغرفة، صندوق لم يره من قبل. صندوقه الخاص مدهون بالأحمر ومستطيل الأبعاد، أما هذا فأسود اللون بأشرطة حديدية دُقَّت على خشبه، وله رتاج مربع طويل حُشِر فيه قضيب حديدي بشكل أفقي لضمان إغلاق الصندوق؛ وغطاؤه مقبَّب وعليه أضلع خشبية كبرميل راقد على جانبه. وفوق الجزء من الغطاء الذي يشبه البرميل هناك العديد من الملصقات واحدة منهم مكتوب عليها "ساوثهامبتون"، وواحدة "ليلتون"، والملصق المعتاد "ليس مطلوبًا على متن الرحلة". عرف مودي على الفور أن صاحب الصندوق يسافر دائمًا في الدرجة الأولى.

وبدلاً من أن يدقَّ الجرس ليخبر الخادمة بالخطأ الذي حدث، أغلق مودي الباب خلفه بالقفل، وتحرك لينحني أمام الصندوق الغريب

عنه. فتح الرتاج ورفع غطاء الصندوق ورأى... ورقة مربَّعةً ملصقة في الناحية الداخلية من الغطاء، مكتوب عليها:

"خاص بالسيد أليستار لودرباك، مستشار المقاطعة، وعضو البرلمان".

زفر مودي، وجلس على كعبيه. يا له من خطأ غير مقصود! إذن فصندوق لودرباك كان على متن جودسبيد، كما ظنَّ بالفور: لا بُدَّ أن صندوق الشحن قد رُفع بالخطأ من على رصيف هوكتيكا. صندوق مودي، مثله مثل صندوق لودرباك لا يحمل اسم صاحبه محفوراً عليه، ولا يحمل أي علامة مميزة إلا بالداخل، حيث اسمه وعنوانه منقوشين على رقعة جلدية مربعة الشكل خيَّطت في بطانة الغطاء. على الأغلب تم تبديل الصندوقين: ذهب صندوق مودي إلى غرفة لودرباك في فندق بالاس، وأتى صندوق لودرباك إلى الكراون.

فكَّر مودي في الأمر للحظة. في هذه الساعة لم يكن لودرباك في هوكتيكا، فتبعًا لما ذكرته تايمز الساحل الغربي، فهو يقوم بأنشطة داخل حملته الانتخابية في الشمال، ولن يعود قبل عصر الغد. وفجأة حسم مودي أمره، فخلع سترته ومال جاثيًا على ركبتيه وبدأ يفحص ممتلكات لودرباك.

لم يؤنب والتر مودي نفسه لتطفله على خصوصيات الآخرين، ولم يجد أي داعٍ للاعتراف بها. فعقله من النوع الهادئ، رابط الجأش وسريع في تناوله للأمور، وعقلاني للغاية؛ ويعاني من عيب شائع بين مَنْ يتميزون بحدة الذكاء، حيث يعتبر ذكائه بمثابة رخصة تحميه من الوقوع في أي خطأ، وذلك بموجب سلطتها السامية. ويعتبر واجباته الأخلاقية مختلفة تمامًا في النوعية عن واجبات من هم أقل منه، ونادرًا ما أحسَّ بالعار أو بالندم اللهم إلا بالمفهوم العام.

فتَّش صندوق لودرباك بسرعة وبشكل منظم، يفحص كل بند ويعيده تمامًا بالحالة التي وجده عليها. معظم محتويات الصندوق

كانت من الأدوات المكتبية... أوراق الخطابات، والمظاريف، والأختام، والدفاتر، وكتب القانون، وكل الضروريات التي يمكن العثور عليها في مكتب أحد أعضاء البرلمان. ملابس لودرباك وأغراضه الخاصة الأخرى غالباً رُتبت في صندوق آخر، لأن قطعة الملابس الوحيدة التي وجدها في هذا الصندوق المصنوع من خشب الأرز هي وشاح صوفي ملفوف حول ثقالة ورق نحاسية قبيحة الشكل على هيئة خنزير. حمل الصندوق رائحة البحر -رائحة مالحة، فيها من الحموضة أكثر مما فيها من الملوحة- لكن محتويات الصندوق لم تكن مبتلّة؛ من رحمة الله بلودرباك، من الواضح أن الصندوق لم يغطس تحت الماء بأكمله.

وجد في قاع الصندوق حقيبة جلدية. فتحها مودي وسحب منها حزمة من الأوراق، كلها عبارة عن عقود، وإيصالات، وعقود بيع. بعد عدة دقائق من البحث عثر على عقد بيع السفينة جودسييد، فأمسكه بعناية حتى لا يتفتت الختم الرسمي، أو يزول.

كان العقد موقّعاً، كما قصّ لودرباك على بالفور، منذ ثلاثة أسابيع، باسم السيد فرانسيس ويلز. واتفق تاريخ البيع أيضاً مع رواية السياسي، تمّ بيع السفينة في مايو 1865، منذ تسعة أشهر مضت.

انحنى مودي فوق توقيع المشتري. وقّع "فرانسيس ويلز" اسمه المزيف على مساحة كبيرة. صانعاً دائرة زخرفية كبيرة على الجانب الخارجي من الحرف الأول في الاسم، كبيرة بشكل يكفي لكي تشكّل حرفاً مستقلاً. ضيق مودي عينيه محدّقاً في التوقيع من الجانب. يا للمكر: هذه الدائرة الزخرفية يمكن أن تُقرأ كحرف "كاف" قبل الاسم الأول. ودقّق النظر أكثر. هناك نقطة صغيرة من الحبر بين الكاف والفاء، نقطة يمكن اعتبارها للوهلة الأولى مجرد طرشة للحبر، كأن كارفر تعمّد أن يوقّع اسمه بطريقة مبهمة، بحيث يمكن قراءتها

فرانسييس ويلز، أو ك. فرانسييس ويلز. فالخط مهزوز كما يحدث حين يكتب المرء ببطء شديد، بقصد إحداث أثر محدّد.

قطب مودي. في يونيو من العام الماضي كانت شهادة ميلاد كروسبي ويلز بحوزة فرانسييس كارفر، شهادة الميلاد أوضحت (كما أكد بنجامين لوينثال) أن اسم كروسبي ويلز الأوسط هو فرانسييس. وفهم مودي الأمر، فهو واضح تمامًا: لقد سرق فرانسييس كارفر شهادة ميلاد كروسبي ويلز بنىّة انتحال شخصيته. التوقيع المبهّم على هذا العقد مقصود ولا بُدّ. فإذا مثّل كارفر أمام المحكمة بتهمة انتحال الشخصية فيمكنه حينها أن ينكر توقيع هذا العقد.

هل الاسم المشترك فرانسييس مجرد مصادفة سعيدة؟ أم أن شهادة ميلاد ويلز مزوّرة هي الأخرى؟ فمن السهل إضافة اسم أوسط لأي مستند، ويمكن للمرء أن يستخدم درجة أفتح من الحبر، أو بشكل ما يكتب الكلمة بحيث تبدو باهتة قليلًا كي تخفي حقيقة إضافتها للمستند لاحقًا. لكن لِمَ يرغب في تزوير هويته الحقيقية... خاصة عند توقيعه على عقد صفقة؟ كيف يمكن أن يكون من مصلحته استخدام اسم رجل آخر؟

استعداد مودي ما يعرفه عن الأمر. استخدم فرانسييس كارفر هوية كروسبي ويلز وهو يخاطب بنجامين لوينثال في مكتب جريدة تايمز الساحل الغربي في يونيو... لكنه لم يستخدم هوية كروسبي ويلز في لقائه مع أليستار لودرباك قبلها بشهر، في مايو. لقد ادّعى أن اسمه فرانسييس ويلز أمام لودرباك... ووقّع اسمه بغموض مقصود. وفكر مودي في اعتقاد لودرباك الغريب أن كروسبي ويلز وكارفر أخوان، قد يعود هذا الاعتقاد إلى أن كارفر قدّم نفسه للودرباك باعتباره شقيق كروسبي ويلز. لكن لِمَ قد يفعل هذا؟ لم يعرف مودي.

دَقَّق مودي في عقد البيع لمدة طويلة، محاولاً حفظ تفاصيله في ذاكرته، ثم أعاده إلى الحقيقة، وأعاد الحقيقة إلى مكانها في الصندوق، وأكمل تفتيشه الممنهج.

وبعد وقت طويل أحسَّ أن الصندوق لم يَعد فيه دلائل نافعة بالنسبة له، وبعدها، وفي حركة بلا هدف، مرَّ أصابعه على حواف غطاء الصندوق. وفجأة ندَّت عنه همهمة مندهشة. فقد أحسَّ بحزمة رفيعة مربعة الشكل ترقد مخفياً بين البطانة القماشية وخشب الصندوق. فانحنى مقترباً، وعثرت أصابعه على شقٍّ في القماش في حجم اليد، حروفه مخططة بعناية بحيث لا تهترئ ولا تنسل. كانت البطانة القماشية منقوشة بنقوش المربعات الاسكتلندية، والفتحة الموجودة في البطانة مصنوعة بمهارة بحيث تقع موازية للخطوط الرأسية لنقوش القماش المفروود بانتظام وتساوي مع حواف الصندوق. أدخل مودي أصابعه في التجويف وسحب الرزمة المربعة التي عثرت عليها أصابعه. كانت رزمة من الخطابات مربوطة بخيط.

احتوت الرزمة على خمسة عشر خطاباً بالتقريب، كلها موجَّهة إلى لودرباك، مكتوبة بخطٍّ واضح وغير منمَّق. أطال مودي النظر إلى العقدة وطول خيوطها ليحفظ شكلها. ثم فكَّها، وألقى بالخيط جانباً، وفرد الخطابات المطوية على ركبته. ورأى من الأختام البريدية عليها أنها مرتَّبة زمنياً من الأحدث للأقدم، بحيث يأتي آخر خطاب على قمة الكومة؛ مدَّ يده إلى آخر الكومة، وأخذ أول خطاب وصل إلى لودرباك، وبدأ يقرأ. وفي اللحظة التالية قفز قلبه إلى حلقه.

سيدي، أنت أخي رغم أنك لا تعرفني. والدك أنجب طفلًا غير شرعيًا، وأنا ذلك الطفل غير الشرعي. لقد كبرت باسم كروسبي ويلز وحملتُ لقب كاهن كنيسة الذي توفاه الله، ولم أعرف والدي، لكنني عرفت أني ابن عاهرة. أمضيت طفولتي في بيت دعارة نيونجتون الذي يُدعى ذا جيويل. عشت حياة بسيطة قدر ما أمكنني كرجل بإمكانات بسيطة. لم أعان. لكنني كنت أرغب دائمًا أن أرى والدي لمجرد أن أعرف شكله وصوته. وأخيرًا استجاب الله لدعواتي على شكل خطاب من والدي نفسه. كتب لي يقول إنه كان يعلم بوجودي. كان يتوقع أن يغادر العالم قريبًا، واعترف لي أنه لن يترك لي شيئًا في وصيته خوفًا من تلطيخ اسمه، لكنه يرسل لي عشرين جنيهًا وأمنياته بالبركة. لم يوقع باسمه، لكنني استعلمت عن الخادم الذي جلب الرسالة وتتبعْتُ العربة التي ركبها رغم أنها كانت عربة مستأجرة حتى جلين هاوس، منزل والدك ومنزلك. اشتريت معطفًا وحلقتُ وحشَّتُ الخطى حتى منزل والدك لكنني يا سيدي لم أستطع أن أدق الجرس. وعُدْتُ إلى البيت مضطربًا وخائفًا، ثم ارتبكت جدًّا حين قرأت في أخبار السفن أن أليستار لودرباك المحامي سيبحر إلى المستعمرات مع المدَّ القادم. كنت أظن أن والدي هو الذي سيسافر، لم أكن أعلم أن لديه ابنًا أسماه على اسمه. وأبحرت سفينتك وصعدت أنا على السفينة التي تليها. نزلت في ديونندن وبدأت أتحرَّى على قدر حظي. حضرت الخطبة التي أقيمت بها تحت المطر على الرصيف حيث أهداك رئيس الميناء ساعة جيب وبدأت عليك السعادة الغامرة. حين رأيته علمت أني أخطأت وأنت أخي ولست أبي. كنت حزينًا وقتها أكثر من أن أستطيع مواجهتك، والآن أنت في ليتلتون وأنا لا أملك ما يكفي لكي أبحر إليك. سيدي، أكتب إليك ملتئمًا كرمك كرجل مسيحي. لقد أنفقتُ العشرين جنيهًا التي منحني إيَّها والدي على

هذه الرحلة، وعلى غيرها من الضروريات، وليس معي من النقود ما يكفي لأعود إلى الوطن. لقد بعْتُ معطفي بأكثر قليلاً من نصف الثمن الذي دفعته فيه لأن السمسار لم يصدق أنه معطف جيد. أنا لا أملك الآن سوى بعض القروش. وأنت يا سيدي من الوجهاء ورجل فلسفة ورجل سياسة ورجل قانون، أنا لا أحتاج لمقابلتك، وإني ألتمس منك المساعدة إيماناً مني بأنك رجلٌ خَيْرٌ ورجلٌ مسيحي، ولأني سأظل دوماً...

أخاك

كروسبي ويلز

وتحت الاسم جاء عنوان برقم لصندوق بريدي في ديونندن.

ترك مودي الخطاب ودقات قلبه تتسارع. إذن فلودرباك وكروسبي ويلز أخوان. هذا بالتأكيد منعطف خطير في الأحداث! لكن لودرباك لم يذكر هذا للقاضي حين اعترف له بوصوله إلى فراش موت كروسبي ويلز بعد وفاته بنصف ساعة؛ ولا أقرَّ بهذا الأمر لصديقه، توماس بالفور، وكيل الشحن. ما سبب إخفائه لنَسَب أخيه غير الشرعي؟ هل هو العار؟ أم شيء آخر؟

التقط مودي الرزمة واتجه ناحية النافذة، حيث الضوء أفضل. وفَضَّ الخطاب التالي وأماله ناحية الزجاج.

سيدي، لقد مرّت ستة أشهر منذ كتبت لك أول مرة وأخشى من صمتك أني قد أهنتك. أنا لا أتذكر ما كتبته بدقّة، لكنني أتذكر أني في آخر خطابي ذكرت نفسي بصفتي أخاك، وربما قد أحزنك هذا. أتصوّر أنه يؤلمك أن تعلم أن والدك لم يكن رجلاً مثاليّاً. أتصور أنك كنت تأمل أن يكون الأمر مختلفاً. وإذا كان هذا حقيقةً فأنا أسألك المغفرة. سيدي لقد ازداد سوء حظي في الشهور الماضية أكثر وأكثر. أوكد لك بصفتي ابن عاهرة أن حياة التسول ليست جديدة عليّ، لكن استجداء نفس الرجل مرة ثانية لهو عارٌ بالتأكيد. لكنني أكتب إليك لأنني يائس. أنت رجل مقدر وكل ما أطلبه هو ثمن تذكرة في الدرجة الثالثة وبعدها لن تسمع مني ثانية. أنا أدّخر كل مليم أستطيع الحصول عليه هنا في ديونندن. وقد جرّبتُ العمل كعامل حفر وبناء، لكنني وجدت بنياني غير مناسب له. لقد عانيت كثيراً من تورّم الأصابع، والحمّى، والعديد من الأمراض الأخرى التي يُسبّبها البرد. لم أعمل بانتظام كما كنت أودّ. إن أمنيّتي بأن ألتقي والدنا أليستار لودرباك لم تتلاش من داخلي، وأنا أخاف مرور الأيام، لأنه وكما ذكرت لك قد اعترف لي كتابة أنه قريب من الموت. أتمنى أن أستطيع التحدث إليه ولو مرة واحدة قبل هذا الحدث الحزين حتى نتمكن من أن نلقي نظرة على بعضنا ونتحدث كرجال. أرجوك يا سيدي، أتوسّل إليك وأنا على ركبتني أن تشتري لي تذكرة العودة للوطن. أقسم لك أنك لن تسمع مني ثانية. أنا لست سوى مجرد صديق ممتنّ لك.

كروسبي ويلز

بالكاد تمهّل مودي قبل أن يلتقط الخطاب التالي، وبحث بيده الثانية عن كرسيّ، وغرق فيه وهو يقرأ.

ديوندن. يناير 1853

سيدي، أتساءل عن معنى صمتك. أعتقد أنك تتلقّى رسائلتي، لكنك لسبب ما ترفض أن تردّ عليّ، أو أن تلقي ببعض الفضل إلى الطفل غير الشرعي لوالدك. أنا لم أُمِلْ هذه الخطابات على أحد. أنا أكتبها بيدي يا سيدي، وأنا أيضًا أستطيع القراءة، ورغم أنني سأبدو كأني أمدح نفسي فأني سأخبرك أن كاهن الكنيسة المرحوم القس ويلز ذكر أكثر من مرة أنني طفل ذكي بشكل غير معتاد. أنا أذكر كل هذا لأوضح أنني لست نذلًا رغم مكانتي المتواضعة. ربما ترغب في دليل على أنني طفل غير شرعي لوالدك. وربما تظن أن هذه محاولة للاحتيال عليك. أقسم لك بشرفي أن هذا غير حقيقي. ومنذ آخر مرة كتبت لك فاحتياجاتي وأمنيّاتي لم تتغير. أنا لا أودُّ البقاء في هذه الدولة يا سيدي، أنا لم أسعَ أبدًا لهذه الحياة. عشرون جنيهاً يا سيدي ستعيدني إلى إنجلترا، ولن أذكر اسمك مرة أخرى.

المخلص لك

كروسبي ويلز

ديوندن. مايو 1853

سيدي لقد علمت من الصحف المحلية أنك شغلت منصب المشرف العام لمقاطعة كانتربري العظيمة. وأنت شغلت المنصب وتبرّعت بأجرك عنه للأعمال الخيرية، وهذه لفئة نبيلة منك يا سيدي، لكنها أثارت حزني. تساءلت إن كنت قد خَطَرْتُ ببالك وأنت تتبرّع بهذه

الجنيهات المائة. أنا لا أملك ما يكفي للسفر إلى ليتلتون حيث تسكن أنت، ولا أملك ما يكفي لأعود للوطن. أنا لم أشعر من قبل بمثل هذه الوحدة التي أشعر بها وأنا في هذا البلد المهجور، ومن المؤكد أنك سوف تفهمني بما أنك رجلٌ بريطاني. لدينا رطوبة وصقيع مخيفان، أنا أستيقظ معظم الصباحات وأجد بين ساقيّ بلورات ثلجية. هذه الأطراف النائية من الأرض لا تناسبني، وأنا أندب حظي يوميًا. سيدي، في العام الماضي اذْخَرْتُ 2.1 من الجنيهات، وأربعة قروش، وقد أنفقت الأربعة قروش على هذه الصفحات والختم البريدي. أتوسّل إليك أن تساعد رجلًا محتاجًا.

كروسي ويلز

ديوندن. أكتوبر 1853

سيدي، أكتب إليك وأنا في بأس شديد. أنا على يقين الآن بأنك لن تكتب ردًا، وحتى باعتباري ابن عاهرة، فأنا أأبى أن أتوسّل لك مرة ثانية. أنا خطّاء مثل والدنا؛ فالتفاحة لا تقع بعيدًا عن الشجرة كما يقول المثل. لكنني تعلّمتُ في صغري أن الصدقة فضيلة أساسية، وأن أفضل الصدقات هي التي لا ينتظرها أحد. أنت يا سيدي لا تتصرف كرجل متديّن. أعتقد أنه إذا انعكست ظروفنا فإني لن ألزم الصمت القاسي الذي تلزمه معي يا سيدي. تأكد من أنني لن أطلب إحسانك مرة أخرى، لكنني أودُّ أن أعلمك بحزني الكبير. لقد كنت أتتبع عملك على صفحات أوتاجو ويتنس وأنا أعلم أنك رجل ميسور الحال ومسموع الكلمة. وأنا لا أملك لا هذا ولا ذاك، لكنني، رغم بؤس حالتي فأنا أفخر أن أقول إنني رجل مسيحي، وإن كنت في ضيق يا سيدي، فإني سأعطيك كل ما في جيبتي كمساعدة بصفتي أخاك. أنا لا

أتوقَّع أن تردَّ عليّ، وربما أموت قريبًا ولن تسمع مني ثانية. وحتى إن حدث مثل هذا فأنا فخور بأن أظلّ مخلصًا لك.

كروسبي ويلز

ديوندن. يناير 1854

سيدي، يجب أن أعتذر عن الخطاب الذي كتبته المرة السابقة؛ فقد كتبته بمرارة وبهدف أن أهينك. لقد حدّرتني أُمِّي أَلَّا أُلَمَسَ قَلَمًا حين أكون غاضبًا، والآن، فأنا أرى الحكمة من كلماتها. أنت لم تعرف أُمِّي أبدًا بالطبع، لكنها كانت بارعة الجمال في شبابها. كان اسمها سو بوتشر -رحمة الله عليها- لكنها كانت تُدعى بأسماء أخرى أكثر مناسبة لمهنتها وكانت تحبُّ اختراع أسماء جديدة لنفسها. كانت معشوقة أبينا المفضّلة بسبب لون عينيها الجميل كما أخبرتني. أنا لا أشبهها إلا في أقل القليل. كانت دائمًا تقول إني أشبه أبي، رغم أن أبي لم يُعد أبدًا إلى بيت الدعارة بعد مولدي، وكما تعلم، فأنا لم أقابله أبدًا. لقد سمعت أن الدعارة مرضٌ اجتماعي يتكون من خلاعة الرجال من ناحية، وفساد النساء من ناحية أخرى، ورغم أنني أعرف أن هذا رأي رجال أكثر حكمة مني، لكنني لا أتذكر أُمِّي بهذه الطريقة؛ كانت تتمتع بصوت جميل، وتحب أن تغني في الصباح، وكنت أحب غناءها. كانت سيدة طيبة ومجتهدة، ورغم أنها عُرِفَتْ بأنها لعبوب، فإنها كانت لعبوبًا طيبة جدًا. كم أنه غريب أن كلاً منّا لديه أم لكننا نتشارك في نفس الأب! أظن أن هذا يعني أننا متشابهان فقط نصف تشابه. سامحني على هذه الأفكار الفارغة، وتقبّل اعتذاري من فضلك، وتأكّد من أنني سأظل دائمًا

المخلص

كروسبي ويلز

سيدي، ربما أنت محق في عدم ردك عليّ؛ فأنت في هذا إنما تتصرف كما تسمح لك مكانتك العالية، وتحاول حماية سمعتك. اعتقد أنني أصبحت راضيًا بصمتك، رغم أن هذا قد يبدو غريبًا. لقد استطعت أن أوفر نفسي أجرًا متواضعًا، وسكنًا مقبولًا، وأنا "أستقر" كما يقولون هنا. وأجد ديوندن تتغير كثيرًا في أشهر الصيف. فالشمس مشرقة فوق التلال وسطح الماء، وأجد نفسي أستطيع الحركة بسهولة. كم هو غريب أن أجد نفسي في الجانب الآخر من العالم! أشعر أنني بعيد كل البعد عن انجلترا. قد تتعجب عندما أخبرك أنني لن أعود إلى الوطن؛ فقد قررت أن تكون نيوزلندا هي الأرض التي أدفن فيها. ربما تتساءل عما دفعني لأغير رأيي، وسأخبرك؛ هنا، في نيوزلندا، يترك كل شخص حياته القديمة خلفه، وكل شخص متساو مع الآخر. بالطبع، فإن السادة في أوتاجو بارونات، هنا، تمامًا كما كانوا بارونات في الأراضي المرتفعة في اسكتلندا، لكن للرجال من أمثالي يوجد هنا فرصة للترقي. وهذه الفكرة مبهجة للغاية. وليس غريبًا أن يلمس الرجال قُبُعَاتهم تحيةً لغيرهم في الشوارع، بغض النظر عن مكانتهم الاجتماعية. ربما الأمر معتاد بالنسبة لك، لكن بالنسبة لي فالأمر عجيب. البلاد البعيدة تجعل منا جميعًا أخوة، وبذكر هذا سأظل على الدوام

المخلص

كروسبي ويلز

سيدي، أتمنى أن تسامحني على خطاباتي؛ فليس لي غيرك لأكتب إليه، وتفكيري فيك يستغرق أيامي. فكَرْتُ بطريقة فلسفية فيما كان يمكن أن يحدث إذا كنتَ عرفتَ بوجودي في وقت مبكر، أو إذا عرفتُ أنا بوجودك. أنا لا أعلم عمرك؛ لذلك لا أعلم إن كنتَ أنتَ الأكبر فينا أم أنا. وفي عقلي فَرُقَ العمر مهمٌ، ولأني الابن غير الشرعي؛ أتصوّر نفسي أصغر منك عُمرًا، لكن بالطبع قد لا يكون هذا صحيحًا. كان هناك أطفال آخرون في بيت الدعارة، عدّة فتيات كبرن في الدعارة، وصبيٌّ واحد مات بالجُدري حين كنت صغيرًا جدًّا، لكنني كنتُ دائمًا الأكبر بين الأطفال، ومثَّبتُ أن يكون لي أخ أحبُّه. كنت أفكر بكثير من الحزن في حقيقة أنني لا أعلم إن كان لك أخوة أو أخوات، أو إن كان هناك أبناء غير شرعيين آخرين، أو إن كان أبوك قد حدّثك عني. إذا كنتُ في لندن كنتُ سأنتهز أي فرصة للذهاب إلى جلين هاوس والنظر من خلال الأسوار بحثًا عن والدي الذي، كما تتذكّر أنتَ، لم أره أبدًا. معي خطابه الذي يخبرني فيه أنه يعلم بوجودي ورآني. أتساءل عمّا خطر بباله عني، وعمّا قد يجول بخاطري حين يعلم بحياتي هنا. لكن ربما هو لم يعد حيًّا. أنتَ تتمنى لو لم تكن أخي، لقد أعلنتُ عن هذا بوضوح، لكن ربما تكون أنتَ الآن بمثابة القسّ الذي يقرأ خطاباتي وكأنها اعترافاتي. وهذه الفكرة تريحني، أستطيع أن أقول بكل فخر إنني تمّ الاعتراف بي. أتوقّع أن تكون منتميًا لكنيسة إنجليزية.

المخلص

كروسبي ويلز

سيدي، هل تشعر أنك تعرفني، أو يمكن أن تتعرف عليّ بين حشد؟ لقد خطر لي مؤخرًا أنني أعرف هيئتك، لكنك لا تعرف شكلي. نحن لسنا مختلفي الهيئة كثيرًا، لكنني أنحف قليلًا منك، وشعري أغمق لونًا، وغالبًا سيقول الناس إن وجهك يبدو أكثر عطفًا؛ حيث إن وجهي متجهّم جدًّا أغلب الوقت. أتساءل إن كنت تمشي في الشارع وأخطر على بالك، وتبحث عن أجزاء من ملامحي في وجوه الناس أو أجسادهم عند مرورهم بك. كنت أفعل هذا كل يوم في صغري، وأحلم دائمًا بأبي، وأحاول جمع أجزائه من كل الوجوه التي عرفتھا. كم هو مطمئن أن أفكر في كل ما يجمعنا كأشقاء نعيش في آخر العالم! أنت الموضوع لأفكاري اليوم

المخلص

كروسبي ويلز

كان الخطاب التالي في الترتيب من ورقٍ أكثر هشاشة، ومكتوبًا بحبر أكثر صفاء، نظر مودي للتاريخ، ولاحظ انقضاء عقد من الزمان تقريبًا منذ كتب كروسبي ويلز آخر خطاباتہ.

ديوندن. يونيو 1862

سيدي، أجدد مراسلاتي لأعلمك بمنتهى الفخر أنني أكتب لك وأنا رجل متزوج. الخطوبة كانت قصيرة جدًّا، لكنني أظن الأمر حدث تبع المتعارف عليه. في الشهور الماضية نقبتُ في أخايد لورانس، ورغم أنني حصلتُ دخلًا لا بأس به، لكنني لم أقع على ثروة بعد. السيدة ويلز -كما يجب أن أناديها الآن- هي سيدة ممتازة، ويشرفني أن تكون زوجتي. وهي الآن أختك. أحبُّ أن أعرف هل لديك أخت بالفعل

أم أن السيدة ويلز هي أول أخت لك. سوف لن تسمع مني لبعض الوقت؛ حيث إنني يجب أن أعود إلى دنستن لكي أكسب ما يمكنني من إعالة زوجتي. ما رأيك في حركة البحث عن الذهب؟. استمتعت مؤخرًا إلى سياسي يصف الذهب بأنه بليّة أخلاقية. لقد شهدت في حقول الذهب الكثير من الانحطاط، لكن كان هناك انحطاط قبل العثور على الذهب. أتصور أن فكرة أن يصبح رجال مثلي أغنياء هي ما يخشاه معظم السياسيين.

المخلص من قلبه

كروسبي ويلز

كاواراو. نوفمبر 1862

سيدي، لقد قرأتُ في الجريدة أنك تزوّجتَ حديثًا؛ لهذا أهنيئُكَ من قلبي. لم أرَ صورةً لزوجتك كارولين جوج سابقًا، لكن ذكروا في الجريدة أنها مناسبة جدًا لك. تسعدني كثيرًا فكرة أن كلينا سيقضي عيد الميلاد المجيد وهو متزوج. سأعود من لورانس لأقضي موسم العيد مع زوجتي التي تسكن في ديوندن ولا تأتي معي لحقول الذهب لأنها لا تطيق الطمي. لم أعتد على عيد الميلاد الذي يأتي في الصيف، وأحسّ أن الاحتفال بأكمله يليق أكثر بالشهور الباردة. قد يكون كُفراً مني أن أذكر عيد الميلاد بهذه الطريقة، لكنني هنا في نيوزلندا أرى الكثير ممّا يفقد معناه ويبدو كبقايا باهتة من زمن آخر. أتخيّلُك حين يصلك هذا الخطاب وتجلس بجانب المدفأة، أو ربما تميل ناحية ضوء المصباح لتقرأ الكلمات. اسمح لي أن أخترع هذه التفاصيل؛ فأنا دائماً أسعد بالتفكير فيك. أوكد لك أنني أظل دائماً من مكاني البعيد مخلصاً لك

كروسبي ويلز

سيدي، لقد أمضيتُ هذا الأسبوع في مزاج حزين أفكر في والدنا أليستار لودرباك، وهل توفيَّ كما أتوقَّع. لندن تبدو كحلم بالنسبة لي الآن. أتذكَّر الدخان والضباب، لكنني لا أثق في ذاكرتي بالمرَّة. وكتجربة، جلست الأسبوع الماضي وحاولت أن أرسم خريطة لساوثوارك على التراب. بالكاد تذكَّرتُ شكل نهر التيمز، ولم أتذكر أسماء الشوارع. أتساءل: هل أنت أيضًا على هذا الحال؟ قرأت في أوتاجو ويتنس ببعض الدهشة أنك ترى نفسك الآن مواطنًا فخورًا من كانتبري. أنا أحسُّ أنني إنجليزي إلى أعماق أعماقي.

المخلص

كروسي ويلز

كاواراو. نوفمبر 1863

سيدي، أحب التفكير في أنك تَسَعِد بتلقِّي خطاباتي، لكنني راضٍ بالاحتمال الأقرب للحدوث؛ وهو أنك لا تقرأ ما أكتبه بالمرَّة. على أيِّ حال، فالكتابة تريحني وتضيف لونا على أيامي. لقد قرأت باهتمام أنك استقلت من رئاسة الشرطة. يقول الناس في حقول الذهب هنا أن كانتبري على وشك البدء في عصر البحث عن الذهب بعد أفول شمس أوتاجو، وأتساءل إن كان هذا سيجعلك تندم على قرار ترك مثل هذا المنصب الرفيع. والثمن المطلوب في مقابل حقلي يحوي ذهبًا قد أغرى العديد من الرجال هنا في كاواراو. الأرض هنا منحدره جدًّا، والسما تغمي العيون. لقد أُصِبتُ بحروق الشمس كثيرًا، لدرجة أن ياقة قميصي تركت أثرًا في رقبتني، ورغم ألمها إلا أنني لا أحب شهور الشتاء المريرة في هذا البلد المليء بالجبال. إذا اكتشفوا الذهب في كانتبري، هل ستترشَّح نفسك لمنصب رئيس الشرطة مرة أخرى؟

أنا لا أقصد بتساؤلي هذا أن أستجوبك؛ أنا أسألك فقط من منطلق اهتمامي بما تفعله. وبهذا المنطلق أظن

مخلصًا لك

كروسبي ويلز

كاواراو. مارس 1864

سيدي، أكتب لك بخصوص أنباء مهمة ومدهشة. كنت في دنستن، وحالفني الحظ بالعثور على منجم يلمع بالذهب! أنا الآن رجلٌ غني، لكنني لم أنفق مليماً ممّا حصلتُ عليه لأنني شاهدت الكثير من الرجال ينفقون ذهبهم في شراء القبعات والمعاطف ثم يأخذوها إلى دكان الرهونات حين يتغيّر حظُّهم. لن أخبرك بالكمية خوفاً من وقوع هذه الرسالة في الأيدي الخاطئة، لكنني سأخبرك أنه مبلغ ضخم، حتى بحسابات دخلك المرتفع، وأتصوّر الآن أنني أصبحت الأخ الأغنى، على الأقل فيما يتعلق بالنقود السائلة. يا لسعادتي! بهذه الثروة أستطيع أن أعود إلى لندن وأفتح متجرًا، لكنني سأستمر في التنقيب لأنني أحسُّ أن حظِّي الحسن لم ينضب. لم أخبر أحداً بعد عن الذهب الذي وجدته واخترت أن أنقله من الحقل في حراسة خاصّة علمت أنها تسلك أكثر الطرق أمانًا. وبرغم التغير الحادث في حظي فأنا كما كنت دائماً

المخلص

كروسبي ويلز

سيدي، ستلاحظ من الختم البريدي أنني لم أعد أقطن في مقاطعة أوتاجو، لكنني شددت الرحال كما يقولون. غالبًا لم تظهر مناسبة تحملك على الرحيل غربًا إلى الجبال؛ لذلك سأقول لك إن كانتبري الغربية عالمٌ منفصل عن أعشاب الجنوب. فمشهد شروق الشمس على خطِّ الساحل رائع، وقمم الجبال المغطاة بالثلوج ملوَّنة بلون السماء، والأدغال رطبة وكثيفة، والمياه ناصعة البياض. إنه مكان منعزل لولا شدة الطيور المستمر، والذي هو جميل لاستمراريته. ربما تكون خمنتُ الآن أنني تركت حياتي الماضية وراء ظهري. فقد ابتعدت عن زوجتي. يجب أن أقول إني أخفيتُ عنك الكثير في خطابي خوفًا من أن أسقط من نظرك لو عرفتُ الحقيقة المرة لزواجي. لن أزعجك بتفاصيل هروبي إلى هذا المكان لأنها قصة حزينة، ويحزنني أن أتذكرها. لقد لدغْتُ من نفس الجحر مرتين، وهذا ليس بالشيء الذي يتباهى به الرجال، لكن يكفي أن أقول إني تعلَّمتُ الدرس. لن أتحدث أكثر من هذا في هذا الموضوع، وبدلًا منه سأحدث عن الحاضر والمستقبل. لن أنقُب عن الذهب مرة أخرى، رغم أن غرب كانتبري مليئة بالذهب، والرجال يصنعون ثروات كل يوم. لا، لن أنقُب ليأتي مَن يسرقه مني مرة أخرى. بدلًا منه سأجربُ حظي في تجارة الأخشاب. تعرَّفتُ إلى رجل حسن من الماوري، اسمه تيرو تو فاراي. معنى اسمه في لغته هو "مائة منزل للسنوات". يا لفقر أسماننا البريطانية مقارنة بمثل هذه الأسماء! وكأن اسمه سطرٌ في قصيدة. تو فاراي نبيل بربري من الطراز الأول، وأنا وهو نصبح أصدقاء بسرعة. وأعترف بأنني سعيد بأن أكون مرة أخرى بصحبة البشر.

المخلص

كروسبي ويلز

سيدي، لقد قرأت في الجريدة أن الأراضي الغربية سيكون لها مقعد في البرلمان، وأنت ستترشح لشغل هذا المقعد. يشرفني أن أخبرك أني الآن أمتلك حق التصويت لأن كوشي في وادي الأراهورا ليس مستأجرًا، إنما هو ملك لي، وكما تعلم، فإن ملكية الأراضي تتيح لصاحبها صوتًا في الانتخابات. وسأختار اسمك في ورقة التصويت، وأرفع كأسًا متمنيًا لك أسعد الحظوظ. في الوقت الحالي فإنني أمضي أيامي أملأً توتارا (وهي كلمة غابة بالماورية) بألف ضربة وضربة من فأسٍ المتواضع. أنت رجل صاحب أملاك، يا سيدي، لديك جلين هاوس في لندن، ولديك المسكن الذي يتيح لك حق الانتخاب في أكاروا الجميلة. لكنني لم أملك أي شيء من قبل. لقد ظللت لثلاثة أعوام مع السيدة ويلز التي تحمل اسمي فقط، ولا تتصرف كزوجتي، لكنني طوال ذلك الوقت كنت في حقول الذهب بلا عنوان ثابت، بينما كانت هي في المدينة. ورغم أن عزلتي الحالية تناسبني جدًا، إلا أنني لست معتادًا على البقاء في مكان واحد. ربما نلتقي أو نرى بعضنا البعض عندما تكون في هوكتيكا من أجل حملتك الانتخابية. يجب عليك ألا تخشى من أن أؤذيك أو أفشي سرَّ خطيئة والدنا. أنا لم أخبر أي شخص، فقط أخبرت زوجتي التي ابتعدت عنها، وهي من طبعها أنها إن لم تترجح من المعلومة فهي لا تُلقي لها بالًا. يجب عليك ألا تخشى مني. عليك فقط أن ترسم حرف إكس على ورقة وترسلها إلى العنوان الذي أكتب لك منه، وإن تلقَّيتها سأعرف أنك لا تود أن تقابلني، وسأظل بعيدًا، وسأتوقف عن الكتابة إليك وعن التساؤل بشأنك. وسأفعل هذا عن طيب خاطر، وسأفعل كل ما تطلبه مني لأني أظن

المخلص لك

كروسبي ويلز

غرب كانتربري. أكتوبر 1865.

سيدي، لم أتلّق الخطاب الذي يحوي حرف الإكس منك، وأشكر
لهذا. اليوم أنا سعيد بصمتك، رغم أن نفس هذا الصمت قد أحرزني
سابقًا. أظن، كما كنت دائمًا

المخلص

كروسبي ويلز

غرب كانتربري. ديسمبر 1865

سيدي، قرأت في تايمز الساحل الغربي أنك تنوي السفر لهوكتيكا برًّا؛
وبالتالي ستمرّ في طريقك عبر وادي الأراهورا، إلا إذا تعمّدت أن تسلك
طريقًا غيره. وباعتباري رجلًا أملك حقّ التصويت أدعوك لتشرّفني
كسياسي بزيارة بيتي المتواضع. سأصف لك الطريق حتى تأتي أو
تسلك طريقًا بعيدًا إن رأيت أن هذا أفضل. المنزل مسقوف بالحديد،
ويقع على بُعد ثلاثين ياردة من الضفة الجنوبية لنهر الأراهورا. هناك
أرض فضاء عرضها حوالي ثلاثين ياردة على كلا جانبي الكوخ، ومنشار
الخشب يقع بعده بحوالي العشرين ياردة ناحية الجنوب الشرقي.
المسكن صغير، له نافذة، ومدخنة مصنوعة من الطوب الأحمر. وهو
مُغطّى بالطريقة المعتادة. ربما حتى إن لم تتوقف سأتمكن من النظر
إليك أثناء مرورك. لن أتوقّع مجيئك، ولن آمل فيه، لكنني أتمنى لك
رحلة سعيدة إلى الأراضي الغربية، وحملّة ناجحة، وأؤكد لك أنني أظن،
مع أعظم الإعجاب،

كروسبي ويلز

كان هذا هو الخطاب الأخير. مؤرّخ بتاريخ يسبق اليوم الحالي بأكثر قليلاً من شهرين... ويسبق وفاة ويلز بأقل من شهر.

ترك مودي الورقة وجلس للحظة بلا حراك. ليس من عادته أن يدخن بمفرده، ونادراً ما حمل التبغ معه؛ لكنه الآن يريد بشدة أن ينشغل بحركة يقوم بها بشكل اضطراري ومتكرر، وفكر للحظة في أن يدقّ الجرس ويطلب سيجارة أو سيجاراً. لكنه لم يحتمل فكرة أن يتحدث إلى شخص آخر، حتى ولو ليلقي عليه أمراً، وحاول تهدئة نفسه بإعادة تنظيم الخطابات وإرجاعها لحالتها الأولى، بحيث يوضع أحدثها على سطح الكومة.

لقد ظهر من تلميحات كروسبي ويلز الكثيرة عن صمت لودرباك أن السياسي لم يرُدّ ولا مرة واحدة على أيّ من هذه الخطابات التي كتبها له أخوه غير الشرعي، ابن أبيه من إحدى العاهرات. ظلّ أليستار لودرباك صامتاً لمدة ثلاثة عشر عاماً! هزّ مودي رأسه. ثلاثة عشر عاماً! في الوقت الذي تفيض فيه الخطابات بالشوق، ويحيي فيها كروسبي لأخيه كل شيء بمنتهى الصراحة؛ في الوقت الذي أعلن الابن غير الشرعي عن رغبته في لقاء أخيه، في أن ينظر إليه، ولو لمرة. أكان لودرباك ليتأذى كثيراً -السيد المحترم لودرباك- لو أنه خطّ بضع كلمات كردّ عليه؟ لو أنه أرسل ورقة بنكية واشترى للرجل المسكين تذكرة العودة لوطنه؟ كم هو قاسي القلب بشكل غريب، أن لا يرد بالمرة! لكن لودرباك احتفظ بخطابات ويلز... لقد احتفظ بها، وقرأها، وأعاد قراءتها، فأقدم الخطابات رتّاً للغاية، ويحمل آثار الطي، وإعادة الطي، مرات عديدة. وقد وصل إلى كوخ كروسبي، أخيراً، وصل متأخراً نصف ساعة.

ثم تذكر مودي شيئاً آخر. اتّخذ لودرباك من ليديا ويلز عشيقة! اتّخذ زوجة أخيه عشيقة له! وصاح مودي بصوت عالٍ "عديم

الضمير". وقفز من مكانه وبدأ يخطو جيئةً وذهابًا. هذه قسوة قلب غريبة! هذه وحشية، وحسبها مودي في عقله. كان كروسبي ويلز في حقول الذهب في دنستن وفي كاواراو في الوقت الذي كان فيه الأخ الذي يتمنى لقاءه في ديونندن، يجعل منه ديونًا! هل من الممكن أن يكون لودرباك بالفعل جاهلاً بحقيقة الوضع؟ هذا غير محتمل، حيث إن ليديا ويلز حملت اسم زوجها! مكتبة سر من قرأ

توقّف مودي عن الحركة. كلاً، لودرباك أخبر بالفور بوضوح أنه لم يعلم أن ليديا ويلز متزوجة طوال مدة علاقتهم. ففي كل تعاملتهما سويًا كانت تستخدم اسمها قبل الزواج، جرينواي. لم يعلم لودرباك إلا حين عاد فرانسيس كارفر من السجن -وسمّي نفسه فرانسيس ويلز- وقتها اكتشف لودرباك أن ليديا ويلز متزوجة، وأن اسمها الحقيقي هو ليديا ويلز، وأنه، لودرباك، بعلاقته بها كان يجعل من زوجها ديونًا. فتش مودي بسرعة في كومة الخطابات حتى وصل إلى الخطاب المؤرخ بتاريخ أغسطس من السنة الماضية. نعم: لقد ذكر كروسبي ويلز بصراحة أنه حكى لزوجته تفاصيل نسيه غير الشرعي. إذن فليديا ويلز كانت تعلم بالأخ غير الشرعي للودرباك منذ بداية علاقتهم، وكانت تعلم أيضًا أن لودرباك يحتفظ بالأمر سرًا، وعلى الأغلب فإنه يحمل مشاعر صعبة تجاه هذا الأمر، لأنه لم يردّ أبدًا على خطابات كروسبي، ولا مرة واحدة. ربما سعت وراء لودرباك خفيصًا بنية استغلال هذه العلاقة.

كم هي استغلالية وانتهازية هذه المرأة! لقد سعت لاستخدام الأخوين... سعت لتدمير الأخوين! فقد اتّضح الآن أمر آخر: الثروة التي تمّ استخدامها في ابتزاز لودرباك لم تأت من منجم كارفر بالمرّة. بل سُرقت بالكامل من كروسبي ويلز؛ فهو من عثر على ثروة في دنستن، كما تشهد بذلك خطابه. ليديا ويلز إذن باحت بسرّ ويلز لفرانسيس كارفر، وبمساعده وضعت خطة لسرقة ثروة ويلز وابتزاز

لودرباك، خطة تضمن الثراء لكليهما، وفوق البيعة، تجعل منهما المُلَّاك الفخوريين للسفينة جودسبيد. كان لودرباك يحسُّ بالعار من أخيه غير الشرعي، والسيدة ويلز، بصفتها عشيقته، تعلم هذا جيدًا؛ ومن الواضح أنها دبَّرت مكيدهً لاستغلال هذا العار لمصلحتها.

فجأة قفز قلب مودي في صدره. هذه هي الومضة... هذه هي المعلومة التي ابتزَّ بها فرانسيس كارفر لودرباك وضمن بها صمته في صفقة بيع جودسبيد. فقد أطلق كارفر على نفسه اسم فرانسيس ويلز، مما دفع لودرباك للظن بأنه وكروسبي أخوان: أبناء عاهرة، كبرا معًا في نفس بيت الدعارة... وربما حتى وُلِدَا من نفس الأم! كروسبي ويلز حصل على اسم عائلة بالتخصيص، وليس من المستبعد أن يكون لكروسبي ويلز أخوة وأخوات آخرون من الأم، إذا كانت أمه عاهرة. يا لها من طريقة للعب بمشاعر لودرباك وإجباره على فعل ما يريدون!

وفجأة خطر لمودي أن الاسم الصحيح لهذا الرجل هو كروسبي لودرباك، وأحسَّ ناحيته بتعاطفٍ غامر. وتخيلَه مَيَّنًا في كوخه في الأراهورا، وإحدى يديه ملتفة حول قاعدة زجاجة فارغة، ووجنته على الطاولة، وعيناه مغلقتان. كم هي قاسية عجلة القدر في دورانها!. كم كان قاسيًا قلب لودرباك بالتزامه الصمت في وجه هذه التوسلات مُتَّقِدة العاطفة! وكم كان مُحزِّنًا أن يتابع كروسبي ويلز صعود أخيه على مدار عقد من الزمان، وترقيته في عمله من مجلس المقاطعة حتى البرلمان نفسه... في الوقت الذي يعاني فيه الابن غير الشرعي بمفرده في الليل والصقيع!.

رغم هذا، أحسَّ مودي أنه لا يمكنه رفض لودرباك كلية. فقد زار السياسي أخاه، في نهاية الأمر... لكن بأي نيّة؟ لم يعرف مودي. ربما قصد السياسي التعويض عن صمت ثلاثة عشر عامًا. ربما قصد

الاعتذار إلى أخيه غير الشقيق، أو ربما قصد فقط أن ينظر إليه، ويناديه باسمه، ويمد يده يصافحه.

امتلات عينا مودي بالدموع. وأطلق الشتائم بلا داعٍ، ومسح وجهه بظهر يديه بعنف... أحس بصلة مريرة مع الناسك، أحس نفسه يعرف هذا الرجل الذي لم ولن يقابله. هناك تماثل غريب بين موقف كروسبي ويلز وموقفه. كروسبي ويلز تخلى عنه والده، كما حدث لمودي. كروسبي ويلز غدر به أخوه، كما حدث لمودي. كروسبي ويلز تبع أخاه حتى أقاصي الأرض جنوبًا، كما حدث لمودي... وهناك، تمّ رفضه، وتحطيمه، وعاش بقية أيامه وحيدًا.

ساوى مودي حواف الخطابات التي بين يديه. كان عليه أن يدقّ الجرس طلبًا للخدمة منذ ساعة مضت، ويأمرها أن تأخذ الصندوق من غرفته؛ سيثير الشكوك إذا ما تأخر أكثر من ذلك. وتساءل عمّا يجب عليه أن يفعله. ليس هناك وقت لينسخ كل الخطابات. هل يعيد الخطابات إلى بطانة الصندوق؟ هل يسرقها؟ هل يسلمها إلى السلطات المسؤولة هنا في هوكتيكا؟ فهي بالتأكيد لها صلة بالقضية المنظورة، وفي حالة ما إذا تمّ استدعاء قاضٍ من محكمة الاستئناف، فإن الخطابات ستكون ذات قيمة بالتأكيد.

عبر الغرفة وجلس على طرف سريره يفكر. يمكنه أن يرسل الخطابات إلى لوينثال، ويطلب منه أن ينشرها كلها بالكامل وبالترتيب الزمني في تايمز الساحل الغربي. يمكنه أن يرسلها إلى جورج شيرد مأمور السجن طلبًا لنصيحته. يمكنه أن يريها لصديقه چاسكوين في السر. يمكنه أن يستدعي رجال الكراون الاثني عشر ويطلب رأيهم. يمكنه أن يرسلها إلى مفتش حقول الذهب، أو حتى إلى قاضي المحكمة. ولكن ما النتيجة؟ مَنْ الذي سيستفيد من هذه الأخبار؟ خبط أطراف أصابعه سويًا وتنهد.

وأخيراً، جمع مودي رزمة الخطابات، وربطها كما كانت بالضبط، ووضعها في مكانها في بطانة الصندوق. وأغلق الصندوق بالقضيب الحديدي تماماً كما كان، وابتعد عن الصندوق وألقى عليه نظرة ليتأكد من أن كل شيء تماماً كما وجدته، ثم ارتدى قبعته ومعطفه كما لو أنه قد عاد لتوّه من قاعة طعام ماكسويل، ودقّ الجرس. صعدت الخادمة على الفور، أخبرها بنبرة من السخط العميق أنهم أرسلوا لغرفته الصندوق الخطأ. وأنه سمح لنفسه أن يفتحه ويقرأ الاسم المكتوب عليه من الداخل: الصندوق يخصّ السيد أليستار لودرباك، وهو رجل لم يحدث أن قابله من قبل، وهو بالتأكيد ليس من نُزلاء الكراون، وليس هناك أي تشابه في الأسماء بين اسمه واسم مودي. وأنه ربما تمّ إرسال صندوقه إلى فندق السيد لودرباك... أيّا كان هذا الفندق. وأنه ينوي قضاء فترة العصر في صالة بلياردو شارع ستافورد، وأنه ينتظر إصلاح هذا الخطأ أثناء غيابه، لأنه في غاية الأهمية بالنسبة له أن يحصل على أمتعته في أقرب وقت؛ فقد ربّ لحضور حفلة "المشروبات والتكهّنات" التي تقيمها الأرملة في النواي فيرر فورتن هذا المساء، وأنه يودّ حضور الحفلة مرتدياً ملابس مناسبة. وأضاف قبل أن يغادر أنه في غاية الاستياء لما حدث.

شهر بدون قمر

حيث يفتح الواي فيرر فورتشن أبوابه للجمهور بعد طول انتظار.

أعيد طلاء اللافتة المعلقة خارج الواي فيرر فورتشن، حيث أصبح الظل المتبختر حاملاً صرته المربوطة في طرف عصا على كتفه يمشي تحت سماءٍ تزيئها النجوم. لم يستطع مانرينج أن يجزم إن كانت النجوم المرسومة فوق رأس الظل تشكّل كوكبة. فقد ألقى نظرة سريعة على اللافتة وهو يرتقي السلام إلى الشرفة الخارجية، ولاحظ أن خبّاطة الباب لامعة، والنوافذ مغسولة، وممسحة الأقدام جديدة، وأن هناك كارت جديد مثبت في اللوحة بجانب الباب.

السيدة ليديا ويلز، وسيطة روحانية، مستحضرة أرواح، كاشفة أسرار، قارئة طالع.

حين دقَّ الباب سمع أصواتًا أنثوية، ثم خطوات أقدام مسرعة تصعد السلام. انتظر على أمل أن تكون أنا في استقباله.

رُنَّت السلسلة وهي تُنَزَع من خطافها. لمس مانرينج عُقدة ربطة عنقه بأصابعه، وفرد قامته قليلًا، ناظرًا إلى انعكاسه الباهت في الزجاج. انفتح الباب.

"ديك مانرينج!"

أصيب مانرينج بالإحباط، لكنه لم يُظهره. وهتف: "سيدة ويلز. مساء الخير عليك".

"بالطبع أتمنى أن يكون مسائي خير؛ لكن الوقت ليس مساء بعدُ". وابتسمت. "توقَّعتُ أنك من بين كل الناس تعرف أن الوصول مبكرًا لحفلة هو أمر عفى عليه الزمن. ماذا كانت أُمي تسميه؟ همجية".

مدَّ مانرينج يده لساعة جيبه متظاهرًا بالدهشة قائلاً: "هل وصلت مبكرًا؟"، كان يعلم تمام العلم أنه جاء مبكرًا: أراد الوصول قبل الآخرين؛ كي تتاح له فرصة الحديث مع أنا على انفراد. وأضاف وهو ينظر في ساعته: "آه، نعم، يا إلهي". وهزَّ كتفيه وأعاد الساعة إلى جيب صديريته. "لا بُدَّ أني نسيت أن أملاها هذا الصباح. حسنًا، أنا هنا الآن... وأنتِ كذلك. وقد ارتديت ثيابك للحفلة. جميلة جدًا. جميلة جدًا بالتأكيد".

كانت ترتدي ثياب الحداد السوداء، رغم أن رداءها، وكما قد تقول بطريقتها، تمَّ تحسينه بلمسات بسيطة خفَّفت من كآبته. فالجزء العلوي مُطرَّز بخيط لامع بأشكال أغصان وورود فبدت التصميمات متألقة ومنيرة على صدرها؛ وارتدت وردة سوداء أخرى مثبتة بشريطة سوداء كأنها سوارٌّ على بياض ساعدها المكتنز، ووردة ثالثة سوداء في شعرها مثبتة في التجويف خلف أذنها.

قالت، وهي لا زالت مبتسمة: "ماذا أفعل الآن؟ لقد وضعتني في موقفٍ صعبٍ يا سيد مانرينج. لا يمكنني دعوتك للدخول. لأنني إن فعلت ذلك سأشجّعك على الوصول مبكرًا في مناسبات أخرى؛ ولن يمضي وقت طويل حتى تصبح مصدرَ إزعاجٍ لجميع سادة وسيدات المجتمع في المدينة بأكملها. لكنني أيضًا لا أستطيع أن أتركك ترحل، لأنه وقتها يصبح كلانا من الهمج؛ أنت بسبب قِلّة حياثك، وأنا بسبب سوء ضيافتي".

قال مانرينج: "يبدو أن هناك رأيًا ثالثًا؛ أن تدعيني واقفًا على الشرفة الخارجية طوال الليل حتى تقتلي الأمر بحثًا في رأسك، وفي الوقت الذي تحسمين فيه أمرك بشأني، يكون قد حلّ ميعاد وصولي". قالت السيدة ويلز: "أنت غاضب، ها هو وجه آخر من أوجه الهجمة".

"أنتِ لم تَرَي غضبي أبدًا يا سيدة ويلز".
"أحقًا؟".

"أبدًا. معك أتصرف بتحضر".

"يا ترى، مَنْ هؤلاء الذين تتصرّف معهم بغير تحضر".

قال مانرينج: "السؤال ليس مع مَنْ. الأمر هو إلى أي درجة، إلى أي حدّ".

وساد صمت قصير.

قالت السيدة ويلز: "لا بُدَّ أنك شعرت بالعظمة".
"متى؟".

قالت السيدة ويلز: "بعدما قلتَ ما قلته الآن، لا بُدَّ أنك شعرت بالعظمة".

"لديك أسلوبك الخاص يا سيدة ويلز. لقد نسيت هذا".

"أحقاً هذا؟".

"نعم، أسلوب خاص". ووضع يده في جيبه. "ها هو رسم الدخول. وهو بالمناسبة سرقة علنية، سرقة في وضوح النهار. كيف تتقاضين ثلاث شلنات مقابل أمسية ترفيهية في هوكتيكا... هذا كثير حتى إن أحضرت هيلين طروادة لإحياء الأمسية. الرجال هنا لن يقبلوا بهذا. رغم أنني يجب ألا أوجّه لك نصائح. فبدايةً من الليلة أنا وأنتِ خصمان متنافسان. أظننني أنني لا أعرف ذلك: حين يحلّ الرجال كيس نقودهم ليلة السبت سيكون الاختيار ما بين برنس أوف ويلز والواي فيرر فورتشن. أنا رجل يراقب منافسيه... وقد أتيتُ الليلة لأراقبك".

قالت السيدة ويلز: "المرأة تحب أن يراقبها الرجال". وأخذت النقود وفتحت الباب على مصراعيه. وأضافت ومانرينج يخطو إلى الصالة: "على أي حال، أنت كذاب كبير. إن كنتِ نسيتِ أن تملائي ساعتك لكنكِ جئتِ متأخراً وليس مبكراً".

أغلقت الباب خلفه بالسلسلة.

قال مانرينج: "أنت ترتدين الأسود".

عادت من عند الباب. "هذا أمر طبيعي. لقد ترمّلتُ مؤخراً، أنا في حداد".

قال مانرينج: "سأقول لك معلومة. الأرواح لا تستطيع رؤية اللون الأسود. أراهن أنك لا تعرفين هذا. هذا سبب أننا نرتدي الأسود في الجنازات: إن ارتدينا ألواناً أخرى فسنلفت انتباه الأموات. حين نرتدي الأسود لا يستطيعون رؤيتنا".

قالت السيدة ويلز: "يا لها من معلومة جميلة وتافهة!".

"أتعرفين معناها إذن؟ معناها أن السيد ستينز لن يتمكن من رؤيتك. ليس وأنتِ ترتدين هذا الفستان. ستكونين غير مرئية بالنسبة له".

ضحكت وقالت: "يا إلهي! حسنًا، أظن أني لن أستطيع حلّ هذه المشكلة. ليس في هذه الساعة المتأخرة. سأضطرُّ لإلغاء لقاء الليلة بأكمله".

قال مانرينج: "وماذا عن أنا، ما اللون الذي سترتيه الليلة؟".

قالت السيدة ويلز: "في الحقيقة فإنها سترتدي الأسود. إنها في حداد هي الأخرى".

قال مانرينج: "أنتِ في حُكم الغارقين، والمنشأة كلها أيضًا. وكل هذا بسبب فستانك. يا لها من عصا أوقفت دوران العجلة! لقد خذلك فستانك".

لم تكن السيد ويلز مبتسمة الآن. وقالت: "أنتِ وقحٌ لسخريتك من رموز الحداد".

"أنتِ وأنا، نحن الاثنان سيدة ويلز".

تبادلًا النظرات للحظة، وكلاهما يفتش وجه الآخر.

قال مانرينج: "أنا أكنُ عظيم الاحترام للمحتالين. يجب عليّ هذا لأنني أحسب نفسي ضمنهم! لكن قراءة الطالع حيلة رخيصة يا سيدة ويلز، إنه نوعٌ متدنٍ من الاحتيال. آسف إن كنتُ صريحًا، لكن هذا هو رأيي".

بتعبيرات وجه حذرة قالت باستخفاف: "كيف هذا؟".

قال مانرينج بقوة: "لأنه كلام فارغ. أخبريني باسم الرجل الذي سيراهن أمامي المرة القادمة. أخبريني أي الكروت ألعبها في المرة

القادمة. أعطيني اسم الرابع في سباقات الأسبوع القادم. أستعطيني مثل هذا؟ لا، لأنك لا تستطيعين".

"أرى أنك تحب الشكوك يا سيد مانرينج".

"هذا لأني متمرس في هذا المجال".

قالت الأرملة وهي لا زالت تحقق فيه: "نعم. أنت تستمتع بالشكوك".

"أعطيني اسم الرابع في سباقات الأسبوع القادم، وأنا لن أشك ثانية".

"لا أستطيع ذلك".

فرد مانرينج يديه، "أرأيت!".

"لا أستطيع؛ لأنك بطلبك هذا لا تطلب أن أقرأ طالعك. أنت تطلب مني دليلاً حاسماً على قدرتي. وهذا ما لا أستطيع تقديمه. أنا قارئة طالع، ولست عالمة منطوق".

"إن لم تستطعي النظر في المستقبل حتى الأحد القادم فأنت قارئة طالع ضعيفة".

قالت السيدة ويلز: "أحد أولى الدروس التي يتعلمها المرء في هذا التخصص أنه ليس هناك شيء محسوم بالنسبة للمستقبل. والسبب في ذلك أمر بسيط للغاية؛ فمستقبل المرء يتغير عند قراءته".

"مثل هذه الحجّة إنما تُعرّز موقفك أنت".

رفعت ذقنها قليلاً. "إذا كنت فارساً تقود أحد خيول سباق الأسبوع المقبل، وأتيت إليّ طلباً لمعرفة إن كان طالعك حسناً، حينها يكون الأمر مختلفاً. إذا قلت لك إن طالعك مظلم؛ فغالباً ستقود

جوادك بطريقة سيئة لأنك ستكون مُنْقَبِضَ الصدر. إذا ما أعطيتُكَ
تنبؤًا إيجابيًا فغالبًا ستركب جوادك بثقة، وتحقق نتيجة جيدة".
قال مانرينج: "حسنًا، أنا لست فارسًا، لكني راهنتُ بخمسة
جنيهات على مهرة تُدعى أيرش، وأطلب منك أن تقرئي طالعي، ماذا
سيكون؟ جيّدًا أم سيئًا؟".

ابتسمت، "أشك أن طالعك سيتغيّر من خمسة جنيهات، سواء
كسبتها أم خسرتها يا سيد مانرينج؛ وعلى أي حال، أنت لا زلت
تبحث عن دليل. تفضّل في الصالون".

لم يعد الواي فيرر فورتن من الداخل يشبه بأي شكل المنشأة
الكثيية الذي استقبلت فيها السيدة ويلز أوبرت جاسكوين منذ ثلاثة
أسابيع مضت. فقد اشترت الأرملة ستائر، وأثاثًا جديدًا، ودسته من
ورق الحائط بتصميم جذاب للورد والشوك، وعلّقت عدّة لوحات
مرسومة على الزجاج تحمل تصميمات شرقية، وطلّت بئر السلم،
وغسلت النوافذ، وكست الغرفتين الأماميتين بورق الحائط. وقد
وضعت روزنامتها فوق حامل خشبي للكتاب المقدس، ونثرت عدة
مصابيح بغطاء قماشي في أماكن متفرقة من الغرف الأمامية للفندق
السابق بغرض خلق جوٍّ من الغموض. فغر مانرينج فمه ليعلق على
التبديل المهلول، ولم تسعفه الكلمات.

قال مانرينج مندهشًا: "يا إلهي، إنه السيد سووك، والسيد كيي!".

حدّق إليه الرجلان الصينيان. كانا يجلسان بساقيهما معقودتين
على جانبي المدفأة، وعلى وجهيهما طبقة سميكة من طلاء الوجه.
قالت ليديا ويلز: "هل تعرفهما؟".

انتبه مانرينج لنفسه وقال: "أعرفهما بالشكل. أنا أتعامل كثيرًا مع الصينيين، وهما من الوجوه المألوفة في كانير. كيف حالكما يا رجال؟".

قال أه سووك: "مساء الخير". أمّا أه كيي فلم ينطق. لم يكن من الممكن قراءة تعبيرات وجهيهما من طبقة الطلاء السمكية التي بالّغت في رسم ملامحهما، فقد زادت من امتداد جوانب أعينهما، وأبرزت استدارة وجناتهما.

التفت مانرينج إلى السيدة ويلز، "هل لهما دور في جلسة تحضير الأرواح؟ هل استعنت بهما؟".

أوضحت السيدة ويلز مشيرة إلى أه سووك، "أتى هذا إلينا بعد الظهر، وخطر لي أن وجوده يمكن أن يضيف نكهة خاصة لجلسة تحضير الأرواح هذا المساء. وقد وافق أن يعود، وعندما عاد كان معه صديقه، وهذا أفضل بالنسبة لي. ألا توافقني أن اثنين منهما أفضل من واحد؛ فأنا أحب أن تبدو الغرفة متناسقة".

قال مانرينج: "أين أنا؟".

قالت السيدة ويلز: "أوه، في الطابق الأعلى. في الحقيقة يا سيد مانرينج فقد استوحيتُ الفكرة منك. من عرض 'أحاسيس من الشرق'. ليس هناك أفضل من لمسة شرقية لزيادة مبيعات التذاكر. لقد شاهدتُ العرض مرتين، مرة من البلكون ومرة من الصالة".

كان مانرينج مقطّبًا. "متى ستنزل؟".

قالت السيدة ويلز: "ليس قبل جلسة تحضير الأرواح".

جفل مانرينج. "ماذا؟ ألن تنزل للحفلة؟ ألن تكون موجودة في الحفلة؟".

التفتت السيدة ويلز مبتعدةً لتنظم الأكواب على المنضدة الجانبية.
"لا".

قال مانرينج: "لِمَ لا؟ هناك العديد من الرجال يتحرّقون شوقًا
لكلمة منها. لقد ضحّوا بأجر أسبوع كامل فقط ليتمكنوا من
الدخول، وكله من أجل أنا. من الجنون إبقاؤها في الطابق الأعلى."
"لا بُدَّ أن تجهّز نفسها لجلسة تحضير الأرواح. لا يمكنني أن أغامر
بإزعاج اتزانها".

قال مانرينج: "هراء".

التفتت إليه السيدة ويلز. "عذرًا؟".

"قلتُ إن هذا هراء. أنت تستبقينها لغرض ما".

"ما الذي تلمّح له؟".

قال مانرينج: "لقد خسرت أفضل فتياتي حين خسرت أنا ويزريل.
بقيتُ بعيدًا لمدة ثلاثة أسابيع، من باب الاحترام الذي لا داعي له،
والآن أريد أن أتحدث معها. ليس هناك ازعاج اتزان، وكلانا يعلم
ذلك".

"أشعر أن عليّ أن أذكرك أنك لا تملك أي خبرة في هذا المجال".

قال مانرينج متهمًا: "خبرة! منذ ثلاثة أسابيع لم تكن أنا لتمييز
اتزانها من كوعها. هذا هراء يا سيدة ويلز. ناديتها".

خَطَّت السيدة ويلز بعيدًا، "يجب أن أذكرك أيضًا يا سيد مانرينج
أنك ضيف في بيتي".

"هذا ليس بيتًا؛ هذا مقر عمل. لقد دفعت لك ثلاثة شلنات لأني
متأكّد أن أنا ستكون هنا".

"في الحقيقة لم يتم التأكيد على هذا".

ثار غضب مانرينج، وقال: "اسمعي! سأعطيك نصيحة أخرى يا سيدة ويلز، وبالمجان: في مجال الاستعراض يجب أن تقدّمي للجمهور ما دفعوا مقابلته، وإذا لم تفعلي، فسوف تدفعين ثمن عدم رضائهم. لقد ذكر إعلان الجريدة أن أنا ستكون موجودة".

"لقد ذكر إعلان الجريدة أنها ستكون موجودة في جلسة تحضير الأرواح، بصفتها مساعدي".

"ما الذي تمسكينه عليها؟".

"بكل تأكيد ليس لدي أي فكرة عمّا تعنيه".

"لِمَ ترضخ لأوامرك؟ لِمَ توافق على البقاء في الطابق الأعلى بمفردها، وفي الظلام؟".

تجاهلت السيدة ويلز هذا السؤال. وقالت: "الآنسة ويذريل كانت تتعلم قراءة كروت التاروت، وهو فنٌ أثبتت فيه جدارتها. وبمجرد أن أتأكد من إتقانها له، سوف تعلن عن تقديم خدماتها في تايمز الساحل الغربي، وقتها سيكون بإمكانك أنت وكل مواطني هوكيتيكا أن تحدد ميعاد معها".

"وسأدفع دم قلبي مقابل هذا الشرف الرفيع، أليس كذلك؟".

قالت السيدة ويلز: "أتساءل إن كنت تتوقّع شيئاً آخر".

كان أه سووك ينظر للسيدة ويلز، وأه كوي ينظر لمانرينج.

قال مانرينج: "هذه إهانة".

قالت السيدة ويلز: "ربما لم تُعد ترغب في حضور الحفلة. إن كان الأمر كذلك فكل ما عليك فعله هو أن تقول وسأعيد إليك رسم الدخول بالكامل".

"ما الفكرة من إبقائها بعيداً؟".

ضحكت الأرملة. "برُّك يا سيد مانرينج! كلانا يعمل في نفس المجال، كما أشرت سابقًا؛ لست بحاجة لأن أخبرك".

قال مانرينج: "لا، أخبريني. هيا، أخبريني".

لكن السيدة ويلز لم تخبره. وحدّقت فيه للحظة ثم قالت: "لِمَ جئت لحفلة الليلة؟".

"لأتحدث لآنا. ولأعاین منافستي. أنت".

"لن يتحقّق أول طموحاتك، كما أوضحْتُ لك الآن، ولا بُدَّ أنك الآن قد حقّقت طموحك الثاني. إذا كان الأمر كذلك، فأنا لا أرى أي داعٍ لبقائك".

قال مانرينج: "سأبقى".

"لماذا؟".

"لأراقبك".

حدّقت فيه السيدة ويلز، "فهمتُ. أعتقد أن هناك سببًا آخر لقرارك بحضور حفلة الليلة، سببًا لم تخبرني به حتى الآن".

قال مانرينج: "أوه؟ وماذا قد يكون هذا السبب؟".

قالت السيدة ويلز: "لستُ متأكّدة، لكني يمكن أن أخمّن".

"حسنًا، هيا، أخبريني بتوقّعاتك. هذه لعبتك، أليس كذلك؟ اقرّري طالعي".

مالت برأسها وكأنها تقيمه. ثم قالت فجأة بلهجة حاسمة: "لا، هذه المرة سأحتفظ بتوقّعاتي لنفسِي".

اضطرب مانرينج، وبعد لحظة أطلقت السيدة ويلز ضحكتها الرّثانة، وفردت طولها وضمت كفيها على صدرها. واستأذنت مانرينج في الانصراف، موضّحة أنها قد استعانت بنادلتين من ستار وجارتر

لخدمة ضيوفها الليلة، وأن الفتاتين لم تستلما عملهما بعد، وأنهما تنتظران في المطبخ بصبر، وأنها لن تدعهما تنتظران أكثر من هذا. ودعت مانرينج لأن يصبّ لنفسه كأسًا من الزجاجات الموضوعة على المنضدة الجانبية، وأن يتصرف على راحته في المكان، وانصرفت من الحجرة، تاركة مانرينج يحدّق فيها بوجه مُحَمَّر.

بمجرد أن أغلقت الباب خلفها التفت لأه سووك، "ما الذي تفعله هنا؟".

قال أه سووك: "لأقابل إيميري ستينز".

"لديك بعض الأسئلة لتطرحها عليه على ما أعتقد".

"نعم".

قال مانرينج: "تطرحها عليه سواء أكان حيًا أم ميتًا. أليس كذلك يا سيد سووك؟ لقد وصلنا لهذه المرحلة".

وخطا إلى المنضدة الجانبية وصبّ لنفسه شرابًا قويًا.



استأجرت السيدة ويلز أوركسترا مُكوّنة من اثنين من العازفين، أحدهما على الكمان والآخر على الفلوت، من مجتمع الأصدقاء الكاثوليك في شارع كولينج وود. وصل الموسيقيان قبل الساعة بقليل، بآلاتهما الملفوفة في القטיפ، وأرشدتهما السيدة ويلز إلى نهاية الصالة حيث تمّ وضع كرسيّين في مواجهة باب الدخول. الأغاني الوحيدة التي يعرفانها هي أغاني الرقصات الفلكورية الأيرلندية والاسكتلندية وأغاني المزمارة البريطاني، لكن السيدة ويلز اقترحت عليهما أن يعزّفا بإيقاع ربع نوتة أو بأبطأ ما تسمح به أنفاسهما والتناغم بينهما، حتى تلائم موسيقاهما الجوّ العام للأمسية. وبالعزف البطيء تحوّلت

أغاني الرقصات السريعة لألحانٍ تُنذر بالشؤم، وامتلات أغاني المزمار
البريطاني بالشجن؛ حتى مانرينج الذي لم ينجح في تهدئة غضبه مقدار
أصبعين من البراندي ولا الخدمة المرححة التي تلقّاها من نادِلتَي
ستار وجارتر، اضطرَّ للاعتراف بذلك الأثر المذهل. حين دقَّ الباب
أول ضيوف الليلة، كانت موسيقى رقصة "ستة بنسات" تصدح كنواجٍ
مؤلم، يخلو من الرغبة في الرقص والاحتفال، ويوحى بجوِّ الجنازات،
والأمراض، والأخبار المشؤومة.

بحلول الساعة الثامنة كان الفندق قد امتلأ عن آخره. وصار
هواؤه معبّقًا بالدخان.

"هل رأيت من قبل ساحر في أحد الأسواق؟ هل رأيت أحدهم
يلعب حيلة الفنجان والكرة؟ حسنًا، كل هذا يعتمد على فَنِّ تشيت
الانتباه يا سيد فروست. لديهم طرقهم التي تجعلك تلتفت بعينيك
بعيدًا، سواء بنكتة، أو بإثارة ضجّة، أو شيء غير متوقَّع، في اللحظة
التي تنظر فيها بعيدًا، يتم تبديل الفناجين، أو ملؤها، أو إفراغها،
أو أي شيء من هذا القبيل. ولست بحاجة لإخبارك بأنه ليس هناك
أفضل من المرأة في تشيت الانتباه، ستناضلون ضد اثنين منهما".

رمق فروست بريتشارد بقلق، ثم أشاح بنظره، كان خائفًا قليلًا
من الكيميائي، ولم تعجبه الطريقة التي جثم بها بريتشارد عليه، فقد
وقف قريبًا جدًا منه حتى أحسَّ بحرارة أنفاسه حين تحدث. وقال
فروست: "ماذا تقترح لكي لا أُنشئت؟".

قال بريتشارد: "أبقى عينيك مفتوحتين. نيلسن يراقب آنا. وأنت
الأرملة. وبتعاونكما سويًا يكون الوضع تحت السيطرة، ما رأيك بهذا؟
راقب ليديا ويلز مهما حدث. إذا ما طلبت منك أن تغلق عينيك أو
تنظر بعيدًا -وكثيرًا ما يفعلون ذلك- لا تنفّذ ما تطلبه منك".

مكتبة

t.me/soramnqraa

شعر فروست بوخزة من الضيق. وتساءل بأي حق يقوم جوزيف بريتشارد بتوزيع مهام المراقبة في جلسة تحضير أرواح لا يحمل دعوة لحضورها. ولم يتم تكليفه بمراقبة الأرملة بينما يتولى نيلسن مهمّة مراقبة أنا؟ لم يفصح عن شكواه لأن إحدى النادلتين كانت تقترب تحمل زجاجة شراب على صينية. ملأ الرجلين كأسيهما وشكرا النادلة وراقبها وهي تبتعد بين زحام الحاضرين.

وبمجرد أن غادرت النادلة استأنف بريتشارد بنفس الحدة. "لا بُدَّ أن يكون ستينز في مكان ما. ليس هناك رجل يختفي بلا أثر. ما الذي نعرفه بشكل مؤكّد؟ دعنا نرتّب أفكارنا. نعلم أن أنا آخر من رآه حيًّا. ونعلم أنها كذبت بخصوص الأفيون حين قالت إنها استهلكت الأوقية كلها، وقد رأيت بعيني أن هذه كذبة. ونعلم أنها تخطط لاستدعائه من بين الموتى".

فجأة اتّضح لفروست أن سترة بريتشارد لا تلائم بالمرة، وأن ربطة عنقه ليست مكيّبة، وأن قميصه رتّب بال. ولا بُدَّ أن موسى الحلاقة الخاصة به ثلثة للغاية لأن حلاقته ليست متساوية. أعطاه هذا النقد الدائر بداخله إحساسًا مفاجئًا بالثقة. وقال:

"أنت لا تثق كثيرًا في أنا، أليس كذلك يا سيد بريتشارد؟".

أدهش هذا الافتراض بريتشارد. فقال ببرود: "هناك العديد من الأسباب لعدم الثقة بها. كما ذكرت لك الآن".

قال فروست: "لكن على المستوى الشخصي، كامرأة. أحسُّ أن انطباعك عن نزاهتها سيئ جدًّا".

انفجر بريتشارد، "أحقًا تتساءل عن نزاهة عاهرة!"، ولم يكمل.

بعد لحظة أضاف فروست: "أنا فقط أتساءل عن رأيك فيها، هذا كل ما في الأمر".

حدّق بريتشارد في فروست بنظرة خاوية. ثم قال أخيراً: "لا، أنا لا أثق بأننا. لا أثق بها مقدار دَرَّة. أنا حتى لا أحبها. لكنني كنت أتمنى لو أحببتها. أليس هذا عجيباً؟ كنت أتمنى لو أحببتها".

ارتبك فروست، وقال مشيراً إلى الحفلة: "لا تساوي ثلاثة شلنات، أليس كذلك؟ يجب أن أقول إنني توقّعتُ أكثر من هذا".

بدا بريتشارد مُحَرَّجاً بدوره. وقال: "فقط تذكّر أن تُبقي عينيك على السيدة ويلز خلال جلسة تحضير الأرواح".

والتفتا بعيداً عن بعضهما، بحجّة تَصْفُح وجوه الحاضرين، وللحظةٍ بدا على وجهيهما نفس النظرة: النظرة الباردة المحبطة لشخص يقارن المشهد المحيط به بمشاهد أخرى، بعضها حقيقي، وبعضها خيالي، حدثت، وتحدثت، في أماكن أخرى.

Φ

"سيد بالفور. هل يمكن أن أتحدث إليك دقيقة على انفراد؟".

رفع بالفور رأسه: إنه هارالد نيلسن الذي يبدو أنيقاً جداً في صديريّة باللون الأزرق الإمبراطوري. ورأى على وجه نيلسن التعبير الصلب لرجل قرّر أن يسأل سؤالاً صعباً، وانقبض قلبه في صدره. وقال: "بالطبع، من الطبيعي. بالطبع يمكنك أن تتحدث معي".

ودار ببال بالفور أن الرجال يصبحون حمقى حين يعلمون أنهم على وشك أن ينفضحوا. وتبع نيلسن خلال الزحام.

حين ابتعدوا عن مسمع من الصالون، توقف نيلسن فجأة ودار على كعبيه قائلاً: "سأدخل في الموضوع مباشرة".

قال بالفور: "نعم، ادخُل فيه مباشرة، هذه أفضل طريقة. هل تعجبك الحفلة؟".

أتى زئير من الضحكات من غرفة الجلوس، وصوت أنثوي ساخط محتجٌ.

قال نيلسن: "تعجبني كثيرًا".

"لكن لا أثر لآنا".

"لا".

قال بالفور: "وثلاثة شلنات. هذا كثير! سنشرب بقيمته، أليس كذلك؟"، ونظر داخل كأسه.

قال نيلسن مرة أخرى: "سأدخل في الموضوع مباشرة".

قال بالفور: "نعم، تفضّل".

بدأ نيلسن، "بشكلٍ ما علم السيد لودرباك بأمر عمولتي، وسينشر خطابًا عنها غدًا في الجريدة. ينتقد فيه شخص شيرد. أنا لم أقرأه بعد".

قال بالفور: "يا إلهي، يا إلهي، نعم، فهمت، فهمت". وهزَّ رأسه بقوة، ولم يهزها لنيلسن. فقد وقفًا متجاورين. نيلسن يوجه حديثه للوحة ذات إطار معلقة على الحائط، أما بالفور فكان يهز رأسه للكسوة الخشبية التي تغطي الجزء الأسفل من الحائط.

واستمر نيلسن موجِّهًا حديثه للإطار. "خطُّ شيرد ردًّا، وسيتم نشره تحت خطاب لودرباك، في عدد الغد من الجريدة. لقد قرأت الرد، أرسل لي شيرد نسخة عصر اليوم".

ولخَّص له ردَّ شيرد، وفي لحظة تحوُّل قلق بالفور إلى دهشة خالصة.

نظر بالفور إلى نيلسن مباشرة للمرة الأولى، "حسنًا، أنا مذهول. يا له من طمّاع! تخيّل أن تخطر فكرة مثل هذه للسجان، أن يقول إنك وراء الأمر كله، وأن الاستثمار ليس استثمارًا وإنما تبرّع. أنا مذهول! لقد حاصرك تمامًا، أليس كذلك؟ يا له من شيطان واثق من نفسه! يا له من ثعبان!".

قال نيلسن: "هل أخبرت السيد لودرباك عن عمولتي؟".

قال بالفور: "لا".

"لم تذكرها له بشكل غير مقصود؟".

قال بالفور: "لا، أبدًا!".

قال نيلسن بمشقة: "حسنًا. شكرًا لك. أعتذر عن إزعاجك. أظن أنه ولا بُدّ واحد من الآخرين".

جفل بالفور. "واحد من الآخرين؟ أتعني من رجال الكراون؟".

قال نيلسن: "نعم. لا بُدّ أن أحدهم قد حنث بعهده. من المؤكد أنني لم أخبر السيد لودرباك عن أي شيء، وأنا موقن أن الاستثمار لم يعرف به أي شخص عدا الاثني عشر رجلًا الذين أقسموا على الكتمان".

بدا بالفور مذعورًا، وقال: "ماذا عن الصبي الذي يعمل عندك؟".

هزّ نيلسن رأسه، "إنه لا يعلم".

"ربما يكون رجلًا من البنك".

"لا، كان تعاقّدًا خاصًا، واحتفظ شيرد بالنسخة الوحيدة منه". وتنهّد نيلسن وقال: "اسمع، أعتذر أنني أتيت لك بالأمر، أعتذر أنني سألتك عنه وشككت فيك. لكنني أعلم أنك صديق لودرباك، ووددت أن أتأكد".

"بالطبع! طبعي!".

أوماً نيلسن بوجوم. ونظر من خلال باب غرفة الصالون للحشد الموجود بداخلها، لبريتشارد الذي برز كأطول رجل في الغرفة، ولديفلن الذي وقف يحادث كلينش، وللوينثال الذي يتحدث مع فروست، ونظر إلى مانرينج الذي يملأ كأسه من الزجاجة الموضوعة على المنضدة الجانبية ويضحك مبتهجاً بنكتة ألقاها أحدهم.

وقال بالفور فجأة: "انتظر. لقد قلت إن خطاب شيرد ذكر لودرباك وليديا ويلز".

قال نيلسن بقلق: "نعم. لقد فضح علاقتهما، قائلاً إنه على لودرباك أن يوضح موقفه منها. هذا هو...".

قاطعته بالفور: "لكن كيف بحق السماء علم شيرد بالعلاقة بينهما؟ أشك أن لودرباك قد...".

انفجر نيلسن: "أنا أخبرته. لقد حنثت بعهدي. لقد حاصرني يا سيد بالفور، كان يعلم أنني أخفي شيئاً ما، وانهرت. لم أفكر بسرعة كافية. لك كل الحق أن تغضب مني. لك كل الحق. أنا لا أمانع إطلاقاً".

قال بالفور، الذي أتاه هذا الاعتراف براحة غريبة: "لا، على الإطلاق".

أكمل نيلسن ببؤس: "والآن سيعلم لودرباك أنك لم تَصْنِ سرّه. وبحلول الغد ستعلم الأراضي الغربية كلها أنه اتخذ من السيدة ويلز خلية، وربما يخسر كرسي البرلمان، وهذا كله خطئي أنا. أنا آسف للغاية، حقاً أنا آسف".

قال بالفور: "ما الذي أخبرته به عدا ذلك؟ هل أخبرته بشأن أنا، والابتزاز، والفساتين؟".

قال نيلسن وهو يبدو مصدومًا: "لا. ولم أخبره بأي شيء عن كارفر. كل ما قلته هو أن السيدة ويلز كانت عشيقة لودرباك. هذا كل ما قلته. ومدير السجن سينشر ما قلته في الجريدة".

قال بالفور وهو يربّت على كتف نيلسن: "حسنًا، لا بأس... لا بأس. ربما علم مدير السجن بهذا من مصدر آخر. إذا ما سألتني لودرباك سأخبره أنني لم أبادل كلمتين على بعضهما مع شيرد في حياتي، وهذه حقيقة".

قال نيلسن: "أنا آسف للغاية".

قال بالفور مرتبًا عليه: "لا بأس، لا بأس عليك".

قال نيلسن: "حسنًا، منتهى العطف منك أن تقول ذلك".

قال بالفور: "إنه لمن دواعي سروري أن أمدّ يد العون لك".

قال نيلسن بعد فترة: "لا زلتُ لا أعلم مَنْ باعني للودرباك. أعتقد أنني سأستمرُّ في التحري".

وتنهّد والتفت مرة أخرى ليتصفح وجوه الحاضرين.

قال بالفور: "يا سيد نيلسن، لقد فُكِّرتُ في أمر ما. بمناسبة... بمناسبة... حسنًا، الحقيقة أنه لا توجد مناسبة. الأمر أنه، في المرة القادمة التي تأتي لي أعمال تجارية بالعمولة، أو يمر على مكتبي شيء منها، لن أذهب بها إلى السيد كوشران. لقد تعاملت معه لمدة طويلة، لكن، أتساءل إن كان الوقت قد حان للتغيير. أراهن أنه سيتضح لنا في هذه الأزمة مَنْ يمكن أن نعتمد عليهم ونثق فيهم. وفي المستقبل، سوف أُجري كل تعاملاتي التجارية معك".

لم ينظر لنيلسن؛ وبدأ يفتش في جيبه عن سيجار.

قال نيلسن: "هذا عطف كبير منك". وتأمّل بالفور للحظة أخرى، ثم أوماً ببطء ومضى. وعثر بالفور على سيجار وفصّ غلافه وقضم

نهايته ووضعه بين أسنانه، ثم أشعل عود الكبريت وأماله حتى تمسك فيه النار، ورفعته حتى النهاية المربعة للسيجار. ونفخ ثلاثة مرات ملء فمه من الدخان، ثم هزَّ عود الكبريت فأطفأه، وأخرج السيجار من فمه، وأداره ليتأكد من اشتعال التبغ.

Φ

"سيد كلينش".

قال كلينش: "نعم، ما الأمر؟".

قال تاوهار: "لديَّ سؤال".

"اسأل".

"لماذا اشتريت كوخ كروسبي ويلز؟".

تأوّه مدير الفندق وقال: "ليس هذا. دعنا لا نتحدث في هذا الأمر. ليس الليلة".

"لماذا؟".

انفجر كلينش، "دعك منه. مزاجي سيئ. لن أتحدث في موضوع كروسبي ويلز الملعون".

راقب الأرملة وهي تنتقل من ضيف لضيف. كانت تنورة الفستان المنفوشة واسعة جدًا لدرجة أنها كانت تبعد الضيوف عن بعضهم أينما مشت، وتترك ممرًا فارغًا خلفها.

علّق تاوهار عليها، "وجهها قاس".

قال كلينش: "نعم، هذا رأيي أيضًا".

"ليست صديقة للماوري".

"لا، أظن أنها ليست صديقة للماوري، ولا للصينيين، كما نرى بوضوح. ولا لأي رجل في هذه الغرفة"، وأفرغ كلينش كأسه في جوفه، وقال مرة أخرى: "مزاجي سيئ يا سيد تاوهار. هل تعلم ما الذي أحب أن أفعله عندما يكون مزاجي سيئًا؟ أحب أن أشرب".

قال تاوهار: "هذا حسن".

مدّ كلينش يده لزجاجة الخمر، "أتودّ كأسًا آخر؟".

"نعم".

ملأ كأسيهما، وقال وهو يعيد الزجاجة إلى المنضدة الجانبية: "على أي حال، سيتم قبول الالتماس، وإبطال البيع، وسأستردّ المقدم الذي دفعته، وسينتهي الأمر كله. لن يصبح الكوخ ملكي، سيصبح ملك السيدة ويلز".

ألحّ تاوهار بالسؤال، "لماذا اشتريته؟".

زفر كلينش بصعوبة وقال: "لم تكن فكري، كانت فكرة تشارلي فروست. لقد قال لي 'اشترِ أرضًا؛ وبهذه الطريقة لن يسألك أي شخص عن أي شيء'".

لم يقلّ تاوهار أي شيء، وانتظر حتى يكمل كلينش حديثه.

قال كلينش: "الفكرة أن المرء لا يحتاج لرخصة تنقيب عن الذهب إذا امتلك أرضًا. وإذا ما وجدت ذهبًا في أرضك فهو ملك لك. هذه هي الفكرة، فكرته، لم تكن فكري. لم أكن أستطيع أن أذهب بالفساتين إلى البنك، فأنا لا أمتلك رخصة تنقيب. سيسألون من أين أتيت بالذهب، وسأقع في مأزق. لكن إن كان لديّ قطعة الأرض، فلن يسألني أحدهم عن أي شيء. لم أعلم بما فعله چوني كيني. كنت أظن أن الذهب لا يزال في الفساتين؛ لذلك ادّخرت مبلغًا من المال. ونصحتني تشارلي أن أنتظر فرصة أراضٍ تُباع بعد وفاة صاحبها، أو جزء من قطعة أرض يبيعها

صاحبها، إمّا هذا أو ذاك، من أجل البقاء بعيدًا عن الشبهات. وهكذا حين ظهرت قطعة أرض ويلز وعُرِضَت للبيع، اشتريتها فورًا، على أمل أن... حسنًا، لا أدري. لكن الأمر غبيّ جدًّا، فكرة أن أَسْتَقَرَّ هناك مع... حسنًا. وطبعًا في اليوم التالي عادت أنا من السجن مرتدية فستانًا مختلفًا، وبعدها، بعدما تركت الفندق، اكتشفت أن الفساتين الأخرى خالية من الذهب. وما كنتُ أحسُّه بين طيَّاتها ما هي إلا أثقال من الرصاص. وحادت الخطة عن مسارها. وأصبحت أملك قطعة أرض لا أرغب فيها، ونضبت نقودي، وأنا، أنت تعلم ما حلَّ بها".

كان تاوهار مقطَّبًا، وبدأ يقول: "الأراهورا مكان مقدَّس جدًّا".

لَوْح كلينش بيده لِيُسَكِّتَه، "حسنًا، القانون هو القانون. إن أردتَ شراء الكوخ، فأهلاً بك؛ لكنك لست بحاجة للحديث معي بخصوص الموضوع، بل عليك أن تكلمها هي".

وحدَّق الاثنان عبر الغرفة إلى السيدة ويلز.

قال كلينش: "مشكلة النساء الجميلات أنهن دائمًا يعلمن أنهن جميلات، وهذا يجعلهن متكبرَّات. تعجبني المرأة التي لا تدري بجماها".

قال تاوهار: "امرأة غبية".

قال كلينش: "ليست غبية، لكن متواضعة، بسيطة".

"أنا لا أعرف هذه الكلمات".

لَوْح كلينش بيده. "بمعنى أنها لا تتحدَّث كثيرًا. لا تتحدَّث عن نفسها. تعلم متى تصمت، ومتى تتحدَّث".

قال تاوهار: "ماكرة؟".

هزَّ كلينش رأسه، "ليست ماكرة. ليست ماكرة، وليست غبية. حَذِرَة، وهادئة، وبريئة".

قال تاوهار بخبث: "مَن هي هذه المرأة؟".

قال كلينش: "إنها ليست امرأة حقيقية". وعبس، "دعك من هذا".

"أهلاً إدجار، هل لديك دقيقة؟".

أتى لوينثال من خلفهم.

قال كلينش: "بالطبع. عن إذنك يا سيد تاوهار".

رمش لوينثال بعينه وهو يلمح تاوهار للمرة الأولى. وقال: "لا بُدَّ أنك ذهبت إلى الحطام. هل وجدت أي شيء؟".

تاوهار لا يحب أن يحدثه أحدٌ باستعلاء، كأنه ينتمي لطبقة أقل؛ ولم يستطع أن يغفر للوينثال أنه أخرجَه في وقت سابق اليوم.

ردَّ تاوهار باحتقار: "لا، لا شيء".

قال لوينثال مبتعداً: "خسارة".

قال كلينش، حين أصبح الرجلان بمفردهما: "ماذا يجول في ذهنك يا بن؟".

قال لوينثال: "مع الأسف، لديَّ سؤال غير لائق. عن طفل أنا... الطفل الذي لم يولد".

قال كلينش بحذر: "حسنًا".

"أتذكر الليلة التي وجدتها... بعد المعركة مع كارفر".

"بالطبع".

"تلك الليلة اعترفت أن كارفر هو والد الطفل".

"نعم، أنا أتذكر".

قال لوينثال: "أودُّ أن أعرف هل كنت تعلم بهذه المعلومة بالفعل، أو أنك، مثلي، سمعت هذا الاعتراف ليلتها للمرة الأولى. اعذرني على قلة لياقي، وعلى وقاحة ما أسأل عنه".

صمت كلينش لوقت طويل، ثم قال أخيراً: "لا. تلك كانت المرة الأولى التي تتحدث فيها عن الموضوع. لقد ظلت صامتة حتى تلك الليلة".

ألحَّ لوينثال في السؤال: "هل كان لديك فكرة ما؟ إشارة ما؟ هل خطرت لك فكرة أن كارفر قد يكون الوالد من تلقاء نفسك؟".

بدا القلق على كلينش، وقال: "كان أحد الرجال من أيام ديونندن. هذا كل ما أعرفه. لم يكن من رجال هوكتيكا، لأن توقيت الحمل لا يتفق مع هذا".

"وكارفر كان يعرف أنا في ديونندن".

قال كلينش باختصار: "لقد أتت على متن جودسبيد. هذا كل ما أعرفه. ما الهدف من سؤالك؟".

حكى له لوينثال ما جرى في مكتب تايمز الساحل الغربي عصر هذا اليوم. "ربما لم نخبرنا أنا بالحقيقة. ربما كذبت علينا. ولم يكن لدينا سبب للشك فيما قالته... حتى الآن".

عبس كلينش، "لكن إذا لم يكن كارفر فَمَنْ عساه يكون؟".

زَمَّ لوينثال شفتاه وقال: "لست أدري. يمكن أن يكون أي رجل، ربما يكون رجلاً لا نعرفه".

قال كلينش بحدّة: "هذا ما يقوله كارفر عن أنا. هل ستأخذ صفَّ كارفر بناءً على تصريح وحيد منه؟ أي شخص يمكنه أن ينفي عن نفسه ما يريد، الإنكار لا يكلف مالاً!".

قال لوينثال: "لست منحازًا لطرف منهما بعد، لكنني أعتقد أن توقيت اعتراف أنا ربما يحمل دلالة ما".

مقطبًا، رفع كلينش يده وهرش جانب وجهه. وقتها شمَّ لوينثال رائحة الكولونيا وأدرك أن كلينش ولا بُدَّ قد دفع مقابل الحلاقة المعطرة في دكان الحلاق، بدلًا من رغوة بنس التي هي الحلاقة المعتادة لمعظم رجال هوكتيكا، وتأكد لوينثال من هذا حين رفع كلينش يده وظهر بعض الاحمرار على وجنتيه الناعمتين. وبطريقة غير ملحوظة عاين لوينثال مدير الفندق من رأسه حتى قدميه. كانت سترة كلينش منظفة بالفرشاة، وياقته مُنشأة؛ وقميصه ناصع البياض، وأطراف حذائه مصبوغة حديثًا. أشفق لوينثال عليه، لقد جعل نفسه في أبهى صورة، من أجل أنا.

وأخيرًا قال كلينش بصوت خشن: "إذن فقد أعطتنا اسم الوالد بعد موت الطفل. هذا هو شرف العاهرة".

قال لوينثال بصوت ألطف: "ربما تكون مُحِقًّا. دعك من هذا الموضوع".

Φ

قال چاسكوين: "السيد والتر مودي... السيدة ليديا ويلز. السيد مودي أتى من اسكتلندا إلى هوكتيكا يا سيدة ويلز، ليصنع ثروته في الأخدود، السيدة ويلز يا سيد مودي هي مالكة المنشأة، كما تعلم، وهي شغوفة للغاية بالعوامل".

حيَّته ليديا تحية جميلة، وانحنى مودي انحناء قصيرة مليئة بالاحترام. ووجَّه لمضيفته المجالات الواجبة، شكرها بمنتهى اللطف على الأمسية اللطيفة، وأثنى على التجديدات التي أحدثتها على

الفندق القديم. ورغم جهده الكبير إلا أن مجاملاته بدت بلا مشاعر، فحين نظر إليها، لم يخطر له سوى لودرباك، وكروسبي ويلز. حين انتهى من حديثه قالت: "هل أنت مهتمٌ بما وراء الطبيعة يا سيد مودي؟"، وهو سؤال ليس بإمكان مودي الإجابة عليه دون المخاطرة بإهانتها.

توقّف للحظة قبل أن يجيب: "هناك الكثير من الأمور الخفية بالنسبة لي يا سيدة ويلز، وأتمنى أن أحظى بالفضول الكافي، بحيث أهتم بالحقائق غير المعلومة حتى تصبح بالوقت معلومة، أو، ببساطة أكثر، حتى أعلم بها مع الوقت".

ردّت الأرملة: "ألاحظ أنك تستخدم فعلًا واحدًا بمنتهى الحرية. بالنسبة لك يا سيد مودي، ماذا يعني أن تعرف شيئًا؟ أتصور من الطريقة التي تتحدث بها أنك تعوّل كثيرًا على المعرفة".

ابتسم مودي وقال: "أعتقد أنك لكي تعرف شيئًا عليك أن تراه من كافة جوانبه".

كرّرت الأرملة كلماته: "تراه من كافة جوانبه".

"لكنني أعترف أنك ضبطتني على غفلة، فأنا لم أبذل جهدًا في التفكير في الأمر، ولن أستطيع الحديث فيه دون أن أقضي بعد الوقت مفكرًا في الكيفية التي أَدافع بها عنه".

وافقته الأرملة، "تعريفك يتيح الفرصة للكثير من الأسئلة. إنها قاعدة مطلوب منها تقديم الكثير! على سبيل المثال، كيف للمرء أن يرى روحًا من جميع الجهات؟ إنها فكرة مستبعدة".

انحنى مودي انحناءة أخرى قصيرة. "أنت مُحقّقة في ذكر هذا الاستثناء يا سيدة ويلز. لكنني للأسف، لا أصدق أن الروح يمكن أن يعلم بها أحد. ولا أصدق أن أحدًا بإمكانه رؤية روح. لا يمكننا أن نرى

روحًا. أنا لا أقصد على الإطلاق أن أنكر مواهبك، لكن الأمر وما فيه
أني لا أؤمن بتأتًا بالأرواح".

أشارت الأرملة، "ورغم ذلك قدّمت طلبًا للحصول على تذكرة
لحضور جلسة تحضير الأرواح هذا المساء".
"لقد أثار الأمر فضولي".

"ربما بسبب صاحب الروح التي سنحاول الاتصال بها؟".
هزّ مودي كتفيه، "السيد ستينز؟ لم أقابله بالمرة. لقد وصلت إلى
هوكتيكا بعد اختفائه بأسبوعين. لكنني بالطبع سمعت اسمه يتردّد
كثيرًا".

"السيد چاسكوين قال إنك جئت إلى هوكتيكا لتصنع ثروتك".
"نعم، أتمنى ذلك".

"وكيف ستصنعها؟".

"بالعمل الشاق والتخطيط الجيد".

"هناك الكثير من الأغنياء الذين عملوا قليلًا ولم يخططوا على
الإطلاق".

قال مودي: "مثل هؤلاء الرجال محظوظون".

"ألا تتمنى أن يحالفك الحظ أنت أيضًا؟".

قال مودي بحذر: "أتمنى أن أرى نفسي مستحقًا لنصيبي. فالحظ
بطبيعته يأتي بدون استحقاق".

قالت ليديا ويلز: "يا لها من إجابة محترمة!".

قال مودي: "أتمنى أن تكون إجابة حقيقية".

قالت الأرملة: "أها، لقد عدنا للحقيقة مرة أخرى".

كان چاسكوين يراقب ليديا ويلز. وقال لمودي: "أترى كيف يعمل عقلها. ستنقض عليك في غضون ثوان وتهاجم حججك بوحشية. كُن مستعدًا".

قال مودي: "وكيف لي أن أستعد لهجوم وحشي؟".

كان چاسكوين مُحِقًّا. فقد رفعت الأرملة ذقنها وقالت: "هل أنت متدين يا سيد مودي؟".

ردَّ عليها: "أنا أوْمَن بالفلسفة، أوْمَن بتلك الجوانب الدينية التي يمكن تسميتها فلسفة، وهي تثير اهتمامي لأقصى درجة، أما الجوانب التي لا تستوفي هذا الشرط، فليس لديَّ اهتمام بها".

قالت ليديا ويلز: "فهمت. للأسف، فإنه بالنسبة لي فالوضع معكوس تمامًا. فلا يستحوذ على اهتمامي إلا تلك الفلسفات التي يمكن أن نسميها ديانات".

عند سماعه لهذا انفجر چاسكوين ضاحكًا ولوَّح بإصبعه قائلاً: "حسن جدًا. هذا حسن جدًا".

اندهش مودي رغماً عنه من حدة ذكاء الأرملة، لكنه كان مُصمِّمًا ألا يدعها تفوز. فقال: "يبدو أن الجوانب المشتركة بيننا محدودة يا سيدة ويلز. أتمنى ألا يقف افتقادنا لأرض مشتركة حائلًا في وجه صداقتنا".

قالت ليديا ويلز: "لقد اختلفنا على وجود الأرواح. لكن دعني أوجِّه لك سؤالاً عكس سؤالك الأول، ما رأيك في الأرواح الحية؟ أعتقد أنك قادر على معرفة شخص على قيد الحياة؟ إن كنت تنفي قدرتك على معرفة شخص ميت؟".

ابتسم مودي مفكراً في السؤال. وبعد لحظة، استأنفت الأرملة حديثها، "هل تحسُّ أن بإمكانك أن تعرف حقيقة صديقك السيد چاسكوين، على سبيل المثال؟ هل بإمكانك رؤيته من كافة الجوانب؟".

بدا على چاسكوين الضيق الشديد من استخدامه كمثال في الحديث، وعبر عن استيائه؛ فأسكتته الأرملة وطرحت السؤال مرة أخرى على مودي.

نظر مودي إلى چاسكوين. وفي الحقيقة فإنه قد نجح في تحليل شخصية چاسكوين بدرجة عالية من التفصيل خلال الثلاثة أسابيع التي هي عمر معرفتهما. أحسَّ أنه فهم مجال وحدود ذكائه، ونوعية مشاعره، والخط العام لتعبيراته وعاداته. وأحسَّ أنه يستطيع أن يلخص بشكل عام شخصية الرجل بطريقة فيها الكثير من الدقة. لكنه يعلم أن ليديا ويلز تنوي الإيقاع به، وفي نهاية الأمر استقر على أن يردَّ بلُطفٍ ويقول إنه وصل إلى هوكتيكا منذ ثلاثة أسابيع فقط، وليس بإمكانه تكوين فكرة صحيحة عن روح الرجل في مثل هذه الفترة القصيرة. وأضاف أن تكوين مثل هذه الفكرة يحتاج إلى أكثر من مجرد ثلاثة أسابيع من الملاحظة.

قاطعهما چاسكوين: "السيد مودي أحد ركاب سفينة السيد كارفر. وقد وصل على جودسبيد في نفس الليلة التي غرقت فيها".

شعر مودي بالقلق من هذا التصريح. لقد استخدم اسماً مزيّفاً عند شرائه تذكّره على جودسبيد، لم يُرد أن يعلن عن وصوله إلى هوكتيكا على متنها؛ نظراً لطبيعة ما رآه، أو تخيّل أنه رآه، في الساعات التي سبقت غرقها. تطلّع إلى وجه الأرملة بحثاً عن أي أثر للشك أو حتى لليقين الذي قد يشير إلى أنها تعلم شيئاً عن الشبح الغارق بالدماء في بطن جودسبيد.

لكن ليديا ويلز كانت مبتسمةً. "حقًا؟"، وعايَنت مودي من فوقه
لتحتة قائلةً: "إذن فالسيد مودي من نوعية مألوفة من الرجال".
قال مودي بجمود: "كيف هذا؟".

ضحكت ليديا وقالت: "أنت رجل محظوظ يحتقر فكرة الحظ يا
سيد مودي. وللأسف فقد قابلت الكثيرين من أمثالك".
وقبل أن يفكر مودي في ردٍّ، التقطت جرسًا فضيًّا صغيرًا، وهزته
بقوة، وأعلنت بصوت نافذٍ، رغم انخفاضه، أن على كل الموجودين غير
الحائزين لتذكرة حضور جلسة تحضير الأرواح الانصراف على الفور؛
لأن الجلسة على وشك أن تبدأ.

الزهرة في برج الدلو

حيث ينسى سووك يونج شينج شِلْنَه، وتدخل ليديا ويلز في نوبة هستيرية، وتأتينا إجابة من مملكة الأرواح.

كم هو مختلف هذا الجمع عن الاجتماع السري الذي انعقد في فندق كراون منذ ثلاثة أسابيع! ضمَّ الكراون مجموعة من اثني عشر، أصبحت ثلاثة عشر بوصول مودي؛ أمّا هنا، في الغرفة الأمامية من الواي فيرر فورتشن، التقت مجموعة مكوّنة من أحد عشر، في محاولة لاستدعاء الثاني عشر.

ثبّت تشارلي فروست عينيه على ليديا ويلز، تبعًا لتعليمات جوزيف بريتشارد، قادت الأرملة حائزي التذاكر السبعة إلى الصالون، إلى حيث جلس أه سووك وأه كيي عاقِدَيْن ساقيهما على جانبي المدفأة بوجوه تلمع بطلاء الوجه. كانت الستائر مُسدَّلةً على النوافذ،

وكل مصابيح الزيت مطفأة، عدا مصباح واحد، أعطى الحجرة وهجاً وردياً. وعلى حامل فوق هذا المصباح استقرَّ طبق من الصفيح يحتوي على زيت الورد، أدفأت حرارة المصباح الزيت فملأ الغرفة برائحة الورد الجميلة.

دعت السيدة ويلز الرجال إلى الجلوس على المقاعد، التي تمَّ وضعها على شكل دائرة في وسط الغرفة في الوقت الذي كان ضيوف الواي فيرر فورتنشن يغادرونه ويتفرقون في الليل. عانت الغرفة من الكثير من الحرج والتوتر أثناء جلوس الضيوف السبعة. أحد الرجال ظلَّ يطلق ضحكات عالية؛ وبعضهم ابتسم ودفع كوعه في أضلع صديقه. لم تلتفت السيدة ويلز لهذه المزعجات. انشغلت بترتيب خمس شمعات في شكل نجمي على طبق، وأشعلتها واحدة بعد الأخرى. بعد أن اشتعلت الشموع وتلاشت قصاصة الورق المستخدمة في إشعالها، جلست ليديا ويلز، وقالت، بصوت أصبح فجأة هامس ومتأمر، إن أنا ويزريل، خلال الساعات الماضية، كانت تُعدُّ عقلها للتواصل وشيكِ الحدوث مع الأموات. وأنه يجب ألا يتحدث إليها أحد مطلقاً عند دخولها الصالون؛ لأنه حتى أبسط المشتتات قد تشوِّش حالتها العقلية؛ ممَّا سيترتب عليه تشويش قدرات الأرملة على التواصل مع الأموات. هل يوافق الجمع الحاضر على تجاهلها؟ وافق الجمع الحاضر.

هل يوافق الجمع الحاضر على مساعدة الأرملة في تحقيق التواصل مع مملكة الموتى عن طريق البقاء في حالة عقلية منفتحة طوال فترة الجلسة؟ هل يوافق كل رجل على أن يُبقي عقله هادئاً ومنفتحاً ويُبقي أطرافه مسترخية ويُبقي تنفُّسه عميقاً ومنظِّماً، ويُبقي انتباهه مركَّزاً تماماً كأنه ناسك يصلي؟

وافق الجمع الحاضر.

واستمرت الأرملة تتحدث بنفس الصوت المتآمر، "ليس بإمكانني أن أخبركم بما قد يحدث في هذه الغرفة الليلة. قد يتحرك الأثاث. قد نحسُّ بريح -أنفاس من العالم السفلي، كما يطلق عليها البعض- لأن الأرواح التي تحيط بنا قد أصابها الانزعاج. ربما سيتحدث الأموات من أفواه الأحياء. وربما يكشف الأموات عن حضورهم بإشارة ما.

قال أحد المنقَّبين عن الذهب: "ماذا تعنين بإشارة ما؟".

وجَّهت ليديا ويلز نظرتها الهادئة إلى المتحدث وقالت بهدوء: "في بعض الأوقات، ولأسباب لا نعلمها، لا يستطيع الأموات التحدث، وعندما يحدث هذا، يلجؤون لطرق أخرى للتواصل. لقد حضرت جلسة تحضير أرواح في سيدني حيث حدث هذا".

"ماذا حدث؟".

جمدت نظرة السيدة ويلز وقالت: "قُتِلَت امرأة في بيتها، في ظروف غامضة لدرجة ما، وبعد شهور من موتها، اجتمع بعض الروحانيين في منزلها، لمحاولة الاتصال بها".

"كيف قُتِلَت؟".

قالت ليديا ويلز: "جُنَّ جنون كلب العائلة، خلافاً للمعهود عنه، وهاجمها ونهش رقبتها".

"يا للبشاعة!".

"يا للفضاعة!".

واستمرت الأرملة، "كانت ظروف وفاتها مريبة، ومنها أن الكلب قُتل قبل أن يستعيد طبيعته وقبل أن يختبره القائمون على القانون. وأُغْلِقَت القضية، وزوج القتيلة من حزنه ترك البيت وأبحر بعيداً. بعدها بشهور حكى أحد الخدم عمّا حدث أمام أحد الوسطاء؛ فرتَّبنا جلسة تحضير للأرواح في نفس الغرفة التي قُتِلَت فيها المرأة.

أحد الحاضرين في الجلسة، ليس وسيط الجلسة، لكنه أحد الروحانيين المرموقين، كان يرتدي ساعة جيب ذلك المساء. سلسلتها مشبوكة بدبوس على صدره والساعة مستقرة في جيب صديريته. وقد ملأها قبل وصوله للمنزل، كما أؤكد لنا بعد انتهاء الجلسة، والساعة تعمل بشكل ممتاز. في تلك الليلة، وخلال الجلسة، أتى من صديريته طنينٌ غريب. سمعناه كلنا، لكننا لم نعرف ما هو. فأخرج الساعة واندesh حين وجدها تشير إلى ثلاث دقائق بعد الواحدة. وأؤكد لنا أنه ملأ الساعة في حدود السادسة وهي الآن لم تتخطَّ التاسعة بعد. وليس هناك مجال لأن تتحرك العقارب من تلقاء نفسها، وليس من المحتمل أن يكون قد حرَّك المقبض بالخطأ! حاول أن يحرَّك مقبض العقارب، فلم يستطع، انحسر في مكانه، وتعطَّل، وفي الحقيقة فإن الساعة لم تعمل بعدها مرة أخرى".

سأل أحد الحاضرين: "وما معنى هذا؟ ما معنى ثلاث دقائق بعد الواحدة؟".

خفت صوت الأرملة: "لقد افترضنا أن روح السيدة الميتة تحاول بالحاج أن تبلغنا بشيء ما. هل هذا هو الوقت الذي ماتت فيه؟ ربما، أم أنها تحاول نقل تحذير لنا؟ هل تحاول إخبارنا بقرب حدوث وفاة أخرى؟".

اكتشف تشارلي فروست أنه يتنفس بشكل سطحي.

همس نيلسن: "ماذا حدث بعد ذلك؟".

قالت ليديا ويلز: "قرَّرنا أن نظل في غرفة المعيشة حتى الساعة الواحدة وثلاث دقائق. فقد فكرنا في أنه ربما تدعونا الروح للبقاء في المكان حتى ذلك الوقت، لأن شيئاً ما سيقع وقتها. بقينا حتى دقَّت الساعة الواحدة؛ وانتظرنا في صمت لمدة دقيقة، دقيقتين، وثلاث دقائق، وفي لحظتها سمعنا صوت انهيار رهيب: سقطت لوحة من

على الحائط. التفتنا جميعاً ورأينا في الحائط مكان اللوحة فتحةً في الجبس الذي يغطي الجدار، وقد عُلِّقَت اللوحة في هذا المكان لتغطي الفتحة.

النساء الموجودات في المجموعة كُنَّ يصرخن؛ أحاط بنا الضجيج من كل جانب؛ يمكنكم أن تتصوروا حجم الاضطراب الذي حدث. وجد أحد الحاضرين سكيناً وأزال الجبس، وإذا بنا نُفَاجأً بطلقة من الرصاص محشورة في الجبس".

تبادل فروست ونيلسن نظرة سريعة، فالقصة التي تحكيها الأرملة ذكَّرتهم بطلقة الرصاص التي اختفت في غرفة نوم أنا ويذريل، في الطابق الأعلى من فندق جريديرون.

وسأل أحدهم: "هل تمَّ حلُّ القضية؟".

قالت الأرملة: "نعم. لن أدخل في التفاصيل؛ لأنها كثيرة جداً، لكنك تستطيع الاطِّلاع عليها في الجرائد إن أردت. فالمرأة لم يهاجمها الكلب بالمرّة. لقد قتلها زوجها، وأطلق الرصاص على الكلب، وقطع رقبتها بنفسه، ليغطي على ما فعله".

وسرَّت في الغرفة همهمات حزينة.

قالت ليديا ويلز: "نعم، قصة مُحزِنة، والسيدة كان تدعى إليزابيث. نسيت اسم عائلتها. لكن الجانب الجيد أنه حين أعيد فتح القضية، كان هناك ديلان يستندون إليهما: الأول أنهم تأكَّدوا أنها قُتِلَت بمسدس من طراز كولت، والثاني هو أن الوقت الذي حدثت فيه الوفاة كان في الساعة الواحدة وثلاث دقائق".

ظَلَّت الأرملة ساكنة للحظة، ثم ضحكت وقالت: "لكنكم لم تأتوا الليلة لتسمعوني أحكي قصصاً!، ونهضت من مقعدها. وتحرك بعض الرجال لينهضوا تأدُّباً، لكنها رفعت يدها تمنعهم. وأضافت: "يؤسفني

أن أقول إن الشكاكين كثيرون في العالم، أمام كل رجل طيب القلب هناك عشرة ممَّن ليسوا طيبين بالمرة. قد يكون من بينكم مَن سيحاول إنكار ما يحدث الليلة، أو سيحاول أن يكذبني. وأنا أدعوكم جميعكم لأن تنظروا حولكم الآن لتأكدوا من أن هذه الحجرة لا تحتوي على أي حيل أو خدع من أي نوع. أنا أعلم مثلكم تمامًا أن هناك الكثير من المدَّعين في فن قراءة الطالع، لكن تأكدوا أنني لست منهم". وفردت ذراعيها وقالت: "يمكنكم أن تروا أنني لا أخفي شيئاً في ملابسي. تمعنوا فيّ، ولا تقلقوا".

تلى هذا بعض الضحكات، وكثير من التحركات بين الحاضرين، حيث فحصوا المكان من حولهم، والسقف، والكراسي، ومصباح الزيت الموضوع على المنضدة، والشموع، والسجادة المفروشة على الأرض، وظلَّت عينا تشارلي فروست على ليديا ويلز. لم يبدُ عليها التوتر. دارت حول نفسها لتُظهر أنها لا تخفي شيئاً في تنورتها، ثم عادت لمقعدها بمنتهى السهولة، وعلى وجهها ابتسامة واسعة. وعبثت في خيط مفكوك في كُمِّها وانتظرت حتى هدأ الرجال.

وحينما رگَز الرجال انتباههم عليها مرة أخرى قالت: "ممتاز. والآن، حيث إننا جميعاً راضون، ومستعدُّون، سأطفئ الأنوار، وأنتظر وصول آنا".

ومالت وأطفأت مصباح الزيت وأغرقتهم جميعاً في كآبة ضوء الشموع. وبعد ثوانٍ من الصمت دقَّ الباب ثلاث دَقَّات، وليديا ويلز التي لا زالت تعبث في المصباح صاحت: "ادخل!".

فُتِح الباب، والتفت السبعة رجال. حتى فروست، الذي نسي تعليمات بريتشارد في هذه اللحظة.

وقفت آنا في مدخل الباب، بتعبير من الخواء الشاحب على وجهها. كانت ترتدي زي الحداد الذي أهداها إيَّاه أوبرت چاسكوين، وإن بدا

الفستان غير مناسب لها في السابق، فإنه يبدو الآن عليها كأسمال بالية. تدلّ الفستان من على كتفيها كأنه معلّق على قضيب. وخصره أصبح واسعاً جداً بالرغم من المحاولات الواضحة لتضييقه، والياقة المصنوعة من الدانتيل تخفي صدرًا يكاد يكون أجوف. كان وجهها شاحبًا للغاية، وتعبيراتها مظلمة. لم تنظر في وجوه الحاضرين. وتقدّمت ببطء وعيناها مثبتتان في منتصف المسافة بينها وبينهم، وغطست في الكرسي الخالي ذي المساند المواجه لليديا ويلز.

فكّر فروست فيها وهي تجلس، يا إلهي، إنها تتضوّر جوعًا! ونظر لنيلسن قاصدًا أن يلفت انتباهه، لكن نيلسن كان ينظر إلى أنا مقطبًا وعلى وجهه تعبير من الارتباك الشديد. تذكّر فروست المهمة الموكولة إليه، والتفت للأرملة، لكن بعد فوات الأوان، فحين التفتت كل الرؤوس ناحية الباب، في هذه الوهلة القصيرة، قامت الأرملة بشيء ما. نعم، من المؤكد أنها قامت بشيء ما، فهي الآن تمسّد على رداها بطريقة توحى بقيامها بشيء تخجل منه وترضى عنه في نفس الوقت، وانتعشت تعبيراتها بشكل مفاجئ. ما الذي فعلته؟ ما الذي غيّره؟ في هذا الضوء الخافت لم يستطع أن يعرف. لعن فروست نفسه لأنه أدار وجهه. كان هذا بالضبط هو النوع من الخدع التي توقّع بريتشارد حدوثها. وأقسم أمام نفسه أنه لن ينظر بعيدًا عنها مرة أخرى.

غرقت جوانب الغرفة في الظلام. ألقى الضوء الوحيد من الشموع المهتزة الموضوعة وسط المجموعة وحولها ظهر الأحد عشر وجهًا كأطياف رمادية. ولاحظ فروست، بدون أن يرفع عينيه عن الأرملة، أن دائرة الكراسي لم تكن دائرة كاملة لكنها كانت أشبه بالشكل البيضاوي والمحور الأطول له يواجه الباب، واستقرّ مقعد ليديا في الناحية الأخرى. وترتيب المقاعد بهذه الطريقة يضمن التفات كل الرجال ناحية الباب بعيدًا عنها عند قدوم أنا. وفكر فروست، حسنًا، على الأقل فإن الصينيين لا بُدَّ أن يكونوا قد شاهدوا الحيلة التي

قامت بها في لحظة ظهور آنا في مدخل الباب، وقرّر أن يسألهم عند انتهاء الجلسة.

شكّ الجمع أيديهم في أيدي بعضهم، بناء على تعليمات الأرملة، ثم، في ضوء الشموع الملهتز، أطلقت ليديا ويلز تنهيدة، وابتسمت، ثم أغلقت عينيها.

زيارة الأرواح للأرملة استغرقت وقتًا طويلًا. جلس الجمع في صمت مُطِيق لما يزيد عن عشرين دقيقة، ظلّ كل منهم ساكنًا تمامًا ويتنفس بانتظام، منتظرًا لأي علامة. ظلّت عينا تشارلي فروست على السيدة ويلز. بعد وقت طويل بدأ يصدر عنها صوت طنين منخفض، أتي عميقًا من نهاية حلقها. وبدأ الطنين يزداد علوًا ووضوحًا؛ ثم بدأ يتشكل في كلمات بعضها بلا معنى وبعضها مفهوم بالتقريب. ثم تراصّت الكلمات في جُمْل، وتوسلات، وأوامر، وأخيرًا قوَّست السيدة ويلز ظهرها وطلبت من عالم الأموات روح إيميري ستينز.

وصف فروست المشهد الذي تلا ذلك بأنه نوبة تشنُّج طويلة. وهو يعلم أن هذه الكلمات لا تصف ما حدث بدقة، لأنها لا تصف بشكل صحيح أداء ليديا ويلز المسرحي الراقى، ولا تعبّر عن الإحراج الشديد الذي غمر فروست وهو يشاهدها. نطقت السيدة ويلز باسم ستينز، مرة بعد المرة بعد المرة، ناطقة الكلمات بالطريقة التي ينادي بها المحبّون أسماء أحبائهم، الطريقة التي تطول فيها الحروف كلّما اقترب الاسم من نهايته، وعندما لم يأتِ أيُّ رد، أصابها الضيق. ثم زادت حدّة النوبة. وبدأت في تكرار المقاطع الكلامية كطفل يثرثر. ومال رأسها على صدرها، وارمى للوراء، ثم مال إلى الأمام مرّةً أخرى. وبدأت التشنُّجات تصل إلى ذورتها. وأصبح تنفّسها أسرع وأسرع، ثم فجأة، هدا تنفّسها، وانفتحت عيناها.

شعر تشارلي فروست بدفعة من الخوف: كانت ليديا ويلز تحدّق فيه، بتعبيرٍ لم يره على وجهها من قبل: تعبير جامد، شاحب، وعنيف. وقتها اهتزَّ لهب الشموع ورأى فروست أن ليديا ويلز لم تكن تنظر إليه، كانت تنظر إلى ما وراءه، من فوق كتفه، إلى أه سووك الجالس في وضعه الشرقي؛ لم يرمش فروست، ولم يبعد عينيه عنها. ثم صدر عن ليديا ويلز صوت غريب. وغارت عيناها. وبدأت عضلات حلقها في الارتعاش. وتحركَ فمها بطريقة غريبة كما لو كانت تمضغ الهواء. ثم قالت بصوت غريب كما لو أنه لا يصدر عنها:

(نـجـور يـو نـي واي مـت هـاك نـجـور دـي جـا زـك جـي مـيـنـج سـيـنـج تـونـج واي واي نـجـور جـي سـيـنـج يـو فـو زـاك. مـو لـيـون نـي بـن، دـانـج نـجـور كـو يـون جـام كـوت لـاي، نـجـور يـات دـيـنـج وـي وـان دـو نـي، نـجـور يـي وـان نـي بـو سـو).

"أنت السبب في تلطيخ سُمعة أسرتي. وأيئنا كان مكانك، حين أخرج من السجن، سأعثر عليك، وأنتقم منك".

وارتعشت ارتعاشةً عنيفةً ومالت إلى الجانب وارتمت على الأرض. وفي نفس هذه اللحظة (وقد تحدّث فروست مع نيلسن عن هذا الحادث المبهم لأسابيع بعدها) مال مصباح الزيت بعنف إلى الجانب ووقع على طبق الشموع، وكان من الطبيعي أن يتم تصحيح الموقف بسهولة لأن الغطاء الزجاجي للمصباح لم يتهشّم ولم ينسكب الوقود منه، لكن حدث أن اندلع لهبٌ كبير أنار دائرة الرجال على ضوء احتراق سطح المنضدة التي يتحلّقون حولها.

في اللحظة التالية دبّت الحياة في الجمع. صرخ أحدهم قائلاً أن يغطّوا النار. وأحد المنقّبين جذب الأرملة بعيداً عن النار، واثنان آخران أخذتا البطانيات والشيّلان من فوق الأريكة وأخمدا بها النيران، ووقع المصباح، وتحدث الجميع في نفس الوقت. ولاحظ تشارلي فروست

وهو يدور في الظلمة المفاجئة أن أنا ويذريل لم تتحرك من مكانها،
وأن التعبير المرتسم على ملامحها لم يتغير. واشتعال النيران المفاجئ لم
يبد أنه قد نبّه حواسّها بالمرّة.

وأشعل أحدهم المصباح.

"ماذا حدث؟ هل هذا ما كان مُفترَضًا أن يحدث؟".

"ماذا قالت؟".

"أفسح مكانًا من فضلك".

"يا إلهي، حين رأيتنا جميعًا وقد أنارت النيران المكان بهذه
الطريقة!".

"نوع من اللغات البدائية...".

"تأكّد من أنها تتنفس".

"يجب أن اعترف أنني لم أتوقع...".

"هل هذا يعني شيئًا، هل تعتقد أنه يعني شيئًا؟ هل ما قالته
يعني شيئًا؟ أم أنه...".

"لم يكن هذا إيميري ستينز، بالتأكيد لأني...".

"هل هي روح أخرى؟ قد حضرت...".

"الطريقة التي تحرك المصباح بها من نفسه هكذا!".

"يجب علينا أن نسأل الصينيين. مرحبًا، هل كان هذا باللغة
الصينية؟".

"هل يفهم السؤال؟".

"هل كان هذا باللغة الصينية، ما قالته الآن هل كان باللغة
الصينية؟".

لكن لم يبدُ على أه كيي أنه فهم السؤال. فمال عليه أحد المنقّبين وربّت على كتفه وقال له: "ماذا كان هذا؟ ما الذي قالته؟ هل هذا باللغة الصينية، هل ما قالته كان باللغة الصينية؟ أم بلغة أخرى؟".

نظر إليه أه كيي بدون أن يفهم ما يقصده، ولم يجبه. وكان أه سووك هو مَنْ أجاب.

قال أه سووك: "ليديا ويلز تتحدّث الكانتونية".

قال نيلسن بلهفة وهو يلفّ ويدور في المكان: "أحقّ؟ وما الذي قالته؟".

تفحّصه أه سووك، ثم قال: "'سأعود في يوم ما وأقتلك. لقد قتلت رجلاً. ولأنه مات؛ سوف تموت أنت. سأعود وأقتلك يومًا ما".

اتّسعت عينا نيلسن، ومات سؤاله الثاني على شفّتيه. والتفت إلى أنا التي كانت تنظر إلى أه سووك بتعبيرٍ مُرتبكٍ قليلًا. ووقف تشارلي فروست مقطّبًا.

وسأل أحدُ المنقّبين: "وأين ستينز من كل هذا؟".

هزّ أه سووك رأسه وقال بهدوء: "ليس ستينز". ووقف فجأة من على وسادته ومشى إلى النافذة وعقد ذراعيه.

قال المنقب: "ليس ستينز؟ إذن مَنْ هو؟".

قال أه سووك: "فرانسييس كارفر".

وانفجر الغضب في أرجاء الغرفة.

"فرانسييس كارفر؟ كيف تكون جلسة تحضير أرواح إذا لم يكن الرجل ميّتا؟ أستطيع أن أتحدّث إلى كارفر بنفسى إذا ما وددتُ ذلك، كل ما عليّ أن أفعله هو أن أطرق على بابهِ!".

وقال آخر: "إنه في فندق بالاس. على بُعد خمسين ياردة من مكاننا هذا".

"ليس هذا ما أتحدث بشأنه".

"أقصد أنك لا تستطيع إنكار أن شيء غريب...".

كرّر المنقّب بعناد: "أستطيع أن أتحدث إلى كارفر بنفسى. أنا لا أحتاج إلى وسيط روحاني في هذا الأمر".

"وماذا عن المصباح؟ ما هو تفسيرك لما حدث للمصباح؟".

"لقد قفز عبر الغرفة!".

"لقد ارتفع في الهواء".

تجمّد أه سووك. وقال موجّهًا سؤاله إلى هارالد نيلسن: "فرانسييس كارفر في فندق بالاس؟".

قطّب نيلسن، فهو يظنّ أن أه سووك يعلم هذا بالفعل. وقال: "نعم. كارفر مقيم في فندق بالاس في شارع ريفل، المبنى ذي الحواف الزرقاء. أنت تعرفه. الواقع بجانب متجر الأدوات".

قال أه سووك: "منذ متى؟".

بدا على نيلسن الارتباك بشكل أكبر. وقال: "إنه هنا منذ ثلاثة أسابيع"، وخفض صوته وقال "منذ الليلة... أقصد، منذ أن غرقت جودسبيد".

ظلّ بقية الرجال يتجادلون.

"إنها لا تُعتَبَر جلسة تحضير أرواح إن لم نتحدث مع الموتى".

"لا، لأنك إن تحدّثت مع كارفر. فسينتهي بكل الحال ميتًا!".

وضحكوا على هذا التعليق، ثم قال صديق المنقّب: "موقف غريب، ألا تعتقد ذلك؟ ألا تظن أنه نوع من أنواع الاحتيال؟".

بدا على المنقّب العنيد أنه يميل إلى هذا الرأي، لكنه ألقى نظرة على ليديا ويلز. كانت الأرملة لا تزال غائبة عن الوعي ووجهها شاحب جداً. وفمها مفتوح جزئياً يظهر من خلاله لمعان أحد ضروسها، ولسانها الجاف، وعيناها ترمشان بضعف تحت جفونها. وفكر المنقّب في أنها إن كانت تُثّل هذا، فإن تمثيلها بالغ البراعة. لكنه دفع في مقابل الاجتماع مع إيميري ستينز. لم يدفع لكي يسمع سلسلة من المقاطع الصوتية باللغة الصينية ثم يرى امرأة تفقد وعيها. ثم كيف يمكنه أن يكون متأكدًا من أن هذه الكلمات باللغة الصينية؟ ربما كانت تنطق بأي هراء. ربما يكون الرجل الصيني مشتركًا معها في هذا، ربما تكون قد دفّعت له أجرًا ليشارك في الكذبة.

لكن المنقّب كان جبانًا بطبعه؛ فلم يتحدث بظنونه، وقال أخيرًا: "ليس هذا ما أقوله". لكنه ظلّ متجهّمًا.

"حسنًا، سوف نسألها، حين تستعيد وعيها".

قال أحد الموجودين بارتياب: "هل يتحدث فرانسيس كارفر الصينية؟".

"إنه يسافر كثيرًا إلى كانتون، أليس كذلك؟".

"إنه مولود في هونج كونج".

"نعم، لكن أن يتحدث اللغة كما يتحدثونها!".

"يجعلك هذا تغيّر ظنك فيه".

في هذه اللحظة عاد المنقّب الذي أرسلوه للمطبخ ومعه كوب من الماء، ورماه على وجه ليديا. فاستعادت وعيها شاهقةً. اقترب منها الحاضرون يسألونها بقلق عن صحتها وسلامتها، ومضت عدة دقائق

قبل أن تتاح للأرملة فرصة للرد. نقلت ليديا ويلز بصرها من وجه لوجه ببعض الارتباك، وبعد لحظة تمكّنت من إطلاق ضحكة ضعيفة. لكن ضحكتها خلت من ثقتها المعتادة، وارتعشت يدها بوضوح حين مدّتها لكأس البراندي الأندلسي الذي ناولها إيّاه الرجل المجاور لها.

شربت، وفي اللحظات التي تلت ذلك ألقى عليها مختلف أنواع الأسئلة، ما الذي رأيته؟ ما الذي تتذكّره؟ من الذي استدعته؟ هل استطاعت التواصل مع إيميري ستينز؟

أثارت إجاباتها الإحباط. لم تستطع أن تتذكّر شيئاً منذ لحظة دخولها في غيوبتها، وقالت إن هذا غير معتاد، لأنها في العادة تستطيع تذكّر "الرؤى" التي تأتيها بوضوح. ألحّ عليها الرجال، لكن بلا نتيجة، لم تستطع أن تتذكر أي شيء على الإطلاق. حين أخبروها أنها تحدّثت بلغة أجنبية بمنتهى الطلاقة ولمدة طويلة نسبياً، بدا عليها الاندهاش العميق.

وقالت: "لكني لا أعرف كلمة واحدة من اللغة الصينية، هل أنتم متأكّدون؟ هل أكّد الصينيون هذا الأمر؟ لغة صينية حقيقية؟ هل أنتم بالفعل متأكّدون؟".

أكّدوا لها الأمر بالكثير من الحيرة والحماس.

وأشارت بضعف إلى الطاولة المحترقة وبقايا الحريق قائلة: "ما هذه الفوضى؟".

قال أحد المنقبين: "لقد وقع المصباح، وقع من تلقاء نفسه".

"لم يقع فقط، لقد ارتفع في الهواء!".

نظرت ليديا إلى مصباح الزيت للحظة، وبدأت تحاول تنشيط نفسها. وفردت ظهرها قليلاً في مجلسها على الأريكة وقالت: "حسناً. إذن فقد استدعيت روح رجل صيني!".

قال المنقّب العنيد: "أنا لم أدفع لكي تأتينا روح غريبة في الجلسة".

ردّت ليديا ويلز ملطفةً من غضبه: "لا، لا بالطبع. بالطبع علينا أن نعيد لكم نقود التذاكر... لكن أخبرني: ما الذي قلّته؟".

قال فروست، الذي لا يزال يراقبها بمنتهى الانتباه: "شيئًا يتعلّق بجريمة قتل، وبالانتقام".

بدا على السيدة ويلز الانبهار. وقالت: "حقًا!".

قال فروست: "قال أه سووك إن الأمر يخصّ فرانسيس كارفر".

شحب وجه السيدة ويلز، ومالت للأمام وقالت: "ما الكلمات التي ذكرتها... ماذا قلت بالتحديد؟".

نظر المنقّبون حولهم، لكنهم لم يروا سوى أه كيي، الذي نظر إليهم بجمود، ولم ينطق بكلمة.

"إنه لا يعرف الإنجليزية".

"أين الآخر؟".

"أين ذهب؟".

انسحب أه سووك من بينهم منذ عدة دقائق، خطا من الغرفة إلى الردهة بهدوء بحيث لم يره أحدٌ ينصرف. فحين علم بعودة فرانسيس كارفر إلى هوكتيكا، وأنه هنا منذ ثلاثة أسابيع، فاضت مشاعره داخل صدره، وأحسّ باحتياجٍ مفاجئٍ لأن يختلي بنفسه.

استند على سور الشرفة الخارجية ونظر إلى شارع ريفل الممتدّ طويلاً حتى رصيف الميناء. ألقت المصابيح المعلقة في صفٍّ طويل الضوء على يمينها ويسارها، وعلى بُعد مائتي ياردة إلى الجنوب، تجمّع الضوء في غلالة صفراء ساطعة لدرجة تكاد تحاكي شمس الظهر على أرض الشارع، وأكسب هذا الضوء ظلال الحارات الجانبية المزيد من

السواد. ترنّح زوجٌ من السكارى المارّين أمامه، يتشبّث كلُّ منهم بخصر الآخر. ومَرَّتْ أمامه عاهرة في الاتجاه المعاكس، رافعةً تنورتها إلى ما فوق ركبتيها. نظرت إليه بفضول، وتذكّر أه سووك بعد لحظة من البلادة أن وجهه لا يزال يحمل طبقة كثيفة من طلاء الوجه، أطالت جانبي عينيه باستخدام الكحل الأسود، وزادت من استدارة وجنتيّهِ باللون الأبيض، نادته العاهرة، لكنه هزَّ رأسه، فمضت في طريقها. ومن مكان قريب أتت بغتة موجة عالية من الضحك والتصفيق.

عَضَّ أه سووك على شفته السفلى. إذن فقد عاد فرانسيس كارفر إلى هوكتيكا مرة أخرى. من المؤكّد أنه لا يعلم أن رفيقه القديم يعيش في كوخ في كانير، على مسافة تَقِلُّ عن خمسة أميال منه! لم يكن كارفر من الرجال الذين يغامرون بالتعرّض للخطر إن أمكنه إزالة مصدر الخطر بأكمله. وفي هذه الحالة فربما يكون الوضع في صالح أه سووك. جرَّ على أسنانه ثم بعد لحظة هزَّ رأسه: لا، لقد تعرّفت عليه ليديا ويلز هذا الصباح. ومن المؤكّد أنها نقلت هذه المعلومة لكارفر على الفور.

وفي الداخل عادت المناقشة إلى موضوع مصباح الزيت، وهي خدعة لم تنطلِ على أه سووك. كل ما فعلته ليديا هو أنها وضعت حلقة من الخيط على مقبض المصباح حين أطفأته. والخيط من نفس لون فستانها، وثبتت الناحية الأخرى من الخيط في بطن معصمها. حركة حادة واحدة من يدها اليمنى تكفي ليقع المصباح فوق الشموع. المنضدة الصغيرة التي أوقدت عليها الشموع كانت مطليةً بطبقة من زيت البارافين، الذي يميّز بأنه عديم اللون والرائحة، بحيث تبدو المنضدة لأي شخص نظيفة تمامًا؛ لكن إن حدث ومسّتها النار يشتعل سطحها. كان الأمر كله تمثيلية، خدعة. السيدة ويلز لم تتصل بعالم الأرواح، والكلمات التي نطقت بها ليست كلمات رجل ميت. وأه سووك متيقّن من هذا، لأن هذه الكلمات كانت كلماته.

أطالت العاهرة وقوفها في الطريق؛ نادى الآن على الرجال الموجودين على شرفة المبنى المقابل، ورفعت تنورتها لأعلى أكثر. ردَّ الرجال عليها، ووثب أحدهم فَرَحًا بِمَرَّأَتِهَا. راقبهم أه سووك بوجه جامد. وتعجَّب من قوة النساء... ليديا ويلز تذكر كلماته بالحرف الواحد، بعد مرور كل ذلك الوقت. إنها لا تتحدَّث الكانتونية. لكنها استطاعت أن تعيد ما قاله بنفس الطريقة، ونفس نبرة الصوت، التي استخدمها، بالضبط، إنها مُبهرّة. وربما يظنُّ مَنْ يسمعها تنطق الكلمات بتلك الطريقة أنها مولودة في جوانج دونج.

وقف الرجال يجمعون شلناتهم والعاهرة تنتظرهم. وانطلقت صافرة من مكان قريب من الأرصفة وأطلق شرطيُّ الدورية صيحة تحذيرية، ثم ألقى صوت أقدام تجري مقتربة. وشاهد أه سووك الرجال يتفرّقون هاربين، وقد عقد عزمه.

سيعود إلى كانيير هذا المساء، ويخلي كوخه من كل ممتلكاته، ويتجه للتلال. وهناك سيكرّس نفسه تمامًا للتنقيب عن الذهب. وسيذخِر كلَّ ذرّة يحصل عليها، ويعيش على الكفاف، حتى يجمع خمسة أوقيات من الذهب. لن يتعاطى الأفيون حتى يذخِر هذه الأوقيات الخمس؛ ولن يشرب الخمر؛ ولن يقامر؛ وسيتغذى على أرخص وأبسط طعام. وبمجرد أن يُحقِّق هدفه سيعود إلى هوكتيكا. وسيُغيِّر الذهب في بنك جراي وبولر. وسيعبر الشارع مُتَّجِهًا إلى متجر تيجران للمستلزمات والأدوات. وسيضع الورقة البنكية على منضدة المتجر. ويشتري علبة طلاقات، وعلبة من المسحوق الأسود، ومسدسًا. ثم سيذهب إلى فندق بالاس، ويصعد السلام، ويفتح باب غرفة كارفر، ويقتله. وبعدها؟ زفر أه سووك مرة أخرى. وبعدها، لا يوجد ما بعد ذلك. ستكون دائرة حياته قد اكتملت، ويصير بإمكانه أخيرًا أن يرتاح.

مكتبة

t.me/soramnqraa

المنيران

إليانور كاتون

عنوان الكتاب: المنيران The Luminaries
المؤلفة: إليانور كاتون Eleanor Catton
ترجمة: روزا صلاح يوسف
مراجعة لغوية: محمود شرف
إخراج داخلي: رشا عبدالله

مركز
المحروسة
للنشر و الخدمات الصحفية و المعلومات

قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 - المقطم - القاهرة
ت، ف:- 002 02 28432157

 mahrousaeg
 almahrosacenter
 almahrosacenter
 www.mahrousaeg.com
 info@mahrousaeg.com
 mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران
مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: ٢٠٢٥ / ١٠٨٦٧
الترقيم الدولي: 978-977-894-043-5

جميع حقوق الطبع والنشر باللغة العربية
محفوظة لمركز المحروسة
2025

Copyright © 2013 by Eleanor Catton

creative *nz*
ARTS COUNCIL OF NEW ZEALAND Tei Aotearoa

«This translation was made possible with support from Creative
New Zealand & The Publishers Association of New Zealand.»

مكتبة
t.me/soramnqraa

المنيران

إليانور كاتون

ترجمة

روزا صلاح يوسف

الطبعة الأولى 2025

مكتبة

t.me/soramnqraa



سازمان اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشؤون الفنية

كاتون، إيلانور.

المنيران / إيلانور كاتون؛ ترجمة: روزا صلاح يوسف. - ط 1

القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2025

120 ص؛ 21.5×14.5 سم

تدمك 5-043-894-977-978

1- القصص النيوزلاندية

2- الأدب الإنجليزي

أ- يوسف، روزا صلاح (مترجم)

ب- العنوان

823

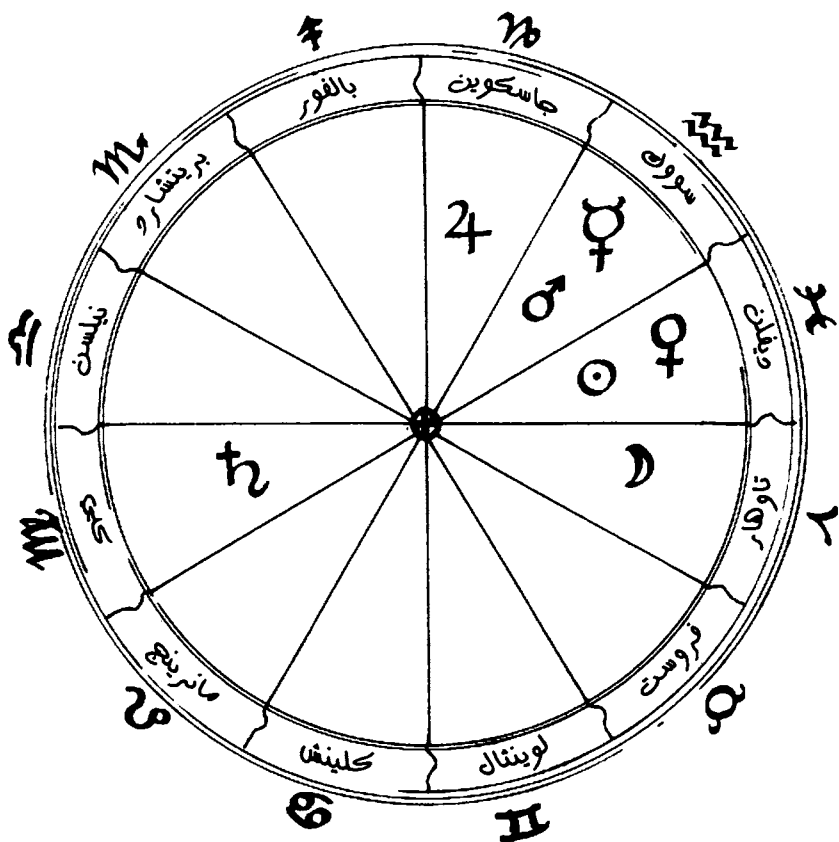
رقم الإيداع 2025/10867

الجزء الثالث

منزل خراب النفس

20 مارس 1866

$42^{\circ} 43' 0'' \text{ د } \nearrow 170^{\circ} 58' 0'' \text{ ع}$



عطار د فف برآ الدلو

آف آق مودف على معلومآ هامة؁ وفهدف إلفه سووك فونآ شفنج هدفة.

فف صباء فوم العشرفن من مارس اسفقظ والفر مودف قففل الفآر؁ ودقّ الآرس طلبًا للمفاه الساآنة؁ واآفسل واقفًا بآانب النافذة؁ فنفظر إلف سقوف المنازل فف الوقت الذف ففبهف ففه اللون الكآلف لسماء قبل الفآر مآآوًّا إلف الرمادف ثم إلف الأزرق الفآآ ثم إلف اللون الأصفر البدفع لصفار بفضة طازآة؁ وبآلول اللون الأصفر كان قد انآهى من ارآداء ملابسه؁ ونزل من آرففه وطلب آبرًا مدهونًا بالزبدة وبفضًا مسلوقًا. وفف طرفقه لقاعة الطعام أطال الوقوف فف الردهة ومال بأذنه ناحفة باب آرفة مغلَقف عند نهاية

السلم. بعد لحظة سمع صوتًا خشناً منتظمًا، فأكمل مودي طريقه إلى قاعة الطعام مطمئنًا إلى أن قاطن الغرفة نائم.

كانت قاعة الطعام خالية إلا من الوجود المتقطع للطباخ الذي كتم تتأوبة حين أحضر لمودي إبريق الشاي، وكتم تتأوبة أخرى وهو يحضر له النسخة الصباحية من تايمز الساحل الغربي، التي رطب برد الليل صفحاتها. تصفح مودي الجريدة وهو يتناول إفطاره. كانت معظم محتويات الصفحة الأولى إعلانات مكررة. البنوك تعرض أسعارًا تنافسية للذهب. ومديرو الفنادق يعدّون مزايا فنادقهم. والبقالون وبائعو المعدات ينشرون قائمة كاملة لبضائعهم. وأخبار الشحن تنشر أسماء من غادروا، ومن وصلوا إلى البلاد حديثًا. شغل معظم الصفحة الثانية مقال نقدي طويل وحاقّد عن العرض الأخير لبرنس أوف ويلز ("الضعيف في جودته لدرجة تجعله خارج حدود النقد")، احتوت أيضًا على بعض خطابات النميمة من مستكشفي حقول الذهب في الشمال. انتقل مودي للأخبار الاجتماعية وهو ينهي بيضته الثانية، ووقعت عيناه على اسمين مألوفين بالنسبة له. والإعداد لحفلة متواضعة. والتاريخ لم يحدّد بعد. ولن يكون هناك شهر عسل. والبطاقات وغيرها من سُبل التهئة يمكن إرسالها باسم العريس على عنوانه في فندق بالاس.

طوى مودي الجريدة مقطّبًا، ومسح فمه وغادر المنضدة. لم تكن الخطوبة، ولا إعلانها، هي ما جال بباله وهو في طريقه لغرفته ليحلب قبعته ومعطفه. بل عنوان المراسلات.

وذلك لأن مودي يعلم جيدًا أن فرانسيس كارفر لم يعد يقيم في فندق بالاس. رغم أن غرفته هناك لا زالت على حالها، معطفه معلق في خزانة الملابس، وصندوق أمتعته يرقد عند طرف السرير، وملابس نومه مبعثرة في كل مكان. إنه لا يزال يتناول إفطاره في قاعة طعام

الفندق كل صباح، ويشرب الويسكي كل ليلة في صالون بالاس. ولا يزال يدفع أجر إقامته أسبوعياً إلى صاحب الفندق الذي -على حدِّ علم مودي- ظلَّ غافلاً عن أن أشهر نزيل عنده يدفع جنهين في الأسبوع أجراً لغرفة لا يشغلها. لم يكن خبر تغيير كارفر لمقره ليلاً معروفاً للكثيرين، ولولا حادثة التقائهما مصادفة، لظلَّ مودي بلا أي فكرة عن أن كارفر منذ جلسة تحضير الأرواح التي أقامتها الأرملة، ينام في غرفة صغيرة بجانب المطبخ في الكراون، غرفة يوفّر موقعها منظراً مكشوقاً لا يحجبه شيء لطريق كانير المليء بالحفر.

بحلول السابعة والنصف كان مودي يسير بخطى واسعة على رصيف جيبسون متّجهاً شرقاً، مرتدياً قُبْعَةً رمادية عريضة الحواف، وبنطلوناً أصفر من القطن السميك، وحذاء طويلاً إلى الركبة من الجلد، ومعطفاً غامقاً من الصوف فوق قميص رمادي من القطن الثقيل. وهو يرتدي هذا الزي ستة أيام في الأسبوع؛ ممّا يثير اندهاش جاسكوين الذي سأله أكثر من مرة عن سبب تخلّيه عن حزام القراصنة الأحمر الذي قد يضيف لمسة لطيفة على إطلالته.

حصل مودي على حق التنقيب في حقل قريب بشكل كافٍ من هوكتيكا بحيث يسمح له بالإقامة في فندق كراون. وهو ما يقتطع جزءاً كبيراً من إيراداته الأسبوعية، لكنه فضّله على النوم في خيمة تحت السماء، وقد جرب البيات في خيمة مرة واحدة، ووجده مزعجاً بشكل لا يُحتمل. استغرق الطريق إلى حقله من هوكتيكا ساعة وعشرين دقيقة مشياً على الأقدام؛ وصباح كل يوم قبل أن تدقّ الساعة مُعلنَةً التاسعة تجده مع مُنْخِله بجانب الغدير، ينقل جرادل المياه، ويصقّر، ويجرف الرمل بجاروفه.

والحقيقة أن مودي لم يكن مستكشفاً ماهراً، كان يأمل في العثور على قطع الذهب، وليس في تصفية التربة بحثاً عن ذرّات الذهب.

وكثيراً ما تسرّب الحصى المحتوي على ذرات الذهب من فتحات المنخل وجرفته المياه؛ وأحياناً يفرغ منخله مرتين بدون العثور على أي ذرات. كان إirاده من الذهب بلغة المنقبين هو "تراب المصاريف"، بما معناه أن ما يجنيه يغطي مصاريفه بالكاد، ولن يستطيع أن يستمر هكذا لفترة طويلة. ويعرف أنه سيضطر أن يأخذ بالنصيحة الشهيرة بأن يتعاون مع رجل أو مجموعة من الرجال؛ ففرصة الثراء تتضاعف بالتنقيب مع شريك، وتتضاعف أكثر بالتنقيب مع مجموعة من خمسة رجال، أو سبعة، أو تسعة. لكن كبرياءه لم يسمح له بذلك. وظل يعافر بمفرده متخيلًا، في كل ساعة، قطعة الذهب التي سيشتري بها مستقبله. بدأت أحلام ليايله تلمع بالذهب، وبدأ يرى أنواراً لامعة في أحلك الأماكن، لدرجة أنه يضطر أن يدقق النظر، ويرمش بعينه، أو يغلقهما.

خطا مودي فوق الجدول الصغير الذي يمثل الحد الشمالي لحقله، واندesh حين رأى ظلاً باهتاً لخيمة منصوبة بين الشجيرات وبجانبتها بقايا نيران. واحتار؛ فكل المنقبين في هوكتيكا يمضون إجازة نهاية الأسبوع في المدينة، ولا يعودون إلى حقول الذهب قبل منتصف نهار الاثنين على الأقل. لماذا لم يصحب هذا المنقب رفاقه؟ وما الذي يفعله في حقل ذهب رجل آخر؟

ونادى مودي بغرض إيقاظ قاطن الخيمة: "مرحبًا، مرحبًا".

وأق على الفور صوت حشجة، تلتها مجموعة تحرّكات كثيرة وسريعة تحت الخيمة. وقال أحدهم: "آسف، آسف للغاية، آسف للغاية".

وظهر من فتحة الخيمة وجه صيني تظهر عليه آثار النوم.

وقال الرجل: "لم أسبب مشكلة، آسف للغاية".

قال مودي: "سيد سووك؟".

حدّق فيه أه سووك.

قال مودي واضعًا يده على صدره: "أنا والتر مودي. هل، هل، هل تتذكّرني؟".

دعك أه سووك عينيه بقبضته. "نعم، نعم".

قال مودي: "أنا سعيد لرؤيتك. هذا حقلي، بداية من الجدول وحتى تلك الأوتاد الصفراء هناك، ناحية الجنوب".

قال أه سووك: "أسف، لم أسبب مشكلة".

قال مودي: "بالطبع لم تُسبّب أي مشكلة. على أي حال أنا سعيد لرؤيتك يا أه سووك. لقد لاحظ الكثيرين غيابك عن كانيير. وأنا هن بينهم. أنا سعيد للغاية لرؤيتك، سعيد للغاية، أنا لست غاضبًا على الإطلاق. لقد خشينا أن يكون قد أصابك شيء".

قال المنعزل: "لم أسبب مشكلة، الخيمة فقط، ليس هناك مشاكل"، واختفى عن الأنظار. مكتبة سُر مَن قرأ

قال مودي: "أرى أنك لا تُسبّب أي مشكلة، لا بأس يا سيد سووك، ليس لديّ أي مشكلة أن تُخيّم عندي! أنا لا أمانع على الإطلاق".

وخرج أه سووك من الخيمة وهو يرتدي صديريته. وقال: "سأغادر. خمس دقائق". ورفع كفّه بأصابعه الخمس.

قال مودي: "لا بأس، يمكنك أن تنام هنا إن أردتَ، هذا لا يضرّني بأيّ حال".

قال أه سووك: "فقط الليلة الماضية".

قال مودي: "نعم، لكن إن أردتَ أن تُخيّم الليلة أيضًا فليس لديّ أي مانع". ترواح أسلوبه مع أه سووك ما بين البهجة الصافية والتلطف الأحمق، كأنه يتحدث مع طفل ليس طفله.

قال أه سووك: "ليس الليلة". وبدأ يزيل خيمته. شدَّ قماش الخيمة الذي لا يزال مُبلَّلًا بالندى من الحبل الذي يرفعه كاشفًا الأرض المسطحة الذي قضى عليها الليلة: البطانية الصوف المطوية مطبوعة بأثر رقاده عليها؛ وإبريق شاي مليء بالرمال؛ وحقيبته الجلدية؛ وطبق لتصفية الذهب؛ وحقيبة من الخيوط بها بعض الشاي والدقيق وعدة حَبَّات متغضّنة من البطاطس؛ صرّة المؤونة المعتادة. تأثر مودي كثيرًا حين ألقى بنظره على هذا المخزون الضئيل.

قال مودي: "يا سيد سووك، أين كنت الشهر الماضي بأكمله؟ لقد مضى شهر كامل على جلسة تحضير الأرواح، ولم يسمع أحد عنك كلمة!"

ساوى قماش الخيمة على صدره قائلاً: "أنقُب".

وأكمل مودي: "لقد اختفيت فور انتهاء جلسة تحضير الأرواح، خشينا أن يكون قد أصابك ما أصاب السيد ستينز المسكين! لم يستطع أحد تفسير الأمر، وقد اختفيت بلا سبب".

كان أه سووك يطوي قماش الخيمة؛ فتوقّف. "عاد السيد ستينز؟".

قال مودي: "للأسف لا، لا يزال مفقودًا".

"وفرانيس كارفر؟".

"كارفر لا يزال في هوكتيكا".

أوما أه سووك، "في فندق بالاس".

ابتهج مودي بالفرصة السانحة للتأمّر. "في الواقع لا. لقد بدأ بيت في فندق كراون. سرًا. لا أحد يعرف بوجوده هناك. لا يزال يدّعي أنه مقيم في بالاس، ولا يزال يدفع الإيجار لصاحب الفندق، ويحجز غرفته هناك، تمامًا كما كان. لكنه يبيت كل ليلة في الكراون. يصل

بعد حلول المساء، ويغادر في الصباح الباكر. علمتُ بالأمر فقط لأنني أستأجر الغرفة التي تعلوه".

رمقه أه سووك بنظرة ثاقبة. "أين؟".

"غرفة كارفر؟ أم غرفتي؟".

"كارفر".

قال مودي: "إنه ينام في غرفة بجانب المطبخ، في الطابق الأرضي. الغرفة المواجهة للشرق. قريبة جدًا من غرفة التدخين التي التقينا فيها لأول مرة".

قال أه سووك: "غرفة متواضعة".

وافقه مودي، "متواضعة للغاية، لكنها تشرف على طريق كانير. إنه يراقب الطريق، يراقب الطريق مخافةً منك".

والتر مودي لا يعلم شيئًا عن قصة أه سووك مع فرانسيس كارفر، فأه سووك لم تُنح له الفرصة في فندق كراون لأن يحكي القصة بأي درجة من التفصيل، ولم يره أحدٌ منذ ذلك الحين، إلا حين ظهر في الواي فيرر فورتن من شهر مضى. ودَّ مودي بشدة أن يعرف القصة بتفاصيلها، ورغم أنه بذل كل ما في وسعه في البحث والفحص -حيث أصبح خبيرًا في تحويل أي محادثة عابرة، باستخدام حكيمته وفطنته وترويه، إلى مواضيع مثيرة- فإنه لم يتوصل إلى أكثر مما عرفه في غرفة تدخين الكراون، أن الأمر له علاقة بالأفيون، والقتل، والعزم على الانتقام. أه كيي هو الوحيد الذي استمع للقصة كاملة من أه سووك، وهو للأسف لا يملك من اللغة ما يمكنه من سردها على الرجال المتحدثين بالإنجليزية.

قال أه سووك: "كل ليلة في فندق كراون؟ الليلة؟".

قال مودي: "نعم، سيكون هناك الليلة. لكن ليس قبل حلول الظلام، كما أخبرتك بالفعل".

"ليس في بالاس".

قال مودي: "لا، ليس في بالاس. لقد غيّر الفندق".

قال أه سووك بجديّة: "نعم. فهمت". وذهب ليفكّ عقدة حبل تثبيت الخيمة المربوط في أحد الفروع الكبيرة في الشجرة.

قال مودي: "مَن الرجل المقتول؟".

قال أه سووك: "والدي".

قال مودي: "والدك؟". ثم توقّف للحظة وقال: "كيف قُتل؟ أعني، اعذرني ولكن، ماذا حدث؟".

قال أه سووك: "منذ وقت طويل، قبل الحرب".

قال مودي، يشجّعه على الحديث: "حرب الأفيون".

قال أه سووك: "نعم"، ولم يكمل. وبدأ يلفّ حبل الخيمة على ذراعه مستخدماً ساعده كمكّوك للّف.

قال مودي: "ماذا حدث؟".

قال أه سووك بصراحة: "الريح".

"أي ربح؟".

لاحظ مودي استخفاف أه سووك بالسؤال. فأسرع بطرح سؤال آخر: "أقصد، هل كان والدك، هل كان يعمل في مجال الأفيون، مثلك؟".

ولم ينطق أه سووك. سحب ساعده من لفّة الحبل ولواها عند منتصفها ووضعها في صرّته. وحين انتهى من ربطها جلس القرفصاء ونظر لمودي ببرود للحظة، ثم مال وبصق، متعمّداً، في التراب.

تراجع مودي. وتمتم: "سامخني، ما كان عليّ أن أتطفل".

والتر مودي لم يخبر أحدًا أن كروسبي ويلز هو الأخ غير الشرعي للسياسي لودرباك؛ فقد قرّر في الساعات التي تلت اكتشافه للأمر أن هذه المعلومات لا تخصه بحيث يشاركها مع الآخرين. أحسّ بدوافع هذا الكتمان بعمق، لكنه لم يكن يستطيع التعبير عنها بوضوح. ليس على المرء تبرير تصرفات عائلته. ولا يجوز الكشف عن محتويات خطابات شخص دون موافقته. لم يرغب أن يكون هو من يكشف عن هذا. لكن كل هذه الأسباب ليست كل الحقيقة، والحقيقة أن مودي وضع نفسه موضع الرجلين كثيرًا على مدار الشهر الماضي، وشعر بتشابه عميق بينه وبين كلا منهما، أحسّ أنه يشبه الأخ غير الشرعي في يأسه؛ ويشبه السياسي في كبريائه. ومقارنة نفسه بالأخوين أصبحت الموضوع المعتاد لأفكاره يوميًا أثناء وقوفه في المياه الباردة وبين يديه كتل من التراب والمعدن.

حشر أه سووك آخر أغراضه في الصُرة، ثم جلس فوقها ليربط حذائه.

ولم يستطع مودي الاحتمال، فانفجر قائلاً: "سيشنقونك إن قتلتَ كارفر، سيقتلونك يا سيد سووك إن قتلتَه، أيّا كانت دوافعك".

قال أه سووك: "نعم، أفهم ذلك".

"ولن تكون المحاكمة عادلة، ليس بالنسبة لك".

"لن تكون". وافقه أه سووك. ولم يبدُ أن الفكرة تضايقه. وانحنى على النار والتقط غصنًا وقلب التربة الرطبة التي أهاها فوق الجمرات المشتعلة الليلة الماضية. وتحت هذه الطبقة ظهر الفحم الذي ظل دافئًا وغامقًا كالدم المتجمد.

قال مودي وهو يراقبه: "ما الذي ستفعله؟ هل ستضربه بالرصاص؟".

قال أه سووك: "نعم".

قال مودي: "متى؟".

قال أه سووك: "الليلة. في فندق كراون". وبدأ كأنه يحفر بحثًا عن شيء تحت الفحم. خبطت عصاه في جسم صلب. استخدم طرف العصا كرافعة وقلب الجسم على الحشائش؛ إنه علبة شاي صغيرة من الصفيح، مسوَّدة من الهباب. كانت العلبة ساخنة، فقد لفَّ كُمَّه حول كَفِّه قبل أن يلتقطها.

قال مودي: "أرني سلاحك".

رفع أه سووك رأسه إليه.

قال مودي، ثائرًا على حين بغتة: "هيا، أرني سلاحك. هناك أنواع كثيرة من المسدسات يا سيد سووك، وعليك أن تعرف سلاحك جيّدًا. كما يقول والدي".

مودي نادرًا ما اقتبس كلام والده في صحبة الآخرين؛ لأنه من ناحيةٍ فتعبيرات إدريان مودي المعتادة لا تصلح للاستخدام في الحوارات المهذبة، ومن ناحيةٍ أخرى فإن والتر مودي، في العموم، يميل إلى عدم ذكره.

قال أه سووك: "أشتري مسدّسًا".

قال مودي: "حسن، أين هو؟".

قال أه سووك: "ليس بعدُ".

"لم تشتريه بعدُ؟".

قال أه سووك: "اليوم". وفتح علبة الشاي، وصبّ منها ملء كفّه من ذرّات الذهب. وأدرك مودي أنه دفن العلبة في الأرض تحت النار احتياطاً من تعرّضه للسرقة أثناء الليل.

"أي نوع من المسدسات ستشتريه؟".

"من تيجران"، ومدّ يده الأخرى لمحفظته.

"أقصد طراز المسدس، ما نوعه؟".

قال أه سووك مرة أخرى: "تيجران". وفتح محفظته بيدٍ واحدة ليضع فيها ذرّات الذهب.

قال مودي: "هذا اسم المتجر. ما نوع المسدس الذي ستشتريه؟ هل لديك علمٌ بالأسلحة؟".

قال أه سووك: "لأطلق النار على فرانسيس كارفر".

هزّ مودي رأسه قائلاً: "تيجران لن ينفعك. يمكنك أن تذهب إليه إذا رغبت في شراء بندقية صيد العصافير، أو بندقية من نوع آخر، لكنهم لن يعطوك مسدّساً. أنت بحاجة إلى سلاح من أسلحة الجيش. فليست كلٌ طلقة تقدر على قتل رجل، وآخر ما تريده هو ألا تنجز المهمة. بحق السماء يا سيد سووك! المسدس ليس مجرد أداة، كما أن الحصان ليس مجرد... طريقة للتّنقل". مُنهيًا مقارنته بطريقة ضعيفة.

لم يردّ أه سووك. لقد اختار متجر تيجران للأدوات والمعدات لسببين؛ أولهما أن المتجر يقع بجانب فندق بالاس، وثانيهما أن صاحب المتجر عطوف على الصينيين. لم يعدّ للسبب الأول قيمة الآن، لكن السبب الثاني لا يزال مهمّاً. أه سووك سيطلب من السيد تيجران أن يحشو له المسدس في المتجر، حتى يمكنه القيام بالمهمة في نفس اليوم. فهو لم يطلق مسدّساً في حياته. هو يفهم الفكرة الأساسية وراء التصميم وظنّ أن المسألة لا تتطلب الكثير من التدريب.

قال مودي: "اذهب إلى تجار المعدات الخاصة في شارع كامب. بجانب الدوتشيس جاسزوس. المبنى الذي تظهر قمة سقفه من وراء الواجهة. اللافتة ليست مَطلِيَّةً بعدُ، أصحاب المحل هم بروتون وسولومون وبارنز، والباب عادة ما يكون مفتوحًا. حين تذهب اطلب مسدسًا من طراز كير باتنت. ولا تشتري أي نوع آخر، هذا المسدس من مسدسات الجيش الإنجليزي، مناسب جدًا، وسيقوم بالمهمة. سعر الكير باتنت هو خمسة جنيهات كاملة. أكثر من هذا تكون سرقة".

نظر أه سووك للذهب في محفظته، "خمسة جنيهات؟"، لم يكن يعلم أنه يمكنه شراء مسدس بمثل هذا المبلغ المعقول. أخبره أحدهم أن التكلفة ستكون ضعف هذا. وكرّر، كي لا ينسى: "كير باتنت. شارع كامب. شكرًا لك يا سيد مودي".

قال مودي: "ما الذي ستفعله؟ حين تنهي المهمة؟ حين يموت كارفر؟ هل ستسلم نفسك للشرطة؟ هل ستحاول الهرب؟"، وفجأة أحسّ بالإثارة بشكل غريب.

هزّ أه سووك رأسه. أغلق محفظته ولفّها بإحكام في قطعة قماش. ثم نهض ورمى صرّته على ظهره، ووضع محفظته الملفوفة في جيبه بمنتهى الحذر.

وأشار قائلاً: "هذا الحقل. فقط تراب المصاريف. ذهب قليل جدًا".

لوح مودي بيده، "نعم، أعرف ذلك".

قال أه سووك: "هنا لا يوجد ثروة".

أوما مودي قائلاً: "لا يوجد هنا ثروة تعود بيّ لوطني. لست بحاجة لأن تقولها يا سيد سووك، أعلم حقيقة الأمر".

حدَّق فيه أه سووك وقال: "اتَّجِه شمالًا. الرمال السوداء. حظُّ كثير في الشمال. هنا ليس هناك قطع ذهبية. هنا قريب من المدينة".
قال مودي: "تشارلستون. نعم، هناك فرصة للحصول على الثروات في تشارلستون".

أوماً أه سووك وقال: "الرمال السوداء". وخطا ناحيته، ورأى مودي أنه يحمل علبة الشاي المسودَّة بالهباب بـكلتا يديه. وقَدَّمها له، ومدَّ مودي يديه، مندهشًا، وقَبَّلها منه. لم يفلت أه سووك الهدية فورًا، بل انحنى عميقًا فوقها وهي بين يديه، وقلَّده مودي، وانحنى بدوره.
وقال أه سووك: "'چوك ناي هواهان'... حظًا سعيدًا لك". ولم يترجم ما قاله، ولم يطلب منه مودي ترجمة. ورفع مودي رأسه والعلبة في يده وراقب المنعزل يبتعد.

الشمس في برج الحوت

حيث تتفاجأ أنا ويزريل مرتين، ويمتلئ كويل ديفلن بالشكوك،
ويصبح لصك الهبة أهمية جديدة.

ما لمحناه في برج الدلو، وما تخيلناه، وآمنًا به، وتنبأنا بحدوثه،
وتوقّعناه، وارتبنا فيه، وحدّرنا منه- تجلّى في برج الحوت. هذه الرؤى
الفردية التي عاشت حتى الشهر الماضي فقط داخل الحاملين بها،
تستدعي الآن هيئة الواقع وجوهره. نحن صنّعة أنفسنا، وبأيدينا
تكون نهايتنا.

وماذا بعد برج الحوت؟ ماذا بعد ميلاده الدموي، وخروجه من
الرحم. ليس بإمكاننا تتبّعه: ليس بإمكاننا العبور من النهاية للبداية.
فبرج الحمل لن يسمح بتكوين وجهة نظر شاملة، وبرج الثور لن
يهجر الأوهام. وبرج الجوزاء له شريعته الخاصة. وبرج السرطان

يسعى وراء أصل، و برج الأسد يسعى وراء هدف، و برج العذراء يسعى وراء خطة؛ هذه الأهداف إنما هي أهداف فردية. لكن في النصف الثاني من دائرة البروج نبدأ في إظهار أنفسنا: في برج الميزان كفكرة، وفي برج العقرب كسمة مميزة، وفي برج القوس كصوت. وفي برج الجدي نكتسب الذكريات، وفي برج الدلو نكتسب الرؤية، أما في برج الحوت، آخر وأقدم الأبراج، نكتسب الشخصية، لكن سمكة برج الحوت، المزدوجة، التي تعكس رحم النفس والوعي بتلك النفس، هي ثعبان العقل الذي يلتهم ذيله، هي الدورة اللانهائية لإرادة القدر، ولقدر الإرادة، ومنزل خراب النفس هو سجن يبنيه السجناء، فاسد الهواء، ولا أبواب له، وجدرانها الداخلية مطلية بالملاط.

هذه التغيرات تأتينا لا مفرًا، كما تأتي عقارب الساعة على أرقامها.



ليديا ويلز لم تقم باستضافة جلسة تحضير أرواح ثانية؛ فهي على علمٍ بشعار الدجال الذي يقضي بعدم تكرار الحيلة نفسها أمام الجمهور نفسه... وحين تمَّ اتهامها، على ضوء هذا، بأنها دجالة، ضحكت. واعترفت في خطاب مفتوح نشرته تايمز الساحل الغربي أن محاولتها الاتصال بروح السيد ستينز فشلت. وأن هذا الفشل، على حدَّ قولها، لم يسبق وقوعه في حياتها العملية، وأن التفسير الوحيد له هو أن العالم الآخر لم يكن باستطاعته تقديم روح السيد ستينز؛ ومن هذا يمكننا استنتاج أن السيد ستينز ليس ميتًا، وأنهت خطابها بالتعبير عن ثقتها في عودة الشاب المؤكدة.

ما قالته سبَّب ارتباكًا كبيرًا لرجال الكراون؛ وتسبَّب أيضًا (ككل خطط الأرملة) في إعلاء قيمة منشأتها، وبعد نشر هذا الخطاب راج

سوق الواي فيرر فورتشن. وفتحت المنشأة أبوابها كل ليلة ما بين الساعة السابعة والعاشرة مساءً، وبأسعار مخفضة أتاح لروّادها مشروب البراندي والمحادثات المشوبة بالكهونات. أما خدمة قراءة الطالع فقد أتيحت بعد الظهر، ومواعيد مسبقة، واستمراراً للقواعد السابقة، فلم يظهر أثر لآنا ويذريل.

لم تغادر آنا الواي فيرر فورتشن إلا لتمارس تمشيتها اليومية، والتي تصبحها فيها، دائماً، السيدة ويلز، التي لم تكن غافلةً عن الفوائد الجمّة للتسكع اليومي، والتي طالما ذكرت أنها تحب التمشية أكثر من أي شيء. وسوياً، بذراعين متشابكتين، تمشّت السيدتان على طول شارع ريفل كل صباح، متجهتين شمالاً في الذهاب، وعائدتين في الناحية الأخرى. تتفقّدان محتويات كل نافذة متجر في طريقهما، وتشتريان اللبن والسكر، إذا عثرتا عليهما، وتلقيان التحية على كل قاطني هوكتيكا بشكل هادئ وغير منفعل على الإطلاق.

هذا الصباح قامتا بتمشيتهما اليومية مبكراً عن المعتاد؛ لأن ليديا ويلز لديها ميعاد في محكمة هوكتيكا في التاسعة. تمّ استدعاؤها لتمثل أمام القاضي في شأن قانوني يخصّ أملاك زوجها الراحل كروسيبي ويلز، وأوحت كلمات الاستدعاء باحتمالية أن تكون الأخبار سعيدة، وقبل التاسعة بعشر دقائق فُتح الباب الأمامي للوايفيرر فورتشن وخطّت منه ليديا ويلز للشمس بشعرها الأحمر الذي لمع بشكل خلّاب على ثوبها الكحلي الغامق.

راقب كويل ديفلن السيدة ويلز تخرج من الفندق وتهبط السلام إلى الشارع وهي تجذب أطراف شالها على كتفيها، وتبتسم للرجال المارّين الذين توقفوا في سيرهم ليتطلّعوا إليها. وانتظر حتى اختفت في الحشد الضخم، ثم انتظر خمس دقائق أخرى ليكون بمأمن من المخاطر. ثم عبر الشارع واتجه للوايفيرر فورتشن، وصعد السلام

إلى الشرفة الأمامية، والتفت ليلقي نظرة على واجهة مبنى المحكمة العاري من الزينة، دقَّ الباب. وهو يحمل إنجيله القديم على صدره. فُتح الباب تقريبًا على الفور.

خلع ديفلن قبعته بيده الأخرى قائلاً: "آنسة ويذريل، اسمحي لي من فضلك أن أُعرِّفك بنفسي. اسمي كويل ديفلن، أنا القس المقيم لسجن هوكتيكا. وفي حوزتي مستند أعتقد أنه مهمٌ بالنسبة لك، وأتمنى أن أحظى بلقائك على انفراد لمناقشة هذا الأمر".

قالت آنا: "أنا أتذكرك. كنت موجودًا حين أفقت من إغمائي في السجن".

قال ديفلن: "نعم".

"لقد صليت من أجلي".

"وقد صليت من أجلك مرات عديدة منذ ذلك الحين".

وبدت عليها الدهشة، "حقًا؟".

ردَّ القس: "بإخلاص".

"ماذا تريد؟".

أعاد ديفلن ذكر نواياه.

"ما الذي تقصده بكلمة مستند؟".

"أفضل ألا أخرج ههنا، هل يمكن أن أدخل؟".

تردَّدت، "السيدة ويلز في الخارج".

قال ديفلن: "نعم، أعلم ذلك. في الحقيقة فقد رأيتها تدخل المحكمة الآن، وأسرعت في المجيء إلى هنا على أمل أن أتحدث معك

مكتبة

t.me/soramnqraa

على انفراد. أعترف بأني كنت أنتظر مثل هذه الفرصة منذ بعض الوقت. هل يمكنني الدخول؟".

"ليس من المفترض بي أن أستقبل ضيوفاً وهي غير موجودة".

قال ديفلن بهدوء: "لديّ موضوع واحد أودُّ أن أناقشه معك، أنا رجل من رجال الكنيسة، وهذه الساعة من النهار لا غبار عليها. هل ستنكر سيدتك عليك مثل هذا المطلب البسيط؟".

سيدة آنا بكل تأكيد ستنكر عليها مثل هذا المطلب البسيط، وغيره الكثير، فسياسة الأرملة تتعارض مع السماح باستثناءات للقواعد التي فرضتها على هواها. لكن آنا قرّرت في لحظة أن تخاطر.

قالت: "تعال إلى المطبخ، وسأعُدُّ لنا إبريقاً من الشاي".

"هذا كرم كبير منك".

تبعها ديفلن عبر الممر إلى المطبخ في نهاية المنزل، وانتظر واقفاً حتى ملأت آنا الغلاية ووضعتها فوق الموقد. لقد أصبحت نحيفة للغاية. غار خدّاها، واكتسبت بشرتها لمعة شمعية، ويروح مظهرها بسوء التغذية، وتشوب حركاتها رعشة مرهقة، كأنها لم تتناول وجبة جيدة منذ أسابيع. ألقي ديفلن نظرة سريعة في أنحاء المطبخ. كانت أطباق الإفطار مرصوفةً على لوح الغسيل لتجفّ، وعدّ اثنين من كل شيء، بما فيها كوبان للبيض من الخزف المزخرف بتصميم بارز للتوت الأسود.. إن لم تكن ليديا ويلز قد استقبلت ضيفاً على الطعام في صباح هذا اليوم، وهو أمرٌ مُستبعد، فمن المؤكد أن آنا قد تناوَلت الإفطار على الأقل. كان هناك نصف دائرة من الخبز على لوح الخبز ملفوفة بقطعة من قماش الكتان، وإناء الزُّبد لم يرجع بعد إلى حيث يحتفظون به.

"هل تودُّ بسكويّتا مع الشاي؟".

قال ديفلن مرة أخرى: "هذا كرم منك"، ثم أحسَّ بالحرَج من تكراره للجملة فأسرع قائلاً: "لقد سعدتُ كثيراً يا آنسة ويذريل حين علمتُ أنك تغلبتِ على إدمانك للمخدر الصيني".

أبعدت أنا شعرة عن وجهها قائلةً: "السيدة ويلز لن تسمح به في المنزل". وأحضرت علبة البسكويت من على رفِّ خزانة المُون.

قال ديفلن: "إنها مُحِقَّة في تشدُّدها، لكنها أنتِ مَنْ تستحقِ التهنية. لا بُدَّ أنَّكِ أظهرت الكثير من الثبات لتتخلصي من إدمانك. لقد رأيت رجالاً ناضجين لم يستطيعوا القيام بمثل هذا العمل الباهر". حين يكون ديفلن متوتراً فإن حديثه يصبح رسمياً وناصحاً.

قالت أنا: "لقد توقَّفتُ، هذا كل ما في الأمر".

أوماً ديفلن قائلاً: "نعم، والتوقف المفاجئ هو الطريق الوحيد بالطبع. لا بُدَّ أنك قد كافحت جميع أنواع المغريات، في الأيام والأسابيع التي تلت توقفك عنه".

قالت أنا: "لا، فأنا لم أعد بحاجة إليه".

"أنت متواضعة للغاية".

قالت أنا: "أنا لا أقول هذا لأزهو بنفسي. أكملت لفترة حتى أنهيت قطعة الأفيون التي كانت معي. لكنني لم أعد أحسُّ بمفعوله بعد الآن".

نظر إليها ديفلن يقيِّم حالها. "هل وجدتِ أن صحتكِ قد تحسَّنت بشكل كبير بعد توقفك؟".

قالت أنا وهي تصفُ البسكويت على شكل قوس في الطبق: "أتوقَّع أنها تحسَّنت، فأنا بخير".

"آسف إن كنت لا أتفق معك يا آنسة ويذريل، لكنك لا تبدين بأي حال من الأحوال بخير".

"أنت تقصد أنني نحيفة أكثر من اللازم".

"أنت نحيفة للغاية يا عزيزتي".

قالت آنا: "أحسُّ بالبرد، أحسُّ بالبرد دائماً هذه الأيام".

"أعتقد أن هذا بسبب أنكِ نحيفة للغاية".

قالت: "نعم، أعتقد هذا أنا أيضاً".

قال ديفلن بعد لحظة: "لقد لاحظت بالنسبة للأشخاص الذين هم في حالة معنوية سيئة، خاصة هؤلاء الذين حاولوا إنهاء حياتهم، أن فقدان الشهية عارضٌ مشترك ما بينهم".

قالت: "لديَّ شهية. أنا آكل، أنا فقط لا أستطيع أن أحتفظ بالوزن فوق جسدي".

"هل تأكلين يومياً؟".

قالت: "ثلاث وجبات، اثنتان منهما وجبات ساخنة. أنا أقوم بإعداد الطعام للثنتان منا".

قال ديفلن: "لا بُدَّ أن السيدة ويلز ممتنة لك للغاية". وبدا من كلماته أنه لا يصدِّق ما تقوله.

قالت بغموض: "نعم". وابتعدت لتحضر الفناجين والأطباق من الرف الذي يعلو لوح الغسيل.

سألها ديفلن: "هل ستظلين في وظيفتك الحالية بعد زواج السيدة ويلز؟".

"أعتقد ذلك".

"أتصور أن السيد كارفر سيسكن هنا".

"نعم، أعتقد أنه ينوي هذا".

"لقد تمّ الإعلان عن خطبتهما في تايمز الساحل الغربي هذا الصباح. كان إعلانًا صغيرًا جدًا، يكاد يكون غير ملحوظ. لكن على أي حال فالعُرس دائمًا ما يكون مناسبة سعيدة".

قالت آنا: "أنا أحب الأعراس".

قال ديفلن: "نعم. العرس حدث سعيد، أيًا كانت الظروف".

بعد الفضيحة التي أحدثها خطاب جورج شيرد لمحرر تايمز الساحل الغربي منذ شهر مضى، ظن الكثيرون أنه وحده الزواج مرة أخرى هو الذي يمكن أن يصلح الدمار الذي لحق بسُمعة الأرملة. ومطالبة السيدة ويلز بحقّها في تركة كروسبي ويلز أصابها الضعف بشكل كبير بسبب انكشاف أمر أنها جعلت منه ديوثًا في السنوات التي سبقت وفاته، وزاد الضعف الذي أصاب موقفها بسبب تقديم أليستار لودرباك لاعتراف كامل وصريح للغاية. ففي ردّ علني على جورج شيرد، اعترف لودرباك أنه أخفى حقيقة علاقته عن جموع النخبين، وأنه يتقدم لهم بأخلص الاعتذارات. وكتب أنه لم يحدث أن أحسّ في حياته كلها بمثل هذا العار من نفسه، وأنه يتحمّل مسؤولية تبعات هذا الموقف كاملة، وأنه سيظل حتى يوم وفاته نادمًا على وصوله لكوخ السيد ويلز متأخرًا نصف الساعة ليلتمس غفرانه. وقد أحدث هذا الاعتراف الغرض المنشود منه، وانهاled التعاطف والإعجاب على لودرباك لدرجة أن بعضهم يعتقد أن سُمعة لودرباك قد تحسّنت. فرغت آنا من ترتيب الأطباق، وقالت: "لنذهب إلى الصالون، وسأسمع صوت الغلّاية حين يغلي الماء".

ورفعت الصينية وخطت في الممر إلى للصالون، الذي كان جاهزاً لاستقبال مواعيد الأرملة وقت العصر. حيث تم وضع أكبر كرسيين من الكراسي ذات مساند الأذرع قريباً من بعضهما، وأُسدلت الستائر. انتظر ديفلن حتى جلست أنا حتى يجلس هو، ثم فتح إنجيله وسحب من بين صفحاته صكَّ الهبة محترق الأطراف. وسلَّمها إيَّاه بدون أي كلمة.

في هذا اليوم، الحادي عشر من أكتوبر 1865، يُدفع مبلغ ألفين من الجنيهات للآنسة أنا ويذريل، من نيو ساوث ويلز، من السيد إميري ستينز، من نيو ساوث ويلز، بشهادة السيد كروسبي ويلز وتوجيهه.

أمسكت أنا الصكَّ بوجه جامد، فهي أُمِّيَّة ولا تتوقَّع أن تفهم الكلمات من نظرة واحدة. إنها تعرف الأبجدية، ومن الممكن، بمشقةٍ، وبالكثير من الأخطاء، أن تقرأ سطرًا مطبوعًا إذا ما حاولت ببطء شديد، وفي إضاءة قوية. لكنها في اللحظة التالية رفعت الورقة، وبصيحة اندهاش، قربتها من عينيها.

قالت في صوتٍ يقارب الهمس: "يمكنني أن أقرأ هذا".

لم يعلم ديفلن أن أنا لم تتعلم القراءة؛ ولهذا لم ينتبه لما قالت. وقال: "لقد وجدت هذا المستند في قاع موقد كروسبي ويلز بعد وفاته بيوم. وكما ترين، إنه مبلغ ضخم من المال، وهو ممنوح كهبة، وأعترف أنني لا أستطيع فهم المقصود منه. لا بُدَّ أن أُحذرك في البداية أنه من الناحية القانونية فهذا المستند غير صالح. السيد ستينز لم يوقع باسمه؛ ممَّا يترتب عليه بطلان توقيع السيد ويلز. فالشاهد لا يمكنه التوقيع قبل صاحب المستند".

لم تقل أنا أي شيء. ظلت تنظر إلى الورقة.

"هل سبق لك أن رأيت هذا المستند من قبل؟"

قالت: "لا".

"هل علمت بوجوده؟"

"لا!".

ثار قلق ديفلن، فقد أجابته في صوتٍ يكاد يكون صياحًا. وقال:
"ما الأمر؟".

وامتدت يدها لحلقها، "إنه فقط... هل يمكنني أن أطلب منك شيئًا؟".
"بالطبع".

"هل سبق لك... أقصد، في سابق تجاربك...". تمالكت نفسها وعضت
على شفتها، ثم قالت: "هل تعرف لماذا أستطيع قراءة هذا؟".
تفحصتها عيناه، وقال: "للأسف، لم أفهم".

أوضحت أنا، "أنا لم أتعلم أبدًا القراءة، أقصد بشكل جيد...
أستطيع أن أنطق سطرًا من الحروف، وأعرف الالفتات والإشارات،
بسبب أنني أتذكرها وليس لأني أقرأها، فأنا أراها يوميًا. ليس بإمكانني
أن أقرأ جريدة، من أولها لآخرها، قد يستغرق مني الأمر ساعات
وساعات. لكن هذا... أستطيع قراءته. أقصد بلا أي جهد. بسرعة كما
لو كنتُ أفكر".

"اقرئيه بصوت عالٍ".

قرأته، بسلاسة.

قال ديفلن، مقطبًا: "هل أنت متأكدة تمامًا من أنك لم ترَ هذا
المستند من قبل؟".

قالت آنا: "متأكدة تمامًا".

"هل كنت تعلمين أن السيد ستينز كان ينوي منحك ألفين من الجنيهات؟".

قالت: "لا".

"وماذا عن السيد ويلز؟ هل حدث وتحدثت مع السيد ويلز في هذا الموضوع؟".

قالت: "لا. أقول لك إن هذه هي المرة الأولى التي أراه فيها".

قال ديفلن: "ماذا لو أخبرك أحدهم بالأمر، ثم نسيتَه".

قالت آنا: "لن أنسى مثل هذه الثروة".

وتوقف ديفلن يتفحصها. ثم قال: "سمعت قصصًا عن أطفال كبروا في رعاية مربيّات أوروبيّات، وقد استيقظوا ذات يوم يتحدثون بفصاحةٍ اللغة الهولندية، أو الفرنسية، أو الألمانية، أو أيًا كان...".
"لم أظَ بمربيّة أبدًا".

فأكمل حديثه: "لكنني أبدًا لم أسمع عن شخص استطاع فجأة أن يتمكن من القراءة. هذا أمر في منتهى الغرابة".

وشاب صوته الارتباب.

قالت آنا مرة أخرى: "لم أظَ بمربيّة أبدًا".

اعتدل ديفلن في جلسته، وقال: "آنسة ويذريل، لقد جاء ذكر اسمك في العديد من الجرائم التي لم تُحلَّ بعد، بما فيها الاشتباه في القتل، وأنا متأكد أني لست بحاجة لتنبيهك لخطورة المثل أمام محكمة الجنايات. دعينا نتحدث بصراحة، وثقي في. وأشار للصَّك الذي في يدها. هذه الوصية كُتبت قبل اختفاء السيد ستينز بثلاثة أشهر. وهي تمثّل بالضبط نصف تركة السيد ويلز. لقد توفي السيد

ويلز في نفس يوم اختفاء السيد ستينز، وصباح اليوم التالي لوفاته وجدت هذه الورقة في موقده. هذه الأحداث مترابطة بشكل واضح، ويستطيع أي محام أن يصل النقاط ببعضها، حتى إن لم أستطع أنا. إن كنت في وضع صعب فإن باستطاعتي أن أساعدك، لكنني لن أتمكن من مساعدتك إن لم تثقي فيّ. أنا أطلب منك أن تثقي فيّ وتخبريني بما تعرفينه".

قالت أنا وهي مقطّبة: "هذه الورقة ليس لها علاقة بتركة ويلز. إنها تتعلّق بأموال إيميري ستينز، وليس بأموال كروسي".

قال ديفلن: "معك حقّ، لكن هناك احتمال أن الذهب الذي تمّ اكتشافه في كوخ السيد ويلز تعود ملكيته لستينز. فالذهب المكتشف ليس خامًا، إنه مصهور ومسبوك في سبائك تحمل اسمًا، ومن الاسم المنقوش عليها استطاع البنك تعقّب الذهب وصولاً إلى منجم يملكه السيد ستينز. منجم أورورا".

قالت أنا: "ال... ماذا؟".

قال ديفلن: "الأورورا، إنه اسم المنجم".

قالت والحيرة ظاهرة عليها: "آه". أحسّ ديفلن بالإشفاق عليها فشرح لها الأمر مرة أخرى ببطء. وقد فهمت مقصده هذه المرة. "إذن فهذه الثروة يملكها إيميري؟ منذ البداية؟".

قال ديفلن بحذرٍ: "ربما".

"وأراد أن يهب نصفها بالضبط لي!".

"هذا المستند يقول إن السيد ستينز ينوي إهداءك ألفين من الجنيهات، وأن السيد ويلز يعلم بهذا بداية من ليلة الحادي عشر من أكتوبر. وربما حتى يصادق عليه. لكن وكما سبق أن أخبرتك، هذا المستند باطل، فالسيد ستينز لم يوفّعه".

"ماذا لو وقَّعه؟".

قال ديفلن: "للأسف، ليس هناك شيء يمكننا أن نقوم به حتى يتم العثور على السيد ستينز". وراقبها للحظة ثم قال: "لقد استغرقت وقتًا طويلًا حتى أطلعَكَ على هذا المستند يا آنسة ويذريل، وأنا أرجو أن تسامحيني على هذا. والسبب في هذا التأخير هو أنني كنتُ أنتظر فرصة سانحة لكي أتحدث معك على انفراد، وكما تعلمين فقد أصبحت مثل هذه الفرص نادرة الحدوث".

قالت بغتةً: "مَن يعلم بوجود هذا المستند؟ غيرك أنت وأنا؟".

تردَّد ديفلن وقال بعد أن قرَّر أن يقول الحقيقة، ولكن ليس كل الحقيقة: "المدير شيرد، لقد تحدَّثت معه في هذا الأمر منذ شهر مضى تقريبًا".

"وماذا قال؟".

"لقد تصوَّر أن الأمر لا بُدَّ وأن يكون مزحة من نوع ما".

وبدت مكسورة النَّفس، "مزحة؟ أي نوع من المزاح؟".

مال ديفلن ليمسك يدها وضغط على أصابعها في عطف. "لا تحزني يا عزيزتي، فالفقراء إلى الله تحلُّ عليهم بركاته، هم المحظوظون في الملكوت الأعلى، وكلُّ منَّا ينتظره ميراث أعظم بكثير من أي ذهب يُهدَى إلينا".

وأقَى صوت صفير حاد من المطبخ وهسيس من انسكاب المياه الساخنة على اللوح الحديدي.

قال ديفلن وهو يبتسم لها: "ها هي ذي غلايتنا".

سحبت أنا يدها من قبضته قائلة: "أيها الموقر، هل يمكن أن أطلب منك أن تصبَّ الماء على الشاي؟ أنا أشعر بشعور غريب، وأرغب بقضاء بعض الوقت بمفردي".

قال كويل ديفلن بتهذُّب: "بالطبع"، وغادر الغرفة.

بمجرد أن غادر الغرفة قامت أنا من مجلسها وعبرت الصالون في خطوتين مسرعتين وصكُّ الهبة محترق الأطراف لا يزال في يدها. وقبلها يدقُّ مُسرِّعًا. وقفت بلا حراك للحظة تستجمع شجاعتها، ثم، وفي حركة واحدة رشيقة، توجَّهت لمكتب الكتابة الخاص بالأرملة، وفردت صك الهبة، وفتحت زجاجة حبر، والتقطت قلم السيدة ويلز، وغمست سن القلم في المحبرة، ومالت إلى الأمام وكتبت:

إيميري ستينز

لم ترَ أنا توقيع إيميري ستينز من قبل، لكنها امتلأت بيقينٍ يخلو من أي شك أنها قلَّدت توقيعَه بدقَّةٍ. فالحروف في اسم ستينز يشوبها الإهمال والنقصان، وحروف اسم إيميري بهيجة الشكل صعبة القراءة، والتوقيع يشي بالعجلة المليئة بالثقة، وتحتَه خطٌّ مرسومٌ بمتعة عارضة، كأنه يشير أن التوقيع تمَّ خطُّه مرَّاتٍ ومرَّاتٍ بحيث يصعب إنكاره لمجرد تغيير بسيط فيه. حرف الألف في إيميري ينثني مرتين بشكل زخرفي كلمسة شخصية، والسين عريضة قليلًا في ستينز.

"ماذا فعلت؟".

وقف ديفلن في مدخل الغرفة وصينية الشاي بين يديه وعلى وجهه تعبير من اللوم المخيف. وضع الصينية على المنضدة الجانبية مُحدِّثًا ضجَّةً، واقترب منها ماديًا يده. وفي صمتٍ ناولته أنا المستند، فانتزعه. ومن شدَّة غضبه فقد القدرة على النطق للحظة؛ ثم ملك زمام نفسه وقال بمنتهى الهدوء: "هذا احتيال".

قالت أنا: "ربما".

صرخ ديفلن بغضبٍ مفاجئ: "ماذا؟ ماذا قُلْتِ؟".

توقَّع أن تتراجع، لكن هذا لم يحدث، وقالت: "هذا توقيعه. وهذا الصُّكُّ صحيح".

قال ديفلن: "هذا ليس توقيعه".

قالت أنا: "بل هو توقيعه".

وانفجر ديفلن، "هذا تزوير. لقد ارتكبتِ جريمة تزوير".

قالت أنا: "أظن أني لا أدري عمَّ تتحدَّث".

قال ديفلن: "تطاوُلُك غير مقبول. هل ستضيفين جريمة شهادة الزور إلى جريمة التزوير".

"ربما لا علم لي بأي تزوير".

قال ديفلن: "ستنكشف الحقيقة. فهناك مُحلِّلون يا آنسة ويذريل، يمكنهم تمييز التزوير بالعين المجردة".

قالت أنا: "ليس في حالتنا هذه".

قال ديفلن: "لا تخدعي نفسك. عارٌّ عليك".

لكن أنا لم تشعر أنها تخدع نفسها، ولم تشعر بالعار؛ بل إنها في الحقيقة شعرت بيقظة لم تشعر بمثلها منذ شهور طويلة. فتوقيع إميري ستينز موجود على صُكِّ الهبة، والصك لم يُعد باطلاً. وبموجب هذا المستند يجب منح الآنسة أنا ويذريل مبلغ ألفين من الجنيهات كهدية من السيد إميري ستينز؛ والصك مُوقَّع من الواهب، ومن الشاهد، وتوقيع الواهب صحيح. مَنْ سيُكذِّبها؟ فقد اختفى أحد الموقعين، وتوفي الآخر.

"هل يمكنني أن ألقى عليه نظرة أخرى؟"، وبوجه محمَّر من الغضب، ناولها ديفلن الصُّكَّ. وبمجرد أن وصل الصُّكُّ ليدها، اندفعت أنا مبتعدةً، وفكَّت فتحة صديرية فستان أجاثا چاسكوين، ودفعت

الورقة من بين الأزرار بحيث استقرت على بشرتها. ووضعت يديها على صديريتها ووقفت للحظة، تلهث. وعيناها تفحصان عيني ديفلن، الذي لم يتحرك من مكانه. على مسافة عشر أقدام منها.

قال ديفلن بهدوء: "عارٌ عليك. لِمَ فعلتِ هذا؟".

"أحتاج الحصول على رأي آخر، هذا كل ما في الأمر".

"لقد زوّرتِ هذا المستند يا آنسة ويذريل".

"لا يمكن إثبات هذا".

"يمكن أن أثبته إن أقسمت".

"وما الذي يمنعني من أن أقسم قَسَمًا يعارض قَسَمَكَ؟".

قال ديفلن: "يكون هذا كذبًا، كذبًا خطير العواقب، إذا ما أقسمت في المحكمة، وهو أمر ستضطرين له. لا تكوني حمقاء".

قالت مرة أخرى: "سأحصل على رأي آخر. سأذهب إلى المحكمة وأسأل هناك".

قال ديفلن: "آنسة ويذريل، هديّ من روعك. وفكّري في الأمر. ستكون شهادة قسٍّ أمام شهادة عاهرة".

"لم أعد أمارس الدعارة".

قال ديفلن: "اعذريني، عاهرة سابقة".

خطا خطوة نحوها، وتراجعت أنا. ويدها لا تزال تضغط على صدرها.

قالت: "إن خَطَوَتَ خطوةً أخرى تجاهي، سأصرخ، وأمزّق صديريتي وأقول إنَّكَ مَنْ مَرَّقَها. سيسمعون صوتي في الشارع، وسيأتون إلى هنا".

لم يتعرض ديفلن من قبل لمثل هذا التهديد. وقال بأنّفة: "لن أقترّب. بل سأترجع، وفوراً". وعاد إلى مقعده الذي شغله حين دخل الصالون، وجلس وقال بهدوء: "لا أودُّ أن أتشاجر معك. لكني أودُّ أن أسألك بعض الأسئلة".

قالت آنا وهي لا تزال تتنفس بقوة: "تفضّل، اسأل".

قرّر ديفلن أن يقطع أقصر الطرق. "هل علمت بحقيقة أن الفساتين التي اشتريتها من سوق البضائع الغارقة في الشتاء الماضي تخصّ ليديا ويلز؟".

فغرت آنا فمها.

قال ديفلن: "أجيبي من فضلك. أنا أقصد الخمسة فساتين التي استخدمتها السيدة ويلز في ابتزاز السيد أليستار لودرباك، بمساعدة السيد كارفر".

قالت: "ماذا؟".

أكمل ديفلن: "الفساتين المحتوية على ذهب مخيط في البطانات، وحول مشدّات الصديريات، وفي أطراف الفساتين. أحد هذه الفساتين مصنوع من الحرير البرتقالي؛ والأربعة الأخرى من الأقمشة القطنية بألوان الكريمة، والرمادي، والأزرق الفاتح، والوردي المخطّط. هذه الفساتين الأربعة مخزونة حالياً في صندوق تحت السلم في فندق جريديرون، أما الفستان البرتقالي فهو في حوزة السيد أوبرت چاسكوين، في مسكنه الخاص".

استولى ديفلن على انتباهها الكامل الآن، وهمست: "كيف عرفت بهذا؟".

قال ديفلن: "قرّرتُ أن أعرف الكثير عنك. والآن أجيبي عن السؤال".

بوجهٍ شاحب قالت: "الفستان البرتقالي فقط احتوى على ذهب. الأربعة الأخرى بهم أثقال من الرصاص".

"هل علمتِ أنها كانت فيما سبق تخص ليديا ويلز؟".

قالت آنا: "لا، ليس بشكل مؤكد".

"هل شككت بالأمر".

قالت: "لقد... لقد سمعت بعض الأمور. منذ شهر مضى".

"متى كانت أول مرة اكتشفت فيها محتويات الفساتين؟".

"في الليلة التي تلت اختفاء إيميري".

"بعد أن سُجِنَتِ بتهمة محاولة الانتحار".

"نعم".

"وقد دفع السيد چاسكوين كفالتك على وعدٍ بأن تردّيها له،
وسوياً مرّقتُما الفستان البرتقالي، في كوخه الواقع في شارع ريفل،
وبعدها أخفيتما الخرق تحت سريره".

بدا عليها الرعب، وهمست: "كيف...؟".

لم يتوقف ديفلن، "غالبًا، وبعد عودتك إلى الجريديرون ليلتها، فإن
أول ما فعلته أنك عُدتِ إلى خزانة ملابسك وتفقّدتِ الأربعة فساتين
الأخرى".

قالت آنا: "نعم. لكنني لم أقطعهم. لقد تحسّسْتهم من تحت
الخياطة. ولم أعلم أنها أثقال من الرصاص، ظننتُ أنه المزيد من
الذهب".

قال ديفلن: "في هذه الحالة فمن المؤكد أنك فهمتِ أنّك أصبحت
فجأة غنية جدًا".

"نعم".

"لكنك لم تفتحي أطراف تلك الفساتين الأربعة لكي تدفعي مديونيتك لإدجار كلينش".

قالت آنا: "حاولتُ هذا فيما بعد. في الأسبوع التالي. وقتها اكتشفت أثقال الرصاص".

قال ديفلن: "لكن قبل أن تعلمي بأثقال الرصاص، لم تخبري السيد چاسكوين بظنونك. وادّعتِ العجز والجهل والإفلاس، وتوسّلتِ له أن يساعدك!".

قالت آنا: "كيف عرفتَ كل هذا؟".

قال ديفلن: "أنا مَنْ يسأل هنا. ماذا أردتِ أن تفعلي بالذهب؟".

قالت آنا: "أردت الاحتفاظ به، كقرشٍ أبيض لليوم الأسود. ولم يكن لديّ مكان أخفيه فيه. ففكرتُ أن أسأل إيميري بشأنه. أنا لا أثق بغيره. لكنه اختفى في ذلك الوقت".

قال ديفلن: "وماذا عن ليديا ويلز؟ ماذا عن ليديا ويلز التي أتت إلى الجريديرون في عصر نفس هذا اليوم، ودفعت مديونيتك للسيد كلينش، ومن وقتها حتى الآن، تُظهر لك كل مظاهر كرم الضيافة؟".

انخفض صوت آنا للغاية، "لا".

"لم تخبريها بأمر هذه الفساتين؟".

"لا".

"لأنك شككتِ أنها كانت فيما سبق ملكًا لها".

قالت آنا: "لقد سمعت شيئًا. لم أعرف أبدًا بشكل مؤكّد، لكنني علمت أن هناك أمرًا ما، وأنها حريصة على استعادتها".

شبك ديفلن ذراعيه. بدا من الواضح أن آنا خائفة ممّا يعرفه عنها، وخائفة من الطريقة التي عرف بها ما يعرفه. وتألّم من أجلها،

لكنه، ونظرًا لملاбسات الموقف، قرّر أن يتركها خائفة، حتى لا يخاف من جرأتها. فلا يمكن أن يسمح لها بإظهار هذا التوقيع الزائف.

وقال بعد ذلك: "أين السيد ستينز؟".

"لا أعرف".

"أعتقد أنك تعرفين".

قالت: "لا".

"أذكرك بأنك ارتكبت جريمة خطيرة حين زوّرت توقيع رجل ميت".

"إنه ليس ميّتًا".

أوماً ديفلن؛ فقد أراد الحصول على إجابة محدّدة. "كيف عرفت ذلك؟".

لم تردّ آنا، كرّر ديفلن السؤال بصوت أكثر حدّة: "كيف عرفت ذلك يا آنسة ويذريل؟".

قالت آنا أخيرًا: "تلقيتُ رسائل".

"من السيد ستينز؟".

"نعم".

"رسائل من أي نوع؟".

"رسائل خاصة".

"كيف يتواصل معك؟".

قالت آنا: "ليس بالكلمات".

"كيف إذن؟".

"أنا فقط أحسُّ به".

"تحسّين به؟".

"داخل رأسي".

تنهّد ديفلن.

قالت أنا: "أظنّك تشكّ فيما أقوله الآن".

قال ديفلن: "بكل تأكيدٍ أشكّ فيه؛ فهو للأسف يؤكد على أنك مُزوّرة".

خبطت أنا بيدها على الورقة المخبّأة في صدرها وقالت: "لقد أخفيت هذا لوقت طويل جدًّا".

حدّق فيها ديفلن. وفتح فمه ليرد عليها، لكن قبل أن يجد الكلمات، سمع صوت خطوات مسرعة على الشرفة الأمامية، وصوت مقبض الباب، وضوضاء الشارع المفاجئة التي أتت من فتحة الباب الأمامي، ودخل أحدهم. نظرت أنا إلى ديفلن بعينين مرتعبتين. لقد عادت الأرملة من المحكمة، وهي تنادي على أنا.

زَحَل فِي بَرَجِ الْعِذْرَاءِ

وفيه لا يعيّن چورچ شيرد نائبًا له، ويتم الخلط ما بين كيي لونج ورجل آخر، ويضع ديك مانرينج الحدّ الفاصل.

أمضى چورچ شيرد صبيحة يوم العشرين من مارس يشرف على استلام عدة طلبيات من مواد البناء لموقع السجن الجديد في سي فيو، والذي بعد شهرين من بدء العمل في الإنشاءات، بدأ يفرض وجوده يومًا بعد يوم. فارتفعت الحوائط، واكتست المدافئ بالطوب، ورُكِّبت الأبواب المصفحة بإطاراتها الحديدية داخل المبنى الرئيسي. بالطبع لا يزال هناك الكثير من التفاصيل التي يجب الاهتمام بها، لا بُدَّ من تركيب المصابيح، ومطبخ السجن لا يزال بلا موقد، ولا تزال نوافذ كوخ مدير السجن بلا زجاج، ولم يتم بعدُ حفر الحفرة تحت المشنقة، لكن، وبصفة عامة، فمعدّل الإنجاز سريع جدًّا، والفضل

يعود إلى هارالد نيلسن والأربعمائة جنيه التي تبرّع بها، بالإضافة للتمويلات الإضافية التي وصلت مؤخرًا من كلٍّ من لجنة المباني العامة في الأراضي الغربية، ومجلس هوكتيكا، والمجلس المحلي. وتوقّع شيبرد أنه يمكن نقل السجناء من مخيم الشرطة قبل نهاية شهر أبريل، وبدأ بعض السجناء بالفعل يبيتون في مبنى سي فيو، في حراسة شيبرد، الذي يفضل هو الآخر أن ينام فيه، وأن يتناول طعامه باردًا، خاصة وأن السجن قد قارب على الاكتمال.

حين دقّ جرس الكنيسة الويسيلية مُعلنًا الظهر كان شيبرد في الملجأ، يحفر حفرة أخرى للمرحاض. وحينما صعد صوت الجرس إليهم من المدينة، صاح كبير العمال في السجناء بأنه وقت الراحة. ترك شيبرد جاروفه، ومسح جبينه بكُمّ قميصه وتسَلَّقَ خارجًا من الحفرة، ولاحظ حين خرج شابًا بشعر أحمر واقفًا على الجانب البعيد من البوابة الحديدية ينظر من القضبان، من الواضح أنه ينتظر مقابلته.

قال شيبرد وهو يسير باتجاهه: "سيد إيفرارد".

"سيادة المدير شيبرد".

"ما الذي أتى بك إلى سي فيو هذا الصباح؟ أعتقد أنه ليس مجرد الفضول".

"أردت فرصة لمقابلتك يا سيدي".

"لعلك لم تنتظر طويلًا".

"على الإطلاق".

"هل تودّ الدخول؟ أستطيع أن أنادي أحدهم ليفتح البوابة". وكسا العرق وجه شيبرد من المجهود الذي بذله: مسح جبهته مرة أخرى بكُمّه .

قال الرجل: "لا بأس، لديّ فقط رسالة".

قال شيرد: "أخبرني بما لديك". ووضع يديه في خصره.

"لقد أتيت بالنيابة عن السيد بارنز. من برونزون وسولومون وبارنز".

"أنا لا أعرف أيًا منهم".

قال إيفرارد: "إنهم تجار، لديهم متجر جديد في شارع كامب". وأضاف بسرعة: "فقط لم يتم طلاء الالفة بعد يا سيدي".

قال شيرد، ويده لا تزالان في خصره: "أكمل حديثك".

"لقد أعلنت منذ شهرين أنك ستكون مُمتنًا إذا أبقينا أعيننا على أحد الصينيين".

احتدّت ملامح وجه شيرد على الفور، "هذا صحيح".

قال الشاب: "لقد أتيت لأبلغك بأن أحد الصينيين قد اشترى مسدسًا هذا الصباح".

"من متجر السيد بارنز على ما أظن".

"نعم يا سيدي".

"أين هو الصيني الآن؟".

قال إيفرارد: "لا أعلم. لقد قابلت بارنز الآن فقط، وقال لي إنه باع مسدسًا من طراز كير باتنت لرجل صيني هذا الصباح، وقد أتيت مباشرة. لا أعلم إن كان هذا الصيني هو نفس الرجل الذي تقصده أم لا، لكنني ظننت أنه سيكون من المفيد أن أعلمك بالخبر على أي الأحوال".

لم يُبدِ شيرد أي مشاعر. "متى تمّ هذا البيع؟".

"منذ ساعتين على الأقل. وربما أكثر. قال بارنز إن الرجل أتاه بناء على نصيحة أحدهم، فقد رفض أن يدفع أكثر من خمسة جنيهات

مقابل المسدس، ظل يكرر: خمسة جنيهات فقط، كأن أحدهم قد أخبره أن لا يدفع أكثر ممّا ينبغي".

"كيف دفع مقابل ما اشتراه؟".

"بورقة بنكية".

"هل هناك شيء آخر؟".

قال إيفرارد: "نعم. لقد حشا المسدس في المتجر".

"من حشاه له؟".

"بارنز، حشاه بناء على رغبة الرجل الصيني".

أوما شيرد وقال: "حسنًا. والآن، استمع إليّ. عُدْ إلى هوكتيكا يا سيد إيفرارد، وأخبر كلَّ رجل تقابله أن جورج شيرد يبحث عن رجل صيني يُدعى سووك. أخبرهم أنه أي رجل يرى چوني سووك اليوم في المدينة، أيّا ما كان يفعله، وأينما كان، عليه أن يرسل في طلبي على الفور".

"هل ستعرض مكافأة للقبض على الرجل؟".

"لا تقل شيئًا بخصوص المكافآت، لكن لا تنفي وجودها".

شدّ الشاب قامته: "هل سأكون نائبًا عنك؟".

لم يردّ شيرد على الفور، وقال بعد فترة: "إن عثرت على چوني سووك، ووجدت طريقة للقبض عليه بدون جلبة، سأتغاضى عن الطريقة التي أمسكته بها. هذا كل ما سأقوله".

"أفهمك يا سيدي".

قال شيرد: "هناك شيء آخر يمكنه أن تفعله لي. هل تعرف رجلًا يُدعى فرانسيس كارفر؟ هل تعرف شكله؟".

"الرجل الذي يحمل ندبة على وجهه".

قال شيرد: "نعم. أودُّ أن تبلغه رسالة مني. ستجده في فندق بالاس".

"ما الرسالة يا سيدي؟".

قال شيرد: "أخبره بكل ما أخبرتني به الآن. ثم أخبره أن يرتدي حزام مُسدّسه".

بدا على إيفرارد الإحباط.

"هل هو نائب عنك؟".

قال شيرد: "ليس هناك مَنْ ينوب عني. اذهب الآن، وننتحدث في هذا لاحقًا".
"حسنًا".

رفع شيرد ذراعيه ووضع يديه على قضبان البوابة، وراقب الشاب ينصرف. ثم نادى عليه، "سيد إيفرارد".
توقّف الشاب والتفت.
"نعم يا سيدي".

"هل تودُّ أن تصبح من رجال القانون؟".

انفجرت أسارير الفتى. "أتمنى أن أصير كذلك يومًا ما يا سيدي".
رمقه شيرد بنظرة باردة من بين قضبان البوابة وقال: "أفضل رجال القانون يمكنهم فرض القانون دون الحاجة لمنصب رسمي. تذكّر هذا".



مضى على اختفاء إيميري ستينز ثمانية أسابيع، وهي فترة اعتبرتھا المحكمة كافية لإسقاط ملكيته عن كل الأراضي التي تحتوي الذهب. فحكمت المحكمة بإعادة كل المناجم والأراضي المخصصة للتنقيب التي يمتلكها السيد ستينز إلى ملكية التاج الملكي، ويسري هذا منذ يوم الجمعة في الأسبوع الماضي. والأورورا، بالطبع، أحد الأملاك التي تمت مصادرتها، وكنتيجة لهذا تم إعفاء كيي لونج أخيراً من مسؤوليته غير المجزية عن هذه الرقعة المجذبة من الأرض. فتوجّه إلى هوكتيكا صباح يوم الاثنين ليستعلم عن المكان الجديد الذي سيكلف بالعمل فيه، وعن مالك المكان.

يكره أه كيي الذهاب لمكتب الشركة، لأنهم لا يتعاملون معه بأدب، ويتركونه منتظراً لوقت طويل. وطوال فترة انتظاره احتمل استهزاء الموظفين برباطة جأش، وادّعى أنه لم يلحظ صغار الموظفين وهم يقذفونه بكرات صغيرة من الورق واللعب، ولم يلحظ أنهم يمسون أنوفهم حين يمرّون بمكان جلوسه. وبعد انتظار طويل دعاه موظف مكتب الاستقبال لإيضاح سبب زيارته. وبعد انتظار آخر طويل لم يتم توضيح أسبابه كلفوه بالعمل في منجم آخر في كانير، وأعطوه ورقة تفيد بهذا وصرّفوه من الشركة. وبحلول ذلك الوقت كان الرجل ذو الشعر الأحمر، إيفرارد، قد وصل هوكتيكا منذ وقت طويل، ونشر رسالة جورج شيرد ميمناً ويساراً.

حين خرج أه كيي من مكتب الشركة في شارع ويلد، ممسكاً في يده مستند التكليف بالعمل، سمع صيحة. فنظر حوله بارتباك ورأى رجالاً يسرعون ناحيته من الجانبين. فصرخ ورفع ذراعيه لأعلى. وفي اللحظة التالية طرحوه أرضاً.

"أين المسدس يا چوني سووك؟"

"أين المسدس؟"

"ابحث في الحزام الذي يحيط بخصره".

وهجّمت عليه الأيدي، بعضها يخطو وبعضها يلکم. وركله أحدهم في ضلوعه، فشهِق أه كيي.
"غالبًا خبّأه".

"ما هذا الذي تحمله؟ أوراق عمل في منجم؟". انتزعوا مستند التكليف من يده، وألقوا عليه نظره، ثم ألقوه بعيدًا.
"ماذا نفعل الآن؟".

"ماذا ستقول دفاعًا عن نفسك يا چوني سووك؟".

قال أه كيي بعد أن تمكّن أخيرًا من التحدّث: "أه كيي".
"لديه لسان، أليس كذلك؟".

وأطلق أه كيي صيحة أخرى متألّمة بعد أن ركله أحدهم مرة أخرى في ضلوعه، وتكوّر على نفسه.

قال أحد المهاجمين: "إنه ليس الرجل المطلوب".

ردّ عليه أحدهم: "وما الفارق؟ إنه صيني هو الآخر. إنه ملعون".

وقال الرجل الذي تحدّث أوّلًا: "ليس معه مسدّس".

"سيقودنا إلى سووك. إنهم يعرفون بعضهم البعض".

وركلوه مرة أخرى، هذه المرة في مقعدته، خبط طرف حذاء الرجل في عظمة العصوص فانطلقت موجة من الألم في عموده الفقري وصلت حتى فكّه.

"هل تعرف چوني سووك؟".

"هل تعرف چوني سووك؟".

"هل رأيته؟".

"نودُّ أن نتحدّث مع چوني سووك".

صدرت حشجة من أه كيي، وحاول أن يرفع نفسه على يديه، لكنه سقط أرضًا.

قال الرجل الذي تحدّث أوّلًا: "إنه لن ينطق".

"تحركْ جانبًا قليلًا...".

ابتعد الرجل الآخر ثم جرى ناحية أه كيي كالمصارعين. أحسَّ أه كيي بقدم الرجل، فضمَّ جسده ليحاول تقليل أثر الركلة. وأحسَّ بالألم رهيبًا في ضلوعه. ولم يستطع التنفس سوى من أعلى جزء في رثتيه. وضحك الرجال. وتراجعت أصواتهم لتشكّل سحابة نابضة بالأصوات.

ثم جلجل صوت من الشارع:

"لقد أمسكتم الرجل الخطأ يا أصدقائي".

التفت المهاجمون. كان الثري ديك مانرينج يقف في باب مقهى ويلد ستريت المفتوح عاقِدًا ذراعيه على صدره. يملأ بجسده الباب، ويوحى مظهره بالرهبة رغم أنه بلا سلاح، وبمجرد أن رآه الرجلان ابتعدا في الحال عن كيي لونج.

قال الأول: "نحن ننفذ التعليمات بالقبض على رجل صيني يدعى چوني سووك". ووضع يديه في جيبيه، كصبي صغير.

قال مانرينج: "هذا الرجل يُدعى چوني كيي".

قال الثاني: "لم نعرف ذلك"، وأدخل يديه في جيبيه هو الآخر.

قال الأول: "تعليمات من مدير السجن".

قال الثاني: "هناك صيني يُدعى چوني سووك مطلوب القبض عليه".

"لديه مسدس".

"مسلّح وخطير".

قال مانرينج وهو يهبط السلام للشارع: "حسنًا، لقد أمسكتكم الرجل الخطأ. تعلمون ذلك الآن، لأنني قُلْتُه لكم، وأقول للمرة الأخيرة. هذا الرجل يدعى چوني كيي".

بدا مانرينج أكثر خطورة في تقدُّمه، وباقترابه منهم تراجع الرجال أخيرًا.

تمتم الرجل الأول: "لم أقصد أي أذى. كنتُ فقط أتأكّد".

تمتم الرجل الآخر بصوت منخفض لم يسمعه مانرينج: "يا مُجِبَّ الجنس الأصفر".

انتظر مانرينج حتى انصرفوا، ثم نظر إلى آه كيي الذي انقلب على جانبه يتحسّس أضلعه بحثًا عن كسور، بعدها وقف بصعوبة على قدميه، والتقط مستند التكليف الذي وطأته الأقدام ونفض التراب عنه. وأحسَّ بغصّةٍ في حلقه.

وقال أخيرًا حين تمكّن من التنفس: "شكرًا لك".

قطّب مانرينج، كأنها ضايقه التعبير عن الامتنان، ونظر إلى آه كيي من أعلاه إلى أسفله قائلاً: "ما حكاية چوني سووك والمسدس؟".

قال آه كيي: "لا أعرف".

"أين هو؟".

"لا أعرف".

"هل رأيته؟ هل رأيته في أي مكان؟".

لم يَرَ آه كيي مواطنه أه سووك منذ ليلة جلسة تحضير الأرواح التي أقامتها الأرملة منذ شهر مضى، في وقت متأخر من تلك الليلة

عاد أه كيي من الواي فيرر فورتشن ووجد أه سووك قد حزم أمتعته القليلة، وبعزم مُتجهِّم، اختفى وسط حفيف الليل. فقال: "لا".

تنهَّد مانرينج، وقال بعد لحظة: "أظنُّ أنهم كلَّفوك بمنجم جديد بعد أن استردَّ البنك ملكية الأورورا. دعني ألقى نظرة على هذه الورقة. دعني أرى أين وضعوك. ناولني إياها".

ومدَّ يده لتناوله. كان المستند موجَّزًا، كُتِبَتْ بياناته دوَّما الاستفسار عنها من أه كيي، تضمَّن خانةً لعمره البادي عليه، عَوَّضًا عن عمره الحقيقي، والميناء الذي أبحرَتْ منه سفينته، عَوَّضًا عن محل ميلاده الحقيقي في جوانج دونج، وقائمة مختصرة بسابقة أعماله كعامل، مسبوقة برقم خمسة، كدليلٍ على أن عدد سنوات تكليفه بكل منجم هي خمس سنوات، ومختوم بختم الشركة. ألقى مانرينج نظره على آخر المستند. وفي المربع المكتوب عليه "محل العمل الحالي" تمَّ الشطب على كلمة أورورا وكتبت بدلًا منها كلمة دريم أوف إنجلاند. قال مانرينج: "أنتَ لستَ محظوظًا بالمرة. هذا المنجم ملكي، أحد مناجمي"، وخبط على صدره، "أنتَ تعمل لحسابي مرة أخرى يا چوني كيي. تمامًا كما كنَّا في الأيام الخوالي. حين كنتَ تخدعني ببوتقة الصهر الملعونة خاصَّتكَ، وتسرق الذهب من أنا ماجدلينا".

قال أه كيي وهو يمسدُّ أضلعه: "أنتَ".

قال مانرينج متجهِّمًا: "نحن الاثنان مع بعضنا مرة أخرى. دريم أوف إنجلاند، حلم انجلترا، يا للروعة، الاسم الأنسب له هو الكابوس الإنجليزي".

قال أه كيي: "حظ سيئ".

"هل هو حظُّ سيئ بالنسبة لك أم بالنسبة لي؟".

لم يرد أه كيي على السؤال، لأنه لم يفهمه، وفجأة ضحك مانرينج وهز رأسه وقال: "للأسف، فإن طبيعة هذا التعاقد هو ما يجعل حظك سيئاً؛ لأنك تضيع على نفسك كل الفرص في أن يكون حظك حسنًا. هذه طبيعة أي تعاقد. فالتعاقد يجب استيفاء بنوده، لا بُدَّ أن تفي بما وقَّعت عليه إن آجلاً أم عاجلاً. لقد قلتَ دائماً إن الرجل المحظوظ رجل قابِلَ الحظِّ الحَسَنَ مرةً، وبعدها تعلم أن يستثمر موارده. الحظ الحسن يحدث مرة واحدة ويحدث مُصادَفَةً. لكن العقود تحدث كثيراً، العقود، والاستثمارات، والالتزامات، والمعاملات الورقية، والتجارة. سأخبرك بشيء آخر أحب أن أقوله، إن أراد الرجل أن يحصل على فرصة جيدة ليصنع لنفسه ثروة فعلية ألا يوقَّع على أي ورقة لم يكتبها بنفسه. لقد فعلتُ ذلك يا چوني كيي. لم أوقَّع على أي تعاقد لم أكتبه بنفسي".

قال أه كيي: "حسن جداً".

حدَّق فيه مانرينج وقال: "لا أعتقد أنك ستكون غيباً بحيث تحاول أن ترتكب شيئاً غريباً من وراء ظهري. لقد راهنت ضدي مرتين من قبل. مرة على الأورورا، ومرة على أنا. أنا أعرف العدَّ".

قال أه كيي مرة أخرى: "حسن جداً".

ناولته مانرينج مستند التكليف وقال: "حسنًا، ستكون سعيداً بترك الأورورا، لا شك في هذا، ولست بحاجة لأن تقلق بشأن دريم أوف إنجلاند. فهو منجم حسن".

قال أه كيي بخبث: "ليس ناضباً؟".

قال مانرينج: "لا، ليس هذا المنجم، يمكنك أن تثق فيما أقوله لك بخصوص هذا المنجم، ستبلي فيه بلاء حسنًا. لقد تمَّ التنقيب به بحثًا عن القطع الذهبية بالطبع، لكن هناك الكثير من تراب الذهب في مخلفات التنقيب. وهذا شيء مثالي لرجل مثلك. فلديك عينان في

رأسك. لن تجني ثروة من العمل فيه يا چوني كيي، لكن ومَن
منكم معشر الصينيين يجني الثروات؟".
أوماً أه كيي.

قال مانرينج أخيراً: "عُدْ إلى كانير". وعاد إلى داخل المقهى.

الزهرة في برج الحوت

حيث يفقد القسُّ أعصابه، وتخسر الأرملة معركة.

قالت ليديا ويلز: "ومَن هذا؟ رجل من رجال الله؟".

وقفت في مدخل الحجرة بنصف ابتسامة على وجهها تشدُّ أطراف أصابعها واحدًا واحدًا لكي تخلع قفازيها. نظر كلُّ من أنا وديفلن لها برعب صامت، كما لو ضببطهما في فعل فاضح من أفعال الفسق والفحشاء، رغم أن أنا كانت لا تزال بجانب النافذة وكفُّها لا زالت تضغط على صدرها، وديفلن كان جالسًا على الأريكة قبل أن يقفز واقفًا ويحمرُّ وجهه بشكل رهيب.

قالت ليديا ويلز وهو تخلع قفازها عن يدها البيضاء بلون اللبن، وتضع فردة القفاز تحت إبطها حتى تخلع الفردة الثانية: "يا إلهي! يا لكما من زوج من الحملان!".

قال ديفلن بعد أن عثر أخيراً على لسانه: "صباح الخير يا سيدة ويلز. أنا كويل ديفلن قسُّ السجن الجديد الذي يتم تشييده في سي فيو".

قالت ليديا ويلز: "يا لها من مقدّمة ساحرة، ما الذي تفعله في غرفة الصالون الخاصة بي؟".

قال ديفلن: "كنا نتناقش في أمور دينية، ونتناول الشاي".

"يبدو أنك نسيت الشاي".

قالت آنا: "إنه لا يزال يُنقَع".

قالت ليديا ويلز بدون أن تنظر للصينية: "حقًا، حسنًا، في هذه الحالة فيني أكون قد وصلت مصادفة في الميعاد المناسب تمامًا! آنا، اذهبي وأحضري فنجانًا آخر. سوف أنضمُّ لكما. لديّ شغف كبير بالمناقشات الدينية".

أومأت آنا، ونظرت إلى ديفلن نظرة استعطاف. ثم حنت رأسها وغادرت الغرفة.

همس ديفلن بسرعة حينما ابتعدت خطوات آنا في الممر: "سيدة ويلز، هل تسمحين لي أن أسألك سؤالًا غريبًا جدًا بينما نحن بمفردنا؟".

ابتسمت له ليديا ويلز وقالت: "أنا أكسب عيشي بالإجابة عن الأسئلة الغريبة، وأنت من بين جميع الناس يجب أن تعلم أننا نكاد لا نكون أبدًا بمفردنا".

قال ديفلن وهو يحسُّ بعدم الارتياح: "نعم، حسنًا. إن سؤالِي هو: هل تستطيع الأنسة ويذريل القراءة؟".

رفعت ليديا ويلز حاجبيها، وردّت: "إن هذا بالفعل سؤال غريب جدًا، ليس غريبًا بسبب إجابته. أتساءل عن سبب طرحك له".

عادت أنا حاملة فنجائًا وطبقه، ووضعتَه بجانب الآخرين فوق الصينية.

قال ديفلن بهدوء: "ما هي إجابتك؟".

قالت ليديا ويلز بصوت رنان: أنا، أنت، قومي بدور الأم. تفضّل بالجلوس هنا أيها المحترم من فضلك. ها أنت ذا. كم هو لطيف أن نستضيف رجل دين لتناول الشاي! إنه أمر يجعل المرء يحسّ بالتهذب والرقى، أنا أريد بسكويتة، وسكّرًا أيضًا".

جلس ديفلن.

قالت الأرملة وهي تجلس: "على حدّ علمي فإن الإجابة على سؤالك ستكون بلا. والآن فياني أنا أيضًا لديّ سؤال غريب. إذا ما كذب رجل من رجال الدين، هل يعتبر كذبه من نوع مختلف؟".
بوغت الرجل وقال: "لست أرى داعيًا لمثل هذا السؤال".

قالت الأرملة: "أيها المحترم، أنت لا تلعب بنزاهة. لقد أجبتُ عن سؤالك بدون أن أطلب أن تخبرني عن الداعي له، هلّا عاملتني بالمثل؟".

قالت أنا وهي تتظاهر باللامبالاة: "ماذا كان سؤاله؟"، لكن تمّ تجاهلها تمامًا.

استمرت الأرملة، "هل هو نوع مختلف من الكذب؟ إذا ما كان الكاذب رجلًا من رجال الله؟".

تنهّد ديفلن وقال: "سوف يُعتبر نوعًا مختلفًا من الكذب فقط، في حالة أن رجل الدين يستغل سلطته الدينية في أغراض سيئة. أما إذا ما كانت كذبه خارج سلطته الدينية ولا تتعلّق بها، فلن يكون هناك أي اختلاف. نحن نقف على قدم المساواة أمام الله".

قالت الأرملة: "أها. أشكرك. والآن فقد قلت لي منذ برهة إنك كنت تتحدث في أمور دينية أيها المحترم. هل لك أن تُشركني في المناقشة؟".

احمرَّ وجه ديفلن وفتح فمه ثم ارتبك، فلم يكن لديه موضوع جاهز.

هبت أنا لمساعدته، وقالت: "حين عدتُ لوعيي في السجن وجدت المحترم ديفلن هناك. وقد صُلّي من أجلي، وظل يصلي من أجلي منذ ذلك الوقت".

قالت الأرملة وهي لا تزال توجّه حديثها إلى ديفلن: "إذن فقد كنتما تتحدثان عن الصلاة".

استعاد القس سيطرته على نفسه وقال: "الصلاة موضوع من الموضوعات التي كنا نناقشها، ناقشنا أيضاً تدابير العناية الإلهية والعطايا غير المتوقعة".

قالت ليديا ويلز: "رائع، وهل من عادتك أيها المحترم أن تذهب إلى الشابات الصغيرات حين يكون الأوصياء عليهن منشغلين عنهن، حتى تتمكّن من مناقشة الأمور الدينية معهنّ بدون حضور مرافق؟".

أحسّ ديفلن بالإهانة من هذا الاتهام، فقال: "من المبالغة أن نَصِفَكَ بالوصيّة على الأنسة ويذريل. لقد عاشت بمفردها لشهور طويلة قبل وصولك إلى هوكتيكا. ما هو الداعي لاحتياجها المفاجئ لوصيّ عليها؟".

قالت ليديا ويلز: "يوجد داعٍ مهم للغاية إذا ما أخذنا في الاعتبار كمّ الاستغلال الذي تعرّضت له في هذه المدينة".

"تدهشني الكلمة التي استخدمتها يا سيّدة ويلز. هل تقصدين أن تقولي إنها لا يتمّ استغلالها في الوقت الحالي؟".

بدا على ليديا ويلز أنها قد تجمّدت، وقالت ببرود: "ألا تعتبر أنها نعمة أن هذه الشابة لم تُعَد تعرض جسدها كبضاعة كل ليلة، مُعرّضة نفسها لجميع أنواع العنف، ومُعرّضةً مخّها لصدمة يومية بتعاطي مخدر حقيق. هل افترض أنك ترغب أن تعود هذه الفتاة إلى حياتها القديمة مرة أخرى".

قال ديفلن وقد اشتعل غضبه: "لا تُقدّمي افتراضات بالنيابة عني. هذه بلاغة رخيصة. هذا ليس سوى تنمّر، وأنا لا أَدافع عن المتنمّرين، ولا أقف في صفّهم".

قالت ليديا ويلز: "أنا مذهولة من اتهامك لي. ما هو التصرف الذي صدر عني من قبيل التّنمّر؟".

"الفتاة لا تتمتع بأي حرية، بحق السماء! لقد أتت إلى هنا رغماً عن إرادتها، وأنتِ تقيدين حريتها لدرجة رهيبة".

قالت ليديا ويلز وهي لا تزال توجّه كلامها لديفلن: "آنا. هل أتيتِ إلى الواي فيرر فورتنشن رغماً عن إرادتك؟".

قالت آنا: "لا يا سيدتي".

"لِمَ أتيتِ وأقمتِ هنا؟".

"لأنك قدّمتِ لي عَرَضاً وأنا قبلته".

"وماذا كان عرضي لك؟".

"عرّضتِ أن تُسدّدي المبلغ الذي أدين به للسيد كلينش مُقدّماً، وقلتِ لي إنني أستطيع أن أعيش معك كرفيقة لك طالما أساعدك في أمور العمل".

"هل أوفيتُ بالتزاماتي في هذا الاتفاق؟".

قالت آنا بتعاسة: "نعم يا سيدتي".

قالت الأرملة، التي لم ترفع عينيها عن عيني ديفلن، ولم تلمس فنجان الشاي الخاص بها: "شكرًا لك. أمّا بالنسبة لهامش الحرية المتاح لآنا، فأنا أتعجب من أنك تعترض على حياة قوامها الزهد والفضيلة لصالح ما تطلق عليه اسم حريات، حريات للقيام بماذا بالضبط؟ حرية لكي تصادق هؤلاء الذين أهانوها وأسأؤوا معاملتها واستغلوها؟ حرية لكي تدخن حتى تفقد الوعي في صالون رجل صيني؟".

لم يستطع ديفلن أن يقاوم رغبته في الرد عليها وقال: "لكن لِمَ قَدِّمْتِ لها عَرَضًا يا سيدة ويلز؟ لِمَ عَرَضْتِ عليها أن تسددي دَيْنَها؟".
"انطلاقًا من اهتمامي بمصلحة الفتاة بالطبع".

قال ديفلن: "كلام فارغ".

قالت ليديا ويلز: "عذرًا. لكنني أهتم كثيرًا بمصلحة آنا".

"انظري إليها! إن الفتاة المسكينة أصبحت في نصف الحجم الذي كانت عليه منذ شهر مضى، لا يمكن إنكار هذا. إنها تتضور جوعًا. أنتِ تتركينها تتضور جوعًا".

قالت ليديا ويلز وهي تقذف باسم الفتاة من بين شفتيها: "آنا. هل أتركك تتضورين جوعًا؟".

قالت آنا: "لا".

"في رأيك أنتِ الشخصي، هل تتضورين جوعًا".

قالت آنا مرة أخرى: "لا".

قال ديفلن، ممتلئًا بالغضب: "دَعِكِ من التمثيليات. أنت لا تحملين مقدار دَرَّةٍ من الاهتمام الحقيقي بمصلحة الفتاة. أنتِ تحملين لها مقدار الاهتمام الذي تحمليه لأي شخص آخر، وممّا سمعته عنك فأنا متأكد من أن هذا المقدار ضئيلٌ بشكل لا يكاد يُلحَظ".

قالت ليديا ويلز: "اتهام بشع آخر. ويأتي من قسّ مسؤول عن سجن. أعتقد أنه يجب عليّ أن أحاول وأبرئ نفسي. أنا، أخيري الموقّر الطيب هنا ما فعلته حين كنّا في ديوندين".

وساد الصمت للحظة. ونظر ديفلن ناحية أنا وقد بدأت ثقته تهتزّ.

قالت ليديا ويلز مرة أخرى: "أخبريه ماذا فعلت".

قالت أنا: "ارتكبت خطيئة في منزلك".

"ماذا تقصدين بالتحديد؟ أخبريه بما فعلته بالضبط".

"رقدت مع زوجك".

قالت ليديا ويلز: "نعم. أغريت زوجي السيد ويلز. والآن أخيري المحترم الطيب، ما الذي فعلته لك أنا كانتقام منك؟".

قالت أنا: "بعثت بي إلى هوكتيكا".

"وماذا كانت حالتك؟".

"كنت أحمل طفلاً".

"طفل من، من فضلك؟".

همست أنا: "كان طفل زوجك، كان طفل كروسبي".

صُعق ديفلن.

قالت الأرملة وهي تومئ: "إذن فقد أبعدتْك. هل لا زلتِ أنا اعتبر أن تصرفي معك كان تصرفاً صحيحاً؟".

قالت أنا: "لا، لقد ندمت. لقد طلبت مني أن أسامحك أكثر من مرة".

قالت السيدة ويلز وهي تتصنّع الاندهاش: "هل أنب متأكّدة تمامًا؟ لأنه تبعًا لما يقوله المحترم الطيب فيني لا أهتم على الإطلاق

مكتبة

t.me/soramnqraa

بمصلحة الآخرين، ومن المفترض أنني أهتم بشكل أقل بمصلحة مَنْ لعبن دور الفاتنات تحت سقف بيتي! أيها المحترم، هل أنت متأكد من أنه يحقُّ لي أن أطلب أن تسامحني؟".

رفع ديفلن يده وقال: "يكفي هذا. يكفي هذا".

قالت آنا: "إنها الحقيقة. لقد طلبت مني بالفعل أن أسامحها".

"يكفي هذا".

قالت الأرملة وهي ترفع فنجان الشاي الخاص بها أخيراً: "والآن، وبعد أن أهنّت نزاهتي بكل الطرق التي يمكن أن أتخيّلها، هل تمنع أن تخبرني بدون كذب هذه المرة ما الذي تفعله في صالوني؟".

قال ديفلن: "أقوم بتوصيل رسالة خاصة للآنسة ويذريل".

التفتت الأرملة إلى آنا: "ما هي الرسالة؟".

ردّ ديفلن بسرعة: "لست مضطراً أن تخبريها. أنت لست مضطرة أن تخبريها إن لم تكوني تريدين ذلك. أنت لست مضطرة أن تخبريها بكلمة واحدة".

قالت ليديا ويلز بنبرة مخيفة: "آنا. ما هي الرسالة؟".

قالت آنا: "لقد أراني المحترم وثيقة بموجبها تصبح نصف الثروة التي وجدوها في كوخ كروسبي ملكي".

قالت ليديا ويلز: "حقاً". ورغم أنها تحدّثت بهرود إلا أنه حُيِّل لديفلن أنه رأى لمحة من الخوف في عينيها. واستمرت في الحديث: "ومَنْ يملك النصف الآخر؟".

قالت آنا: "السيد إيميري ستينز".

"أين هذا المستند؟".

قالت آنا: "لقد خبّأته".

انفجرت ليديا غاضبة: "حسنًا، اذهبي وأحضريه".

قال ديفلن بسرعة: "لا، لا تفعلي هذا".

قالت أنا التي لم ترفع يدها لتلمس الجزء الأعلى من ثوبها: "لن أفعل".

قالت ليديا: "ربما عليكم أنتما الاثنان أن تكونا مهذبَيْن بشكل كافٍ بحيث يخبرني كل منكما بالحقيقة كاملة".

قال ديفلن قبل أن تتاح لآنا الفرصة للكلام: "ليس هذا بالإمكان للأسف. هذه المعلومات في حقيقة الأمر تتعلق بجريمة لا زالت قيد التحقيق. وتتعلّق في إحدى جوانبها بابتزاز تعرّض له السيد أليستار لودرباك".

قالت ليديا ويلز: "معذرة؟".

قالت أنا: "ماذا؟".

قال ديفلن وهو يلاحظ بمنتهى الرضا أن وجه الأرملة صار شاحبًا جدًّا: "للأسف، لن أستطيع التصريح بأكثر من هذا. أنا، إن كنتِ تودّين الذهاب إلى المحكمة مباشرة، سوف أصحبك إلى هناك بنفسي".

قالت أنا وهي تحدّق فيه: "أحقًا ستفعل ذلك؟".

قالت ليديا ويلز: "وماذا بحق السماء تظنين أنك فاعلة في المحكمة؟".

قالت أنا: "أطلب الاستشارة القانونية، كحقّ من حقوقي المدنية".

نظرت السيدة ويلز لآنا نظرة رهيبة ثبّتتها في مكانها، وقالت بعد برهة بصوت هادئ: "أرى أن هذه طريقة سيئة لردّ الجميل الذي أسديته إليك".

ذهبت أنا إلى ديفلن وأمسكت بذراعه وقالت: "سيدة ويلز، الذي أودّ أن أردّه ليس جميلك".

المشتري في برج الجدي

وفيه يصاب أوبرت چاسكوين بالدهشة، ويتخلى كويل ديفلن عن مسؤوليته، وترتكب أنا ويذريل خطأ.

محكمة هوكتيكا، التي هي مكان انعقاد محكمة ريزيدنت الابتدائية، كانت عبارة عن مشهد مليء بالنشاط والحيوية، لكن المظهر العام للمكان بسيط للغاية؛ فقاعة المحكمة تمَّ تحديد حدودها بالحبال كأنها ساحة لجَزْ صوف الخراف، والموظفون الرسميون يجلسون خلف صفٍّ من المكاتب يحتمون بها من حشود الجماهير الطاحنة، وعند انعقاد المحكمة تُصَفُّ هذه المكاتب بحيث تُشكِّل سداً ما بين أعضاء المحكمة والجماهير، الذين يتحتم عليهم أن يظلوا واقفين. مقعد القاضي الابتدائي الخالي في هذه اللحظة عبارة عن مقعد بمساند للأذرع موضوع فوق منصّة، وقد تمَّت تغطيته بجلد

الخراف لإضفاء المزيد من الهيبة عليه. وبجانب الكرسي يوجد عَلمٌ ضخم للمملكة المتحدة مثبت على سارية أقصر من الطول المناسب لعَلمٍ يمثل هذا الحجم، فاستقرَّ طرف العلم على الأرض المغطاة بالتراب، وقد فُكّر أحد أصحاب العقول اللامعة في وضع برميل نبيد فارغ تحت قاعدة سارية العَلم، وقد أدَّت هذه التفصيلة الصغيرة في التقليل من الأثر المرغوب من العلم، وليس إلى تحسينه.

كان صباحًا مليئًا بالعمل في محكمة الجench. فالتماس السيدة ويلز ببطلان بيع ممتلكات كروسبي ويلز قد تمَّ قبوله أخيرًا، وهذا يعني أن ثروة ويلز المودَّعة في البنك المركزي سيتم تسليمها لخزنة القاضي الابتدائي. أمَّا عمولة هارالد نيلسن البالغ قيمتها أربعمئة جنيه فلم يتمَّ إلغاؤها لسببين؛ الأول هو أنها تمثِّل أجره القانوني مقابل خدمة تمَّ تقديمها على أكمل وجه، والسبب الثاني لأن العمولة تمَّ التبرع بها بالكامل للمساعدة في تشييد السجن الجديد في سي فيو. وقد أعلن القاضي أنه من المستبعد أن يتم إلغاء تبرع للأعمال الخيرية، خاصَّة وأن المبلغ محل التبرع هنا مبلغ ضخم وعمل من أعمال الإيثار، وقد أطرى القاضي غيابيًا على نيلسن لكرمه وإحسانه.

ولا يزال هناك العديد من المصاريف القانونية التي يجب احتسابها، ومعظمها لحساب الساعات العديدة التي قضاهها مكتب القاضي الابتدائي في محاولة العثور على شهادة ميلاد المرحوم ويلز. وسوف يتم اقتطاع هذه المصاريف من ميراث السيدة ويلز الذي بلغ إجماليه، بعد خصم الضرائب والرسوم والمصاريف القانونية، ما يزيد عن الثلاثة آلاف وخمسمئة جنيه، تُدفع للسيدة ويلز بمجرد نقل الثروة من حساب البنك المركزي، وبأي شكل نقدي ترغب فيه. وماذا كان رد فعل السيدة ويلز حين علمت بالأمر؟ لم تقل أي شيء، لكنها منحت أوبرت چاسكوين ابتسامةً عريضةً جدًّا حين كانت تغادر المحكمة، وقد رأى عينيها تلمعان.

"چاسكوين!".

كان چاسكوين واقفًا يحدّق في اللا شيء. فرمش بعينيه وقال: "نعم؟".

وقف بورك زميله في العمل في مدخل الباب وفي يده مظروف منتفخ، وقال: "چيمي شو يقول إنك موهوب في أمور التأمين البحري". قال چاسكوين: "هذا صحيح".

"هل تمانع في أن تتولى مَهْمَةٌ أخرى؟ لقد أتت هذه المهمة حالًا".

قطّب چاسكوين حين رأى المظروف، "ما نوع هذه المهمة؟".

قال زميله وهو يناوله المظروف: "خطاب من السيد چون هينشر جاريتي بخصوص إحدى السفن التي تحطمت على الحاجز القاري. السفينة تُدعى جودسبيد".

مدّ چاسكوين يده وقال: "سوف ألقى نظرة عليها".

"يا لك من رجل طيب!".

كان المظروف مختومًا بختم بريد ويلنجتون، ومفتوحًا. فتحه چاسكوين وجذب محتوياته. المستند الأول كان خطابًا موجزًا من چون هينشر جاريتي عضو البرلمان عن دائرة هيثكوت الانتخابية في كانتربري. وفيه يفوّض الرجل ممثلًا عنه من محكمة هوكتيكا في سحب مبلغ نقدي من الحساب الخاص بمجموعة جاريتي الموجود في بنك نيوزلندا. وقال إنه على ثقة بأن المستندات المتضمنة مع الخطاب ستوضّح جوانب الأمر بشكل كافٍ، وقام بشكر المفوّض عنه مقدّمًا على مجهوداته. وضع چاسكوين هذا الخطاب جانبًا والتفت إلى المستند التالي. كان أيضًا خطابًا مُرسَلًا إلى مجموعة جاريتي.

السادة الأفاضل

أكتب إليكم لأعلمكم بالحادث الأليم لغرق السفينة جودسبيد فوق الحاجز القاري الغادر لهوكتيكا، لقد كنت إلى وقت قريب المدير التشغيلي للسفينة. مالك السفينة السيد كروسبي ويلز قد توفي حديثاً، وأنا أقوم بتسوية أمور السفينة كممثّل عنه. أعلم أنه بشارته لجودسبيد فإن السيد كروسبي ويلز قد انتقلت له جميع الاتفاقيات الخاصة بالسفينة من مالكةا السابق السيد أليستار لودرباك العضو في مجموعة جاريتي، ولهذا، وحيث إن جودسبيد مغطاة باتفاق للحماية والتعويض عن المخاطر؛ فأنا الآن أسعى لسحب كل النقود التي وضعها السيد لودرباك لهذا الغرض من أجل تسهيل إزالة الحطام. وقد أرفقت مع خطابي هذا سجلاً بكل المصاريف، وعقود البيع، والإيصالات، والحصص، والمخزون، وغيره، وأبقى دائماً

المخلص

فرانسيس كارفر

قطّب جاسكوين. ما الذي يعنيه كارفر بهذا؟ كروسبي ويلز بكل تأكيد لم يشترِ جودسبيد، لقد اشترى كارفر السفينة بنفسه منتحلاً اسم العائلة ويلز. تصفّح جاسكوين بقية الأوراق، والتي أرفقها كارفر إلى السيد جاريتي كإثبات لأحقية مطالبته. ألقى نظرة على تقييم مدير الميناء للحطام، وميزانية بكل الديون التي تراكمت على حادث الغرق، والعديد والعديد من الإيصالات والشهادات، حتى وجد في نهاية الكومة نسخة، وغالباً هي نسخة كارفر الخاصة من عقد بيع

جودسبيد. تناول چاسكوين هذا المستند ونظر بتمعُّن إلى التوقيع. كان التوقيع باسم فرانسيس ويلز! ما الذي يهدف إليه كارفر؟ وبعد أن نظر في التوقيع لفترة أطول، استنتج چاسكوين أن اللَّفَّة الطويلة على جانب حرف الفاء يمكن أن تُفهم أنها حرف الكاف، نعم، حتى إن هناك نقطة من الحبر موضوعة بالصدفة بين الكاف والفاء. وكلما أنعم چاسكوين النظر كلما قلَّ الالتباس، لا بُدَّ أن كارفر وقَّع اسمه بهذه الطريقة وهو يفكر في استخدام التوقيع مستقبلاً، هزَّ چاسكوين رأسه، ثم بعد فترة، ضحك بصوت عالٍ.

رفع بورك بصره وقال: "ما الذي دغدغك؟".

قال چاسكوين: "أوه، أمر بلا أهمية".

قال بورك: "لقد ضحكت الآن. ما النكتة؟".

قال چاسكوين: "ليس هناك نكتة. كنتُ أعبرُ عن إعجابي، هذا كل ما في الأمر".

"إعجابك؟ بماذا؟".

قال چاسكوين: "بأمر مصنوع بمهارة". وأعاد الأوراق إلى داخل المظروف ووقف وهو ينتوي أن يأخذ خطاب التفويض الخاص بچون هينشر جاريتي إلى البنك فوراً، لكن فور وقوفه انفتح باب المدخل الأمامي ودخل منه أليستار لودرباك ودخل في إثره چوك وأوجستوس سميث.

قال لودرباك وهو ينظر إلى الخطاب الذي في يد چاسكوين: "آه، إذن فقد حضرت في الوقت المناسب. نعم، لقد تلقَّيتُ رسالة من جاريتي نفسه هذا الصباح. لقد حدث خلط وقد جئت لأوضح الأمور".

قال چاسكوين بجفاف: "السيد لودرباك على ما أظن".

قال لودرباك: "أودُّ أن أقابل القاضي على انفراد، إن الأمر عاجل".

"القاضي يتناول غداءه حاليًّا".

"أين يتناول غداءه؟".

قال چاسكوين: "للأسف فيني لا أعلم. لكن الجلسات المسائية تبدأ في الثانية ظهرًا، يمكنك أن تنتظره على الرحب والسعة. أستأذنكم أيها السادة".

قال لودرباك حين انحنى چاسكوين واستعدَّ للمغادرة: "انتظر، أين تظن نفسك ذاهبًا بهذا الخطاب؟".

قال چاسكوين، الذي لم يكن يطيق مثل هذه الوقاحة المستندة إلى السُّلطة، والتي أظهرها لودرباك في هذا الموقف: "إلى البنك، لقد أنابني السيد جاريتي لتيسير أحد الأمور المالية بالنيابة عنه. أستأذنك في الانصراف".

وأخذ طريقه للخروج.

قال لودرباك: "انتظر لحظة، انتظر. لقد أتيت لمقابلة القاضي لنفس هذا الشأن الذي أنتَ بصدد التصدي له، لن تذهب إلى البنك قبل أن أوضح ما جئت لتوضيحه".

حدَّق چاسكوين فيه ببرود، وبدا أن لودرباك أدرك أنه بدأ حديثه بداية غير موفقة، فقال: "هل يمكن أن تستمتع لما أودُّ أن أقوله؟ ما اسمك؟".

"چاسكوين".

"چاسكوين؟ أظن أنك رجل فرنسي".

مدَّ لودرباك يده، وصافحه چاسكوين.

قال لودرباك: "سأتحدث إليك إذن. إذا لم أستطع أن أجد القاضي".

قال چاسكوين، وهو لا يزال يتحدث بلا أي ود: "أتصور أنك تفضل أن تتحدث إليّ على انفراد".

قال لودرباك ملتفتًا لمساعديه: "نعم، حسنًا. انتظرًا هنا، سوف أتغيب لعشر دقائق".

قاده چاسكوين إلى مكتب القاضي وأغلق الباب خلفه. وجلسا على المقاعد الخشبية من طراز ويندسور الموضوعة أمام مكتب القاضي.

قال لودرباك على الفور حين جلس: "حسنًا يا سيد چاسكوين، ها هو ملخص الأمر. إن هذا الأمر برُمته مجرد فخ. أنا لم أبع جودسبيد أبدًا إلى رجل يُدعى كروسبي ويلز. لقد بعثها إلى رجل قال لي إن اسمه هو فرانسيس ويلز. لكن هذا الاسم اتضح أنه مجرد اسم مُزور، لم أعلم بهذا في وقته. إن هذا الرجل الذي يدعى فرانسيس كارفر هو مَنْ انتحل هذا الاسم، انتحل اسم فرانسيس ويلز، وقد بعث له السفينة بهذا الاسم. لقد احتفظ باسمه الأول وغير اسم عائلته. ما أود أن أقوله هو أنه قد وقّع عقد البيع باسم مُزور، وهذا يخالف القانون".

قال چاسكوين وهو يدّعي الارتباك: "دعني أرى إن كنت قد فهمت ما قلته بشكل صحيح. إن فرانسيس كارفر يدّعي أن رجلًا يُدعى كروسبي ويلز قد اشترى جودسبيد، وأنت تدّعي أن هذه مجرد كذبة".

قال لودرباك: "إنها كذبة، إنه مجرد تلفيق تام. لقد بعث السفينة إلى رجل يدعى فرانسيس ويلز".

"وهو ليس له وجود".

قال لودرباك: "إنه اسم مُزور. إن اسمه الحقيقي هو كارفر. لكنه أخبرني أن اسمه هو ويلز".

أوضح چاسكوين، "فرانسييس ويلز، واسم كروسبي ويلز الأوسط هو فرانسييس، وكروسبي ويلز لا وجود له. إذن فرمّا أنت مخطئ بشأن هوية المشتري؛ فإن الفارق بين فرانسييس ويلز وكاف فرانسييس ويلز ليس كبيراً حسبما أرى".

قال لودرباك: "ما شأن هذه الكاف التي تخبرني بها؟".

قال چاسكوين: "لقد فحّصت نسخة عقد البيع التي تمّ إرفاقها في المظروف. لقد كانت موقّعة بـ 'كاف فرانسييس ويلز'".

"بالتأكيد لم تكن موقّعة بهذه الطريقة".

قال چاسكوين: "للأسف، فإنها موقّعة بهذه الطريقة".

قال لودرباك: "إذن فقد تمّ تعديلها. لقد تمّ تعديلها بعد التوقيع".

فتح چاسكوين المظروف الذي يحمله وأخرج منه عقد البيع وقال: "عند النظر إليه لأول مرة ستقرأ التوقيع فرانسييس ويلز. لكن حين قرّبت وجهي منه رأيت الحرف الآخر مشبوكاً في حرف الفاء".

نظر لودرباك إلى المستند، وقطّب، ثم قرّب وجهه منه، ثم انتشر اللون الأحمر القاني على وجنتيه ورقبته. وقال: "مشبوك أو غير مشبوك، بحرف الكاف أو بدون الكاف، هذا العَقْدُ قد وقّعه الملعون سيئ السمعة فرانسييس كارفر. لقد رأيتَه يوقّعه بعينيّ الاثنين".

"هل هناك شهود على التوقيع؟".

لم يجب لودرباك.

"إذا لم يكن هناك شهود على التوقيع، سيكون الأمر لكلمتك في مقابل كلمته يا سيد لودرباك".

"سيكون الأمر للحقيقة في مقابل كذبة".

لم يجب چاسكوين عن هذا. أعاد العقد إلى المظروف وفرد أطرافه فوق ركبته.

قال لودرباك: "إنه فخٌ. سوف أقاضيه في المحكمة، سوف أسلخه".
"بأي تهمة؟".

قال لودرباك: "بتهمة الادعاءات الزائفة بالطبع. وانتحال الشخصية. والتزوير".

"أخشى أن الدليل قد يكون ضدك وليس في صالحك".
"أوه، أتخشى من ذلك فعلاً؟".

قال چاسكوين وهو يفرد أطراف المظروف مرة أخرى: "ليس هناك دليل للاستناد عليه عند التشكيك في هذا التوقيع؛ لأنه ليس هناك أي مستند آخر يحمل توقيع السيد كروسبي ويلز، سواء مستند رسمي أو غير رسمي، للاستناد عليه كدليل على تزوير التوقيع".

فتح لودرباك فمه كأنه على وشك أن يقول شيئاً، لكنه أغلق فمه مرة أخرى وهو يهزُّ رأسه وقال: "كان فخاً، لقد كان فخاً من البداية للنهاية".

"لِمَ قد تظنُّ أن السيد كارفر قد احتاج إلى اسمٍ مُزيّف عند التعامل معك؟".

كانت إجابة الرجل السياسي مدهشة، فقد قال: "لقد قمتُ ببعض التحريات حول كارفر. لقد كان والده رجلاً له مكانة مرموقة في إحدى الشركات التجارية البريطانية، شركة دنت وشركاه. ربما تكون قد سمعتَ عنه. كان يُدعى ويليام روكفورد كارفر، ألم تسمع به؟ حسناً، على أي حال، ففي وقتٍ ما من بداية الخمسينيات منح ابنه سفينة شراعية تُدعى بالمرستن، وقد بدأ الابن في العمل في تجارة البضائع الصينية من وإلى كانتون في الصين لحساب شركة دنت وشركاه. كارفر

كان شابًا صغير السن، مُدَلَّلًا، وقد أصبح فجأة قبطانًا لسفينة في هذه السن الصغيرة. حسنًا، إليك ما اكتشفته. في ربيع عام 1854 تمّ تفتيش بالمرستن عند إقلاعها من ميناء سيدني، وهو تفتيش روتيني بحث، وقد أسفر التفتيش عن إدانة كارفر بعدة مخالفات قانونية: التهرب الجمركي، والعجز عن تقديم تفسير منطقي، والعديد والعديد من الجنح الصغيرة. كلُّ منها بمفرده تافه لدرجة أن القاضي غالبًا ما يتجاهلها أو يغضُّ عنها النظر، لكن توجيه كل هذه المخالفات مرة واحدة، وتكديسها فوق بعضها بتلك الطريقة، جعل تطبيق القانون أمرًا حتمياً. فتم الحكم عليه بعشر سنوات من السجن مع الأشغال الشاقة في سجن كوكاتو. وهي فضيحة كبيرة. فجُنَّ جنون الوالد. فاستردَّ السفينة، وحرّم الفتى من الميراث، وكلمسةٍ أخيرة منه، حرص على تلويث سُمعته على كل مركب وكل حوض سفن في جنوب المحيط الهادي. وحين خرج فرانسيس كارفر من السجن، كانت سُمعته ليست أفضل كثيراً من سمعة كابتن كيد القرصان، على الأقل في الدوائر البحرية. وبهذه السمعة لن يأتّمه مالك سفن ويؤجّر له سفينة، ولن يقبل به أي طاقم بحري".

"وهكذا فقد انتحل لنفسه اسمًا مستعارًا".

قال لودرباك وهو يعتدل في مقعده: "بالضبط".

قال چاسكوين بطريقة عادية: "أودُّ أن أعلم لماذا لُقّب نفسه بلقب مستعار معك أنت فقط. فهو لا يبدو أنه استخدم اسم ويلز في أي سياق آخر فيما عدا الوقت الذي اشترى فيه السفينة. لقد قدّم نفسه لي على سبيل المثال باسم السيد فرانسيس كارفر".

حدّق فيه لودرباك وقال: "من المؤكد أنك قرأت الجرائد. لا تدعني أتحدث في الأمر. لقد اعتذرت علنًا، ولن أعتذر مرة أخرى".

أحنى چاسكوين رأسه وقال: "آه. كارفر انتحل اسم فرانسيس ويلز من أجل أن يستغل علاقتك السابقة بالسيدة ويلز".

قال لودرباك: "نعم. لقد أخبرني أنه شقيق كروسبي. وأنه يأخذ بثأر كروسبي نيابة عنه لأني جعلت من زوجته امرأة سيئة. لقد هددني، وقد نال ما أرادته".

قال چاسكوين: "فهمت". وتعجب لماذا لم يفسر لودرباك الأمر بهذه الطريقة المنطقية لتوماس بالفور منذ شهرين مضيا.

قال لودرباك: "اسمعني. أنا صريح معك يا سيد چاسكوين، وأنا أقول لك إن القانون في صفّي. إن انشقاق كارفر عن والده أمرٌ معروف. كان لديه ألف سبب يدعو لتغيير اسمه. أستطيع أن أطلب الأب ليشهد معي، إذا ما احتجت لذلك. ماذا سيكون رأي كارفر في هذا؟".

"أتصور أنه لن يكون سعيدًا بهذا".

صاح لودرباك: "لن يكون سعيدًا بالمرة".

تضايق چاسكوين من صياح لودرباك، وقال: "حسنًا، أتمنى لك التوفيق يا سيد لودرباك في تقديم السيد كارفر للعدالة".

انفجر لودرباك غاضبًا، "دعك من العبارات المبتذلة. كلّمني بصراحة".

قال چاسكوين وهو يهز كتفيه: "كما تحب. أنت تعلم بدون حتى أن أخبرك أن إثبات وجود الدافع ليس دليلًا. وأنه لا يمكن إدانة الرجل بإثبات أنه لديه سببًا قويًا لاقتراف الجريمة محل التحقيق".

غضب لودرباك، "هل تُشكك فيما أقوله؟".

قال چاسكوين: "بالطبع لا".

"أنت تظن أن قضيتي ضعيفة. أنت تظن أنني ليس لدي ما أستند عليه".
قال چاسكوين: "نعم، أعتقد أنه سيكون من غير المحمود أن
تذهب بهذا الأمر إلى المحكمة. أعتذر لحديثي بهذا الشكل المباشر.
وبالطبع أنا متعاطف معك في مشكلتك".

لكن چاسكوين لم يحسّ بأي تعاطف من أي نوع تجاه أليستار
لودرباك. فهو يحتفظ بهذا الشعور لمن هم أقل حظاً منه هو نفسه،
ورغم أنه يمكن أن يقول إن موقف لودرباك الحالي جدير بالثناء، فقد
اعتبر أن ثروة الرجل السياسي ورفعة مقامه يمكنهما التهوين بشكل
كبير من أي متاعب يواجهها في الوقت الحالي. وفي الواقع، فإن المعاناة
من بعض الظلم ربما يكون مفيداً للودرباك. ربما يجعل منه رجل
سياسة أفضل. هكذا فكّر چاسكوين، الذي هو، على الأقل في طريقه
حكمه على الأشياء، طاغية مستبد.

قال لودرباك: "سأنتظر القاضي، سوف ينظر لهذا الأمر بعين العقل".

وضع چاسكوين المظروف في جيبه بجانب سجائره وقال: "لقد
فهمت أن كارفر يحاول الآن أن يسحب نقوداً من حساب اتفاق
الحماية والتعويض الذي أبرمته، حتى يدفع الديون التي تراكمت
عليه أثناء تصرفه في حطام السفينة".

"هذا صحيح".

"وأنت تود أن تمنعه من الحصول على هذه الأموال".

"هذا أيضاً صحيح".

"على أي أساس؟".

استحال لون لودرباك أحمر قانياً وصاح: "على أي أساس؟ لقد
غشّني الرجل يا سيد چاسكوين، لقد خطّط لهذا الأمر منذ البداية.

ستكون أحمقاً إن ظننتَ أني سأقف مكتوف الأيدي وأقبل بهذا، هل هذا ما تنصحنى به؟ أن أقبل بالأمر؟".

قال چاسكوين: "سيد لودرباك، أنا لا أدّعي أني أستطيع تقديم نصيحة من أي نوع لك. كل ما أودُّ الإشارة إليه هو أنه في كل ما حدث لك فالأمر لا يبدو كخرق للقانون. وفي خطابه الموجه للسيد جاريتي فإن السيد كارفر أوضح أنه يتصرف بالنيابة عن السيد ويلز، لأن السيد ويلز كما تعلم قد مات. والظاهر للجميع هو أن كارفر يتصرف بشكل خيّر ويحسم الأمور بالنيابة عن مالك السفينة؛ لأن مالك السفينة لا يستطيع أن يحسم الأمور بنفسه. وأنا لا أرى أنك تملك أي دليل يثبت عكس هذا".

انفجر لودرباك، "لكن هذا ليس حقيقياً. كروسبي ويلز لم يشترِ هذه السفينة أبداً. لقد وقّع فرانسيس كارفر هذا العقد الملعون مستعيراً اسم رجل آخر. إنها ببساطة ووضوح عملية تزوير".

قال چاسكوين: "أخشى أنه سيكون من الصعب عليك أن تثبت هذا".
قال لودرباك: "لماذا؟".

قال چاسكوين: "لأنه -وكما أخبرتك بالفعل- ليس هناك أي مستند يحوي توقيع كروسبي ويلز الحقيقي. لم يكن هناك أي أوراق من أي نوع في كوخه، وشهادة ميلاده وحقوق التنقيب الخاصة به لم يتم العثور عليها".

فتح لودرباك فمه ليرد، ومرة أخرى بدا عليه أنه غير رآيه.

قال چاسكوين فجأة: "أوه، لقد خطرت لي فكرة".

قال لودرباك: "ماذا؟".

قال چاسكوين: "شهادة زواجه. لا بُدَّ من أنها تحمل توقيعَه، أليس كذلك؟".

قال لودرباك: "آه، نعم".

"لكن لا". قالها چاسكوين مُغيّرًا رأيه، "لن يكون هذا كافيًا، لإثبات تزوير توقيع رجل ميت لا بُدَّ من تقديم أكثر من نموذج واحد لتوقيعه".

قال لودرباك: "كم نموذجًا سنحتاج؟".

هزَّ چاسكوين كتفيه وقال: "أنا لست خبيرًا في القانون. لكنني أتصوّر أنك قد تحتاج عدّة نماذج من توقيعه الحقيقي حتى تتمكّن من إثبات الاختلافات في التوقيع المزور".
ردّد لودرباك، "عدّة نماذج".

قال چاسكوين وهو ينهض: "حسنًا، أتمنى من أجل خاطرك أن تعثر على حل يا سيد لودرباك، لكن في الوقت الراهن أخشى أي مضطّرّ بحكم القانون أن أنفّذ تعليمات السيد جاريتي وأذهب بهذه الأوراق إلى البنك".



عند مغادرته للوايفير فورتشن لم يصطحب القسُّ أنا إلى المحكمة مباشرة. بل أخذها إلى فندق جاريكس هيد حيث طلب لها قطعة من فطيرة السمك التي تقدمها قاعة الطعام دائمًا باعتبارها الطبق المفضل وقت الغداء، وكوبًا من عصير الليمون المحلى بالسكر. وقد دعا أنا للجلوس ووضع طبق الطعام أمامها وترجّأها أن تأكل، وقد أطاعته وأكلت في صمت. وبمجرد أن أتت على طبقها، دفع المشروب المحلى بالسكر عبر الطاولة ناحيتها وقال:

"أين السيد ستينز؟".

لم يبدُ على آنا الاندهاش من السؤال. التقطت الكوب ورشفت منه وجفلت من حلاوته ثم جلست للحظة ترمق القس بنظراتها. وقالت أخيراً: "إنه في الأراضي الداخلية. إنه في مكان ما في الأراضي الداخلية. ولا أدري أين بالضبط".

"إلى الشمال أم إلى الجنوب من هنا؟"

"لا أعلم".

"هل هو مُحْتَجَز ضد إرادته؟"

"لا أعلم".

قال ديفلن: "أنتِ تعلمين".

قالت آنا: "لا، أنا لا أعلم. أنا لم أره منذ شهر يناير، وليس لديّ أي فكرة لماذا اختفى بالطريقة التي اختفى بها. أنا فقط أعلم أنه لا يزال على قيد الحياة، وأنه في مكانٍ ما داخل البلاد".

"لأنك كنت تتلقين رسائل، رسائل داخل رأسك".

قالت آنا: "رسائل ليست الكلمة المناسبة لوصفها. إنها ليست الكلمة الصحيحة. إنها أشبه بشعور. الأمر يشبه حين تحاول أن تتذكر حلمًا حلمتَ به، ويمكنك أن تتذكره، تتذكّر شكله، وإحساسه، لكن لا تستطيع أن تتذكر أية تفاصيل، لا تستطيع أن تتذكر أي شيء بشكل مؤكّد أو محدّد، وكلما حاولت أن تتذكر، كلما ازدادت ضبابية الحلم".

قال ديفلن مقطّباً: "إذن لديك إحساس".

قالت آنا: "نعم"

"لديك إحساس أن السيد ستينز في مكان ما في الأراضي الداخلية، وأنه على قيد الحياة".

قالت آنا: "نعم. لا أستطيع أن أعطيك أية تفاصيل. أنا أعرف أنه في مكان ما به طين. أو أوراق أشجار. في مكان ما بجانب الماء، لكنه ليس بالقرب من الشاطئ. الماء سريع الجريان فوق الأحجار. أتعلم شيئاً، بمجرد أن أحاول أن أضع ما أحسُّ به في كلمات، يهرب مني".

"هذا يبدو غامضاً جداً يا عزيزتي".

قالت آنا: "إنه ليس غامضاً. أنا متأكدة منه. بالضبط كما تكون متأكداً من حلم راوَدَك؛ أنت تعلم أنك حلمت، لكنك لا تستطيع أن تتذكر تفاصيل الحلم".

"منذ متى تتنابك هذه الأحاسيس؟ هذه الأحلام؟".

قالت آنا: "فقط منذ توقَّفتُ عن الدعارة. منذ فقدتُ الوعي".

"منذ اختفى ستينز، بكلمات أخرى".

قالت آنا: "الرابع عشر من يناير. هذا هو التاريخ".

"هل هو دائماً نفس الحلم. المياه والطين؟ هل هو دائماً نفس الحلم؟".

"لا".

لم تزدْ عن هذا، وليسجَّعها على الكلام قال ديفلن: "حسنًا، وماذا أيضًا؟".

قالت آنا بحرج: "أوه، فقط أحاسيس. شذرات. انطباعات".

"انطباعات عن ماذا؟".

نظرتْ بعيداً عنه وقالت: "انطباعات عني".

"لست أفهمك للأسف".

أدارت رأسها بعيداً، "كيف يراني، أقصد السيد ستينز. ما الذي يحلم به حين يتخيلني".

"ترين نفسك من خلال عينيه".

قالت آنا: "نعم، بالضبط".

"هل أستنتج من هذا أن السيد ستينز يضعك في مكانة عالية؟".

قالت: "إنه يحبني". وبعد فترةٍ كرَّرتها، "يحبني".

فحصها ديفلن بدقّة، وقال: "فهمتُ. هل اعترف لك بحبه؟".

قالت آنا: "لا. إنه ليس بحاجة لهذا. أنا بالفعل أعرف".

"هل تأتيك هذه المشاعر كثيراً؟".

قالت: "كثيراً جداً. إنه يفكر فيّ طوال الوقت".

أوماً ديفلن. فالوقوف أخيراً أصبح واضحاً بالنسبة له، وبهذا الوضوح الذي أضاء عقله، غاص قلبه في صدره. "هل تحبين السيد ستينز يا آنسة ويذريل؟". مكتبة سرّ من قرأ

قالت: "لقد تحدّثنا في الأمر في الليلة التي اختفى فيها. لقد كنّا نثرثر وقلّ شَيْئاً سخيّفاً عن الحب من طرف واحد، فأصبح هو جاداً تماماً، ومنعني من الحديث، وقال إن الحب من طرف واحد أمر غير ممكن، وأنه لا يُعدُّ حبّاً. وقال إن الحب يجب أن يُمنَح بلا مقابل، وأن يُؤخَذَ بلا مقابل، بحيث يكون العشاق عند اللقاء نصفين متساويين لكل كامل".

قال ديفلن: "هذه عاطفة متّقدة".

قالت، وقد بدا أن ما قاله أسعدها: "نعم".

"لكنه بعد كل هذا لم يعلن عن حبه لك".

"لقد قلت لك أنه لم يقل شيئاً".

"وَأَنْتِ أَيْضًا لَمْ تَقُولِي أَيَّ شَيْءٍ".

قالت: "لم تُتَح لي فرصة أخرى. لقد كان هذا في الليلة التي اختفى فيها".

تتهّد كويل ديفلن. نعم، فأخيراً تمكّن من فهم آنا ويذريل، لكنه لم يكن سعيداً بما فهمه. لقد عرف ديفلن العديد من النساء اللاتي يعانين في ظل ظروف صعبة وإمكانات ضعيفة، نساء كان المهرب الوحيد لهنّ من قفص البؤس الذي حبستهن فيه ظروفهن هو الهروب إلى عالم الخيال. إلى تلك التصورات الساحرة التي تطير بهن على أجنحة الملائكة إلى النعيم. وقصة آنا، المؤثرة، يظهر فيها نفس النسيج المستحيل. الأمر جليّ بشكل مؤلم. حيث يكون أغنى رجل غير متزوج تعرفه آنا يحمل بين ضلوعه لها حباً عميقاً ونقيّاً وقويّاً لدرجة تحيل جميع الاختلافات التي تفصل بينهما إلى تفاهات غير جديرة بالذكر. إنه ليس ميّثاً، إنه فقط مفقود، ويرسل لها رسائل تثبت عمق حُبّه لها، وهذه الرسائل هي فقط من تستطيع تلقّيها. إنه محض خيال، إنه خيال من صنع الفتاة. والفتى لا يمكن إلا أن يكون ميّثاً.

"أَنْتِ تَوَدِّينَ لَوْ أَحَبَّكَ السَّيِّدُ سَتِينَزُ حُبًّا عَمِيقًا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ يَا أَنْسَةُ وَيَذْرِيلُ؟".

بدت آنا وكأن تلميحه قد أهانها، "إنه بالفعل يحبني".

"لم يكن هذا سؤالاً".

نظرت إليه. "كلنا نريد أن نكون محبوبين".

قال ديفلن بحزن: "هذا حقيقي جداً. كلنا نريد أن نكون محبوبين، وبحاجة لأن نكون محبوبين. أعتقد أنه بدون الحب لا يمكننا أن نكون أنفسنا".

"أنت تتحدث كالسيد ستينز".

"حقًا؟".

قالت آنا: "نعم. هذا بالضبط يشبه ما يقوله".

"إن صديقك السيد ستينز فيلسوف حقيقي يا آنسة ويذريل".

قالت آنا وهي تبتسم فجأة: "أيها الموقر. أعتقد أنك أطريت نفسك الآن".

لم يتحدثا لفترة. رشفت آنا من مشروبها المحلّى مرة أخرى.

غرق ديفلن في أفكاره، وسرح بنظره عبر قاعة طعام الفندق. بعد لحظة اتجهت يد آنا إلى صدرها حيث يوجد صكُّ الهبة مُلتصقًا ببشرتها.

نظر إليها ديفلن بحدّة، وقال: "لديك مُتّسع من الوقت لتراجعى نفسك".

"أنا فقط أريد سماع رأي قانوني".

"لقد سمعت رأيي الديني".

قالت آنا: "نعم. طوبى للودّعاء".

بدت نادمة على هذه الصفاقة على الفور، واصطبغ وجهها ورقتها بحُمْرَةٍ قانية، وأشاحت بنظرها بعيدًا. فجأة أحس ديفلن أنه لا يودُّ أن تكون له أي علاقة بها. دفع بكرسيه إلى الخلف بعيدًا عن الطاولة ووضع يديه على ركبتيه.

قال: "سأصحبك حتى باب المحكمة، وليس لأبعد من هذا. ما ستفعلينه بالمستند الذي في حوزتك لم يُعد من شأني بعد الآن. واعلمي أنني لن أكذب لأحميك. أنا بكل تأكيد لن أكذب في المحكمة. إذا ما سألني أحدهم لن أتردّد في إخباره بالحقيقة، وهي أنك زوّرت التوقيع بيدك".

قالت أنا وهي تقف: "حسنًا. شكرًا جزيلاً لك على الفطيرة، وعلى المشروب. وشكرًا لكل ما قلته للسيدة ويلز".

وقف ديفلن بدوره، وقال: "ليس عليك أن تشكريني من أجل هذا. لقد تركتُ أعصابي تفلت مني هناك، أخشى أني لم أكن في أفضل أحوالي".

قالت أنا: "لقد كنتَ رائعًا". وخطت للأمام ووضعت يداها على كتفيه وقبّلتها بمنتهى اللطف على وجنته.



حين وصلت أنا ويذريل إلى محكمة هوكتيكا، كان أوبرت چاسكوين قد غادر متجهًا إلى البنك المركزي، بالمظروف المرسل من چون هينشر جاريتي مستقرًا في الجيب الداخلي لسترته، وأليستار لودرباك بالمثل قد غادر المبني منذ وقت طويل. واستقبل أنا محامٍ أحمر الوجه يُدعى فيلوز، لم تكن تعرفه. وقادها إلى غرفة صغيرة متفرعة من الصالة الرئيسية في الناحية البعيدة من الصالة حيث جلسا متقابلين على منضدة خشبية بسيطة. ناولته أنا المنضدة أمامه في منتصف المسافة بين طرفي المنضدة، ثم وضع يديه حول عينيه ليقرأه.

قال فيلوز أخيرًا وهو يرفع رأسه: "من أين أتيتِ بهذا؟".

قالت أنا: "وصلني، ولا أعلم من الذي أرسله لي".

"متى؟".

"هذا الصباح".

"كيف وصل إليك؟".

كذبت أنا وقالت: "دفعه أحدهم من تحت الباب. في الوقت الذي كانت فيه السيدة ويلز هنا في المحكمة".

قال فيلوز بتوكيد مليء بالريبة: "هنا في المحكمة تتلقَّى خبر أن التماسها تمَّ قبوله أخيراً"، والتفت مرة أخرى إلى المستند. "كروسبي ويلز... وستينز الرجل الذي لم يحاول الاتصال بأحد... والآنسة ويذريل هي أنت. هذا غريب. هل لديك... هل لديك فكرة عمَّن أرسل لك هذا؟".

"لا".

"أو لماذا؟".

قالت أنا: "لا. أعتقد أن أحدهم يريد أن يسدي إليَّ معروفًا".
"هل تشكِّين في شخص مُعيَّن؟ هل لديك أي تكهُّنات؟".

قالت أنا: "لا. أنا فقط أريد أن أعرف إن كان هذا المستند صحيحًا".

قال فيلوز وهو ينظر في المستند: "يبدو صحيحًا. لكنه ليس بالضبط شيئًا بنكيًا. أليس كذلك؟ ليس في الظروف الحالية، والسيد ستينز، بعد ثمانية أسابيع من الغياب، لا يزال مفقودًا".

"لا أفهم ماذا تقصد".

"حسنًا. حتى إذا كان هذا المستند صحيحًا، فإن صديقنا العزيز السيد ستينز لم يُعد لديه ألفين من الجنيهات ليمنحها لأحد. لقد تمَّ التَّحَفُّظ على جميع أصوله، بسبب غيابه. والحكم نافذ منذ الجمعة الماضية. سيكون سعيد الحظ إن استطاع جمع عدة مئات من الجنيهات ممَّا تَبَقَّى من ممتلكاته".

قالت أنا: "لكن المستند مُلزم. على الرغم من هذا".

هَزَّ المحامي رأسه وقال: "ما أقوله يا فتاتي هو أن السيد ستينز ليس باستطاعته أن يمنحك ألفين من الجنيهات، اللهم إلا إذا حدثت المعجزة وتمَّ العثور عليه حيًّا وعثروا معه على الكثير من المال. لقد تمَّ الاستيلاء على مناجمه. وقد بيعت لرجال آخرين".

قالت أنا مرة أخرى: "لكن المستند مُلزم. لا بُدَّ أنه مُلزم".

ابتسم السيد فيلوز وقال: "للأسف، القانون لا يُطبَّق بهذه الطريقة. فُكِّرِي بهذا. يمكنني أن أكتب لك الآن شيكًا بمبلغ مليون من الجنيهات، لكن هذا لا يعني أن ما تملكينه قد زاد بمقدار مليون جنيه، أليس كذلك، خاصة إن لم أكن أمتلك شيئًا ولم يكن هناك مَنْ يضمنني. إن المال يجب أن يأتي من جيب أحدهم، وإن كانت جميع الجيوب خاوية، فإن الأمر يكون منتهيًا، بغضِّ النظر عمَّا قد يطالب به البعض".

قالت أنا: "السيد ستينز يملك ألفين من الجنيهات".

"حسنًا. إن كان هذا صحيحًا فسيختلف الأمر".

قالت أنا: "أقول لك إن السيد ستينز يملك ألفين من الجنيهات".

"كيف هذا؟".

"إن الذهب الذي عثروا عليه في كوخ كروسبي ويلز يخصُّه".

توقَّف فيلوز وحدَّق فيها لعدَّة ثوانٍ، ثم قال بنبرة صوت مختلفة تمامًا: "هل يمكنك إثبات ذلك؟".

كرَّرت أنا ما أخبرها به ديفلن هذا الصباح من أن الذهب قد وُجِدَ مسبوكًا ويحمل ختمًا يشير إلى مصدر الذهب.

"أي منجم؟".

قالت أنا: "لا أستطيع تذكر الاسم".

"مَنْ أَخْبَرَكَ بِهَذَا؟".

تَرَدَّدَتْ وَقَالَتْ: "أَفْضَلُ أَلَّا أَبُوحَ بِمَصْدَرِي".

بدا على فيلوز الاهتمام، وقال: "يمكننا أن نتأكد من الأمر. فالثروة جزء من ممتلكات ويلز؛ لذا فلا بُدَّ وأن هناك سِجِلًا بها في مكان ما في البنك. أتساءل لما لم يتم إثارة هذا الأمر قبل الآن. ربما يكون أحدهم في البنك قد أخفى المعلومة".

قالت آنا: "إن كان الأمر صحيحًا، فهذا يعني أن هذه الثروة ملكي، أليس كذلك؟ يَخْصُنِي منها مبلغ ألفين من الجنيهات. بموجب هذا المستند الموجود معي".

قال فيلوز: "آنسة ويذريل، إن مثل هذا المبلغ من المال لا ينتقل من مالكٍ لآخر بسهولة. أخشى أن الأمر ليس بسهولة كتابة شيك بنكي. لكني أقول لك إن مجيئك اليوم إلى هنا حدث في الوقت المناسب. التماس السيدة ويلز قد تمَّ قبوله، والحصّة التي تمَّ تخصيصها لها قد أخذت مجراها في إجراءات الصرف. أستطيع أن أوقف مطالبتها بها بمنتهى السهولة، حتى يتّضح لنا ما يمكننا أن نفعله بهذا المستند الذي تملكينه".

قالت آنا: "نعم. هلّا فعلت ذلك؟".

قال فيلوز وهو يعتدل في مقعده: "إن قِيلَتْ أن تتخذيني كمحاميك الخاص، سأفعل كل ما في وسعي لكي أساعدك. إن أتعابي جنيهين في الأسبوع، بالإضافة إلى المصاريف، وأنا أقبض مستحقّاتي مقدّمًا بالطبع". هزّت رأسها وقالت: "ليس بإمكانني أن أدفع مستحقّاتك مُقدّمًا. ليس لديّ أي نقود".

قال فيلوز بكيّاسَةٍ وهو ينقل نظرتَه بعيدًا عنها: "ربما يمكنك أن تقترضي بعض الأموال. لأنني للأسف صارم جدًّا فيما يتعلق بالأمور

المالية، أنا لا أُمْنَح استثناءات، ولا أقبل الوعود بالدفع. وليست المسألة شخصية تتعلّق بك، لكن هذا ما تعلمته بالممارسة، وهذا كل ما في الأمر".

قالت أنا مرة أخرى: "ليس بإمكانني أن أدفع لك مُقَدِّمًا، لكن إن ساعدتني فسوف أدفع لك ثلاث أضعاف أجرك حين أحصل على الأموال".

ابتسم فيلوز بلُطْفٍ وقال: "ثلاثة أضعاف؟ إن المسائل القانونية تستغرق غالبًا الكثير من الوقت يا آنسة ويذريل، وأحيانًا ما تأتي النتيجة مخيِّبة للآمال، ليس هناك ضمان أن تأتي الأموال على الإطلاق. لقد استغرق التماس السيدة ويلز شهرين، وحيث إنك ظهرت اليوم، فإن هذا الأمر لم ينتهِ بعد".

قالت أنا بحزم: "ثلاثة أضعاف بحدٍّ أقصى مائة جنيه، لكن إن حصلت على الأموال لحسابي خلال أسبوعين، سأدفع لك مائتي جنيه من الأموال البنكية".

رفع فيلوز حاجبيه وقال: "يا إلهي. إن هذا لجرأة منك".

قالت أنا: "هذا ما تعلمته بالممارسة".

لكن ما قالته أنا كان في غير صالحها. فقد اتَّسَعَتْ عينا السيد فيلوز وابتعد عنها. يا إلهي، إنها عاهرة. ثم تذكر كل شيء. إنها نفس العاهرة التي خضعت للمحاكمة لمحاولتها إنهاء حياتها على طريق كانيير، في نفس يوم اختفاء ستينز، ووفاة ويلز. فيلوز حديث العهد في هوكتيكا، ولم يكن قد رأى أنا ويذريل من قبل، ولم يتعرَّف على اسمها مباشرة. لقد عرفها من المملوطة الرقيقة التي صدرت عنها. وقد أخطأت أنا فهم ارتباكها على أنه تردُّد بسيط. "هل توافق على شروطي يا سيد فيلوز؟".

تطلّع إليها فيلوز من أعلى إلى أسفل، وقال بصوت باردٍ: "سأتحريّ في البنك المركزي عن هذه الثروة المسبوكة التي تزعمينها. إن كانت الإشاعة التي وصلتك صحيحة، فسنكتب عقدًا، وإن لم تكن صحيحة، فلن يكون بإمكانني مساعدتك".

قالت آنا: "هذا كرم كبير منك".

قال فيلوز بخشونة: "ليس الأمر كما تتصوّرين. أين يمكن أن أعثر عليك بعد ثلاث ساعات؟".

تردّدت آنا. إنها لا تستطيع العودة إلى الواي فيرر فورتنش اليوم. ولم يكن معها حاليًا أي نقود، لكنها فكرت في أن تطلب من أحد معارفها القدامى أن يدفع لها ثمن مشروب في إحدى حانات شارع ريفل.

قالت: "سأعود. سأعود وأقابلك هنا".

قال فيلوز: "كما تودّين. ولنلتزم جانب الحذر ولنتقابل في الساعة الخامسة".

قالت آنا: "الساعة الخامسة". ومدّت يدها لتتناول المستند محترق الطرف، لكن فيلوز فتح محفظته ليضع فيها الورقة. وقال: "أعتقد أنني سأحتفظ بهذا، في الوقت الحالي".

القمر هلال في برج الحمل

وفيه يقع تي رو تاوهار على اكتشاف مذهل.

كان تي رو تاوهار بادي السعادة وهو يقفز من صخرة إلى أخرى في الأماكن الضحلة من نهر الأراهورا، متوجّهًا ناحية مصب النهر والشاطئ. فقد أمضى الشهر الماضي مع مجموعة من المستكشفين في وادي ديسبشن، فانتفضت محفظته، وما زاده سعادة أنه عثر ذلك الصباح على قطعة ضخمة من كاهورانجي بونامو (الحجر الأخضر)، وقد جعل وزنها الضخم حقيبته تخطط في ظهره في كل خطوة يخطوها. لا بُدَّ أن موسم حصاد البطاطا قد بدأ في ماوهيرا، وقد عرف تاوهار بهذا حين ظهر وانوي، نجم الحصاد (النجم فيجا، خامس ألمع نجم في السماء)، في السماء الشمالية، يظهر قريبًا في الأفق بعد منتصف الليل بفترة، ويختفي قبل الفجر بفترة. ويطلق قومه على هذا الشهر

بو تو تي رانجي -الموضع الذي يرفع السماء- لأنه في الليل تمَدُّ تي إيكاروا (مجرة درب التبانة) قوسًا لبنيًا يجري في السماء من الشمال إلى الجنوب عند عرش الإله. ممتدًّا في السماء ما بين وانوي في الشمال وأوتاھي في الجنوب (النجم كانوبوس، ثاني ألمع نجم في السماء)، ويمر فوق الجوهرة الحمراء ريوا (النجم أنتاريس)، وللحظة تصبح السماء كل ليلة لوحة مثالية طُرِّزَتْ بخيوط من النجوم المنتشرة. حين يشرق وانوي (فيجا) يتم إخراج الثمار من الأرض؛ وبعده يأتي باينجا وaha وaha (الشهر الحادي عشر من السنة القمرية الماورية) حيث ترتفع كومات الدُّرَنات على أطراف الحقول ليتم فرزها وعدُّها، ثم تنقل إلى حفرات التخزين والمخازن لتخزينها لحين الحاجة لها في شهور الشتاء القادمة. وبعد باينجا وaha وaha تصل السنة إلى نهايتها، أو كما يطلق عليها توهونجا (الحكماء)، تموت.

دار حول انحناءة في النهر، وترك المياه الضحلة وراءه، واعتلى ضفة النهر. تبدو آثار الهجران على كوخ كروسي أكثر وضوحاً في كل يوم يمر عليه. اشتعل السقف الحديدي بالصدأ البرتقالي، واستحال لون الملاط من الأبيض إلى الأخضر الزاهي، وأجدبت الحديقة الصغيرة التي زرعها ويلز. خطأ تاوهار في طريقه وهو يلاحظ دلائل الدمار بأسف، ثم توقف فجأة.

هناك شخص بالداخل.

اقترب تاوهار ببطء وهو ينظر من خلال الباب المفتوح لظلمة الداخل. كان الشخص الذي أثار انتباهه متكوِّماً على الأرض، إمَّا ميئًا وإمَّا نائمًا. راقدًا على جانبه وركبته مضمومتان إلى صدره ووجهه متجه للناحية البعيدة عن الباب. اقترب تاوهار أكثر. ولاحظ أن الرجل يرتدي سترة وبنطلوناً وليس ملابس المنقَّبين المعتادة، وكان القماش فوق ضلوعه يتحرك قليلاً لأعلى ولأسفل مع حركة تنفُّسه، إذن فهو نائم.

دخل تاوهار من الباب وحرص على ألا يقع ظله على جسد الرجل فيوقظه. تحرّك بهدوء ولفّ حول الحائط الموجود خلفه ليتسنى له أن ينظر إلى وجه النائم. كان الرجل شاباً صغير السن. شعره غامق بفعل الطين والدهون، وبدت بشرة وجهه بيضاء، إلى حد ما، بالمقارنة بشعره. ووجهه لولا علامات سوء التغذية الواضحة لصار وسيماً. جفناه مصبوغان باللون البنفسجي، وتحت عينيه الغائرتين هالات غامقة. وأنفاسه متقطعة غير منتظمة. ألقى تاوهار بنظره إلى جسد الفتى. ملابسه تكاد تكون أسمالاً، ومن الواضح أنه لم يغيّرها منذ أسابيع عديدة، لأنها تحمل طبقة سميكة من الطين والتراب من جميع الأشكال والأنواع. ومعطفه كان من نوعية جيدة، في يوم من الأيام، وربطة عنقه التي جمدها الطين كانت مثل المعطف، على أحدث صيحات الموضة.

همس تاوهار: "سيد ستينز؟".

فتح الفتى عينيه.

قال الفتى: "مرحباً، مرحباً".

"سيد ستينز؟".

قال الفتى بصوت مرتفع ومليء بالمرح: "نعم، هذا أنا". ورفع رأسه وقال: "معذرة، معذرة. أهذه أراضي الماوري؟".

قال تاوهار: "لا. كم مضى عليك هنا؟".

"أليست هذه أراضي الماوري؟".

"لا".

كافح الفتى حتى تمكّن من الجلوس. وقال: "أودُّ أن أكون في أراضي الماوري". كان يمسك ذراعه بشكل غريب على صدره.

قال تاوهار: "لماذا؟".

قال ستينز: "لقد دفنتُ شيئاً بجانب شجرة. لكن جميع الأشجار تبدو متشابهة بالنسبة لي، وأظن أني قد أصابني بعض الاضطراب. شكرًا للسماء أنك أتيت، أنا في غاية الامتنان".

قال تاوهار: "لقد اختفيت".

قال الفتى وهو يرقد ثانية: "نعم، لثلاثة أيام تقريبًا. أعتقد أنها ثلاثة أيام. لقد اختلط عليّ حساب الأيام، لا أستطيع أن أتبعها بانتظام. إن المرء يغفل عن النظر إلى الساعة حين يكون بمفرده. من فضلك، هلاً نظرت لهذا؟".

وشدَّ ياقة قميصه ورأى تاوهار أن الطبقة الجامدة غامقة اللون على ربطة عنقه هي في حقيقتها بقعة دم قديم ومتجمّد. هناك جرح فوق عظمة الترقوة ورغم أن تاوهار يقف على بُعد عدة خطوات إلا أنه رأى جسامة الجرح. لقد بدأ يتعقّن. كان مركز الجرح أسود اللون ومنه تنتشر خطوط حمراء عريضة في جميع الاتجاهات. وشاهد تاوهار شذرات سوداء لحروق بسبب بودة البارود، تظهر غامقة في بشرة صدره الفاتحة، واستنتج أن هذا الجرح بسبب طلقة رصاص. وهو دليل أن أحدهم أطلق النار على إيميري ستينز من مسافة قريبة جدًا منذ بعض الوقت.

قال تاوهار: "أنت تحتاج للدواء".

قال ستينز: "مضبوط، مضبوط جدًا. هل لك أن تأتيني به؟ سأكون في غاية الامتنان. لكني لم أعرف اسمك".

"اسمي تي رو تاوهار".

قال ستينز وهو يرمش بعينه كأنه يرى تاوهار لأول مرة: "إنك من الماوري". ثم في حركة غير إرادية، اقترب بؤبؤا عينيه من بعضهما

من ناحية أنفه، ثم عادت عينيه إلى طبيعتهما، وقال: "هل هذه أراضي الماوري؟".

أشار تاوهار ناحية الشرق وقال: "أراضي الماوري هناك".

نظر ستينز إلى حيث أشار تاوهار وقال: "هناك، إذن ماذا تفعل أنت هنا. إن كانت أرضك هناك".

قال تاوهار: "هذا منزل صديقي كروسبي ويلز".

قال ستينز وهو يغلق عينيه: "كروسبي ويلز، ضحكوا عليه، أليس كذلك؟ يا إلهي، إن هذا الرجل يشرب الكثير من الخمر. إنه يشرب الكثير والكثير. أين هو إذن؟ أذهبَ ينقُب عن الذهب؟".

قال تاوهار: "لقد مات".

تمتم ستينز: "أنا في غاية الحزن لمعرفة هذا. يا لها من خسارة رهيبة! وأنت كنتَ صديقه، صديقه الحميم! وأنا... من فضلك اقبل تعازي، أتمنى... لكنني نسيت اسمك بالفعل".

قال تاوهار: "اسمي تي رو".

قال ستينز: "نعم، نعم". وتوقَّف لبرهة وهو محطَّم من الإرهاق، ثم قال: "هل لديك مانع من اصطحابي إلى هناك يا صديقي العزيز؟ هل لديك مانع؟".

"إلى أين؟".

قال ستينز وهو يغلق عينيه مرة أخرى: "إلى أراضي الماوري. لقد دفنتُ كمية كبيرة من الذهب في أراضي الماوري، وإذا ساعدتني فلن أمانع من أن أعطيك بعضًا منه. سأعطيك كل ما ترغب فيه. كل ما ترغب فيه. أنا أتذكر الموضع بدقَّة، هناك شجرة في الموضع. الذهب مدفون تحت شجرة". ثم فتح عينيه مرة أخرى ونظر لتاوهار نظرة توَّسل غائمة.

حاول تاوهار معه مرة أخرى، "أين كنت يا سيد ستينز؟".

قال ستينز: "كنت أبحث عن كنزي. أنا أعرف أنه مدفون في أراضي الماوري، لكن ليس هناك ما يحدّد أراضي الماوري، هل هناك ما يحدّدوها؟ ليس هناك سياج يحدّدوها. إنهم يقولون إن المرء لا يضلّ أبداً على الساحل الغربي، لأن الجبال موجودة في ناحية والمحيط موجود في الناحية الأخرى، لكن من الواضح أنني سبّبتُ لنفسي بعض الارتباك يا تي رو. اسمك تي رو، أليس كذلك؟ نعم. نعم. لقد صلّلتُ طريقي".

اقترب تي رو وانحنى على ركبتيه. وعن قُربٍ بدا الجرح أسوأ. ففي وسط السواد توجد قشرة سميكة يظهر من خلالها لون أصفر لامع. ومدّ يده ولمس وجنة ستينز ليحسّ بحرارة جسده، وقال: "أنت محمومٌ. هذا الجرح سيئ جداً".

قال ستينز وهو يحدّق فيه: "لم أتوقّع ما حدث. فقد نزلت لتوّي من فوق المركب، وليس لديّ أي خبرة. ليس هناك ما يظهر بوضوح على المرء أكثر من قلّة خبرته. لم أتوقع ما حدث. يا إلهي، كم أنني سعيد لرؤياك! أنا في غاية الأسف على هذه الورطة. أنا في غاية الحزن من أجل صديقك كروسبي. إنني حقاً في غاية الحزن. ما الدواء الذي قلّت إنه معك؟".

قال تاوهار: "سأجلبه لك. انتظر هنا". لم يكن تاوهار متفائلاً؛ فالفتى يهذي، وهو مريض لدرجة لا تسمح له بأن يمشي حتى هوكتيكا، لا بُدَّ أن يصل إلى هناك على ظهر جواد أو ظهر عربة، وتاوهار يعرف أن الرجال تذهب إلى مستشفى هوكتيكا ليس لتُشَفّى، ولكن لتموت. فالمكان مسقوف بالقماش وجدرانُه مصنوعة من أرخص الألواح الخشبية، ورياح بحر تسمان المريرة تندفع من شقوق الأرضية والجدران الخشبية فتتعالى معها موجة جديدة من ضجيج سعال وأنين المرضى. كان مكاناً يفوح برائحة القذارة والمرض. ليس

به مياه نظيفة، ولا ملاءة نظيفة، وبه فقط مشرفة واحدة. ويضطر المرضى للنوم معاً في غرف مغلقة تضم أكثر من سرير، وأحياناً ينام اثنان منهم في سرير واحد.

قال الفتى: "لنقتسمها سوياً. يبدو هذا عادلاً كفاية بالنسبة لي. النصف لك، والنصف لي. ما رأيك؟ سنصبح شريكين".

كان تاوهار يحسب المسافة في عقله. يمكنه أن يذهب إلى هوكتيكا بسرعة وينقل الخبر لدكتور جيليز ويستأجر عربة من أي نوع ويعود على أسرع تقدير في ثلاث ساعات. لكن هل يمكنه إنقاذه بعد ثلاث ساعات؟ هل سيصمد الفتى لثلاث ساعات؟ لقد ماتت أخت تاوهار بالحمى، وخلال أيامها الأخيرة كانت تتصرف وتبدو كما يبدو ستينز الآن، بعينين لامعتين يبدو فيهما الذكاء والخَبَل في نفس الوقت، وتهذي بكلمات غير مفهومة. إن تركه فإنه يخاطر بموته. لكن ماذا بإمكانه أن يفعل إن بقي معه؟ فجأة قرر ما سيفعله، فأحنى رأسه ليرتل كاراتيا (صلاة) من أجل شفاء الفتى.

ورتل:

توتاكيئا إي تي إيوي، توتاكيئا إي تي توتو. توتاكيئا أي تي إيكو.
توتاكيئا إي تي واوا. توتاكيئا كيا تو. توتاكيئا كيا ماو. تيني تي رانجي كا
توتاكي. تيناى تي رانجي كا روروكو. تيني تي بابا كا ووكا. إي رانجي إي،
اويتيا. إي بابا إي، أويتيا. ناو كا أوي، كا أوي.

ضَمَّ العِظَامَ إلى بعضها. ضَمَّ الدَّمَ إلى بعضه. ضَمَّ اللَّحْمَ إلى بعضه.
ضَمَّ الأربطة إلى بعضها. ضَمَّهُمْ حتى يكتسبوا القوة. ضَمَّهُمْ حتى
يتجمَّعوا سوياً. إنها السماوات مَنْ تَضُمُّهُمْ سوياً. إنها السماوات مَنْ
تجمعهم سوياً. وإنها الأرض مَنْ تُقْوِي وتَسِينِد. أيتها السماوات، باركيئا.
ورفع رأسه.

قال ستينز وهو يحدِّق فيه: "هل هذه قصيدة شعر؟ ماذا تقول؟".

قال تاوهار: "لقد طلبت أن يُشَفَّى جرحك. والآن سوف أذهب لأحضر الدواء". وأخذ حقيبتَه وأخرج منها عبوة المياہ الخاصة به، ووضعها بين يدي الفتى.

قال الفتى وهو يرتعش قليلاً: "هل هذا هو المخدر؟ لم يسبق لي أن لمست هذا الشيء من قبل، إنه يُطبِّق بمخالبه على المرء... كأنه شوكة في كل إصبع من الأصابع، كأنه خيط يلتفُّ حول قلبك، وتحسُّ به طيلة الوقت. ويلحُّ عليك، يلحُّ ويلحُّ. هل ستمنحني ملء فمي من الدخان، أعتقد أنك ستمنحني. أنت شخص مهذب".

خلع تاوهار معطفه الصوفي وفرده على ساقى الفتى.

واستمرَّ الفتى في الحديث: "فقط حتى أجد هذه الشجرة في أراضي الماوري، يمكنك أن تأخذ ما تريده من الذهب. أنا أبحث عن أعلى جودة. هل ستذهب إلى الكيميائي؟ بريتشارد لديه حساب لي. بريتشارد شخص جيد. اطلب منه. أنا لم ألمس غليوناً من قبل".

قال تاوهار مشيراً إلى عبوة المياہ: "هذه مياہ. اشربها".

قال الفتى مغلقاً عينيه مرة أخرى: "هذا كرم كبير منك".

قال تاوهار بحزم: "ابقَ هنا". ووقف وقال: "سأذهب إلى هوكتيكا وأخبر الآخرين بمكانك. سأعود قريباً جداً".

قال ستينز بعد أن غادر تاوهار الكوخ: "فقط القليل من النوعية الجيدة". وكانت عيناه لا زالتا مغلقتين. واستمر في الحديث، "وبعد عودتك سنذهب ونبحث عن هذا الذهب. أو سنبدأ بالتدخين. نعم. سنقوم بالأمر على خير وجه. هذا الاشتياق، يا له من حب من طرف واحد! لكن هل يعتبر هذا حباً؟ إن كان من طرف واحد؟ يا إلهي. إنه يسميه دواء. وهو رجل من الماوري".

المريخ في برج الدلو

وفيه يذهب سووك يونج شينج للقاء أحد معارفه القدامى، ويقدم فرانسيس كارفر بعض النصائح.

بعد أن أتم سووك يونج شينج صفقة الشراء الخاصة به بقيمة خمسة جنيهات في متجر بروتون وسلومون وبارنز هذا الصباح، اختبأ على الفور. كان صاحب المتجر الذي حشا له المسدس بالرصاص يشك في نواياه بشكل واضح، رغم أنه أخذ ورقة أه سووك البنكية بدون أي اعتراض، وتبع أه سووك حتى باب المتجر ليودعه، نظر أه سووك خلفه مرتين ورأى الرجل في المرتين واقفاً بذراعيه معقودتين على صدره يحدق ناحيته عابساً. كان أه سووك رجلاً صينياً يشتري مسدساً بورقة بنكية، ويدفع القيمة فوراً وبالكامل، ويرفض أن يدفع أكثر من خمسة جنيهات في مقابل المسدس، ويطلب أن يتم حشو

المسدس بالرصاص في المتجر. إن المرء لا يحتفظ بمثل هذه الشكوك لنفسه. وعرف أه سووك جيداً أنه في الوقت الذي يصل لتقاطع شارع ويلد مع شارع تانكريد فإن طاحونة الإشاعات ستكون قد بدأت في الدوران، وبسرعة. كان يحتاج للبحث عن مكان يختبئ فيه حتى الغروب، حتى يتوجه، تحت ستار الظلام، إلى غرفة النوم الخلفية في الطابق الأسفل من فندق كراون.

لم يكن في هوكتيكا كلها مَنْ يثق فيه أه سووك كفاية ليطلب منه المساعدة. بالتأكيد لم يُعد يثق في أنا. ولا في مانرينج. ولا في بريتشارد. ولم يكن على معرفة كافية ببقية رجال اجتماع الكراون، فيما عدا أه كيي، الذي سيكون في كانير بطبيعة الحال، يكدج. وللحظة فُكر في استئجار غرفة في أحد الفنادق متواضعة السمعة في الجانب الشرقي من المدينة، ربما حتى يدفع أجر أسبوع مقدماً ليخفي غرضه الحقيقي، لكن حتى هناك لم يكن ليضمن أن يظل مجهول الهوية، لم يكن ليضمن أن مالك المكان لن يشي بوجوده. فوجوده في هوكتيكا في صباح يوم الاثنين مثير للارتباك بشكل كافٍ، حتى بدون أن تلوك الألسنة خبر شراءه للمسدس. من الأفضل ألا يثق بقدرة الآخرين على الكتمان. وقرّر أن يذهب بمسدسه إلى الحارة الموجودة بين شارعي ريفل وتانكريد موازية للشارعين، كانت الحارة عبارة عن طريق مليء بالحفر والأخاديد بين الساحات الخلفية لمخازن وفنادق شارع ريفل، والتي تواجه الغرب، والساحات الخلفية لكبائن شارع تانكريد التي تواجه الشرق. في هذه الحارة توجد طرق كثيرة للتخفي، وموقعها المتوسط يوفّر مخارج ومداخل من جميع الاتجاهات. وأفضل شيء هو أن المكان يتردّد عليه فقط، وبشكل متقطع، الباعة وحاملي البريد الذين يقدمون خدماتهم لرواد الفنادق.

وجد أه سووك مخبأ في الساحة الخلفية لمتجر يبيع النبيذ والخمور. لوح من الصاج المتعرج مسنود على مرحاض خارجي تاركاً

تحتة فراغًا مفتوح من الجانبين يمكن الاختباء فيه. وتخفيه عن الحارة شجيرة كثَّان ضخمة، ويخفيه الجزء البارز من مبنى المرحاض عن ظهر مخزن المتجر. زحف أه سووك داخل الفراغ مثلث الشكل وجلس مربَّع الساقين. وكان جالسًا على هذه الحالة منذ ثلاث ساعات حين سمع السيد إيفرارد يجري في شارع ريفل ويصيح في العاملين في الفنادق بأن جورج شيرد قد استخرج إذنًا بالقبض على رجل صيني. سَرَت رعشة في جسد أه سووك عند سماعه لكلمات السيد إيفرارد. فالآن من المؤكد أنهم سيحدِّثون فرانسيس كارفر. لكن أه سووك لديه ميزة لا يعلمها كارفر. والفضل فيها يعود إلى والتر مودي، فهو يعلم بالضبط متى وأين يجد كارفر. جورج شيرد لم يقبض عليه بعد، بإذن قبضٍ أو بدونه! أنصت أه سووك حتى خفت النداء في شارع ريفل، ثم أغلق عينيه وهو يتسم ابتسامة خفيفة.

ما الذي تفعله هنا؟

جفل أه سووك؛ فبجانبه، وقف شاب قذر المظهر، في حوالي الخامسة والعشرين من العمر، يرتدي معطفًا واسعًا وقميصًا بلا ياقة، واحد يديه على باب المرحاض، يقول له مقطَّبًا: "ليس مسموحًا أن تجلس هنا. هذه الأرض ملك السيد شيزني. لا يمكنك أن تختبئ حيث تشاء".

أتى صوت آخر من المخزن: "مَن الذي تحدِّثه يا إد؟".

"إنه صيني يجلس هنا بجانب المرحاض".

"ماذا قلت؟".

"رجل صيني؟".

"أستخدم المرحاض؟".

صاح الشاب: "لا. إنه فقط يجلس بجانبه".

"حسنًا، أخبره أن يمضي من هنا".

قال الشاب وهو يلکز أه سووک بطرف حذائه بهدوء: "أذهب من هنا. اذهب... لا يمكن أن تظل هنا".

صاح الصوت القادم من المخزن مرة أخرى: "أخبرني مرة أخرى ماذا يفعل هناك يا إد؟".

صاح الفتى: "لا شيء. إنه جالس. ومعه مسدس".

"معه ماذا؟".

"قلت لك معه مسدس".

"وما الذي يفعله بمسدس؟".

"لا شيء. إنه لا يُسبب أي مشكلة، على حسب ما أرى".

ساد الصمت فترة، ثم أتى الصوت ثانية: "هل رحل؟".

قال إد مرة أخرى لأه سووک وهو يشير إليه: "اذهب من هنا. اذهب".

وأخيراً تحرك أه سووک، انسلَّ من تحت لوح الصاج المتعرج، وأسرع مبتعداً وهو يحسُّ بعيني الفتى المندهشتين في ظهره. واختبأ خلف حبل غسيل، وفي اسطبلات الخيل التي يفوح منها رائحة الشوفان خلف فندق إمبريال، أبقى رأسه منخفضاً، وأمسك بمسدسه بإحكام على صدره. وفوق أصوات صهيل الخيل وخبط حوافرها وصل إلى أسماعه أصوات الرجلين وهما لا يزالان يتناقشان في أمره. وعلم أنه لن يمضي وقت طويل حتى يلاحقوه، كان بحاجة إلى أن يختبئ وبسرعة قبل أن يطلق أحدهم صافرة الإنذار. جرى أه سووک حتى آخر مقصورة للخيل ونظر من فوق الباب القصير. نظر إلى صفَّ الساحات الخلفية، وإلى المطابخ الملحقة بها، وأبواب الجوخ الخاصة بالتجار، والمراحيض، وحفر المخلفات. أين المكان الأكثر أماناً بالنسبة له؟ استقرَّت عيناه على مجموعة المباني الصغيرة التي يتكوَّن منها

مخيم الشرطة، ومن بينها الكوخ الخشبي حيث يقيم جورج شيرد. وفجأة ارتعش قلبه، وقال لنفسه بجرأة مفاجئة، ولم لا؟ إنه آخر مكان في هوكتيكا سيفكر أحدهم في البحث عني بداخله.

عبر الممر الصغير بين الاسطبلات والسور المحيط بمخيم الشرطة، واتجه إلى باب مطبخ جورج شيرد، وطرقه بقوة. وانتظر، مختلساً النظر لما حوله، كان الممر فارغاً تماماً، وليس هناك أحد في الساحات المحيطة به. إلا إذا كان أحدهم يراقبه من داخل أحد الفنادق، وهو احتمال قائم، لكن الزجاج المتغصن يحجب الرؤية، إذن لن يستطيع أحد أن يشاهده وهو واقف في ظل مطبخ جورج شيرد الملحق بالكوخ، بمسدس في يده.

جاء صوت امرأة عبر الباب: "مَن بالباب؟ مَن بالباب؟".
قال أه سووك، مُقرباً فمه من الخشب: "من أجل مارجريت".
"مَن؟".

"من أجل مارجريت شيرد".
"مَن أنت؟ مَن الذي يردُّ علي؟".
بدا له أن فمها قريب جداً من الخشب، ربما كانت تميل عليه من الناحية الأخرى.
قال: "سووك يونج شينج"، ثم أضاف في الصمت الذي تلا ذلك، "من فضلك".

انفتح الباب، وظهرت.

قال أه سووك وهو مليء بالمشاعر: "مارجريت"، وانحنى لها.
حين رفع رأسه، وقتها فقط سمح لنفسه أن يتطلع إليها. ومثل ليديا ويلز، بدت كأنها لم تتغيّر بالمرّة منذ لقائهما الأخير في المحكمة

في سيدني، حين تقدّمت لتدلي بشهادتها، الشهادة الكاذبة التي أنقذت حياته. وظهر خطٌ فضي في منتصف شعرها الذي تقصّفت أطرافه وهربت بعضُ شعراته من شبكة الشَّعر التي ترتديها، وأحاطت الشعرات الهاربة رأسها بهيئة ضباية. وخلافاً لهذا الدليل البسيط على تقدُّمها في العمر، بدت ملامحها بلا أي تغير، نفس العينين الخائفتين الدامعتين، نفس الأسنان العليا البارزة، نفس الأنف العريض المكسور، نفس الشفتين الباهتتين، نفس التعبير المصدوم الخائف المتوجس. كم يثير ذاكرة المرء أن يرى وجهًا مألوفًا! في لحظة استطاع أه سووك أن يراها جالسة في كرسي الشهود ويديها في قفازيها مطويتين بأناقة في حجرها، وترمش للمدّعي العام بعينيها، وتكحُّ مرتين في قطعة من القماش الرقيق ثم تحشرها في إسورة فستانها، وتطوي يديها مرة أخرى. وتكذب لإنقاذ حياته.

حدّقت فيه. ثم همست: "ماذا بحق السماء؟"، ثم ضحكت ضحكةً أشبه بالفواق. "سيد سووك، ماذا، ماذا بحق السماء؟ لقد صدر إذن بالقبض عليك، هل تعلم بهذا؟ لقد استخرج جورج إذنًا!". قال أه سووك: "هل يمكنني الدخول؟". كان يمسك بالمسدس بجانب ساقه وجسده ملتفٌ نصف التفاتة ليداريه، لم تكن قد رأت المسدس بعد .

هبّت دفعةً من الرياح عبر الباب المفتوح أثناء حديثه، فارتعشت جدران الكوخ الداخلية وأنتت. وظهرت حركة الرياح على سطح القماش المفروود.

قالت: "بسرعة، بسرعة".

أدخلته بسرعة إلى الكوخ، وأغلقت الباب. ثم همست: "لماذا أتيت؟".

"أنت امرأة طيبة جدًّا يا مارجريت".

تغضن وجهها وقالت: "لا، لا".

أوماً أه سووك، "أنت طيبة للغاية".

همست: "إنك تضعني في موقف حرج. لِمَ تفترض أنني لن أرسل لـجورج أعلمه أنك هنا؟ يجب عليّ أن أفعل ذلك! لقد صدر إذن بالقبض عليك، ولم يكن لديّ أي فكرة يا سيد سووك. لم يكن لديّ أي فكرة أنك هنا قبل صباح اليوم. لِمَ أتيت؟".

ببطء أخرج أه سووك المسدس من خلف ظهره.

رفعت يديها إلى فمها.

قال: "تخبئيني".

قالت السيدة شيرد ويدها فوق فمها وعيناها مغلقتان بالمسدس: "لا أستطيع أن أفعل هذا. أنت لا تعلم فداحة ما تطلبه مني يا سيد سووك".

قال أه سووك: "تخبئيني حتى يحلّ الظلام، من فضلك".

حرّكت فمها كأنها تقرض راحة يدها، ثم أبعدت يدها وقالت: "أين ستذهب حين يحلّ الظلام؟".

قال أه سووك: "سأقتل كارفر".

"كارفر...".

تأوّهت وابتعدت عنه بسرعة وهي ترفرف بيدها كأنها تشير إليه أن يبعد المسدس عن الأنظار.

لم يتحرك أه سووك من مكانه، "من فضلك يا مارجريت".

قالت: "لم أتصور أبداً أنني سأراك ثانية. لم أتصور هذا أبداً".

قاطعتها طرقات مرتفعة على الباب، الطرقات هذه المرة كانت على الباب الأمامي الواقع على الجهة البعيدة من الكوخ. للحظة لم تستطع مارجريت شيرد أن تتنفس، وظن أه سووك أنها ستتقيأ. ثم طارت ناحيته وهي تدفعه في صدره بيديها الاثنتين. وهمست في اهتياج: "اذهب إلى غرفة النوم. واختبئ تحت السرير. اختبئ بعيداً عن الأنظار. اذهب، اذهب، اذهب".

دفعته داخل غرفة النوم التي تنام فيها مع السَّجَّان. كانت مُرتبة للغاية، وبها وحدتا أدراج وسرير بإطار حديدي وقطعة قماش مطرزة مثبتة بالدبابيس فوق رأس السرير. لم يُنح لأه سووك الوقت الكافي لينظر حوله. نزل على ركبتيه وزحف تحت السرير ومسدسه في يده. أغلقت الباب فأظلمت الغرفة. وسمع أه سووك صوت خطوات في الممر، ثم صوت المزلج يُفتَح. التفت على جانبه، وخلفه اتسعت رقعة الضوء على الحائط القماشي، وزحفت بقعة سوداء ناحيته، مغطّية المنتصف. وشعر أه سووك بالبرد المفاجئ للرياح.

"مساء الخير يا سيدة شيرد. إنني أبحث عن زوجك. هل هو في المنزل؟".

تجمّد أه سووك. إنه يعرف هذا الصوت.

لا بُدَّ أن مارجريت شيرد قد هزّت رأسها؛ لأن فرانسيس كارفر قال: "أيمكن أن تخبريني بمكان وجوده؟".

تحدّثت في صوت بالكاد يرتفع عن مستوى الهمس: "في موقع البناء يا سيدي".

"هل هو في سي فيو؟".

"نعم يا سيدي".

احتضن أه سووك الكير باتنت بكلتا يديه. لن يكون هناك ما هو أسهل من أن يزحف خارجًا من تحت السرير ويقف ويضع فوهة المسدس في الحائط القماشي. سوف تخترق القذيفة القماش كأنه ليس موجودًا. لكن كيف له أن يتأكد من أن السيدة شيرد لن تتأذى؟ نظر إلى الكتلة الغامقة ليحاول تمييز ظل كارفر من ظل السيدة شيرد.

كان كارفر يقول: "لقد صدر الإنذار، وقد طلب شيرد إذنًا بالقبض عليه. إن صديقنا القديم سووك في المدينة. إنه مسلّح ومُطلّق السراح". لم تقل زوجة السجان شيئًا. وفي غرفة النوم بدأ أه سووك يزحف خارجًا من تحت السرير.

قال كارفر: "إنه يطاردني".

لم تأتِ إجابة، ربما أومات برأسها.

استمرّ كارفر في الحديث، "لقد أسدى لي زوجك جميلًا بأن أصدر إنذارًا. من فضلك بلّغيه تقديري وامتناني".

"سأبلغه".

ظلّ كارفر واقفًا، وقال: "الإشاعات تقول إن صديقنا المشترك موجود في هوكتيكا منذ أواخر العام الماضي. لا بُدَّ أنك قد رأيته". همست: "لا".

"ألم يحدث أن رأيته؟ أم لم يحدث أن عرفتِ بوجوده؟".

قالت: "لم أعلم أبدًا بوجوده. ليس قبل هذا الصباح".

وفي غرفة النوم صعد أه سووك على ركبتيه ثم على قدميه وبدأ يتقدّم من الحائط والمسدس في يده مرفوع ناحية الظل الموجود على

القماش. إن لوى المسدس قليلاً للجانب... وأطلق النار بشكل جانبي وليس بشكل مستقيم...

قال كارفر: "حسنًا، جورج يعلم. يعلم منذ بعض الوقت. وكان يراقب الرجل. ألم يخبرك؟".

همست السيدة جورج: "لا".

وساد الصمت.

قال كارفر: "أعتقد أن هذا هو السبب".

وصل أه سووك إلى الإطار الخشبي لدخل غرفة النوم. كان تقريبًا على مسافة ست أقدام من المربع المنير الذي هو الباب الأمامي، كان كل ما يحول بينه وبين كارفر هو طبقة القماش المزدوجة. هل يحمل كارفر سلاحًا؟ ليس هناك وسيلة لمعرفة ذلك سوى بأن يفتح الباب ويواجهه وجهًا لوجه، لكنه إن فعل ذلك فسوف يخسر ثواني ثمينة ويخسر المفاجأة. لكنه لم يجرؤ أن يطلق الرصاص خشية أن يؤذي السيدة شيرد. حدّق في الأشكال من خلال القماش محاولاً أن يحدد مكان وقوف المرأة. هل الباب يفتح من جهة اليمين أم اليسار؟

بدا اسوداد الظل الأسود على القماش يزداد قليلاً.

قال كارفر: "لقد أمضيت عمرك تدفعين الثمن. أليس كذلك؟".

صمت.

"وما قدّمته لم يكفِ أبدًا".

صمت.

قال كارفر: "إنه لا يريد تكفيرك عن الذنب، تدغري كلماتي يا سيدة شيرد. كفارتك ليست ما يريده. إنه يريد شيئًا يستطيع أن يأخذه بنفسه. جورج شيرد يريد الانتقام".

نطقت السيدة شيرد أخيراً وقالت: "إن چورچ يشمئز من فكرة الانتقام. إنه يصفه بأنه عمل همجي. إنه يقول إن الانتقام هو فعل ينبع من الغيرة، وليس من العدالة".

قال كارفر: "إنه مُحِقُّ، لكن كل إنسان يغار من شيء ما".

الاسوداد الموجود في المدخل تلاشى واختفى، وسمع أه سووك خطوات كارفر تبتعد. انغلق باب الكوخ وأتى صوت صلصلة حين أغلقت السيدة شيرد المزلج والسلسلة. ثم اقترب صوت أقدام خفيفة، وانفتح باب غرفة النوم. نظرت السيدة شيرد إلى أه سووك وجفلت، ثم نظرت إلى المسدس في يده.

قالت: "أيها الأحمق، أتفكر أن تطلق عليه الرصاص في وضح النهار؟ وفي وجود ضابط شرطة على مسافة خمس أقدام!".

لم يقل أه سووك شيئاً. ومرة أخرى بدت السيدة شيرد وكأنها مصابة بالفواق، وارتفع صوتها إلى طبقة نصفها همس ونصفها صياح، "هل أنت واعٍ لنفسك؟ ماذا تظن سوف يحدث لي، لي أنا، إذا قتلت هذا الرجل على عتبة بابي؟ كيف يمكنك... هل كنت تعتقد؟ والضابط على مبعدة خمس خطوات.... وبدون... وچورچ... ماذا بحق السماء!". أحسَّ أه سووك بالخجل، وقال: "آسف".

قالت مارجريت شيرد: "سيشنقوني. سيشنقوني. سيحرص چورچ على هذا".

قال أه سووك: "لم يحدث شيء".

وعلى الفور ذاب هياج المرأة متحولاً إلى مرارة، وقالت: "لم يحدث شيء".

"آسف جداً يا مارجريت".

وبالفعل شعر بالأسف. فرمّا فَقَدَ فرصته. رمّا تُعيده إلى الشارع، أو ترسل في طلب زوجها، أو تستدعي الضابط، وسيمسكونه، وسينجو كارفر.

خطت للأمام وأخذت المسدس بهدوء من يده. أمسكته للحظة قبل أن تنحّيه جانبًا، بحرص، على وحدة الرفوف الصغيرة، وحرصت أن تكون الفوهة بعيدة عنهما. ثم ظلت في مكانها للحظة بدون أن تنظر إليه. وتنفّست عدة مرات بعمق. انتظرها. وأخيرًا قالت بصوت هادئ، وبدون أن تنظر إليه: "ستبقى هنا حتى حلول الظلام. ستبقى تحت السرير حتى حلول الظلام، حتى تستطيع المغادرة في أمان".

قال أه سووك: "مارجريت".

همست وهي تنكمش مبتعدة، وتلقي نظرة سريعة على المصباح المثبت، ثم على رأس السرير: "ماذا؟ ماذا؟".

قال أه سووك: "شكرًا".

حدّقت فيه، ثم سقطت عيناها على صدره وبطنه.

وتمتمت: "سيتعرفون عليك من على مسافة ميل كامل في هذا الزي. أنت تبدو كرجل صيني من الألف للياء. انتظر هنا".

وبعد عشر دقائق عادت ومعها سترة وبنطلون على ذراعها، وقبّعة ذات رأس ناعم في يدها. وقالت: "جرّب هذه الملابس، سوف أخط لك البنطلون ليناسب مقاسك، ويمكنك استعارة إحدى سترات السجن. ستغادر هذا المكان وأنت تبدو كرجل إنجليزي يا سيد سووك، إما هذا، وإما لن تغادر بالمرة".

نجا بوتيكى اريوا/ أطفال أنتاريس

وفيه يتناول السيد ستينز دواءه، وتنهار الأنسة ويذريل على الأرض.

وصل تي رو تاوهار إلى متجر الأدوية الخاص ببريتشارد حوالي الثالثة والنصف، وحين دقَّت الساعة الرابعة كانا يجلسان في مركبة يقودها زوجان من الخيل ويسارعان ناحية الشمال بأسرع ما تسمح به العربة. وبريتشارد يكاد يكون واقفًا في العربة برأس عار يقودها بتهوُّر ويجلد الخيل حتى ظهر الزَّبَد على أفواهها من شِدَّة لهاثها. وجيب سترته منتفخ بوعاء زجاجي مليء بالمخدر، يترجرج السائل بثِقَلٍ ويترك لونه الصديء أثرًا زيتيًّا على جدران الوعاء يظهر ويتلاشى كل مرة تخطو فيها عجلات العربة فوق صخرة. تشبَّث تاوهار بالمقعد الخلفي بكتلا يديه وحاول بكل جهده ألا يتقيأ.

قال بريتشارد لنفسه مبهجًا: "قال إنه يريدني أنا، يريدني أنا، وليس الطبيب".

Φ

حين استفسر المحامي فيلوز من تشارلي فروست عن الثروة أخبره بالحقيقة. أخبره أن الثروة الذهبية التي وجدوها عند كروسبي ويلز مسبوكة. وأن مَنْ سبكها هو الصائغ الصيني كيي لونج، والذي كان حتى هذا الصباح المنقَّب الوحيد المكلف بالعمل في حقل الذهب الخاص بالسيد ستينز، الأورورا. سجل السيد فيلوز ما سمعه في مفكرة الجيب الخاصة به، وشكر الموظف الشاب بمنتهى الأدب على مساعدته. ثم قدَّم له صكَّ الهبة محروق الطرف الذي أعطته له أنا، مدَّ يده به بدون كلمة عبر المكتب.

حدَّق فروست به في ذهول، وقال: "إنه موقَّع".

قال فيلوز: "ماذا قُلْتَ؟".

قال فروست بحزم: "لقد وقَّع إميري ستينز هذا المستند في وقتٍ ما من الشهرين الماضيين. إلا إذا كان هذا التوقيع مُزوَّرًا بالطبع، لكنني أعرف خطأً يده، هذا توقيع. آخر مرة رأيت فيها هذا المستند لم يكن موقَّعًا".

قال المحامي: "إذن فهو حي".

Φ

اندهش بنجامين لوينثال عند دخوله إلى شارع كولينج وود حين رأى متجر الأدوية الخاص ببريتشارد مغلقاً. دار حول البناية وهناك وجد مساعد بريتشارد، وهو فتى يدعى جايلز، يقرأ جريدة عند المدخل الخلفي.

قال لوينثال: "أين السيد بريتشارد؟".

قال الفتى: "خرج. ما الذي تريده؟".

"حبوب للكبد".

هل هي وصفة مكررة؟".

"نعم".

"أستطيع أن أساعدك. تعال من الباب الخلفي".

ترك الفتى صحيفته وتبعه لوينثال للداخل من خلال معمل بريتشارد وحتى المتجر.

بينما الفتى يجهز طلب لوينثال، قال الرجل: "إنها ليست عادة جو أن يترك مكتبه عصر يوم الاثنين".

"لقد خرج مع رجل من المواطنين الأصليين".

"تاوهار؟".

قال الفتى: "أنا لا أعرف اسمه. لقد أتى على عجل منذ أقل من ساعتين. وأبلغ السيد بريتشارد رسالة، فأرسلني السيد بريتشارد لاستئجار عربة لكليهما، ثم هرعا إلى الأراهورا يسابقان الريح".

تعجب لوينثال، "ولا تعرف لماذا؟".

قال الفتى: "لا. لكن السيد بريتشارد أخذ معه وعاء كاملاً من المخدر وملاً جيبه بالمسحوق. سمعت رجل الماوري يقول 'إنه يحتاج

لدواء! لكنه لم يقل من يحتاج للدواء. وظل السيد بريشارد يردد شيئًا لم أفهمه على الإطلاق".

قال لوينثال: "ماذا قال؟".

قال الفتى: "رخصة العاهرة".

مكتبة

t.me/soramnqraa

Φ

"يا إلهي، أنا ويزريل!".

كان صوت كلينش فيه من الصدمة أكثر مما فيه من الذهول.

"مرحبًا يا إدجار".

"ما الذي تفعلينه هنا؟ بالطبع أهلاً بك وسهلاً، لكن ما الذي تفعلينه هنا؟ وخرج من وراء مكتبه".

قالت: "أحتاج إلى مكانٍ أبقى فيه حتى الخامسة. هل لي أن أتطفل على كرمك عدة ساعات؟".

صاح كلينش وهو يتقدم لياخذ يديها بين يديه، "تتطفلين؟ ليس هناك أي تطفل. بالطبع يمكنك البقاء، بالطبع. تعالي إلى مكثبي، هل نتناول الشاي؟ مع البسكويت؟ ما أجمل أن أراك، ما أبدع هذا! أين سيدتك؟ وأين ستذهبين في الساعة الخامسة؟".

قالت أنا ويزريل وهي تُخلص يديها من بين يديه بأدب وتبتعد عنه: "لديّ ميعاد في المحكمة".

تلاشت ابتسامة كلينش على الفور، وقال بقلق: "هل تمّ استدعاؤك؟ هل ستتم محاكمتك؟".

"لا، ليس شيئاً من هذا القبيل. لقد استأجرت حمامياً. بإرادتي الحرة. هذا كل ما في الأمر."

"حمام!"

قالت آنا: "نعم، سأعارض طلب الأرملة".

ذهل كلينش، وقال وهو يبتسم مرة أخرى ليداري ارتبأكه: "حسنًا، يجب أن تحكي لي الأمر كله يا آنا، ويجب أن نتناول الشاي معًا. أنا في منتهى السعادة أنك أتيت".

قالت آنا: "أنا سعيدة لسماع هذا. لقد خفتُ أن تكون ناقمًا عليّ".

صاح كلينش: "لا أستطيع أن أنقم عليك، لا أستطيع ذلك"، وفي اللحظة التالية فهم الأمر، "ستعارضين طلب الأرملة بخصوص الحصول على هذه الثروة".

أومأت وقالت: "هناك مستندٌ يثبتُ أنني أحد الورثة".

جفل كلينش وقال: "حقًا؟ مستند سليم ومُوقَّع؟".

"عثروا عليه في الموقد، في موقد كروسبي ويلز، لقد حاول أحدهم أن يحرقه".

"هل هو مُوقَّع؟".

قالت آنا: "قيمتها ألفان من الجنيهات. أوه يا إدجار، لقد كنت دائمًا بمثابة والد لي، أنا لا أمانع من إخبارك. لقد أراد أن يهيني إيّاها كهدية، هدية قيمتها ألفان من الجنيهات. إنه يحبني. لقد أحبني دائمًا".

قال إدجار بغضب: "مَن هو؟". لكنه كان بالفعل يعلم الإجابة.



عند عودة لوينثال إلى مكتب الجريدة في شارع ويلد سمع صوتًا يناديه. التفت ورأى ديك مانرينج يخطو نحوه وتحت ذراعه جريدة مطوية.

قال مانرينج: "لديّ خبر شيق لك يا بن. رغم أنك يمكن أن تكون قد سمعت به بالفعل. هل تودُّ أن تسمع خبرًا شيقًا؟".

كان لوينثال مُشَتَّت الذهن، فقطَّب قائلاً: "ما الأمر؟".

"يقولون إن المدير شيرد قد استصدر إذنًا بالقبض على السيد سووك. من الواضح أن السيد سووك قد ظهر في هوكتيكا هذا الصباح واشترى سلاحًا حربيًا بورقة بنكية. ما رأيك في هذا الخبر؟".

"هل ينوي أن يستخدمه؟".

قال مانرينج بابتهاج: "ولمَ يشتري المرء مسدسًا إن لم يكن ليستخدمه؟ أظن أننا قد نشهد إطلاق نيران في الطريق. إطلاق نيران على الطراز الأمريكي".

قال لوينثال حين دخلا شارع ريفل واتجها جنوبًا: "لديّ أنا الآخر خبر، خبر ليس أقلَّ تشويقًا من الذي حملته لي".

"خبر عن صديقنا السيد سووك؟".

قال لوينثال: "خبر عن صديقنا السيد ستينز".



كان كيي لونج يقطع الخضراوات ليصنع شوربة في كوخه في الحي الصيني حين سمع وقع حوافر تقترب. ثم سمع صوتًا يصيح: "مرحبًا"، فذهب إلى الباب وشدَّ الستارة المصنوعة من الخيش بيدٍ واحدة.

قال الرجل الموجود على العتبة، وقد نزل لتوّه من فوق الحصان: "أنت. لقد صدر لك أمر استدعاء. لقد أتيت لأصحبك إلى محكمة هوكتيكا".

رفع كيي لونج ذراعيه عاليًا وقال: "لست أه سووك. أه كيي".
قال الرجل: "بحق الشيطان أنا أعلم تمامًا من تكون، وأنت من أريده. تعال معي بأسرع ما تستطيع. هناك عربة في انتظارنا. تعال".
قال أه كيي مرة أخرى: "أه كيي".

"أنا أعلم من أنت... الأمر يخص ثروة استخرجتها من الأورورا".
قال كيي وقد أخطأ سماع الرجل: "الأراهورا؟".
قال الرجل: "هذا صحيح. والآن تحرّك. لقد استدعاك رجل يُدعى السيد چون فيلوز، بالنيابة عن المحكمة الابتدائية".



ذهب السيد فيلوز لزيارة هارالد نيلسن في مكتب نيلسن وشركاه بعد خروجه من البنك المركزي. فوجد التاجر بالعمولة في مكتبه يضع ميزانية بالنيابة عن جورج شيرد. كان عملاً شاقاً، وسعد نيلسن باضطرابه لتركه، وظل سعيداً حتى ناوله المحامي المستند محروق الحافة الذي يحمل توقيع كل من إيميري ستينز وكروسبي ويلز. فقد وجه نيلسن لونه على الفور.

قال فيلوز: "هل سبق أن رأيت هذا المستند من قبل؟".
لكن نيلسن رجل لا يلدغ من جحر مرتين.

قال بحذر: "قبل أن أجيبك أودُّ أن أعرف مَنْ أرسلك إليّ، وما الداعي لزيارتك".

أوماً المحامي وقال: "من حقِّكَ. إن الفتاة ويذريل قد تلقت هذا المستند صباح اليوم من مصدر مجهول. دفعه أحدهم من تحت الباب الأمامي حين كانت سيدتها خارج المنزل. إنه مبلغ ضخم من المال، وكما ترى بنفسك فإن ظاهر الأمور ينبئ بأنها تستحقه بصفة رسمية. لكن الأمر يفوح برائحة المكيدة. فنحن لا نعلم مَنْ أرسل هذا المستند، ولا لِمَ أرسله".

لقد خان نيلسن كويل ديفلن مرّةً من قبل، ولن يفعل مثل هذا مرةً أخرى. فقال وهو يحافظ على تعبيرات وجهه هادئة: "فهمت. إذن فأنت تعمل لحساب الأنسة ويذريل".

قال فيلوز بحدّة: "أنا لا أتعاون مع العاهرات. أنا فقط أُجري بعض التحريات، هذا كل ما في الأمر. أحاول الوصول إلى حقيقة الأمر". ثم نيلسن: "بالطبع، سامحني".

استمرّ فيلوز: "لقد كنتَ أنتَ مَنْ جرد محتويات أملاك كروسبي ويلز. كل ما أودُّ معرفته هو هل كان هذا المستند في الكوخ حين تمّ استدعاؤك لإخلاء المكان؟".

قال نيلسن بصدق: "لا، لم يكن ضمن الموجودات. وقد أخلينا الكوخ بالكامل، أقسم لك على هذا".

قال فيلوز: "حسنًا. شكرًا".

وقف من مجلسه، ووقف نيلسن أيضًا. وبينما هم واقفان دقّت أجراس الكنيسة الويسلية مُعلنةً الخامسة إلا الربع.

قال فيلوز بينما يتأهب للمغادرة: "كرمٌ كبيرٌ منك أن تتبرّع بهذا المبلغ. أن تساهم في بناء السجن الجديد في سي فيو. منتهى الكرم منك".

قال نيلسن بمرارة: "شكرًا لك".

قال المحامي: "إنه من النادر في هذه الأيام، وفي هذا الزمان، أن يقابل المرء فاعل خير حقيقيًا. أنا أحييك لما فعلته".

Φ

"سيد ستينز؟"

فتح الفتى عينيه، غامت نظرتة، ثم تركّزت، واستقرّت على جوزيف بريتشارد، الذي جثا بجانبه.

قال الفتى: "يا إلهي!، أنت بريتشارد، الكيميائي".

مدّ بريتشارد يده برفق وسحب ياقة قميص ستينز للخلف ليكشف عن الجرح المسودّ الواقع تحتها. لم يعترض الفتى. تفحّصت عيناه وجه بريتشارد بينما الكيميائي يتفحّص الجرح.

وهمس الفتى: "هل تمكّنت من الحصول على قطعة منه؟".

قال بريتشارد بوجه مسودّ: "قطعة من ماذا؟".

قال الفتى: "قطعة من العجينة. لقد قلت إنك ستحضر لي قطعة".

قال بريتشارد باختصار: "لقد أحضرت شيئًا ليزيل الألم. أصبحت تشاق للتدخين، أليس كذلك؟ إن جرحك في حالة سيئة".

قال الفتى: "أشتاق؟ الأمر أشبه بالشوك. أتعلم أنني لم أسمع صوت الرصاص بالمرة. لقد كنتُ في موقفٍ لا أحسد عليه وقتها".

"كم مضى عليك وأنت هنا؟ متى كانت آخر مرة تناولت فيها الطعام؟".

قال الفتى: "منذ ثلاثة أيام. هل حقًا مرّت ثلاثة أيام؟ إنه منتهى الطبية والعطف منك. أعتقد أن الوقت كان منتصف الليل. لقد أردت أن أتمشّي".

قال بريتشارد: "إنه يهذي".

قال تاوهار: "أحقًا. هل سيموت؟".

قال بريتشارد وهو يتحسّس وجنة ستينز وجبهته بظهر كفه: "إنه لا يبدو شديد النحافة. لا بُدَّ أن أحدهم كان يطعمه على الأقل، أو أنه تمكّن من العثور على ما يقتات عليه حيثما كان. يا إلهي، ثمانية أسابيع! هناك شيء ما أقوى من الصلوات يحفظ هذا الفتى".

سرح ستينز بنظره فوق كتف بريتشارد ونظر إلى تاوهار الواقف خلف بريتشارد. وقال مبتسمًا: "رجال الماوري هم أفضل المرشدين. ستؤدي المهمة على أكمل وجه".

قال بريتشارد لستينز وهو يجذب ياقة قميصه ليغطي الجرح مرة أخرى: "اسمعني. علينا أن نرفعك فوق العربة. سنعيدك إلى هوكتيكا. حتى يستطيع دكتور جيليز انتزاع هذه الرصاصة من كتفك. حين نضعك على العربة سأعطيك شيئًا ليُسكّن ألمك. اتفقنا؟".

سقطت رأس الفتى على صدره وتمتم: "هوكتيكا. أنا ماجدلينا".

قال بريتشارد: "أنا في هوكتيكا، تنتظرك. هيا الآن. سنذهب على الفور. سنصل بك إلى المدينة قبل حلول الظلام".

قال الفتى: "لقد كتب لها أغنية. كهدية. أنا لم أتعهّد بشيء".

رفع بريتشارد ذراع ستينز السليمة ووضعا فوق كتفه ووقف. وأمسك تاوهار خصر الفتى، وحمله الرجلان خارج الكوخ ورفعاه

على العربية. ظلَّ الفتى يتمتم. وبشرته ناعمة من العَرَق وساخنة جداً. وضعاه على مقعد العربية وجلس كلُّ من تاوهار وبريتشارد على جانبيه الأيمن والأيسر بحيث يمنعانه من السقوط للأمام، ولفَّ تاوهار معطفه الصوفي حول ساقى الفتى. وأخيراً أخرج بريتشارد وعاء المخدر من جيبه وفتحه.

قال بريتشارد وهو يسند رقبة ستينز بيدٍ ويقربُّ الوعاء من فمه: "إنه للأسف مُرٌّ للغاية، لكنه سيُسكِّن آلامك. تفضَّل، أحسنت، إنه سهل البلع أليس كذلك؟ رشفة أخرى. أحسنت، أحسنت. رشفة أخيرة. والآن اسند ظهرك يا سيد ستينز وأغلق عينيكَ. سوف تغرق في النوم بأسرع ممَّا تتخيل".

Φ

غادر أليستار لودرباك المحكمة واتجه مباشرة إلى مكتب توماس بالفور وكيل الشحن. وهناك قذف نسخته الخاصة بعقد بيع جودسبيد على مكتب بالفور، وجلس قبل أن يدعو الرجل للجلوس، وصاح: "إنه لا يزال يمارس ألأعبييه، فرانسيس كارفر لا يزال يمارس ألأعبييه، وسوف يظل يبتزُّني حتى يوم مماتي".

استغرق بالفور وقتًا طويلاً حتى فهم المشهد المسرحي الذي حدث أمامه، وحتى فهم أبعاد اتفاق الحماية والتعويض الخاص بجودسبيد، ثم غامر أخيراً بإبداء رأيه الذي اقترح على لودرباك أن يعترف بالهزيمة في هذه المعركة. فقد تفوَّق عليه فرانسيس كارفر. فالتوقيع المبهم حيلة ذكية من الصعب على لودرباك أن يتغلَّب عليها، أما بخصوص موضوع التأمين على جودسبيد، فإنه يحقُّ لكارفر من الناحية القانونية أن يحصل على هذه الأموال، وقد وافق السيد

جاريته بالفعل على صرف مبلغ التعويض له. لكن السياسي كان عازفًا عن قبول هذه النصيحة العاقلة، واستمرَّ في التَّهْد، وشدَّ شَعْره، ولعن فرانسيس كارفر. وبحلول الساعة الخامسة كان صبر بالفور قد نفذ منذ أمد بعيد.

فقال أخيرًا: "لستُ أنا مَنْ يلزم أن تتحدث معه؛ فلا عِلْمَ لي بتفاصيل وخبايا القانون. ليس من المُجدي أن تأتي بالأمر لي".
"إلى مَنْ أذهب إذن؟".

"اذهب وتحدَّث مع رئيس الشرطة".
"إنه ليس في المدينة".

"وماذا عن القاضي؟".

"أتحدث إليه في مثل هذا في عشية الانتخابات؟ هل جُنِنت؟".
"إذن اعرض الأمر على شيرد، وانظر ماذا يرى".
قال لودرباك: "أنا والسيد شيرد لسنا على وفاق".

ثار غضب بالفور وقال: "حسنًا. لا بأس، لكن شيرد ليس على وفاق مع كارفر أيضًا، لا تنسَ ذلك! ربما يستطيع أن يساعدك في هذا الأمر".

سأله لودرباك: "ما الأمر بين شيرد وكارفر؟".

قطَّب بالفور وقال: "لقد قضى كارفر عقوبته كسجين تحت حراسة شيرد، كان شيرد ضابطًا في سجن جزيرة كوكاتو في ميناء چاكسون، وكارفر أمضى عقوبته هناك".

قال لودرباك: "أوه".

"ألم تكن تعلم هذا؟".

قال لودرباك: "لا، كيف لي أن أعلم بهذا؟".

قال بالفور: "توقَّعتُ أن تكون قد عَلِمْتَ به".

قال لودرباك بحزم: "أنا لا أستطيع أن أميز جورج شيرد من قطعة طباشير".



أنهى أوبرت چاسكوين ما كان يفعله في البنك المركزي في منتصف ساعات العصر، وحين دقَّت الساعة الخامسة كان قد عاد إلى المحكمة يُعدُّ سجلاً بجلسات الجنح لتأيمز الساحل الغربي. واندesh حين فُتِح باب المدخل ودخلت منه أنا ويذريل.

حيَّته باقتضابٍ وهي في طريقها لتصافح السيد فيلوز وتبادلاً سويًا عدة كلمات لم يستطع چاسكوين أن يسمعها، ثم أشار لها المحام ناحية باب مكتب خاص، وأغلق الباب وراءهما.

قال چاسكوين لزميله السيد بورك: "ما الذي تفعله أنا مع فيلوز؟".

قال بورك: "ليس لديَّ أدنى فكرة. لقد أتت مبكرًا حين كنت أنت في البنك. طلبت أن تتحدث مع أحد المحامين بخصوص أمر خاص".
"لَمْ لَمْ تخبرني؟".

قال بورك: "لم يكن شيئًا يستدعي الذكر. مرحى، ها هو المدير شيرد".

خطا جورج شيرد عبر القاعة متَّجِهًا ناحيتهما.

قال شيرد: "سيد چاسكوين، سيد بورك، مساء الخير".

"لقد حضرت لاستلام إذن بالقبض على أحد الصينيين".

"إنه جاهز للاستلام يا سيدي".

ذهب بورك لإحضار الإذن. انتظر شيرد وهو يسيطر على نفاد صبره، واضعاً يديه في خصره وأصابعه تربّت على جسده. حدّق چاسكوين ناحية باب مكتب فيلوز. فجأة، أتى من خلف الباب خبطة مكتومة، كأنها صوت جسد يقع من فوق السُلّم، وفي اللحظة التالية صرخ فيلوز، "ساعِدونا، ساعِدونا!".

عبر چاسكوين القاعة وفتح باب المكتب. كانت أنا ويذريل ترقد مُمدّدةً على الأرض بعينين مغلقتين وفمٍ نصف مفتوح، والمحامي فيلوز جاثٍ على ركبتيه بجانبها يهزُّ ذراعها.

قال فيلوز: "لقد سقطت أرضاً فجأة. انحنيت للأمام فوق الطاولة". والتفت إلى چاسكوين متوسّلاً: "أنا لم أفعل أي شيء، أنا لم ألمسها حتى". أتى السجان من خلفهما، وقال: "ما الذي يحدث؟".

جثا چاسكوين على ركبتيه وانحنى فوقها، ثم قال: "إنها تتنفّس. دعونا نحملها". وجذبها فأجلسها، متعجباً من النحافة والضعف الذي طرأ على أطرافها. سقط رأسها للخلف، فسندته بباطن كوعه. "هل خُبطَ رأسها؟".

قال فيلوز الذي بدا مرتعباً: "لا، لم يحدث. لقد سقطت بجانبها. يبدو أنها سكرانة. لكن لم يظهر عليها السُّكّر أبداً حين دخلت معي المكتب. أقسم أنني لم ألمسها".

"ربما فقدت الوعي".

قال شيرد: "فكّرا قليلاً أنتما الاثنان. أستطيع أن أشم رائحة المخدر من هنا".

چاسكوين أيضاً شمّ الرائحة، قوية ومُرّة. فمدّ إصبعه داخل فم أنا وفتح فكّيها. وقال: "فمها ليس مُبَقَّعًا. إذا تناوَلت مُخدرًا فلا بُدَّ أن يصطبغ لسانها باللون البني، أليس كذلك؟ وأسنانها أيضًا".

قال شيرد: "خُذها إلى السجن".

قطّب چاسكوين: "نأخذها إلى المستشفى".

قال شيرد: "إلى السجن. لقد سئمتُ هذه العاهرة ومسرحياتها. خُذها إلى مخيم الشرطة وكبّلها بالأصفاد. واجعلها تجلس مستقيمة بحيث تتمكّن من التنفس".

هزّ فيلوز رأسه، قائلاً: "لستُ أدري ماذا حدث، كانت يقِظَةً تمامًا، ثم فجأةً بان عليها الضعف، ثم...".

فُتِحَ باب المحكمة الأمامي مرةً أخرى، وأتى صوتٌ يصيح: "السيد كيي حضر لمقابلة السيد فيلوز".

أتى بورك من الخلف وقال: "عُذراً يا سيد شيرد، ها هو الإذن الذي طلبته للقبض على السيد سووك".

التفت چاسكوين قائلاً: "السيد كيي؟ ما الذي يفعله هنا؟".

قال السجان: "خُذ العاهرة من هنا".

Φ

استمع سووك يونج شينج إلى أجراس الكنيسة الويسيلية تدقّ مُعلنةً الخامسة والنصف من مرقده على الأرض العارية تحت سريّر چورچ شيرد حين أتت طرقات على باب الكوخ. أدار رأسه للجانب

واستمتع إلى خطوات أقدام مارجريت شيبرد. خطت في الصالة ورفعت المزلاج وأدارت مقبض الباب، ثم اتَّسع المربع المضيء المرسوم على الجدران القماشية، وشعر بالنسمات الباردة للهواء القادم من الخارج. كان الضوء قد بهت وخفتت حدَّته والظلال في المدخل لها لون رمادي قاتم.

"السيدة شيبرد على ما أعتقد".

"نعم".

"هل لي بكلمة مع زوجك؟ هل هو موجود؟".

قالت مارجريت شيبرد، للمرة الثانية في هذا اليوم: "لا. لقد ذهب إلى المحكمة في أمرٍ ما".

"يا للأسف!، هل يمكنني أن أنتظره؟".

قالت: "سيكون من الأفضل أن تأخذ ميعادًا".

"أفهم من هذا أنه غالبًا لن يعود".

قالت: "غالبًا ما يقضي لياليه في سي فيو. وأحيانًا ما يذهب للمدينة ليلعب البلياردو".

"فهمت".

لم يتعرَّف سووك يونج شينج على صوت أليستار لودرباك، لكنه استطاع أن يعرف من صوته أن المتحدث رجل ذو سُلطة.

استطرد لودرباك: "سامحيني على الإزعاج الذي سبَّبته لك. هل لك أن تُسدي لي جميلًا وتخبري زوجك أنني قد مررت عليه".

"نعم بالطبع".

"أنتِ تعلمين مَنْ أنا، أليس كذلك؟".

همست: "أنت السيد لودرباك".

"حسن جدًا. أخبريه أنني أودُّ أن أناقش أمرَ أحد معارفنا المشتركين.
اسم الرجل هو فرانسيس كارفر".
"سأخبره".

خطر لسووك يونج شينج أن هذا الرجل الذي يذكرون اسمه
سيكون ميثًا بحلول الصباح. أغلق باب الخروج مرة أخرى وأظلمت
الحجرة.



أفسح كويل ديفلن مكانًا لآنا في ركن من أركان سجن مخيم
الشرطة، وهو يفكر أن هيئتها الآن أسوأ كثيرًا من الهيئة التي رآها
عليها منذ شهرين مضيا، حين أحضرها للسجن لمحاولتها قتل نفسها.
لم تكن حرارتها مرتفعة كالمرة السابقة، ولم تتحدث في نومها، ولم تصدر
عنها تشنُّجات، لكنها الآن، وهي نائمة بسلام متدثرة بفستان حدادها
الأسود، بدت أسوأ حالًا بكثير. نحيلة بشكل لا يُصدِّق. كبَّلها بالأصفاد
بمنتهى الحزن، وجعل الأغلال واسعة بقدر ما استطاع. وطلب من
السيدة شيرد بطانية ليضعها تحت رأسها. وقد أستجابت لطلبه في
صمت.

طوى البطانية فوق ركبته قائلاً لجاسكوين: "ماذا يعني هذا؟ لقد
رأيت أنا اليوم صباحًا. واصطحبتها للمحكمة بنفسني! هل توجَّهت
مباشرة إلى بريتشارد واشترت قنينة من المخدَّر؟".

قال جاسكوين: "متجر بريتشارد مغلق. لقد ظلُّ مُغلقًا طيلة فترة
العصر".

مدّ ديفلن يده تحت رأس آنا ووضع البطانية تحتها.

"حسنًا، إذن بحق السماء من أين حصلت على قنينة المخدر؟".

"ربما كانت تحملها طيلة هذا الوقت".

قال ديفلن: "لا. حين غادرت الواي فيرر فورتشن هذا الصباح لم تكن تحمل معها أي حقيبة يد أو محفظة من أي نوع. ولم تكن تحمل معها أي نقود، على حدّ علمي. لا بُدَّ أن أحدهم أعطاهما لها. لكن لماذا؟".

أراد چاسكوين بشدة أن يعرف سبب زيارة كويل ديفلن للوايفيرر فورتشن صباح اليوم، وما حدث هناك، وبينما كان يفكر في طريقة مهذّبة لطرح تساؤلاته، ألقى صوت قعقعة وطققة لعربة تقترب، ثم ألقى صوت بريتشارد.

"مرحبًا يا مَنْ بالداخل، أنا چو بريتشارد، ومعني إيميري ستينز".

كاد وجه ديفلن يبدو مضحكًا في ذهوله. وحين وقف على قدميه كان چاسكوين قد خرج بالفعل، أسرع القسُّ في إثره وشاهد چوزيف بريتشارد ينزل من مقعد السائق في الساحة ويصطحب الخيول ليربطها في مربوط خيول السجن. وشاهد تي رو تاوهار جالسًا على مقعد العربة وذراعاه ملفوفتان حول فتى أبيض الوجه بعينين غائرتين. حلق ديفلن ناحية الفتى. أهذا إيميري ستينز، هذا الكيان الضعيف التافه؟ بدا الفتى أصغر كثيرًا ممّا تصوره، لم يكن عمره ليزيد عن إحدى وعشرين سنة، وربما أقل، إنه بالكاد أكبر قليلًا من طفل.

قال بريتشارد باختصار: "عثر عليه تاوهار مختبئًا في كوخ كروسبي. إنه مريض جدًّا كما ترى. ساعدونا في إنزاله".

قال ديفلن: "أنتما لا تودعانه السجن، أليس كذلك؟".

قال بريتشارد: "بالطبع لا. إنه ذاهب إلى المستشفى. إنه بحاجة لأن يراه الدكتور جيليز، وفوراً".

قال چاسكوين: "لا تفعل هذا".

قال بريتشارد: "لا نفعل ماذا؟".

قال چاسكوين: "لن يصمد لساعة إذا أخذته إلى هناك".

قال بريتشارد: "حسنًا، نحن لا نستطيع اصطحابه إلى منزله".

"اذهب به إلى فندق، اذهب به إلى أي غرفة في أي مكان. أي مكان سيكون أفضل من المستشفى".

قال بريتشارد مرة أخرى: "ساعِدونا. وأرسلوا في طلب الدكتور جيليز في الوقت الحالي. سنتركه يقرّر الأمر بنفسه".

أنزلوا إيميري ستينز من العربة.

قال بريتشارد: "سيد ستينز، هل تعلم أين أنت الآن؟".

تمتم قائلاً: "آنا ماجدلينا. أين آنا؟".

قال كويل ديفلن: "آنا هنا. إنها في الداخل".

فتح عينيه وقال: "أريد أن أراها".

قال بريتشارد: "إنه ليس في وعيه. إنه لا يعي ما يقوله".

قال الفتى بنشاطٍ مفاجئ: "أريد أن أرى آنا. أين هي؟ أريد أن أراها".

قال چاسكوين: "يبدو عاقلًا بالنسبة لي".

قال ديفلن: "أدخِله حتى يحضر الطبيب. هيا، إنه ما يرغب فيه. أحضروه داخل السجن".

زُحَلّ، الشرير الأكبر

وفيه يستمع سووك يونج شينج بالصدفة إلى بداية محادثة.

ربض أه سووك في قطعة الأرض الخالية خلف فندق كراون، وظهره ناحية خشب المبنى، وركبتاه مثنيتان، ومسدس كير باتنت ينام بين يديه. بدا كرجل يختلف تمامًا عن ذاك الذي اشترى المسدس صباح اليوم. قصّت مارجريت شيرد ضفائره وظلت ذقنه وحلقه باللون الأسود وحددت حواجبه وجعلتها أكثر كثافة بنفس اللون الأسود، ووجدت له سترة بالية، وقميصًا قطنيًا ممّا يرتديه السجناء، ومنديلاً أحمر ليربطه حول عنقه. وحين جذب حافة قبعته لأسفل، ورفع ياقة سترته، لم يبدُ كرجل صيني بأي حال من الأحوال. وحين سار مسافة الثلاثمائة ياردة الفاصلة ما بين مخيم الشرطة والكراون، لم

يلفت انتباه أي شخص على الإطلاق، وهو الآن، رابض في قطعة الأرض الفضاء، مختلفٍ عن الأنظار تمامًا.

بداخل الفندق دار حديث بين اثنين، رجل وامرأة. وقد جاءه صوتهما بوضوح من المسافة ما بين درفة النافذة وإطارها.

قال الرجل: "يبدو أنني سأنجو، سأخرج من الأمر محميًا ومُعَوَّضًا".

قالت المرأة: "لكنك تبدو منزعجًا".

"نعم".

"ما الذي تشكُّ فيه؟ لقد أصبح المال تقريبًا في يدك".

"أنت تعلمين أنني لا يمكنني الوثوق في رجل لا يعرفه أحد. لم أستطع أن أعرف أي شيء عن هذا الرجل چاسكوين على الإطلاق. لقد وصل إلى هوكيتيكا قبل عيد الميلاد المجيد ببعض الوقت. وحصل على وظيفة في المحكمة بدون أي جلبة. ويعيش بمفرده. وليس له أصدقاء معروفون. أنت تقولين إنه ليس سوى شخص متأنق. لكنني أقول، كيف لي أن أتأكد أن لودرباك لم يرسله لي؟".

"لديه صديق واحد. لقد اصطحبه معه إلى حفل افتتاح الواي فيرر فورتشن. أنا أتذكَّره. فتى من النوع الأرستقراطي".

"ما اسمه؟ اسم الصديق".

"اسمه والتر مودي".

"هل يُعَقَّل أن يكون ابن إدريان مودي؟".

"خطرت لي نفس هذه الفكرة. لقد تحدَّثت بلكنة اسكتلندية".

"حسنًا، ها أنتِ قد قُلْتِها، لا بُدَّ أنهما قريبان".

وأتى صوت رنين الكؤوس.

واستمر الرجل: "لقد رأيته قبل أن أترك ديوندين مباشرة. أقصد إدريان. كان منشغلاً للغاية في شؤونه الخاصة".

قالت المرأة: "ولا بُدَّ أنه يبحث عن المشاكل، بلا شك".

"لا يعجبني الرجل الذي لا يمكنه التحكم في نفسه".

وافقته المرأة، "أنا أيضاً، ومودي من أسوأ النوعيات، من نوعية الرجل الذي يحب أن تتمَّ إهانته لكي تتاح له الفرصة لينفث عن غضبه؛ لأنه لا يعلم كيف ينفث عنه بطريقة أخرى. إنه رجل مهذب طالما هو في وعيه".

قال الرجل: "على أي حال، ما دام هذا الرجل چاسكوين على علاقة بأي شخص في عائلة مودي، فإنه سيكون على ما يرام بالنسبة لنا".

"التشابه بين أفراد هذه العائلة بسيط للغاية. لا بُدَّ من أن شخصية الأم كانت قوية".

ضحك الرجل وقال: "لا تنقصك الآراء أبداً يا جرينواي. دائماً بجعبتك رأيي ما جاهز للإدلاء به والإفصاح عنه".

وساد بعض الصمت ثم قالت المرأة: "في الواقع فقد وصل إلى هنا على متن جودسبيد".

"مودي؟".

"نعم".

"لا، لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً".

"فرانسيس، لا تُعارضني. لقد أخبرني بهذا بنفسه تلك الليلة".

قال الرجل: "لا، لم يكن هناك مَنْ يُدعى مودي، كانوا ثمانية ركاب فقط، ولديَّ سَجَلُ الركاب. كنت لأتذكر اسمه إن كان قد أبحر معي".

قالت المرأة: "ربما غفلت عن الاسم. أنت تعلم أنني أكره أن يتم معارضتي. دعنا لا نختلف حول هذا الأمر".

"كيف أغفل عن اسم مثل مودي؟ هل يمكن أن أنسى اسم مثل هانوفر؟ أو بلانتاجينيت؟".

ضحكت المرأة وقالت: "أقول إن هناك جانبًا مشتركًا بين إدريان مودي وسلالات الملوك والأمراء؟".

سمع آه سووك صرير كرسي، وسمع صوت حركة فوق الأرضية الخشبية.

"أقصد أنني كنت سأميز الاسم. هل يمكنك أن تنسي اسم كارفر؟".

أصدرت المرأة صوتًا من حلقها وقالت: "أنا متأكدة من أنه ذكر وصوله على متن جودسبيد، أتذكر هذا بكل وضوح. لقد تبادلنا بعض الحديث حول هذا الموضوع".

قال الرجل: "هناك شيء ما في غير موضعه".

"حسنًا، هل لديك قائمة الركاب؟ لا بُدَّ أن لديك نسخة من التايمز من وقت وصول السفينة. لِمَ لا تلقي نظرة وتتأكد بنفسك؟".

"نعم، أنتِ على حق. انتظري قليلًا، سأذهب وأبحث في غرفة التدخين. إن لديهم كومة من الجرائد القديمة فوق منضدة الكتابة".

وفتح الباب ثم أغلقه.



أتى ضوء المصباح من الغرفة التالية ينير إحدى زوايا قطعة الأرض الفضاء بوهج من اللون الأصفر المكتوم. كان كارفر في غرفة التدخين الخاصة بفندق كراون، وبعيدًا عن ليديا ويلز أخيرًا. رفع آه سووك

نفسه قليلاً ورأى من خلال النافذة أن كارفر يولي الباب ظهره ويبحث بين الجرائد الموجودة فوق المكتب. وعلى حدٍّ ما استطاع أن يرى فلم يكن هناك أحد في الغرفة غير كارفر. وفي غرفة النوم بدأت ليديا تهمهم بأغنية لنفسها.

وقف أه سووك على قدميه ممسكاً الكير باتنت بجانب ساقه وتحركَ بسلاسة بمقدار ما سمح له حذاء المنقّبين الذي يرتديه، تسلَّل وراء المبنى إلى باب البضائع، والتفت إلى الشارع الجانبي، ثم تجمّد في مكانه.

"ألقِ سلاحك أرضاً."

كان السجان چورچ شيرد يقف في الناحية البعيدة من الشارع الجانبي، ووجهه في الظل، وفي يده مسدس ذو ماسورة طويلة. لم يتحرك أه سووك من مكانه. وانتقلت عيناه إلى مسدس شيرد، ثم إلى وجهه. قال شيرد: "ألقه. سأطلق عليك الرصاص. ألقِ المسدس الآن".

لم يقل أه سووك أي شيء، ولم يتحرك من مكانه.

قال شيرد: "انزل على ركبتيك وضع مسدسك على الأرض، افعل هذا الآن وإلا متّ. انزل على ركبتيك".

نزل أه سووك على ركبتيه، لكنه لم يترك المسدس من يده. وقد أحكم وضع أصبعه على الزناد.

قال شيرد: "سأطلق عليك الرصاص وأقتلك قبل أن تتاح لك الفرصة لأن تصوّب وتطلق الرصاص. لا تُسَيِّ التصرف. ألقِ سلاحك". قال أه سووك: "مارجريت".

قال شيرد: "نعم. لقد أرسلت لي رسالة".

هزَّ أه سووك رأسه. لم يستطع أن يصدق الأمر.

قال شيرد بجفاف: "إنها زوجتي. وكانت زوجة أخي قبل أن تكون زوجتي. أنا متأكد أنك تتذكر أخي. لا بُدَّ أنك تتذكره".
أحكم أه سووك أصبعه فوق الزناد مرة أخرى وقال: "لا".
"لا بمعنى أنك لا تتذكره؟ أم لا بمعنى أنك لا تصدق أنه يجب عليك أن تتذكره؟".

قال أه سووك بعناد: "لا".

قال شيرد: "دعني أنشط ذاكرتك. لقد مات في وايت هورس سالون في ميناء دارلينج. أصيب بطلق ناري في رأسه من مسافة قريبة. هل تتذكره الآن؟ كان يُدعى چيرمي شيرد".
"أنا أتذكره".

قال شيرد: "عظيم. أنا أيضا أتذكره".

"أنا لم أقتله".

"أرى أنك لا زلت تردّد نفس الاسطوانة القديمة المشروخة".

قال أه سووك مرة أخرى وهو لا يزال راكعًا على ركبتيه:
"مارجريت".

Φ

"فرانسيس".

"اصمتي، اصمتي قليلًا".

"ما الذي تنصت إليه؟".

"اصمتي".

"إنني لا أسمع شيئاً".

"ولا أنا، وهذا جيد".

"كان الصوت قريباً جداً".

"يا صغيرتي المسكينة. هل أقلقك الصوت؟".

"أعتقد أنه أقلقني قليلاً".

"لا تقلقي. إنه على الأغلب حادث عارض. ربما كان أحدهم ينظف مسدسه".

"لقد تصوّرتُ أنه هذا الصيني البشع".

"لن يفعل لك أي شيء. سيّجّه مباشرة إلى فندق بالاس، وسيلقون القبض عليه قبل الصباح".

"لقد كنت خائفاً منه للغاية يا فرانسيس".

"تعالِ إلى هنا".

"لا بأس، لا بأس. أنا بخير الآن. دعنا نرى ما عثرت عليه".

"ها هو ذا". وأتى صوت خشخشة ناعمة. "انظري، مكيتشن، مورلي، باريش، أرايت؟ ثمانية بالتمام والكمال، وليس هناك أي ذكر لوالتر مودي".

ساد الصمت قليلاً وقتما راجعت الصحيفة، وتأكدت من التاريخ.

قال كارفر: "غريب أن يكذب في هذا الشأن. خاصة إذا ما أخذت في الاعتبار أمر صديقه الذي يظهر من العدم بعدها بعدة أسابيع ويبدأ في الثثرة معي عن التأمين ويقول لي أنه مجرد شخص يخبر شخصاً آخر عن منفذ النجاة".

"لا بُدَّ أن بين هذه الأسماء اسمًا مستعارًا. إن كان ركابك ثمانية، ووالتر مودي من بينهم".

"كانوا ثمانية، وتمَّ تسجيل أسماء كل فرد منهم. لقد ركبوا مركب صغير حتى الشاطئ ذاك العصر، قبل أن تغرق السفينة بست أو سبع ساعات".

"إذن فقد ركب باسم مستعار".

"ولمَّ قد يفعل ذلك؟".

"حسنًا، ربما يكذب بخصوص الوصول على متن جودسبيد".

"ولمَّ قد يفعل ذلك؟".

لم تستطع ليديا ويلز إيجاد إجابة على هذا السؤال، وبعد فترة قالت: "ما الذي تفكر فيه يا فرانسيس؟".

"أفكر أن أرسل لصديقي العزيز إدريان خطابًا".

قالت السيدة ويلز: "نعم، قُم بهذا. وأنا من جانبي سأقوم ببعض التحريات".

"لقد أتت أموال التأمين بالفعل. كان چاسكوين مُحِقًّا".

قالت: "هيا نخلد للنوم".

"كان يومك صعبًا".

"صعبًا للغاية".

"سيكون كل شيء على ما يرام في النهاية".

قالت السيدة ويلز: "ستنال ما تستحقه. أريد أنا أيضًا أن أنال ما أستحقه يا فرانسيس".

"إن الانتظار صعب بالنسبة لك".

"إنه مرعب".

"اممم".

"ألم تتعب أنت أيضًا من الانتظار؟".

"حسنًا، ليس بإمكانني بعد أن أتباهى بكِ علنًا كما أحب".

"كيف تحب أن تتباهى بي؟".

لم يردّ كارفر، وبعد برهة قال بصوت منخفض: "ستصبحين السيدة كارفر عن قريب".

قالت ليديا ويلز: "أتمنى ذلك".

وبعد ذلك لم يتحدث أحدٌ لوقت طويل.

الاعتدال

وفيه ينام الأجيّة وينشغلون عن الكثير من الهرج والمرج.

أمر جورج شيرد بإحضار جثة سووك يونج شينج ووضعها على أرضية مكتبه الخاص في مخيم الشرطة. بدا السواد الموجود على ذقن الرجل وحلقه أكثر بشاعة بعد موته، تنفّست السيدة جورج بعمق كبير حين أتوا بجثته، كأنها تحصّن نفسها داخلياً من الرياح. نظر كويل ديفلن عند عودته من سجن مخيم الشرطة إلى الجثة وهو مصدوم. فقد ذكّره المنعزل بالناسك كروسبي ويلز، الذي رقّدت جثته بنفس هذه الطريقة منذ شهرين على نفس الملاءة القطنية، كان الصيني راقداً وشفاته مفتوحتان قليلاً، وإحدى عينيه يظهر منها وميض من البياض حيث لم يتمّ إغلاق جفونها جيداً. واستغرق الأمر بعض الوقت قبل أن يتعرف ديفلن على شخصية الميت.

قال شيرد بهدوء: "أطلقت عليه النار. رفع مسدسه على كارفر بقصد أن يطلق عليه الرصاص من ظهره من خلال النافذة. لحقت به في الوقت المناسب".

عثر ديفلن على صوته أخيرًا، "ألم يكن بإمكانك نزع سلاحه؟".

قال شيرد: "لا، ليس في تلك اللحظة؟ كان الأمر إمّا حياته أو حياة كارفر".

بكت مارجريت شيرد.

قال ديفلن وهو ينظر إليها، ثم ينظر إلى شيرد: "لكني لا أفهم. ماذا كان يفعل برفع مسدّس على كارفر؟".

قال جورج شيرد موجّهًا كلامه لزوجته، التي بكت للمرة الثانية: "ربما تستطيعين توضيح الخلط الذي يعاني منه القسّ يا مارجريت. أيها الموقّر، سأحتاج منك أن تحفر قبرًا آخر".

قال ديفلن مقطّبًا: "يجب علينا بالتأكيد إرسال جثته إلى أهله".

قال شيرد: "ليس له أهل".

قال ديفلن: "كيف عرفت ذلك؟".

قال شيرد: "أقولها مرة أخرى أنه يجدر بك أن تسأل زوجتي".

قال ديفلن متشكّكًا: "سيدة شيرد؟".

شهقت مارجريت شيرد وغطّت وجهها بيديها.

التفت إليها شيرد وقال: "تمالكي نفسك. أنتِ لست طفلة".

أزالت المرأة يديها من على وجهها فورًا، وهمست بدون أن تنظر للقس: "اعذرنى أيها الموقّر". وبدا وجهها شديد البياض.

قال ديفلن مقطَّبًا: "لا بأس على الإطلاق. أنتِ في حالة صدمة، هذا كل ما في الأمر، ربما يتوجَّب عليك أن تترتاحي قليلًا".
همست: "چورچ".

قال السجان محدِّقًا فيها: "أرى أنك قمت اليوم بالاختيار الأخلاقي. أحييكَ لهذا".

عند سماعها لهذا تغصَّن وجه السيدة شيبرد وخبطت يديها على فمها وجرت من الحجرة.

قال السجان لديفلن حين خرَّجت: "أعتذر لك. زوجتي لها طبع حسَّاس كما ترى".

قال ديفلن: "إنها ليست مخطئة". فالعلاقة بين شيبرد وزوجته تزعجه لأقصى درجة، لكنه لم يَفْه أبدأً بقلقه. واستطرد: "من الطبيعي أن تغلب الإنسانَ مشاعره في حضور الأموات. خاصة إن كان للمرء تاريخ شخصي مع المتوفَّى".

كان شيبرد ينظر إلى جثَّة سووك يونج شينج. ثم رفع بصره وقال بعد برهة: "ديفلن، هلَّا شاركتني بعض الشراب؟".

اندهش ديفلن، فالسَّجَّان لم يوجَّه له مثل هذه الدعوة من قبل. وقال بحرص: "يُشرِّفني هذا. لكن ربما توجَّب علينا الذهاب إلى غرفة الاستقبال، أو الخروج الشرفة، كي لا نقلق راحة السيدة شيبرد".

"نعم". واتَّجه شيبرد إلى خزانة الخمر الخاصة به. "أتودُّ أن تتناول بعض البراندي، أم الويسكي؟ لديَّ كلاهما".

قال ديفلن وهو مندهش للمرة الثانية: "حسنًا، لقد مرَّت فترة طويلة للغاية منذ تناولتُ قطرة من الويسكي. بعض الويسكي سيكون جيد جدًّا".

قال شيرد وهو ينتزع الزجاجة ويرفعها عاليًا: "لديّ ويسكي كيركليستون. إنه نوع معقول". وأخذ كأسين وأمسكهما بيده الضخمة، وأشار لديفلن كي يفتح الباب.

كان فناء مُخَيَّم الشرطة مهجورًا وباردًا في الظلام. وكل المباني التي تواجهه مغلقة وسكانها نائمون، والرياح قد هدأت مع الغروب، وكاد الهدوء يبلغ للكمال، والصمت مثل صفحة ينبوع. والصوت الوحيد يأتي من الفراشات المرتطمة بالكرة الزجاجية المعلقة في حامل بجانب باب الكوخ. والتي يبعث جسدها بفوران من الضوء في كل مرة ينتهي بها مسار طيرانها إلى قلب اللهب، وتفوح الرائحة الترابية الحادة لجسدها المحترق.

وضع شيرد الكؤوس على السور وصَبَّ لكل منهم كأسًا من الشراب، وقال وهو يناول ديغلن أحد الكؤوس، ويفرغ الآخر في جوفه: "ماجريت كانت زوجة أخي. أخي الأكبر. جيرمي. لقد تزوّجتها بعد وفاته".

تمتم ديغلن وهو يأخذ منه الكأس: "شكرًا". قَرَّب الكأس من أنفه. إن السجان متواضع جدًّا؛ فالويسكي أكثر من معقول. يبلغ ثمن زجاجة ويسكي كيركليستون في هوكتيكا ثمانية عشر شلنًا، ويصل الثمن إلى ضعف هذا المبلغ في حالة نقص المشروبات.

قال السجان: "المكان يُدعى وايت هورس صالون. إنها حانة على جانب الرصيف في ميناء دارلينج. لقد أطلق الرصاص على رأسه".

تناول ديغلن رشفة من الويسكي. كان الطعم مدخّنًا ومعثّقًا قليلًا، ذكّرهُ الطعم باللحم المحفوظ، والكتب الجديدة، وأفنية الحظائر، والقرنفل.

استمرّ شيرد في الحديث وهو يصبُّ لنفسه كأسًا آخر من الشراب: "فتزوّجتُ زوجته. فهذا ما يصحُّ أخلاقيًا. أنا لست كأخي

أيها الموقر، طبعه لا يشبه طبعي، وذوقه لا يشبه ذوقي. لقد كان شهوانيًّا. أنا لا أقصد أن أمدح نفسي، لكن الاختلاف ما بيننا كان -غالبًا- واضحًا جدًّا، واضحًا منذ طفولتنا. لم أعرف أي شيء عن زواجه من مارجريت. كانت نادلة في حانة. وليست جميلة كما ترى. لكنني تزوّجتها. تزوّجتها بدافع الواجب. تزوّجتها، وتولّيت مسؤولية الإنفاق عليها، وقت مصابها، وسويًّا، انتظرنا المحاكمة".

أوماً ديفلن في صمت مُحدِّقًا في مشروبه وهو يلفُّ الكأس الصغير في يده. مفكّرًا في سووك يونج شينج الممدّد باردًا على الأرض بالداخل، وذقنه وحلقه مُلطّخان بدهان الأحذية الأسود، وحاجباه مثقلان باللون الأسود كأنه مهرج.

قال شيبرد: "جيرمي المسكين، المتوحش. لم أكن مُعجَبًا به بالمرة، وعلى حدّ معرفتي، لم يكن هو الآخر معجَبًا بي. كان مشاكسًا رهيبًا. توقَّعتُ أنه سيلقى حتفه في إحدى مشاجراته إن آجلًا أم عاجلًا، فهو يدخل في مشاجرات بشكل دائم. حين علمت أنه قُتل، لم أندهِش". وأفرغ كأسه في جوفه مرة أخرى، وأعاد ملئه. وانتظره ديفلن ليكمل حديثه.

"قتله أحد الصينيين. كان جيرمي قد قام بركله في الشارع، وأهانته على الأغلب. وعاد الصيني ليردّ اعتباره. ووجد أخي سكرانًا في غرفة مستأجرة فوق الحانة. فالتقط مسدس مارجريت من جانب السرير ووضع فوهته في رأسه، وانتهى الأمر. ثم حاول الهروب بالطبع، لكنه غيَّب. لم يصل لأبعد من حافة الرصيف. أوقعه أحد الضباط أرضًا ورماه في السجن في نفس الليلة. وتحدّد تاريخ جلسة المحاكمة بعدها بستة أسابيع".

مرة أخرى أفرغ شيرد كأسه. كان ديفلن مذهولاً، لم ير السجنان يشرب من قبل اللهم إلا في وقت الطعام، أو كدواء. ربما يكون موت أه سووك قد أصابه بالاضطراب.

واستمر السجنان في الحديث، وهو يصبُّ لنفسه كأساً رابعاً. وقد بدأ وجهه يحمرُّ، "توقَّعنا نتيجة المحاكمة قبل أن تبدأ؛ لأنه أولاً فالمشتبه فيه صيني. وثانياً لديه عديد من الدوافع ليرتد الأذى لأخي. وثالثاً فإنه لا يعرف كلمة واحدة بالإنجليزية يمكن أن يدافع بها عن نفسه. لم يكن هناك أدنى شك في عقل أي شخص أن الصيني مذنب. فقد سمع الجميع صوت الطلقات. وراه الجميع يجري. ثم جاءت مارجريت شيرد إلى منصة الشهود. ولا تنسَ أنها وقتها كانت زوجتي منذ عهد قريب جداً. فقد مرَّ على زواجنا أقل من شهر. جلست وقالت: 'هذا الصيني لم يقتل زوجي، لقد قتل زوجي نفسه، أنا أعلم هذا لأني شهدت انتحاره بنفسه'."

تساءل ديفلن إن كانت مارجريت شيرد تستمع من الداخل.

قال السجنان: "لم يكن هناك كلمة واحدة حقيقية فيما قالته. كل هذا محض افتراء. لقد كذَّبت تحت القسم. لقد دُنِّست ذكرى زوجها الراحل، ذكرى أخي، وقالت إنه انتحر، وكل هذا لتحمي هذا الصيني الذي لا يساوي شيئاً من العقاب الذي استحقَّه. كانوا سيحكمون عليه بالشنق، كانوا سيشنقونه بدون أدنى شك. لقد ارتكب هذه الجريمة، ولم يُعاقب عليها."

قال ديفلن: "كيف تأكدت أن زوجتك لم تكن تقول الحقيقة؟".

مدَّ شيرد يده ناحية الزجاجاة مرة أخرى وقال: "كيف تأكدت؟ لم يكن أخي من الطراز الذي ينتحر، هذا ما يجعلني متأكداً. هل لك في كأس آخر؟".

قال ديفلن وهو يمدُّ له كأسه: "نعم من فضلك". فمن النادر أن يتذوَّق الويسكي.

قال شيرد وهو يصبُّ الشراب: "أرى أنك تشكُّ في الأمر أيها الموقِّر. لكن ليس لديَّ طريقة أخرى أقولها بها. لم يكن جيرمي من طراز البشر الذي يمكن أن ينتحر. تمامًا مثلي".

"لكن ما الذي قد يدفع السيدة شيرد لأن تكذب تحت القسم؟".

قال شيرد باختصار: "كانت معجبة به".

قال ديفلن: "بالرجل الصيني".

قال شيرد: "نعم. المرحوم السيد سووك. هناك تاريخ يجمعهما. تأكَّدُ أنني لم أعلم شيئًا عنه. حين اكتشفت الأمر كانت قد أصبَحَت زوجتي بالفعل".

رشف ديفلن رشفة أخرى من كأسه. وظلَّ كلاهما صامتًا لبرهة طويلة وهما يتأملان ظلال المباني المقابلة.

قال ديفلن: "لم تذكر لي ما علاقة فرانسيس كارفر بالأمر".

قال شيرد وهو يلفُّ كأسه: "آه، كارفر. نعم".

قال ديفلن ليحثُّه على الحديث: "ما علاقته بالسيد سووك؟".

قال شيرد: "هناك تاريخ يجمعهما. بعض الضغائن. خلاف بسبب الأعمال التجارية".

ديفلن يعلم هذا بالفعل، وقال: "نعم".

"كنت أراقب سووك منذ كان في ميناء دارلينج. وأتتني بعض الأخبار صباح اليوم أنه اشترى مسدَّسًا من متاجر المستلزمات في شارع كامب، وعلى الفور قدِّمْتُ طلب إصدار إذن بالقبض عليه".

"هل تقبض على رجل لأنه ببساطة اشترى مسدَّسًا؟".

"نعم، إذا علمت ماذا ينوي أن يفعل به. لقد أقسم سووك على أن يقتل كارفر. لقد أقسم على هذا. لقد تأكدتُ من هذا حين لحق بكارفر أخيراً، كان يريد أن يقتله. بمجرد أن سمعت بخبر المسدس أعلنتُ التَّأهُّب. فحاصرت فندق بالاس. وأرسلتُ أحذّر كارفر. وحذرتُ عمّال الفندق لكي ينشروا الخبر. كنت خلفه بخطوة حتى النهاية".

قال ديفلن بعد لحظة: "وفي النهاية؟".

حدّق فيه شيرد بنظرة باردة، "لقد أخبرتك بما حدث".

قال ديفلن: "كان الأمر إمّا حياته أو حياة كارفر".

قال شيرد: "لقد تصرّفت في حدود القانون".

قال ديفلن: "أنا متأكد من هذا".

"لديّ إذن بالقبض عليه".

"لا شكّ لديّ في ذلك".

قال شيرد بحزم: "الانتقام تصرّف ينبع من الغيرة، وليس من العدالة. إنه تحريف أناني للقانون".

وافقه ديفلن، "الانتقام بالفعل عملٌ أنانيّ، لكنني أشك أن له علاقة بالقانون".

وأنهى كأسه، وكذلك فعل شيرد بعد وقت طويل.

قال ديفلن وهو يضع كأسه على السور: "أنا في غاية الأسف من أجل أخيك يا سيد شيرد".

قال شيرد وهو يغلق زجاجة الويسكي: "حسنًا، لقد مرّت على هذا الأمر سنوات طويلة. وانتهى الأمر".

قال القسّ: "هناك أمور لا تنتهي أبدًا. نحن لا ننسى من أحببناهم أبدًا. نحن لا نستطيع أن ننساهم".

نظر إليه شيرد وقال: "أنت تتحدث كأن لك تجربة سابقة".

لم يجبه ديفلن على الفور، بعد برهة من الصمت قال: "إذا كنت قد تعلّمت شيئاً واحداً من التجارب، فقد تعلّمتُ ألا أستهين بصعوبة القدرة على فهم موقف ما من وجهة نظر شخص آخر".

ندّت حشجة من السجن رداً على هذا. وراقب ديفلن وهو يهبط السلام إلى ظلال الساحة. وعند مرتبط الخيل التفت القس وقال: "سأكون في سي فيو في الصباح الباكر، لكي أبدأ بحفر القبر". لم يتحرك شيرد من مكانه، وقال: "تصبح على خير يا كويل".

"تصبح على خير يا سيد شيرد".

ظلّ السجن ينظر إليه حتى لفّ ديفلن حول جانب السجن، ثم التقط الكؤوس الفارغة بين أصابعه، وأمسك الزجاجاة، واتجه لداخل المبنى.

Φ

كانت أبواب السجن مفتوحة، والضابط جالس في المدخل وبندقيته ممدّدة على ركبتيه. ورفع حاجبيه في وجه القس مستفسراً عما إن كان ينوي الدخول.

قال بصوت منخفض: "أخشى أنهم نيام".

قال ديفلن بصوت منخفض: "لا بأس، سأبقى للحظة واحدة".

لقد أخرجوا الرصاصة من كتف ستينز، وخاطوا الجرح. وقطعوا ملابسه القذرة من على جسده، وغسلوا التراب من شعره ووجهه، وألبسوه بنطالاً من القماش القطني وقميصاً قطنياً فضفاضاً، تبرّع بها متجر تيجران للمستلزمات على وعد بدفع ثمنهم في اليوم التالي.

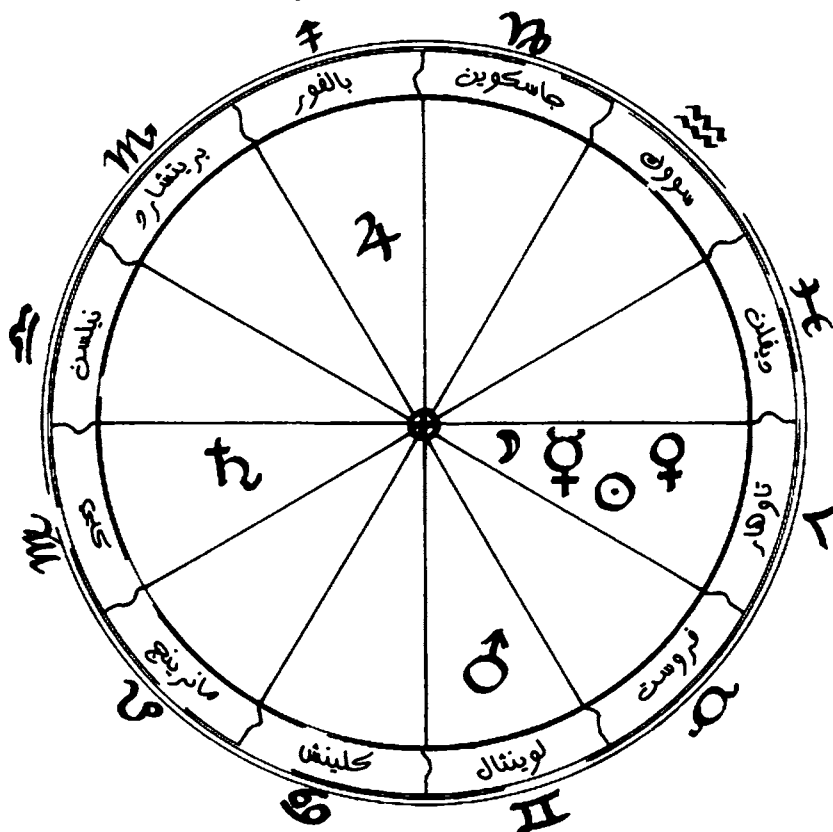
وخلال كل هذا ظل الفتى يفيق من غيبوبته وينجرف إليها، متممًا اسم آنا، وحين علم أن الطبيب ينوي نقله إلى فندق الكريتيرون المواجه لمخيّم الشرطة فتح عينيه على آخرهما على الفور. إنه لن يترك آنا. لن يذهب إلى أي مكان لن تذهب أنا إليه. وأثار جلبه كبيرة حول هذا الموضوع لدرجة أن الطبيب بعد إلحاح طويل قرّر أن يسترضيه. ووضع له سريرًا في السجن بجانب المكان الذي ترقد فيه أنا، وقد قرّروا أن يكبلوه بالأصفاد كغيره من السجناء، بغرض منع أي مشكلات. وقد انصاع الفتى للأصفاد بلا احتجاج، ورقد ومدّ يده ليلمس وجنة آنا، وبعد وهلة أغلق عينيه وذهب في سبات عميق. وظلّ نائمًا. رقد هو وأنا متواجهين، ستينز راقِد على جانبه الأيسر، وأنا على جانبها الأيمن، كلاهما ركبته مضمومتان على صدره، وإحدى يدي ستينز موضوعة تحت كتفه المربوطة، وإحدى يدي أنا موضوعة تحت وجنتها. لا بُدَّ من أنها قد التفتت ناحيته في وقت ما من الليل، فذراعها اليسرى مفرودة، وأصابعها ممدودة وراحة يدها ناحية الأرض.

اقترب منهما ديفلن، وأحسَّ بمشاعره تفيض، لكنه لم يتمكن من تحديد نوع المشاعر. لقد أدفأ ويسكي جورج شيرد صدره ومعدته، وأحسَّ بضيق غائم في رأسه، وأحسَّ بحرارة غائمة خلف عينيه، القصة التي قصّها عليه السجناء ملأته بالبؤس والخوف. أهو على وشك البكاء. بالتأكيد سيتحسن شعوره إن بكى. يا له من يوم. أحسَّ بقلبه مُثَقَّلًا وأطرافه متعبة. نظر إلى آنا وإيميري، إلى جسديهما المتقابلين. يتنفّسان الواحد خلف الآخر.

وفكّر وهو ينظر إليهما، إذن فهما حبيبان. إذن فهما حبيبان رغم كل شيء. لقد تأكّد من ذلك من الطريقة التي ينامان بها.

الجزء الرابع
باينجا واها واها
27 أبريل 1865

45° 52' 0" S / 170° 30' 0" E Dunedin



المنزل الأول في برج الحمل

وفيه تصل سفينة بخارية إلى ميناء تشالمرز من سيدني، ويستيقظ راكبان قبل بقية الركاب

أول ما ملحته أنا ويذريل من نيوزلندا هو الرؤوس الصخرية لشبه جزيرة أوتاجو، تلك المنحدرات المزركشة التي تهبط بحدة في الزبد الأبيض للماء، وفوقها عباءة متجعدة من الأعشاب التي أمالتها الرياح. كان الوقت بعد الفجر مباشرة. ومن المحيط يتصاعد ضباب باهت يغطي النهاية البعيدة للميناء، حيث تصبح التلال زرقاء اللون، ثم بنفسجية كلما ازداد الخليج ضيقاً حتى يكاد ينغلق. والشمس التي لا تزال في طريقها من الشرق ألقت ببقعة من الضوء الأصفر اللامع على المياه، وأضافت على صخور الشاطئ الغربي مسحة من صبغة برتقالية. لم تكن مدينة ديوندن قد ظهرت بعد، رقدت مختفية خلف

انحناءة الميناء، ولم يكن هناك أي منازل أو قطعان حيوانات في هذه القطعة من الساحل؛ وتكون انطباع أنا الأول من ممر مائي خال، وسماً صافية، وأرضاً خشنة لم تمسها حياة الإنسان وصناعاته.

ظهر أول أثر للأرض في الساعات الرمادية التي تسبق الفجر؛ لذا لم تشهد أنا الضباب في الأفق يتجمع ويتجمع ويزداد سُمكاً ليخلق حاجزاً يحيط بشبه الجزيرة، وقت اقتراب السفينة البخارية من الساحل. وقد استيقظت، بعدها بساعات على ضجة غريبة من أصوات طيور غير مألوفة، فعرفت (وكانت على حق) أنهم وبعد طول انتظار يقتربون من اليابسة. تركت مرقدها بهدوء كيلا توقظ المرأة الأخرى، وفي الظلام رُتبت شعرها وارتدت جواربها. وحين صعدت السلم الحديدي إلى سطح السفينة، بشالها حول كتفيها، كانت الفورشتن ويند تدور حول رأس الميناء الخارجي، وشبه الجزيرة تحيط بها من كل جانب، غمرتها على الفور راحة لا يمكن وصفها، بعد أسابيع طويلة قضتها في البحر.

"مذهلون، أليسوا كذلك؟".

التفتت أنا فوجدت فتى أشقر الشعر يرتدي قُبْعَةً من الجوخ يقف مستنداً إلى حاجز مُيسرة السفينة. أشار إلى المنحدرات، فلمحت أنا الطيور التي أيقظها نداؤها للحوح من نُعاسها، كانت معلّقة في سحابة حول حافة المنحدر، تُلْفُ، وتدور، وتلتقط خيوط الضوء. اتجهت أنا ناحية الحاجز. بدت الطيور كأنها نوارس عملاقة، أجنحتها سوداء من أعلاها وبيضاء من أسفلها، ورؤوسها شاهقة البياض بمناقير قوية باهتة اللون. في وقفها تتأملهم، طار أحدها على مسافة قريبة من مقدمة السفينة، ولمس بطرف جناحه سطح الماء.

قالت: "جميلة... أهى من طيور النّوء، أم ربما من طيور الأطيش؟".

رد الفتى مبتسماً: "إنها طيور القطرس! إنها بالفعل من طيور القطرس، انتظري حتى يعود هذا الذي اقترب منّا، سيعود بعد لحظة، إنه يحوم حول السفينة منذ فترة. يا إلهي، يا له من إحساس أن تطير! هل يمكنك تخيله؟".

ابتسمت أنا، وراقبت القطرس وهو يطير مبتعداً عنهم، ويلف، ويبدأ في تسلق الرياح.

قال الفتى: "القطرس نذير بأجمل الحظوظ وأسعدها. وهي بارعة في الطيران. سمعت أن بعضها يتبع السفن لشهور وشهور متصلة، وخلال مختلف الظروف الجوية، يتبعها أحياناً نصف المسافة حول العالم. الله وحده يعلم أين ذهب هؤلاء، وماذا شاهدوا".

حين انقلب الطائر على جانبه أصبح تقريباً غير مرئي. كإبرة بيضاء باهتة في السماء.

استطرد الفتى وهو لا يزال يراقب القطرس: "قليل من الطيور تستحق بحق أن يأتي ذكرها في القصص والأساطير. مثل الغربان، وربما أيضاً الحمام، فهي لها شخصيتها المميزة، لكن ليس مثل البوم، أو النسور. لكن القطرس مختلف عنهم؛ فله مكانة خاصة، وقيمة متفردة. إنه مثل الملائكة، بمجرد ذكر اسمه يشعر المرء بنوع من الإثارة. أنا في منتهى السعادة أني تمكّنتُ من رؤية أحدها. أنا في منتهى الامتنان. كم هو رائع أنهم يحرسون مدخل الميناء بهذه الطريقة. يا لها من نبوءة تليق بمدينة للذهب! لقد سمعت صوتهم، هذا ما أيقظني، وصعدت لسطح السفينة لأني لم أستطع أن أميز الصوت. لقد ظننت في البداية أنها أصوات خنازير".

نظرت أنا إليه بجانب عينها. هل الفتى يحاول التمهيد لصداقة تجمعهما؟ إنه يتحدث معها كأنهما يتمتعان بمعرفة وثيقة، رغم أنهما في الحقيقة لم يتبادلا خلال الرحلة من سيدني سوى التحيات المعتادة،

حيث ظلت أنا معظم الوقت في قسم السيدات، بينما ظلّ الفتى في القسم المخصّص للرجال. لم تعرف اسمه. وشاهدته من على بُعد، لكنه لم يخلق بداخلها أي انطباع، لا بالسلب ولا بالإيجاب. ولاحظت الآن أنه غريب الأطوار إلى حدّ ما.

"صياحها أيقظني أنا أيضًا"، ثم أضافت بعد لحظة: "أظن أني يجب أن أوقظ الآخرين. إن المشهد أجمل من أن يفوتهم".

قال الفتى: "لا، لا، من فضلك؟ أنا لن أطيق حشدًا من البشر يتدافعون حولي في مثل هذا الوقت. فأحدهم ولا شك سيلقي بيًا من قصيدة تحتوي على ذِكْرٍ للقطرس، وبعدها ستضيع بقية الرحلة في الجدال حيث كل فرد يحاول أن يتذكر القصيدة، ويختلف مع الآخر على ترتيب الجمل والكلمات، وأي جزء يسبق وأي جزء يلحق بالآخر، وكل فرد يحاول أن يتفوق على الآخر، وكل فرد يستعرض ذاكرته. دعينا نستمتع بالمشهد وحدنا. فالفجر وقت خاص للغاية، ألا تظنين ذلك؟ إنها ساعة يختلي فيها المرء بنفسه. لقد سمعت هذا عن منتصف الليل، لكنني أرى منتصف الليل ساعة تجمع الناس سويًا. فالجميع نيام في الظلام".

قالت أنا: "أخشى أن أقطع عليك خلوتك".

قال الفتى: "لا، لا، لا، الخلوة حالة نستمتع بها كأفضل ما يكون في صبرة". وابتسم بسرعة، وابتسمت أنا ردًا على ابتسامته. وأضاف وهو يلتفت للبحر: "وخاصة صبرة روح أخرى. إنه من الصعب أن يحسّ المرء بالوحدة ويكون بالفعل وحيدًا. أنا أحب الاستمتاع بالوحدة حين لا أكون وحيدًا. يا الله... يا له من طائر جميل! سيعود مُحلّقًا بعد لحظة".

قالت أنا: "الطيور تجعلني دائمًا أفكر في السفن".

التفت إليها الفتى بعينين واسعتين وقال: "أحقًا؟".

احمرَّ وجه أنا أمام انتباهه لها. كانت عيناه بنية داكنة اللون. وحاجباه سميكان، وشفتاه ممتلئتان، ويرتدي قبعة من الخوج لها حافة مفرودة، ومن تحتها بدا شعره الذهبي الداكن الذي تجعَّد حول قمة رأسه وفوق أذنيه. من الواضح أنه قصَّه قصيراً من أشهر عديدة ولم يذهب للحلاق بعدها.

قالت، وقد أصابها الخجل: "إنه مجرد خيال".

قال الفتى: "يجب أن تكلمي ما كنتي تقوليه، يجب عليك ذلك! أكلمي".

قالت أنا أخيراً، بعد أن نظرت بعيداً: "تبدو السفن الثقيلة جميلة للغاية في الماء. أقصد بالمقارنة بالسفن الأصغر. إذا كان المركب خفيفاً، تتلاعب به الأمواج، ولن يكون هناك جمال في حركته. أنا أعتقد بالمثل فيما يخص الطيور. فالطيور الكبيرة لا تهزمها الرياح. دائماً ما تبدو جليلة المنظر في الهواء. هذا الطائر. إن رؤيته طائراً تشبه رؤية سفينة كبيرة تقطع الأمواج".

راقباً القطرس وهو يمرّ من أمامهما مرة أخرى. استرقت أنا النظر إلى حذاء الفتى. كان حذاءً جلدياً بني اللون، ومربوطاً بإحكام، ليس لامعاً وليس بالياً، لم تستطع بالنظر إليه تكوين أي فكرة عن أصل الفتى. على أي حال فهو قد أتى ليصنع ثروته في حقول ذهب أوتاجو، مثله مثل بقية الرجال الموجودين على السفينة.

صاح الفتى: "أنتِ على حقّ. نعم، بالفعل! إنه ليس كمشاهدة عصفور، أليس كذلك؟ إنه ثقيل، كسفينة، إنه بالضبط كذلك".

قالت أنا: "أتمنى لو أراه في عاصفة".

قال الفتى مبتهّجاً: "يا لها من أمنية غريبة. لكن، وبعد أن قُلّتها، أعتقد أنني أحسُّ بنفس هذا، أنا أيضاً أتمنى لو أراه في عاصفة".

وغرقا في الصمت. انتظرت أنا الفتى أن يخبرها باسمه، لكنه لم يتحدث مرة أخرى، وبدأ يقاطع خلوتهما صعود ركاب آخرين إلى سطح السفينة. رفع الفتى قُبْعَتَه وانحنت أنا محيَّيةً، وفي اللحظة التالية اختفى. التفتت أنا إلى المحيط. كانت المستعمرة خلفهم الآن، وحشرات القطرس وصرخاته قد خفَّت، وابتلعها الصوت الرتيب العميق للمركب البخاري والزئير الساكن العظيم للبحر.

عطارد في برج الحوت، والقمر المقترن بزحل

وفيه يقدّم كويل ديفلن طلبًا، ويُظهر والتر مودي معدنه الحقيقي، ويواجه جورج شيرد مفاجأة غير سارة.

منذ ليلة الانقلاب الخريفي ظلّ كلُّ من أنا ويزريل وإيميري ستينز مُعتَقَلَيْن في سجن مخيم الشرطة. حُدِّدَت لآنا كفالة تقدّر بثمانية جنيهاً، وهو مبلغ مهول، مبلغ لا تستطيع أن تدفعه بدون مساعدة. لكنها هذه المرة لم يكن معها ثروة مخيطة في ملابسها لتستخدمها كضمانة، وليس لها ربُّ عمل قد يوافق على دفع هذا المبلغ نيابة عنها. كان إيميري ستينز ليعطيها هذا المبلغ إن لم يكن هو الآخر مُحْتَجَزًا على ذمّة تُهمِّمُ مُوجَّهة إليه. تمّ القبض عليه صباح اليوم التالي للعثور عليه بتُّهم التزييف والسرقة والإهمال. وقد حُدِّدَت له كفالة تُقدَّر بجنيه وشلن، وهي القيمة المعتادة للكفالة، لكنه قرَّر

ألا يدفعها، مُفضَّلًا أن يظل مع آنا في انتظار استدعائه إلى المحكمة الابتدائية.

بدأت صحة آنا في التَّحسُّن بعد اجتماع شملهما مباشرة، فزاد سُمك رُسغِيها وساعديها، وراحت عن وجهها مسحة الجوع والحرمان التي لَوَحَتْه، وعاد إلى وجنتيها لونهما. نظر الدكتور جيليز لهذا التَّحسُّن بعين الرضا، فقد أصبح يزور سجن مُخَيِّم الشرطة بشكل شبه يومي في الأسابيع التي تلت الانقلاب الخريفي. وقد تحدَّث بشكل صارم مع آنا عن أخطار الأفيون، وعبَّر لها عن أمله الكبير في أن يحول انهيارها الأخير تمامًا بينها وبين الغليون، وأخبرها أنها كانت محظوظة مرتين، لكنه يظن أنه من المستبَعَد أن يحالفها الحظ مرة ثالثة. وقال لها: "الحظ السعيد ينضب بسرعة يا عزيزتي". وقد كتب لها جرعة متناقصة من المخدر كطريقة لعلاجها تدريجيًّا من الإدمان.

وقد وصف الدكتور جيليز نفس الشيء لإيميري ستينز، خمسة دراهم من المخدَّر يوميًّا، يتمُّ تقليل درهمٍ منها كل أسبوعين، حتى شَفِيَتْ كتفه تمامًا. كان الجرح يبدو أفضل كثيرًا بعد أن قُتَّت خياطته وتغطيته، ورغم أن المفصل كان متيبِّسًا جدًّا، ولم يكن بإمكانه بعدُ أن يرفع ذراعه فوق رأسه، فإن صحته شهدت تحسُّنًا سريعًا. وحين كان كويل ديفلن يحضر جرعة المخدَّر إلى سجن مخيم الشرطة كل ليلة، كان إيميري يراقب القس بكل تلهُّفٍ وهو يصبُّ السائل الذي يحمل لون الصَّدأ في كوبين من الصفيح. لم يستطع ستينز أن يبرَّر ظمأه المفاجئ والشديد للمخدَّر، أما آنا فلم يبدُ عليها أنها تستمتع بجرعتها اليومية على الإطلاق، وربما حتى تَجَعَّد أنفها إذا ما شَمَّت رائحتها. كان ديفلن يخلط المخدَّر مع السُّكَّر، وأحيانًا مع النبيذ حلو المذاق، ليخفِّف من مذاقه المرِّ، وبعدها، والتزامًا بتعليمات الطبيب الصارمة، كان يقف مع السجينين حتى ينتهيا من تناول جرعتيهما. ونادرًا ما استغرق المنوَّم وقتًا طويلًا حتى يظهر مفعوله، ففي خلال

دقائق كانا يتشاءبان ويشعران بالنعاس، ويغرق الاثنان في نوم غريب، يأخذهما إلى أعماق وعرة تغطيها المياه في حلم مصبوغ بالأحمر القان.

وقد نام الاثنان في تلك الأسابيع بعيداً عن الكثير من التغيرات التي طرأت على هوكتيكا. ففي أول أيام شهر أبريل تمّ انتخاب أليستار لودرباك كأول عضو برلماني عن منطقة الأراضي الغربية المحددة حديثاً كم منطقة انتخابية مستقلة، وقد فاز لودرباك بفارق كبير يقدر بثلاثمائة صوت انتخابي. وفي الخطبة التي ألقاها بمناسبة فوزه مدح هوكتيكا وأطلق عليها اسم "قطعة الذهب النيوزلندية"، واستمرّ في التعبير عن أسفه على المستكشف الذي قد يترك المكان سريعاً، وقد أكّد لجموع الناخبين أنه سيضع نصب عينيه مصلحة المنقّب حين يرحل في الشهر القادم إلى العاصمة الجديدة، حيث سيؤدي مهام عمله كرجل مخلص للأراضي الغربية خلال فترة انتخابه في هذه الدورة البرلمانية. بعدما أنهى لودرباك خطبته شدّ القاضي على يديه بحميميّة، وقاد رئيس الشرطة الجماهير في ثلاثة صيحات تشجيعية مبتهجة.

في الثاني عشر من أبريل، ارتفعت أخيراً جدران سجن وملجأ جورج شيرد. وتمّ نقل السجناء، ومن بينهم أنا وإيميري من السجن المؤقت في مخيم الشرطة إلى المبنى الجديد فوق مرتفع سي فيو، حيث تمّ تعيين السيدة جورج في وظيفة المشرفة على المكان. فمنذ وفاة أه سووك وهي مشغولة للغاية في خياطة حواف البطاطين، وخياطة زيّ السجناء الموحد، والطهي، وتصنيف المخزون، وتجهيز الحصص الأسبوعية من التبغ والملح، وأصبحت تظهر، إن حدث وظهرت، بمعدّل أقل من المعتاد. وتقضي أمسياتها في مقبرة سي فيو، وأما لياليها فقد قضتها وحيدة في مسكنها.

في السادس عشر من أبريل، تزوّج فرانسيس كارفر من ليديا ويلز بحضور جمّع وصفته الصفحات الاجتماعية لتأيمز الساحل الغربي بأنه، فيما يتعلق بملابس الحضور وعددهم ونوعياتهم، يليق تماماً بزفاف أرملة. في اليوم التالي للزفاف تلقّى العريس مبلغاً مالياً كبيراً من مجموعة جاريتي، وهو مبلغ تمكن العريس بواسطته من سداد ديونه بالكامل، وتمّ انتزاع آخر الشرائح النحاسية التي كست هيكل جودسبيد، وتسليم هيكل السفينة الخشبي، بعد طول انتظار، لتُجار الخردة. وأنهى إقامته في فندق بالاس وانتقل ليستقر في الواي فير فورتن مع زوجته.

وخلال ذلك الوقت تكبّد الكثير من الرجال العناء في قطع الطريق الطويل المؤدّي إلى مرتفع سي فيو من أجل فرصة للقاء إيميري ستينز. وقام كويل ديفلن، بناء على تعليمات مدير السجن الصارمة، برفض طلبهم للاجتماع به، مؤكّداً لهم أن ستينز حيٌّ يُرزق، وأنه يتعافى من وعكة صحية خطيرة، وأنه سيتم إطلاق سراحه إذا ما حكمت المحكمة بذلك. الاستثناء الوحيد الذي أجراه القسّ كان مع تي رو تاوهار الذي أصبح ستينز على مدار الشهر السابق متعلّقاً به للغاية. نادراً ما بقي تاوهار لوقت طويل في السجن، لكن زيارته كان لها أثر إيجابي كبير على مزاج ستينز وصحته، لدرجة أن ديفلن نفسه أصبح ينتظر هذه الزيارات.

واكتشف ديفلن أن ستينز فتى ذو طبيعة حلوة وساذجة، دائم الابتسام، ومليء بالتعاطف البريء تجاه نواقص العالم من حوله. لم يبح بالكثير بخصوص الأسابيع الطويلة لغيبته، كان دائماً يقول أنه كان مريضاً جداً، وأنه سعيد للغاية بعودته. وحين سأله ديفلن بحرص إذا ما كان يذكر لقاء جمعه بوالتر مودي على متن جودسبيد، قطّب وهزّ رأسه. كانت ذاكرته عن هذه الفترة ناقصة كثيراً ومكوّنة، حسب ما يقوله ديفلن، من انطباعات تشبه الأحلام، وأحاسيس وشذرات من

الضوء. لم يستطع أن يتذكر إن كان قد صعد على متن سفينة، ولم يستطع أن يتذكر غرق سفينة، لكنه بدا وكأنه يتذكر أن الأمواج رمته على الشاطئ بذراعيه يلتفان حول برميل كبير من اللحم المملح، ويكح مياه البحر المالحة. ويتذكر اقترابه من كوخ كروسبي ويلز، ويتذكر مروره بجانب مجموعة من المنقّبين الملتقّين حول نار، ويتذكر أوراق الشجر والمياه الجارية، ويتذكر الهيكل المتعفن لزورق مهجور، وأخدود بحوائط شديدة الانحدار، وعيون طائر الويكا الحمراء، ويتذكر أحلاماً ليلية عن أوراق كروت التاروت والمشدّات النسائية المبطّنة بالذهب، وثروة معبأة في كيس دقيق ومخفية تحت سرير. قال ستينز: "إنها كلها غائمة بشكل رهيب، لا بُدَّ أني خرجت أتمشى ليلاً وبطريقة ما تُهتُّ بين الأحراش، وبعدها لم أتمكن من العودة. لقد أحسن العزيز تي رو صنعاً أن وجدني!".

قال ديفلن بحذر: "كان الأمر ليصبح أفضل كثيراً إذا عثر عليك في وقت أقرب. إن كنت عُدتَ قبل ذلك بثلاثة أيام فقط، لم يكونوا ليصادروا مناجمك. لقد فقدتَ جميع أصولك يا سيد ستينز".

بدا ستينز غير مهتمٍّ على الإطلاق بهذا، وقال: "هناك دائماً ذهبٌ يمكن الحصول عليه. الأموال تظل مجرد أموال، وإن حدث وأفلس الإنسان من آنٍ إلى آخر، فهذا شيءٌ مفيد بالنسبة له. وفي حالتي أنا، فلديّ في وادي الأراهورا بعض الأموال المدفونة بعيداً عن الأعين. الآلاف والآلاف من الجنيهاً. بمجرد أن أسترّدّ صحتي، سأذهب وأخرجها من مخبئها".

هذا الأمر استغرق وقتاً طويلاً لكي يتم توضيح جميع جوانبه.

في الأسبوع الثالث من أبريل تمَّ نشر جدول جلسات الجنج في تايمز الساحل الغربي.

التهم الموجهة لإيمري ستينز هي: أولاً: تزوير التقرير ربع السنوي ليناير 1866؛ ثانياً: سرقة الذهب الذي سلّمه له بشكل قانوني السيد چون لونج كيمي كحصيلة مُستخرجة من منجم الذهب أورورا، والذي تمّ اكتشافه في حوزة المرحوم السيد كروسبي ويلز في وادي الأراهورا؛ ثالثاً: إهمال واجباته تجاه حقول الذهب والمناجم والمسؤوليات الأخرى التي في رعايته نتيجة فترة غيابه التي زادت عن ثمانية أسابيع. تُعقد جلسة الاستماع يوم الخميس السابع والعشرين من أبريل في محكمة ريزيدنت الابتدائية في الساعة الواحدة ظهراً برئاسة السيد القاضي الموقر كيمب.

قرأ ديفلن هذا وهو يتناول قهوته الصباحية يوم السبت، ثم توجه فوراً إلى فندق كراون.

قال مودي، الذي كان يتناول إفطاراً مُكوّناً من مخلل الكيبر والخبز: "نعم، لقد رأيته".

"لا بُدّ أنك تتفهم جسامه الاتهامات".

"بالطبع. أتمنى أن يحصل على جلسة استماع سريعة، وسيكون هناك أكثر من جلسة، كما أتوقع".

صبّ مودي لضيفه فنجاناً من القهوة، ثم اعتدل في مجلسه وانتظر بأدب أن يعلن ديفلن عن سبب زيارته.

وضع القس يده فوق المنضدة وراحته متجهة لأعلى، وقال: "سيد مودي، لقد تلقّيت تدريباً قانونياً، وأعلم ممّا أعلمه عن شخصيتك أن لديك عقلاً واعياً، بمعنى أنك في تفكيرك لست محدوداً بطريقة أو بأخرى. أنت تعلم حقائق هذه القضية تماماً كما يجب على المحامي أن يعلم تفاصيل قضيته، وأعني بهذا أن يعلمها من جميع الجوانب".

قَطَّب مودي وقال: "نعم، بالطبع، وهذا يعني أنني أعلم جيدًا أن الذهب الذي وجدوه في كوخ السيد ويلز لم يأتِ بالمرّة من الأورورا. إنه ليس ملكًا للسيد ستينز، أيًا كانت الطريقة التي ينظر بها المرء للأمر. أيها الموقر، لا يُعَقَّل أن تطلب مني أن أقوم بالدفاع عنه في المحكمة".

قال ديفلن: "هذا بالضبط هو ما أطلبه منك. هناك نقص في المحامين في هوكتيكا، وعقلك أفضل من معظم العقول".

لم يصدق مودي أذنيه، وقال: "إن هذه محكمة مدنية. هل تتخيّلني أقوم بفضح القصة كلها وأورطكم جميعاً في هذا الأمر، واحداً واحداً، هذا طبعاً غير لودرباك وشيبرد، وكارفر، وليديا ويلز".

"يجب أن تدعوها الآن بليديا كارفر".

قال مودي: "عذراً، ليديا كارفر. أيها الموقر، أنا لا أرى أنني سأكون ذا فائدة على الإطلاق في جلسة محكمة الجنج. ولا أستطيع أن أرى الفائدة من الكشف القاسي عن الأمر بكافة جوانبه، الثروة المخبّأة في الفساتين، والابتزاز، وتاريخ لودرباك الشخصي، كل هذا".

كان مودي يفكر في الابن غير الشرعي، كروسبي ويلز.

قال القس: "أنا لا أريد الكشف القاسي، أنا أطلب منك أن تفكر في أن تكون محامي الأنسة ويذريل".

اندهش مودي، "ظننت أن الأنسة ويذريل قد استأجرت محامياً بالفعل".

قال ديفلن: "أخشى أن السيد فيلوز ليس كما ظننّا فيه. لقد رفض أن يتراجع عن أنا بعد واقعة المخدر التي حدثت في المحكمة منذ شهر مضى".

"ما السبب الذي ذكره لهذا الرفض؟".

"من الواضح أنه يخشى أن يتمّ تغريمه بتهمة الفساد. لقد عرضت أنا أن تدفع أتعابه من نفس الثروة التي تحاول أن تحصل عليها، وأعتقد أن هذا لم يكن تصرفًا حكيماً منها، باعتبار جميع ما حدث".
قطب مودي، "أليس هناك محامٍ متاح؟".

"نعم، هناك رجل يدعى السيد هارنجتون، لكن كل الشواهد تقول أنه واقع تمامًا تحت تأثير القاضي. إنه لن ينفعنا إن كنّا نودُّ أن ننقذ أنا من محاكمة في محكمة الجنايات".

قال مودي: "محكمة الجنايات؟ لا بُدَّ أنك تمزح. سوف ينتهي كل هذا في جلسات الجench، وفي وقت قصير للغاية، أنا متأكّد من هذا. أنا لا أودُّ أن أتعالي على ذكائك أيها الموقر، لكن هناك اختلاف كبير ما بين القانونين المدني والجنائي".

نظر إليه ديفلن بطريقة غريبة، "هل قرأت جدول أعمال المحكمة المنشور في الجريدة هذا الصباح؟".

"نعم بالطبع".

"من أوله إلى آخره؟".

"أعتقد ذلك".

"ربما عليك أن تلقي عليه نظرة أخرى".

مقطبًا، فتح مودي الجريدة على الصفحة الثالثة وفردها، وألقى نظرة على الجدول للمرة الثانية. وهناك، في آخر العمود كان مكتوبًا: التَّهَمُ الموجهة للأنسة أنا ويذريل هي كالآتي: أوّلًا: التزوير؛ ثانيًا: السُّكْر في الأماكن العامّة وما نتج عنه من سلوكيات مضطربة؛ ثالثًا: الاعتداء المتعمّد. تُعقد جلسة الاستماع يوم الخميس السابع والعشرون من أبريل، في محكمة ريزيدنت الابتدائية، الساعة التاسعة صباحًا، بحضور السيد القاضي الموقر كيمب.

ذهل مودي، الاعتداء المتعمّد؟

قال ديفلن: "لقد أگد الدكتور جيليز أن الرصاصة التي وجدها في كتف ستينز قد أتت من مسدس حريمي. أخشى أنه ترك هذه المعلومة تتسرّب في حضور غلام فندق جريديرون، الذي تذكّر وقتها الطلقات التي تمّ إطلاقها في غرفة أنا في يناير الماضي، ومن ثم ظهرت هذه القصة على السطح. وقد أرسلوا رجلاً إلى الجريديرون فوراً، وتوجّب على السيد كلينش أن يسلمّ مسدس أنا كدليل. وقد تمّ تأكيد التطابق ما بين المسدس والطلقة منذ وقت طويل".

قال مودي: "لكن السيد ستينز لا يمكن أن يكون من وجّه إليها هذه التهمة".

وافقه ديفلن، "لا".

"إذن من وراء هذه التهمة؟".

كحّ ديفلن: "للأسف فإن السيد فيلوز لا يزال يحوز على صكّ الهبة البائس، الذي بموجبه يمنح ستينز ألفين من الجنيهاً لآنا، والذي يشهد عليه كروسي ويلز. لقد أراه منذ وقت طويل للحاكم شيرد، الذي، وكما تتذكّر أنت، رآه لأول مرة بدون توقيع السيد ستينز. وقد سألني شيرد عن الحقيقة، وكان عليّ أن أعترف أن توقيع ستينز قد تمّ تزويره في حقيقة الأمر، وأن أنا نفسها هي من زوّرتّه".

"يا إلهي!"

قال ديفلن: "لقد حاصروها. إن دفعت بأنها مُذنبة في تهمة الاعتداء، سوف يدّعون أنها كانت محاولة قتل، ويمكنهم أن يستخدموا صكّ الهبة لإثبات أن لديها دافع كافٍ لأن ترغب في موت ستينز".

"وإن دفعت بأنها غير مذنبّة؟".

"سينالون منها بتهمة التزوير، وإن أنكرت تلك التهمة، سينالون منها بتهمة الجنون، والتي، وكما نعلم جميعاً، يحاول شيبرد استخدامها ضدها. أخشى أنه هو وفيلوز متّحِدان ضدها".

"سيشهد السيد ستينز لصالحها بالطبع".

جفل ديفلن وقال: "نعم، لكنني أخشى أنه لا يقدر خطورة الموقف الحالي. إن طبعه هادئ، لكنه في آرائه يميل إلى الحماسة. حين فتحت أمامه موضوع جنون الأنسة ويذريل على سبيل المثال، كان سعيداً جداً بالموضوع. وقال إنه لن يقبل بها إن كانت غير ذلك".

"ما رأيك؟ هل الفتاة ذات عقل سليم؟".

قال ديفلن بمكر: "العقل ليس أمر يمكن الرجوع فيه للآراء".

قال مودي: "أخشى أن الأمر عكس ذلك. إن إثبات سلامة العقل يعتمد على شهادة الشهود. هل طلبت من الطبيب أن يضع تقريراً؟".
قال ديفلن: "كنت آمل أن تطلب أنتَ منه هذا".

قال مودي وهو يعود إلى الصحيفة: "هممم. إذا ما حدث ووافقنا أن أكون ممثلاً عن الأنسة ويذريل، سوف أحتاج أن أتحدث مع السيد ستينز أيضاً".

"يمكن ترتيب هذا بسهولة، إنهما لا يفترقان".

"على انفراد، وبشكل مطوّل".

"سيتوفر لك كل ما قد تحتاجه".

خبط مودي بأصابعه، وبعد فترة قال: "سيكون أول وأهم شيء يجب علينا أن نتأكد منه، هو تضامن جميع الأطراف".

أشرق صباح السابع والعشرين من أبريل في هوكتيكا صافياً ومنيراً. مودي، الذي استيقظ مع الفجر، أمضى وقتاً طويلاً يجهز نفسه. حلق ذقنه، ودهن شعره ومشطه، ووضع بعض العطر خلف أذنيه. خادمة الكراون تركت له حذاءه خلف الباب بعد أن لمّعت، وعلى وحدة الرفوف الصغيرة فردت له صديريّة ذات لون أحمر غامق وربطة عنق رمادية وياقة قميص تزداد اتساعاً عند نهاياتها. ونظفت معطفه المفتوح من الخلف وكوته، وعلقته في النافذة بحيث لا يتغصن أثناء الليل. ارتدى مودي ملابس به عناية فائقة، لدرجة أن جرس الكنيسة كان يدقُّ مُعلنًا الثامنة قبل أن ينزل من غرفته ليتناول فطوره، وهو يربّت على جيوب صديريته ليتأكد من أن سلسلة الساعة مشبوكة بشكل صحيح. وبعدها بنصف ساعة كان يمشي جنوباً على طول شارع ريفل، بقبعته مستوية أعلى حاجبه، وحقيبته الجلدية في يده. بدا لمودي حين اقترب من المحكمة أن جميع من في هوكتيكا قد أتوا لحضور الجلسات الصباحية، كان طابور الدخول إلى المبنى ممتداً حتى منتصف الشارع، والحشود في شرفة المحكمة ذات الأعمدة تبدو منقطعة الأنفاس ومتحمسة.

انضمَّ للطابور الزاحف، وحين أتى دوره أشرف اثنان من الضباط متجهّمي الوجه على إدخاله إلى المبنى، وأوصاه الضباط بخشونة بأن لا يلمس أي شيء، ولا أي شخص في المحكمة، وأن لا يتحدث إلا إذا تمَّ توجيه الحديث له، وأن يخلع قُبْعته عند دخول القاضي. شقَّ مودي طريقه بكتفيه أثناء عبوره للقاعة وهو يضمُّ حقيبة أوراقه إلى صدره، ثم عبر الحبل الفاصل بين أماكن حضور الجمهور والجزء الثاني من القاعة، وتوجّه إلى مقعد المحامين ليأخذ مكانه بجانب ممثلي الادّعاء.

وباعتباره محامي الدفاع، تلقّى مودي من المدعي بالحق العام قائمة بالشهود الذين سيشهدون أمام المحكمة قبل المحاكمة بثلاثة

أيام. وقد رُتبت الأسماء بالترتيب الذي سوف ينادى فيه كلٌ منهم للشهادة: القسُّ كويل ديفلن، والمدير چورچ شيرد، والسيد چوزيف بريتشارد، والسيد أوبرت چاسكوين. وقد أظهر هذا الترتيب لمودي بشكل ما الطريقة التي سيتبعها محامي الادعاء في قضيته ضد آنا. وكانت قائمة الشهود لجلسة العصر أطول كثيراً في القضية المرفوعة من مقاطعة الأراضي الغربية ضد السيد إميري ستينز، فقد طلب الادعاء شهادات كل من السيد ريتشارد مانرينج، والسيد چون لونج كيي، والسيد بنجامين لوينثال، والسيد إدجار كلينش، والسيد هارالد نيلسن، والسيد تشارلز فروست، والسيدة ليديا كارفر، والقبطان فرانسيس كارفر. جلس على الفور ليعدّل استراتيجيته ثنائية الأبعاد لأنه يعلم علم اليقين أن الانطباع الذي سيخلق صباحاً سيساهم كثيراً في صياغة الحكم الذي سيصدر عصاراً.

وأخيراً دقّت الساعة التاسعة، وطُلب من هؤلاء الذي تمكّنوا من الجلوس أن يقفوا. وصمتت الحشود لوصول القاضي الموقر كيمب، الذي اعتلى السلام المؤدية للمنصة، وجلس بتثاقُل، ولوّح بيده لأعضاء المحكمة لكي يجلسوا، وأنجز الرسميات الضرورية بلا صخب. كان رجلاً أحمر البشرة بأصابع سميكة، حليق الوجه، شعره الخشن مقصوص بطريقة غريبة تجعله منتفخاً عند الأذنين ومببطاً عند قمة رأسه.

قرأ القاضي الأسماء من الدفتر المفتوح أمامه، السيد والتر مودي ممثلاً للدفاع. السيد لورانس بروهام ممثلاً للادعاء، وكُل من السيد روجر هارنجتون والسيد چون فيلوز كمساعدين لممثل الادعاء الخاص بالمحكمة الابتدائية.

قال القاضي وهو ينظر من فوق نظارته ليثبت نظره على مقعد المحامين، "سيد مودي، سيد بروهام، سأخبركما بشيئين قبل أن نبدأ. أول شيء هو أنني واعي جداً لأن الجمهور الموجود في هذه القاعة لم يجتمع

هنا اليوم حُبًّا في القانون، نحن هنا لكي نُرضي العدالة وليس لنرضي الشهوات الجنسية، وبغضّ النظر عن الموجد على منصة الاتهام، وبغضّ النظر عن التُّهم. فإني سأكون شاكرًا إن اقتصر استجوابكما للآنسة ويذريل، ولكلّ ما يرتبط بها، على الموضوعات المناسبة. وعند التطرق إلى العمل السابق للآنسة ويذريل يمكنكما أن تختارا ما بين التعبيرات الآتية، متسكعة الشوارع، أو فتاة الليل، أو إحدى عضوات المهنة القديمة. هل هذا واضح؟".

تمتم المحاميان بموافقتهما.

قال القاضي كيمب: "حسنًا. النقطة الثانية التي أودُّ ذكرها هي نقطة قد ناقشتها مع كلّ منكما على انفراد، وسأكرر ما قلته من أجل المصلحة العامة. السُّتُّ تُهم التي سوف نسمع عنها اليوم: التزوير، والسُّكر، والاعتداء في حالة الآنسة ويذريل صباحًا، والتزوير والسرقة والإهمال في حالة السيد ستينز عصرًا، هذه التُّهم معتمدة على بعضها في العديد من الجوانب، وأنا متأكّد من أن كل الرجال الذي يقرؤون في الأراضي الغربية على عِلْمٍ بهذا. وبسبب هذا التداخل فأنا أظن أنه من الحكمة أن نُؤخّر الحُكم على الآنسة ويذريل حتى يتم الاستماع إلى قضية السيد ستينز؛ حتى نتأكّد من أن كل قضية قد تمّ نظرها في ضوء القضية الأخرى، حيث إن القضيتين مرتبطتان. هل كل شيء واضح؟ حسنًا"، وأومأ إلى حاجب المحكمة وقال: "نادِ على المتهمه".

كثّر الهمس أثناء ما كانوا يجلبون أنا من الزنزانة. التفت مودي ليراقب دخولها، وأحسّ بالرضى عن الانطباع الذي خلّقه موكلُّه. فقدت نحافتها طابعَ الجوع والمرض الذي أوحى به في السابق، وبدأت الآن توحى بالأنوثة، بدت دليلًا على الرُقّة وليس على سوء التغذية. كانت ترتدي الرداء الأسود الخاص بزوجة أوبرت چاسكوين الراحلة،

وشعرها مضموم في ربطة بسيطة أسفل عنقها. صحبها الحاجب حتى منصة الشهود المؤقتة، وتقدّمت لتضع يدها على إنجيل المحكمة. وحلفت اليمين بهدوء وبرود، ثم التفتت إلى القاضي بوجه خالٍ من التعبيرات وببيدين مضمومتين بخفّة.

قال القاضي: "آنسة آنا ويذريل. أنتِ ممثّلة اليوم أمام هذه المحكمة لمواجهة ثلاثة تُهم، الأولى: تزوير توقيع على صكّ هبة. ما قولك فيما هو منسوب إليك؟".

"لست مُدنيّة يا سيدي".

"الثانية: السُّكْر علناً؛ ممّا تسبّب عنه سلوكٌ غير مناسب، وذلك في عصر يوم العشرين من مارس من العام الحالي. ما قولك فيما هو منسوب إليك؟".

"لست مُدنيّة يا سيدي".

"وثالثاً: الاعتداء المتعمّد على السيد إميري ستينز. ما قولك فيما هو منسوب إليك؟".

"لست مُدنيّة يا سيدي".

سجّل القاضي ملحوظة بما قالته، ثم قال: "آنسة ويذريل، أنتِ بلا شك على علم بأن هذه المحكمة ليست مُخوّلة لكي تحكم في جريمة".

"نعم يا سيدي".

"فيما يتعلق بالتهمة الثالثة الموجهة لك، ربما يتمّ الحُكم بإحالة المحاكمة إلى محكمة أعلى، وإذا ما حدث هذا، سيتمّ احتجازك حتى ميعاد عقد جلسة في محكمة الجنايات بحضور مُحلفين. هل تفهمين ما أقوله؟".

"نعم أفهم يا سيدي".

"جيد، اجلسي".

وجلست.

قال القاضي كيمب: "سيد بروهام، المحكمة سوف تستمع الآن إلى إفادتك".

"شكرًا لك يا سيدي".

كان بروهام رجلًا مستدير الشكل بشارب برتقالي وعينين حادّتين ودامعتين. قام من مكانه وهو يساوي أوراقه على حرف المكتب.

وبدأ إفادته، "سيدي القاضي كيمب، السادة أعضاء المحكمة، السيدات والسادة الحضور. إن دخان الأفيون مخدّر قديم في إغرائه، ومدمّر في آثاره، ومذموم في ما يرتبط به، سواء اجتماعيًا أو تاريخيًا، وهو ما يجب أن يتفق عليه جميع المواطنين. اليوم سوف نواجه قضية حزينة في هذا الموضوع، امرأة شابة ضعيفة تجاه المخدّر، وقد لطّخ ضعفها ليس فقط وجهه هوكتيكا، لكنه لطّخ وجهه مقاطعة الأراضي الغربية حديثة الإنشاء ككل".

وطالت إفادة بروهام. لتذكّر أعضاء المحكمة أن أنا حاولت إنهاء حياتها مرة في السابق، وربط بين هذه المحاولة الفاشلة وانهيائها في عصر يوم العشرين من مارس، وأضاف بلهجة ساخرة أن كلتا المحاولتين نجحتا في جذب انتباه الرأي العام. واستفاض طويلاً في تزويرها لتوقيع ستينز على صكّ الهبة، مُلقياً بالشك على مدى قانونية المستند، ومؤكّداً على المكاسب الكبيرة التي ستعود على أنا من تزوير هذا المستند، ثم اتّجه إلى تهمة الاعتداء، وبمصطلحات عامة تحدث عن خطورة شخصية مدمن الأفيون وعدم القدرة على الثقة فيه، ثم وصف جرح ستينز الناتج عن الطلق الناري بتفصيل دقيق، لدرجة أن امرأة في الحضور اضطرتّ لمغادرة القاعة بمساعدة البعض. وفي ختام إفادته دعا جميع الحاضرين إلى حساب مقدار الأفيون الذي

قد يشتره مبلغ ألفين من الجنيهات، ثم تساءل بشكل بلاغي عما إن كانت الجماهير سوف تعاني من تبعات مثل هذه الكمية من الأفيون إذا ما وصلت إلى أيدي شخصية محطمة وسيئة الصبغة والمعارف مثل الأنسة أنا ويذريل، التي كانت سابقاً فتاة ليل.

حين جلس بروهام قال القاضي: "سيد مودي، إفادة الدفاع".

قام مودي فوراً من مقعده وقال للقاضي: "شكراً لك يا سيدي، سأحدث باختصار". كانت يدها ترتعشان، ففرد أصابعه بقوة على سطح المكتب أمامه ليهذئ نفسه، ثم قال في صوتٍ بدت فيه من الثقة أكثر ممّا يحسّه مودي بكثير: "سأبدأ بأن أذكر السيد بروهام بأن الأنسة ويذريل قد أفلعت عن إدمانها، وهو إنجاز قد حازت بسببه على خالص إعجابي واحترامي. وبكل تأكيد، كما استمتع السيد بروهام بالتوضيح لكم جميعاً، فإن ظروف الأنسة ويذريل تجعلها فريسة سهلة لإغراءات الإدمان العديدة. أنا عن نفسي لم يحدث أن لمست دخان الأفيون، تماماً كما أكّد لكم السيد بروهام أنه هو نفسه لم يفعل ذلك، وأنا أؤمن أن أحد أسباب امتناعنا نحن الاثنين عنه هو الخوف، الخوف من التأثير المحتمل للمخدر علينا، الخوف من طبيعته الإدمانية، الخوف ممّا قد نراه أو نفعله إذا ما استسلمنا لتأثيره علينا. أنا أذكر هذا لأؤكد على أن ضعف الأنسة ويذريل تجاه هذا الأمر ليس مقتصرًا عليها، وأنا أذكر مرة أخرى مدى إعجابي لأنها التزمت وجمتهى الإخلاص بمشروعها الخاص لإصلاح نفسها.

لكن، وبغض النظر عن مقدار ما صدقتموه من حديث السيد بروهام، فنحن هنا ليس لتقييم طباع الأنسة ويذريل، ولا لإصدار حكم على شخصيتها. نحن هنا لكي نرى كيف يمكن أن نحكم على الطريقة التي تُطبق بها العدالة فيما يتعلق بثلاثة اتهامات: اتهام بالتزوير، واتهام بالسلوك غير الملائم، واتهام بالاعتداء. أنا لا أختلف

مع السيد بروهام في اعتبار أن التزوير جريمة كبيرة، ولا اختلف معه في تأكيده أن الاعتداء المتعمد هو ابن عم القتل، لكن، وكما سأوضح بعد قليل، فإن الأنسة ويذريل بريئة من جميع التهم. فهي لم تزور، ولم تحاول بأي شكل أن تعتدي على السيد إيميري ستينز، وانهيارها في عصر يوم العشرين من مارس لا يمكن أن يطلق عليه أنه مخالف للنظام، إلا إذا كنا نرى أننا يمكننا اتهام السيدة التي غادرت هذه القاعة منذ عشر دقائق بنفس هذه التهمة. ليس لدي أدنى شك أن شهادة الشهود سوف تظهر براءة موكلتي، وأن شهادتهم سوف لن تستغرق الكثير من الوقت على الإطلاق. وفي توقُّعي لهذه النتيجة السعيدة يا سيادة القاضي، ويا سيادة الموقِّرين من أعضاء المحكمة، وأيها السيدات والسادة؛ فإنني لا أتردد في ترك الأمر بين يدي القانون".

جلس مودي وقلبه يدقُّ بعنف. ونظر للقاضي على أمل أن يحظى منه بأي بارقة تشجيع، لكن القاضي كيمب كان منكبًا على دفتره يسجل ملحوظاته. وبروهام ينظر إلى مودي وعلى وجهه تعبير قبيح للغاية. أما فيلوز الجالس بجانبه فمال ليهمس بشيء ما في أذنه، وبعد لحظة ابتسم بروهام وهمس بشيء في أذن فيلوز.

قال القاضي أخيرًا وهو يضع خطًّا تحت ما كتبه بحركة واضحة من يده، ثم يضع القلم جانبًا: "شكرًا لك يا سيد مودي. سيتم استجواب المتهم الآن. سيد بروهام، تفضَّل".

وقف بروهام وشكر القاضي للمرة الثانية. وقال ملتفتًا لآنا: "آنسة ويذريل، حتى ليلة الرابع عشر من يناير، كيف كنت تكسين عيشك؟".

انفجر القاضي على الفور، "سيد بروهام! ما الذي قلَّته لك منذ لحظة؟ الأنسة ويذريل هي إحدى عضوات المهنة القديمة. وليكن هذا كافيًا".

قال بروهام: "نعم يا سيدي"، ثم بدأ من جديد: "آنسة ويذريل، في ليلة الرابع عشر من يناير أخذت قراراً يتعلّق بمهنتك السابقة، هل هذا صحيح؟".

"نعم".

"ماذا كان هذا القرار؟".

"لقد تركت المهنة".

"ما الذي تقصدينه بذلك؟".

"لقد توقفت عن ممارسة الدعارة".

تنهّد القاضي، وبنبرة مستسلمة قال: "استمّر".

استمّر بروهام: "هل وجدت مهنة بديلة على الفور؟".

قالت آنا: "ليس على الفور. لكن حين وصلت السيدة ويلز إلى المدينة أخذتني معها إلى الواي فير فورتشن. وبدأت أتعلّم قراءة التاروت والخرائط النجمية بغرض أن أساعدها في قراءة الطالع. لقد فكّرت في أن أكسب عيشي بصفتي مساعدتها".

"في الوقت الذي تركت فيه مهنتك السابقة، هل كانت لديك تلك الخطة البديلة؟".

قالت آنا: "لا. لم أكن أعلم أن السيدة ويلز سوف تأتي للمدينة".

"خلال الفترة السابقة على وصول السيدة ويلز إلى هوكتيكا، كيف توقّعت أن تكسبي عيشك؟".

قالت آنا: "لم تكن لديّ خطة".

"لم تكن لديك خطة على الإطلاق؟".

"لا يا سيدي".

"لم يكن لديك أي نقود احتياطية؟ أو شكل آخر من أشكال الضمانات؟".

"لا يا سيدي".

قال بروهام بابتهاج: "في هذه الحالة فقد أخذتِ خطوة جريئة".

انفجر القاضي فيه: "سيد بروهام!".

"نعم يا سيدي؟".

"أوضح مقصدك".

"بالطبع". وأمسك بروهام بصكّ الهبة وقال: "هذا الصك يا آنسة ويذريل يقضي، لحسن حظك، بمنحك مبلغ ألفين من الجنيهات. إنه مكتوب بتاريخ الحادي عشر من أكتوبر من العام الماضي. والمانع، السيد إيميري ستينز، قد اختفى بلا أثر في الرابع عشر من يناير، في نفس اليوم الذي قرّرت فيه، وأنتِ المستفيدة من هذا المبلغ الضخم، ترك التسكّع في الشوارع وإصلاح حال نفسك، وهو قرار قد أخذته بدون أي دوافع، وبدون أي خطط مستقبلية. والآن...".

قال مودي وهو ينهض: "أعترض. إن السيد بروهام لم يتحقق إن كانت الآنسة ويذريل تخلو من أسباب تدفعها لتغيير ظروف عملها".

سمح القاضي بهذا الاعتراض، واضطر بروهام الذي بدا عليه الغيظ أن يسأل أنا: "آنسة ويذريل، هل كان لديك سبب لقرار التوقف عن أعمال الدعارة؟".

قالت أنا: "نعم". ثم نظرت إلى مودي، فأومأ إليها مُشجّعاً إيّاها على الحديث. فملأت صدرها بالهواء وقالت: "لقد وقعت في حب السيد ستينز. كانت ليلة الرابع عشر من يناير هي أول ليلة نقضها سويًا، وبعدها لم أرغب في أن أستمّر في الدعارة".

كان بروهام مقطَّبًا، "كانت هذه الليلة هي نفس الليلة التي ألقى القبض عليك فيها بتهمة محاولة الانتحار، أليس كذلك؟".

قالت آنا: "نعم. لقد ظننتُ أنه لم يحبني، وأنه لا يمكنه أن يحبني، ولم أستطع احتمال هذا، فاقتربت شيئًا رهيبًا".

"هل تعترفين بأنك حاولت إنهاء حياتك تلك الليلة؟".

قالت آنا: "لقد قصدتُ أن أخدِّر نفسي. لكنني لم أقصد أن أؤذي نفسي".

"حين تمَّت محاكمتك بتهمة محاولة الانتحار، في نفس هذه القاعة، رفضتِ أن تدفعي التهمة عن نفسك. لِمَ غَيَّرتِ كلامك بخصوص هذا الموضوع؟".

لم يتدرب مودي وأنا على هذا السؤال، وللحظةٍ أحسَّ مودي بالقلق من أن أنا قد ترتبك، لكنها جاوبت بهدوء وبصراحة، قائلة: "في هذا الوقت كان السيد ستينز لا يزال مفقودًا. لقد ظننتُ أنه ربما ذهب إلى أعالي النهر، أو إلى الأخدود، وفي هذه الحالة فإنه سيقراً جرائد هوكتيكا ليعرف منها الأخبار. لم أودَّ أن أقول أي شيء يجعله يظن بي السوء إن قرأه".

كحَّ بروهام في ظهر كُفِّه، وقال: "من فضلك صفي لنا ما حدث مساء يوم الرابع عشر من يناير بالترتيب وبكلماتك أنت الخاصة".

أومأت آنا: "قابلت السيد ستينز في دست آند ناجيت في حوالي الساعة السابعة. وتناولنا مشروبًا سويًا، ثم صحبني إلى منزله في شارع ريفل. في حوالي العاشرة مساء عدت مرة أخرى إلى الجريديرون لكي أشعل غليوني. كنت أحسُّ إحساسًا غريبًا، كما أخبرتك، وتناولتُ أكثر قليلًا ممَّا أتناوله في المعتاد من الأفيون. أعتقد أني غادرت الجريديرون

وأنا لا زلتُ تحت تأثير المخدر؛ لأن ما أتذكره بعد ذلك هو أنني استيقظت ووجدت نفسي في السجن".

"ما الذي تقصدينه بقولك إنك كنت تحسّن بإحساس غريب؟".

قالت: "كنت أحسُّ بالحزن، وبالفرح الشديد، وباليأس الشديد، كل هذا مع بعضه. أنا لا أستطيع أن أصفه بالضبط".

قال بروهام: "في وقت ما من نفس تلك الليلة، اختفى السيد ستينز، هل كنت تعلمين إلى أين ذهب؟".

قالت آنا: "لا. آخر مرة رأيته كان في منزله في شارع ريفل. كان نائمًا".

"لا بُدَّ أنه اختفى في وقتٍ ما بعد أن تركته. بكلمات أخرى، فقد اختفى في وقت ما بعد العاشرة مساءً".

قالت آنا: "نعم. انتظرتُه حتى يعود، لكنه لم يُعد، وظلت الأيام تمضي، بدون أي خبر عنه. حين عرّضت عليّ السيدة ويلز الإقامة في الواي فيرر، فكُرتُ أنه من الأفضل أن أقبل. على الأقل في وقتها. فقد كان الجميع يقولون إنه مات".

"هل رأيتِ السيد ستينز في أي وقت ما بين الرابع عشر من يناير والعشرين من مارس؟".

"لا يا سيدي".

"هل تراسلتِ معه بأي شكل؟".

"لا يا سيدي".

"أين كنتِ تظنّين أنه ذهب خلال تلك الفترة؟".

فتحت أنا فمها لتجيب، لكن مودي الذي نهض بسرعة قال: "أعترض، لا يجب على المتهم أن يُجبر على التّكهن".

ومرة أخرى سمح القاضي بالاعتراض، ودعا بروهام للاستمرار.

قال بروهام: "حين عاد السيد ستينز، عصر يوم العشرين من مارس، كانت هناك رصاصة في كتفه، هل أصيب السيد ستينز وقت لقائكما يوم الرابع عشر من يناير؟".

قالت آنا: "لا".

"هل أصيب تلك الأمسية؟".

قالت آنا: "لم أعلم أنه أصيب. حين رأيت له لآخر مرة كان بخير، كان نائمًا".

التقط بروهام مسدسًا حريمي من فوق مكتب المحامين. "هل تعرفين هذا المسدس يا آنسة ويذريل؟".

قالت آنا وهي تحدق في المسدس: "نعم، إنه مسدسي".

"هل تحملين هذا المسدس معك؟".

"كنت أحمله حين أعمل. كنت أحتفظ به في مقدمة ردائي".

"هل كنتِ تحملينه معك ليلة الرابع عشر من يناير؟".

"لا، لقد تركته في الجريديرون. تحت وسادتي".

"لكنك كنتِ تعملين ليلة الرابع عشر من يناير، أليس كذلك؟".

قالت آنا: "لقد كنت مع السيد ستينز".

"ورغم ذلك فقد تركت المسدس في الفندق، كما تزعمين".

"نعم".

"لِمَ؟".

قالت آنا: "لم أعتقد أنني سأحتاجه".

"لكن هذا خروج عن المعتاد، في المعتاد سيكون المسدس معك".

"نعم".

"هل يمكنك أن تُثبتي مكان المسدس تلك الأمسية؟".

قالت أنا: "لا. إلا إذا نظر أحدهم تحت وسادتي".

قال بروهام: "الرصاصَة المستخرجة من كتف السيد ستينز انطلقت من مسدس من نفس هذا النوع. هل أطلقت عليه الرصاص؟".

"لا".

مكتبة

t.me/soramnqraa

"هل تعلمين مَن فعل هذا؟".

"لا يا سيدي".

كحّ بروهام في ظهر يده مرة أخرى، "هل كنتِ تعلمين في ليلة الرابع عشر من يناير بمقدار ثروة السيد ستينز كمستكشف؟".

قالت: "كنت أعلم أنه ثري، الجميع يعلم بهذا".

"هل تَنَاقَشَتِ مع السيد ستينز في أمور الثروة التي اكتشفوها في كوخ السيد كروسبي ويلز، في تلك الليلة، أو في أي وقت آخر؟".

"لا، نحن لم نتحدث أبدًا عن المال".

قال بروهام وهو يرفع حاجبيه: "أبدًا؟".

قال القاضي بضجر: "سيد بروهام".

أمال بروهام رأسه، "متى علمتِ لأول مرة بنوايا السيد ستينز المذكورة في صكّ الهبة؟".

قالت أنا: "صباح يوم العشرين من مارس". واسترخت أنا قليلًا، لقد كان هذا الموضوع من الموضوعات التي حفظتها. "أحضر قسُ السجن تلك الورقة إلى الواي فيرر فورتشن ليريني إيّاها، وقد أخذتها مباشرة إلى المحكمة لكي أعرف ما الذي تمثّله. لقد جلست مع السيد

فيلوز وقد أُكِّد لي أن صكَّ الهبة مستندٌ قانوني وملزم. وقال إنه ربما كان لهذا المستند قيمة مُكِّنني من أن أطالب بجزء من الثروة. ثم وافق على أن يأخذ الصك إلى البنك بالنيابة عني.

"ماذا حدث بعد هذا؟".

"أخبرني أن أقابله هنا في المحكمة في الساعة الخامسة. فعدت في الخامسة وجلسنا سويًا. لكنني فقدت الوعي".

"ما سبب فقدانك للوعي؟".

"لا أعرف".

"هل كنت تحت تأثير أي مخدر أو مشروب كحولي في ذلك الوقت؟".

قالت آنا: "لا، لقد كنت منتبهة تمامًا".

"هل يمكن لأي شخص أن يشهد بأنك كنت منتبهة في ذلك اليوم؟".

قالت آنا: "الموقَّر ديفلن قابلني في الصباح، وقد قضيت فترة بعد الظهر مع السيد كلينش في الجريديرون".

قال بروهام: "في تقريره إلى المحكمة ذكر المدير شيرد أنه شمَّ رائحة مخدِّر قوية في الهواء وقت إغمائك".

قالت آنا: "ربما أخطأ".

"أنتِ مدمنة على الأفيون، أليس كذلك؟".

قالت آنا بإصرار: "لم أدخن غليونًا حتى قبل أن أنتقل إلى المعيشة مع السيدة ويلز. لقد تخلَّيتُ عنه حين أعلنت الحداد في اليوم الذي خرجت فيه من السجن".

"اسمحي لي أن أوضح الأمر، أنتِ تُقرّين بأنك لم تلمسي الأفيون بأي شكل وأي صورة منذ الجرعة الزائدة التي تعاطيتها في الرابع عشر من يناير".

قالت أنا: "نعم، هذا صحيح".

"والسيدة كارفر يمكنها أن تشهد بهذا؟".

"نعم".

"هل يمكنك أن تخبري المحكمة بما حدث في عصر يوم السابع والعشرين من يناير في الساعات التي سبقت وصول السيدة كارفر إلى فندق جريديرون؟".

قالت أنا: "كنت في غرفتي أتحدث مع السيد بريتشارد. ومسدسي في ردائي، تمامًا كما أضعه دائمًا. وقد دخل السيد چاسكوين الغرفة فجأة، وقد جفلتُ، فأخرجت المسدس وأطلقت الرصاص، لكنني أخطأت الإصابة. لم يستطع أحدٌ منّا أن يعلم ما الذي حدث. وفكّر السيد چاسكوين في أن المسدس ربما يكون معطّلًا، فجعلني أعيد حشوه، وأطلقه مرة ثانية باتجاه وسادتي ليتأكّد من أنه يعمل بشكل صحيح. ثم ناولني المسدس مرة أخرى، وقد وضعته في درجي، وكانت هذه هي آخر مرة ألمسه فيها".

"بكلمات أخرى، فهناك طلقتان تمّ إطلاقهما ذاك العصر".

"نعم".

قال المحامي: "الرصاص الثانية استقرّت في وسادتك. ما الذي حدث للرصاص الأولى؟".

قالت أنا: "لقد اختفت".

قال بروهام وهو يرفع حاجبيه: "اختفت؟".

قالت أنا: "نعم. لم تستقر في أي مكان".

"هل كانت النافذة مفتوحة بالصُّدفة؟".

قالت أنا: "لا، كانت تُمَطَّر. أنا لا أعلم أين ذهبت الرصاصة. لم يستطع أحدٌ مِنَّا أن يعرف".

قال بروهام: "إذن فقد اختفت".

قالت أنا: "هذا صحيح".

لم يكن لدى بروهام أسئلة أخرى. فجلس وهو يتصنَّع الابتسام، ودعا القاضي مودي لاستجواب المتهمه.

قال مودي: "شكرًا لك يا سيدي. آنسة ويذريل، الثلاث تُهم التي تمَّ توجيهها لك اليوم تمَّ توجيهها من السيد جورج شيرد مدير سجن هوكتيكا. هل تعرفين الرجل معرفة شخصية؟".

لقد أجروا الكثير من التمرين على هذه المحادثة، فأجابت أنا بدون تردُّد: "لا، على الإطلاق".

"لكنه وبالإضافة إلى التُّهم التي وجَّهها إليك اليوم، فإن المدير شيرد قد ادَّعى الكثير من الادعاءات عن صحتك العقلية، أليس كذلك؟".

"نعم، إنه يقول إنني مجنونة".

"هل حدث وتحدَّثت مع المدير شيرد محادثة طويلة؟".

"لا".

"هل حدث وأجريت أي تعاملات من أي نوع سويًّا؟".

"لا".

"هل تعلمين شيئاً يمكنه أن يكون السبب في أن يحمل المدير شيرد ضغينة تجاهك؟".

قالت: "لا، أنا لم أفعل أي شيء له".

قال مودي: "لكنني عرفت أن هناك أحد المعارف المشتركة بينكما، هل هذا صحيح؟".

قالت أنا: "نعم، أه سووك الصيني. كان يدير وكر الأفيون في كانير، وهو صديق مقرب لي. لقد قُتل بطلق ناري يوم العشرين من مارس، قتله المدير شيرد".

قفز بروهام ليقدم اعتراضه، وقال: "المدير شيرد لديه إذن بالقبض على ذلك الرجل، وتصرّف في هذا الموقف في حدود سلطاته كرجل من رجال الشرطة. إن السيد مودي يلقي بافتراءات".

قال مودي: "أنا على علم بإذن القبض يا سيد بروهام. لقد أثرت الموضوع لأنني أعتقد أن المعرفة المشتركة لها صلة وثيقة بالعلاقة ما بين الادعاء والمتهمة".

قال القاضي مقطّباً: "أكمل يا سيد مودي".

جلس بروهام.

سأل مودي أنا: "ما علاقة المدير شيرد بالسيد أه سووك؟".

قالت أنا بكلمات واضحة: "تمّ اتهام أه سووك في جريمة قتل شقيق المدير شيرد في سيدني منذ خمسة عشر عامًا".

وفجأة خيم صمت تام على قاعة المحكمة.

قال مودي: "ما الذي انتهت إليه المحاكمة؟".

قالت أنا: "لقد تمّ تبرئة أه سووك في اللحظة الأخيرة، وتمّ الإفراج عنه".

قال مودي: "هل تحدّث السيد سووك عن هذا الأمر معك؟".

قالت أنا: "إنجليزيتيه لم تكن جيدة، لكنه طالما استخدم كلمات الانتقام والقتل. وأحيانًا ما تحدث أثناء نومه. لم أكن أفهم الأمر وقتها".

قال مودي: "في هذه الأوقات التي تشيرين إليها الآن، كيف بدا لك السيد سووك؟".

قالت أنا: "بدا مستاء، وأحيانًا مرعوبًا. لم أفكر في الأمر إلا فيما بعد. أنا لم أعرف أي شيء عن شقيق المدير شيبرد إلا بعد مقتل أه سووك".

التفت مودي إلى القاضي وهو يمسك بقطعة من الورق، "إن الدفاع يوجّه المحكمة إلى سجلّ المحاكمة المنشور في جريدة هيرالد سيديني في التاسع من يوليو من العام 1854. يمكن العثور على الأصل في أرشيف الأنثيبيديان في شارع وارف، حيث يتم الاحتفاظ به حاليًا، وفي الوقت الحالي أتقدم للمحكمة بنسخة منه".

ومرّر النسخة على طول مقعد المحامين ليتم تقديمها للقاضي، ثم التفت إلى أنا، "هل كان المدير شيبرد يعلم بحقيقة أنك والسيد سووك كنتم صديقين مقربين؟".

قالت أنا: "لم يكن الأمر سرًا، كنت أذهب للوكر معظم الأيام، وهو الوكر الوحيد في كانير. أستطيع أن أقول إن الجميع كانوا يعلمون".

"زياراتك لهنالك أكسبتك اسم شهرة، أليس كذلك؟".

قالت أنا: "نعم، أطلقوا عليّ لقب أنا الخاصة بالصينيين".

قال مودي: "شكرًا لك يا آنسة ويذريل، ليس لديّ مزيد من الأسئلة". وانحنى للقاضي الذي كان ينظر في سجل المحكمة المنشور في هيرالد سيديني، وجلس.

بروهام الذي أتاه هذا التلميح كمفاجأة غير متوقَّعة طلب أن يعيد استجواب أنا في الموضوع الذي أثاره الدفاع، لكن القاضي كيمب رفض طلبه.

قال القاضي وهو يضع جانبًا بعناية الورقة المحتوية على نبأ تبرئة أه سووك، ثم يعقد ذارعيه: "لقد حضرنا هنا اليوم صباحًا لننظر في ثلاث اتهامات: تهمة بالتزوير، وأخرى بالسُّكْر والسلوكيات غير اللائقة، والثالثة تهمة بالاعتداء. وقد سجَّلتُ ملاحظة تؤكِّد أن اجتماع الأنسة ويذريل مع السيد سووك يمثِّل للدَّعاء أهمية شخصية، لكني لا أرى أن هذه التطورات الجديدة تستدعي إعادة الاستجواب. وعلى أي حال فنحن هنا ليس لندرس دوافع الادِّعاء، لكن لندرس دوافع الأنسة ويذريل".

بدا على بروهام الإحباط الشديد، أما مودي، حينما التقت عيناه بعينيَّ أنا، ابتسم لها ابتسامة صغيرة جدًّا، وقد ردَّت عليه بمثلها. كان هذا انتصارًا.

أول مَنْ نادوه من الشهود هو جوزيف بريتشارد، الذي حين استجوبه بروهام، كرَّر ما قالته أنا بخصوص الأحداث التي وقعت في السابع والعشرين من يناير في فندق جريديرون، بأن الرصاصة الأولى قد اختفت بعد أن طاشت، وأن الرصاصة الثانية قد أطلقها أوبرت جاسكوين على وسادة أنا كتجربة.

قال مودي حين تمَّت دعوته لاستجواب الشاهد: "سيد بريتشارد، ماذا كان غرضك من وراء زيارة الأنسة ويذريل في عصر يوم السابع والعشرين من يناير؟".

قال بريتشارد: "فكَّرتُ أنه هناك قصة أخرى وراء محاولة الانتحار. فكَّرتُ أنه ربما يكون مخزونها من الأفيون مُسمِّمًا أو مخلوطًا بشيء آخر، وأردت أن أفحصه".

"هل فحصت مخزون الآنسة ويذريل كما انتويت؟".

"نعم".

"ما الذي اكتشفته؟".

قال بريتشارد: "عرفت من شكل غليونها أن أحدهم قد استخدمه حديثاً. لكن ليست هي من استخدمته. فهي كانت متيقظةً كراهبة في ذاك العصر. استطعت أن أرى هذا في عينيها، لم تكن قد لمست المخدّر منذ أيام. ربما حتى منذ الجرعة الزائدة التي تعاطتها".

"ماذا عن الأفيون نفسه؟ هل فحصت المخزون الخاص بها؟".

قال بريتشارد: "لم أستطع العثور عليه. قلبتُ جميع أدراجها رأساً على عقب بحثاً عنه، لكنني لم أجده، اختفت تلك القطعة".
رفع مودي حاجبيه، "اختفت؟".

قال بريتشارد: "نعم".

قال مودي: "شكراً لك يا سيد بريتشارد. ليس لديّ أسئلة أخرى".

انحنى هارنجنون فوق دفتريه يكتب بسرعة. ثم قطع الصفحة التي خطّها ورماها على المقعد للرجال الآخرين ليقرواها. ورأى مودي أن بروهام لم يعد يفتعل الابتسام.

قال القاضي، الذي كان بدوره يكتب: "نادِ على الشاهد التالي".

الشاهد التالي كان أوبرت چاسكوين، الذي أگَدَت شهادته حادثة إطلاق النار، واختفاء الرصاصة الطائشة، وإطلاق الرصاصة الثانية عن عمْدٍ في رأس سرير آنا. وحين استجوبه بروهام اعترف أنه لم يشك في وجود إميري ستينز في فندق جريديرون في عصر يوم السابع والعشرين من يناير. وحين استجوبه مودي وافقه على أن هناك احتمالية كبيرة

لهذا. ثم عاد إلى مكانه تحت المنصة، وحين اتَّخَذَ مجلسه مرة أخرى نادى القاضي على قسِّ السجن، كويل ديفلن.

بمجرد أن حلف القسُّ اليمين، قال بروهام رافعاً صَكَّ الهبة: "أيُّها الموقِّر، كيف وصل هذا المستند إلى حوزتك لأول مرة؟".

قال ديفلن: "وجدته في كوخ كروسبي ويلز في صباح اليوم التالي لوفاته. لقد حمل السيد لوردباك نبأ وفاة ويلز إلى هوكتيكا، وكلَّفني المدير شيرد بالذهاب للكوخ والمساعدة في إحضار جثة الرجل".

"أين وجدت هذا المستند بالضبط؟".

قال ديفلن: "وجدته في درج الرماد في أسفل الموقد. كان جو المكان حزيناً جداً، واليوم غزير المطر، فقرَّرتُ أن أوقد النار. فتحت الدرج ووجدت المستند راقداً بين الحصى".

"وما الذي فعلته بعدها؟".

قال ديفلن: "احتفظتُ به".

"لماذا؟".

قال القسُّ بهدوء: "ذلك المستند يخصُّ مبلغاً جسيماً من المال، ورأيت أنه من الحكمة ألا يتمَّ الإعلان عنه حتى تتحصَّن صحة الأنسة ويذريل، التي تمَّ إحضارها إلى مخيم الشرطة في وقت متأخر من الليلة السابقة بتهمة الانتحار، ومن الواضح أنها ليست في حالة مناسبة لتحمل المفاجآت".

"هل هذا هو السبب الوحيد لاحتفاظك بالمستند؟".

قال ديفلن: "لا، كما شرحت لاحقاً للمدير شيرد، فإن المستند لم يبدُ كأنه يستحق أن أُطْلَعَ عليه الشرطة، كان وقتها باطلاً".

"لِمَ كان باطلاً؟".

قال ديفلن: "لم يكن السيد ستينز قد وقَّعه باسمه لكي يصبح ساريًا".

قال بروهام: "ورغم ذلك فالمستند الذي أحمله الآن يحمل توقيع السيد ستينز. من فضلك اشرح للمحكمة كيف تمّ توقيع المستند".

قال ديفلن: "للأسف فأنا لا أستطيع أن أفعل ذلك. فأنا لم أشهد على توقيع المستند بنفسي".

ارتبك بروهام، "متى اكتشفت أن الصَّكَّ قد تمّ توقيعه؟".

"في صباح يوم العشرين من مارس، حين أخذتُ الصَّكَّ إلى الآنسة ويذريل في الواي فيرر فورتن. كنّا نتناقش في أمور أخرى، وفي أثناء حوارنا اكتشفت أن المستند أصبح يحمل توقيعًا".

"هل رأيت الآنسة ويذريل توقَّع صك الهبة؟".

"لا".

بدا بروهام مذهولًا بشكل واضح، وليستعيد سيطرته على نفسه قال: "ما الذي كنتم تناقشان فيه؟".

قال ديفلن: "نقاشنا ذاك الصباح له طبيعة سرِّيَّة بالنسبة لوضعي كرجل دين. لا يمكن أن يطلب أحدهم مني أن أكرِّر ما قلناه، أو أن أشهد ضدها بخصوصه".

ذهل بروهام. لكن ديفلن كان مُحقِّقًا، وبعد الكثير من الاعتراض والجدال، سلَّم بروهام شاهده إلى مودي وهو بادي الاستياء. استغرق مودي بعض الوقت ليرتَّب أوراقه قبل أن يبدأ.

قال: "أيها الموقَّر ديفلن، هل أظهرت هذا الصَّكَّ للمدير شيرد بعد أن اكتشفت وجوده مباشرة؟".

قال ديفلن: "لا، لم أفعل".

"كيف إذن علم المدير شيبرد بوجوده؟".

ردّ ديفلن: "عن طريق المصادفة، كنت أحتفظ بالمستند في إنجيلي لأحافظ عليه، عثر عليه المدير شيبرد أثناء تصفّحه للإنجيل. لقد حدث هذا تقريبًا بعد وفاة السيد ويلز بشهر".

أوما مودي، "هل كان السيد شيبرد بمفرده حين حدث هذا الاكتشاف العرضي؟".

"نعم".

"ما الذي فعله؟".

"نصحتني أن أخبر الآنسة ويذريل بالصك، وقد فعلت مثلما أشار عليّ".

"فورًا؟".

"لا، انتظرت بضع أسابيع. أردت أن أتحدث معها بمفردي، بدون علم السيدة كارفر، وهناك فرص قليلة لذلك، على اعتبار أنهما تعيشان سويًا، ونادرًا ما تقضي أي منهما وقتًا بعيدًا عن الأخرى".

"لَمْ أردت أن تتحدث مع الآنسة ويذريل دون علم السيدة كارفر؟".

قال ديفلن: "في ذلك الوقت كنت أظن أن السيدة كارفر هي الوريثة الشرعية للثروة المكتشفة في كوخ السيد ويلز. لم أودّ أن أدقّ إسفينًا بينها وبين الآنسة ويذريل بسبب مستند ربما يكون مكتوبًا كدُعاة. في صباح يوم العشرين من مارس، وربما تكون متذكّرًا، تمّ استدعاء السيدة كارفر إلى المحكمة. وقد قرأتُ خبرًا عن الاستدعاء في الصحيفة الصباحية، فأخذت طريقي إلى الواي فيرر فورتشن على الفور".

أوما مودي، "هل ظلَّ الصَّكُّ داخل إنجيلك طيلة ذلك الوقت؟".

قال ديفلن، "نعم".

"هل حدثت مناسبات أخرى تالية لتلك المرة التي اكتشف المدير شيرد فيها صكَّ الهبة وانفرد فيها المدير شيرد بإنجيلك؟".

قال ديفلن: "مرَّاتٍ عديدة. أنا آخذه معي إلى مخيِّم الشرطة كل صباح وعادة ما أتركه في مكتب السجن حين أكون مشغولاً بمهام أخرى".

توقَّف مودي لبرهة لكي يدع هذا الاستنتاج المنطقي يأخذ وقته، ثم قال مُغيِّراً للموضوع: "كم مضى عليك وأنت تعرف الآنسة ويذريل أيها الموقَّر؟".

"لم أقابلها شخصياً قبل عصر يوم العشرين من مارس، حين ذهبت لأقابلها في الواي فيرر فورتشن. ومنذ ذلك الحين ظلَّت في حراستي في سجن مخيم الشرطة، وأنا أراها كل يوم".

"هل سنحت لك الفرصة خلال تلك الفترة لملاحظتها والحديث معها؟".

"سنحت لي العديد من الفرص".

"هل يمكنك أن تصف انطباعك العام الذي كوَّنته عن شخصيتها؟".

قال ديفلن: "انطباعي عنها جيد. فرغم أنها تعرَّضت للاستغلال، ورغم ماضيها الحزين، لكن أن يعيد الإنسان تشكيل شخصيته لهو أمرٌ يتطلَّب الكثير من الشجاعة، وأنا سعيد للغاية بالجهود التي بذلتها. فهي كبداية قد أقلعت عن إدمانها، وهي مُصمَّمة ألا تبيع جسدها مرة أخرى. ولهذا الذي فعلته وقرَّرتَه فإني أشيد بها وأثني عليها".

"ما رأيك في حالتها العقلية؟".

قال ديفلن باندهاش: "أوه، إنها عاقلة تمامًا. ليس لديّ شك في هذا".

قال مودي: "شكرًا لك أيها الموقّر"، ثم قال للقاضي: "شكرًا لك يا سيدي".

ثم جاءت بعد ذلك شهادة الخبراء من الدكتور جيليز، ومن طبيب آخر يدعى الدكتور ساندروز الذي تمّ استدعاؤه من كومارا ليعطي رأيًا طبيًا ثانيًا بخصوص حالة أنا العقلية، وكذلك شهادة من السيد ولشام مفتش الشرطة من قوة شرطة جراي ماوث. ممثّل الادعاء جورج شيرد هو آخر مَنْ تمّ استدعاؤه.

وكما توقع مودي، فقد أسهب شيرد كثيرًا في الحديث عن شخصية أنا ويذريل السيئة، مستشهدًا بإدمانها للأفيون، ومهنتها البذيئة، ومحاولتها السابقة للانتحار، كدليل على حقارتها. وتحدث بالتفصيل عن الطرق التي تسبّب سلوكها في تبديد موارد الشرطة وإهانة معايير الأصول والآداب الأخلاقية، وأوصى بشدّة بإيداعها بالملجأ الذي تمّ بناؤه حديثًا في سي فيو. لكن مودي قد خطّط لدفاعه جيدًا، فبعد الكشف عن الحقيقة المتعلقة بأه سووك، وبعد شهادة ديفلن، بدت الموعة التي ألقاها شيرد مليئة بالحق والضعيفة، بل بدت جديرة بالثناء. وهنأ مودي نفسه في صمتٍ لأنه أثار موضوع جنون أنا قبل أنا تتاح الفرصة للادّعاء لإثارة هذا الموضوع.

حين جلس بروهام أخيرًا، حدّق القاضي في كرسي المحامين وقال: "الشاهد لك يا سيد مودي".

قال مودي: "شكرًا لك يا سيدي". والتفت إلى السجان، "السيد المدير شيرد، هل يبدو توقيع إيميري ستينز على هذا الصك لعينيك مزورًا بشكل واضح؟".

رفع شيرد ذقنه وقال: "يمكن أن أقول إنه يشبهه".

"اعذرنى يا سيدى، ماذا تعني بـ'يشبهه'؟".

بدا الضيق على شيرد وصحَّح ما قاله، "إنه نسخة جيدة".

"هل يمكن أن يطلق عليه المرء نسخة طبق الأصل من توقيع السيد ستينز؟".

قال شيرد وهو يهزُّ أكتافه: "الخبراء هم مَنْ سيقطعون بالأمر، أنا لست خبيراً في التزوير".

قال مودي: "سيد شيرد، هل تمكَّنت من ملاحظة أي اختلاف بين هذا التوقيع والمستندات الأخرى التي وقَّع عليها السيد ستينز، والتي يوجد منها في البنك المركزي الكثير".

قال شيرد: "لا".

"على أي أساس يستند ادعاؤك بأن التوقيع مزوَّر؟".

قال شيرد: "رأيت الصَّكَّ محلَّ سؤالك في فبراير، ووقتها لم يكن مُوقَّعًا. وقد جلبت الآنسة ويذريل نفس الصَّكَّ إلى المحكمة في عصر يوم العشرين من مارس، وكان مُوقَّعًا. هناك تفسيران اثنان لا ثالث لهما لهذا الأمر: إمَّا أنها قد زوَّرت التوقيع بنفسها، وهو ما أظن أنه قد حدث، وإمَّا أنها قابلت السيد ستينز خلال فترة غيابه، وفي هذه الحالة فستكون قد حلفت زورًا في المحكمة".

قال مودي: "في الحقيقة فإن هناك تفسير ثالث. إن كان هذا التوقيع مزوَّرًا بالفعل، كما تؤكِّد أنت على هذا بكل قوة، ربما يكون شخص آخر هو من وقَّعه، شخص آخر غير أنا. شخص يعلم أن هذا الصَّكَّ في حوزة القسِّ، شخص يودُّ بشدة لسببٍ ما أن يرى آنسة ويذريل وقد تمت إدانتها بجريمة".

بدت تعبيرات وجه شيرد باردة، "أنا مستاء مما تُلَمِّح إليه يا سيد مودي".

مدَّ مودي يده في محفظته وأخرج قصاصة صغيرة من الورق، وقال: "لديَّ هنا أمر بالدفع مؤرَّخ في يونيو من العام الماضي، أعطاه لي السيد ريتشارد مانرينج، ويحمل توقيع الأنسة ويزريل. هل تلاحظ أي شيء مميَّز يتعلق بتوقيع الأنسة ويزريل يا سيدي المدير؟". تفحصَّ شيرد الورقة، ثم قال أخيراً: "لقد وقَّعت بعلامة إكس".

قال مودي: "بالضبط، لقد وقَّعت بعلامة إكس. إذا كانت الأنسة ويزريل لا تستطيع التوقيع باسمها يا سيدي المدير، ما الذي يجعلك تظنُّ أنها يمكن أن تصنع نسخة طبق الأصل من توقيع شخص آخر؟". اتجهت كل الأعين ناحية شيرد، الذي ظلَّ ينظر في أمر الدفع.

قال مودي للقاضي: "شكراً لك يا سيدي. ليس لديَّ أسئلة أخرى".

قال القاضي، في نبرة قد توحى بالإعجاب، أو بالاستياء: "حسناً يا سيد مودي. تستطيع أن تعود لمكانك".

الزهرة يظهر كنجمة الصباح

وفيه يتم تقديم إغراء، ويتم تقديمه متنكرًا.

بمجرد وصول السفينة فورتشنت ويند إلى مرساها في ميناء تشالمرز، وإنزال سلام الحبال من سطح السفينة، تحتم على أنا أن تنضم لطابور النساء حتى يتم فحصها عن طريق الموظفين المختصين بالمهام الطبية. ومن الحجر الطبي اتجهت إلى مكتب الجمارك لتختم أوراقها الرسمية وتحصل على الموافقة بالدخول. حين انتهت هذه المقابلات تم توجيهها إلى المستودع لتستلم صندوقها (وكان صندوقها صغير الحجم، بالكاد أكبر قليلًا من صندوق القبعات، من الممكن أن تحمله تحت ذراعها)، وهناك واجهت عائق آخر، حيث تم وضع صندوقها بالخطأ مع أمتعة سيدة أخرى. وحين تم إصلاح هذه الخطأ واستعادة صندوقها كان الوقت قد تخطى الظهيرة. حين خرجت

أخيراً من المستودع، بحثت أنا عن الفتى ذي الشعر الذهبي الذي أسعدتها صحبتة كثيراً على سطح السفينة هذا الصباح. لكنها لم تَرَ أي شخص تعرفه، ورفاقها من الركاب الآخرين قد تفرّقوا في زحام المدينة منذ وقت طويل، فوضعت صندوقها أرضاً على رصيف الميناء ووقفت للحظة تضبط قفازيها.

أتاها صوت يقترب منها قائلاً: "من فضلك يا آنسة"، التفتت أنا، كانت المتحدثة امرأة ذات شعر أحمر، ممتلئة وناعمة البشرة، تبدو أنيقة للغاية في رداء من قماش أخضر مطرز. وقالت مرة أخرى: "من فضلك، هل حضرت للمدينة حديثاً؟".

قالت أنا: "نعم يا سيدي، لقد وصلتُ حالاً، هذا الصباح".
"على أية سفينة من فضلك؟".

"على السفينة فورشت ويند يا سيدي".

قالت المرأة: "نعم، نعم، حسنًا، في هذه الحالة ربما يمكنك أن تساعدني. أنا في انتظار شابة تدعى إليزابيث ماكاي. إنها في مثل عمرك تقريبًا، بسيطة، ورفيعة، وترتدي ملابس المربيات، وتسافر بمفردها...".

قالت أنا: "للأسف أنا لم أرها".

استمرت المرأة في الحديث، "ستكمل عامها التاسع عشر في أغسطس القادم. إنها ابنة عم ابنة عمتي، أنا لم أقابلها من قبل، لكن على كل حال فهي فتاة حسنة التربية، وحسنة المظهر. اسمها إليزابيث ماكاي. ألم تَرَها؟".

"أنا آسفة جدًا يا سيدي".

"ماذا كان اسم سفينتك، فورشت ويند؟".

"هذا صحيح".

"من أي ميناء صعدت على متنها؟".

"ميناء چاكسون".

قالت المرأة: "نعم. إنها هي. السفينة فورشنت ويند. آتية من سيدني".

قالت أنا وهي تحدّق في المرأة قليلاً: "يؤسفني أن أقول إنه لم يكن على متن الفورشنت ويند أية أنسة شابة يا سيدتي. كان هناك السيدة بيترسون مسافرة مع زوجها، والسيدة مادر، والسيدة يوارز، والسيدة كوك، وكلهن كما أظن في الأربعينيات من العمر. لم يكن هناك شابة لم تكمل التاسعة عشرة بعد".

قالت المرأة وهي تعضّ شفثيها: "أوه، يا إلهي، يا إلهي يا إلهي".

"هل هناك مشكلة يا سيدتي؟".

قالت المرأة وهي تمّد يدها تضغط بها يد أنا: "يا لك من فتاة لطيفة في استفسارك عمّا بي! المشكلة هي أنني أدير نُزلاً للفتيات هنا في ديوندن. وقد تلقّيتُ خطاباً من الآنسة مكاي منذ عدة أسابيع، وقد قدّمت نفسها لي وأرسلت مصاريف إقامتها عندي في النزل مُقدّماً، وقد وعدتني أنها ستصل اليوم. وأخرجت لها المرأة خطاباً متغصّناً. انظري، لقد حدّدت التاريخ بدقة".

لم تأخذ أنا الخطاب، وقالت وهي تهزّ رأسها: "أنا آسفة، أنا متأكّدة مما تقوله".

قالت المرأة: "أوه، أعتذر لك. أنت لا تستطيعين القراءة".

احمرّ وجه أنا وقالت: "ليس بدرجة جيدة".

قالت المرأة وهي تُدخِل الخطاب تحت كُمّها: "لا بأس، لا بأس. أوه، أنا قلقّة للغاية على الآنسة ماكاي المسكينة. أنا في غاية القلق، ما معنى هذا، لقد قالت أنها ستصل اليوم على هذه السفينة، لكن،

وكما أَكْثَرْتُ أَنْتِ، فهي لم تصعد على متنها على الإطلاق. هل أنت متأكدة ممَّا قُلْتِه لي؟ هل أَنْتِ متأكدة من أنه لم يكن هناك شابات صغيرات على متن السفينة؟".

قالت آنا: "أنا متأكدة أن هناك تفسيرًا بسيطًا لما حدث. ربما مَرَضَتْ في اللحظة الأخيرة. وربما أَرَسَلْتُ خطابًا تعتذر فيه ولم يصلك الخطاب".

قالت المرأة وهي تضغط يد آنا مرة أخرى: "إنَّكِ طيبة للغاية لمواساتك لي. وأنت أيضًا على حق، يجب عليّ أن أعقل الأمر وأن لا أسمح لنفسي أن يسرح خيالي بعيدًا. فسيقلقني أن أفكر أنه قد أصابها مكروه".

قالت آنا: "أنا متأكدة أن الأمر سيكون على ما يرام".

قالت المرأة وهي تربّت عليها: "يا لكِ من طفلة طيبة! أنا سعيدة للغاية بالتعرف على فتاة طيبة وجميلة مثلك. اسمي هو السيدة ويلز، السيدة ليديا ويلز".

قالت آنا وهي تنحني مُحيّية: "آنسة آنا ويذريل".

قالت السيدة ويلز وهي تبتسم: "لكن ماذا دهاني!، أنا قَلِقَةٌ على فتاة تسافر بمفردها بينما أنا في الواقع أتحدث إلى فتاة مثلها. ما الذي حدث بحيث تسافرين بدون وصيفة يا آنسة ويذريل؟ ربما أَنْتِ مخطوبة لأحد المنقّبين هنا!".

قالت آنا: "أنا لست مخطوبة".

"ربما أَتَيْتِ بناءً على طلب أرسله لك والدك أو أحد أقاربك ممَّن وصل هنا بالفعل وأرسل في طلبك لتنضمّي إليه...".

هزّت آنا رأسها. "لقد جئت لأبدأ حياتي".

قالت السيدة ويلز: "حسنًا، لقد اخترت المكان الأمثل لكي تفعلني هذا. كل فرد يبدأ حياته من جديد في هذا البلد، ليس هناك طريقة أخرى للحياة هنا. هل أنت بمفردك تمامًا؟".

"بمفردني تمامًا".

"هذا أمر في منتهى الشجاعة يا آنسة ويذريل، إنه في منتهى الشجاعة! أنا مبتهجة من فكرة أنك لم ترغبني أن تصحبك وصيفة خلال عبورك إلى هنا، أما الآن فأودُّ أن أعرف إذا كنتِ حجتِ لنفسك مكانًا لتنزلي فيه. هنا في ديوندين توجد العديد من الفنادق سيئة السمعة. فتاة في جمالك ستحتاج إلى نصيحة جيدة من مالك نُزُلٍ جيد".

قالت آنا: "أشكرك على اهتمامك اللطيف. أنا أنوي الذهاب إلى نُزُل السيدة بنستون، سأذهب إلى هناك هذا العصر".

بدا الفزع على المرأة الأخرى وقالت: "نزل السيدة بنستون؟".

قالت آنا: "لقد اقترحوا عليّ المكان. ألا ترين أنه مكان جيد؟".

قالت السيدة ويلز: "للأسف، لا أستطيع أن أقول ذلك. أي نزل آخر في المدينة غير نزل السيدة بنستون سيكون أفضل لك. إنها امرأة من طراز متدنٍّ يا آنسة ويذريل. إنها امرأة متدنية للغاية. لا بُدَّ أن تبتعدي عن أمثالها".

قالت آنا وقد فوجئت: "أوه".

قالت السيدة ويلز بأسلوب دافئ: "أخبريني مرة أخرى عن سبب مجيئك إلى ديوندين".

قالت آنا: "أتيت بسبب البحث عن الذهب. الجميع يقولون إن الذهب الموجود في مخيم الذهب أكثر من الذهب الموجود في الأرض نفسها. لقد فكَّرتُ في أن أعمل في أحد الأعمال التابعة للمخيم".

"أتقصدين أن تجدي لنفسك عملاً كنادلة في بار مثلاً؟".

قالت آنا: "أستطيع أن أقوم بهذا، لقد عملتُ في فندق. وأنا هادئة وأمينة".

"هل لديك توصية؟".

"لديّ توصية جيدة يا سيدتي من فندق إمباير في شارع يونيون في سيدني".

قالت الأنسة ويلز وهي تنظر مبتسمة لآنا من فوق لتحت: "ممتاز".

قالت آنا: "إن كنت لا توافقين على نزل السيدة بنستون..."، فقاطعتها السيدة ويلز وصاحت: "أوه، لديّ الحل المثالي لمشكلة كل منّا، أنتِ وأنا. لقد خطر لي الآن فوراً. إن الأنسة ماكاي قد دفّعت أجر الإقامة لمدة أسبوع، وهي لم تأت لتشغل الغرفة التي دفعت أجرتها مُقدِّماً. يجب أن تشغلينها أنت. يجب أن تأتي معي بدلاً من الأنسة ماكاي، حتى نجد لك عملاً، ونساعدك في الوقوف على قدميك وشقّ طريقك".

قالت آنا وهي تخطو للخلف: "هذا عطف كبير منك يا سيدة ويلز، لكنني لا أستطيع أن أقبل مثل هذه الدعوة الكريمة، لا أستطيع أن أفرض نفسي على كرمك".

قالت السيدة ويلز وهي تمسك بكوع آنا: "أوه، توقّفي عن تقديم الاعتراضات، نحن صديقات عزيزات يا آنسة ويذريل، وسوف نتذكر يوم لقائنا هذا ونطلق عليه يوم الحظ السعيد الذي جمعتنا فيه الفرصة السعيدة. أنا أوّمن كثيراً بالحدّ السعيد. وأوّمن بالعديد من الأشياء الأخرى. لكن ما هذا الذي أفعله بمثل هذه الثثرة؟ لا بُدّ من

أنك تتضوّرين جوعًا وفي أَمْسٍ الاحتياج لحمام ساخن. تعالي معي، سوف أعتني بك على أكمل وجه، وبعدها تترتاحين، سأجد لك عملاً".

قالت آنا: "أنا لا أقصد أن أطلب المساعدة. أنا لا أطلب المساعدة".

قالت ليديا ويلز: "أنتِ لم تطلبي أي شيء على الإطلاق. يا لك من فتاة طيبة!. يا حَمَال!".

جرى ناحيتهم فتى أفطس الأنف.

قالت السيدة ويلز: "خُذْ صندوق الآنسة واذريل إلى المنزل رقم خمسة وثلاثين شارع كمبرلاند".

ابتسم الفتى أفطس الأنف لدى سماعه هذا، والتفت إلى آنا ونظر إليها من فوق إلى تحت، ثم أمسك مقدّمة شعر رأسه باحترام مبالغ فيه. لم تعلّق ليديا ويلز على هذا التصرف الصفيق، لكنها ثبّتت الفتى مكانه بنظرة نارية حين ناولته ستة بنسات من محفظتها. ثم وضعت ذراعها حول كتفي آنا، وأخذتها معها وهي تبتسم.

سُمُوّ في برج الحمل

وفيه يُعبرُ المتهم عن أفكاره الفلسفية، ويصبح للسيد مودي اليد العليا، ويلقي لودريك خطبة، ويتمُّ ضبط آل كارفر يكذبون.

بدأت جلسات فترة العصر في تمام الساعة الواحدة.

قال القاضي بعد أن حلف الفتى اليمين، "سيد ستينز، لقد تمَّ توجيه ثلاث تهم لك، الأولى هي تزوير التقرير ربع السنوي المقدم في يناير 1866. ما هو قولك فيما هو منسوب إليك؟".

"مذنب يا سيدي".

"الثانية هي سرقة ذهب سلّمه لك بشكل قانوني العامل عندك السيد چون لونج كيي من إنتاج منجم الذهب أورورا، والذي تمَّ

اكتشافه في سكن المرحوم السيد كروسي ويلز في وادي الأراهورا. ما هو قولك فيما هو منسوب إليك؟".

"مذنب يا سيدي".

"وأخيراً: إهمال واجباتك ناحية حقول ومناجم ذهب تحتاج لمتابعة وعمل يومي خلال فترة غيابك التي زادت عن ثمانية أسابيع. ما هو قولك في ذلك؟".

"مذنب يا سيدي".

قال القاضي وهو يعتدل في كرسيه: "مذنب على طول الخط. حسناً، يمكنك أن تجلس الآن يا سيد ستينز. لدينا السيد مودي مرة أخرى كمحامٍ للمُدَّعى عليه، ولدينا السيد بروهام كممثل للمُدَّعي، ويساعده السيد فيلوز والسيد هارنجتون من المحكمة الابتدائية. سيد بروهام، قدّم إفادتك من فضلك".

وكسابقتها، أعدّ بروهام إفادته بحيث تسيء لسمعة المدّعى عليه، وكسابقتها، جاءت الإفادة طويلة بشكل مفرط. لقد عدّد جميع المشاكل التي أحدثها غياب ستينز، وأظهر أرملة ويلز، بالتحديد، كشخصية بائسة تحطمت أحلامها العريضة التي بُنيت على أمل الحصول على ميراثٍ مفاجئ تصوّرت عن طريق الخطأ (رغم الأسباب المبرّرة لذلك الخطأ) أنه جزء من ممتلكات زوجها الراحل. وتحدث عن الفساد الكامن في الثروات، ووصف التزوير والسرقة بأنهما "جريمان ارتكبتا بذهن حاضر ودم بارد". أمّا إفادة مودي فقد أكدت ببساطة على أن ستينز مدرك للمشاكل التي أحدثها غيابه الطويل، وأنه مُستعدٌّ لسداد كافة الديون والمصروفات التي ترتبت نتيجة لهذا الغياب.

قال القاضي كيمب، حين فرغ مودي من تقديم إفادته: "سيد بروهام. الشاهد لك".

قام بروهام من مكانه وأمسك ورقة ولوّح بها كأنه يلوّح بإذن بالقبض عليه، وقال: "سيد ستينز، لديّ هنا مستند قدّمه نيلسن وشركاه التجار بالعمولة، الذين قاموا بجرد ممتلكات الراحل كروسبي ويلز. وحسب ما سجّله السيد نيلسن فإن الممتلكات ضمت كمية كبيرة من الذهب الصافي، وقد تمّ تقدير قيمتها في البنك بمبلغ أربعة آلاف وستة وتسعين جنيهًا بالضبط. ما الذي يمكن أن تقوله بشأن هذه الثروة؟".

جاوب ستينز بدون تردّد وقال: "تمّ العثور على هذا الذهب في حقل الذهب المعروف باسم الأورورا، والذي كان حتى وقت قريب ضمن ممتلكاتي. وتمّ استخراج الذهب عن طريق السيد كيلي العامل المكلف بالعمل في المنجم في منتصف شهور العام الماضي. وسبك السيد كيلي المعدن وصبّه على هيئة مُربّعات، كما هي عاداته المعروفة عنه، ثم سلّم هذه المربّعات لي كدخل شرعي. حين تسلّمتُ الكنز، لم أودّعه في البنك تحت حساب الأورورا كما كان يتحتّم عليّ أن أفعل بحكم القانون. وبدلًا من ذلك وضعته في حقيبة وأخذته إلى وادي الأراهورا ودفنته هناك".

كان يتحدث بهدوء وبدون أي غشٍّ أو خداع.

قال بروهام: "لِمَ الأراهورا على وجه التحديد؟".

قال ستينز: "لأنه ليس مسموحًا بالاستكشاف في أراضي الماوري، ومعظم الأراهورا تعود ملكيتها إلى الماوري. لقد فكّرتُ في أن الكنز سيكون في أمان هناك، على الأقل لفترة، حتى أعود وأحفر وأستخرجه مرة أخرى".

"ما الذي كنت تخطط أن تفعله بالكنز؟".

قال ستينز: "لقد خطّطتُ أن أقتسمه بالنصف، وأحتفظ بنصفه لنفسي. أمّا النصف الآخر فقد أردت أن أمنحه للآنسة ويذريل كهدية".

"وَلِمَ تَوَدُّ أَنْ تَفْعَلَ مِثْلَ هَذَا الْأَمْرِ؟".

بدت عليه الحيرة وقال: "أخشى أني لا أفهم سؤالك يا سيدي".

"ما الذي كنت تريد الوصول إليه يا سيد ستينز بإهدائك هذا المبلغ من المال للآنسة ويذريل؟".

قال الفتى: "لا شيء على الإطلاق".

"لم تكن تريد شيئاً على الإطلاق؟".

قال ستينز وهو يتسم قليلاً: "نعم، بالضبط. وإلا فإنها لن تكون هدية، أليس كذلك؟".

قال بروهام وهو يرفع صوته فوق الضحكات المتبعثرة: "هذه الثروة تم اكتشافها لاحقاً في كوخ يمتلكه الراحل كروسبي ويلز. كيف حدث هذا التغيير في مكانها؟".

"لا أعلم على وجه التأكيد. أظن أنه حفر ووجدها وأخذها لنفسه".

"إذا كان هذا ما حدث، لِمَ إذن لم يأخذها السيد ويلز ويذهب بها إلى البنك؟".

قال ستينز: "أليس الأمر واضحاً؟".

قال بروهام: "لا، أخشى أنه ليس واضحاً".

قال ستينز: "بالطبع لأن الخام قد تم سبكه. وكل قالب من هذه القوالب الذهبية كانت تحمل كلمة أورورا منقوشة في المعدن، بواسطة السيد كيي. لم يكن باستطاعة السيد ويلز أن يدّعي أنه استخرجها بنفسه من الأرض".

"لِمَ لَمْ تودع الثروة في البنك تحت حساب الأورورا كما يتحتم عليك قانوناً أن تفعل؟".

قال ستينز: "نصف أسهم الأورورا يمتلكها السيد فرانسيس كارفر. وقد كونت رأياً سيئاً عن هذا الرجل، ولم أرغب في أن ينال مكاسب".

قطّب بروهام: "إذن فقد أزلت الثروة من سجلات الأورورا لأنك لم تَوَدَّ أن تدفع نسبة الخمسين بالمائة المستحقة قانوناً للسيد كارفر. إلا أنك أردت أن تمنح نصف نفس هذه الثروة للآنسة آنا ويذريل. هل هذا صحيح؟".

"هذا صحيح تماماً".

"سامحني يا سيد ستينز إن كنتُ أرى أن هذا غير منطقي بشكل ما".

قال الفتى: "ما هو غير المنطقي؟ لقد أردتُ أن تحصل آنا على نصيب كارفر".

"وما السبب في ذلك؟".

قال إميري ستينز: "لأنها تستحق أن تحصل عليه، ولأنه يستحق أن يخسره".

وارتفعت الضحكات، وانتشرت أكثر هذه المرة. بدأ مودي يحسُّ بالقلق، لقد حذّر ستينز من أن يكون حديثه شديد الغرابة، أو شديد الجرأة.

حين ساد الهدوء مرة أخرى قال القاضي: "سيد ستينز، لا أظن أن لديك امتياز يمنحك الحق في أن تُقرّر ما يستحقه أو لا يستحقه شخص ما. التزم من فضلك فيما ستقوله بعد الآن بسرد الحقائق فقط".

انتبه ستينز لنفسه على الفور، وقال: "حسنًا يا سيدي".

أوما القاضي، "استمرّ يا سيد بروهام".

فجأة غيّر بروهام الموضوع وقال: "لقد كنت مُتغيّبًا عن هوكتيكا لمدة شهرين، ما هو سبب غيابك؟".

قال ستينز: "أنا في غاية الخزي مما سأذكره، لقد كنت تحت تأثير الأفيون يا سيدي. لقد ذهلت حين علمت وقت عودتي أنه قد مرَّ على غيابي أكثر من شهرين".
"أين كنت؟".

قال ستينز: "أعتقد أنني أمضيت وقتًا طويلًا في وكر الأفيون الموجود في الحي الصيني في كانير، لكنني لست متأكدًا بالضبط".
توقَّف بروهام، ثم كرَّر: "وكر الأفيون".

قال ستينز: "نعم يا سيدي. كان المالك رجلًا يُدعى سووك، أه سووك".
لم يرغب بروهام في الاستفاضة في موضوع أه سووك. فقال: "لقد وجدوك يوم العشرين من مارس، في الكوخ الذي كان كروسبي ويلز يمتلكه. ما الذي كنت تفعله هناك؟".

قال ستينز: "أعتقد أنني كنت أبحث عن ثروتي. لكنني كنتُ مُشوَّشًا قليلًا، لم أكن بخير، ولم أستطع تذكُّر أين دفنتها".

"متى كانت أول مرة استخدمت فيها الأفيون يا سيد ستينز؟".

"لقد جرَّبْتُ المخدر لأول مرة في ليلة الرابع عشر من يناير".

"بكلمات أخرى، في نفس الليلة التي توفي فيها كروسبي ويلز".

"هكذا يقولون لي".

"إنها مصادفة غريبة، ألا تعتقد ذلك؟".

اعترض مودي على هذا وقال: "لقد توفي السيد ويلز بأسباب طبيعية. أنا لا أستطيع أن أرى كيف أن مصادفة حدثت مع حدث طبيعي يمكن أن يكون لها أهمية".

قال بروهام: "في حقيقة الأمر فإن التشريح قد كشف عن وجود كمية قليلة من المخدِّر في معدة السيد ويلز".

كرّر مودي، "كمية قليلة".

قال القاضي: "أكمل استجوابك يا سيد بروهام. اجلس يا سيد مودي".

قال بروهام للقاضي: "شكرًا لك يا سيدي". والتفت إلى ستينز وقال: "هل يمكنك أن تفكر في سبب واحد يا سيد ستينز يجعل السيد ويلز يتعاطى كمية من المخدر مع كمية كبيرة من الويسكي؟".
"ربما كان يتألم".

"لأي سبب يتألم؟".

قال ستينز: "أنا فقط أخمّن. أخشى أن كل ما باستطاعتي فعله هو أن أخمّن. أنا لم أعرف العادات الشخصية للرجل عن قرب، ولم أكن معه ذلك المساء. كل ما قصدته هو أن المخدّر عادة ما يتناوله المرء كمُسكّن للألم، أو ليساعده على النوم".

"ليس حين يكون المرء قد تناول زجاجة من الويسكي".

"أنا بالتأكيد لن أحاول أن أجرب مثل هذه الخلطة بنفسني. لكنني لا أستطيع أن أجيب بالنيابة عن السيد ويلز".

"هل تتعاطى المخدّر يا سيد ستينز؟".

"فقط حين يَصِفُه لي الطبيب، ليس لديّ عادة تعاطيه".

"هل لديك وصفة طبية حاليًا؟".

قال ستينز: "نعم، لديّ حاليًا وصفة طبية. لكنها حديثة جدًّا".

"ما هو تاريخها من فضلك؟".

قال ستينز: "لقد وصفه الطبيب لي في العشرين من مارس كمُسكّن للألم، وكطريقة لمساعدتي في التوقف عن الإدمان".

"قبل العشرين من مارس، هل سبق لك أن اشتريت أو حصلت على قنينة من المخدر من متجر الأدوية الخاص ببريتشارد الذي يقع في شارع كولينج وود؟".

"لا".

قال بروهام: "لقد تمَّ اكتشاف قنينة من المخدر في كوخ كروسبي ويلز بعد أيام من وفاته. هل تعلم كيف وصلت إلى هناك؟".

"لا".

"هل كان السيد ويلز -على حدِّ علمك- مُدمنًا للمنومات؟".

قال ستينز: "كان سَكِّيرًا. هذا كل ما أعرفه".

تفحَّصه بروهام ثم قال: "من فضلك، أبلِّغ المحكمة كيف قضيت ليلة الرابع عشر من يناير، بترتيب الأحداث وبروايتك أنت لما حدث".

قال ستينز: "قابَلْتُ أنا ويزريل في دست آند ناجت حوالي الساعة السابعة. شربنا كأسًا سويًّا، وبعدها ذهبنا إلى شقتي في شارع ريفل. شعرت بالنعاس وحين استيقظت حوالي الساعة العاشرة والنصف -على ما أعتقد- لم أجدها. لم أستطع أن أفكر في سببٍ يجعلها تغادر بهذا الشكل المفاجئ، وخرجت للبحث عنها. ذهبت إلى الجريديرون. لم أجد أحدًا في مكتب الاستقبال، ولا في البسطة بين الغرف، وكان باب غرفتها الواقعة في الطابق الأعلى غير مُغلق بالمفتاح، فدخلت ووجدتها راقدة على الأرض وجليونها وعجينة الأفيون والمصباح حولها. لم أستطع أن أوقظها، وبينما كنتُ في انتظار أن تفيق انحنيت لأتفحَّص الأدوات. لم أكن قد لمست الأفيون من قبل، لكنني طالما تمنَّيتُ أن أجربَه. هناك شيء غامض يتعلَّق به، والدخان جميل وثقيل. كان غليونها لا يزال دافئًا، والمصباح لا يزال مشتعلًا، وكل شيء كأنه مرتب ومُعَد. فكَّرتُ في أن أتذوِّقه فقط. كانت تبدو سعيدة بشكل مذهل، حتى إنها كانت تبتسم".

قال بروهام، حين توقّف ستينز عن الحديث: "ما الذي حدث بعدها؟".

قال ستينز: "لقد وقعتُ تحت تأثير المخدّر بالطبع، كان الأمر رائعًا".

بدا الضيق على بروهام، "وما الذي حدث بعد ذلك؟".

"حسنًا، لقد دخنت لفترة طويلة من غليونها، ثم رقدتُ على سريرها، ونمتُ لبعض الوقت، أو ربما أكون قد أكون حلمتُ، لأنه لم يكن نومًا طبيعيًا. حين عدت إلى الوعي مرة أخرى كان المصباح باردًا وباطنُ الغليون فارغًا، وأنا قد اختفت. أحس بالإحراج حين اتذكر أنني لم أفكر فيها للحظة. كل ما أردته هو أن أتذوّق المخدّر مرة أخرى. كنت مليئًا بالتوق له، من أول رشفة، لقد كنت مسحورًا. وقد علمت أنني لم أكن لأستطيع أن أرتاح قبل أن أجرب المخدر مرة أخرى".

قال بروهام متشككًا: "كل هذا حدث من أول مرة تتذوّقه فيه؟".

قال ستينز: "نعم".

"وماذا فعلت؟".

"توجّهتُ إلى الوكر الموجود في الحي الصيني على الفور. كان الوقت مبكرًا، بعد الفجر مباشرة. لم أقابل أي شخص في الطريق على الإطلاق".

"كم لبثت في الحي الصيني في كانيير؟".

"أعتقد أنني ظللت هناك أسبوعين، لكن من الصعب أن أتذكر بدقة، فكل يوم كان يتداخل في اليوم التالي. كان أه سووك طبيبًا للغاية معي. لقد استضافني، وأطعمني، وتأكد من أنني لا أتناول أكثر من حاجتي من الطعام. واحتفظ بحسابي عنده على لوح طباشيري صغير".

"هل رأيت أي شخص آخر خلال تلك الفترة؟".

قال ستينز: "لا، لكنني في الحقيقة لا أستطيع أن أتذكر الكثير".

"ما الذي تتذكره بعد ذلك؟".

"استيقظت في يوم من الأيام ولم أجد أه سووك. أصابني ضيق شديد. وقد أخذ الأفيون معه، دائماً ما كان يأخذه معه حين يغادر الوكر، وقد قلبت المكان رأساً على عقب بحثاً عنه بلا جدوى. ثم تذكّرت مخزون الأنسة ويذريل.

وثائراً، انطلقت إلى هوكتيكا على الفور. كان المطر ينهمر بشدة ذاك الصباح، والطرقات تكاد تخلو من البشر، وصلتُ إلى هوكتيكا بدون أن أقابل وجهاً مألوفاً. دخلت الجريديرون من الباب الخلفي، وصعدتُ سُلّم الخدم. انتظرتُ حتى خرجت أنا لتتناول الغداء، ثم تسلّلتُ إلى غرفتها، ووجدتُ عجينة الأفيون، وكل المعدات الخاصة بالتدخين في درجها. لكنني وجدت نفسي مُحاصراً، فقد بدأ أحدهم في حديث على البسطة على باب الغرفة، ولم أستطع المغادرة. ثم عادت أنا من غداها، وسمعتها تقترب، فازداد ارتباكي، واختبأت خلف الستائر".

"الستائر؟".

قال ستينز: "نعم. إنه المكان الذي كنت أختبئ فيه حين تلقيتُ الرصاصة من مسدس أنا".

كان الاحمرار ينتشر على وجه بروهام. "كم لبثتُ مُختبئاً خلف الستائر؟".

قال ستينز: "لبثتُ هناك لساعات. من حوالي الساعة الثانية عشرة حتى الثالثة تقريباً. لكن هذا مجرد تقدير".

"هل علّمت الأنسة ويذريل أنّك كنتَ في غرفتها في ذلك اليوم؟".

"لا".

"ماذا عن السيد چاسكوين، أو السيد بريشارد؟".

قال ستينز مرة أخرى: "لا. لقد ظللتُ هادئاً جداً، ووقفتُ ثابتاً جداً. أنا متأكد أنه لم يعرف أحد منهم أنني هناك".

كان فيلوز يهمس باهتمام في أذن هارنجتون.
قال بروهام: "ما الذي حدث حين أُصِبتَ بالطلق الناري؟".
قال ستينز مرة أخرى: "ظلمتُ هادئًا".
"ظلمتُ هادئًا؟".

"نعم".

قال بروهام بصوت يتصنّع التوبيخ: "سيد ستينز. هل تقول أمام الحاضرين في هذه القاعة أنك أُصِبتَ بطلق ناري بدون سابق إنذار ومن مسافة قريبة للغاية، ولم تصرخ، أو تتحرك، أو يصدر عنك أي صوت من أي نوع، من شأنه أن ينبّه أيّ من الثلاثة شهود الموجودين إلى وجودك؟".

قال ستينز: "نعم".

"كيف لم تصرخ بحق السماء؟".

قال ستينز: "لم أودّ أن أتخلّى عن العجينة".

تفحّصه بروهام، وفي الصمت الذي تلا هذا السؤال ناوله هارنجتون قطعة من الورق، ألقى عليها بروهام نظرة سريعة، ثم رفع بصره وقال: "هل تعتقد يا سيد ستينز أنه من الممكن أن تكون الأنسة ويذريل قد علّمت بوجودك عصر يوم السابع والعشرين من يناير، وأنها ربما تكون قد تعمّدت إطلاق مسدسها باتجاه الستائر بغرض إلحاق الضرر بك؟".

قال ستينز: "لا، لا أعتقد أن هذا ممكن".

أصبحت قاعة المحكمة ساكنة للغاية.

"لِمَ لا؟".

قال ستينز: "لأنني أثق بها".

قال بروهام: "أنا أسألك إن كنتَ تظنُّ أن هذا ممكنٌ، وليس إن كنتَ تظنُّ أن هذا مُحتمَلٌ".

"أنا أفهم السؤال. وإجابتي لم تتغير".

"وما الذي دفعك للثقة في الآنسة ويذريل؟".

انفجر، "لا يمكن أن يدفعك شيء للثقة بأحدهم. يمكنك فقط أن تثق في الشخص، وبلا مقابل! كيف لي أن أجيبك على مثل هذا السؤال؟".

قال المحامي: "سوف أبسط سؤالي: لماذا تثق بالآنسة ويذريل؟".

قال ستينز: "أنا أثق بها لأنني أحبها".

"وكيف أحببتها؟".

"أحببتها بالطبع لأنني وثقتُ بها!".

"حديثك يأخذ طابع دائري".

صاح الفتى: "نعم، لا بُدَّ له أن يكون دائرياً، فالشعور الحقيقي دائماً ما يكون دائرياً، إمّا يكون دائرياً، أو متناقض، ببساطة لأن سبب هذا الشعور، وكذلك مظهره، هما نصفان متكاملان لشيء واحد! الحب لا يمكن التقليل منه بوضع لائحة من الأسباب التي تبرره وتفسره، ولا يمكن تحويل لائحة من الأسباب إلى حب. وأي رجل يختلف معي في هذا الرأي لم يحب أبداً، لم يحب بحق".

تلا هذا الكلام صمْتٌ تامٌّ. وأقى من الجانب البعيد من غرفة المحكمة صفير منخفض، وصدرت ردأً عليه ضحكة مكتومة.

بدا بروهام منزعجاً بشكل واضح "اسمح لي يا سيد ستينز، لكنني أرى أنه من غير المعتاد أن يسرق المرء المخدرات من الشخص الذي يدّعي أنه يحبه".

قال ستينز: "أعلم أن الأمر سيئ جدًا. أنا في غاية الخزي مما فعلته".
"هل يمكن لأي شخص أن يشهد على تحرّكاتك خلال الشهرين
الماضيين؟".

"أه سووك يمكنه أن يشهد".
"لقد توفّي السيد سووك. هل هناك أحدٌ غيره؟".
فكّر ستينز للحظة، ثم هزّ رأسه، "لا أستطيع أن أفكر بأحد غيره".
قال بروهام باقتضاب: "ليس لديّ أسئلة أخرى. شكرًا لك يا
سيادة القاضي".

قال القاضي: "الشاهد لك يا سيد مودي".
شكر مودي القاضي، وأمضى لحظة يرتّب أوراقه وينتظر حتى يهدأ
الهمس في المكان، ثم قال: "سيد ستينز، لقد قلت أنّك ترى السيد
كارفر كإنسان سيئ. ما الذي تسبّب في هذا الرأي السيئ عنه؟".
قال ستينز: "اعتدى على أنا. ضربها عن عمدٍ وهي حامل. وقتل
الطفل".

هدأت القاعة على الفور.
قال مودي: "متى حدث هذا الاعتداء؟".
"عصر يوم الحادي عشر من أكتوبر من العام الماضي".
ردّد مودي: "الحادي عشر من أكتوبر. هل شهدت بنفسك حدوث
هذا الاعتداء؟".
"لا".

"كيف علمتَ بحدوثه؟".

"من السيد لوينثال، في وقت متأخر من نفس هذا العصر. فهو مَنْ وجدها في الطريق مضروبة وغارقة في الدماء. يستطيع أن يشهد بالحالة التي وجدها عليها".

"وما الأمر الذي جعلك تذهب للقاء السيد لوينثال في ذاك العصر؟".

قال ستينز: "أمر لا علاقة له بما حدث. لقد ذهبتُ إليه لأنني أردتُ أن أنشر إعلانًا في الجريدة".
"بخصوص ماذا؟".

"بخصوص شراء صندوق من أحواض غسل تراب الذهب".

قال مودي: "حين سمعتُ أخبار الاعتداء على الأنسة ويذريل، هل تفاجأت؟".

قال ستينز: "لا، كنت أعلم بالفعل أن كارفر وحشٌ كاسِرٌ، وكنت نادماً أشد الندم بالفعل على علاقتي به. لقد عرض عليّ أن يصبح راعياً لي حين وصلت إلى ديونندن، وهذه هي الطريقة التي تقابلنا بها، في نفس اليوم الذي نزلت فيه من المركب. لم أشك في أي شيء. كنت عديم الخبرة. لقد تصافحنا بنية صافية، وانتهى الأمر، لكن لم يمض وقت طويل حتى بدأت أسمع عنه بعض الأشياء، وعن السيدة كارفر أيضاً، إنهما سوياً يشكلان فريق عمل. لقد دَعَرْتُ حين عرفتُ بما اقترفاه في حقِّ السيد ويلز. وعرفتُ أنني دخلت في شراكة عملٍ مع نصابٍ محترف".

كان الفتى يفتح موضوع كارفر مبكراً أكثر من اللازم. فكحَّ مودي ليذكره بالالتزام بترتيب الحكاية الذي اتَّفَقا عليه، وقال: "دعنا نعود إلى ليلة الحادي عشر من أكتوبر. ما الذي فعلته حين أخبرك السيد لوينثال بأن الأنسة ويذريل تعرَّضت لاعتداء؟".

"لقد ذهبت إلى وادي الأراهورا على الفور، لكي أبلغ السيد ويلز بالأنباء".

"لِمَ فَكَّرْتَ في أن هذه الأنباء قد تكون مُهمّة بالنسبة للسيد ويلز؟".
قال ستينز: "لأنه والد طفل الأنسة ويذريل، واعتقدت أنه ربما يودُّ أن يعرف أن طفله مات".

خيم الصمت على قاعة المحكمة لدرجة أن مودي كان بإمكانه سماع ضجيج الشارع. وقال: "ماذا كان رد فعل السيد ويلز حين تلقَّى نبأ أن طفله الذي لم يولد بعدُ قد مات؟".

قال ستينز: "كان صامتًا للغاية. لم يَفْه بالكثير. تناولنا شربًا سويًا وجلسنا معًا لبعض الوقت. وقد ظللت عنده حتى وقت متأخر".
"تلك الليلة هل ناقشت أي أمور أخرى مع السيد ويلز؟".

"أخبرته بأمر الثروة التي دفنتها بالقرب من كوخه. وقلت إنه إذا ظَلَّت أنا حيّة - فقد تعرضت للضرب المبرّح - فسوف أمنحها نصيب كارفر".

"هل كتبت مستندًا يثبت نَيْتَكَ في تلك الليلة؟".

قال ستينز: "لقد كتب ويلز مستندًا، لكنني لم أوقّع عليه".

"لماذا لم توقّع عليه؟".

قال ستينز: "لا أتذكر السبب على وجه التحديد. كنت احتسي الشراب، والوقت متأخّر للغاية. ربما أخذنا الحديث إلى موضوعات أخرى، وربما أردت أن أوقّع المستند ثم نسيت. على أي حال فقد نمتُ قليلًا ثم عدت إلى هوكتيكا في الصباح الباكر للاطمئنان على حالة الأنسة ويذريل الصحية. ولم أر السيد ويلز مرة أخرى".

"هل أخبرت السيد ويلز عن مكان الذهب المدفون؟".

قال ستينز: "نعم، لقد وصفت له المكان بشكل مُجمل".

بعد هذا استمعت المحكمة الابتدائية لشهادة كلٍّ من مانرينج، وكِيي، ولوينثال، وكلينش، ونيلسن، وفروست، وكلهم وصفوا الطريقة التي تمَّ بها اكتشاف والتصرف في الثروة التي وُجِدَتْ في كوخ كروسبي ويلز وكأن الذهب المسبوك تمَّ اكتشافه في الأورورا. شهد مانرينج بالظروف التي تمَّ فيها بيع الأورورا، وشهد كِيي بملابس سبكه للذهب، وسرد لوينثال تفاصيل مقابلاته مع أليستار لودرباك في ليلة الرابع عشر من يناير، والتي علم فيها بوفاة كروسبي ويلز. وشهد كلينش بأنه اشترى ممتلكات ويلز في الصباح التالي. ووصف نيلسن الطريقة التي كان الذهب مخفياً بها في كوخ كروسبي ويلز، وأكَّد فروست على القيمة التقديرية للذهب. لم يتطرقوا على الإطلاق لفساتين آنا، ولا لوجود سبيد الغارقة، ولا لأي من المواضيع والأسرار التي تكشفت في اجتماعهم السري في فندق كراون منذ ثلاثة أشهر مضت. ومَرَّت شهاداتهم بسرعة، وبدون أحداث تذكر، ونادى القاضي على السيدة ليديا كارفر لتتقدم من المنصة.

ارتدت السيدة كارفر فستانها المخطَّط فَحميَّ اللون، وفوقه سترة سوداء جميلة من سترات ركوب الخيل بأكمام منفوشة عند الأكثاف ومضبوطة عند الرسغين. وضمت شعرها الأحمر المتوهج في ربطة أعلى رأسها وثبته بمشبك شعر أسود مخمليٍّ. وحين مرَّت على مقعد المحامين، التقط أنف مودي روائح الكافور والليمون والينسون في عطرها النفاذ، وأعادته في لحظة إلى الحفلة التي أقيمت في الواي فير فورتن قبل جلسة تحضير الأرواح.

اعتلت السيدة كارفر السلام المؤدية إلى مكان الشهود بنشاط، لكن حين رأت إيميري ستينز جالساً وراء القضبان، بدت للحظة وكأُها ارتبكت. دام ارتباكها لبرهة قصيرة، وفي اللحظة التالية استجمعت

نفسها. وأعطت ظهرها لستينز وابتسمت للحاجب ورفعت يداً بيضاء بلون اللبن لتؤدي القسم.

قال بروهام بعد أن ابتعد الحاجب عن المنصة: "سيدة كارفر. هل تعرفين المدعى عليه، السيد إميري ستينز".

قالت السيدة كارفر: "للأسف لم أحظَ بفرصة معرفة شخص باسم إميري ستينز".

اندهش مودي حين نظر ناحية الفتى ورأى أن وجهه يحمرُّ.

قال بروهام: "ورغم ذلك فقد نما إلى علمي أنك في ليلة الثامن عشر من فبراير قد قُمتِ بعمل جلسة تحضير أرواح بغرض التواصل معه".

"هذا صحيح".

"لِمَ اخترتِ السيد ستينز من بين كل الناس كموضوع لجلسة تحضير الأرواح الخاصة بك؟".

قالت السيدة كارفر بابتسامة صغيرة: "مع الأسف فإن السبب الحقيقي هو الاستنفاع. ففي ذلك الوقت كان اختفاؤه حديثاً المدينة، وفُكرت في أن اسمه قد يساعد في جذب الجمهور للحضور. هذا كل ما في الأمر".

"هل كنت تعلمين حين وضعتِ الإعلان الخاص بجلسة تحضير الأرواح أن الثروة التي تمَّ اكتشافها في كوخ زوجك الراحل قد تمَّ استخراجها من منجم الذهب أورورا؟".

قالت السيدة كارفر: "لا، لم أكن أعلم".

"هل لديك أي أسباب تجعلك تربطين بين السيد ستينز وزوجك الراحل؟".

"لم يكن لديّ أي سبب على الإطلاق. كان بالنسبة لي مجرد اسم، كل ما عرفته عنه هو أنه اختفى من الأخدود، وأنه قد ترك وراءه العديد من الأصول القيّمة".

"ألم تعلمي أن زوجك السيد كارفر يمتلك نصيبًا في منجم ذهب السيد ستينز؟".

قالت: "أوه، أنا لا أتحدث مع فرانسيس في أمور الاستثمار".

"متى كانت أول مرة علمتَ فيها بالمنبع الحقيقي للثروة المكتشفة؟".

"حين نشر البنك المركزي المعلومة في الصحيفة في أواخر مارس، مؤكّدًا أن الذهب الذي تمّ اكتشافه مسبوك؛ وبالتالي يمكن تتبع مصدره".

التفت بروهام إلى القاضي وقال: "ستلاحظ المحكمة أن هذا الإعلان قد نُشر في تايمز الساحل الغربي في الثالث والعشرين من مارس من العام الحالي".

"تمّ تسجيل هذا في حينه يا سيد بروهام".

التفت بروهام مرة أخرى للسيدة كارفر وقال: "لقد وصلتِ لأول مرة إلى هوكتيكا في الخميس الخامس والعشرين من يناير 1866، على متن السفينة البخارية وايكاتو. وبعد أن رست السفينة مباشرة حدّدت ميعادًا في المحكمة للطعن على بيع كوخ وأراضي زوجك الراحل. هل هذا صحيح؟".

"هذا صحيح".

"كيف علمتِ بوفاة السيد ويلز؟".

قالت السيدة كارفر: "أبلغني السيد كارفر الخبر بنفسه. وبالطبع فقد اتَّجهتُ إلى هوكتيكا بأسرع ما استطعت. كنت أودُّ لو استطعت حضور الجنازة، للأسف تأخَّرتُ عنها".

"هل كنتِ تعلمين حين غادرت ديوندن أن ممتلكات السيد ويلز تحتوي على ثروة من مصدر غير معلوم؟".

"لا، لم أعلم بذلك حتى وصلت إلى هوكتيكا وقرأت الخبر منشورًا في تايمز الساحل الغربي".

"لقد نما لعلمي أنك قمتِ ببيع منزلك وعملك في ديوندن قبل رحيلك عنها".

قالت السيدة كارفر: "نعم، فعلتُ ذلك، لكن هذا الانتقال لم يحدث بالسرعة التي قد يظهر بها. أنا أعمل في مجال الترفيه، والجمهور في ديوندن لم يعد كما كان من قبل. وكنت أفكر في الانتقال إلى الساحل الغربي منذ شهور عديدة، وكنت أقرأ تايمز الساحل الغربي بانتباه شديد لهذا الغرض. حين قرأت خبر وفاة كروسي، بدا الأمر وكأنه الفرصة المثالية. حيث يمكنني أن أبدأ بداية جديدة في مكان يزدهر فيه العمل، ويمكنني أيضًا أن أكون قريبة من قبره، وهو ما كنتُ أرغب فيه بشدة. فنحن لم نحظ بفرصة لتسوية خلافاتنا قبل وفاته، وفراقنا أحزنني بشدة".

"أنتِ والسيد ويلز كنتما منفصلين في وقت وفاته، أليس كذلك؟".

"نعم".

"كم دام الانفصال؟".

"تسعة أشهر على ما أعتقد".

"ما سبب انفصالكما؟".

قالت السيدة كارفر: "إن السيد ويلز قد خان ثقتي".

لم تقل أكثر من ذلك؛ القى بروهام نظرة متوترة على القاضي، ثم قال: "هل يمكنك أن تتحدّثي عن الأمر باستفاضة أكثر من فضلك؟".

رفعت السيدة كارفر ذقتها عالياً وقالت: "كانت هناك شابة في عهدي، وقد قام السيد ويلز باستغلالها بشكل مُنكر. ونشب بيني وبين كروسبي شجارٌ رهيب بسببها، وبعد هذا الخلاف بفترة قصيرة ترك ديوندن. لم أعلم إلى أين رحل، ولم يصلني منه أية مراسلات. لم أعلم بمكان رحيله إلا حين قرأتُ نعيه في تايمز الساحل الغربي".

"الشابة التي تتحدثين عنها..."

قالت السيدة كارفر بشكل جازم: "الآنسة آنا ويذريل. لقد أحسنت إليها وجعلتها تقيم في منزلي، وكانت -كما أگدّت بنفسها- ممتنةً للغاية. لقد لطّخ السيد ويلز هذا الإحسان، واستغلّته الآنسة ويذريل أسوأ استغلال".

"هل استمرّت العلاقة بين الآنسة ويذريل والسيد ويلز حين انتقل الاثنان منهما إلى هوكتيكا؟".

قالت السيدة كارفر: "ليس لديّ فكرة".

"شكراً لك يا سيدة كارفر. ليس لديّ أسئلة أخرى".

قالت بهدوء: "شكراً لك يا سيد بروهام".

كان مودي يدفع كرسيه للخلف انتظاراً لدعوة القاضي لينهض. وبعد أن أتمته الدعوة قال على الفور: "سيدة كارفر، في شهر مارس من العام 1864 عثر زوجك الراحل كروسبي ويلز على كمية كبيرة من الذهب في وادي دنستن، هل هذا صحيح؟".

بدت الدهشة من هذا السؤال واضحة على السيدة كارفر، لكنها توقفت لبرهة قصيرة فقط قبل أن تقول: "نعم، هذا صحيح".

"لكن السيد ويلز لم يُبلغ عن هذه الثروة في البنك، هل هذا أيضًا حقيقي؟".

قالت السيدة كارفر: "نعم، هذا أيضًا حقيقي".

"وبدلاً من ذلك، قام باستئجار حرس خاص لنقل الذهب من دنستن إلى ديوندن، حيث استلمته أنت، بصفتك زوجته".

بدت رجفة من القلق على مُحيا السيدة كارفر، وقالت بحذر: "نعم".

"هل يمكنك أن تصفي لنا الطريقة التي تمَّ بها تعبئة الذهب ونقله من حقل الذهب؟".

تردَّدت، وبدأ بوضوح أنها فوجئت بأسئلة مودي، وليس لديها وقت كافٍ لتأليف حُجة مناسبة.

قالت أخيراً: "كان الذهب مُعبأً داخل خزانة. والخزانة وُضعت داخل عربة، وبالطبع كان هناك فريق من الرجال المسلَّحين يحرسون العربة طوال الطريق حتى ديوندن. وفي ديوندن استلمت الخزانة، ودفعْتُ أجر النقل، وكتبت على الفور لأُعلم السيد ويلز بوصول الخزانة سالمة، وحينها أرسل لي المفتاح".

"هل قمت أنت باستئجار حرس الذهب؟ أم أن السيد ويلز هو مَنْ استأجرهم؟".

قالت السيدة كارفر: "استأجرهم السيد ويلز. كانوا ممتازين. لم يُسببوا لنا أي مشكلة. كانت شركة حراسة خاصة. اسمهم جراس وود أند سونز أو شيء من هذا القبيل".

صحَّح لها مودي، "جراس وود أند سبيرز. لقد نقلت المؤسسة نشاطها إلى كانيير".

قالت السيدة كارفر: "حقاً".

"ما الذي فعلته بالثروة حين تمّ تسليمها سالمَةً إليك؟".

"ظلّ الذهب بداخل الخزانة. وقد وضعت الخزانة في مسكننا الواقع في شارع كمبرلاند، وقد ظلّت هناك".

"لِمَ لَمْ تذهبي بالذهب إلى البنك؟".

قالت السيدة كارفر: "كان سعر الذهب يتذبذب يوميًا، ومن الصعب التنبؤ بحالة سوق الذهب. لقد رأينا أنه من الأفضل أن ننتظر وقتًا مناسبًا للبيع".

"قياساً على درجة الحرص الذي التزمتم به، أتصور أن الثروة كانت ذات قيمة كبيرة".

قالت: "نعم. تصورنا أنها تُقدَّر بعدة آلاف من الجنيهات. نحن لم نُثْمَنها أبدًا".

"بعد هذا النجاح الذي صادفه السيد ويلز. هل ظلّ في حقول الذهب؟".
"نعم، لقد ظلّ ينقّب عامًا آخر، حتى الربيع التالي. لقد شجّع نجاحه على الاستمرار، وأحسّ أنه ربما يحالفه الحظ مرة ثانية، لكن الحظ لم يحالفه".

سأل مودي: "أين هي هذه الثروة الآن؟".

تردّدت مرة أخرى ثم قالت: "سُرِقَتْ".

قال مودي: "تعازيً لك. لا بدّ أن هذه الخسارة قد أحزنتكم كثيرًا".

قالت السيدة كارفر: "نعم".

"أفترض أنك تتحدثين بالنيابة عن نفسك وعن السيد ويلز".

"بالطبع".

توقّف مودي مرة أخرى ثم قال: "أظن أن السارق تمكّن بشكلٍ ما من الحصول على المفتاح".

قالت السيدة كارفر: "ربما، وربما كان القفل ضعيفاً. فالخزينة من الطراز الحديث، وكما نعلم جميعاً، فالتكنولوجيا الحديثة ليست معصومة من الخطأ. وهناك أيضاً احتمال أن يكون للخزينة مفتاح آخر لم نكن نعلم به".

"هل لديك أي فكرة عمّن يمكن أن يكون قد سرق الثروة؟".
"ليس لديّ أي فكرة".

"هل توافقيني على أنه من المحتمل أن يكون شخصاً من دائرة معارفك القريبة؟".

قالت السيدة كارفر وهي ترفع ذقنها عالياً: "ليس بالضرورة. ربما خان أحد أفراد حرس الذهب ثقتنا. فقد كانوا يعلمون أن هناك ثروة من الذهب الخام موجودة في المنزل رقم خمسة وثلاثين في شارع كمبرلاند، وكانوا يعلمون بمكان الخزينة في المنزل، هذا بالإضافة إلى أن السارق قد يكون أيّ شخص".

"هل كنتِ تفتحين الخزينة بشكل منتظم للاطمئنان على محتوياتها".
"لا، ليس بشكل منتظم".

"متى اكتشفتِ أن الثروة لم تعد موجودة؟".

"حين عاد كروسبي في العام التالي".

"هل يمكنك أن تصفي لنا ما حدث حين اكتشفتِ اختفاء الثروة؟".

"عاد السيد ويلز من الحقول، وجلسنا سوياً لنحسب حساباتنا المالية. وفتح الخزينة ورأى أنها فارغة. ويمكنك أن تتأكد من أنه كان في غاية الغضب، تماماً كما كنت أنا".

"في أي شهر كان هذا؟".

ارتبكت السيدة كارفر فجأة وقالت: "أوه، لا أدري. ربما في أبريل، أو مايو".

"أبريل أو مايو من العام 1865. العام الماضي".

قالت: "نعم".

قال مودي: "شكرًا لكِ يا سيدة كارفر". ثم التفت للقاضي وقال: "شكرًا لك يا سيدي".

أحسّ مودي وهو يعود إلى مقعده بالحياة تدب في الجو العام داخل المحكمة. توقّف فيلوز وهارينجتون عن التهامس، ولم يعد القاضي يسجّل ملحوظات. كل العيون في القاعة كانت تراقب السيدة كارفر وهي تنزل درجات منصة الشهود وتجلس. "المحكمة تستدعي السيد فرانسيس كارفر".

بدا كارفر وسيماً في سُترٍ خضراء داكنة وربطة عنق مربوطة بدبوس. أدّى اليمين بطريقته المختصرة المعتادة، ثم التفت ليوأجه مقعد المحامين، وقد بدا عليه الانتباه.

رفع بروهام بصره من على أوراقه وقال: "سيد كارفر، من فضلك صِف للمحكمة كيف قابلت السيد ستينز لأول مرة".

قال كارفر: "قابلته في ديونندن، تقريبًا في نفس هذا الوقت من العام الماضي. وقد نزل لتوّه من السفينة قادمًا من سيدني، كان يريد أن يُعد نفسه لينقّب عن الذهب. وعرضتُ عليه أن أكون راعيًا له، وقَبِل العرض".

"ما الذي فَرَضَته هذه الرعاية على كُلِّ منكما؟".

"أن أقرِضَه مالًا يكفيه لكي يبدأ التنقيب عن الذهب، وفي مقابل هذا سيتوجّب عليه أن يقدّم معي ما سيجنّيه من أول الحقوق التي سيعمل بها مناصفة، ومدى الحياة".

"كم مقدار المال الذي قدّمته له في عقد الرعاية؟".

"اشتريت له صُرةً المنقُبين ومخزونًا من الأغذية. ودفعْتُ ثمن تذكرة ذهابه إلى الساحل الغربي. وكان مدينًا بسبب لعب القمار في ديونندن، وقد سَدَّدْتُ دينه".

"هل يمكنك أن تخمّن إجمالي المبلغ الذي دفعته من فضلك؟".
"أعتقد أنني تكلفتُ ثمانية جنيهات. أو حوالي الثمانية جنيهات. لقد حصل على المبلغ بصفة فورية، وأنا استحققتُ العائد طويل الأجل. وهذه هي الفكرة من اتفاقنا".

"وماذا كان أول الحقول التي عمل عليها السيد ستينز؟".
قال كارفر: "اشترى قطعة أرض مساحتها فدانين على بُعد ميل من كانبير تُعرَف باسم الأورورا. وكتب لي من هوكتيكا بمجرد أن اشتراها وأرسل جميع الأوراق من البنك".

"كيف كنت تحصل على نصيبك من عائدات الأورورا؟".

"في صورة أموال تُرسل عن طريق البنك المركزي".

"ومتى كنت تحصل على هذه الدفعات؟".

"كل ربع سنة".

"كم كانت قيمة الدفعة التي تلقَّيتها في أكتوبر من عام 1865؟".

"ثمانية جنيهات وبعض الفكة".

"وكم كانت قيمة الدفعة التي تلقَّيتها في يناير من عام 1866؟".

"ستة جنيهات".

"إذن فعلى مدار الربعين الأخيرين من العام الماضي تلقَّيتَ ما قيمته أربعة عشر جنيهًا كنصيب لك".

"هذا صحيح".

"في هذه الحالة فإن إجمالي الربح الصافي للأورورا لا بُدَّ أن يكون قد سجّل تقريبًا ثمانية وعشرين جنيهًا على مدار فترة تُقدَّر بستة أشهر".

"نعم".

"هل أبلغك السيد ستينز بالثروة التي اكتشفها الرجل الصيني چون كي في الأورورا؟".

"لا".

"هل كنت تعلم أن السيد ستينز زوّر التقرير رُبْعَ السنوي الخاص بالأورورا وقت قيامه بالتزوير؟".

"لا".

"متى عرفت لأول مرة أن الثروة التي تمّ اكتشافها في كوخ المرحوم السيد ويلز قد أتت من منجم الأورورا؟".

قال كارفر: "في نفس الوقت الذي عرف فيه الجميع بهذا. حين نشر البنك التقارير الخاصة بها في الصحيفة، والتي تقول إن الذهب عُثِرَ عليه مسبوکًا وليس خامًا، وأن القوالب المسبوكة تحمل توقيعًا". أوما بروهام، ثم كحّ قليلًا وغيّر الموضوع، "شهد السيد ستينز أنه يظن فيك السوء يا سيد كارفر".

قال كارفر: "ربما، لكنه لم يذكر لي كلمة واحدة عن ذلك".

"هل اعتديت على الأنسة ويذريل في الحادي عشر من أكتوبر كما يدّعي السيد ستينز؟".

قال كارفر: "صفعتها على وجهها، هذا كل ما فعلته".

أتت لأسماع مودي من صفوف الحاضرين دمدمة غاضبة منخفضة الصوت.

قال بروهام: "ما الذي استفزك لكي تصفع وجهها؟".

قال كارفر: "كانت وَقِحَة".

"هل يمكنك أن توضِّح هذا؟".

"سألتها عن الطريق، وقد ضحكت عليّ، فصفعْتُها. إنها المرة الأولى والوحيدة التي ألمسها فيها".

"هل يمكنك أن تصف لقاءك بها كما تتذكَّره، من فضلك؟".

قال كارفر: "كنتُ في هوكتيكا لبعض أمور العمل، وفكَّرتُ أن أركب حتى كانيير لأشاهد الأورورا، فالتقرير ربع السنوي قد وصلني لتوّه، ورأيت أن المنجم لم يكن يُنتِج الكثير، فذهبت لأستكشف السبب. وقابلت الأنسة ويذريل على جانب الطريق. كانت واقعة بالكامل تحت تأثير الأفيون وتهذي في حديثها. لم أستطع أن أحصل منها على أية معلومات، فركبت وأكملت طريقي".

"لقد شهد السيد ستينز بأن الأنسة ويذريل قد فقَدَت جنينها في نفس هذا اليوم".

قال كارفر: "لا علم لي بأي شيء عن هذا الأمر. آخر مرة رأيتها كانت تضحك وتترنَّح. ربما واجهت بعض المتاعب بعد رحيلي".

"هل تستطيع أن تتذكر ما الذي سألتها عنه ذاك العصر؟".

قال كارفر: "نعم، لقد أردتُ أن أعثر على ويلز".

"لِمَ كنتَ تبحث عن أخبار عن السيد ويلز؟".

قال كارفر: "لديَّ شأن خاص لأناقشه معه. لم أكن قد رأيته منذ شهر مايو، ولم أكن أعلم أين أجده، ولم أكن أعلم مَنْ أسأله عنه. كما قالت ليديا فقد غادر ديوندن ليلاً. ولم يخبر أحداً إلى أين كان ذاهباً".

"هل صرحت لك الآنسة ويذريل بمكان السيد ويلز في ذلك الوقت؟".

قال كارفر: "لا، لقد ضحكت فقط؛ ولهذا صفعتها".

"هل تعتقد أن الآنسة ويذريل كانت تعلم أين يعيش السيد ويلز، وأنها أخفت عنك هذه المعلومة لغرضٍ مُعين؟".

فكّر كارفر لبعض الوقت، ثم هزّ رأسه وقال: "لا أدري. لا أستطيع أن أقطع بذلك".

"ما طبيعة الأمر الذي كنتَ تودُّ أن تناقشه مع السيد ويلز؟".

قال كارفر: "التأمين".

"ماذا تقصد؟".

هزّ كارفر كتفيه ليُلّمح أن الإجابة ليست ذات أهمية. وقال: "إنه يمتلك السفينة جودسبيد، وكنتُ أنا المسؤول عن إدارتها. لم يكن الأمر مُلِحًا، أردتُ فقط أن أناقشه في بعض الأمور".

"هل كنتَ أنتَ والسيد ويلز على علاقة طيبة ببعضكما؟".

قال كارفر: "علاقة عادية. أستطيع أن أقول إنها علاقة عادية. لم يكن الأمر سرًّا أي كنت مغرم بزوجته، وقد اعترفت بمشاعري بسرعة بعد وفاته، لكنني لم أتدخل بينهما أبدًا. لقد كنتُ مُهذَّبًا مع ويلز، وقد كان ويلز مُهذَّبًا معي".

قال بروهام للقاضي: "شكرًا لك يا سيدي. شكرًا لك يا سيد كارفر".

"الشاهد لك يا سيد مودي".

وقف مودي على الفور وقال: "سيد كارفر، متى تعرّفتَ على السيدة كارفر للمرة الأولى؟".

قال كارفر: "نحن نعرف بعضنا منذ عشرين عامًا. بكلمات أخرى، فقد عرفنا بعضنا طيلة زواجها من المرحوم السيد ويلز".

"نعم... أتساءل إن كان يمكنك أن تصف لنا ظروف خطبتك للسيدة كارفر".

قال كارفر: "أنا أعرف ليديا منذ شبابي، وكنا نفكر دائماً في الزواج. لكنني حصلت على عقوبة عشرة أعوام على جزيرة كوكاتو، وخلال ذلك الوقت قابلت السيد ويلز. وحين خرجت من السجن، كانا قد تزوّجّا. لم أستطع أن ألومها. فعشرة أعوام مدة طويلة للانتظار. ولم أستطع أن ألومه. أنا أعلم جيداً بمزاياها. لكنني قلتُ لنفسي إنه إذا ما حدث وانتهى هذا الزواج فسأكون في الانتظار".

"لقد تزوّجتُما بعد وفاة السيد ويلز بفترة قصيرة، أليس كذلك؟".

حدّق فيه كارفر، وقال: "لم يكن هناك أي شيء غير محترم في ذلك".

خفض مودي رأسه وقال: "لا، أنا متأكّد من ذلك، أعترض إن كنتُ قد ألمحتُ لغير ذلك. اسمح لي أن أتّبّع خطأك قليلاً، متى تمّ الإفراج عنك من السجن؟".

قال كارفر: "في يونيو من العام أربعة وستين. تقريباً منذ عامين".

"ما الذي فعلته حين أفرج عنك من جزيرة كوكاتو؟".

قال كارفر: "توجّهتُ إلى ديوندين. ووجدتُ لنفسي عملاً على سفينة تُبحر على الخطّ الملاحي لبحر تسمان. السفينة جودسبيد".

"هل كنتَ قبطان هذه السفينة؟".

قال كارفر: "كنت من أفراد الطاقم. لكنني أصبحت القبطان في العام التالي".

"كان السيد ويلز ينقّب في حقول الذهب في دنستن في ذلك الوقت، هل هذا صحيح؟".

تردّد كارفر، ثم قال: "نعم".

"والسيدة كارفر، التي كانت وقتها زوجة السيد ويلز، تقيم في ديوندن".
"نعم".

"هل كنت ترى السيدة ويلز كثيرًا خلال تلك الفترة؟".

قال كارفر: "كنتُ أتناول مشروبًا عندها من آنٍ إلى آخر. كانت تدير حانة في شارع كمبرلاند. لكنني كنت معظم الوقت في البحر".
قال مودي: "في مايو من عام 1865 عاد كروسبي ويلز إلى ديوندن. لقد نما لعلمي أنه عقد صفقة في ذلك الوقت".

عَلِمَ كارفر علم اليقين أنه يتمُّ استدراجه إلى فخٍّ، لكنه لم يستطع أن يوقف ما يحدث. وقال باختصار: "نعم. لقد اشترى جودسبيد".

قال مودي وهو يومئ: "يا لها من صفقة!، وليس فقط لأنها ممَّت على نحو مفاجئ، لكن حقيقة أنه اختار من بين جميع أوجه الاستثمار الأخرى أن يستثمر أمواله في سفينةٍ لهُوَ أمرٌ مثير للفضول. أتساءل إذا ما كان السيد ويلز قد أبدى اهتمامًا بالبحر فيما سبق؟".
قال كارفر: "لا أستطيع أن أجيبك. لكن لا بُدَّ وأنه كان مهتمًا، إذا كان قد عقد الصفقة".

توقَّف مودي، ثم قال: "حسب ما فهمت فإن عقد البيع حاليًا في حوزتك أنت".
"نعم".

"من فضلك أخبرني، كيف انتهى به الأمر في حوزتك؟".

قال كارفر: "لقد عهد به السيد ويلز لي".

"متى عهد لك بهذا العقد؟".

قال كارفر: "في وقت البيع".

"والذي كان...".

قال كارفر: "في مايو من العام الماضي".

"بكلمات أخرى، يمكن أن نقول إن السيد ويلز قد عهد به إليك قبل أن يغادر ديوندين مباشرة ويذهب إلى وادي الأراهورا".

لم يستطع كارفر أن ينكر، وقال: "نعم".

قال مودي: "ما السبب الذي دفع السيد ويلز لأن يعهد إليك بعقد البيع؟".

قال كارفر: "لكي أستطيع التصرف بناء على تفويض منه".

قال مودي: "أتعني في حالة الإصابة، أو الموت".

قال كارفر: "نعم".

قال مودي: "آه. والآن، دعني أرى إن كنت قد فهمتُ هذا بشكل صحيح يا سيد كارفر. بداية من العام الماضي كان السيد ويلز مالكاً شرعياً لذهب خام تُقدَّر قيمته بعدة آلاف من الجنيهات، استخرجه من حقل ذهب في وادي دنستن. كان الذهب مخزوناً في خزانة في منزله بديوندين، حيث كانت زوجته، التي هي صديقة قديمة وعزيزة جداً عليك، تقيم. وفي شهر مايو عاد السيد ويلز من الحقول في دنستن إلى منزله في ديوندين، وبدون أن يخبر زوجته يفرغ محتويات الخزانة. وعلى الفور يضع الثروة كلها في صفقة شراء السفينة جودسبيد، ويعهد بتلك السفينة وإدارتها وتشغيلها إليك، ثم يغادر فجأة إلى هوكتيكا دون إعلام أي شخص بوجهته أو خطته". وأضاف مودي: "بالطبع أنا هنا افترض أن السيد ويلز وليس شخصاً آخر هو من أخذ الذهب من الخزانة، لكن بدون أن يأخذ الذهب كيف كان بإمكانه أن يشتري جودسبيد؟ لم يكن يملك أي حصص أو سندات من أي نوع، نحن متأكدون من هذا، وقد تمَّ الإعلان عن نقل ملكية السفينة في جريدة

أوتاجو ويتنس في الرابع عشر من مايو من ذلك العام، وقد ذكر الإعلان أن السفينة تمَّ شراءها في مقابل ذهب".

كان كارفر عابسًا، وقال: "لقد أغفلت ذكرَ العاهرة. إنها السبب في مغادرته لديونندن. وفي انفصاله عن ليديا".

قال مودي: "ربما كانت هي السبب، لكنني سأصحح لك معلومة بالإشارة إلى أن الآنسة ويذريل لم تكن في ذلك الوقت إحدى عضوات المهنة القديمة. إنَّ إذنَ الدفع الذي وقَّعه السيد ريتشارد مانرينج، والذي سلَّمته للمحكمة هذا الصباح، يحدِّد بوضوح أنه يُخوَّل للآنسة ويذريل الحصول على زِيٍّ مناسب، ومسدَّس صغير، وعطور، وتنورات داخلية، وكل البنود الأخرى التي لا تملكها في اللحظة الراهنة. ويعود تاريخ هذا الإذن إلى يونيو من العام الماضي".

لم يَفْه كارفر بكلمة.

قال مودي بعد لحظة: "أعذرنى إن لاحظت أن السيد ويلز لم يستفد من سلسلة الأحداث التي حدثت في ديونندن في مايو الماضي. لكنَّك، على الناحية الأخرى، قد استفدت كثيرًا جدًا".

انتظر القاضي كيمب حتى جلس كارفر بجانب زوجته قبل أن يصيح مناديًا في الغرفة بحدَّةٍ مُطالبًا بالتزام الهدوء، وقال وهو يعقد ذراعيه: "حسنًا يا سيد مودي، أرى أن لديك اتجاهًا واضحًا هنا، وسأسمح لك بالاستمرار في جدلك الحالي، رغم أنني أنبِّهك أننا نبدو كأننا شردنا بعيدًا عن المسار الذي حدَّدناه في نشرة هذا الصباح. والآن فقد أعطيت أسماء اثنين من الشهود للدفاع".

انحنى مودي، "نعم يا سيدي".

قال القاضي: "في حالة شهود الدفاع فإن السيد مودي سوف يستجوبهم، والسيد بروهام سوف يعيد استجوابهم". ثم نظر في الدفتر ورفع بصره ونظر من فوق نظارته وقال: "السيد توماس بالفور".

ثم استدعاء توماس بالفور من الحجز.

قال مودي بعد أن حلف الرجل اليمين: "سيد بالفور، أنت تعمل في مجال الشحن، أليس كذلك؟".

"أعمل به منذ اثني عشر عامًا يا سيد مودي".

"لقد فهمت أنك تحوز على الحساب الشخصي للسيد لودرباك".

قال بالفور بسعادة: "نعم، بالفعل. أنا أتولى أعمال السيد لودرباك منذ شتاء عام 1861".

"هل يمكنك من فضلك أن تصف لنا أحدث التعاملات التي تمت بين السيد لودرباك وبالفور للشحن؟".

قال بالفور: "بالطبع أستطيع. حين وصل السيد لودرباك إلى هوكتيكا في يناير كان قد أتى عبر جبال الألب، كما قد تتذكر. وصندوق الأمتعة والمتعلقات الخاصة به تم شحنه عن طريق البحر. لقد أرسل صندوق شحن من ليتلتون إلى ميناء تشالمرز، وحين وصل الصندوق إلى ميناء تشالمرز رُتبَ لواحدة من سفني، السفينة فيرتشيو، لكي تأتي به إلى الساحل. وقد تم هذا بالفعل، ورسـت فيرتشو بأمان وعليها صندوق الشحن. وصلت يوم الثاني عشر من يناير، قبل وصول السيد لودرباك نفسه بيومين. في اليوم التالي تم إنزال الصندوق وتخزينه على الرصيف مع بقية الحمولة، وقد وقَّعتُ على أوراق الصندوق بحيث يتم نقله إلى مخزني حيث يمكن للسيد لودرباك أن يستلمه بعد وصوله. لكن هذا لم يحدث، لقد تمت سرقة الصندوق، ولم يصل أبدًا إلى المخزن".

"هل كان من الممكن معرفة أن الصندوق من ممتلكات السيد لودرباك عند النظر إليه من الخارج؟".

قال بالفور: "أوه، نعم. لقد رأيت صناديق الشحن مرصوة على طول الرصيف، كلها لا يمكن التمييز بينها إلا بوجود بوليصة الشحن. البوليصة تخبرنا بمن يمتلك البضاعة، ومن هو الشاحن، وكل ما قد نحتاج إلى معرفته".

"ما الذي حدث حين اكتشفت فقدان الصندوق؟".

"كُنْ مُتَأَكِّدًا أَنِي بذلت كل ما في وسعي للبحث عنه. لم يكن لديّ أدنى فكرة عن مكان وجوده. حسنًا، لقد تحطّمت جودسبيد على الحاجز القاري بعدها بأسبوعين، وحين أخرجوا حمولتها ظهر من بينها صندوق لودرباك. يبدو أنه قد تمّ تحميله على جودسبيد حين رفعت مراساتها آخر مرة من ميناء هوكتيكا".

"بكلمات أخرى، في الصباح الباكر من يوم الخامس عشر من يناير".

"هذا صحيح".

"ما الذي حدث حين تمّ أخيرًا استعادة صندوق السيد لودرباك؟".

قال بالفور: "أجريتُ بعض التحريات، وسألت بعض أفراد الطاقم بعض الأسئلة، وقد أخبروني كيف حدث هذا الخطأ. حسنًا، ما حدث هو أن أحدهم قد رأى بوليصة الشحن الخاصة بالصندوق ورأى اسم السيد لودرباك، وتذكّر أن قبطانهم، السيد كارفر، كان يبحث عن صندوقٍ يحمل نفس هذا الاسم في العام الماضي. وقد رأوا هذا الصندوق على الرصيف في ليلة الرابع عشر، وقد ظنّوا أن لديهم فرصة ليكسبوا بعض الأفضلية عند رئيسهم.

ففتحو الصندوق من باب الفضول. وبدخله وجدوا صندوق أمتعة وزوجًا من الحقائق المصنوعة من السجاد، وبعض التفاصيل

الأخرى. لم تبدُ الموجودات ذات قيمة، لكنهم فكَّروا في أنه ربما يكون لها قيمة. فذهبوا للبحث عن القبطان كارفر لكنهم لم يستطيعوا أن يجدوه. لم يجدوه في الفندق، ولا في الحانات، ولا في أي مكان؛ فقرَّروا أن يتركوا الأمر حتى الصباح، وذهبوا للنوم. ثم يأتي كارفر بنفسه صائحًا من على الرصيف مُسبِّبًا إزعاجًا رهيبًا، ويخرجهم جميعًا من أسرتهم، ويخبرهم أن جودسبيد سترفع مرساتها مع أول خيوط الفجر، بعد ساعات قليلة. ولم يخبرهم بالسبب الذي استدعى ذلك. على أي حال فإن الرفاق يقرَّرون أمرًا، يغطُّون الصندوق ويحملونه على متن السفينة بسرعة، وحين ترفع جودسبيد مرساتها قبل أول خيوط الفجر، يكون الصندوق في باطن السفينة".

"هل تمَّ إعلام القبطان كارفر بهذه الإضافة إلى حملته؟".

قال بالفور مبتسمًا: "أوه، نعم. كان البحارة سعداء للغاية، كانوا يظنون أنهم ربما ينالوا مكافأة. فانتظروا حتى أصبحت جودسبيد في طريقها قبل أن ينادوه. ألقى كارفر نظرة واحدة إلى بوليصة الشحن وفهم أنهم قد أساءوا الفعل. قال لهم: 'بالفور للشحن؟ الصندوق الذي فقدته كان مشحونًا بواسطة دانفورث للشحن. لقد سرقتهم الصندوق الخطأ، والآن فلدينا بضاعة مسروقة على متن السفينة'".

قال مودي: "هل نستخلص من هذا أن القبطان كارفر فَقَدَ صندوق شحن مكتوب عليه أنه يعود إلى السيد لودرباك وهو مشحون بواسطة شركة دانفورث للشحن، والصندوق يحتوي على شيء له قيمة كبيرة بالنسبة له؟".

قال بالفور: "من المؤكَّد أن الأمر يبدو هكذا".

"شكرًا جزيلاً لك يا سيد بالفور على وقتك".

"عفوًا يا سيد مودي".

بروهام، الذي لم يكن لديه أية فكرة عما يريد مودي أن يصل إليه من وراء أسئلته، تنازل عن حقّه في استجواب الشاهد، وقد سجّل القاضي ملحوظة بهذا ونادى على الشاهد الثاني.

"المبجّل السيد أليستار لودرباك".

عبر أليستار لودرباك عرض قاعة المحكمة في خمس خطوات.

وبعد أن أدّى لودرباك اليمين، قال مودي: "سيد لودرباك، أنت المالك السابق للباخرة جودسبيد، هل هذا صحيح؟".

قال لودرباك: "نعم، هذا صحيح".

"حسب عقد البيع، فقد بعّت السفينة في الثاني عشر من مايو 1865".

"نعم".

"هل الرجل الذي بعّت له السفينة موجود في قاعة المحكمة اليوم".

قال لودرباك: "نعم".

قال مودي: "هل يمكن أن تشير إليه من فضلك؟".

فرد لودرباك ذراعه وأشار بسبابته في اتجاه كارفر. وقال مخاطبًا مودي: "ذاك هو الرجل. ذاك هو".

قال مودي: "هل يمكن أن تكون مُخطئًا؟ لقد لاحظتُ أن عقد البيع الذي سلّمه للمحكمة السيد كارفر بنفسه كان مُوقَّعًا باسم، كاف. فرانسيس ويلز".

قال لودرباك، الذي كان لا يزال مشيرًا إلى كارفر: "إنه محض تزوير. لقد أخبرني أن اسمه هو كروسبي ويلز. لقد ظللتُ حوالي ثمانية أو تسعة أشهر بعدها حتى أدركتُ أنني قد تمّ استغفالي".

لم يجرؤ مودي أن ينظر في عيني كارفر، الذي كان قد تجمّد في مكانه بشكل بسيط حين سمع كذبة لودرباك. ورأى مودي بجانب

عينه أن السيدة كارفر قد مدّت يدها البيضاء لكي تُكَبِّل حركة كارفر، وأغلقت أصابعها حول رسغه.

قال مودي: "هل لك أن تَصِفَ لنا ما حدث؟".

قال لودرباك: "لقد مثَّل عليّ دور الزوج المهجور. كان يعلم أنني كنت أرافق ليديا، كل الموجودين في هذه القاعة يعلمون هذا، لقد اعترفْتُ بهذا تفصيلاً في جريدة التايمز، وقد رأى أن هناك فرصة ليتكسَّب من الموقف. لقد أخبرني أن اسمه هو كروسبي ويلز، وأني كنت أرافق زوجته. لم أكن أتصوّر أنه يمكن أن يكون كاذباً. وقد فكَّرتُ في أنني قد أخطأتُ في حق هذا الرجل، وأني قد جعلت من زوجته امرأة سيئة السمعة".

لم يتحرك السيد والسيدة كارفر من مكانيهما. وقال مودي بدون أن ينظر ناحيتهما: "ماذا كان يريد منك؟".

قال لودرباك: "كان يريد السفينة. كان يريد السفينة، وقد حصل عليها. لكنه ابتزني. لقد بعْتُ السفينة بالإكراه وليس بإرادتي الحرة".

"هل يمكن أن توضِّح لنا طبيعة الابتزاز؟".

قال لودرباك: "كنتُ حريصاً على ارتداء ليديا لأحدث موضات الأزياء خلال فترة علاقتنا العاطفية، فكنتُ أرسل فساتينها القديمة كل شهر إلى ميلبورن لتتمَّ خياطتها وإعادتها مضافاً إليها أحدث الرتوش والطيّات وما إلى ذلك، كان هناك صندوق شحن باسمي يذهب ويعود عبر بحر تسمان، وبالطبع كنت أرسله على جودسبيد. وقد عثر كارفر على الصندوق، وفتحه وأزال الفساتين وأخفى ثروته تحتها. كان الصندوق يحمل اسمي، والاتفاق مع الخياط الموجود في ميلبورن أيضاً من صُنْعي. إذا ما تمَّ اكتشاف هذه الثروة التي يتم إرسالها خارج البلاد سأقع تحت طائلة القانون، فرسمياً، وعلى الورق أكون قد خالفتُ القانون وارتكبت جرائم السرقة والتهرب من الجمارك، كل هذا. بمجرد

أن رأيت الفخ الذي نَصَبَه لي، علمتُ أنه ليس بيدي ما أفعله. كنتُ مضطراً أن أسلّم له السفينة. فسَلَّمنا على بعضنا كرجال واعتذرتُ له مرة أخرى، وبعدها، وحفاظاً على تمثيليته، وقَّع العقد باسم ويلز".

"هل حدث بينك وبين السيد كارفر المدَّعي صفة السيد ويلز أي اتصال بعدها؟".

"لا".

"هل رأيت صندوق الشحن الذي يحتوي على الملابس مرة أخرى".

"لا".

قال مودي: "بالمُناسبة، ما اسم شركة الشحن التي كنتُ تستخدمها لنقل فساتين السيدة كارفر من وإلى خِيَّاط الملابس في ميلبورن؟".

قال لودرباك: "دانفورث للشحن. كنتُ أتعامل مع جيم دانفورث".

توقَّف مودي ليسمح للموجودين في القاعة باستيعاب كل ما سمعوه، ثم قال: "متى أدركتُ الهوية الحقيقية للسيد كارفر؟".

قال لودرباك: "في ديسمبر. السيد ويلز، السيد ويلز الحقيقي كتب لي خطاباً قبل وفاته كمواطن له صوت انتخابي يخاطب رجل سياسة. ومن خطابه علمتُ على الفور أنه لم يكن يعرف أي شيء عن علاقتي بليديا، ووقتها اكتملت الصورة في عقلي وأدركتُ أنه تمَّ الاحتيال عليّ".

"هل تحمل خطاب السيد ويلز معك؟".

"نعم"، ومدَّ لودرباك يده في الجيب الموجود عند صدره وسحب ورقة مطويّة. وقال مودي: "ستلاحظ المحكمة أن المستند الذي في حوزة السيد لودرباك مختومٌ بختم البريد بتاريخ السابع عشر من ديسمبر 1865".

"تمَّ تسجيل هذا يا سيد مودي".

التفت مودي إلى لودرباك وقال: "هل لك أن تقرأ علينا الخطاب من فضلك؟".

قال لودرباك: "بالطبع"، ورفع الورقة وكحَّ، ثم قرأ:

غرب كانتربري. ديسمبر 1865

سيدي، قرأت في تايمز الساحل الغربي أنك تنوي السفر لهوكتيكا برًّا؛ وبالتالي ستمرُّ في طريقك عبر وادي الأراهورا، إلا إذا تعمَّدت أن تسلك طريقًا غيره. وباعتباري رجلًا أملك حقَّ التصويت أدعوك لتشرّفني كسياسي بزيارة بيتي المتواضع. سأصف لك الطريق حتى تأتي أو تسلك طريقًا بعيدًا إن رأيت أن هذا أفضل. المنزل مسقوف بالحديد، ويقع على بُعد ثلاثين ياردة من الضفة الجنوبية لنهر الأراهورا. هناك أرض فضاء عرضها حوالي ثلاثين ياردة على كلا جانبي الكوخ، ومنشار الخشب يقع بعده بحوالي العشرين ياردة ناحية الجنوب الشرقي. المسكن صغير، له نافذة، ومدخنة مصنوعة من الطوب الأحمر. وهو مُغطّى بالطريقة المعتادة. ربما حتى إن لم تتوقف سأتمكن من النظر إليك أثناء مرورك. لن أتوقّع مجيئك، ولن آمل فيه، لكنني أتمنى لك رحلة سعيدة إلى الأراضي الغربية، وحملّة ناجحة، وأؤكد لك أنني أظلّ مع أعمق الإعجاب،

كروسبي ويلز

شكره مودي. ثم التفت إلى القاضي وقال: "ستلاحظ المحكمة أن التوقيع الموجود على الخطاب المرسل للسيد لودرباك يطابق التوقيع الموجود على صكّ الهبة الموقَّع من السيد كروسبي ويلز في الحادي عشر من أكتوبر 1865 والذي ينصُّ على أن يتمَّ منح مبلغ ألفين

من الجنيهاات إلى الأنسة أنا ويزريل كهبة من السيد إيميري ستينز، وأن السيد كروسبي ويلز يشهد على هذا، وهو أيضًا يطابق التوقيع الموجود على وثيقة زواج السيد ويلز والمقدمة من السيدة ليدا كارفر المعروفة سابقًا باسم السيدة ويلز إلى المحكمة الابتدائية منذ شهرين. وسوف تلاحظ المحكمة أيضًا أن هذين التوقيعين لا يماثلان بأي حال من الأحوال التوقيع الموجود على عقد بيع السفينة جودسبيد، والذي قدّمه للمحكمة السيد فرانسيس كارفر؛ ممّا يدلّ على أن التوقيع الموجود على عقد البيع هو بالفعل مزوّر".

كان بروهام يحدّق في مودي فاغر الفم.

قال القاضي: "وما الذي تعنيه بهذا يا سيد مودي؟".

قال مودي: "أن السيد كارفر قد حصل على السفينة جودسبيد عن طريق الابتزاز وانتحال الشخصية والتزوير، وقد استخدم نفس هذه الطرق لينتزع ثروة تقدّر بعدة آلاف من الجنيهاات من السيد ويلز في مايو من العام الماضي، وهي سرقة أفترض أنه نجح فيها بمساعدة السيدة كارفر، خاصّةً إذا ما أخذنا في الاعتبار حقيقة أنها أصبحت الآن زوجته".

كان بروهام لا يزال يكافح في ترتيب أحداث الخمس دقائق الماضية في عقله، وطلب استراحة، لكن طلبه لم يكن مسموعًا بسبب الضوضاء الصادرة عن القاعة. أمّا القاضي كيمب الذي رفع صوته لحدّ الصراخ فقد طلب حضور كلّ من السيد بروهام والسيد مودي في مكتب القاضي، ثم أصدر تعليمات بوضع جميع الشهود في الحجز، ورفع الجلسة مؤقتًا.

هاوس أوف ماني ويشيز

وفيه تلتزم ليديا ويلز بكلمتها، وتستقبل آنا ويذريل زائراً غير مُتَوَقَّع، ونعلم الحقيقة بخصوص إيزابيث ماكاي.

بدأت واجهة المنزل رقم خمسة وثلاثين شارع كمبلاند من الطريق خالية من أي زينة، بجوانب مغطاة ألواح خشبية باهتة اللون، ونوافذ مقسمة رأسياً كنوافذ المتاجر، زجاجها مغطى بالورق الذي يستخدمه الجزائريون في تغليف اللحوم لزبائنهم، وفي الطابق العلوي زوج من النوافذ ذات الدرف المنزقة مغطاة بالستائر. أما بالنسبة للمنشأتين الواقعتين على جانبيه، رقم سبعة وثلاثين كان صانع أحذية، ورقم ثلاثة وثلاثين كانت وكالة شحن، فقد كان المبنيان قريبين للغاية من مبنى رقم خمسة وثلاثين، لدرجة أن قُربهما يحرم الواجهة من أي إحساس بالتناسق للناظر إليها من الطريق. وإذا ما مرَّ المرء عليه ربما

ظنّه مبنى غير مأهول، فلم يكن فوق الباب، أو في الشرفة الأمامية أي لوحات معلّقة، وفي المساحة الفارغة فوق خبّاطة الباب لم يكن هناك كارت.

فتحت السيدة ويلز الباب الأمامي بمفتاحها. وقادت أنا عبر الممر الصامت إلى الجزء الخلفي من المنزل، حيث يوجد سلم ضيق يقود إلى الطابق العلوي. وعلى بسطة الطابق الأعلى، الذي كان نظيفاً وخالياً كمثيله في الطابق الأسفل، أخرجت مفتاحاً ثانياً من حقيبة يدها وفتحت به باباً ثانياً، وأشارت لآنا بوجه مبتسم لكي تدخل.

ربما لو تمتعت أنا ببعض الخبرة عن العالم لاستنتجت على الفور طبيعة المكان من المشهد الذي قابلها حين دخلت من باب الغرفة، من الستائر الثقيلة المصنوعة من الدانتيل، والأثاث المنجّد الكثير، ورائحة الكحول والعطر الثقيلة التي تملأ المكان، وستارة الباب المصنوعة من الخرز، والتي كانت في هذه اللحظة مربوطة في إطار الباب لتكشف عن غرفة النوم الضعيفة الإنارة خلفها. لكن أنا لم تكن متمرّسة في أمور العالم، وإن اندهشت من منظر الوسائد الفاخرة حلوة الرائحة الموجودة في نُزُل للفتيات، فهي لم تعبر عن دهشتها بالكلمات. فخلال تمشيّتهم من الرصيف إلى شارع كمبرلاند عبّرت السيدة ويلز عن الكثير من الأدواق والآراء الخاصة، وبالوقت الذي بلغت فيه وجهتهما، كانت أنا مستعدة تماماً للانصياع لما سمعت به، فقد بدت لها آراءها الخاصة، على نحو مفاجئ، وبالمقارنة بما سمعته، باهتة ورخوة.

قالت صاحبة البيت: "سترين بنفسك كم أعطني بفتياتي"، ردّت عليها أنا بأن الغرفة جميلة للغاية، وبهذا التشجيع الصادر عن أنا لفتت السيدة ويلز نظرها إلى عدة إبداعات في الزينة والأثاث، مستزيدة من إطراءات أنا، ومؤكدة على أن الإطراءات في محلها تماماً.

تم توصيل صندوق أنا حسب الاتفاق، وجدته موضوعاً عند طرف السرير، وهي إشارة فهمت منها أن هذا السرير مُخصَّص لها. كان سريرًا له ظهر جميل، اختفى إطاره الخشبي خلف كومة ضخمة من الوسائد البيضاء المصفوفة في صفوف من ثلاث وسائد، كان السرير أوسع وأعلى كثيرًا من الفرشة الصغيرة الذي كانت تنام عليها في بيتها. وتساءلت إن كان سيتحتَّم عليها أن تشارك هذا السرير مع شخص آخر، كان يبدو كبيرًا جدًّا على شخص واحد. وأمام السرير كان يوجد حوض استحمام عالي الجوانب، بمنشف على جوانبه، وبجانبه حبل جرس سميك له نهاية مُزيَّنة بالشراشيب. شدَّت السيدة ويلز حبل الجرس، فأتى صوت جلجلة مكتومة من مكان ما في الطابق الأسفل. وحين ظهرت الخادمة، أمرت السيدة ويلز بإحضار ماء ساخن من المطبخ، يليه طبق للغداء. بالكاد نظرت الخادمة لآنا، وسعدت أنا بهذا التجاهل وأحسَّت بالراحة حين تركت الخادمة المكان لتسخن الماء فوق موقد المطبخ.

حين خرجت الخادمة التفتت ليديا ويلز لآنا وابتسمت مرة أخرى واستأذنتها في الرحيل.

"لديَّ ميعاد في المدينة لا بُدَّ لي من الذهاب إليه، لكنني سأعود في ميعاد العشاء، وأتوقع أن نتناوله سوياً. يمكنك أن تطلبي أي شيء ترغبين فيه من لوسي. وإن كان بإمكانها أن تجده، فسوف يأتيك. ابقي في حوض الاستحمام كما يحلو لك، واستخدمي أي شيء ترغبين فيه من فوق حوض الاغتسال. أنا مُصرَّة على أن تشعرني كما لو كنت في بيتك".

وفعلت أنا ويذريل هذا بالضبط. غسلت شعرها بسائل معطرٍ برائحة البنفسج، ودعكت كل بوصة في جسمها بصابون تمَّ شراؤه من المتجر، وظلت في الماء قرابة الساعة. بعدما ارتدت ملابسها بعد أن

قلبت جواربها على الناحية الأخرى لتظهر الجزء الأكثر نظافة منهم، أمضت وقتًا طويلًا تنظر لنفسها في المرآة وتصفّف شعرها. كان هناك العديد من زجاجات العطر على حوض الاغتسال، فشمت رائحة كل منهم، وعادت إلى الزجاجاة الأولى ووضعت بعضًا منها على راسيها وخلف أذنيها.

تركت الخادمة غداء باردًا على المنضدة تحت النافذة، كان الطبق مغطى بقطعة من القماش. رفعت أنا القماش ورأت كومة من اللحم المقطّع بطريقة جميلة، وشريحة سمكة من عصيدة البازلاء المقلية، وكعكة صفراء صغيرة مدوّرة مفروود عليها الزبد والمربي، وبيضتان مخللتان. فجلست وأمسكت بالسكينة والشوكة المجهزتين لها والتهمت الطعام مستمتعةً بمذاقه، بعد العديد من الوجبات عديمة الطعم في البحر.

بعد أن أفرغت طبقها، جلست لعدة دقائق تفكر إن كان عليها أن تدقّ الجرس حتى ترفع الخادمة الطبق الفارغ، وهل الصحيح هو أن تدقّ الجرس أم لا؟ وبعد بعض الوقت قرّرت ألا تدقّ الجرس. فقامت من على المنضدة وذهبت للنافذة حيث فتحت الستائر ووقفت لبعض الوقت تشاهد المارة في الطريق وهي تشعر بمنتهى الرضا. دقّت الساعة الثالثة قبل أن تسمع أي صوت من الطابق الأسفل، ثم تناهى إلى سمعها أصوات مفاجئة في الممر، ثم صوت أقدام تعطي السلم، ثم دقة سريعة بأصبعين اثنتين على الباب.

لم يكن لديها وقت لتقوم من مكانها قبل أن يُفتح الباب على مصراعيه ويدخل منه رجل طويل مغبر للغاية يرتدي بنطلوناً أصفر من القماش القطني ومعطفًا حائل اللون. حين رأى أنا توقف في مكانه.

قال: "أوه، معذرة".

قالت آنا: "مساء الخير".

"هل أنتِ إحدى فتيات ليديا؟".

"نعم؟".

"هل أنتِ جديدة هنا؟".

"لقد وصلت اليوم. "

قال الرجل: "أنتِ وأنا وصلنا اليوم". كان شعره أصفر اللون وقد خطه الشيب قليلاً. "مساء الخير لك".

"هل أستطيع مساعدتك؟".

ابتسم عند سماعه لهذا، وقال: "سنرى. إني أبحث عن سيدة المنزل، هل هي موجودة هنا؟".

"لديها ميعاد في المدينة".

"متى ستعود؟".

قالت آنا: "قالت إنها ستعود في ميعاد العشاء".

"حسنًا، هل لديكِ أي مواعيد قبل العشاء؟".

قالت آنا: "لا".

قال الرجل: "حسنًا. هل تمانعين إن حجزتك للرقصة القادمة؟".

لم تعرف آنا ما الرّدُّ المناسب على ما قاله. وقالت: "لستُ متأكّدةً أنه يمكنني استقبال ضيوف حين تكون السيدة ويلز خارج المنزل".

قال الرجل: "السيدة ويلز". وضحك. "يكاد الاسم يبدو محترمًا، حين تنطقينه بهذا الأسلوب". وعاد وأغلق الباب خلفه، وقال: "اسمي كروسبي. ما اسمك؟".

قالت آنا وقد زاد قلقها: "الآنسة آنا ويذريل".

كان في طريقه للمنزدة الجانبية وقال: "هل توذّين أن تشربي شيئاً يا آنسة أنا ويذريل؟".
"لا، أشكرك".

التقط زجاجة وأمالها ناحيتها وقال: "لا بسبب أنك لا تحبّين الخمر، أم لا بسبب أنك تتصرّفين بأدب؟".
"لقد وصلتُ للتوّ".

"لقد أخبرتني بذلك من قبل يا فتاتي، وعلى أي حال، فإن هذا لا يجيب عن سؤالِي".

قالت آنا: "أنا لا أودُّ أن أستغلّ كرم ضيافة السيدة ويلز". قالت ذلك بطريقة تؤكّد على رفضها، وكما لتستحثّه هو الآخر أن لا يستغلّ كرم الضيافة.

أزال كروسبي غطاء الزجاجة وشمّها، ثم أعاد تغطيتها وقال وهو يعيد الزجاجة إلى الصينية ويختار زجاجة أخرى: "أوه، ليس هناك ما يدعى كرم الضيافة. ستدفعين ثمن أي شيء تلمسينه في هذه الغرفة، وسيتم ذلك بسرعة اللصوص. تذكّري كلماتي".

قالت آنا: "لا. كل شيء مدفوع حسابه. والسيدة ويلز مضيافة بشكل رائع. لقد بقيتُ هنا بناء على طلبها الشخصي".

تعجّب من كلامها وقال: "أحقّاً؟ هل أنتِ أقرب قريباتها وأعزّ عزيزاتها؟ هل أنتما صديقتان مقرّبتان؟".

قطّبت آنا: "لقد التقينا على الرصيف عصر اليوم".

"بالمصادفة البحتة على ما أعتقد".

"نعم. هناك شابة، الآنسة ماكاي، لم تتمكّن من اللحاق بالباخرة. إنها ابنة عمّة ابن عمّتها. حين لم تتمكّن الآنسة ماكاي من الحضور،

دعني السيدة ويلز مكانها؛ فالغرفة والطعام قد تمّ دفع مقابلهم مقدّمًا".

قال الرجل وهو يملأ كأسه بالخمّر: "هكذا إذن".

قالت أنا في محاولة لكسب بعض الوقت: "هل عدت لتوّك من حقول الذهب؟".

قال الرجل: "نعم، لقد كنتُ في المرتفعات. وقد عدت هذا الصباح". وشرب، وزفر، ثم قال: "لا، ليس من العدل أن لا أخبرك، لقد انضحك عليك".

"ماذا؟".

"انضحك عليك".

"أنا لا أفهمك يا سيد كروسبي".

ابتسم لها وقال مُفسّرًا: "هناك دائمًا آنسة ماكاي، إنها حكاية تنسجها حتى تصدّقها وتأتي معها للمنزل، وقبل أن تدري ما وقعت فيه، تجددين نفسك مدينة بالفضل، أليس ذلك هو حالك الآن؟ لقد أعطتك وجبة جيدة وحمًا ساخنًا والكثير من العطف، وما الذي أعطيته أنتِ لها؟"، وهزّ أصبعه. "لكن سيكون هناك شيء ما يا آنسة أنا ويذريل. سيكون هناك شيء ما تستطيعين أن تعطيه لها". وبدا عليه أنه أدرك القلق الذي أحسّت به أنا، لأنه أضاف بنبرة صوتٍ أرقّ: "سأخبرك بشيء يجب عليك أن تعرفيه. ليس هناك إحسان في مدينةٍ للذهب. وإذا ما بدا الأمر كذلك، أمعني النظر".

قالت أنا: "أوه".

أفرغ كأسه ووضعه. "هل تحبين الشراب أم لا؟".

"ليس اليوم، شكرًا لك".

مدَّ يده في جيبه وأخرج شيئاً ما ثم رفع قبضته المغلقة.

قال: "هل يمكنك أن تخمّني ماذا في يدي؟".

"لا".

"هيا، خمّني".

"هل هي عملة؟".

"شيء أحسن من العملة. خمّني مرة أخرى".

قالت وهي مرتعبة: "لا أستطيع أن أفكر في شيء".

فتح قبضته فظهرت فيها قطعة ذهب في مثل شكل وحجم الكسثناء، وضحك من التعبير الذي ارتسم على وجهها، ثم قذف بها إليها. التقطتها بين باطني كفّيهما. وقال لها: "هذا الذهب يكفي لشراء كل زجاجات الشراب على هذه الصينية، وسيتبقى بعض الجنيهاات أيضاً. إنها لكِ إن متّعني بصحبتك حتى تعود السيدة. ما رأيك في هذا؟ ستكونين بمأمن من تلك الديون حين تبدأ في التراكم".

قالت أنا وهي تدير القطعة الذهبية في يديها: "أنا لم ألمس قطعة من الذهب من قبل". كانت أثقل ممّا تصوّرتها، وأكثر بدائية. وبدت وكأنها تفقد رونقها بين يديها.

قال كروسبي: "تعالى إلى هنا. وأخذ زجاجة البراندي إلى الأريكة الصغيرة وجلس وربّت بيده على المكان بجانبه. تناولي كأس مع أحد الرفاق يا فتاتي. فقد مشيت على قدميّ طوال أسبوعين، وأنا ظمآن للغاية، وأودُّ أن أنظر إلى شيء جميل. تعالى إلى هنا. سأخبرك كل ما تحتاجين أن تعرفيه عن السيدة ليديا ويلز".

غموض

وفيه يتمُّ النطق بحكمين، ويكون الجزاء على قدر العمل.

لم توجه الدعوة لتي رو تاوهار للشهادة في أيِّ من المحاكمتين. وقد شهد وقائع اليوم من الجزء الخلفي لغرفة المحكمة، بوجه قاتم وبظهره مستندًا للحائط. حين أعلن القاضي كيمب عن الاستراحة الأخيرة، وأعطى الأمر بأن يتمَّ التَّحْفُظ على جميع شهود اليوم في الحبس الاحتياطي، غادر تاوهار المحكمة مع بقية المغادرين. وفي الخارج شاهد العربة المصفحة في انتظار نقل المتهمين إلى السجن، فذهب لتحية ضابط الشرطة الذي كان واقفًا بجانب العربة.

قال الضابط: "مرحبًا يا سيد تاوهار".

"مرحبًا".

"كيف حال صديقك ستينز إذن؟ هل يستمتع بوقته هناك؟".

قال تاوهار: "نعم".

"لقد أدخلت رأسي لدقيقة. ولم أستطع أن أسمع الكثير. هل كانت المحاكمة جيدة؟".

قال تاوهار: "جيدة جداً".

"تلقي المدير شيرد ضربة على ظهر يده هذا الصباح، أليس كذلك؟".

"نعم".

قال الضابط: "وددت لو شاهدتُ هذا". وقتها انفتح الباب الخلفي لمبنى المحكمة وظهر الحاجب في المدخل وصاح: "دريك!". وقف الضابط مستقيماً قائلاً: "نعم يا سيدي".

قال حاجب المحكمة: "القاضي يريد إيداع فرانسيس كارفر في سي فيو. لقد أصدر أوامره بأن تأخذه إلى هناك، ثم تعود مباشرة مرة أخرى إلى هنا".

جرى دريك ليفتح أبواب العربة. وقال: "كارفر فقط؟".

قال الحاجب: "كارفر فقط. تأكد أن تعود في الوقت المناسب لسماع الحكم. تذهب إلى سي فيو ثم تعود مباشرة إلى هنا". "أستطيع القيام بهذا".

"أسرع في الأمر، سيخرج لك الآن".

تم إحضار فرانسيس كارفر إلى الساحة، ثم إدخاله إلى العربة. بيديه مُقيّدتين خلف ظهره. وداخل العربة أخرج دريك من حزامه زوج آخر من القيود واستخدمها في تعليق رسغَي كارفر في خطاف مُثبت في حائط العربة الحديدي الواقع خلف مقعد السائق.

وقال بمرح هو يهز الخطاف كدليل على ما يقوله: "ثابت لا يتزحزح من مكانه. يفصل بينك وبين العالم يا سيد كارفر مقدار سمك بوصة كاملة من الحديد. يا إلهي! ما الذي اقترفته لجعلهم لا يثقون بإمكانية تركك مع الآخرين؟ آخر ما أعرفه أنك كنت شاهداً، وبعدها بدقيقة، أجدك مكبلاً بالحديد".

لم يفهم كارفر بكلمة.

قال حاجب المحكمة: "أمامك ساعة". ثم عاد للداخل.

قفز دريك خارجاً من العربة وأغلق الأبواب. وقال وهو يغلق المزلج: "يا سيد تاوهار، أتودُّ أن تصحبني في رحلة خاطفة إلى المرتفع، ذهاباً وعودة؟ سنصل هنا في الوقت المناسب لسماع النطق بالحكم".

تردَّد تاوهار.

قال الضابط: "ما قولك؟ إنه يوم جميل للنزهة، وسنتمتع ببعض السرعة أثناء نزولنا من المرتفع".

ظل تاوهار متردِّداً. كان يحدِّق في مزلج باب العربة.

"ما رأيك؟"

قال تاوهار أخيراً: "لا".

هزَّ دريك كتفيه قائلاً: "كما تحب"، وصعد وجلس في مقعد السائق، وأمسك باللجام وحثَّ الخيل على الانطلاق، وقعقت العربة مبتعدة.



"سيد إميري ستينز. لقد أقررت أنك مذنب في تهمة تزوير سجلات منجم ذهب الأورورا لتجنب دفع النصيب المستحق للسيد فرانسيس

كارفر بقيمة خمسين بالمائة من الربح الصافي سنوياً، ولتجنب دفع علاوة لـ جون لونج كيي تُقدَّر بمبلغ غير مُتَّفَق عليه. وأقررت أنك مذنب في تهمة اختلاس كمية ضخمة من الذهب الخام عثر عليها جون لونج كيي في الأورورا، وتمَّ تقدير قيمتها بمبلغ أربعة آلاف وستة وتسعين جنيهًا. واعترفت بسرقة هذا الذهب من الأورورا ودفعته في وادي الأراهورا، بهدف إخفائه. أيضًا أقررت أنك مذنب بتهمة الإهمال، حيث أنك كنت عاجز عن العمل بسبب التعاطي المفرط ولفترة طويلة للأفيون".

وضع القاضي أوراقه جانبًا، وضمَّ يديه سويًا.

وقال: "إن محاميك يا سيد ستينز قد أبلى بلاء حسنًا في رسم صورة سيئة للسيد كارفر في هذا العصر. وبصرف النظر عن أدائه، وعلى أي حال، فإن الحقيقة تظلُّ أن الدافع لخرق القانون لا يُعدُّ مبررًا لخرق القانون، إن رأيك الشخصي السيئ في السيد كارفر لا يعطيك الحقَّ في أن تقرر ما الذي يستحقه، وما الذي لا يستحقه.

أنت لم تشهد الاعتداء على الآنسة ويذريل بنفسك، ويبدو أنه لا يوجد شهود على هذه الواقعة؛ ولهذا فإنه ليس لديك سوى ظلُّ من الشك في أن السيد كارفر هو الذي قام حقًا بالاعتداء عليها، أو إذا ما حدث ووقع عليها اعتداء من الأساس. بالطبع فإن فقدان طفل هو مأساة، وأن المأساة لا يمكن للظروف التخفيف منها، ولكن في الحكم على جريمته يا سيد ستينز علينا أن ندع جانبًا الطبيعة المأساوية لهذا الحدث، وأن نعتبره صورة من صور الاستفزاز، الاستفزاز غير المباشر؛ لأنك ارتكبتَ عن عمد جرائم السرقة والتزوير، وارتكبتها بغرض الثأر والانتقام. نعم، كان لديك أسبابك للنفور من السيد كارفر، بل ولكرهه أيضًا، لكنني أشعر أنني أقول شيئًا بديهيًا حين أقول أنه كان

باستطاعتك لفت انتباه شرطة هوكتيكا لما كان يضايقك، ووقتها كنت ستوقّر علينا جميعاً الكثير من العناء.

إن اعترافك بالذنب يصبُّ في مصلحتك. وأنا أيضاً أشهد أنك قد أظهرت تأدّباً وتواضعاً في إجاباتك هذا الصباح. وكل هذا يشير إلى ندمك واحترامك للتطبيق الصحيح للقوانين. لكنّ التهم الموجهة إليك تعكس أنانية وعدم احترام للالتزامات التي ينصُّ عليها التعاقد، كما تعكس مزاجاً فاسداً ومتقلّباً، وتقصيراً في الواجبات، ليس فقط تجاه ممتلكاتك، ولكن أيضاً تجاه غيرك من البشر. إن رأيك السيئ في السيد كارفر، مهما كانت مبرراته وأسبابه القوية، قد أدّى بك أن تتولى بنفسك مسئولية تحقيق العدالة في أكثر من مناسبة، وعلى أكثر من جانب. وعلى ضوء هذا أعتقد أنه ممّا سيفيدك كثيراً أن تنحّي رؤيتك الفلسفية للحياة جانباً لبعض الوقت، وتتعلم أن تضع نفسك موضع غيرك من البشر.

السيد كارفر كان شريكاً في الأورورا لمدة تسعة أشهر. وقد قام بالوفاء بواجباته التي ينصُّ عليها العقد تجاهك، ولم تتمّ مكافئته. إيميري ستينز، لقد حَكَمْتُ عليك بالسجن لمدة تسعة أشهر مع الشغل".

لم يعكس وجه ستينز أي تعبير على الإطلاق. وقال: "نعم يا سيدي".

التفت القاضي إلى أنا.

وقال: "آنسة أنا ويذريل. لقد أقررتِ بأنك لستِ مذنبّة في أي تهمة من التهم الموجهة لك، وفي المحاكم المتحضرة نحن نتمسك بمبدأ أن المرء بريء حتى تثبت إدانته. أنا على دراية بحقيقة أن الافتراءات التي قذف بها السيد مودي المدير شيرد هي مجرد افتراءات، ورغم ذلك فقد تمّ تسجيلها في هذه المحكمة كما ينبغي، وربما يترتب عليها

بعض النتائج مستقبلاً إذا أسفرت التحقيقات التي سيتم إجراؤها عن المدير شيبيرد وغيره عما يستدعي ذلك. في الوقت الحالي أنا لا أرى أن هناك ما يكفي من الأدلة لإثبات إدانتك. لقد تمّت تبرئتك من كل التهم. وسوف يتم إطلاق سراحك من السجن، ويسري هذا الأمر على الفور. وأنا على ثقة بأنك من الآن فصاعدا ستستمرين على الطريق القويم من الرّصانة والعِفّة وغيرها من الفضائل ذات الطابع المحتضّر، وليس بي حاجة أن أقول إني لا أودُّ مطلقاً أن أراك في هذه المحكمة مرة أخرى بأي تهمة، وخاصةً تُهم السُّكر في الأماكن العامة والسلوك المخلّ بالآداب. هل كلامي واضح بالنسبة لك؟".

"نعم يا سيدي".

"حسنًا"، والتفت إلى منصّة المحامين. وقال بتثاقُلٍ: "والآن..."، لكن قبل أن ينطق بكلمة أخرى، تعالت من الشارع صرخات، وأتى صوت ارتطام رهيب، وأصوات صهيل حاد لجياد مرتعبة، وبعدها أتت دقات عالية على باب المحكمة، كأن أحدهم يلقي بثقل جسده على الباب.

قال القاضي مقطّبًا: "ما الأمر؟".

غادر مودي مقعده، فقد سمع صرخات تأتي من الشرفة، وضوضاء كبيرة.

قال القاضي: "فليفتح أحدكم الباب ويرى ماذا هناك".

انفتح الباب على مصراعيه.

صاح القاضي: "الضابط دريك. ما الأمر؟".

كانت عينا الضابط مفتوحتين على آخرهما، وصاح: "إنه كارفر".

"ماذا بشأنه؟".

"لقد مات".

"في مكان ما بين هنا وسي فيو، لا بُدَّ أن أحدهم قد فتح الأبواب دون أن ألاحظ. كنتُ أقود العربة. لقد فتحت الأبواب لكي أنزله، ووجدته ميتًا".

تحرك مودي بسرعة؛ فقد توقَّع أن السيدة كارفر ستقع مغشياً عليها، لكنها لم تقع. كانت تنظر إلى دريك بوجهٍ مُبَيَّضٍ. بسرعة تفحص مودي الوجوه المحيطة بها. جميع الشهود تمَّ التَّحَفُّظُ عليهم خلال الاستراحة، بمن فيهم مَنْ أدلوا بشهادتهم في الصباح، لم يغادر أحدٌ منهم مبنى المحكمة. كان شيرد موجودًا، ولودرباك، وفروست، ولوينثال، وكلينش، ومانرينج، وكيلي، ونيلسن، وبريتشارد، وبالفور، وچاسكوين، وديفلن. مَنْ الغائب؟

صاح دريك وهو يرمي ذراعيه على جانبيه : "إنه في الخارج. جثمانه... لقد رجعتُ على الفور... لم أستطع... لم يكن...".

رفع القاضي صوته فوق الهياج وقال: "هل قتل نفسه؟".

صاح دريك وصوته يتحوَّل إلى نحيب: "لا، لا!".

بدأ الحشد يندفع خارجاً من الباب، ماراًً بدريك.

صاح القاضي: "أيها الضابط دريك. بحق السماء، كيف مات فرانسيس كارفر؟".

كان دريك قد تاه بين الجموع، وعلا صوته: "خبطه أحدهم على رأسه!".

تحوَّل وجه القاضي إلى اللون البنفسجي. وزأر: "مَنْ؟ مَنْ فعلها؟".

"أقول لك إني لا أعلم".

وأقى صياح رهيب من الشارع، ثم صراخ، وخلت المحكمة من
البشر. والسيدة كارفر وضعت يديها على فمها، وهي تشاهد آخر
الخارجين من الباب.

مكتبة
t.me/soramnqraa

احتراق

وفيه تتلقى السيدة ويلز انطباعًا زائفًا، وينقل فرانسيس كارفر أخبارًا هامة.

في الوقت الذي قامت فيه أنا ويذريل بالترفيه عن السيد كروسبي في هاوس أوف ماني ويشيز في شارع كمبرلاند، انشغلت ليديا ويلز ببعض أمور الترفيه هي الأخرى. فمن عاداتها وقت العصر أن تأخذ روزناماتها وخرائط النجوم الخاصة بها إلى فندق هوثورن في شارع جورج، حيث أسست لنفسها مقراً في إحدى زوايا قاعة الطعام تعرض فيه خدمات قراءة الطالع للمُنقّبين والمسافرين حديثي الوصول. وزبونها الوحيد هذا العصر كان فتى ذا شعرٍ ذهبي يرتدي قبعة من الجوخ، وقد تبَيَّن لها أنه هو الآخر قد وصل على متن السفينة البخارية فورشنيت ويند. كان الفتى كثير الكلام، وبدا سعيداً، ومفتوناً

بانسجام السيدة ويلز مع الأمور الخفية، وقد أطراها حماسه ودفعها لأن تكون كريمة في تنبؤاتها. وحين انتهت من رسم خارطة ميلاده النجمية، ودققت النظر في ماضيه وحاضره، وتنبأت بمستقبله، كانت الساعة تقترب من الرابعة.

رفعت عينيها فرأت فرانسيس كارفر يتججه ناحيتها عبر قاعة الطعام.

قالت للفتى ذي الشعر الذهبي: "إدوارد، هلأ طلبت من النادل أن يلف لي فطيرة مألحة؟ أخبره أن يضيفها إلى حسابي؛ سأخذها معي إلى المنزل للعشاء".

انصاع الفتى.

قال كارفر حين ذهب الفتى: "لقد وصلتني الآن بعض الأنباء الجيدة".

"ما هي؟".

"لودرباك في طريقه إلى هنا".

قالت ليديا ويلز: "آه".

"لا بُدَّ أنه أخيراً قد رأى إيصال الشحن المرسل من دانفورث. لقد سمعت من بيلي بروس أنه اشترى تذكرة سفر على أكتيف التي تُبحر من أكاروا. سيصل في الثاني عشر من مايو، وقد أرسل تعليمات بألا تغادر جودسبيد الميناء حتى يصل".

"بعد ثلاثة أسابيع".

"لقد أوقعنا به يا جرينواي. كسمكة في الفخ. لقد أوقعنا به".

قالت السيدة ويلز بغموض: "مسكين السيد لودرباك".

"يمكنك الذهاب إلى النادي البحري هذا الأسبوع وتقديم عرض للشباب هناك. مثل ليلة من لعب القمار المجاني، أو ليلة من ضعف القيمة على عجلة القمار، أو فتاة مع كل لفّة من لفّات عجلة القمار. عرض يغري راكسورثي بترك السفينة تلك الليلة حتى أحظى بفرصة للقاء لودرباك على انفراد".

قالت السيدة ويلز: "سأذهب إلى النادي في الصباح". وبدأت في ترتيب كتبها وخرائطها. ثم قالت مرة أخرى: "مسكين السيد لودرباك". قال كارفر وهو يراقبها: "هذا ما جنته يده". "نعم، لكننا أنا وأنت قد مهّدنا له الطريق".

قال كارفر: "لا تأسفي على جبان. وخاصة إن كان جباناً لديه الكثير من الأموال". "أنا أشفق عليه".

"لماذا؟ بسبب الابن غير الشرعي؟ الابن غير الشرعي أكثر جدارة بالشفقة. لودرباك لم يحظ سوى بالحظ الحسن من البداية للنهاية. إنه رجل من رجال القمة".

قالت السيدة ويلز: "نعم، هو كذلك، لكنه لا يزال جديرًا بالشفقة. إنه مليء بالعار يا فرانسييس من كروسبي، ومن والده، ومن نفسه. لا أستطيع إلا أن أشعر بالشفقة على رجل يشعر بالعار". "أظن أنه ليس هناك فرصة لعودة ويلز بشكل غير متوقع، أليس كذلك؟".

انفجرت السيدة ويلز: "أنت تتحدث كأنني صديقه. أنا لست مسئولة عنه، وبالطبع لا أستطيع أن أتحكم في تحركاته". "متى كان في المدينة آخر مرة؟".

"منذ شهور".

"هل يكتب إليك رسالة قبل أن يعود للمنزل؟".

قالت السيدة ويلز: "يا إلهي. لا، إنه لا يكتب".

"هل هناك أي طريقة تستطيعين بها التأكد من أنه سيظل بعيداً؟
ليس من مصلحتنا أن يقابل لودرباك... ليس في هذا الوقت".

"الشراب مُغري دائماً بالنسبة له، مهما كان الوقت".

ابتسم كارفر: "أنرسل له صندوقاً مليئاً بمختلف أنواع زجاجات
الشراب في البريد؟ أنرتب له رفيقة في فندق ديجرز أرمز؟".

"هذه في الحقيقة فكرة جيدة". ورأت الفتى قادماً من المطبخ
بالفطيرة ملفوفة بالورق، فنهضت من على المنضدة. "يجب عليّ
العودة الآن. سأتي إليك غداً".

قال كارفر: "سأكون في انتظارك".

قالت السيدة ويلز للفتى وهي تتناول الفطيرة: "شكراً لك يا
إدوارد. مع السلامة. يمكنني أن أتمنى لك حظاً سعيداً، لكن هذا
سيكون بمثابة هدر للأمنيات، أليس كذلك".

ضحك الفتى.

كان كارفر أيضاً مبتسماً. "هل قرأتِ طالعَه إذن؟".

قالت السيدة ويلز: "أوه، نعم. سيصبح غنياً للغاية".

"حقاً؟ مثله مثل غيره؟".

قالت السيدة ويلز: "ليس مثل غيره. سيصبح غنياً بشكل استثنائي.
مع السلامة يا فرانسييس".

قال كارفر: "إلى اللقاء".

قال الفتى: "مع السلامة يا سيدة ويلز".

غادرت الغرفة والرجلان يراقبانهما. وحين انصرفت آمال كارفر رأسه ناحية الفتى وقال: "اسمك هو إدوارد؟".

قال الفتى وهو يبدو خَجَلًا قليلًا: "في الحقيقة لا، إنه ليس اسمي. تستطيع أن تقول إنني اخترت أن أسافر متخفيًا. لقد أخبرني والدي دائمًا أنه حين يتعلق الأمر بالعاهرات وقارئات الطالع فلا تبلغهن باسمك الحقيقي بالمرّة".

أوماً كارفر وقال: "هذا منطقي".

استطرد الفتى: "أنا لا أعرف شيئًا عن العاهرات. ويحزنني أن أفكر أن أبي يستخدمهن، أشعر بنوع من الاشمئزاز تجاه الأمر انطلاقًا من إخلاصي لوالدي على ما أعتقد. لكنني أحب قارئات الطالع. وكان استخدامي اسم آخر أمر مثير. لقد جعلني أحس كأني غير مرئي بشكل ما. أو كأنه هناك نسختان مني، كأني قسمت نفسي إلى قسمين".
رمقه كارفر، ثم بعد فترة مدّ يده قائلًا: "اسمي فرانسيس كارفر".

قال الفتى: "إيميري ستينز".

عطارد يغرب

وفيه يصل غريب إلى شاطئ هوكتيكا، ويتم تقسيم الثروة، ويغادر والتر مودي فندق كراون أخيراً.

حتى في أفضل ملابسه، وبشعره مدهوناً ومُصَفَّقاً، وبحدائه مُلَمَّعاً، وبمنديله مُعَطَّرًا؛ كان السيد إدريان مودي أقل وسامة بكثير من أصغر أبنائه. تحمل ملامحه مظاهر عمر كامل من إدمان الشراب: عيناه منتفختان، وأنفه متورم، وبشرته محمرة بشكل دائم، وحركاته تنقصها الرشاقة والسلاسة. مشيته متخشبة كأن عظام وركيه متيبسة، ونظرته حذرة وغير مستقرة، ويداه المبقعتان بالأصفر من تدخين التبغ كانتا دائماً تتسللان إلى داخل جيوبه أو تعبثان بتلابيبه بطريقة عصبية.

حين نزل من المركب الصغير الذي نقله من السفينة البخارية إلى الشاطئ، استغرق مودي الكبير بعض الوقت لكي يفرد ظهره ويتغلب

على أوجاعه وتقلصات عضلاته، ويستعيد إحساسه بجسده. وأمر بإرسال أمتعته إلى فندق في شارع كامب، وصافح مدير الجمارك الذي تصادف وجوده بالقرب منه، وشكر المجدفين بخشونة على خدماتهم، وأخيراً اتجه إلى شارع ريفل شابكاً يديه خلف ظهره. سار الشارع بطوله ذهاباً على أحد جانبيه وإياباً على الجانب الآخر، مُقْطَباً في كل نافذة محلٍّ يمر به، متفحّصاً الوجوه في الشارع عن قرب، ولا يتسم لأحد. في هذا الوقت كان الجمهور الذي تجمّع خارج مبنى المحكمة قد تفرّق، والعربة المصفحة التي تحوي جثمان فرانسيس كارفر قد عادت إلى سي فيو، وخلت المحكمة وأُغلقت أبوابها. وبالكاد لمح مودي الكبير المبنى حين مرّ به.

بعد وقت طويل اعتلى درجات سلم مكتب بريد هوكتيكا، حيث أخذ دوره في الطابور الموجود داخل المبنى أمام نافذة مدير البريد. وفي انتظار دوره أخرج قطعة من الورق من داخل محفظته وفتحها بيد واحدة وفردها على صدره.

قال حين وصل إلى مقدمة الطابور: "أريد أن أرسل هذا إلى السيد والتر مودي".

قال مدير البريد: "بكل تأكيد. هل تعلم أين يقطن؟".

أثناء حديثه، دقّ جرس الكنيسة الويسيلية معلناً الساعة الخامسة.

قال مودي الكبير: "كل ما أعرفه هو أنه كان في هوكتيكا خلال الشهور الماضية".

"في المدينة؟ أم في الأخدود؟".

"في المدينة".

"في فندق؟ أم في خيمة؟".

"أظن في فندق، لكني لا أستطيع أن أكون متأكدًا. اسمه هو والتر مودي".

"هل هو صديق لك؟".

"إنه ابني".

قال مدير البريد وهو يسجل الاسم: "سأكلف غلامًا بالبحث عنه، وستدفع المصاريف المطلوبة حين نعثر عليه. سيتحتم عليك أن تدفع شلنًا مقدماً، لكن إن عثرنا عليه غداً فغالبًا ما سنعيد إليك ستة بنسات".

"حسنًا".

"هل تفضل مطروفاً، أم تفضله مُغلَقًا بختم؟".

قال الرجل: "مطروفاً، لكن انتظر لحظة، أود أن أقرأه مرة أخرى".

"تنحَّ جانباً إذن، ثم عُدْ إليَّ حين تكون مُستعدًّا. سأغلق الشباك بعد نصف ساعة".

انصاع إدريان مودي لما طُلب منه. ففرد الخطاب على سطح المكتب، ثم بأصابعه دفعه أقرب إلى الضوء.

هوكتيكا في السابع والعشرين من أبريل 66

والتر، أتوسَّل إليك أن تقرأ هذا الخطاب حتى نهايته، وتحفظ بحكمك علي شخصي حتى تنتهي من قراءته. من الختم البريدي على هذا الخطاب ستدرك أنني في هوكتيكا، مثلك. سأكون نزيلاً في فندق تمبرانيس في شارع كامب، وهو عنوان بلا شك سيصيبك ببعض الدهشة. فأنت تعرف منذ وقت طويل أن لي مزاجاً أبيقورياً. والآن أنا اتَّبَع طريق الجَلَد والصلابة. لقد أقسمت أنني لن أتعاطى نقطة

خمر واحدة في حياتي، ومنذ قطعْتُ هذا العهد على نفسي وأنا لم أحنث به. وعلى ضوء توبتي أستطيع أن أضع باختصار قائمةً مُختصرةً بنواياي الحقيقية. النوايا التي أعاقنتني عبوديتي للشراب عن رؤيتها، بل وشوْهتها، في السنوات الأخيرة. لقد تركت الجزر البريطانية بسبب الديون، والديون وحدها. شقيقك فريديريك لديه أحد المعارف في حقول الذهب في لورانس بأوتاجو، وحسب ما قاله فإن أعمال التنقيب هناك بدت مبشرةً بالخير؛ فقرّر فريديريك أن ينضمَّ إليه. وقد كنتَ أنتَ في روما، وكنت تنوي قضاء الشتاء هناك. لقد قرّرتُ أنا أن أسافر سرّاً، على أمل أن أعود قبل نهاية العام كرجل غني. أعترف لك أن هذا القرار له دافع يدعو للخجل، فهناك عدة رجال في لندن وأيضاً في ليغربول أردتُ بشدة أن أفرّ منهم. قبل رحيلي خصّصتُ مبلغ عشرين جنيهًا، وهو آخر مدخراتي، لزوجتي. علمتُ بعدها بفترة أن هذا المبلغ لم يصل لها أبدًا، لقد سرقه نفس الرجل الذي ائتمنته عليه وأوصيته بتسليمه إليها (الوغد بيرس هولاند، الذي أدعو الله أن يعيش مكللاً بالعار وأن يموت ميتة بائسة). حين اكتشفت هذا كنت بالفعل في أوتاجو، في النصف الآخر من العالم، وليس من الممكن أن أحاول الاتصال بأحد دون أن أخاطر بأن تتمّ مطاردتي، وحتى إدانتني، على خلفية جرائم لم يتم محاسبتني عليها، وديون لم أقم بسدادها؛ فلم أفعل أي شيء، واعتبرت أنني قد هجرتُ زوجتي، ودعوت الله أن يسامحني، واستمررت في العمل مع فريديريك في الحقول.

في عامنا الأول في أوتاجو كنا نكسب فقط تراب المصاريف. لقد سمعت أن الرجال القادمين من طبقات اجتماعية راقية يكون حظُّهم في التنقيب هو الأسوأ؛ لأنهم لا يستطيعون تحمُّل الصعاب كما تستطيع الطبقات الأفقر تحمُّله. وكان هذا بكل تأكيد حقيقياً في حالتنا. لقد عانينا كثيراً، وكثيراً ما فقدنا الأمل، لكننا ثابرنّا. ومنذ سبعة أشهر، عثر أخوك على قطعة ذهبية في حجم علبة النشوق، عثر عليها عالقة

بين حجرين كبيرين في منعطف جدول ماء. ومن هذه القطعة تمكّنّا من بناء ثروتنا بعد طول انتظار. ربما تتساءل لِمَ لَمْ نرسل هذه القطعة الذهبية إلى الوطن ومعها اعتذاراتنا ومباركاتنا لكم، وهذا سؤال جيد. أراد أخوك فريدريك أن يكتب لك منذ زمن طويل، وقد ألحَّ عليّ أن أحاول الاتصال بزوجتي المهجورة، وألحَّ حتى في أن أوجّه لها الدعوة لكي تنضمّ لنا هنا، لكنني قاومتُ ذلك. لقد قاومتُ أيضًا تلميحاته بأنّي لا بُدَّ أن أترك شيطان الشرب وأصلح من شأني. وقد دار بيننا الكثير من الجدل بخصوص هذا الأمر، وأخيرًا افترقنا بطريقة لا يمكن أن أقول إنها متحضّرة. أنا آسف لكنني لا أعلم أين فريدريك الآن. لقد كنتَ أنتَ دائمًا المتعلم في عائلتنا يا والتر. أنا أحسُّ بالعار تجاه الكثير من نواحي حياتي، لكنني أبدًا لم أحس بالعار من ناحيتك. وحين أقسمت على التوبة واجهتُ روحي الحقيقية. لقد رأيت نفسي على حقيقتها كرجل به ضَعْفٌ وبه جبن، رجل يُعْتَبَر فريسة سهلة للرديلة والخطيئة من جميع الأنواع. لكن إن كنتُ فخورًا بشيء واحد فهو أن أولادي ليسوا مثلي في هذه الجوانب السيئة. إنها متعة مؤلمة لأي والد أن يقول لابنه أنه رجل أفضل منه. وأؤكد لك أنني شعرت بهذه المتعة المؤلمة مرتين.

لا أستطيع أن أطلب منك إلا أن تسامحني، كما لا بُدَّ لي أن أطلب من فريدريك أن يسامحني، وأن أعِدَّكم بأن لقاءنا القادم -إذا ما سمحتَ لي بلقاء قادم- سيتم بدون مشروبات. حظًا طيبًا لك يا والتر. واعلمُ أنني قد واجهت روحي الحقيقية وأني أكتب هذا كرجل متنبه ولا يتعاطى الشراب. واعلمُ أيضًا أنه حتى أكثر الردود إيجازًا منك سيُسعدُ كثيرًا قلب

أبيك

إدريان مودي

قرأ الخطاب مرتين، ثم طواه ووضع في المظروف، وكتب اسم ابنه بحروف كبيرة على ظهر المظروف. وارتعشت يده وهو يغطي قلمه بغطائه.

Φ

"السيد فروست يودُ أن يقابل السيد ستينز".

قال ديفلن: "أدخله".

كان تشارلي فروست يمسك بورقة في يده. وقال وهو يبدو عليه الاعتذار: "النفقات".

قال ديفلن: "تفضل بالجلوس".

قال ستينز، الذي كان يبدو شديد التعب: "ما حجم الخسارة يا سيد فروست؟".

قال فروست وهو يشدُّ كرسياً: "أخشى أن الخسارة كبيرة. القاضي كيمب قضى بأن نصيب فرانسيس كارفر المقدَّر بألفين وثمانية وأربعون جنيهاً يجب احترامه. لكن هناك صعوبة واحدة، فمجموعة جاريثي ستستردُّ بالكامل المبلغ الذي تمَّ سحبه منها لحساب جودسبيد، وباقي المبلغ سيعود إلى السيدة كارفر باعتبارها أرملة كارفر".

قال ديفلن: "كيف حالها؟".

قال فروست: "تحت تأثير المهدي. أعتقد أن الدكتور جيليز والسيد بريتشارد يمرّضانها، آخر مرة رأيتهما كانوا يعيدونها إلى الواي فيرر فورتنشن"، والتفت مرّةً أخرى إلى ستينز وفرد الورقة على المكتب وقال: "هل لي أن أسرد لك المصاريف باختصار؟".

"نعم".

"بما أن القاضي قد حكم عليك باعتبارك مُذنبًا؛ فأنت مسؤول عن كل المصاريف القانونية، بما فيها المصاريف التي تكبدها السيد فيلوز في الشهور الماضية، وأيضًا عمولة السيد نيلسن التي تم استثمارها في سجن سي فيو كما قد تتذكر، فقد حكم القاضي بأنه بما أنها قد تمَّ التَّبرُّع بها للأعمال الخيرية، فلن يتم استعادتها. مجموع كل هذا هو مبلغ أعلى قليلًا من خمسمائة جنيهه".

قال ستينز: "ويزيد المبلغ بمقدار النصف، ثم يزيد مرة أخرى بمقدار النصف".

"نعم، أخشى أنك ستجد أن هذه الصيغة معتادة بالنسبة للمصاريف القانونية. هناك المزيد. لقد قام الكثير من المنقَّبين بمقاضاتك بتهمة إلحاق الخسائر، في كانيير وفي أخدود هوكتيكا. لم أحصل على المبلغ الإجمالي بعد، لكنني أخشى أن يكون عشرات من الجنيهات، وربما مئات".

"هل هذا كل شيء؟".

قال فروست: "بالنسبة للمصاريف الرسمية، نعم. لكن هناك عدة أمور غير رسمية يجب مناقشتها. هل لديك وقت؟".

قال ستينز لديفلن: "هل لدينا وقت؟".

قال ديغلن: "لدينا حتى تصل العربة إلى هنا".

قال فروست: "سأوجز الأمور. كما تعرف، فإن الذهب الذي تمَّ استخراجُه من فستان أنا البرتقالي لا يزال مخزونًا تحت سرير السيد چاسكوين. أنا مدينة للسيد مانرينج بمبلغ يقدر بمائة وعشرين جنيهًا، وقد فكَّرت أن تسدُّ هذا المبلغ بالذهب الذي تمَّ استخراجُه من الفستان البرتقالي. لكنني خطر لي أنه ربما تودُّ أن تسدِّد أنت دَيْنَها للسيد مانرينج، وتُرْتَّب الأمر بحيث يُسدِّد السيد مانرينج من

نصيبك في الثروة كبند من البنود. بهذه الطريقة سيكون لدى أنا
رصيد لتعيش منه خلال الأشهر الذي ستقضيه أنت في السجن".
قال ستينز: "حسنًا. نعم، افعل ذلك كما قلتّه".

سجّل فروست ملحوظة بهذا. ثم قال: "الأمر الثاني هو العلاوة
الخاصة بالسيد كيسي. علينا أن نحافظ على قصة أن الثروة أتت
من منجم الأورورا، أتفهمني، وكل رجل يساهم في العثور على ثروة
يستحق نصيبًا منها".

قال ستينز: "بالطبع، علاوة".

استمر فروست في حديثه: "لقد نما إلى علمي أن السيد كيسي يرغب
في العودة إلى الصين بمجرد أن ينتهي عقده مع شركته، بالإضافة إلى
ذلك فهو يريد أن يعود لوطنه وفي جيبه مبلغ سبعمائة وثمانية وستين
شلنًا. وتبعًا للسيد مانرينج فإنه قد حدّد هذا المبلغ بالتحديد منذ
وقت بعيد، أعتقد أنه يمثّل بالنسبة له قيمة شخصية أو روحية من
نوع ما".

في الأحوال العادية فإن مثل هذا الأمر الغريب كان ليسعد إيميري
ستينز لأقصى درجة، لكنه لم يبتسم. لكن ديفلن صاح، "سبعمائة
وثمانية وستون شلنًا؟".

قال فروست: "نعم".

قال ديفلن: "يا له من مبلغ دقيق. أهو ينذر بشيء ما... هل
تعلم؟".

قال فروست: "أخشى أنني لا أعلم. لكن إن كان لي أن أقترح..."،
والتفت مرة أخرى إلى ستينز، "ربما تودّ أن تكون العلاوة التي تقدّمها
للسيد كيسي كافية لتحقيق هذا الطموح".

"كم يبلغ هذا المبلغ بالجنهات؟".

قال فروست: "ثمانية وثلاثون جنيها وثمانية شلنات. بالتقريب واحد في المائة من أربعة آلاف من الجنيهاات، وواحد في المائة هي نسبة معقولة للعلاوات في حقول الذهب، خاصة بالنظر إلى أن السيد كيي رجل صيني. وكلفتة لإثبات حسن النوايا، ربما ترغب في التفكير في دفع المبلغ الكافي لإعفائه من تكليفه، وترتيب عودته لبلده".

هزَّ ستينز رأسه: "أنا لم أفكر فيه أبداً، أليس كذلك؟".

قال فروست: "مَن؟".

قال ستينز: "السيد كيي، أنا ببساطة لم أفكر فيه أبداً".

"حسناً، لقد قدّم لنا جميعاً عصر اليوم معروفاً كبيراً حين صان سرّنا، والآن لدينا فرصة لنزد إليه معروفه. لقد تحدّثت مع السيد مانرينج بالفعل. وهو على استعداد لقبول إنهاء عقد السيد كيي مبكراً، وقام بحساب المبلغ الذي يحتاجه بناء على طلبي لذلك. إذا ما دفعت للسيد كيي علاوة مقدارها أربعة وستون جنيهاً سوف يتمكن من تغطية جميع المصروفات بالكامل".

رفع ستينز كتفه إلى أذنيه وتنهّد، وقال: "نعم. حسناً".

"والآن، الأمر المالي الثالث". كحَّ فروست كحّة خفيفة. "حين عثرنا على الثروة في يناير الماضي قدّم لي السيد كلينش هدية مقدارها ثلاثون جنيهاً. وأخشى أنني قد أنفقتها كلها، وليس لديّ الإمكانية لأن أعيد قرشاً واحداً منها. أتساءل إن كان يمكنني أن أفرض نفسي على كرمك وأسجّل هذه الثلاثين جنيهاً كمصاريف بنكية". وقد قال كل ما سبق بمنتهى السرعة، ثم أضاف: "كقرضٍ بالطبع، وسأسدّده لك في الوقت الذي سيتم الإفراج فيه عنك".

نهض ديفلن قائلاً: "ها قد وصلّت العربة".

قال ستينز لفروست: "هذا جيد. سددها كما قلت. الأمر ليس مهماً".

تنفّس فروست الصعداء. "شكرًا جزيلاً لك يا سيد ستينز". وراقبهما بينما ديفلن يصطحب ستينز من الزنزانة. وحين وصلا للبواب قال وهو يرفع صوته قليلاً: "غداً صباحاً سأرسل لك إيصالاً مُفصّلاً".



حين دقّت أجراس الكنيسة معلنة الساعة السابعة كان والتر مودي قد طوى آخر قطعة من ملابسه الجيدة ووضعها في صندوقه وأغلق الغطاء وقفل المزلاج. وقام من مكانه وتحسّس فتحة بنطلونه القطني الأصفر، وشد حزامه، ولمس المنديل الأحمر الذي عقده حول رقبته، وأخيراً مدّ يده ليتناول معطفه الصوفي الذي يصل حتى ركبته، وقبّعته الثقيلة المرتفعة بحافتها العريضة الشمعية. وارتدى كليهما ورمى صرّته على ظهره وغادر الغرفة وأزال المفتاح من فتحة الباب.

خلال غيبته سيتم حفظ صندوقه لدى مخزن كلارك على رصيف جيبسون، وسيتم توجيه بريده الخاص إلى نفس العنوان، في حالة تلقيه لأي بريد. ولكي يسدّد مصاريف هذه الخدمة قام بترك ثلاثة شلنات فضية في مكتب استقبال فندق كراون، مع مفاتيحه. ودسّ شلنًا آخر في يد الخادمة في فندق كراون وهو يضم يدها الصفراء الصغيرة بين يديه ويشكرها بدفء شديد على خدماتها وكرم ضيافتها له خلال مدة الثلاثة أشهر. وغادر الكراون متّخذًا الممرّ الضيق الذي يقود إلى الشاطئ، وعلى الفور بدأ يسير ناحية الشمال، وصرّته تتأرجح على ظهره، وخيمته الملفوفة تخبّط ساقيه من الخلف مع كل خطوة يخطوها.

وبعد أن ابتعد حوالي ميلين اثنين من هوكتيكا، لاحظ أنه يمشي على بُعد حوالي عشرة خطوات من رجل آخر، مرتديًا هو الآخر

زِيَّ المنقَّب المعتاد، نظر مودي خلفه وحيًا الاثنان بعضهما البعض بإيماءة.

قال الرجل الآخر: "مرحبًا، هل تتجه شمالًا؟".

"نعم".

"هل تتَّجه نحو الشواطئ؟ في طريق تشارلستون؟".

"ذلك ما أتمناه. هل نحن نتَّجه في نفس الاتجاه؟".

قال الرجل الآخر: "يبدو ذلك، أتمانع إن مشيت معك؟".

قال مودي: "على الإطلاق. سأسعد بالصحبة. اسمي والتر مودي. والتر".

قال الرجل الآخر: "بادي ريان. لديك لكنة اسكتلندية يا والتر مودي".

قال والتر مودي: "لا أستطيع أن أنكر ذلك".

"لم يحدث أن صادفتني أي مشكلة مع رجل اسكتلندي".

"وأنا لم يحدث أن تشاجرت مع رجل إيرلندي".

قال بادي ريان بابتسامة: "هذا يجعلك فريدًا من نوعك. لكني أقول لك الحقيقة، لم يحدث أن صادفتني أي مشكلة مع رجل اسكتلندي".

"أنا سعيد لهذا".

مشيًا سويًا في صمت لبعض الوقت.

قال بادي ريان: "أعتقد أن كلينا بعيد عن وطنه بمسافة كبيرة".

قال مودي وهو يحدِّق من بين الأمواج إلى البحر المفتوح: "أنا بعيد عن المكان الذي وُلِدْتُ فيه بمسافة كبيرة".

قال بادى ريان: "حسنًا، إن لم يكن بإمكان المكان الذي أتينا منه أن يكون وطنًا لنا، إذن فسيكون الوطن هو ما سنصنعه حيث نذهب".
قال مودي: "هذا شعار جيد".

أومأ بادى ريان وقد بدا مبتهجًا، "هل تخطط للبقاء في هذا البلد إذن يا والتر؟ بعد أن تحفر بعض الحفر وتجمع لنفسك كومة من الذهب؟".

"أتوقّع أن حظي هو ما سيقرّر هذا".

"أترى أنه من الحظّ الجيد أن تبقى، أم أن تعود؟".

قال مودي: "أرى أنه من الحظّ الجيد أن تتاح لي الفرصة للاختيار". وفوجئ مودي بما قاله؛ لأن هذه لم تكن الإجابة التي قد يجيب بها على نفس هذا السؤال منذ ثلاثة أشهر مضت.

نظر إليه بادى ريان من جانب عينه وقال: "ما رأيك بأن نتبادل حكاياتنا؟ هذا سيجعل الطريق أقصر".

"حكاياتنا؟ أتعني تاريخنا؟".

"نعم... أو الحكايات التي سمعتها، أو أيًا كان ما تحب أن تحكيه".

قال مودي ببعض الجمود: "حسنًا. أتودّ أن تبدأ أنت، أم أبدأ أنا؟".

قال بادى ريان: "ابدأ أنت. احكِ لنا حكاية، وتمعّن في نسجها، حتى ننسى أقدامنا، ولا نعود نلاحظ أننا نمشي".

ظل مودي صامتًا لبعض الوقت، يتساءل كيف يبدأ حكايته. ثم قال: "أنا أحاول أن أختار ما بين الحقيقة كلها، وبين أي شيء آخر غير الحقيقة. أخشى أن تاريخي من النوع التي لا يحتمل أن أقوم بالاثنتين معًا".

قال بادي ريان: "انظر، ليس بنا حاجة للحقيقة على الإطلاق. من دُكر أي شيء عن الحقيقة؟ في هذا البلد أنت رجل حرّ يا والتر مودي. أخبرني بأي تفاهات تودُّ أن تخبرني بها، وإذا ما ظللت تحكي حتى نصل إلى التّقاء الطرق في كومارا، سأعتبر أن حكايتك بديعة للغاية".

التقاء الشمس والقمر (القمر الجديد)

وفيه تقع السيدة ويلز على اكتشافين مثيرين للاهتمام.

حين عادت ليديا ويلز إلى هاوس أوف ماني ويشيز بعد الساعة السابعة بقليل، أخبرتها الخادمة أن أنا ويذريل قد استقبلت ضيفًا في غيابها، وهو السيد كروسبي ويلز، الذي عاد على غير المتوقع من أراضي أوتاجو المرتفعة بعد عدة شهور من الغياب. وأخبرتها الخادمة أن السيد ويلز مرتبطٌ بميعاد في شارع جورج هذا المساء، لكنه خرج مؤكَّدًا على عودته في صباح اليوم التالي. على أمل أن تتاح له فرصة لقاء زوجته.

فكَّرت السيدة ويلز في الأخبار التي تلقَّتها. وقالت: "كم مكث من الوقت يا لوسي؟".

"ساعتين يا سيدتي".

"من متى حتى متى؟".

"من الثالثة حتى الخامسة".

"والآنسة ويذريل...؟".

قالت لوسي: "لم أزعجها. إنها لم تَرِنَ الجرس منذ رحيله، وأنا لم أزعجهما حين كان هنا".

قالت السيدة ويلز: "حسنًا فعلت. وإن عاد كروسبي غدًا صباحًا وكنت أنا لأي سبب غير موجودة، اذهبي به لغرفة الآنسة ويذريل كما فعلت".

"حسنًا يا سيدتي".

"ويكون من الأفضل إذا طلبتِ لنا صندوقًا متنوعًا من الخمور من متجر النبيذ والخمور غدًا صباحًا".

"حسنًا يا سيدتي".

"ها هي فطيرة من أجل عشائنا. احرصي على تسخينها جيدًا، ثم أرسلها للطابق الأعلى. سنتناول عشاءنا في الثامنة على ما أعتقد".

"حسنًا جدًا يا سيدتي".

رَبَّتْ ليديا ويلز روزناماتها وخرائط النجوم بين يديها، وألقت نظرة فاحصة على صورتها في المرأة المعلقة في الصالة، ثم ارتقت السلام إلى غرفة آنا حيث طرقت الباب بنشاطٍ وفتحته بدون انتظار لرد. وقالت بدلاً من التحية: "أليس هذا أفضل، أن تصبحي شبعانة، وجافة، ونظيفة؟". كانت آنا تجلس في النافذة. وقفزت واقفة حين دخلت السيدة ويلز إلى الغرفة، واحمرَّ وجهها بشدة وقالت: "أفضل كثيرًا يا سيدتي. إنك في منتهى اللطف".

قالت السيدة ويلز وهي تضع كتبها على الطاولة بجانب الأريكة: "لا يوجد شيء اسمه في منتهى اللطف". ونظرت سريعاً إلى المنضدة الجانبية حيث زجاجات الشراب، وقامت في عقلها بحساب الزجاجات، ثم التفتت لآنا وابتسمت: "كم سنمرح هذا المساء، سأرسم لك الخريطة النجمية الخاصة بك".

أومأت آنا. كان وجهها لا يزال محمراً للغاية.

أكملت السيدة ويلز: "إنني أرسم خريطة نجمية في كل مرة أصنع صداقة جديدة. سنحظى بوقت ممتع ونحن نرى ما يخبئه الحظ لك. وقد اشتريت فطيرة من أجل عشائنا، أفضل فطيرة يمكن الحصول عليها في ديونندن. أليس هذا حسناً؟".

قالت آنا وهي تخفض نظرها إلى الأرض: "حسنٌ جداً".

بدا على السيدة ويلز أنها لم تلاحظ إحراج الفتاة، وقالت وهي تجلس على الأريكة وتشد أكبر الكتب ناحيتها: "والآن، ما هو تاريخ ميلادك يا عزيزتي؟".

أخبرتها آنا.

تراجعت السيدة ويلز، ووضعت يدها فوق قلبها، وقالت: "لا!".

"ماذا؟".

"كم أن هذا غريب للغاية!".

بدا على آنا الرعب وقالت: "ما هو الشيء الغريب".

قالت السيدة ويلز ببطء: "لديك نفس تاريخ ميلاد الشاب الذي قابلته..."، ثم قالت فجأة: "كم عمرك يا آنسة ويذريل؟".

"واحد وعشرون".

"واحد وعشرون؟".

"وقد وُلِدَتِ في سيدني؟".

"نعم يا سيدتي".

"في المدينة نفسها؟".

"نعم".

ملأت الدهشة وجه ليديا ويلز، وأضافت: "هل تعرفين ساعة ميلادك بالضبط؟".

قالت أنا ووجهها يحمرُّ مرة أخرى: "أعتقد أُنِي وُلِدْتُ ليلاً. هذا ما تقولهُ أُمِّي. لكنني لا أعلم الساعة بدقة".

صاحت السيدة ويلز: "هذا مذهل، إنني مذهولة! نفس تاريخ الميلاد! وربما حتى تحت نفس السماء!".

قالت أنا: "أنا لا أفهم".

وفي صوت منخفض متأمر، وضَّحت ليديا ويلز الأمر. إنها تقضي فترة بعد الظهر في فندق في شارع جورج، حيث تقرأ الطالع مقابل رسمٍ بسيط. كان زبائنُها في الأغلب من الشباب الذين هم على وشك أن يجربوا حظهم في حقول الذهب. وفي عصر هذا اليوم، في الوقت الذي استمتعت فيه أنا بحمَّامها، قامت بقراءة حظ شاب. والسائل (وهكذا أسمته السيدة ويلز) يبلغ الحادية والعشرين من عمره، وقد وُلِدَ في سيدني، في نفس يوم ميلاد أنا! لم تستطع أنا أن تفهم سرَّ ابتهاج السيدة ويلز. وسألتها: "وماذا يعني هذا؟".

انخفض صوت ليديا ويلز لحدِّ الهمس، وقالت: "ماذا يعني هذا؟ إنه يعني أنه ربما أنت وروحٌ أخرى تتشاركان في مصير واحد يا آنسة ويذريل!".

قالت أنا: "أوه".

"ربما يكون لديك توأم روح نجمي طريقه في الحياة يطابق طريقك!".

لم تنبهر أنا بالمقدار الذي تمتته السيدة ويلز. وقالت مرة أخرى: "أوه".

قالت السيدة ويلز: "هذه الظاهرة نادرة الحدوث".

قالت أنا: "لديّ ابن عم لديه نفس تاريخ ميلادي، ولا يمكن أن نكون قد تشاركنا نفس المصير، لأنه مات".

قالت السيدة ويلز: "ليس من الكافي أن يكون اليوم مشترَكًا. لا بُدَّ وأن تكونا قد وُلِدْتُمَا في نفس الدقيقة، ونفس خطِّي الطول والعرض، لا بُدَّ وأن تكونا قد وُلِدْتُمَا تحت نفس السماء. وقتها فقط تصبح خرائطكما متطابقة؛ لأنه حتى التوائم يولدون وتفصلهم بعض الدقائق، وخلال هذه الدقائق تكون السماوات قد تغيرت قليلًا وتغيَّرت الكوكبات".

قالت أنا مقطَّبةً: "أنا لا أعلم بالضبط الدقيقة التي وُلِدْتُ فيها". قالت السيدة ويلز: "هو أيضًا لم يكن يعلم، لكنني مستعدة أن أضع نقودي رهانًا على حقيقة أن خرائطكما متطابقة؛ لأننا نعلم بالفعل أن كليكما لديه شيء مشترك".

"ما هو؟".

قالت السيدة ويلز بانتصار: "أنا. في السابع والعشرين من أبريل عام 1865 وصل كلاكما إلى ديوندن، وكلاكما رسَّمت خرائط ميلادكما النجمية السيدة كروسبي ويلز".

وضعت أنا يدها على حلقها وهمست: "ماذا؟ السيدة... ماذا؟".

أكملت ليديا ويلز بنفس الحماس: "وهناك المزيد من التطابقات! أتى مسافرًا بمفرده، تمامًا مثلك، ووصل هذا الصباح، تمامًا كما وصلتِ

أنت. وربما قابل صديقًا في ظرفٍ ما، تمامًا كما فعلتِ أنتِ، حين قابلتيني!". بدت أنا كأنها على وشك أن تتقيأ. "اسمه إدوارد، إدوارد سوليفان. أوه، كم أتمنى لو كنت قد أحضرته معي، أتمنى لو كنت أعلم ما أعلمه الآن. ألا تتحرّقين شوقًا للتعرف عليه؟".

همست أنا: "نعم يا سيدتي".

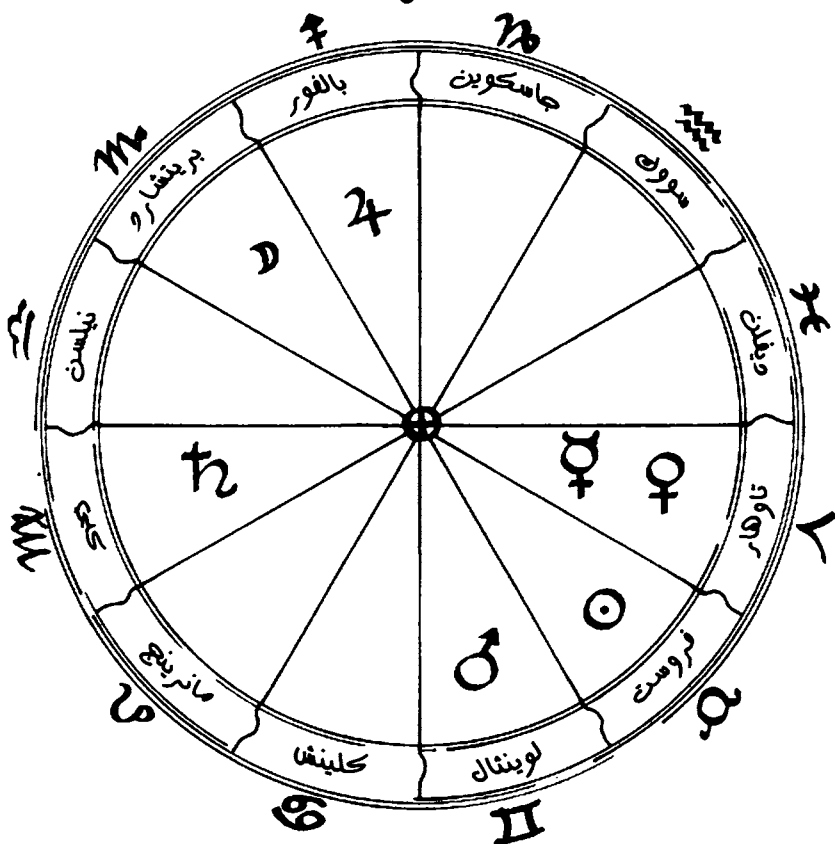
قالت ليديا ويلز وهي تنظر إليها: "يا له من أمر غريب، إنه أمر غريب جدًا!". أتساءل ما الذي سيحدث إذا ما حدث وتقابلتما".

الجزء الخامس

الأثقال والمال

12 مايو 1865

45° 52' 0" ك 170° 30' 0" ع



فضة

وفيه يطلب كروسبي ويلز طلبًا، وتتصرّف ليديا ويلز بطيش، وتشهد أنا مشهدًا قبيحًا.

عانت أنا من الشعور بالعار حين اكتشفت أن الرجل الذي قضت معه عصر يوم وصولها إلى ديوندن، هو في الواقع سيد المنزل، وتزايدت حدّة هذا الشعور في الأيام والأسابيع التالية؛ فقد أقام كروسبي ويلز في غرفة النوم الخلفية للمنزل رقم خمسة وثلاثين شارع كمبرلاند؛ وبالتالي، أصبحت تراه كل يوم.

كانت أنا واعية بشكل دائم للانطباع الذي تركته. ومتألّمة للغاية بسبب هذا الوعي، وكنتييجة لهذا الإحساس الدائم بنفسها أصبحت رؤيتها لنفسها سلبية لدرجة خيالية. وانتابها إحساس مزعج لا يزول بأن هناك جانبًا من شخصيتها ظاهر للعيان، لكنه خفيٌّ عنها هي

نفسها، ولم يفلح أي قدر من الإقناع، أو الإثبات، أو المجاملة، في التخفيف من حزنها. إن تبادل الحديث مع بعضهم أصبح متأكدًا من أن الصورة التي رسموها لها صورة سلبية وملائمة لها تمامًا، ولأن العار الذي يملؤها من هذا الاستهجان الذي تخيلته عار حقيقي، كانت تبذل المزيد من الجهد لتنال رضا جميع مَنْ يقابلونها، وتحسُّ أن نواياها فيما تفعله واضحة تمامًا لمن حولها.

في حقيقة الأمر فأنا المؤمنة باتفاق الجميع على انتقادها كانت لتندهش إن علمت بمدى اختلاف انطباعات مَنْ يقابلونها عنها. فالبساطة الشديدة التي تلوّن حديثها معظم الوقت أوحى لبعضهم أن لديها حصيلة لا يستهان بها من المعتقدات الخاصة. وأنها إن عبرت بصراحة عن تلك المعتقدات الخاصة فهذا سيوحي بقدر مُقلِق من انعدام الأنوثة. أما البعض الآخر فرأى أن حديثها بسيط غير متكلف، وأنه لهذا السبب منعش للغاية. وكذلك اختلفوا في تفسير ميلها للتحديق في العالم من حولها، فالبعض رآه كدليل على الخوف، والبعض الآخر رآه دليلًا على التفكير والتدبّر. وبالنسبة لكروسي ويلز فهي كانت، وبمنتهى البساطة، حلوة، وقد وجد خجلها الشديد مسليًا للغاية، وكثيرًا ما قال لها: "ستبلين بلاء حسنًا في مخيّمات الذهب يا فتاتي؛ فأنتِ نسمة هواء منعشة. أنتِ نقيّة، غير ملوّثة، ليس هناك أسوأ من امرأة ردودها جاهزة. ليس هناك أسوأ من امرأة لم تُعد تستحي".

أمّا ليديا ويلز، المرأة التي تحوي جعبتها الكثير من الردود الجاهزة، والتي نادرًا ما استحت، فقد قلّ تواجدتها في المنزل رقم خمسة وثلاثين شارع كمبرلاند منذ عودة زوجها غير المتوقّعة، كانت تغادر المنزل يوميًا قبل الظهر ولا تعود إلا عند الغسق، حين تفتح صالة القمار أبوابها. وفي غيابها كان ويلز يظل قابعًا في غرفة النوم الصغيرة في الطابق الأول، حيث يتمُّ ملء أوعية الخمر المصفوفة على

المنضدة الجانبية بصفة يومية. كان الشراب يليّنه. ووجدته أنا لطيفًا أكثر ما يكون وقت العصر، حين تُحيله ثلاثة أو أربعة كؤوس من الويسكي إلى مفكر متأمل، لكنه ليس حزينًا بعد.

وقد اتّضح أن ويلز لم يعد يرغب في العودة إلى حقول الذهب في دنستن. وقد علمت أنا أنه عثر على مقدار ضخم من الذهب العام الماضي، وأنه الآن يودُّ استثمار هذه الثروة، كان يوازن بين العديد من الاستثمارات في ديوندين وخارجها، وأمضى وقتًا طويلًا مُنكبًا على الصحف المحلية متتبّعًا أسعار الذهب والصعود والهبوط في أسعار الأسهم المختلفة. وكان يقول: "تُرى، أفضّليني أكثر إن أصبحت مربيًا أغنام أم إن عملت في مجال الأخشاب يا آنسة ويذريل؟"، ثم يضحك طويلًا على احمرار وجنتيها.

ترى هل لاحظت السيدة ويلز الحرج الذي يثقل على أنا؟ ترى هل خَمَّنت سببه؟ لم تعرف أنا. ظلّت المرأة الأكبر عمرًا دافئة في تعاملها، وظلّ حديثها يحمل نبرة المؤامرة، تمامًا كما كان يوم التقيا للمرة الأولى، لكن بدا لانا أن سلوك المرأة قد اكتسب بعض البُعد، كأنها تحصّن نفسها داخلياً من تصدّع وشيك لعلاقتها. واكتسبت علاقتها بزوجها نفس السمة. فإن تحدّث ويلز في أي موضوع، شخّصت السيدة ويلز ناحيته بلا ابتسام، ثم حوَّلت مسار الحديث إلى موضوع آخر. وقد كان لهذه التعبيرات البسيطة عن الاستياء أثرٌ مدمرٌ على أنا، وكنتييجة له كافحت أنا أكثر لكي تكون عند حُسن ظنٍّ سيدتها. وقد تأكَّدت الآن من أنها، وكما أخبرها كروسبي وويلز، قد انضحك عليها، وكل الطاقة التي قد تحتاجها لمواجهة سيدتها بخصوص موضوع إيزابيث ماكاي الخيالية (التي لم يتمَّ ذكر اسمها مرة أخرى) وجهتها أنا إلى عتاب نفسها والاشمئزاز منها، وفي الإيمان بأنها، وحدها، عليها التكفير عمّا اقترفته هي وكروسبي وويلز.

تمَّ الكشف عن طبيعة أعمال هاوس أوف ماني ويشيز لآنا بهدوء وتدرّجياً. في صبيحة اليوم التالي لوصولها إلى ديونندن، أرتها السيدة ويلز صالون الطابق الأسفل، وقد وقعت آنا في غرامه على الفور، بمقصوراته المخملية، والزجاجات الخضراء المرصوفة وراء المشرب، ومناضد لعب الورق، وعجلة القمار، والكشك الخشبي الصغير ذي الأبواب القصيرة التي تفتح في الاتجاهين حيث تجلس السيدة ويلز لقراءة الطالع بأجر. بدت الغرفة في ضوء النهار كأنها مهجورة، وأوحت ذرّات الغبار المحبوسة في أشعة الشمس الهابطة من النوافذ العالية، بالصبر والمقدرة. وتلبية لدعوة سيدتها، اعتلت آنا المليئة بالرهبة المنصة الخشبية ولقّت عجلة القمار وراقبت الإبرة المطاطية تطقطق متّجهةً ناحية الجائزة الكبرى وتتجاوزها متوقفة بعدها بقطعة أخيرة.

لم توجّه لها السيدة ويلز الدعوة لحضور الحفلات المسائية فوراً. ومن نافذة غرفها راقبت آنا الرجال يصلون، ويترجّلون من مركباتهم، ويخلعون قفازاتهم، ويخطون عبر الممر ويطرقون الباب، بعد ذلك بقليل يبدأ دخان السيجار في التسرّب عبر ألواح أرضية غرفتها، مانحاً هواءها نكهة التوابل اللاذعة، ومُحيلاً ضوء المصباح إلى اللون الرمادي. وبحلول التاسعة تعلو همهمة الحاضرين إلى صخب يتخلّله بعض الضحكات والتصفيق. والأصوات التي تصل لأذن آنا عبر الأرضية تزداد وضوحاً كلّما انفتح الباب الفاصل بين الحاضرين وردهة الطابق السفلي؛ فتمكّن وقتها من تمييز الأصوات المختلفة. ووصل فضولها لذروته، وبعد عدة أيام وبترددٍ شديد واعتذارات أشد، سألت السيدة ويلز إن كانت قد تسمح لها بالعمل على المشرب. وأصبحت تقوم بهذا كل ليلة، ووضعت السيدة ويلز قاعدتين لعملها: أولهما أن لا يخاطبها الزبائن بشكل مباشر، وثانيهما أنها لم يكن مسموحاً لها بالرقص.

وفسّر لها ويلز: "إنها ترفع قيمتك. فكلّما طال انتظارهم لك، كلما أتوا يطلبونك حين تُعرّضين في السوق".

انفجرت السيدة ويلز: "أوه يا كروسي. لن يُعرض أحد في السوق. لا تَكُن سخيفًا".

ويلز: "الزراعة. ما رأيك بهذا المشروع؟ حيث أصبح مُزارعًا، وتصبحين زوجة المزارع". وأضاف مخاطبًا أنا: "لا بأس بالأمر. أُمي العزيزة رحمها الله كانت عاهرة".

السيدة ويلز: "إنه يحاول إخافتك. لا تستمعي له".
آنا: "أنا لست خائفة".

ويلز: "إنها ليست خائفة".

السيدة ويلز: "ليس هناك ما يستوجب الخوف".

وفي الواقع كانت آنا منبهرة بالفتيات الراقصات. وكُنَّ لا يبالين بها، وإن حدث ونادينها كن ينادونها باسم سيدني، أو ميناء چاكسون، وهي لم تملك من الكبرياء ما يكفي لتحسن بالهانة. وتمنّت لو اكتسب سلوكها مثلهن هذه المسحة من الضجر اللامبالي. كنت يجلبن طلبات الضيوف لاعبي الورق، وينتظرن حتى تُصَفَّ أنا الكئوس وتصب فيها الشراب. ويطلقن على الويسي بالياه "صبة ورشة" وعلى الويسي الصافي "صبة جامدة". حين تُعدُّ الكؤوس يسندن الصينية إلى خصورهن، أو يرفعنها فوق رؤوسهن ويتمايلن مبتعداتٍ بين زحام الحضور، تاركات خلفهن الرائحة الناعمة لطلاء الوجه والعطور.

في الثاني عشر من مايو، استيقظ سكان المنزل رقم خمسة وثلاثين شارع كمبرلاند مبكرًا. ففي المساء سيقم هاوس أوف ماني ويشيز حفلة على شرف بعض ضباط البحرية والسادة العاملين بالملاحة البحرية، وهناك الكثير من المهام الواجبة استعدادًا لهذا الحدث

الكبير. اتفقت السيدة ويلز مع عازف كمان على إحياء الحفلة، وطلبت الليمون وخمر الصنوبر والروم ومئات اليارات من الحبال لقصّها وجدلها في أكاليل لتزيّن منتصف كل منضدة بإكليل مُضَفَّر.

وقالت لآنا: "سأصنع الإكليل الأول كنموذج لك، ويمكنك أن تصنعي الباقي مثله بعد الظهيرة، سأرشدك خلال الخطوات، وأريك كيف نربط نهايات الحبال".

ويلز: "يا لخسارة الحبال!".

أكملت السيدة ويلز كأنه لم يقل شيئاً: "ستبدو الأكاليل فاتنة للغاية، الحفلات ذات الطابع الخاص تتطلب زينة كثيرة. وإذا تبقت بعض الحبال، يمكننا تعليقها كزينة خلف المشرب".

كانوا يفطرون سوياً، وهو حدث نادراً ما حدث، فويلز نادراً ما استيقظ قبل الظهر، والسيدة ويلز عادة ما تغادر المنزل حين تستيقظ آنا. وبدت السيدة ويلز متوتّرة، ربما بسبب الحفلة.

آنا: "ستبدو الأكاليل خلابة".

كان ويلز متعكّر المزاج: "وماذا بعد؟ أنقيم حفلة للمُنقّبين عن الذهب، وتزيّنين كل منضدة بمنخل تصفية المعدن، وتحفرين قناة صرف من المشرب؟ وتكون حفلة للرجال العاديين، حفلة على شرف السادة الغير مهمين.. ما رأيك في حفلة كهذه؟".

السيدة ويلز: "آنا، هل تناولتِ ما يكفي من الخبز؟".

آنا: "نعم يا سيدتي".

غيّرت السيدة ويلز موضوع الحديث. "أتعلمون؟ سيحضر الحفلة رجلٌ حاصل على وسام شرفي. إنها المرة الأولى التي أستضيف فيها أحد أبطال البحرية. يجب أن نطلب منه أن يحكي لنا الحكاية كلها، أليس كذلك يا آنا؟".

أنا: "نعم".

"اسمه كابتن راكسورثي. إنه حاصل على وسام فيكتوريا، أتمنى أن يتزين به حين يأتي. ناولني الزبدة من فضلك".

ناولها ويلز الزبدة. وبعد لحظة قال: "هل لديك عدد اليوم من الويتنس؟".

السيدة ويلز: "نعم، لقد قرأتها بالفعل، لم يكن بها ما يستدعي الانتباه. جرائد يوم الجمعة دائماً ما تكون قليلة الأخبار".

ويلز: "أين هي؟ أين الجريدة؟".

السيدة ويلز: "أوه، لقد أحرقتها".

حدّق فيها ويلز: "الوقت لا يزال صباحاً".

أطلقت ضحكة صغيرة: "أعلم تماماً أنه الصباح يا كروسبي. لقد استخدمتها في إيقاد المدفأة في حجرة نومي، هذا كل ما في الأمر".

اعترض ويلز: "إنها التاسعة صباحاً. المرء لا يحرق جريدة الصباح في التاسعة صباحاً. خاصة وأني لم أتصفّحها بعد. سيتحتّم عليّ أن أخرج لأشتري غيرها".

السيدة ويلز: "وقُرّ على نفسك الستة بنسات. أخبرتك أنه لم يكن بها سوى بعض النميمة. لا شيء يستدعي الانتباه"، وألقت نظرة على الساعة. لاحظت أنها تنظر للساعة للمرة الثانية خلال عدة دقائق.

ويلز: "أحب النميمة. وأنتِ تعلمين أنني أبحث عن فرص للاستثمار. كيف لي أن أتابع أخبار الأسهم بدون الجريدة؟".

"حسنًا، لقد أحرقتها وانتهى الأمر، ولن يضرّك شيء أن تنتظر حتى الغد. أنا، هل تناولتِ ما يكفي من الخبز؟".

عَبَسَتْ أَنَا قَلِيلًا، لَقَدْ أَلْقَتْ السَّيِّدَةُ وَيْلَزْ نَفْسَ السُّؤَالِ مَرَّتَيْنِ.
"نَعَمْ يَا سَيِّدَتِي".

كَانَتْ السَّيِّدَةُ وَيْلَزْ تَخْبِطُ بِقَدَمِهَا عَلَى الْأَرْضِ. "حَسَنًا. يَا لِلْمَرْحِ
الَّذِي يَنْتَظِرُنَا اللَّيْلَةَ! كَمْ أَحَبُّ أَوْقَاتِ الْحَفَلَاتِ. وَرِجَالُ الْبَحْرِ
مَرْحُونَ وَحِجَاؤُونَ مِنْ طَرَاظِ رَفِيعٍ. وَحِكَايَاتُهُمْ أَبْعَدُ مَا يَكُونُ عَنْ
الْمَلَلِ".

تَجَهَّمُ وَيْلَزْ. "أَنْتِ تَعْلَمِينَ أَنِّي أَمْضِي صَبَاحَاتِي مَعَ الْجَرِيدَةِ، أَنَا
أَفْعَلُ ذَلِكَ كُلَّ يَوْمٍ".

السَّيِّدَةُ وَيْلَزْ: "يُمْكِنُكَ أَنْ تَقْرَأَ جَرِيدَةَ الْيَدْرِ، أَوْ عِدَّةَ الْأُسْبُوعِ الْمَاضِي
مِنْ جَرِيدَةٍ لِيَتَلْتَوْنَ تَائِمَزْ، سَتَجِدُهَا عَلَى مَنُضْدَةِ الْكِتَابَةِ الْخَاصَّةِ بِي".
"لِمَاذَا لَمْ تَحْرِقِهَا؟".

انْفَجَرَتْ السَّيِّدَةُ وَيْلَزْ. "أَوْه، لَا أُدْرِي يَا كَرْوسَبِي. أَنَا مُتَأَكِّدَةٌ أَنَّهُ لَنْ
يُضْرَكَ فِي شَيْءٍ أَنْ تَشْغَلَ نَفْسُكَ بِشَيْءٍ آخَرَ. اقْرَأْ نَشْرَةَ سَيْتِلَرْز. لَدَيَّ
الكَثِيرُ مِنْهَا عَلَى الْمَكْتَبِ فِي الطَّابِقِ الْأَسْفَلِ".

أَنْهَى وَيْلَزْ قَهْوَتَهُ وَخَبَطَ الْفَنْجَانَ عَلَى الْمَائِدَةِ. وَعَلَا صَوْتُهُ: "أَحْتَاجُ
مِفْتَاحَ الْخَزِينَةِ".

أَحَسَّتْ أَنَا بِالسَّيِّدَةِ وَيْلَزْ وَقَدْ جَمُدَتْ قَلِيلًا. وَاسْتَغْرَقَتْ تَمَامًا فِي
دَهْنِ خَبْزِهَا بِالزَّبْدَةِ، وَرَدَّتْ بَعْدَ وَهْلَةٍ، وَبَدُونَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى زَوْجِهَا:
"لِمَاذَا؟".

"مَاذَا تَقْصِدِينَ بِلِمَاذَا؟ أَوَدُّ أَنْ أَلْقِيَ نَظْرَةً عَلَى ذَهَبِي".

السَّيِّدَةُ وَيْلَزْ: "لَقَدْ اتَّفَقْنَا أَنْ نَنْتَظِرَ وَقْتُ أَنْسَبِ لِبَيْعِهِ".

"أَنَا لَنْ أَبِيعَ شَيْئًا. أَوَدُّ أَنْ أَلْقِيَ نَظْرَةً عَلَيْهِ، وَأَتَصَفَّحَ أَوْرَاقِي، هَذَا
كُلُّ مَا فِي الْأَمْرِ".

أطلقت السيدة ويلز ضحكة صغيرة. "أتسمي هذه أوراقًا؟".
"بِمَ إذن أسمىها؟".

"أوه، الأمر فقط أنك تضي عليها الكثير من الأهمية".

"أليست حقوق التنقيب الخاصة بي مهمة؟".

"وماذا ستفعل بحقوق التنقيب الخاصة بك الآن؟".

تجهم ويلز. "هل هذا استجواب رسمي؟".

"بالطبع لا".

ويلز: "إنها بالطبع أوراق هامة. وهناك خطابٌ أودُّ أن أعيد قراءته".

السيدة ويلز: "بحق الله يا كروسبي، لقد قرأت هذا الشيء ألف مرة. أنا نفسي أحفظه عن ظهر قلب. ولدي العزيز، أنت لا تعرفني...".

"أخربي". وخبط ويلز بقبضته على المنضدة، فطارت أدوات المائدة في الهواء.

صدمت السيدة ويلز. "كروسبي".

ويلز: "هناك فرق ما بين التلطف والتهمك. لقد تجاوزت حدك".

للحظة بدت السيدة ويلز على وشك أن تردّ عليه، لكنها راجعت نفسها. فربّنت بفوطة المائدة على فمها، ومالكت نفسها.
"أعتذر لك".

"الاعتذار لن يحلّ الموقف. أريد المفتاح".

حاولت أن تطلق ضحكة أخرى خفيفة. "كروسبي، اليوم بالفعل ليس مناسبًا. خاصة وحفلة البحرية الليلة، لدينا الكثير لتجهيزه. دعنا نترك الأمر للغد. بإمكاننا أن نجلس سوياً أنا وأنت...".

ويلز: "لن أترك الأمر للغد. أعطيني المفتاح".

قامت من على المنضدة. "للأسف فهذا هو قراري النهائي في هذا الشأن، أستاذك".

ويلز: "أستاذك أنا، للأسف فهذا ليس قراري أنا النهائي". ودفع بكرسيه للخلف ونهض من مكانه. "أين هو، في قلاطك؟".

دارت حول المنضدة مبتعدة عنه. "في حقيقة الأمر فإنه في خزانة في البنك. وليس لدي نسخة في البيت. إن انتظرت...".

ويلز: "هراء. إنه في قلاطك".

خطت مرة أخرى مبتعدة عنه، وقد بدت قَلَقَةً لأول مرة. "من فضلك يا كروسبي، لا تفتعل مشكلة".

تقدّم منها، "أعطيني إياه".

حاولت أن تبتسم، لكن فمها ارتعش، وحاولت مرة أخرى، "كروسبي، كُن عاقلاً. لدينا...".

"أعطيني إياه".

"أنت تفتعل مشكلة".

"وسأفتعل مشكلة أكبر. أعطيني المفتاح".

حاولت اللحاق بالباب، لكنه كان أسرع منها، مدّ ذراعه وأمسك بها. لوت جسدها مبتعدة عنه، وتعاركا للحظة، وعبثت يد ويلز في الجزء العلوي من فستانها حتى عثر على ما يبحث عنه، سلسلة فضية رفيعة يتدلى منها مفتاح فضي كبير. فأغلق قبضته على المفتاح وشدّ السلسلة محاولاً قطعها. جرحت السلسلة رقبتها ولم تنقطع، فصرخت. فشدّها مرة أخرى بعزم أكبر. توجّعت وهي تخبطه بقبضتها على صدره. حاول أن يشلّ حركتها بيد والسلسلة ملفوفة

حول قبضة يده الأخرى. جرحت السلسلة رقبتها مرة أخرى، وشهقت. "كروسبي، كروسبي". وأخيراً انقطعت السلسلة، وأصبح المفتاح في يده، فبكت. والتفت على الفور وهو يلهث واتجه للخزينة. وضع المفتاح في القفل وحرّك المقبض عدة مرات قبل أن ينفتح القفل، ثم انفتح الباب الثقيل. وكانت الخزينة فارغة.

كروسبي ويلز: "أين أموالى؟".

ترنّحت السيدة ويلز ويدها حول عنقها. والدموع تملأ عينيها. وقالت: "باستطاعتي أن أفسّر لك إن هذأت للحظة".

ويلز: "لست بحاجة لأن أهدأ. لقد سألتك سؤالاً بسيطاً، أين كنزي؟".

السيدة ويلز: "اسمعي يا كروسبي. الكنز، أستطيع أن أعيده لك. لقد أبعدته إلى مكان آمن لفترة بسيطة. أستطيع أن أعيده لك، لكن ليس قبل الغد. اتفقنا؟ هناك العديد من الرجال المهمّين سيحضرون للمنزل الليلة، وليس أمامي الوقت الكافي لكي أذهب... لكي أذهب حيث خبّأته. لديّ الكثير مما يجب أن أفعله".

ويلز: "أين أوراقى؟ أين حقوق التنقيب الخاصة بي. وشهادة ميلادي. والخطاب الذي أرسله لي والدي؟".

"إنها مع الكنز".

"أحقاً؟ وأين هذا؟".

"لا أستطيع أن أخبرك".

"لما لا يا سيدة ويلز؟".

"الأمر معقّد قليلاً".

"أستطيع أن أتصوّر ذلك".

مكتبة

t.me/soramnqraa

"أستطيع إعادته".

"حقًا؟".

"غداً، بعد الحفلة".

"لِمَ ليس اليوم؟ لِمَ ليس هذا الصباح؟".

واشتعل غضبها. "توقّف عن ترويعي. اليوم لا أستطيع القيام بهذا. يجب عليك الانتظار حتى الغد".

ويلز: "أنتِ تُماطلين، تحتاجين لبعض الوقت، لماذا يا ترى؟".

"الحفلة يا كروسبي".

نظر ويلز إليها طويلاً. ثم قطع الحجرة وشدّ حبل الجرس بعنف. ظهرت لوسي الخادمة خلال دقائق.

ويلز: "لوسي، اذهبي إلى شارع جورج واشتري لي عدد اليوم من الأوتاجو ويتنس. يبدو أن السيدة ويلز قد أحرقت الجريدة، بالخطأ".

ذهب

وفيه تأتي رسالة لفرانسيس كارفر، ويبقى ستينز بمفرده.

انتابت إيميري ستينز في عصر يوم وصوله لديونندن نوبة من المزاج الحسن، دفعته للاتفاق مع السيدة ليديا ويلز الوسيطة الروحانية على رسم خريطة ميلاده النجمية، وأدت التوقعات السعيدة لتلك الخريطة إلى ازدياد حدة هذه النوبة، فارتفعت معنوياته وأحسَّ بميلٍ للاحتفال. واستيقظ صباح اليوم التالي يعاني من صداع رهيب وإحساس بالذنب وبالغرق في الدين، واكتشف عند لقائه بمدير الفندق أنه مدين للفندق بثمانية جنيهات وهي عبارة عن أجره الإقامة في الفندق لمدة أسبوعين، مضافاً إليها خمسة جنيهات أخرى، وأنه قد لعب بكل هذا المبلغ وخسره كله في لعب الورق، وانتاب ستينز القلق؛ فالملابسات التي أصبح بسببها مدينًا بمثل هذا المبلغ

الجسيم لم تكن واضحة في ذاكرته، وترجّى مدير الفندق أن يسمح له بفنجان من القهوة على الحساب حتى يجلس ويفكر كيف يتدبّر أمره. ومنحه الرجل ما يريد، وظلّ إيميري جالسًا على المشرب حوالي الساعة إلا ربع حتى ظهر فرانسيس كارفر وفي يده عقد للشراكة التجارية.

قدّم كارفر عرضه في حديثٍ صريحٍ بلا مقدّمات. أنه سيقدّم لستينز مالاّ كافيا ليشترى رخصة للتنقيب عن الذهب، والمعدات اللازمة للتنقيب، وتذكّرة وصول لأقرب حقل ذهب، وأشار في معرض حديثه أنه مستعدّ لسداد أية ديون تراكتت على ستينز منذ وصوله إلى ديوندن، يوم أمس. وفي المقابل يحصل على نصف أرباح أول حقل ذهب لستينز، طيلة حياته، ويرسل ستينز هذا العائد إلى حساب كارفر في ديوندن، بالبريد الخاص.

على الفور علم إيميري ستينز أنه تمّ استغفاله. فقد تذكّر ما يكفي من الساعات الأولى لليلة الماضية، وتذكر حرص كارفر المفرط على صحبته، والذي ظهر في حرصه على قيامه برهانات رابحة، وحرصه على إضفاء الحيوية على صحبته، وحرصه على ملء كأسه باستمرار! وانتابه إحساس مبهم بأنه تم توريطه في دَيْن القمار بطريقة ما، فميله لألعاب الورق كان ميلاّ عادياّ لاهيّا، ولم يحدث من قبل أن قام باللعب على مثل هذا المبلغ الضخم في ليلة واحدة. واندesh من تعرّضه للنصب بهذه السرعة، فور بدء مغامرته، وتحولّ اندهشه إلى نوع من الإعجاب بكارفر، كما قد يشعر المرء بالإعجاب تجاه غريم قوي في الشطرنج. وقرّر أن يجرب الأمر، وقبّل بشروط كارفر بروح رياضية تميّز شخصيته، لكنه بينه وبين نفسه قرّر أن يكون أكثر حذرًا في المستقبل؛ فهو قد يقبل أن يهزم مرة، لكنه أقسم أن لا يهزم مرة أخرى.

لم يكن ستينز يتمتع بقدرة كبيرة على الحكم السديد على الشخصيات. ويعجبه ما يثير اهتمامه؛ ولهذا كثيراً ما انجذب لأشخاص يتَّسم سلوكهم بالحزن أو الرومانسية، أو الخيال. وحين توجَّس بعض الدناءة في كارفر، فقد تصوَّر تلك الصفة السلبية في أكثر صورها خيالية، كالدناءة المرتبطة بقرصان، وكلما تأمل انطباعه وتصرف بناء عليه، كلما ازداد إعجاباً به. كارفر يكبر ستينز بأكثر من عشرين عاماً، وهو ضخم البنية ذاكن البشرة بقدر ما كان ستينز نحيل الجسد فاتح اللون. ودائماً يبدو كأنه قادر على إحداث الأذى في أي لحظة، ويتحدث بخشونة، ونادراً ما كان يبتسم. وقد رآه ستينز رائعاً.

بمجرد أن تمَّ توقيع العقد، ازداد سلوك كارفر خشونة. وقال إن أوتاجو قد أقل نجمها كحقل للذهب. وأنه من الأفضل لستينز أن يتوجَّه إلى هوكتيكا، المدينة حديثة البناء الموجودة في الغرب، حيث، وكما تقول الإشاعات، يمكن أن يصنع الرجل ثروته في يوم واحد. اشتهرت هوكتيكا بخطورة الرسو في مينائها، وقد تحطَّمت سفينتان بخاريتان حديثاً على حاجزها القاري؛ ولهذا أصرَّ كارفر أن يأخذ ستينز طريقه للساحل الغربي على متن سفينة شراعية وليست بخارية. وإذا وافق ستينز على أن يرافقه أولاً إلى مكتب الجمارك، وثنائياً إلى متاجر الأغراض والمستلزمات في شارع برنسي، وثالثاً إلى البنك المركزي، فبإمكانهما الانتهاء من تفاصيل اتفاقهما بحلول الظهر. ووافق ستينز، وفي خلال ثلاث ساعات حصل على رخصة تنقيب عن الذهب، وصرَّة الأغراض الضرورية للعمل في التنقيب، وتذكرة ذهاب إلى هوكتيكا على متن السفينة بلانشيه، والتي لم يكن من المقرر أن تغادر ميناء تشالمرز قبل صباح يوم الثالث عشر من مايو.

وخلال الأسبوعين التاليين التقى ستينز وكارفر مرات عديدة. كان كارفر في إجازة لمدة شهر، حيث تخضع السفينة التي يعمل عليها لبعض أعمال الصيانة والإصلاح والتجديد. أقام كارفر في فندق هوثورن

في شارع جورج. وهو الفندق الذي أقام فيه ستينز، وكثيراً ما تناولوا إفطارهما سوياً، وأحياناً ما رافق ستينز كارفر في أرجاء المدينة أثناء قيامه بمهامه ومواعيده، متحدثاً طوال الوقت. ورغم أن كارفر لم يمنع الفتى من صحبته أو من الحديث، إلا أنه نادراً ما شارك في الحديث بشيء آخر غير قلق دائم مكبوت، وأحسّ ستينز بالإطراء باعتبار أن صحبته كانت مطلوبة ومرغوبة لهذه الدرجة.

عرف إميري ستينز تمام المعرفة أنه يترك انطباعاً متميزاً في عقل كل مَنْ يقابله. وتحولت هذه المعرفة بمرور الوقت إلى توقُّع؛ ممّا أدّى إلى زيادة هذا التميز. ظهر في سلوكه مزيج عجيب من الشوق والحماس، فحماسه يشوبه الشوق، وشوقه يمتلئ بالحماس. ويسعد بالأشياء ذات الطبيعة غير المعقولة، أو غير العملية، ويبحث عنها بجرأة وسعادة كطفل يلهو. وفي حديثه كان جاداً وواقعياً لدرجة تدفع كل مستمعيه للابتسام، باستثناء أشد المنتقدين تعنتاً، وفي صمته يوحي عند النظر إليه أن خياله مشغول بما يفيد، لأنه كثيراً ما يتنهَّد، أو يومئ، كأنه يتفق مع محدثه الذي لا يراه أحد.

كان مَرَحاً مستبشراً بشكل دائم، لم يكن لهذا السلوك أي مرجعية أخلاقية. وقناعاته كلها على وجه العموم بديهية وليست مبنية على البحث والتحقيق، ولم يهتم كثيراً بانتقاء زملائه وأصحابه ومرافقيه، حيث أحس، بطريقته البديهية، أنه يجب على كل شخص مفكر أن يتعامل مع كافة أنواع الشخصيات، والمواقف، والآراء. كان يقرأ كثيراً، ورغم أنه يفضّل القراءات الرومانسية على ما عداها، إلا أنه لم يكن يَمَلُّ من مناقشة الفضائل السامية، لم يكن من أتباع هذه المدرسة، لم يكن من أتباع أي مدرسة. فقد أمضى معظم طفولته وحيداً بلا أي توجيه في مكتبة والده، وقد أعدّته هذه الطفولة ليحيا أنواعاً مختلفة من الحياة في مستقبله، بدون تفضيل لأيٍّ منها على الآخر. ربما وجدته يناقش فلسفات شيشرون وسينكا، مرتدياً بدلة رسمية، وربما وجدته

مرتديًا حذاء برقبة عالية وبنطلونًا صوفيًا يصعد جبلًا بحثًا عن منظر طبيعي جميل، وفي الحالتين سيكون بكل تأكيد مستمتعًا للغاية بما يفعله.

حين سُئل في عيد ميلاده الحادي والعشرين أين تودُّ أن تسافر في العالم الواسع، أجاب على الفور: أوتاجو؛ لعلمه بانقضاء زمن فيكتوريا كمَقْصِدٍ للمُنْقَبِينَ عن الذهب، فلطالما فتنته فكرة حياة المستكشف، وقد تصوَّرها بشكل خيالي، سحري. وبعيني خياله رأى الذهب يلمع على بعض الشواطئ المعزولة الواقعة في بلاد لم تُخَطَّ حدودها بعدُ على خريطة العالم، هناك حيث لم تقع عليه عين من قبل، ولم يكتشفه أحد، رأى القمر يطلع بدرًا مكتملاً أصفر اللون فوق البحر المفتوح، ورأى نفسه يعتلي ظهر حصان في المياه الضحلة لجدول مائي، ويفترش الأرض العارية، ويمسك بِمُنْخُلٍ خشبي يتسرب الماء من ثقوبه، ويجدل عجينة المنقَّب حول عصا ليخبزها فوق جمرات النار. فكَّر في روعة أن يصف المرء ثروته بأنها أقدم من كل عصور الإنسانية، وأقدم من التاريخ نفسه، روعة أن يقول المرء إنه عثر على ثروته، وأنه انتزعها بيديه العاريتين من باطن الأرض.

وتمَّ تحقيق أمنيته، على الفور، وتمَّ شراء تذكرة على السفينة البخارية فورشنت ويند، المتجهة إلى ميناء تشالمرز. وفي يوم رحيله نصحه والده أن ينتبه لنفسه، ويكون طيبًا مع غيره، وأن يعود إلى وطنه حين يرى من العالم ما يكفي ليعرف مكانه فيه. وقال والده إن السفر لبلاد غريبة هو أفضل أنواع التعليم، وأنه من واجبات الإنسان الراقى أن يرى العالم ويفهمه. وبمجرد أن تصافحًا، قدَّم لابنه الشاب مظروفًا من الأموال البنكية ونصحه ألا ينفق كل نقوده مرة واحدة، وتمنَّى له صباحًا طيبًا بنبرة هادئة كأن الفتى خارج في نزهة وسيعود في ميعاد الغداء.

كارفر: "ما مهنة والدك؟".

ستينز، "إنه قاضٍ".

"قاضٍ جيد؟".

تنهَّد الفتى ورمى رأسه للخلف قليلاً: "أوه، نعم، أعتقد أنه جيد. كيف أرى والدي؟ إنه رجل قارئ، وله سُمعة طيبة في مهنته، لكن مفهومه للأمور غريب. على سبيل المثال، فقد أخبرني أن ميراثي منه يتألف فقط من آلة الكمان وموسى الحلاقة الخاصين به، وقال إنه حين يشرع المرء في شقِّ طريقه في العالم فإن كل ما يحتاجه هو حلاقة جيدة وآلة لعزف الموسيقى. أعتقد أنه قد خطأ هذا في وصيته، وأوصى ببقية ممتلكاته لأمي. إنه غريب الأطوار قليلاً".

كارفر: "ممم".

كانا يتناولان الإفطار سوياً في فندق هوثورن للمرة الأخيرة. في صباح اليوم التالي ستبحر السفينة بلانشيه متجهة إلى هوكتيكا، وتبحر جودسبيد، التي تم تجديدها وصيانتها، متجهة إلى ملبورن بعدها بعدة ساعات.

خبط ستينز بيضته. "أتدري شيئاً، هذه هي المرة الأولى منذ وصولي ديوندن التي يسألني فيها أحد عن مهنة والدي، لكنني سئلتُ عشرات المرات عن المكان الذي سأصنع فيه ثروتي، وتلقَّيتُ عروضاً متعدّدة الأشكال والأنواع للمشاركة، ولا يمكنني إخبارك كم مرة سألوني عمّا سأفعله بالذهب حين أجمع منه ما يكفي، يا له من تعبير مدهش، ما يكفي!. إنه يعطي للأمر أقلّ بكثير من حقه".

كانت عينا كارفر على الأوتاجو ويتنس، "نعم".

ستينز: "هل تنتظر أحدهم؟".

لم يرفع كارفر بصره، "ماذا؟".

ستينز: "أنت تقرأ أخبار السفن منذ عشر دقائق، ولم تلمس إفطارك".

كارفر: "لست بانتظار أحد". وقلب الصفحة وبدأ يقرأ مراسلات حقول الذهب.

خيّم عليهما الصمت لبعض الوقت. وظلّت عينا كارفر على الصحيفة، وأنهى ستينز بيضته. وحين همّ ستينز بالنهوض والاستئذان للرحيل، فُتِح الباب الأمامي ودخل ساعي بريد ينادي: "السيد فرانسيس كارفر".

رفع كارفر يده، "هذا أنا".

مرّق المظروف وتصفّحت عيناه الورقة بسرعة. من خلال الورقة الرقيقة رأى ستينز أن الخطاب يحتوي على سطر واحد فقط.

ستينز: "أرجو ألا تكون أخبارًا سيئة".

ظلّ كارفر جامدًا في مكانه لبرهة طويلة، ثم كوّر الورقة وقذفها في المدفأة. ومدّ يده في جيبه ليخرج بنسًا، وبمجرد أن اختفى ساعي البريد التفت إلى ستينز قائلاً: "هل تودّ أن تكسب جنيهاً ذهبياً؟".

ستينز: "لم أتحصّل على واحد من قبل".

حملق فيه كارفر.

ستينز: "هل تحتاج مساعدة؟".

"نعم، تعال معي".

صعد ستينز وراءه السلم. وانتظر حتى فتح كارفر الباب المؤدي إلى غرفته، وتبعه إلى داخلها. لم تخطّ قدماه داخل غرفة كارفر من قبل. كانت أوسع كثيرًا من غرفته، لكنها مؤثثة بنفس الطريقة. ولا تزال تحوي رائحة الأجساد النائمة، وملاءة سرير كارفر مضمومة في

منتصف المرتبة. وفي منتصف الغرفة يوجد صندوق مصفح بشرائط حديدية. وعلى غطاء الصندوق بوليصة شحن صفراء اللون مُلصَّقة عليه:

المرسل، أليستار لودرباك، شركة الشحن، دانفورث للشحن، السفينة الناقلة، جودسبيد.

كارفر: "أحتاج منك أن تحرس هذا الصندوق".

"ماذا بداخله؟".

"لا تشغل بالك بما بداخله. أودُّ منك فقط أن تحرسه حتى أعود. سأغيب لساعتين أو ثلاث. لديَّ بعض الأعمال في المدينة. سأمنحك جنيهاً ذهبياً".

رفع ستينز حاجبيه. جنيه كامل لحراسة صندوق لثلاث ساعات؟ لماذا؟

كارفر: "ستصنع فيَّ جميلاً، وأنا لا أنسى الجميل".

ستينز: "لا بُدَّ أنه صندوق قيِّم للغاية".

كارفر: "إنه قيِّم بالنسبة لي، هل تقبل بالمهمة؟".

ابتسم ستينز: "حسناً، إن اعتبرته جميلاً، سيسعدني القيام به".

اتجه كارفر إلى المكتب. "من الأفضل أن يكون معك مسدّس".

ضحك ستينز من شدة الدهشة. "مسدس؟".

عثر كارفر على مسدس بطلقة واحدة، وفتح خزانة الرصاص ونظر بداخلها. هزَّ رأسه وأغلقها وناول المسدس لستينز.

قلب ستينز المسدس في يده، "هل من المتوقع أن أستخدمه؟".

كارفر: "لا، فقط لوَّح به إذا ما دخل أحدهم إلى هنا".

"ألوح به؟".

"نعم".

"مَنْ سيأتي إلى هنا؟".

كارفر: "لن يأتي أحد إلى هنا".

كرّر ستينز سؤاله: "ماذا بداخل الصندوق؟ أعتقد أنني لي الحق أن أعرف. يمكنني أن أصون السر".

هزّ كارفر رأسه: "كلّما قلّ ما تعرفه كلما صار الوضع أفضل".

"أنا لا أعرف الأقل، في حالتنا هذه أنا لا أعرف شيئاً على الإطلاق. هل أنا شريك في جريمة ما؟ هل حدثت سرقة؟ أنا أكتّم السرّ يا سيد كارفر، صدقني".

كارفر: "هناك أمر آخر، اليوم أنا لا أدعى كارفر، اسمي اليوم هو ويلز، فرانسيس ويلز. إذا ما أتى أحدهم ليسأل عني فاعلم أن اسمي هو فرانسيس ويلز. ولا تشغل بالك بالسبب".

قال الفتى: "يا إلهي!".

"ماذا؟".

"أنت تتصرّف بغموض رهيب".

التفت إليه كارفر فجأة. "إذا هربت فسيكون ذلك خرقاً لاتفاقنا. وسيصبح من حقي أن أحصل منك على تعويض بأي طريقة أراها مناسبة".

"أنا لن أهرب".

"احرس هذا الصندوق حتى أعود وستكسب جنيهاً. ما اسمي؟".

"السيد ويلز".

"تذكّر هذا الاسم. سأعود بعد ثلاث ساعات".

بمجرد أن خرج كارفر وضع ستينز المسدس على المكتب وفوّهته
موجهة للناحية البعيدة، وانحنى ليفحص الصندوق. كان المزلاج مغلقاً
بقفل، تفحص فتحة المفتاح، ولاحظ بسعادة أن القفل من النوع
البسيط جداً، فابتسم وعلى الفور وأخرج سكينته المطوية وفتح النصل
وأدخل حذّها في فتحة القفل. وعافر لدقيقة قبل أن ينفتح القفل.

نحاس

وفيه تزداد شكوك ويلز، وتقلق أنا، ويصل إلى هاوس أوف ميني ويشيز طردٌ يخصُ السيدة ويلز.

قرأ كروسبي ويلز الأوتاجو ويتنس من أولها إلى آخرها في صمت تام. وحين انتهى، هزَّ الجريدة وطواها من المنتصف باستعجالٍ ونهض من مقعده. كانت السيدة ويلز جالسة في مواجهته وعلى وجهها تعبير بارد. تقدم منها وقذف بالجريدة في حجرها، جفَلت قليلاً، ثم وضع يديه في خصره يتفحصها.

ويلز: "لفت انتباهي أسماء القادمين للمدينة".

لم تقل شيئاً.

"اسم واحد بالتحديد. يصل على متن سفينة بخارية تدعى أكتيف. ستصل مع ذروة المدّ. متى يكون هذا؟ عند الغروب".

ظَلَّتْ كما هي صامتة.

ويلز: "شيء عجيب أنك لم تخبريني. كم ظللتُ في انتظاره؟ اثنا عشر عامًا، فقط! اثنا عشر عامًا بلا ردٍّ واحد. اثنا عشر عامًا قضيتها في الأراضي المرتفعة أنقُب عن الذهب. والآن وقد أتى الرجل بنفسه للمدينة، وعلمتِ بالأمر ولم تقولي شيئًا. بل إن الأمر أسوأ من الكتمان. لقد خَطَطْتُ لخداعي. أحرقَتِ الجريدة في الموقد الملعون. هذا خداع شرير يا سيدة ويلز. خداع مع سبق الإصرار".

ثمَّ أَلَكَّتْ نفسها. "أنت مُحِقٌّ، لم يكن عليَّ أبدًا أن أخدعك".

"لِمَ حرقتِها؟"

"لم أرغب أن تفسد تلك الأخبار الحفلة. إذا ما اكتشفت أنه سيصل الليلة، فرمما كنت لتذهب إلى الرصيف، وربما يصدُّك، وربما تحزن".

"هذا الأمر يثير حيرتي يا سيدة ويلز".

"ما هو؟".

"الحفلة".

"إنها مجرد حفلة".

"حقًّا؟".

"كروسبي، لا تكن أحمق، ليس للأمر جوانب خفيّة، ليس هناك مؤامرات. إنها مجرد حفلة، هذا كل ما في الأمر".

ويلز: "بعض السادة العاملين في الملاحة البحرية. من رجال الأسطول البحري. منذ متى وأنتِ مُهتَمّة بالأسطول البحري؟".

"إنهم رجال لهم رُتب مرموقة ونفوذ، وأنا مهتمة بعملتي، والحفلة ستفيد عملي. الجميع يحب الحفلات ذات الطابع الخاص. فهذا يعطي الأمسية نكهة خاصة".

"وهل يا ترى وجَّهت الدعوة للسيد أليستار لودرباك لحضور الحفلة؟".

السيدة ويلز: "بالطبع لا. لِمَ أدعوه؟ لم يحدث أن قابلت هذا الرجل من قبل. وعلى أي حال، وكما أخبرتك، فقد أحرقت جريدة اليوم لأنني لم أودَّ أن تحزن. وأنت مُجِِّقٌ، لقد أخطأت حين فعلت ما فعلت، وأنا آسفة للغاية لأنني حاولت خداعك. لكنني أوَّكِّد لك أن هذه الحفلة مجرد حفلة".

ويلز: "وماذا عن الكنز؟ وأوراقي الخاصة؟ ما علاقته بكل هذا؟".

السيدة ويلز: "ليس له علاقة بأي شيء".

ويلز: "كنت أفكر أن أتمشَّى حتى ميناء تشالمرز قرب الغروب. فالأمسية تبدو مناسبة للنزهة، ربما يكون الجو باردًا إلى حدٍّ ما".

السيدة ويلز: "فكرة رائعة".

"ستفوتني الحفلة بالطبع".

"ستكون خسارة".

"أحقًا؟".

تنهَّدت. "كروسبي، أنت تتصرَّف بطريقة سخيفة".

انحنى مقتربًا منها. "أين أموالي يا سيدة ويلز؟".

"في خزانة في البنك المركزي".

"كاذبة. أين هي؟".

"في خزانة في البنك المركزي".

"أين هي؟".

"في خزانة في البنك المركزي".

"كاذبة".

السيدة ويلز: "إهانتني لن...".

صفعها بشدة على وجهها. "أنت كاذبة قذرة، ولصّة عَفنة،
وسأنتك بما هو أسوأ كما يحلو لي".

ساد صمتٌ تامٌّ. لم تمد السيدة ويلز يدها لوجهها حيث صفعها.
ظَلَّت ساكنةً تمامًا، تملّك الضيق من ويلز فجأة فابتعد عنها وعبر
الغرفة متّجهاً إلى زجاجات الخمر المرصوفة فوق صينية فضية. وصَبَّ
لنفسه كأسًا، وشربه، وصَبَّ لنفسه غيره. ظَلَّت عينا أنا مثبتّتين
على أكلیل الحبال الذي بين يديها، الذي أَفسَدَت أصابعها المرتجفة
جدائله. لم تجرؤ على النظر إلى السيدة ويلز.

لحظتها أتی صوت طرقٍ هادئٍ على الباب الأمامي، وصوت ينادي
عبر فتحة البريد، طرد للسيدة ليديا ويلز.

همّت السيدة ويلز بالنهوض، لكن كروسبي صرخ فيها، مُحْتَقِنَ
الوجه: "لا، ابقِي مكانك". وبيده الممسكة للكأس أشار لآنا. "أنتِ.
اذهبي لتولي الأمر".

وقد فعَلَت ما طلبه، كان الطرد زجاجةً سعة نصف لتر ملفوفة
بورق بُنيٍّ ومختومة بختم متجر الكيمياء في شارع جورج.

صاح ويلز من الدور الأعلى: "ما الأمر؟".

ردّت آنا: "طرُد من عند الكيمياء".

سادت فترة من الصمت، ثم علا صوت السيدة ويلز: "أوه، إنه لي. إنه دهان للشعر. لقد طلبته الأسبوع الماضي".

عادت أنا للطابق الأعلى والطردي يدها.

ويلز: "دهان للشعر".

السيدة ويلز: "الحقيقة يا كروسبي أنك أصبحت مرتابًا بشكل مَرَضِيٍّ". ووجهت خطابها لآنا: "ضعيه في غرفتي. على المنضدة بجانب السرير من فضلك".

ظلَّ ويلز يحدِّق في زوجته. "لن تذهبي إلى أي مكان قبل أن تخبريني بالحقيقة. ستبقين هنا، حيث يمكنني مراقبتك".

السيدة ويلز: "في هذه الحالة فأنا في انتظار وقت شديد الملل".

ردَّ عليها ويلز بغضب، واستمرَّ يتناقران. وأنا التي أسعدها ظهور حجة لتغادر المكان، أخذت الزجاجة الملفوفة بالورق عبر الممر إلى الظلام الصامت لغرفة نوم السيدة ويلز. وحين توجهت للمنضدة الجانبية لتضع الزجاجة التي تحملها لفت نظرها زجاجة دهان للشعر في نصف حجم الزجاجة التي تحملها، ومختلفة عنها كليَّة في الشكل. قطَّبت ونظرت إلى اللَّفَّة التي بين يديها، وانتابها إحساسٌ مُلِحٌّ، فمدَّت أصابعها تحت الغلاف ونزعتَه. الزجاجة بدون مُلصق، مغلقة بفليضة مشمعة بالشمع. رفعتها ناحية النور. كانت تحتوي على سائل ثقيل يشبه العسل، ولونه مثل الصدا.

وهمست: "مُخدَّر".

العناصر الخمسة

وفيه ينفذ إيميري ستينز ما أمره به كارفر، وتنطلي الخدعة على أه سووك.

رفع ستينز الفستان ناحية النور مستغربًا. كان هناك خمسة فساتين، أحدها مصنوع من الحرير البرتقالي، والباقي من القطن، ولم يكن في الصندوق غيرهم. ما معنى هذا؟ ربما لهم قيمة عاطفية بالنسبة لكارفر، لكن حتى في هذه الحالة، لِمَ أعطاه كارفر مسدسًا لحراستهم؟ ربما تكون هذه الفساتين مسروقة، رغم أن مظهرها لا يوحي على الإطلاق بأي قيمة... أو ربما جُنَّ كارفر، وضحك بصوت عالٍ مبتهجًا بهذه الفكرة، ثم هزَّ رأسه وأعاد الفساتين إلى الصندوق. وأتى صوت طرقٍ قوي على الباب.

ستينز: "مَن بالباب؟".

لم يَرِدْ أحد، وبعد لحظة طرَّقَ القادمُ مرَّةً أخرى.

كَّرَّرَ ستينز: "مَن بالبَاب؟".

طرَّقَ القادم مرةً ثالثة، بإلحاح أشد. أَحَسَّ ستينز بدقَّات قلبه تتسارع. اتَّجَهَ إلى المكتب والتقط المسدس وأمسكه ملاصقًا لساقه وخطا نحو الباب وشد المزلاج ووارب الباب.

ستينز: "نعم؟".

في الممر أمام الباب وقف رجل صيني في حوالي الثلاثين من العمر، مرتديًا صديريَّة وسترة من الصوف.

"فرانسييس كارفر".

تذكَّر ستينز تعليمات كارفر. "للأسف لا يوجد أحد هنا بهذا الاسم. أتقصد السيد ويلز؟ فرانسييس ويلز؟".

هَزَّ الرجل الصيني رأسه. "كارفر". وأخرج من جيبه ورقة وأراها لب. وبفضول تناولها ستينز. كانت خطابًا من سجن جزيرة كوكاتو، يشكر الخطاب السيد سووك يونج شينج على استفساره، ويُعلِّمه أن السيد فرانسييس كارفر عقب الإفراج عنه من السجن قد أبحر إلى ديوندين في نيوزلندا على متن السفينة البخارية إسبارطة. وفي نهاية الخطاب وبخطٍّ أكثر قتامةً خطَّ أحدُهم كلمة فندق هوثورن.

حدَّق ستينز في الخطاب لفترة طويلة. أذهلته المعلومة، لم يكن يعلم أن كارفر سجين سابق، لكنه أَحَسَّ، بعد بعض التفكير أن الأمر ليس مُستَبَعَدًا. وأخيرًا، وبعد الكثير من التردد هَزَّ رأسه وأعاد الورقة إلى الرجل الصيني وابتسم معتذرًا. "لا يوجد هنا أحد باسم فرانسييس كارفر".

حديد

وفيه يصل كروسبي ويلز لبعض الاستنتاجات.

مرّ على المنزل رقم 35 بشارع كمبرلاند عصر ممتدّ بلا نهاية. صنعت أنا مع السيدة ويلز خمسة عشر إكليلاً مضفراً ووضعتها في صالون الطابق الأسفل، وظلّ ويلز يراقبهما في صمت، ويشرب بلا انقطاع. وخلف المنصة الخشبية، وباستخدام مجداف وملاءة سرير بيضاء رفعتا شراع سفينة وصنعتا طيّاته بقطع من الدوبارة، وخلف المَشْرَب عَلَّقَتَا شريط من الأعلام البحرية، وحين اكتمل تنسيق الأكاليل، شرَعَتَا في تحضير الليمون، وخمر الصنوبر، وتجهيز الشموع، وتلميع الكؤوس، وملء مصابيح الزيت، وإزالة التراب، كانتا في هذا كلّهُ تمطّان كل مَهْمّة قدر الإمكان، وتنتهزان أي فرصة تسنح للقيام

برحلات صغيرة للطابق الأعلى، أو للمطبخ، وكل هذا لكي يتجنبنا الصمت الرهيب لرفيقهم الميرير.

بعد الساعة الرابعة بقليل، قاطعهما طرقٌ قويٌّ على الباب الأمامي.

قطَّبت السيدة ويلز، "مَن عساه أن يكون؟ الفتيات لن يأتين قبل الساعة. أنا لا أستقبل زوار في مثل هذا الوقت من النهار".

ويلز: "سأفتح الباب".

على عتبة الباب وقف رجل صيني يرتدي صديريّة وسترة من الصوف.

ويلز: "مَن هذا الذي أتى إلينا؟ أنتَ لستَ من رجال البحرية".

الرجل الصيني: "مساء الخير. إنني أبحث عن فرانسيس كارفر".

كروسبي ويلز: "ماذا؟".

"إنني أبحث عن فرانسيس كارفر".

"هل قلتَ كارفر؟".

"نعم".

"لم أسمع بهذا الاسم من قبل".

الرجل الصيني: "إنه يعيش هنا".

"للأسف، لا يعيش هنا يا رفيقي. هذا المنزل يخصُ السيدة ليديا ويلز. وأنا زوجها سعيد الحظ. واسمي كروسبي".

"ليس كارفر؟".

ويلز: "أنا لا أعرف أي شخص باسم كارفر".

الرجل: "فرانسيس كارفر".

"لا أستطيع مساعدتك للأسف".

قطَّب الرجل الصيني. ومدَّ يده إلى جيبه وأخرج نفس الخطاب الذي قدَّمه لإيميري ستينز منذ ساعتين. أعطى الخطاب إلى ويلز. شُطِبَت جملة فندق هوثورن وكُتِبَ تحتها بخط مختلف: هاوس أوف ميني ويشيز، شارع كمبرلاند.

ويلز: "هل أعطوك هذا العنوان؟".

الرجل الصيني: "نعم".

ويلز: "مَن؟".

الرجل الصيني: "رئيس الميناء".

أعاد له ويلز الخطاب، "للأسف، أخطأ رئيس الميناء في توجيهك يا رفيقي. لا يوجد أحد بهذا الاسم في هذا العنوان. ما الذي تريده من هذا الرجل؟".

الرجل الصيني: "أحقِّق العدالة".

ابتسم ويلز، "العدالة... حسنًا، أتمنى أن يكون مستحقًا لذلك. حظًا سعيدًا لك". وأغلق الباب، ثم تجمَّد فجأة ويده على إطار الباب. وفجأة التفت وصعد السلم درجتين درجتين إلى غرفة النوم حيث جريدة الأوتاجو ويتنس مطوية فوق المكتب. وانتزعها. وبعد عدة دقائق تفحص فيها العواميد عثر على ما كان يبحث عنه، مُدرَجًا في قائمة السفن المغادرة في اليوم التالي:

مرسى رقم أربعة: جودسبيد. متَّجهة إلى ميناء فيليب. الطاقم يتكوَّن من: جاي راكسورثي (قبطان)، بي لوجان (مساعد القبطان)، إتش بيترسن (المساعد الثاني)، جاي درافين (عامل)، إم ديوي (طباخ)، دبليو كولينز (رئيس البحارة)، آي كول وإم جيريسون وسي سولبيرج وإف كارفر (بحارة).

"مَن كان بالبَاب؟".

فقد صعدت أنا خلفه. تحمل في كل يد شمعداناً نحاسياً. "هل هي لوسي؟ إن السيدة ويلز تريدها".

ويلز: "كان رجلاً صينياً".

"ماذا يريد؟".

"إنه يبحث عن أحد الأشخاص".

"عمَّن كان يبحث؟".

تفحَّصها ويلز، "هل تعرفين شخصاً أمضى عقوبة في سجن جزيرة كوكاتو؟".

"لا".

"ولا أنا".

أنا: "إنه سجن بالأشغال الشاقة. كوكاتو سجن للمحكوم عليهم بالأشغال الشاقة".

"إذن فهو ليس مكاناً للقلوب الضعيفة".

"مَن كان يبحث عنه؟".

تردَّد ويلز، ثم سألتها: "هل سمعتِ من قبل عن رجل يدعى فرانسيس كارفر؟".

"لا".

"هل سبق أن قابلت مسجوناً سابقاً؟".

"كيف لي أن أعرف شخصاً كهذا؟".

ويلز: "غالباً لن تعرفي".

وساد الصمت لبرهة. "هل أخبر السيدة ويلز؟".

ويلز: "لا، انتظري قليلاً".

رفعت أنا الشمعدانات، "لقد صعدت فقط لأضع هذه، يجب أن أعود إليها".

لَفَّ ويلز الأوتاجو ويتنس بين يديه كأنها أنبوبة. "إنها امرأة بلا قلب يا أنا. ليس هناك ذرة من المشاعر الحقيقية في السيدة ويلز. وقيمة أي أمر بالنسبة لها يكمن في مكسبها من ورائه. لقد استولت على نقودي، وستستولي على نقودك، وستحطّمنا، نحن الاثنين، ستحطّمنا".

قالت أنا ببؤس: "نعم. أعلم هذا".

لَوَّحَ بالجريدة الملفوفة، "هل تعلمين ما المكتوب هنا؟ هناك رجل يدعى كارفر مُسجَّل كأحد أفراد طاقم سفينة خاصة ستغادر المدينة غداً مع المد. وبكلمات أخرى، فهو أحد السادة العاملين في الملاحة البحرية".

أنا: "أعتقد أن هذا يعني أنه سيحضر الحفلة".

"وهناك شيء آخر، قبطان السفينة. راكسورثي".

أنا: "لقد ذكّرته السيدة ويلز أثناء الإفطار".

خبط ويلز بالجريدة على ساقه، "نعم لقد ذكّرته. بدأت الأمور تتّضح. لكني لا زلت غير قادر على رؤية الصورة الكاملة".

"ما الذي يتّضح؟".

شرح لها، "طوال النهار كنت أتساءل ما الفائدة التي قد تعود عليها من أوراقي؟ من رخصة التنقيب الخاصة بي وشهادة ميلادي، أنا متأكّد أنها سرقتها كما سرّقت ثروتي، لكنها لا تُقدّم على أمرٍ إلا إذا عاد عليها بالنفع، وما النفع الذي يمكن أن يعود عليها من أوراق رجل عجوز؟ لا شيء على الإطلاق على ما أظن. إذن فلا بُدَّ أنها

قد تَخَلَّصَتْ مِنْهَا بِشَكْلِ مَا، أَعْطَتْهَا لِشَخْصٍ آخَرَ، لَكِنْ لِمَنْ؟ مَنْ
قد يَحْتَاجُ أَوْرَاقَ رَجُلٍ آخَرَ؟ وَحِينَهَا أَتَتْنِي الْفِكْرَةُ. إِنَّهُ بِالتَّأَكِيدِ رَجُلٌ
يَهْرَبُ مِنْ مَاضِيهِ. رَجُلٌ قَدْ تَلَطَّخَ اسْمَهُ وَيُودُّ أَنْ يَسْتَأْنِفَ حَيَاتَهُ
بِاسْمٍ جَدِيدٍ. رَجُلٌ يَسْعَى لِإِنْهَاءِ أَحَدِ الْفُصُولِ فِي كِتَابِ حَيَاتِهِ".
قَطَّبَتْ أَنَا، وَظَلَّتْ صَامِتَةً.

رَفَعَ وَيْلَزَ الْجَرِيدَةَ الْمَلْفُوفَةَ كَأَنَّهَا صَوْلَجَانٌ، "إِنَّهُ أَمْرٌ مُؤَكَّدٌ. أَقُولُ
لَكَ يَا صَغِيرَتِي أَنَا بِأَنِّي اللَّيْلَةَ سَأَلْتُقِي بِالسَّيِّدِ فِرَانْسِيْسِ كَارْفِرٍ، لَا أَدْرِي
كَيْفَ، وَلَا الدَّاعِي لِلْقَائِنَا، لَكِنِّي أَوْكُودُ لَكَ، هُنَا وَالْآنَ، أَنَا سَنَلْتَقِي".

صفيح

وفيه ينتحل كارفر هوية رجل آخر، ويوقّع لودرباك باسمه.

"ويلز". نطقها لودرباك بخيبة أمل.

"مساء الخير". كان فرانسيس كارفر جالسًا على كرسي أمام سلّم السفينة. وفي يده مسدس.

لودرباك: "ما الأمر؟".

"تفضّل بالدخول".

كرّر لودرباك: "ما الأمر؟".

كارفر: "سنتحدث، أنا وأنت".

"في أي شأن؟".

"أرى أن عليك أن تدخل القمرة يا سيد لودرباك".

"لماذا؟".

لم يقل كارفر شيئاً، لكن فوهة المسدس اهتزت قليلاً.

لودرباك: "منذ حديثنا الأخير لم تقع عيني عليها. أقسم لك بشرفي. حين أخبرتني أن أبتعد عنها يا سيد ويلز، ابتعدت عنها. لقد كنت في أكاروا خلال التسعة أشهر المنصرمة. لقد وصلت المدينة الليلة، وصلت الآن في حقيقة الأمر، الآن. لقد ابتعدت كما طلبت مني".

كارفر: "هذا ما تقوله".

"نعم، هذا ما أقوله، هل تشك في ما أقوله؟".

"لا".

"إذن ماذا تقصد بأن هذا ما أقوله؟".

"المستندات تقول غير ذلك".

اضطرب لودرباك، "ليس لديّ أية فكرة عن المستندات التي تشير إليها". وأضاف بعد وهلة، "أعتقد أنك تشير إلى إيصال دانفورث".

كارفر: "نعم".

ألقي لودرباك نظرة خاطفة خلفه، ثم خطا داخل القمرة وأغلق الباب خلفه. "حسنًا، هناك أمر ما يجري، أو جرى بالفعل".

كارفر: "نعم".

لودرباك: "هل هو بخصوص كروسبي؟ هل الأمر يتعلق بكروسبي؟".

كارفر: "أنت تعلم كم يهمني أمر كروسبي".

لم يستطرد كارفر. مرّت وهلة، وبصوت يشوبه الخوف قال لودرباك: "حقًا؟".

كارفر: "نعم. يومًا ما سيشرب هذا الرجل المسكين حتى الموت".

بدأ لودرباك يتصبّب عرقًا. "أين راكسورثي؟".

"أعتقد أنه في شارع كمبرلاند، يشرب حتى الثمالة".

"ودانفورث؟".

كارفر: "مثله مثل راكسورثي".

"هما الاثنان في جيبك، أليس كذلك؟".

قال كارفر: "لا، إنه أنتَ مَنْ في جيبِي".

قار

وفيه يأتي كارفر لإنهاء مخطّطه، ويشنّ كروسبي ويلز هجومًا مضادًا، ويسري مفعول المخدر.

حين طرق فرانسيس كارفر، بعد حوالي ساعتين، على باب المنزل رقم 35 شارع كمبلاند، كانت حفلة البحرية في ذروتها، وصل لأذنيه خليط التصفيق المنتظم ودبيب الأقدام والضحكات المعرّبة. طرق الباب ثانية، بشدة هذه المرة. بعد الطريقة الرابعة ظهرت لوسي الخادمة، ودعته للدخول على الفور، وطارت عبر الممر لتنادي السيدة ويلز.

بمجرد أن رآته قالت: "أوه يا فرانسيس، حمدًا للسموات".

كارفر: "لقد انتزعْتُها منه. وربّت على صدره حيث عقد البيع المطوّي في جيبه الداخلي. لقد تمّ التوقيع، ويسري البيع فورًا. لقد

كَلَّفْتُ أَحَدَهُمْ بِمِرَاقِبَةِ لُودِرْبَاكِ حَتَّى الصَّبَاحِ. لَكِنِّي أَشْكُ أَنَّهُ سَيَفْتَحُ
فَمَهُ بِخُصُوصِ مَا حَدَثَ".

"أَنْتِ لَمْ تُوْذِيهِ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟".

"لَا، كُلُّ مَا فِي الْأَمْرِ أَنَّهُ حَزِينٌ عَلَى حَالِهِ. كَيْفَ الْحَالُ هُنَا؟".

خَفَضَتْ صَوْتَهَا لِحَدِّ الْهَمْسِ، "حَسَنًا، بَعْدَ تِلْكَ الْمَشَاجِرَةِ الرَّهِيْبَةِ
هَذَا الصَّبَاحِ، وَقَضَاءِ نَهَارِ بَائِسٍ، حَالَفْنَا أَسْعَدَ حَظًّا. لَقَدْ اصْطَحَبَ
كُرُوسْبِي فَتَاتِي الْجَدِيدَةَ لِلسَّرِيرِ. رُبَّمَا فَعَلَ هَذَا لِيُضَايِقَنِي... لَكِنِّي لَا
يُمْكِنُنِي تَخْيُّلُ أَمْرٍ قَدْ أُرْغِبُ فِيهِ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يَتَنَحَّى الْاِثْنَانِ مِنْهُمَا
عَنْ طَرِيقِي. انْتَهَزْتُ فُرْصَةً وَجُودَهُمَا مَعًا لَوْحَدَهُمَا لِأُرْسِلَ لِهَمَّا لُوسِي
بِإِنَاءٍ مِمْتَلئٍ بِالْخُمْرِ".

"مَخْلُوطٌ؟".

"بِالطَّبَعِ".

"بَشْدَةً؟".

"أَضَفْتُ إِلَيْهِ نِصْفَ الزَّجَاجَةِ".

"هَلْ أَتَى بِنَتِيجَةٍ؟".

قَالَتْ: "لَمْ أَسْمَعْ لِهَمَّا صَوْتًا".

قَالَ: "حَسَنًا، سَأَصْعِدُ الْآنَ. أَحْتَاجُ إِلَى خَمْسِ عَشْرَةِ دَقِيقَةٍ".

"إِنَّهُ غَاضِبٌ جَدًّا. لَقَدْ عَلِمَ بِأَمْرِ الذَّهَبِ، كَمَا أَخْبَرْتِكِ، وَعَلِمَ
بُوصُولَ لُودِرْبَاكِ. يَجِبُ أَنْ تَلْتَزِمَ الْحَذَرَ".

"لَنْ أَحْتَاجَ الْحَذَرَ إِنْ كَانَ سَكْرَانًا".

فَرَانْسِيْسُ: "لَنْ تَطْلُقَ عَلَيْهِ النَّارَ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟".

"لَا تَشْغَلِي بِالْكِ".

"أريد أن أعلم".

كارفر: "سأخبطه على رأسه، هذا كل ما في الأمر".

"لا تفعل هذا هنا".

"لا، ليس هنا. سأخذه إلى مكان آخر".

"لا زالت الفتاة معه في الطابق الأعلى. ربما سرى فيها المخدر هي الأخرى. لا أعلم".

"سأتصرّف معها. سأصرفها قبل أن أفعل أي شيء. لا تقلقي".

"ماذا أفعل الآن؟".

"عودي إلى الحفلة. وصّبّي لراكسورثي كأسًا آخر".



وضع كارفر أذنه على الباب، ولم يسمع شيئًا، أدار المقبض بهدوء شديد. انفتح الباب بلا صوت. كانت الغرفة مظلمة، لكن هناك مصباح صغير مشتعل في الغرفة الملحقة. ورأى هيئة متكومة تحت مفرش السرير، ولمح خُصلةً من الشعر الداكن على الوسادة، أحدهم نائم. ببطء دخل الحجرة ويده فوق خاصرته.

سمع صوت ثقيل يقطع الهواء، كاد أن يلتفت، لكن قبل أن يتمكن من ذلك تلقى خبطة على مؤخرة رأسه، فتعثّر وجثا على ركبتيه. ولفّ ويده تحيط بقبضة مسدسه، لكن كروسبي ويلز لَوْح بقضيب المدفأة مرة أخرى وهوى به على أصابعه، وعلى فكه. انكمش كارفر من الألم. ورفع يديه لا إراديًا ليحمي وجهه. فتلقى خبطة رابعة على كوعه، وخامسة على قمة رأسه. وانهار، وارتقى أرضًا.

اندفع ويلز ناحيته وبيده الخاوية حاول انتزاع مسدس كارفر من حزامه. فأمسك كارفر بذراعه، ولوهلة تصارع الرجلان حتى ناوله ويلز خبطة أخرى على جانب رأسه. فأفلته ووقع ثانية على الأرض. وأخيراً استحوذ ويلز على المسدس، وبمجرد أن أمسك به سحب زناده ورفع المسدس في وجه كارفر، ووقف لبرهة يلهث. رفع كارفر ذراعيه إلى وجهه متأوِّهاً. كان يحس بالدوار، وبدأت الأضواء في الحجرة تتراقص أمام عينيه.

"مَنْ أَنْتَ؟"

حدَّق فيه كارفر، بفم مُدْمَم.

وقف ويلز ممسكاً المسدس بيده اليسرى، وقضيب المدفأة الحديدي بيده اليمنى. ورفع القضيب مهدداً بخبطة أخرى. "هل أَنْتَ فرانسيس كارفر؟ تكلمْ وإلا أطلقتُ عليك النار وأرديتُكَ قتيلاً. هل أَنْتَ كارفر؟"

"كنتُ أدعى كارفر."

"وما اسمك الآن؟"

ابتسم كارفر مُظهرًا أسناناً مدمّمة، "كروسي ويلز".

اقترب منه ويلز، "سأقتلك".

أغلق كارفر عينيه، "اقتلني".

رفع ويلز القضيب الحديدي من جديد.

"أين ثروتي؟"

"اختفت".

"أين هي؟"

"تمَّ إرسالها خارج البلاد".

"مَن أرسلها؟ أنت؟".

فتح كارفر عينيه، "لا، أنت".

هوى ويلز بالقضيب الحديدي على مقدمة رأسه، وفقد كارفر الوعي. تمهّل ويلز ليتأكد من أن الآخر لا يخدعه، لكنه كان حقًا غائبًا عن الوعي. وبياض عينيه ظاهر، وإحدى يديه ترتجف.

وضع ويلز القضيب أرضًا بعيدًا عن متناول كارفر. ونقل المسدس إلى يده اليمنى. ودفع فوهة المسدس في وجنة كارفر ووكزه. بتردّد، فارقمى رأس الرجل للخلف.

سألت أنا، الواقفة على مدخل الباب مبيضة الوجه: "مات؟".

"لا، إنه يتنفس".

بيده اليسرى شدّ ويلز سكينته مزدوجة النصل من حذائه، وأخرجها من جرابها.

همست أنا: "هل ستقتله؟".

"لا".

"ماذا ستفعل؟".

ويلز لم يرد عليها. وثبتّ رأس كارفر في مكانه مستخدمًا المسدس، وأدخل حرف سكينته تحت الناحية الخارجية لعين كارفر اليسرى، فتدفّق الدم بغزارة وجرى على وجنته. وبحركة سريعة من يده لوى ويلز النصل ليقطع وجه كارفر من تحت العين حتى الفك، وقفز راجعًا. لكن كارفر لم يستيقظ، صدر عنه صوت كالخرخرة. وغرقت وجنته في الدم الذي سال من فكه يغرق ياقته.

حدّق فيه ويلز ونطق بهدوء: "أول حروف الاسم كارفر. فرانسيس كارفر، سيتذكرك الجميع الآن، أنت الرجل ذو الندبة".

رفع عينيه فالتقَّتَا بعيني أنا. كانت يداها فوق فمها، ويظهر عليها الرعب. فأشار بذقنه إلى إناء الخمر على المنضدة الجانبية، "تناولي كأسًا. ستنامين في دقيقة. أسرعى".

نظرت أنا لإناء الخمر. كان المخدَّر قد جعل لون الويسكي داكنًا، وأضاف إليه لمعانًا نحاسيًا. "كم أشرب؟".

ويلز: "مقدار ما تستطيعين. ثم بعدها ارقدي على جنبك، وليس على ظهرك، وإلا غرقتِ أثناء نومك".
"كم سيستغرق الأمر؟".

قال كروسبي ويلز: "لن يستغرق وقتًا بالمرة". مسح سكينته على السجادة، وأدخلها في جرابها، ووقف استعدادًا للرحيل.

انتظر. وجرت أنا إلى غرفة النوم وعادت بعد لحظة بقطعة الذهب التي أهداها لها عصر اليوم الأول للقائهما. وضعت قطعة الذهب بين يديه، "خُذها. يمكنك استخدامها في الهروب".

أثقال

وفيه يطلب كروسبي ويلز المعونة، ويغضب موظف الجمارك، ويتم استرجاع بوليصة شحن.

"بسست... بيل!".

رفع الموظف رأسه عن جريدته. "مَن هنا؟".

"إنه أنا، ويلز، كروسبي ويلز".

"اخرُجْ حتى يمكنني أن أراك".

خرج إلى النور، وكفاه مرفوعتان لأعلى، "ها أنا ذا".

"ما الذي تفعله؟ لِمَ تَتَسَلَّلْ هكذا في الظلام؟".

خطا ويلز خطوة أخرى للأمام وكفاه لا زالتا مرفوعتين، "أنا بحاجة لخدمة".

"أوه؟".

"أحتاج إلى الصعود على سفينة مع أول خيوط النهار".

ضاقت عينا الموظف، "إلى أين تذهب؟".

ويلز: "لا يهم. أي مكان. أحتاج فقط للذهاب في هدوء".

"وما مصلحتي في هذا؟".

فتح ويلز قبضته اليسرى، وظهرت في كفّه قطعة الذهب التي أعادتها أنا إليه. نظر إليها الموظف محاولاً تقدير قيمتها في عقله، ثم قال: "وماذا عن القوانين؟".

قال ويلز: "أنا أتبع القوانين".

"ما الذي تهرب منه إذن؟".

ويلز: "رجل يُدعى كارفر".

"وماذا لديه ضدك؟".

ويلز: "أوراقي. وثروة، لقد سرق ثروة من خزانتي".

"ومتى حصلت على ثروة؟".

ويلز: "في دنستن. منذ عام مضى، أو ربما خمسة عشر شهراً".

"لقد التزمت الصمت التام تجاه هذا".

"بالطبع التزمت الصمت، لم أخبر أحداً سوى ليديا".

وضحك الرجل، "هذا خطؤك الأول إذن".

ويلز: "لا، بل هو الخطأ الأخير".

ونظر الرجلان لبعضهما. ثم قال بيل: "بالنسبة لي الأمر لا يستحق المخاطرة".

"سأصعد الليلة على متن سفينة، وأختبئ، وأبحر مع خطوط الفجر الأولى. وتحفظ أنت بهذه القطعة الذهبية، وأحتفظ أنا بحياتي. هذا كل ما في الأمر. لست بحاجة لاصطحابي إلى السفينة، فقط أخبرني أيُّ منها ستبحر، وغُضَّ البصر حين أمرُ من أمامك".

تردَّد الموظف. نحَّى جريدته جانبًا ومال ليتفقد الجدول المثبت على المكتب أمامه، وبعد برهة قال: "هناك سفينة متجهة لهوكتيكا ستغادر مع أول خيوط الفجر، اسمها بلانشيه".

ويلز: "أخبرني أين مرساها. أعطني فرصة. هذا كل ما أطلبه منك يا بيل".

زَمَّ الموظف شفتيه مفكرًا في الأمر. والتفت ثانية إلى الجدول، كأنه سيجد أفضل تصرف ممكن في هذا الموقف مكتوبًا أمامه. ثم احتدَّت نظرته وقال: "لحظة واحدة يا ويلز".

"ماذا؟".

"مكتوب هنا في قائمة المخزون أن هناك شحنة تخصك".

خطا ويلز للأمام مقطبًا: "دعني أرى".

لكن بيل سحب الدفتر ناحيته بعيدًا عن متناول ويلز. وتفحص الخانات، "هناك صندوق شحن مُتَّجه إلى ميلبورن، تمَّ تحميله على متن جودسبيد، بوليصة الشحن موقَّعة باسمك". ثم رفع بصره وقد تملَّكه الغضب، "ما الأمر؟".

ويلز: "لا أدري، هل يمكنني أن ألقى نظرة؟".

بيل: "أنت تكذب عليّ".

قال ويلز: "لا. ولم أوقَّع أبدًا على هذه الشحنة الملعونة".

بيل: "أموالك في هذا الصندوق. أنت ترسل ذهبك خارج البلاد في حين تهرب إلى هوكتيكا لتغطي آثارك، وحين يحين الوقت للملائم، ستنتقل عبر بحر تسمان وتبدأ حياة جديدة، متهرّبًا من الضرائب".

قال ويلز: "لا، لستُ أنا مَنْ فعل هذا".

لوّح الموظف بيديه باشمئزاز. "اذهب، واحتفظ بقطعتك الذهبية، لا أريد المشاركة في خدع".

ظلّ ويلز صامتًا لبرهة. مُحدِّقًا في الهيئة المظلمة للسفن الراسية، وفي خطوط الضوء الرفيعة المتكسرة فوق الماء، والمصابيح المعلقة تئنُّ في الرياح. ثم تحدّث بحذر: "لستُ أنا مَنْ وقّع عليها".

عبس بيل وقال: "لا، لا تحاول. لن تستغفني".

ويلز: "شهاداتي، ورخصة التنقيب الخاصة بي، وأوراقي، وكل شيء يخصني كان في الخزينة في شارع كمبرلاند. أقسم لك. هذا الرجل كارفر. إنه مجرم مُدان. سُجن في كوكاتو. لقد استولى على كل شيء. لم يُعد لديّ سوى القميص الذي أرتديه. فرانسيس كارفر يستخدم اسمي يا بيل".

هزّ بيل رأسه، "لا، هذا الصندوق لن يغادر البلاد. سأسترجعه في الصباح الباكر".

ويلز: "أسترجعه الآن. وسأخذه معي إلى هوكتيكا. بهذه الطريقة لن يغادر أي شيء البلاد، أليس كذلك؟ سيسير كل شيء حسب القانون".

ألقي الموظف نظرة على قائمة المخزون، ثم على ويلز. "لا أريد المشاركة في أي جلبة".

ويلز: "لن تقترف أي خطأ. ليس هناك أي خطأ على الإطلاق. التهرّب من الضرائب يحدث إن أرسلت الصندوق خارج البلاد. سأوقّع عليه. سأوقّع أية أوراق تريدني أن أوقعها".

ظَلَّ بيل صامتًا لفترة طويلة، علم ويلز أنه يفكر في الأمر. ثم قال أخيرًا: "لن أستطيع نقله إلى البلانسيه. ستبحر مع أول خيوط الفجر، وقد وقَّع باريش على الحمولة بالفعل. ليس لدينا وقت كافٍ".

"أرسله إذن بعدها، وسأوقِّع على النقل الآن. أتوسَّل إليك".

قَطَّب بيل: "ليس هناك داعٍ لأن تتوسَّل".

تقدَّم ويلز ووضع قطعة الذهب على المكتب. وللحظةٍ بدت ترتجف كمؤشر في بوصلة.

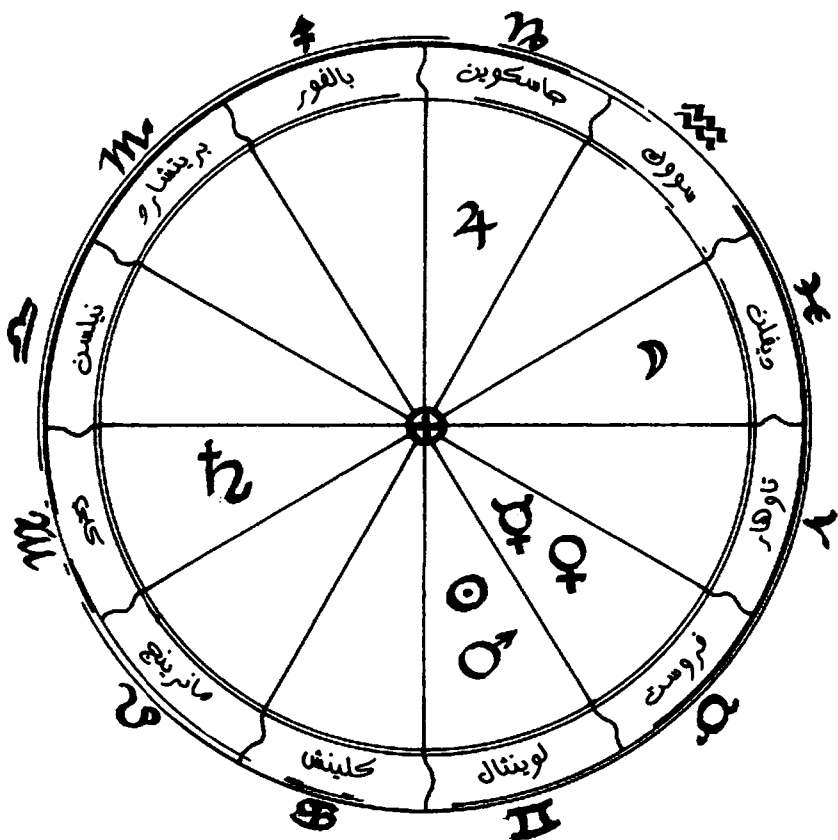
نظر بيل طويلًا لقطعة الذهب، ثم رفع بصره وقال: "لا، احتفظ بقطعتك الذهبية يا كروسبي ويلز، لا أريد المشاركة في مكائد".

الجزء السادس

الأرملة وملابس الحداد

18 يونيو 1865

42° 43' 0" ص / 170° 58' 0" م



الأرض الثابتة

وفيه يأخذ إيميري ستينز الذهب إلى البنك، ويقترح كروسبي ويلز القيام بخدعة، ويتشكك إيميري ستينز في انطباعه الأول، لكن بعد فوات الأوان.

حتى الآن لم يحرز إيميري ستينز في هوكتيكا نجاح يُذكر. لم يعثر بعدُ على بقعة أرض تعجبه بدرجة كافية لينقب فيها، ولا على صحبة تعجبه بدرجة كافية لينضم إليها. لقد جمع بعض تراب الذهب من مناطق عدة، من الشواطئ شمال وجنوب النهر ومن الشعاب الصغيرة على الجانب البعيد من أخدود هوكتيكا، ولم يكن العائد ثابتًا وقد أنفق بالفعل الجزء الأكبر منه. وستينز بطبعه يميل للتبذير إذا كان الوقت والمال اللذان يبعثرهما يخرصانه، وقد فضّل أن يبيت ويتناول الطعام في صحبة آخرين عن أن يقوم بهذا وحيدًا في خيمته

التي تظللها النجوم، واكتشف بعد تجربته الأولى أن هذه الأجواء الرومانسية لا تُطاق. لم يكن مهياً لمראה شتاء غرب كانتبري، وكثيراً ما عزف عن الخروج بسبب المطر، وتحجج بالطقس السيئ، وفي كل مساء كان يشرب النبيذ ويأكل اللحم المملح ويقامر، وفي صباح اليوم التالي يخرج سعيًا ملء منديله من جديد. ولولا اتفاقه مع فرانسيس كارفر لظل على هذا الحال لأجل غير مسمى، يعيش بلا هدف في دائرة مغلقة من الإفراط في الشيء ثم التعافي منه، لكنه لم ينسَ شروط اتفاقه والتي ستُحتم عليه أن يلقي بالمرساة كما يقول المنقبون، ويستثمر.

في صباح الثامن عشر من يونيو استيقظ ستينز مبكرًا، بعد ليلة أمضاها في أحد فنادق كانير الرخيصة، وهو كوخ من الألواح الخشبية طويل ومنخفض السقف به مطبخ وصفوف من الأسرّة القماشية المعلقة فوق بعضها. كان الهواء باردًا رطبًا، ارتدى ملابس زفيره يتلوّن بالأبيض. وفي الخارج اشترى بنصف بنس طبق حساء صُب له بمغرفة من وعاء ضخم يتصاعد منه البخار، أكله واقفًا يحدّق شرقًا إلى حيث ظهرت حواف جبال الألب الشاهقة في التقائها بسماء الشتاء كظلي متغصن. حين أنهى طبقه أعاده إلى الكوة ولمس قبعته تحية لزملائه، ثم اتجه إلى هوكتيكا حيث ينوي أن يحدد ميعاداً مع أحد تجار الذهب تمهيداً لشراء حقل ذهب.

أوصله النهر إلى اللسان الرمي، وهناك لاحظ سفينة تدخل بهدوء إلى فم الميناء، انزلقت إلى المرسى مولية جانبها للنهر، وبدت تتأرجح في المياه العميقة للناحية البعيدة من الحاجز القاري. تمعّن ستينز فيها بإعجاب أثناء مشيه على منحني الرصيف الطويل. كانت سفينة جميلة بثلاثة أشعة، ليست كبيرة، في مقدمتها تمثال لنسر يصرخ فاتحاً منقاره وفارداً جناحيه. وعلى سور جانب السفينة وقفت امرأة، ولبعد المسافة بينهما لم يتمكن ستينز من تمييز وجهها ولا التعبير

المرتسم عليه، لكنه ظنَّ أنها ولا بُدَّ تائهة في أحلام اليقظة، لأنها كانت تقف بمنتهى الثبات، تمسك السور بكلتا يديها وتنورتها تخط ساقها وخيوط قبعتها تخط صدرها. وتساءل عما يشغل بالها، أتراها سارحة في ذكرياتها، في مشهد تستعيده، أم سارحة في توقعاتها، في شيء تتمناه، أو شيء تخشاه؟.

وفي البنك المركزي أخرج قربة ماء الشرب الخاصة به المحتوية على حصيلته من الذهب، وبناء على تعليمات موظف البنك سلَّم الحصيلة ليتم فحصها ووزنها. استغرق التقييم بعض الوقت، لكنه تلقى عرض شراء بسعر جيد، وغادر ستينز المبنى وقد طوى ورقة بنكية بعشرين جنيهًا في جيب صديريته المقابل لقلبه.

"قِفْ عندك يا فتى".

التفت ستينز. ورأى رجلًا يصعد سلم البنك. كان في حدود الخمسين من عمره، ذا شعر أشقر، وبشرة لَوَحَتْها الشمس بشدة، وأنف شديد الاحمرار، ولحية خفيفة يبدو أنه لم يحلقها منذ قرابة الأسبوع ويغلب عليها اللون الأبيض.

ستينز: "أي خدمة؟".

"هل بإمكانك إجابة سؤال أو اثنين. أولًا، هل أنت موظف في مؤسسة ما؟".

"لا أنا لست موظفًا".

"حسنًا. ثانيًا، أيهما تفضل، الأمانة أم الإخلاص؟".

"معذرة؟".

قال الرجل: "الأمانة أم الإخلاص. أيهما تعتقد أنه أهم وأعلى قيمة؟".

"أهذه حيلة ما؟".

"بل هو تساؤل حقيقي. إن لم يكن لديك مانع من الإجابة".

قطب ستينز قليلاً، "حسنًا، صعب أن أقرر أيهما أهم. الأمانة أم الإخلاص. من ناحية يمكن للمرء أن يرى الأمانة كنوع من الإخلاص، إنها الإخلاص للحقيقة... لكن لا يمكن أن نرى الإخلاص كنوع من الأمانة. في الواقع، وبالنسبة لي، فإن كان عليّ أن أختار ما بين أن أكون مُخلصًا وغير أمين، أو أمينًا وغير مخلص، فإني سأختار أن أقف في صفّ قومي، وبلدي، وعائلي، عن أن أقف في صفّ الحقيقة؛ لذلك سأختار أن أكون مُخلصًا. لكن لديّ إحساس مختلف بالنسبة للآخرين. أنا أفضل كثيرًا أن أحظى بصديق أمين على أن أحظى بصديق مخلص، أفضل أن أكون مخلصًا لصديق أمين عن أن أكون مُخلصًا لمتعلم. دعنا نقول إن إجابتي تتوقف على الموقف، أنا أقدر الإخلاص في نفسي، وأقدر الأمانة في الآخرين".

"حسن، حسن جدًا".

ابتسم ستينز، "حقًا؟ هل نجحت في الاختبار؟".

قال الرجل: "تقريبًا. أحتاج لخدمة. إن نيتي حسنة، وسأوافق على كل شروطك. اسمع...".

ومدّ يده إلى جيبه وأخرج قطعة ذهبية، في مثل حجم سيجار قصير. ورفعها بحيث انعكس عليها الضوء. "جميلة، أليست كذلك؟". اختفت ابتسامة ستينز. "جميلة جدًا".

واستأنف الرجل: "لقد وجدتها في وادي كلوثا. في طريق أوتاجو. ظللتُ أحملها لشهر واثنين، لكنني أودُّ أن أبدلها بأرض، واخترت قطعة أرض، لكن وكيل الأراضي لا يتعامل إلا بالأوراق البنكية. المشكلة أنني تعرّضتُ للسرقة. وليس معي إثبات للشخصية. وكل أوراقي ورخصة

التنقيب الخاصة بي ضاعت؛ لذلك لن أستطيع إيداع هذه القطعة الذهبية في البنك بنفسى".

ستينز: "آه".

"أود أن أطلب منك معروفًا. خذ هذه القطعة واذهب بها للبنك. وأخبرهم بأنها لك، وأنت وجدتتها في الأراضي التابعة للمملكة. وبدلها لي بأوراق بنكية. لن يستغرق الأمر أكثر من نصف ساعة. ويمكنك أن تطلب المبلغ الذي تريده".

ستينز، بعدم اقتناع: "فهمت". وتردد للحظة ثم أضاف: "بالأكيد تستطيع أن توضّح موقفك للموظفين بالداخل. تستطيع أن تخبرهم أنك تعرّضت للسرقة، تمامًا كما أخبرتنى".

ردّ الرجل: "لا أستطيع ذلك".

ستينز: "إنهم يحتفظون بالسجلات. حتى إن لم يكن معك أوراق، لديهم طرق أخرى لإثبات هويتك. كأخبار الشحن وغيرها".

هزّ الرجل رأسه، "أوراقى مستخرجة من أوتاجو، وحين آتيت إلى هنا لم أمرّ عبر الجمارك. أنا لست مُسجلاً هنا".

بدأ ستينز يحسّ بالقلق الشديد، "أوه".

خطا الرجل ناحيته، "أنا أخبرك بالحقيقة يا فتى. هذه القطعة الذهبية ملكي، لقد وجدتتها في وادي كلوثا. وأستطيع أن أرسم لك المكان، أستطيع أن أرسم لك خريطة إن أردت. أنا أقول الحقيقة".

نظر ستينز مرة أخرى إلى القطعة الذهبية، "هل لديك شاهد على ما تقول؟".

انفجر الرجل وهزّ قبضته، "أنا لم ألوّح بها على قارعة الطريق. ما الحكمة في هذا؟ لقد سرقوني مرة، ولن أدعهم يسرقوني ثانية. لم يلمس هذه القطعة غيري سوى شخص واحد. شابة تدعى آنا

ويذريل. وهي شاهدة على صحة ما حكيته لك. لكنها في ديوندين، وأنا لن أستطيع انتظار البريد".

لم يعن اسم أنا ويذريل أي شيء بالنسبة لستينز، ولم يتوقف عنده أثناء تفكيره في أفضل طريقة ينسحب بها من الموقف؛ فهو لا يصدق هذا الرجل على الإطلاق (وكان واضحًا بالنسبة له أن هذه القطعة الذهبية مسروقة ولا شك، وأن اللص يحاول إخفاء آثاره خوفًا من القبض عليه عن طريق استغلال رجل بريء ليحوّل الدليل إلى أموال لا يمكن تعقبها) وهيئة الرجل لا تبعث على الطمأنينة. وتشي عيناه المرهقتان المحترقتان بإدمانه الطويل المدمر للشرب، وكان بإمكان ستينز، على بُعد خطوات عدة، أن يشمّ على ملابسه وفي أنفاسه رائحة خمر الأمس. وماطل ستينز لكسب بعض الوقت، "هل قلتَ وكيل الأراضي؟".

وأوماً الرجل: "هناك قطعة من الأرض تروق لي. على طريق الأراهورا. أودُ العمل في الأخشاب. لقد انتهى زمن البحث عن الذهب بالنسبة لي. لقد عثرت على ثروة، وفقدتها، وهنا انتهى الأمر. أما الأخشاب فمجال عمل شريف".

مكتبة

t.me/soramnqraa

"ما اسمك؟".

الرجل: "كروسبي ويلز".

تجمّد ستينز: "ويلز؟".

"نعم". وقطّب فجأة، "وما يعنيك من اسمي؟".

تذكّر ستينز وصية فرانسيس كارفر الغربية منذ شهر مضى، حينما كانا في فندق هوثورن الواقع في شارع چورچ: لمدة يوم واحد سيكون اسمي ويلز، فرانسيس ويلز.

كرّر ستينز: "كروسبي ويلز".

قال ويلز الذي لا يزال مقطَّبًا: "نعم. بلا اسم أوسط، ولا اسم تدليل، ولا اسم شهرة، فقط كروسبي ويلز، الاسم الذي لازمني منذ يوم ولادتي. بالطبع لا أستطيع إثبات ذلك. بدون أوراق لا أستطيع إثبات أي شيء".

تردَّد ستينز مرة ثانية. ثم بعد وهلة مدَّ يده مصافحًا، "إيميري ستينز".

نقل ويلز قطعة الذهب ليده الأخرى وتصافح الرجلان. "هلاً تفضَّلْتُ بتحديد أجرك يا سيد ستينز؟ إني في غاية الامتنان لك". فجأة سأله ستينز: "اسمع. هل تعرف رجلًا... أعني، اعذرني لكن، هل تعرف رجلًا يدعى فرانسيس كارفر؟".

لم يكن يعلم بعدُ بالقصة الكاملة لما حدث في اليوم السابق على مغادرته ديوندن، لم يكن يعلم أين ذهب كارفر في تلك الساعة من من ساعات العصر، ولمَ غيَّر اسمه، ولمَ كان مهممًا لتلك الدرجة بصندوق صغير لا يحوي غير خمسة فساتين غير مميّزة.

تجمَّد ويلز، وشاب صوته القسوة، "لماذا؟".

ستينز: "أعتذر بشدة. ليس الأمر مهمًا. لقد سألتك لأنه، حسنًا، منذ حوالي الشهر انتحل رجلٌ يدعى كارفر اسم عائلتك ليوم واحد، لفترة العصر في ذاك اليوم، ولم يخبرني أبدًا بالسبب الذي دعاه لهذا". ضمَّ ويلز قبضتيه، "ماذا يكون كارفر لك؟".

تراجع ستينز للوراء، "لستُ أعرفه جيّدًا. أقرضني بعض النقود، هذا كل ما في الأمر".

"نقود؟ كم من النقود؟".

ستينز: "ثمانية جنيهات".

"ماذا؟".

كرّر ستينز: "ثمانية، ثمانية جنيهاً".

تقدّم منه ويلز، "هل هو صديقك؟".

تراجع ستينز مرة أخرى، "ليس صديقي على الإطلاق. لقد اكتشفت بعدها أنه سجين سابق، وأنه قضى في السجن عشر سنوات مع الشغل، لكنني اكتشفت ذلك بعد فوات الأوان، بعد أن وقّعت باسمي".

"وقّعت على ماذا؟".

قال ستينز: "عقد شراكة".

"وهل وقّع عقده معك باسمي؟".

رفع ستينز يديه، "لا، لقد انتحل اسمك، لكنني لا أعلم لِمَ فعل ذلك. اسمع، إني في غاية الأسف لمضايقتك".

دروسبي ويلز: "إنه هو، هو من أخذ أوراقتي. وسرق مني ثروة من الذهب. وحرّض زوجتي ضدي. لقد سرق اسمي، وأموالي، وحاول قتلي، لكنه لم ينجح. لقد هربْتُ. وها أنا ذا. أكّدح مقابل أجر زهيد، وأعيش على الكفاف، وأمشي بجانب الحائط، وأتلفّت حولي في كل لحظة حتى أكاد أجنُّ". ولوّح بالقطعة الذهبية قائلاً: "وهذا هو كل ما تبقى لي".

قال ستينز: "لِمَ لا تبلغ عنه الشرطة. ما قلته يمثّل دليلاً كافياً ضده".

لم يرُدّ ويلز على الفور. ثم قال: "أين هو؟".

"أعتقد أنه لا يزال في ديوندين".

"هل أنت متأكّد؟".

قال ستينز: "هذا ما أعرفه، لديّ عنوانه، وسيكون عليّ أن أراسله حين أقوم بأول مشاريعي".

صرخ ويلز: "أنت شريكه".

"لا، أنا مدين له، هذا كل ما في الأمر، لقد أقرضني ثمانية جنيهات، وعليّ أن أستثمر لحسابه مقابل هذه النقود".

"أنت شريكه، أنت من رجاله".

ومرة أخرى ينتاب ستينز القلق، "اسمع، أيّا كان ما اقترفه كارفر بحقّك يا سيد ويلز، وأيّا كانت دوافعه، أنا لا أعلم أي شيء عنها. هل كنت لأذكر اسمه لك الآن إن كنت أعلم أيّ شيء عمّا حدث؟ بالطبع كنت سألتزم الصمت".

سكت ويلز. حدّقًا في بعضهما البعض، وكلّ منهما يتفحّص تعبيرات الآخر. ثم قال ستينز: "سأفعل ما تريد، سأخذ قطعتك الذهبية إلى البنك".

المريخ في برج السرطان

وفيه يبدأ كارفر في البحث عن كروسيبي ويلز، ويعرض إدجار كلينش خدماته، وتقوِّي أنا ويزريل من عزمها.

عبرت جودسبيد حاجز هوكتيكا القاري عند أعلى نقطة للمدّ. استغرق كابتن كارفر قرابة الساعة في عبور زحام مصب النهر، كان هناك العديد من السفن المغادرة، وكان عليه انتظار الإشارة من رصيف جييسون لدخول مرسى السفن، اتّسع الوقت أمام أنا ويزريل الواقفة بمفردها فوق سطح السفينة لتفحص المشهد. بدت هوكتيكا أصغر بكثير، وأكثر انكشافاً، ممّا تخيلته. ومقارنة بمدينة ديونندن المختبئة أسفل ذراع ميناء أوتاجو الطويل، وتحيطها التلال من كل جانب، بدت هوكتيكا مخيفة بقربها الشديد من المحيط. وبدت المباني لآنا متجهمة ومهجورة، وزاد من بؤس منظرها شرائط الزينة

الحمراء والصفراء التي تم تعليقها متقاطعة ما بين زوايا الأسقف والمظلات الأمامية لمباني الفنادق المُطْلَعة على الشاطئ.

لفت انتباهها نحو رصيف الميناء رنين مفاجئ، حيث لمحت رجل أحمر الشعر والشارب يقف صارخاً ملوِّحاً بجرس نحاسي في الرياح. من الواضح أنه يعلن عن شيء ما، لكن توصياته اللوححة تضيع تحت صليل جرسه الواسع الفم بالقدر الكافي ليتسع لرغيف كامل من الخبز، ومصفقه السميك والثقيل كسبيكة ذهب. وصوته الذي يتصاعد منه حزيناً عنيداً تكتمه المسافات، والرياح.

كانت الرحلة من ديونندن هي الرحلة الأولى لجودسبيد تحت قيادة فرانسيس كارفر، الذي تركته الجراح العديدة التي أصابته ليلة الثاني عشر من مايو عاجزاً عن العمل، فلم يلحق بجودسبيد حين شدّت الرحال إلى ميلبورن عصر اليوم التالي حسب المخطّط؛ وبالتالي فقد الفرصة لإبلاغ القبطان راكسورثي أن ملكية السفينة قد تغيّرت. فراكسورثي دقيقٌ بطبيعته، ولم يكن ليقبل تأخير إقلاع السفينة بسبب تكاسل أحد أفراد الطاقم، فأبحر حسب الميعاد المحدّد رغم الصداع الرهيب الذي عانى منه، وبعد أن غادرت جودسبيد مرفأها في ميناء تشالمرز لم يعد في استطاعة كارفر إلا انتظار عودتها. فأمضى الأربعة الأسابيع التالية يتعافى برعاية السيدة ويلز القلقة التي يملؤها الأسى حين ترى التثوّه الذي لحق بوجهه. وقد تمت خياطة الجرح، وأزيلت الغرز بعد التئامه، تاركة ندبة قبيحة وردية اللون سميكة كخيوط الدوبارة ومتعصّنة من الطرفين. وكثيراً ما كان يلمس الندبة بأطراف أصابعه ويعمد إلى إخفائها بيده حين يتحدث.

حين عادت جودسبيد من ميناء فيليب في الرابع عشر من يونيو، قابل كارفر چيمس راكسورثي لإبلاغه بانتهاء عمله كقبطان. فقد تمّ بيع السفينة والاستغناء عن خدماته، وقد أمر السيد ويلز مالك

السفينة الجديد بترقية كارفر إلى منصب القبطان، وهو شرف يمنح كارفر الحق في تسريح طاقم راكسورثي وجمع طاقمه الخاص. غاب الودُّ عن الاجتماع الذي طال بين كارفر وقبطانه السابق، وازدادت العلاقات توترًا حين اكتشف كارفر اختفاء بند من مخزن جودسبيد منذ شهر. وتوسَّل كارفر لراكسورثي الذي هزَّ كتفيه، فعلى حدِّ علمه لم يحدث أي كسر للوائح والقوانين عند استرجاع هذا الصندوق. تحوَّل غضب كارفر إلى كرب. وذهب إلى مكتب الجمارك، وكل شركات الشحن على رصيف الميناء، وكل منازل المبيت في منطقة البحارة. ولم تسفر تحرياته عن أي نتائج. وعندما انكبَّ على أخبار الشحن في جريدة أوتاجو وتنس تلك الليلة، اكتشف أنه في الثالث عشر من مايو لم تبحر من ميناء تشالمرز، بجانب جودسبيد، سوى سفينة واحدة، وهي الباخرة بلانشيه المتجهة إلى هوكتيكا.

وقال للسيدة ويلز: "هذا لا يُعدُّ دليلًا على أي شيء، لكنني لن أحتمل أن أقف مكتوف الأيدي. سأجنُّ إن لم أفعل شيئًا. وعلى أي حال فلديَّ شهادة ميلاده، ورخصة التنقيب. سأدَّعي أنني كروسبي ويلز، وأني فقدت صندوق شحن. سأعرض مكافأة لإعادته".

السيدة ويلز: "وماذا عن كروسبي نفسه؟ هناك فرصة...".

كارفر، "إن رأيته، سأقتله".

"فرانسيس...".

"سأقتله".

"سيتوقَّع أن تلاحقه. لن يمكنك مغافلته، لن يمكنك مغافلته مرة أخرى".

وهو لن يمكنه مغافلتي".

في اليوم السابق لرحيل جودسبيد، استُدعيت أنا إلى صالون الطابق الأسفل، حيث وجدت السيدة ويلز في انتظارها.

السيدة ويلز: "الآن وقد استعاد السيد كارفر صحته، أستطيع التركيز في الأمور الأقل استعجالاً، مثل مستقبلك. لا يمكنك البقاء في منزلي بعد الآن يا آنسة ويذريل، وأنت تعرفين السبب".

همست أنا: "نعم يا سيدتي".

أكملت السيدة ويلز: "كنت لأتغاضى عن خيانتك، وأتوجع في صمت، كما تفعل النساء، لكنني لن أؤسّح مع الاعتداء على السيد كارفر. فتحالفك مع زوجي تخطى حدود الشر إلى مصاف الجرائم. وأصبح السيد كارفر مشوّهاً. إنه بلا شك محظوظ لبقائه حيّاً بعد إصابته بتلك الجروح الخطيرة، لكنه سيحمل هذه الندبة للأبد".

أنا: "لقد كنت نائمة. لم أرَ أي شيء".

"أين السيد ويلز؟"

"لست أعلم".

"هل تقولين الحقيقة يا آنسة ويذريل؟"

أنا: "نعم، أقسم لك".

اعتدلت السيدة ويلز في جلستها مغيرةً الموضوع، "سيبحر السيد كارفر إلى الساحل الغربي غداً كما تعلمين، وفي الحقيقة فإني أعرف رجلاً في هوكتيكا يدعى ديك مانرينج. سيجد لك عملاً مناسباً هناك، ستعملين في خدمات المخيم، كما كنتِ تطمحين، ولن تلتقي طرقتنا، أنا وأنت، مرة أخرى. لقد حسبت مصاريفك خلال الشهرين الماضيين ونقلت ما تدينين به إليه. أرى أنك مندهشة. ربما كنتِ تعتقدين أن الخمور تنمو على الأشجار. هل تعتقدين أن الخمور تنمو على الأشجار؟".

همست: "لا يا سيدتي".

"إذن لا تندهشي أن عادة احتسائك الخمر بمفردك قد كلّفتني الكثير الشهر الماضي".

"لا يا سيدتي".

السيدة ويلز: "واضح أنك لست غبيّة بمقدار ما أنت شريرة، رغم أنه بالنظر لطبيعة ومدى شرك، لا يمكن للمرء أن يرى خيراً في قدراتك الفكرية. أعلمك أن السيد مانرينج ليس متزوجاً؛ وبالتالي فأنت لست مُهدّدة بجلب العار على بيته كما جلبته على بيتي".

اختنقت أنا، لم تتمكّن من النطق. وفرتّ إلى غرفة النوم حين صرفتها السيدة ويلز، واتجهت إلى المكتب، وأزالت سداة زجاجة الويسكي المخلوط بالمخدر ورفعتها إلى فمها، وابتلعت، بيأس وبؤس، جرعتين كبيرتين من الشراب، ثم ألقت بنفسها على سريرها وبكت حتى سرى مفعول المخدر.

علمت أنا جيداً ما ينتظرها في هوكتيكا، لكنها تحت وطأة أحاسيس الذنب وجَلَد النفس التي ملأتها تقبّلت مصيرها المحتوم، كجثةٍ في مهبّ الريح. كانت تستطيع الاعتراض على ترتيبات السيدة ويلز، بعضها أو كلها، كانت تستطيع الفرار تحت أستار الليل، كانت تستطيع التفكير في حلٍّ للموقف. لكنها لم يُعد لديها شك في حالتها، وعلمت أنه لن يطول الوقت قبل أن يظهر ما بها للعيان. كانت بحاجة للرحيل عن السيدة ويلز بأسرع ما يمكن، وبأي طريقة ممكنة، قبل أن تعرف المرأة سرّها.

حلق نورس على ارتفاع منخفض بطول رصيف جيبسون، عند وصوله للسان الرملي ارتفع راكباً تيّار الهواء الصاعد، وعاد ليحلق بطول الرصيف مرة أخرى. شدّت أنا أطراف شالها على كتفيها. تلقت جودسبيد الإذن بإلقاء المرساة، وألقي حبل ما بين السفينة والشاطئ،

وأصدر كارفر تعليماته بإنزال الأشرعة وطيّها، وببطء اقتربت السفينة من الرصيف. اجتمع حشدٌ صغير من الحمّالين للمساعدة، رمشت عينا أنا فجأةً فرأت العديد منهم يتغامزون فيما بينهم ويشيرون إليها. وحين رأوا أنها تنظر إليهم خلعوا قبعاتهم وانحنوا، ثم ضحكوا وهم يمسون سراويلهم من الأحزمة ويدفعونها بعيدًا عن أجسادهم. احمرّ وجه أنا. وداهمها الحزن بغتةً، فعبرت سطح المركب إلى الجانب الأيمن للسفينة، وتنفّست بعمق وهي تقبض على السور بكلتا يديها، ورفعت بصرها إلى المرتفع الذي يعلو اللسان الرملي، حيث قذفت الأمواج المتكسرة بضباب أبيض لطيف طمس خطّ الأفق. بقيت في مكانها حتى ناداها كارفر بجفاف، وأمرها بالهبوط إلى الرصيف حيث السيد إدجار كلينش المدير التنفيذي لفندق جريديرون قد قدّم عرضًا للإقامة في فندقه، وأنه، كارفر، قد قبل العرض بالنيابة عنها.

تي را أو تاينوي طريق قبيلة تاينوي

وفيه يتجه كروسبي ويلز إلى وادي الأراهورا، وتتخطى السفينة البخارية تيتانيا على الحاجز القاري.

بيعت قطعة ويلز الذهبية، التي أودعها ستينز في البنك، بأكثر من مائة جنيه. وبينما كان المشتري يثمنها، وموظف البنك يسجل بياناتها، خضع ستينز لاستجواب من العديد من الحاضرين عن مصدر قطعة الذهب. وأعطى إجابات مُبهمة ملوِّحًا بذراعه ناحية الشرق، ذاكراً علامات مميزة غير مميزة؛ مثل "مجرى مائي" و"تل"، لكن محاولاته للتهوين من شأنها لم تنجح. حين خُطِّبَ ثمنُ قطعة الذهب بالطباشير على السبورة المعلقة فوق مكتب المشتريين، قاد موظف البنك نوبةً من التصفيق والاستحسان، وهتف المنقبون باسمه.

حين همّ ستينز بالانصراف قال فروست، موظف البنك: "يمكننا صنع نسخة منها قبل صهرها، إذا وددت ذلك. بحيث يمكنك طلاؤها والاحتفاظ بها كتذكّار، أو إرسالها لحبيبك في موطنك الأصلي. إنها قطعة جميلة".

ستينز: "لست بحاجة لنسخة. أشكر على كل حال".

فروست: "ربما تودّ أن تتذكّر أسعد أيامك حظاً".

ردّ ستينز: "أتمنى أن يحمل المستقبل لي أياماً أسعد حظاً". وأطلق رده نوبة جديدة من التصفيق، والمزيد من الإعجاب، وارتفعت صيحات "أحسنتم يا رفاق" من نصف دسّة من الحاضرين. وعندما أفلح أخيراً في انتزاع نفسه من الزحام وخرج من البنك، كان يحسّ بضيق ليس بقليل.

قال وهو يناول كروسبي ويلز مظروفه: "لقد حصلتُ على لقب أسعد رجال هوكتيكا حظاً. ونصحوني أن أحافظ على هذا الحظ، وأن أكون كريماً مع مَنْ حولي، وأن أبوح بسرّ هذا الحظ، وبالكثير من الأشياء الأخرى. أعتقد أن القصة التي أخبرتني بها يا سيد ويلز ليست حقيقةً بالمرّة، وإنك تعلم بما سيحدث لرجل مغفّل لدرجة تجعله يخطو داخل البنك المركزي في مثل هذه الساعة من النهار ومعه قطعة ذهب بهذا الحجم".

اتّسعت ابتسامة ويلز، "أسعد رجال هوكتيكا حظاً. إنهم يتوقّعون منك الكثير. وأنا واثق أنك لن تخيّب ظنهم".

قال الفتى: "سأبذل قصارى جهدي".

أحصى ويلز النقود بسرعة ثم وضع المظروف في صديريته، "حسنًا، أنا مدين لك بالكثير. لقد عزمت على الشراء في وادي الأراهورا. شمالاً

على مسافة عشرة أميال. سترى النهر يجري قرب المكان. لن تتوه عنه. أهلاً بك في أي وقت، ولأي سبب".

ستينز: "سأذكر ذلك".

توقّف ويلز، "أنت لا تصدق حكايتي يا سيد ستينز، أليس كذلك؟".

"للأسف لا أصدقها يا سيد ويلز".

"ربما ستبوح بالأمر لصديقك كارفر".

"كارفر ليس بصديق لي".

"لكن ربما تنطق باسمي بشكل عابر. لكي ترى ردّ فعله".

"لن أفعل مثل هذا".

"إن قُمتَ بهذا ستكون ارتكبتَ جريمة قتل يا سيد ستينز. فليده حساب يرغب في تصفيته. إنه يريدني ميتاً".

ستينز: "سأصون السر. لن أخبر أحداً أيّاً كان".

مدّ ويلز يده قائلاً: "أثق بذلك. حظاً سعيداً".

"نعم، حظاً سعيداً لك".

"ربما سنلتقي مرة أخرى".

"ربما".

ظلّ ستينز لوقت طويل واقفاً على سلّم البنك المركزي بعدما نزل كروسبي ويلز إلى الشارع. شاهد الرجل يشق طريقه في الزحام باتجاه مكتب وكيل الأراضي، وهناك صعد السلم، وخلع قبعته ودخل بدون أن يلتفت وراءه. مرت خمس عشرة دقيقة وأراح ستينز كوعيه على السور، وظلّ يتفرج.

"سفينة غارقة، سفينة غارقة، سفينة غارقة على الحاجز!".

راقب ستينز المنادي يقترب، وصاح فيه: "ما اسم السفينة؟".

المنادي، "تيتانيا، إنها سفينة بخارية، اصطدمت بالحاجز".

لم يسبق لستينز أن سمع عنها. من أين أتت؟

ردَّ المنادي: "من ديوندن، عن طريق أوكلاند". وعندما أوماً له ستينز بالانصراف استأنف الصياح، "سفينة غارقة، سفينة غارقة، سفينة غارقة على الحاجز!".

وأخيراً انفتح باب مكتب وكيل الأراضي وخرج منه رجلان: كروسبي ويلز، ورجل آخر يشرع في ارتداء معطفه، غالباً هو وكيل الأراضي. تبادل الرجلان الحديث على الشرفة لعدة دقائق، ومن جانب المبنى جاءت عربة أجرة صغيرة بحصانين، وتوقَّفت ليتمكن ويلز ووكيل الأراضي من الركوب. بعد جلوس الرجلين وقفل الباب صاح السائق في الخيل، وانطلقت العربة الصغيرة مطلقاً نحو الشمال.

الكرامة العارضة

وفيه يلتقي مرة أخرى اثنان تعارفا عن طريق المصادفة، ويستاء إدجار كلينش.

أثبت السيد إدجار كلينش جدارته كمرشد عظيم عليم ببواطن الأمور. فقد استرسل في الحديث بلا انقطاع خلال التمشية القصيرة من رصيف جيبسون مقدّمًا وصفًا تفصيليًا دقيقًا لكل ما مرّوا به، كل واجهة متجر، كل مخزن، كل تاجر، كل حصان، كل عربة، كل منشور معلّق. كانت ردود أنا قليلة، معظمها همهمات وإيماءات. لكن، حين اقتربا من البنك المركزي، قاطعت ثرثرته بصيحة دهشة.

قال كلينش جازعًا: "ما الأمر؟".

كان الشاب ذهبي الشعر، الذي قابلته مسافراً معها على فورشنيت ويند، يقف مستنداً على حاجز الشرفة الأمامية للبنك، ناظراً نحوها، وعلى وجهه ارتسم تعبير من الذهول، مماثل لتعبيرها.

صاح الفتى: "إنه أنت".

آنا: "نعم. نعم".

"طيور القطرس".

"أذكّر".

نظرا لبعضهما البعض بخجل.

بعد لحظة قالت: "كم هو لطيف أن أراك مرة أخرى!".

هبط الفتى السلام قائلاً: "إنها صدمة عجيبة. تصوّري! لقد التقينا مرة أخرى. بالطبع تمّنيْتُ كثيراً أن نلتقي، لكنها كانت أمنيات يائسة، مثل الأمنيات التي نتمناها وقت الغسق، بلا أمل. أذكّر ما قلّته في ضوء الفجر، حين دُرنا حول رأس الميناء. لقد قلّتي: 'أحب أن أراه في عاصفة'، من وقتها وأنا أفكر كثيراً فيما قلّته. كان حديثك مبدعاً وجميلاً جداً".

احمَرَّ وجه آنا لمجاملته، فلم يحدث أن وصفها أحدهم بأنها مبدعة من قبل، ولم تتصوّر أن كلامها يرقى لمرتبة الحديث.

قالت: "إنه مجرد خيال".

وقف كليش منتظراً أن يتم تقديمه، وتنحنح.

قال الفتى: "هل أنت في هوكتيكا منذ فترة طويلة؟".

"لقد وصلت هذا الصباح، في التو، لقد ألقينا المرساة منذ أقل من ساعة".

"هذا الصباح!"

بدا على الفتى المزيد من الاندهاش، كأن وصولها هذا الصباح يعطي المزيد من التفرّد للقائهما بمحض الصدفة.

قالت: "وأنت؟ هل مضى عليك هنا وقت طويل؟".

"لقد مضى عليّ أكثر من شهر وأنا هنا". ثم ابتسم فجأة، "كم هو جميل أن أراك، كم هو رائع جدًّا!! لقد مرّ زمن طويل منذ رأيت وجهًا مألوفًا".

احمرّ وجه أنا مرة أخرى، "هل أنت عضو في المخيم؟".

"نعم، أتيت كي أصنع ثروتي، أو على الأقل أحاول العثور عليها مصادفة، أعترف لك أنني لا أفهم بشكل كامل الفرق بين الحالتين. أوه". وخلع قبعته. "يا لوقاحتي!! أنا لم أعرفك بنفسي. اسمي ستينز، إيميري ستينز".

استغل كلينش هذه الفرصة، "وهل تعجبك هوكتيكا يا سيد ستينز؟".

ردّ الفتى: "تعجبني كثيرًا. إنها خلية مثالية من المتناقضات. لديهم هنا جريدة، ولا يوجد مقهى لتقرأها فيه، لديهم كيميائي لتركيب الأدوية، ولا يجد المرء طبيبًا، والمستشفى غير جيدة باسمها. والمتجر دائمًا ما يخلو من الأحذية، أو من الجوارب، لكنك لن الاثني معًا، وكل الفنادق على امتداد شارع ريفل تقدّم الإفطار فقط، رغم أنهم يقدمونه في كل ساعات النهار".

فتحت أنا المبتسمة فمها لتردّ، لكن كلينش سبقها، "يقدم الجريديرون عشاء ساخنًا. لدينا طبق بثلاثة بنسات وآخر بستة بنسات ونقدّم بيرة مع الطبق ذي الستة بنسات".

ستينز: "أيهم هو الجريديرون؟".

كلينش: "في شارع ريفل"، كأن المكان معروف بدرجة كافية.

التفت ستينز لآنا، "ما الذي أتى بك إلى الساحل؟ هل دعاك أحدهم للحضور؟ هل ستبحثين عن عمل؟ هل ستبقيين؟".
لم ترغب آنا في استخدام اسم مانرينج. وبحذر قالت: "أنوي البقاء هنا. سأنزل في فندق جريديرون بناء على الدعوة اللطيفة من السيد كلينش".

مدّ كلينش يده، "هذا أنا. كلينش، اسمي الأول هو إدجار".
"تشرّفنا"، وصافحه ستينز بإيجاز ثم التفت ثانية إلى آنا، "لا زلتُ أجهل اسمك.. ربما لن أسألك عنه الآن. هل يمكن أن تُبقيه سرًّا، حتى يتحتم عليّ القيام ببعض التحريات لمعرفته؟".
كلينش: "اسمها آنا ويذريل".

امتلاً وجه الفتى بالدهشة، "أوه". وتطلّع لآنا بمنتهى الفضول، كأن اسمها يحمل دلالة هامة جدًا لا يمكنه الإفصاح عنها.
كلينش: "يجدر بنا الذهاب".

قفز الفتى جانبًا، "نعم، بالطبع. يجدر بكما الذهاب. صباحًا جميلًا لكما".

آنا: "من اللطيف أن أراك مرة أخرى".

ستينز: "هل يمكنني القدوم لزيارتك؟ بعد أن تستقر أمورك؟".

اندهشت لما قاله، فشكرته، وربما قالت المزيد لو لم يبعدها كلينش، الذي استغلّ كفّها الموضوعة تحت كوعه لجذبها بقوة ناحية صدره.

برج الحمل تحت سيطرة المريخ

وفيه يطلب فرانسيس كارفر بعض المعلومات من تي رو تاوهار، لكن تاوهار، الذي لم يتعرف بعدُ على السيد كروسبي ويلز، لا يستطيع مساعدته.

حمل رجل الماوري هراوةً من الحجر الأخضر، محشورة في حزامه فوق خصره بنفس الطريقة التي يحمل بها الرجل سوطاً أو مسدّساً. كانت الهراوة على شكل مجداف، مصقولة ولامعة، منحوتة من صخر أخضر زيتوني به تعرُّجات وبعض البقع الصفراء المتناثرة التي تبدو كأن أكاليل صغيرة من زهرة الكوهاي قد ذابت واندمجت في الزجاج. كان كارفر على وشك الرحيل بعد أن أبلغ رسالته للرجل حين التقط الحجر الضوء وبدا فجأة وكأنه ينير، فأشار بفضول إليه قائلاً: "ما هذا؟ مجداف؟".

تاوهار: "هراوة من الحجر الأخضر (باتو بونامو)".

مدَّ كارفر يده، "دعني أراها، دعني أمسكها".

أخرج تاوهار الهراوة من حزامه لكنه لم يناولها له. وقف ساكنًا يحدِّق في كارفر والهراوة مسترخية في يده، فجأة قفز وحرك الهراوة كأنما ليطعن كارفر في حلقه، ثم في صدره، وأخيرًا رفع الهراوة عاليًا فوق كتفه وأنزلها ببطء شديد في الهواء، وتوقَّف قبل أن يلمس السلاح رأس كارفر.

وقال: "أقوى من الحديد الصلب".

لم يجفل كارفر. "حقًا؟ أهي أقوى من الحديد الصلب؟".

هزَّ تاوهار كتفيه وخطا للخلف ودسَّ الهراوة في حزامه، وبذقن مرفوع وفكَّ مُطبَّق عاين كارفر بنظره لبرهة طويلة، ثم ابتسم ببرود والتفت مبتعدًا.

الشمس في برج الجوزاء

وفيه يكشف بنجامين لوينثال خطأ، ويتصرف ستينز بوحى اللحظة.

"يا للغمّ!. لديّ أرملة".

قالها لوينثال مقطّباً أمام لوح الطباعة يقرؤه من اليمين لليسا ومن الخلف للأمام، فالنّصّ كان معكوساً ومقلوباً.

"ماذا؟"، قالها ستينز الذي دخل الورشة للتو.

"أرملة، إنه مصطلح في الطباعة. لديّ كلمة واحدة زائدة عن مساحة العمود، أتعرف حين تجد كلمة مُعلّقة في آخر العمود في الجريدة، هذه أرملة. يا للغمّ، يا للغمّ، يا للغمّ!. كنت مستعجلاً صباح اليوم فتركت رجلاً يدفع أجر إعلان مساحته بوصتان بدون أن

أعدَّ حروفه، ولن تسع البوصتان الإعلان. آه، سأترك هذا جانبًا الآن وأعود إليه فيما بعد بعيون مرتاحة، هذا هو التصرف الوحيد الممكن حين يرتبك المرء. ما الذي يمكن أن أقدمه لك يا سيد ستينز؟". ترك لوينثال لوح الطباعة جانبًا وابتسم وهو يمدُّ يده لقطعة من القماش ليمسح الحبر عن أصابعه.

أخبره ستينز أنه استبدل حصيلته الذهبية بأوراق بنكية في البنك هذا الصباح. وأوضح: "نويت الاستثمار في حقل ذهب، لكنني أودُّ أن أتمهّل قليلًا. فأنا لا زلت... حسنًا، لا زلت لم أحسم أمري تجاه بعض الأمور. أودُّ أن أعرف ما المتاح للبيع في المخيم. سواء فنادق، أو قاعات طعام، أو مخازن، أو متاجر، أي شيء معروض للبيع".

"بكل تأكيد". واتجه لوينثال للخزانة وفتح أعلى أدراجها وبدأ يفرز الملفات، ثم أخرج ورقة ناولها لستينز قائلاً: "تفضّل".

تفحّص ستينز المستند. وحين وصل لنهاية القائمة لانت أساريه قليلًا، ورفع وجهه في دهشة.

"الجريديرون".

فتح لوينثال كفيّه وقال: "إنه استثمار جيد، السيد ماكسويل هو المالك الحالي، والسيد كلينش هو المدير التشغيلي. وكلاهما رجل طيب".

ستينز: "سأشتريه".

لوينثال: "أوه. هل أبلغ السيد ماكسويل بأنك تودُّ مُعَايَنَةَ المكان؟".

ستينز: "لا أودُّ معاينته، أودُّ شراءه بالكامل، وفورًا".

برج العقرب تحت حكم المريخ

وفيه يتعرّف فرانسيس كارفر على أحدهم في فندق إمبrial.

لم يعلّق كارفر أملاً كبيراً على الإعلان الذي نشره في تايمز الساحل الغربي هذا الصباح. من غير المرجّح أن يكون أحدهم أحرق لدرجة تجعله يعيد صندوقاً ضائعاً دون أن يفتحه، خاصة مع وجود خمسين جنيهاً كمكافأة للعثور عليه. وأصبح أقصى آماله أن يتم العثور على الصندوق وفتحه وسرقة محتوياته عدا الفساتين؛ على اعتبار أن قيمتها الوحيدة لا بُدَّ وأنها قيمة معنوية، وقتها وإن حدث وقرأ مَنْ عثر على الصندوق التايمز وعرف، أو عرفت بوجود مكافأة للعثور عليه، وقتها قد تعود الفساتين. وهذا الاحتمال الضعيف يعتمد على احتمال أضعف منه وهو أن الصندوق تمَّ شحنه إلى غرب كانتربري، من بين كل الجهات المحتملة في العالم الواسع. لكن لا، فحقيقة أن

الصندوق نُقِلَ من على جودسبيد في ليلة الثاني عشر من مايو لا يمكن أن تعني إلا شيئاً واحداً: أن أحدهم عرف بالثروة الضخمة التي يحتويها الصندوق. فمن غير هذا يمكن أن يخاطر بنقل الصندوق في اللحظة الأخيرة وشحنه لجهة أخرى. وإن كان كروسبي ويلز هو مَنْ فعل هذا، وهو أكثر الاحتمالات ترجيحاً، فمن المؤكد أنه قد غادر البلاد بأسرع ما استطاع، واستغل الذهب في رشوة موظفي الجمارك، أو في شراء أوراق وهوية رجل آخر. لقد ضاعت الثروة. لعن كارفر بصوت مرتفع وخطب قاعدة كأسه على مشرب الحانة مؤكداً على إحباطه.

"آمين". قالها الرجل الأقرب إليه.

التفت كارفر وحدّق فيه، كان الرجل يشير لنادل المشرب.

قال الرجل: "صَبَّ لهذا الرجل كأساً آخر. سنشرب كأساً آخر. على حسابي".

فتح النادل سداة زجاجة البراندي وأعاد ملء كأس كارفر.

قال الرجل وهو يراقب النادل يملأ الكأس: "اسمي بريتشارد".

رمقه كارفر بنظرة: "كارفر".

بريتشارد: "أظنك بخاراً، هناك مِلْحٌ على سترتك".

كارفر: "قبطان".

بريتشارد: "قبطان. أحسنت. أنا لا أطيق البحر. لولا الرحلة لكنت عدتُ لبلدي، مجرد التفكير فيها يعطّلني عن العودة. أفصّل أن أموت هنا ولا أمر بتلك المحنة مرة أخرى. نحن هنا في مؤخرة العالم، أليس كذلك؟".

تمتم كارفر، وشرب الاثنان.

"إذن أنت قبطان. حسنًا".

كارفر، "وأنْت؟".

"كيميائي".

دهش كارفر، "كيميائي؟".

بريتشارد: "الكيميائي الوحيد في المدينة. كيميائي أصيل".

وجلسا في صمت لفترة، وحين فرغت كأسيهما أشار بريتشارد للنادل مرة أخرى، فأعاد ملء الكأسين مرة أخرى. فجأة التفت كارفر ناحيته وقال: "ماذا لديك من منتجات الأفيون؟ هل لديك مخزون جاهز؟".

هزَّ بريتشارد رأسه، "أخشى أنني لا أستطيع مساعدتك. ليس لديّ سوى شراب الأفيون، وهو ضعيف. أضعف من الويسكي. ويصيبك بضعف صداع الويسكي. لن تجد أي أفيون جنوب نهر جراي. إذا كنت تهواه. ابحث عنه شمالاً".

كارفر: "أنا لا أريد أن أشتريه".

مكتبة

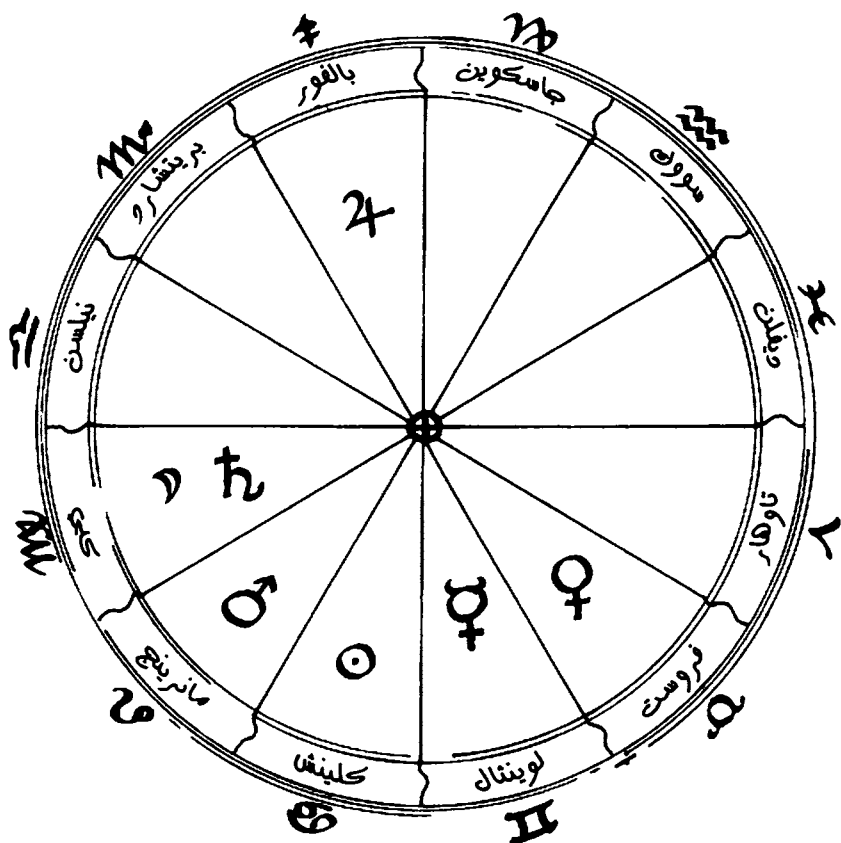
t.me/soramnqraa

الجزء السابع

السكن

28 يوليو 1865

42°43'0" ٤ / 170°58'0" ٥



برج السرطان والقمر

وفيه إدجار كلينش الذي أرجع التدهور الذي طرأ على صحة أنا لعادتها الجديدة التي رثبها لها وشجّعها عليها مانرينج، ربّ عملها. فيحاول فرض سلطته، وأنا ويذريل، التي لا تَقِلُّ في جَيَاشَةِ مشاعرها عن كلينش، لا تسمح له بذلك.

كلينش: "أنا لستُ ضد الصينيين، أنا فقط لا أعجبني شكل الأمور".

"وماذا يهمُّ في شكل الأمور؟".

"أقصد أني لست مستريحًا للامر، لست مستريحًا للموقف".

ضَبَطَت أنا تنورة فستانها القطني ذي الصديري المشغول بالكروشيهِ والتنورة الكريمة اللون، أحد الفساتين الخمسة التي اشترتهم من بائعي البضائع المنتشرة بعد تحطُّم السفينة تيتانيا منذ بضعة أسابيع. اثنان منها مبقَّعان بالعفن الأسود الذي لا يمكن إزالته بالغسيل،

والفساتين ثقيلة الوزن ومشدّاتها صلبة للغاية، وفَسَّرَت أنا هذا بأن
الأثواب تنتمي لعصر أقدم وأكثر تشدّدًا. أخبرها البائع وهو يلفُّ لها
الفساتين في الورق أن التيتانيا لم يكن على متنها سيدات عند غرقها،
فوجود هذه الفساتين عليها أمر غريب، والأغرب أنه لم يطالب أحد
بصندوق الشحن المحتوي عليهم بعد استعادة حمولة السفينة من
الحطام. وليس لدى شركات الشحن معلومات عنه. وبوليصة الشحن
دَمَّرَتها المياه المالحة، ولا يحوي سجلُّ السفينة اسم صاحب الصندوق.
الأمر كله لغز محير، وختم البائع حديثه متمنيًا لها أن لا تواجه أي
إحراج أو صعوبة في ارتدائها لهذه الفساتين.

ألحَّ كلينش: "كيف يمكنكِ التَّصَرُّف بحكمة وأنت تحت تأثير
المخدر؟ كيف يمكنكِ أن تدافعي عن نفسك إن، إن... حسنًا، إن
واجهتِ أمرًا غير مُتَوَقَّع؟".

تنهَّدت أنا: "ليس الأمر من شأنك".

"إنه شأني لأني أرى بمنتهى الوضوح أنه يستغلك ويستخدمك بما
يضرُّك ويُحقِّق مصلحته".

"إنه سيسْتَغْلِنِي دائمًا يا سيد كلينش".

كان ضيق كلينش يشتد، "ومن أين أتاكِ الظمأ له؟ أجيبيني عن
هذا السؤال. هل التقطت غليونًا وكان هذا كل ما تطلَّبه الأمر؟ لِمَ
فَعَلْتِ ذلك إن لم يكن السيد مانرينج نفسه قد أجبرك عليه؟ إنه يعلم
بما يريده منك؛ يريدك بدون أي فرصة للإفلات منه. هل تظنين أنني لم
أَرِ هذا الأسلوب من قبل؟ الفتيات الأخريات لا يلمسن هذا المخدر.
وهو يعلم هذا. لكنه حاولَ معكِ، لقد خَدَعَكِ، لقد أخذكِ إلى هناك".
"إدجار...".

كلينش: "ماذا؟ ماذا؟".

أنا: "من فضلك دعني وشأني، لا أقدر على الاحتمال".

شمس برج الأسد

وفيه يحظى إيميري ستينز بغداء مطوّل مع الثري مانرينج، الذي بذل خلال الشهر الماضي جهداً مدروساً لكسب صداقة الشاب، ويتصرّف مانرينج بزعامة، كما يفضّل دائماً، وكأنه المفوض بشئون كافة حقول الذهب، يقضي في أمرها، ويعهد بها لمن يشاء.

مانرينج: "أنت رجل مشهود له بالنجاح يا سيد ستينز. وأنا معجب بنجاحك".

ستينز: "حسن الحظ الذي يشاع عني مُبالغ فيه بشدة".

"تواضع منك أن تقول هذا. فالقطعة التي عثرت عليها مذهلة. لقد أطلعت على تقرير البنك. بِكَمْ بَعَثَهَا؟ مائة جنيه؟".

ردّ ستينز بإحراج: "في هذه الحدود".

"ولقد وجدتها في الأخدود، أليس كذلك؟".

صحَّ ستينز: "بالقرب من الأخدود، لا أستطيع تذكُّر المكان بدقة".

مانرينج: "حسنًا، أيًا كان مصدرها، أنت محظوظ بالعثور عليها. هل ستتناول بقية المحار، أم ننتقل إلى الجبن؟".

"دعنا ننتقل".

أشار مانرينج للنادل ليحمل الأطباق من أمامهما، وقال: "مائة جنيه. هذا مبلغ ضخم، مؤكَّد أنه أكبر من سعر فندق جريديرون أيًا كان ما دفعته فيه. كم دفعتَ فيه؟".

جفل ستينز: "الجريديرون؟".

"أدفعْتُ عشرين جنيهًا؟".

بصعوبة أجابه: "خمسة وعشرين".

خبط مانرينج المنضدة، "أرأيت. أنت جالس فوق كومة من النقود. وطوال أربع أسابيع لم تنفق قرشًا واحدًا. لماذا؟ ما الأمر؟".

لم يرد ستينز على الفور، بعد فترة قال: "هناك فارق كبير بين أن يكتُم المرء سرّه، وأن يصون سرَّ إنسان آخر، وكنت أتمنى لو أن هناك كلمتين مختلفتين، إحداهما تشير لسر المرء، والأخرى تشير لسرَّ لا يخضُّه، سرٌّ ربما ودَّ ألا يطلَّع عليه، لكنه رغم كل شيء قرر أن يصونه. وهذا نفس رأيي بالنسبة للحب، فشتَّان ما بين الحب الذي يعطيه الإنسان، أو يوَدُّ أن يعطيه، وبين الحب الذي يتمناه الإنسان، ويحصل عليه".

ساد الصمت للحظة، ثم، بخشونة، قال مانرينج: "أفهم من هذا أن هناك جوانب أخرى للأمر، للصورة الكاملة".

ستينز: "حسن الحظ لا يمكن أن يكون الصورة الكاملة".

برج الدلو وزحل

وفيه سووك يونج شينج، الذي انتقل حديثًا للسكن في الحي الصيني في كانيير، يتوجّه لهوكتيكا لشراء بعض ما يحتاجه، حيث يلمحه چورچ شيرد مدير السجن، وشقيق الرجل الذي تم اتهام أه سووك بقتله، وزوج القاتل الحقيقي، مارجريت.

وقفت مارجريت شيرد في باب متجر العدَد والأدوات في انتظار انتهاء زوجها من شراء ما يحتاجه، وكان سووك يونج شينج على بُعد ثماني أقدام منها، تخفيه عن أنظارها خزانة بضائع. وقد رآه شيرد حين مرَّ بجانب الخزانة. وحينما رآه تجمَّد، وقست تعبيرات وجهه، وبنبرته المعتادة قال: "مارجريت".

همست: "نعم يا سيدي".

قال بدون أن يرفع عينيه عن سووك يونج شينج: "عودي إلى المخيم. على الفور".

وفي صمت، وبدون أن تستفسر عن السبب، التفتت ومضت. عند انغلاق الباب خلفها، تحرّكت يد شيرد اليمنى ببطء واستقرّت فوق جراب مسدسه. ويده اليسرى تحمل كيسًا ورقيًا بداخله لفّة من الورق، ومفصلتان، وبكرة دوبارة، وعلبة مسامير مسطّحة الرأس. وسووك يونج شينج جاث بجانب علب البارافين يحسب شيئًا ما على أصابعه وأكياسه على الأرض بجانبه.

كان شيرد واعياً، بدرجة ما، لأن الجو العام داخل المتجر ساد السكون التام. ومن خلفه أتي صوت: "هل هناك مشكلة يا سيدي؟". لم يُجِبْه شيرد فوراً. ثم قال: "سأخذ هذه الأشياء" ومدّ يده الممسكة بالكيس الورقي، وانتظر؛ بعد لحظة سمع صوت همس، ثم صوت خطوات أقدام مترددة تقترب منه، وتناول أحدهم الكيس من يده. مرّت دقيقة. وسووك يونج شينج لا يزال يحسب، ولم يرفع رأسه. ثم قال نفس الصوت، فيما يشبه الهمس: "الحساب شلن وستة بنسات يا سيدي".

شيرد: "ضعه على حساب السجن".

الولاية الطويلة للمشتري

وفيه أليستار لودرباك، الذي يظن أن أخاه غير الشقيق، كروسبي ويلز، هو الأخ غير الشقيق، من ناحية الأم، للوغد المدعو فرانسيس كارفر، وبالتالي يظن أن كروسبي ويلز بشكل ما مُتَوَاطِئٌ في الابتزاز الذي خسر فيه لودرباك سفينته العزيزة جودسبيد، يُصاب بالحيرة حين يتلقى خطاباً يحمل ختم بريد هوكتيكا، ويدرك عند قراءة الخطاب أنه كان مخطئاً؛ ممّا يدفعه، بعد الكثير من التفكير العميق، إلى كتابة خطاب.

من المبالغة أن نقول إن خطاب السيد كروسبي ويلز الجديد هو السبب الوحيد وراء قرار أليستار لودرباك بخوض انتخابات البرلمان كمرشّح عن مقعد الأراضي الغربية، لكنه بالتأكيد ساهم في ترجيح كفة الميزان لصالح المقاطعة. قرأ لودرباك الخطاب كاملاً ستّ مرات، ثم ألقاه على مكتبه، وتنهّد، وأشعل غليونه.

سيدي، ستلاحظ من الختم البريدي أنني لم أعد أقطن في مقاطعة أوتاجو، لكنني شددت الرحال كما يقولون. غالبًا لم تظهر مناسبة تحملك على الرحيل غربًا إلى الجبال؛ لذلك سأقول لك إن كانتبري الغربية عالمٌ منفصل عن أعشاب الجنوب. فمشهد شروق الشمس على خطِّ الساحل رائع، وقمم الجبال المغطاة بالثلوج ملوَّنة بلون السماء، والأدغال رطبة وكثيفة، والمياه ناصعة البياض. إنه مكان منعزل لولا شدة الطيور المستمر، والذي هو جميل لاستمراريته. ربما تكون خَمَنْتَ الآن أنني تركت حياتي الماضية وراء ظهري. فقد ابتعدت عن زوجتي. يجب أن أقول إنني أخفيتُ عنك الكثير في خطابي خوفًا من أن أسقط من نظرك لو عرفتَ الحقيقة المرة لزواجي. لن أزعجك بتفاصيل هروبي إلى هذا المكان لأنها قصة حزينة، ويحزنني أن أتذكرها. لقد لِدِغْتُ من نفس الجحر مرتين، وهذا ليس بالشيء الذي يتباهى به الرجال، لكن يكفي أن أقول إنني تعلَّمتُ الدرس. لن أتحدث أكثر من هذا في هذا الموضوع، وبدلًا منه سأحدث عن الحاضر والمستقبل. لن أنقُب عن الذهب مرة أخرى، رغم أن غرب كانتبري مليئة بالذهب، والرجال يصنعون ثروات كل يوم. لا، لن أنقُب لِيَأْتِي مَن يسرقه مني مرة أخرى. بدلًا منه سأجربُ حظي في تجارة الأخشاب. تعرَّفْتُ إلى رجل حسن من الماوري، اسمه تيرو تو فاراي. معنى اسمه في لغته هو "مائة منزل للسنوات". يا لفقر أسمائنا البريطانية مقارنة بمثل هذه الأسماء!. وكأن اسمه سطرٌ في قصيدة. تو فاراي نبيل بربري من الطراز الأول، وأنا وهو نصبح أصدقاء بسرعة. وأعترف بأنني سعيد بأن أكون مرة أخرى بصحبة البشر.

المخلص

كروسي ويلز

الكرامة المتأصلة

وفيه يذهب إيميري ستينز لمقابلة أنا ويذريل في فندق جريديرون، ويرجوها، بعد مقدّمةٍ بسيطة، أن تحكي له قصّة هروب كروسبي ويلز، وأنا، التي اندهشت من إلحاح طلبه وصراحته، لا تجد مانعًا من قص القصة كلها.

لم ينتبه إيميري ستينز أن الفستان الذي ترتديه أنا هو أحد الفساتين الخمسة التي تمّ تكليفه بحراستها وتسليحه بمسدّس لهذا الغرض في فندق هوثورن عصر يوم الثاني عشر من مايو. رغم أنه لاحظ من أول نظرة أنه غير ملائم لها، من المؤكّد أنه صُنِع ليناسب امرأة أكثر امتلاء منها بكثير، لكنه أزاح هذه الفكرة جانبًا. تبادل معها سلامًا دافئًا مصحوبًا بحيرة متبادلة، ومرّت لحظة صمت غريبة دعت

أنا بعدها إلى صالون الفندق، حيث جلسا على مقعدين مستقيمي الظهر أمام المدفأة.

تحدث ستينز على الفور: "آنسة ويذريل، هناك شيء أودُّ أن أستفسر منك عنه، شيء ربما ليس من اللائق أن أسألك عنه، وعليك أن ترفضني فوراً إذاً... إذا لم ترغبني في الإجابة، إذا لم ترغبني في الحديث لأي سبب من الأسباب".

قالت آنا: "أوه"، ثم تنفّست بعمق كأنها تهَيئ نفسها لأمر جَلَل، وأشاحت بوجهها بعيداً.

قال ستينز متراجعاً: "ما الأمر؟".

قامت من مكانها فجأة وقطعت الغرفة، ووقفت لبرهة تتنفس بعمق في مواجهة الحائط، وقالت بصعوبة: "هذه حماقة، حماقة.. لا تؤاخذني. سأكون بخير بعد برهة".

قام ستينز هو الآخر، وقال مندهشاً: "هل جرحت مشاعرك؟ أنا في غاية الأسف إن بدر مني ما يجرحك، ما الأمر؟ ما الأمر؟".

بدون أن تلتفت، مسحّت آنا وجهها بيدها وقالت: "لا شيء، لقد فاجأني الأمر، ليس إلّا، لقد كنت حمقاء إن فكرت في غير ذلك، ليس الذنب ذنبك".

ستينز: "ما الأمر الذي فاجأك؟ وما الذي فُكّرَ فيه؟".

"فقط أنّك...".

"تكلّمي، أرجوك، حتى أستطيع إصلاح الأمر، أرجوك".

تمالّكت نفسها أخيراً، والتفتت إليه واجهت لتبتسم: "يمكنك أن تسأل عما شئت".

"هل أنت متأكّدة أنك على خير ما يرام؟".

آنا: "متأكّدة تمامًا. من فضلك اسأل ما شئت".

ستينز: "حسنًا. الأمر يتعلق برجل يدعى كروسبي ويلز".

تحوّل تعبير وجه آنا من الحزن إلى الصدمة. "كروسبي ويلز؟".

"أظن أنه صديق لك، وهو أيضًا صديقي. أو على الأقل أدين له بالولاء كصديق، ولديّ انطباع أنك تدينين له بالولاء كصديقة".

لم تنبس بكلمة، ظلّت تحدّق فيه برهة ثم قالت: "كيف تعرّفت عليه؟".

ستينز: "لا أستطيع إخبارك بهذا. لقد طلب مني أن أبقى الأمر سرًّا، أعني أن أبقى مكانه الحالي وظروف لقائنا سرًّا. لكنه ذكر اسمك في سياق حديثه عن قطعة ذهبية، ورجل يدعى فرانسيس كارفر ووقوع سرقة ما، وإذا لم يكن لديك مانع، لأنّي أرى نفسي أتجاوز حدود اللياقة في سؤال، إن لم يكن لديك مانع، فإني أودّ أن أسمع القصة كاملة. الأمر ليس مسألة حياة أو موت، ولا يترتب الكثير على معرفتي به، لكنني قد دخلت في شراكة مع السيد كارفر، كانت هذه حماقة مني، أنا متأكد من ذلك الآن، ويملؤني إحساس، إحساس رهيب، أني كنت مخطئًا بشأنه، وأن هذا الرجل شيطان".

قالت: "هل هو هنا؟ كروسبي، هل هو هنا في هوكتيكا؟".

ستينز: "أخشى أني لا أستطيع أن أخبرك".

تحرّكت يداها واستقرّتا على بطنها، وقالت: "لست بحاجة أن تخبرني بمكانه. لكنني أودّ أن تبلغه برسالة. رسالة هامة، مني".

النجم الصاعد

وفيه يمتنع تي رو تاوهار عن ذكر اسم فرانسيس كارفر لكروسبي ويلز، وعن ذكر ملابس لقائهما القصير منذ شهر مضى، ويرجع امتناعه لسببين، أولهما أنه شديد الكتمان بطبعه، وثانيهما هو بعض المكر المتعلق بالربح المادي؛ وفكر تاوهار أنه حين يرى فرانسيس كارفر مرة أخرى سيتحصل على شلن، وربما أكثر، بسهولة.

اشترى كروسبي ويلز أربعة ألواح من الزجاج لنافذته المربّعة، وبقي عليه أن يفتح موضع النافذة ويُرْكَب إطارها؛ استندت ألواح الزجاج حاليًا على الحائط وعكست بضعفٍ ضوء المصباح المهتز، وشبكة الموقد مربّعة الشكل.

ويلز: "قابلتُ رجلًا فقد ذراعه في الفيضانات في دنستن". كان ويلز راقدًا فوق مرتبته، وفوق صدره زجاجة من الشراب، وأمامه جلس

تاوهار يتجرّع من زجاجته الخاصة. واستأنف: "عَلِقَ في مجرى مياه سريعة، وانحشرت ذراعاه، ولم يستطيعوا إنقاذها. كان اسمه بسيطاً. سميث، أو ستون، شيء من هذا القبيل. على أي حال، الفكرة أنه حين حكى عن الحادث بعدها ذكر أن حزنه الحقيقي هو أن الذراع التي فقدوها تحمل وشماً به صورة سفينة كبيرة مفرودة الأشرعة، وقد أهدى نفسه هذا الوشم بعدما دار حول رأس هورن، وأحزنه خسارته بشدة، لا أدري لِمَ أتذكر دائماً هذه القصة، قصة خسارة وشم. قلت للرجل إنه يمكنه وشم ذراعاه الأخرى، وجاء ردُّه غريباً. قال: 'لن أفعل مثل هذا أبداً، لن أفعل مثل هذا أبداً'."

تاوهار: "إنه يؤلم، الوشم (تا موكو)".

نظر إليه ويلز وقال: "هل تُصَدِّمُ في بعض الأحيان حين ترى نفسك؟ أقصد إن مرَّ وقت لم ترَ نفسك في مرآة، هل تنسى؟".

تاوهار: "لا، على الإطلاق". كان وجهه مظلماً، وأبرز ضوء المصباح الخطوط المحيطة بفمه، معطياً تعبيراته مظهرًا حادًا وجدّيًا. "أعتقد أنني قد أنسى".

تاوهار: "لدينا مثْلٌ يقول: كُنْ صديق وشمِّكَ إلى الأبد (تايا أه موكو هاي هوا ماتينجا مو)".

قال ويلز وهو لا يزال محدِّقاً فيه: "لقد جرحت وجه أحدهم بسكين. صنعتُ له ندبة. هنا. من العين حتى الفم. نزفت الندبة كثيراً. هل نزف وشمُّكَ كثيراً؟".

"نعم".

"هل حدث وقتلت رجلاً يا تاوهار؟".

"لا".

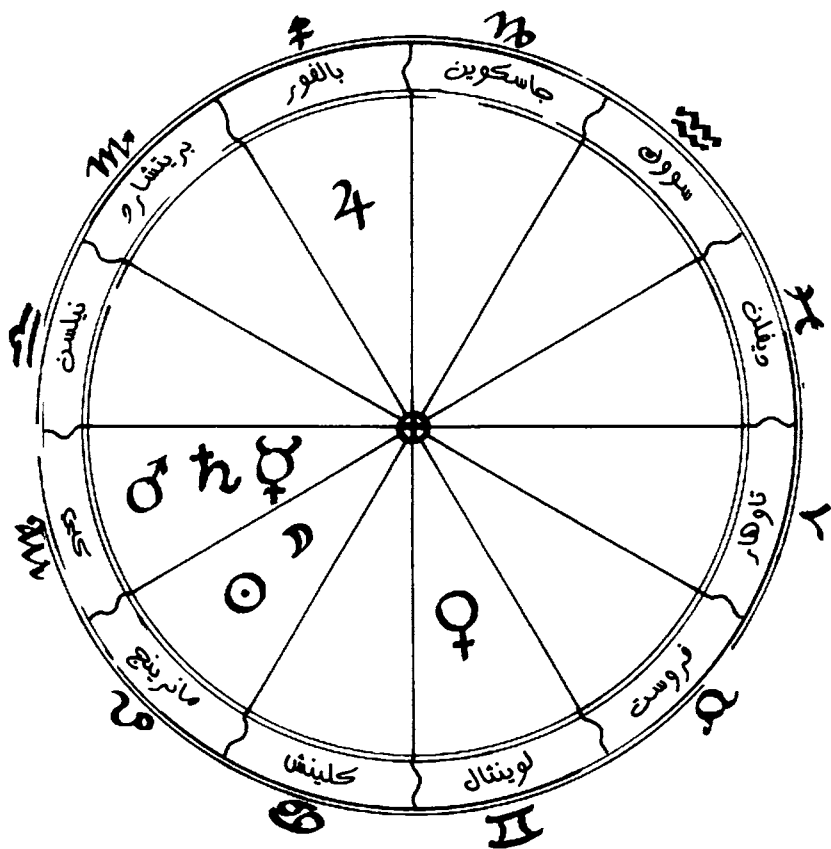
قال ويلز وهو يعود إلى زجاجته: "لَمْ تَقْتُلْ، أنا أيضاً لم أقتل أحداً".

الجزء الثامن

حقيقة منجم الأورورا

22 أغسطس 1865

$42^{\circ} 43' 0'' \text{د} / 170^{\circ} 58' 0'' \text{ع}$



زحل في برج العذراء

وفيه يتقدّم كيي لونج بشكوى لممثل السلطة القانونية، وچورچ شيرد، الذي نما كرهه لسووك يونج شينج بمرور الزمن ليشمل جميع الصينيين، يرفض قبولها، وهو ظلم لم يشعر ناحيته، سواء وقتها أو لاحقًا، بأي تأنيب للضمير.

"لا أفهم ما تقوله".

تنهّد أه كيي. وأشار للمرة الثالثة لشهادة التكليف بالعمل الخاصة به والمفروود بينهما على مكتب شيرد. وفي خانة "مكان العمل الحالي" كُتِبَت: "أورورا".

وشرح: "ناضب، أورورا منجم ذهب ناضب".

"الأورورا ناضب، وأنت تعمل في الأورورا، نعم. لقد فهمت هذا".

قال أه كيي: "مانرينج. مانرينج يجعل الناضب غير ناضب".

ردّد شيرد: "مانرينج يجعل الناضب غير ناضب".

أوما أه كيي، "حسن جدّا. رجل سيئ جدّا".

"هل هو رجل حسن جدّا أم سيئ جدّا؟".

قطّب أه كيي وقال: "رجل سيئ جدّا".

"كيف يجعل المنجم الناضب غير ناضب؟ كيف هذا؟ كيف؟".

أمسك أه كيي محفظته ورفعها. وتحركّ بمنتهى الحرص حتى لا يلتبس الأمر على شيرد، وأخرج قرشًا فضّيًا ووضعه في جيبه الأيسر. ثم انتظر لحظة وأخذ القرش من جيبه وأعاده لمحففته كما كان.

تنهّد شيرد وقال: "سيد كيي. أرى أن مدة عملك لن تنتهي قبل عدة سنوات، لكن صبري قد نفذ منذ عدة دقائق. ليس لديّ الإمكانات ولا الرغبة في فتح تحقيق في أمور السيد مانرينج المالية بناء على نصف معلومة. أرى أن تعود إلى الأورورا، وتعتبر نفسك محظوظًا أن لديك عملاً من الأساس".

المشتري في برج القوس

وفيه أليستار لودرباك الذي أعلن رسميًا عن نيّته للترشح في برلمان نيوزلندا الرابع عن مقعد الأراضي الغربية، وهو طموح بالإضافة إلى إثراء مشواره السياسي المرموق، سيأخذه خلال الأشهر المقبلة عبر جبال الألب إلى الأراضي الغربية ويضمن له اللقاء الذي طالما تمناه أخوه غير الشرعي، يقوم الآن بتوجيه عنايته للتفاصيل العملية، أو بمعنى أدق، يلتمس من أحد معارفه توجيه عنايته للتفاصيل العملية بالنيابة عنه.

أكاروا، الثاني والعشرون من أغسطس

عزيزي توم

أتوقّع أنك علمت بالفعل عن نيّتي في الترشح عن مقعد الأراضي الغربية، لكن إذا فاجأك الخبر، فقد أرفقتُ مقالة من جريدة ليتلتون

تأيمز تضمُّ الخبر والأسباب التي دعتني له بتفصيل لا أستطيعه في خطابي هذا لضيق الوقت. كُن متأكِّدًا من أن عينيَّ متشوقتان لرؤية المناظر الطبيعية الساحرة لكانتربري الغربية. إنني أنوي الوصول إلى هوكتيكا يوم الخامس عشر من يناير، وتقدير ميعاد الوصول يتوقف على حالة الجو، وسأسافر برًّا وليس بحرًا بغرض فحص طريق كرايست تشيرش المستقبلي. وكما تعلم، فإنني أفضّل السفر خفيًّا؛ لهذا رتَّبْتُ لشحن صندوق من المتعلقات الشخصية يغادر ليتلتون في الأيام الأخيرة من شهر ديسمبر. هل يمكن للباخرة فيرتشيو أن تنقله معها إلى الساحل عند مغادرتها ديوندن في العاشر من يناير؟ وبصفتي غريبًا عن كانتربري الغربية سأستعين بخبرتك عن هوكتيكا في تدبير شؤون الإقامة والطعام واستئجار العربات وعضوية النوادي وغيرها، فلديَّ ثقة كبيرة في ذوقك وفي إمكانياتك، وأظنُّ دائمًا

المخلص

أ. لودرباك

القمر الجديد في برج الأسد

وفيه يأخذ مانرينج أنا ويذريل إلى كانيير، ويحسُّ بها قد تغيَّرت، طرأت عليها بعض الصلابة، وبعض الانعزال، فيشفق عليها، رغم أنه بعد حوالي الثلاثة أميال من إحساسه الأول بها، حين تحدث إليها، لم يواسِها، كأنما صاغت الأميال التي قطعوها بداخله، بعض الصلابة.

"الحزن لا يُجدي شيئًا. الحزن مُضِرٌّ للعمل، أيًا كان العمل. الرجال لا يُعَوِّلون على الحزن، ولا يرون فائدة ترجى منه، وهكذا الأمر في مجال عملنا، أتفهمين؟".

آنا: "نعم، أفهم".

كان ذاهبًا بها إلى الحي الصيني، حيث ينتظرهم أه سووك بعجينة الأفيون والغليون.

قال: "لم يحدث أن تعرّضت إحدى فتياتي للقتل أو الضرب من قبل".

قالت: "أعلم ذلك".

قال: "إذن يمكنك أن تثقي بي".

الشمس في برج الأسد

وفيه يثق ستينز بمانرينج لدرجة أنه يعترف بندمه على الدخول في عقد رعاية مع فرانسيس كارفر، وأوضح ستينز أن انطباعه الأول عن شخصية وتاريخ كارفر خاطئ بشدة، وأنه الآن يرى أن كارفر شرير من الطراز الأول، وأنه غير جدير بأي خير؛ فيعرض مانرينج -ضاحكًا- حلًا مثيرًا وشيطانيًا للأمر.

"فيما يتعلق بحقول الذهب، هناك جريمة واحدة فقط".

قالها مانرينج لستينز في طريقهما للحدّ الجنوبي لمنجم أورورا. يخطوان فوق الأعشاب الكثيفة. واستطرد: "ولا تشغل بالك بالقتل، أو السرقة، أو الخيانة، لا، جريمة الجرائم هي الغش، أن تتلاعب بأمل المنقّب؛ فالأمل هو كل ما يملكه المنقّب. وهناك طريقتان للغش: أولهما: تمليح حقل ناضب، والأخرى: ادّعاء نضوب حقلٍ مُنتج".

"وأيهما هي الأسوأ؟".

قال مانرينج وهو يزيح غصنًا بقدمه: "الأمر متروك لتقديرك. إن ضبطوك تُمْلَح حقلاً قد تموت مقتولاً في سريرك، وإن ضبطوك تدّعي نضوب حقل مُنتِج تكون مُستَحِقًّا للشنق. القتل بدم بارد أو بدم حار، الاختيار متروك لك".

ابتسم ستينز: "هل أنا بصدد التعامل مع رجل بارد الدماء؟".

قال مانرينج وهو يشيح بذراعه: "يمكنك أن تقرر هذا بنفسك. ها هو ذا، الأورورا".

توقّف ستينز قائلاً: "آه، حسنًا، جيد جدًا".

كلاهما كان يلهث قليلاً من المشي.

عائناً الأرض سويًا. لاحظ ستينز وجود رجل صيني على بُعد ثلاثين ياردة منهما مقرّصاً وبين يديه طبق لفصل الذهب.

مانرينج: "ما هو عكس 'ثروة تعود بك لوطنك'؟ أن لا تعود إلى وطنك أبداً؟ أن تجعل هذا من نصيب كارفر؟".

ستينز: "مَن هذا؟".

مانرينج: "هذا كيي. سيظل يعمل هنا".

خفض ستينز صوته، "هل يعلم بالأمر؟".

ضحك مانرينج، "يعلم بالأمر؟ وما الذي قلته لك الآن؟ لا يا سيدي، أنا لا أودُّ أن أموت مقتولاً في سريري".

"لا بُدَّ أنه يظن أن هذا الحقل سيء جداً".

ردّ مانرينج باحتقار: "ليس لديّ أي فكرة عمّا يظنه هذا الرجل".

فجر من نوع آخر

وفيه يضع أه كئي يديه على الانحناء المصفح لصديرية أنا، فيقع على اكتشافٍ مثير لن يدرك أهميته إلا بعدها بثمانية أيام، حين ينتهي من العمل على الأربعة فساتين القماشية الخاصة بأنا، ويحسب قيمة الثروة المخبأة فيهم، هذا بالطبع بخلاف الذهب المخبأ في الفستان الحريري البرتقالي الذي لا ترتديه أنا أبداً عند قدومها إلى كانيير.

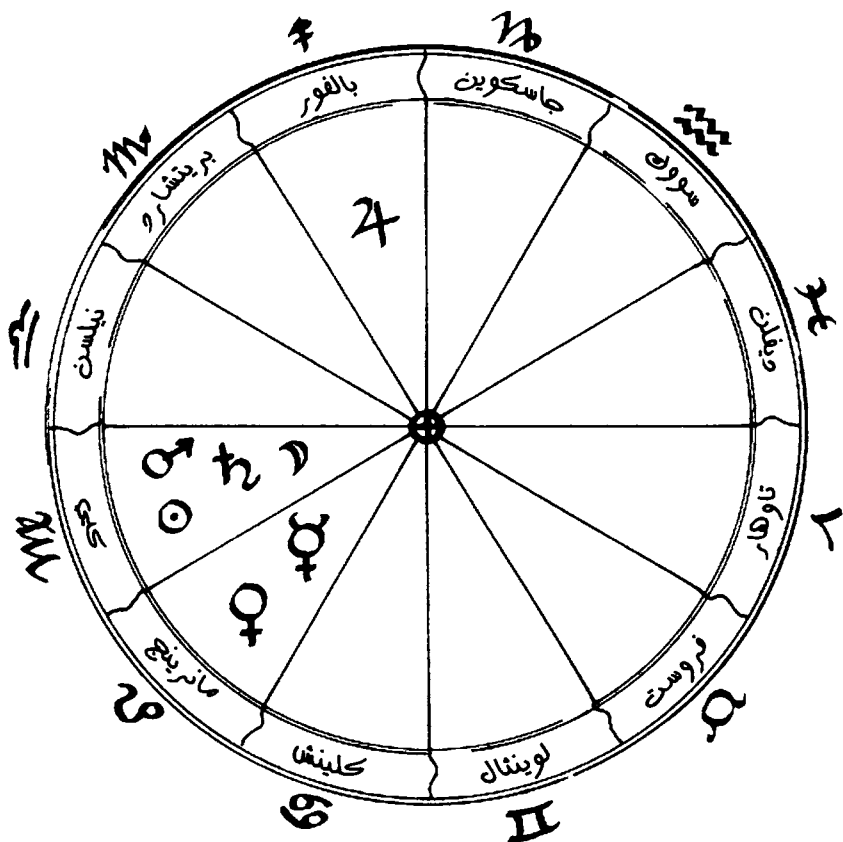
رقدت أنا هادئة تماماً وعيناها مغلقتان بينما يمرر أه كئي يديه على فستانها. ربّت أصابعه كل جزء من صديريتها، وتتبعّت كل ثنية، التقط طرف الفستان الثقيل ومرّره بين يديه. لمساته الرتيبة بدت كأنها تثبّتها في الزمان والمكان، أحسّت أنه لا بُدّ سيلمس كل جزء من فستانها قبل أن يلمسها هي، غمرها هذا اليقين بهدوء صافي عميق. حين دفع ذراعه تحت كتفيها ليقبلها أطاعته في صمت ورفع يديها الخدرتين إلى فمها كطفل وأدارت وجهها ناحية صدره.

الجزء التاسع

الأرض المتغيرة

20 سبتمبر 1865

$42^{\circ} 43' 0'' \text{ } \nearrow / 170^{\circ} 58' 0'' \text{ } \text{E}$



القمر في برج العذراء، هلال

وفيه يملأ أه كيي موقده بالفحم بغرض سبك آخر كمية من الذهب الذي استخرجه من فستان أنا، ونقش السبائك المصبوبة باسم المنجم المكلف بالعمل عليه، الأورورا، وأنا النائمة، تند عنها أصوات ضيق وألم، وترفع يدها إلى وجنتها كأما تحاول سدَّ جرح ينزف دمًا.

استيقظت أنا، فوجدت الصبح قد أصبح. لقد نقلها أه كيي إلى ركن كوخه. ووضع بطانية مطوية تحت خدها، وغطاها بحرملته الصوفية. عرفت حين استيقظت أنها كانت تتحدث في نومها، فقد أحسَّت باحتقان في وجهها، واضطراب في داخلها؛ أحسَّت أيضاً أن حرارتها مرتفعة، فشعرها مبتلٌ من العرق. أه كيي لم يلحظ استيقاظها. رقدت في سكون تراقبه منهمكاً في إعداد إفطاره، وينظر إلى أظافر يديه، ويومئ برأسه، ويدندن، وينحني ليقلب الفحم.

الشمس في برج العذراء

وفيه إميري ستينز، بعد أن أصبح صديقًا لكروسيبي ويلز واكتسب كلا من الرجلين ثقة الآخر وولاءه، يسمع من كروسيبي القصة الكاملة للخيانة التي عانى منها على يد فرانسيس كارفر، فيقرّر على الفور أن يزور التقرير ربع السنوي ويمحو كل أثر للكنز من سجلات المنجم، ويغفل تمامًا عن كيي، العامل المثابر الذي يستحق تبعاً للمتعارف عليه، ورغم ظروف تكليفه بالعمل، نسبة من هذا الكنز.

فوجئ إميري ستينز عند وصوله إلى قاعدة المخيم بعلامة فوق صندوق الأورورا، في إشارة لتسليم إيراد. فطلب من الحارس الموجود أن يفتح الصندوق. ووجد بداخله سبائك ذهبية مرصوفة بعناية. التقط ستينز إحدى السبائك وقال: "إن طلبت منك أن تشيح بوجهك

بعيدًا حتى أنقل محتويات هذا الصندوق من هنا. كم ستطلب مني؟".

فكّر الشرطي للحظة ومرّر أصابعه صعودًا وهبوطًا على طول ماسورة بندقيته وقال: "عشرون جنيهًا، بنكية وليست ذهبية".
قال ستينز: "سأعطيك خمسين".

كسوف جزئي للشمس

وفيه يتَّجه إيميري ستينز إلى وادي الأراهورا، بكيسٍ في يده، بنية دفن الكنز لبعض الوقت في بقعة أرض مخصَّصة للماوري، بدون أن يفكر في احتمالية قدوم فرانسيس كارفر لهوكتيكا للتَّحرِّي عن سرِّ نضوب منجم واعد بالخير مثل الأورورا.

دفع طائر من نوع التوي رأسه داخل نبات الكتان عند كتف ستينز وصاح صيحته المجلجلة، التي تبدو كصوت عصا تمر فوق الألواح الخشبية المتباعدة لسور خشبي، ممزوجة بنغم يعزفه ناي من البوص. مزيج غريب ومدهش! مد راحته ولمس الأوراق الشمعية لنبات الكتان ملاحظاً ألوانها الزاهية بسعادة. كانت الأوراق بنفسجية عند أطرافها ويذوب اللون بسرائه في الورقة لينتهي إلى درجة من الأخضر المبيض في المنتصف.

رفرف التوي مبتعدًا، وساد السكون. مد ستينز يده والتقط
السبائك ورصّها بعناية في قاع الحفرة التي حفرها. وبعد أن أهال
التراب رتب فوق الحفرة بعض الأحجار مبطّطة السطح بطريقة
تُمكنه من تمييزه، وبعدها محّا آثار أقدامه.

بابا- تو- أ- نوكو أُمنّا الأرض

وفيه، على بعد حوالي نصف ميل إلى الجنوب من مكان الذهب المدفون حديثًا، يجلس كروسبي ويلز وتاوهار يتناولان هانجي، وهي وجبة طُهِيت في حفرة مغطاة بالتراب، وبعد تمام النضج واستخراج الطعام المدفون وفتح أوراق النباتات الملفوفة حول اللحم تظهر تحتها وجبة فاخرة من اللحم الطري الغني المدخّن والمنكّه بطعم أوراق النبات ونكهات التربة الغنية.

"ما أقوله هو أن الأمر بلا قيمة. أنتم بأحجاركم الخضراء، ونحن بذهبنّا. حتى وإن تبادلنا المواضع. إن كان لدينا ما يُسمّى حُمّى الأحجار الخضراء، أو كما قد ندعوها وقتها، حُمّى الأخضر".

فَکَّرَ تَاوَهَارُ فِيمَا سَمِعَهُ وَهُوَ يَمْضِغُ. وَبَعْدَ فِتْرَةٍ ابْتَلَعَ مَا فِي فَمِهِ وَهَزَّ رَأْسَهُ وَقَالَ: "لَا".

وَأَصْرَّ وَيَلِزُ عَلَى رَأْيِهِ، وَهُوَ يَمْدُّ يَدَهُ لِقِطْعَةٍ أُخْرَى مِنَ اللَّحْمِ: "لَيْسَ هُنَاكَ فَارِقٌ. رُبَّمَا لَا تَعْجَبُكَ الْفِكْرَةُ، لَكِنْ عَلَيْكَ أَنْ تَعْتَرِفَ بِالْأَمْرِ، لَا يَوْجَدُ فَارِقٌ. إِنَّهُ مَجْرَدُ اخْتِلَافٍ فِي نَوْعِ الْمَعَادِنِ، اخْتِلَافٌ فِي نَوْعِ الصَّخُورِ".

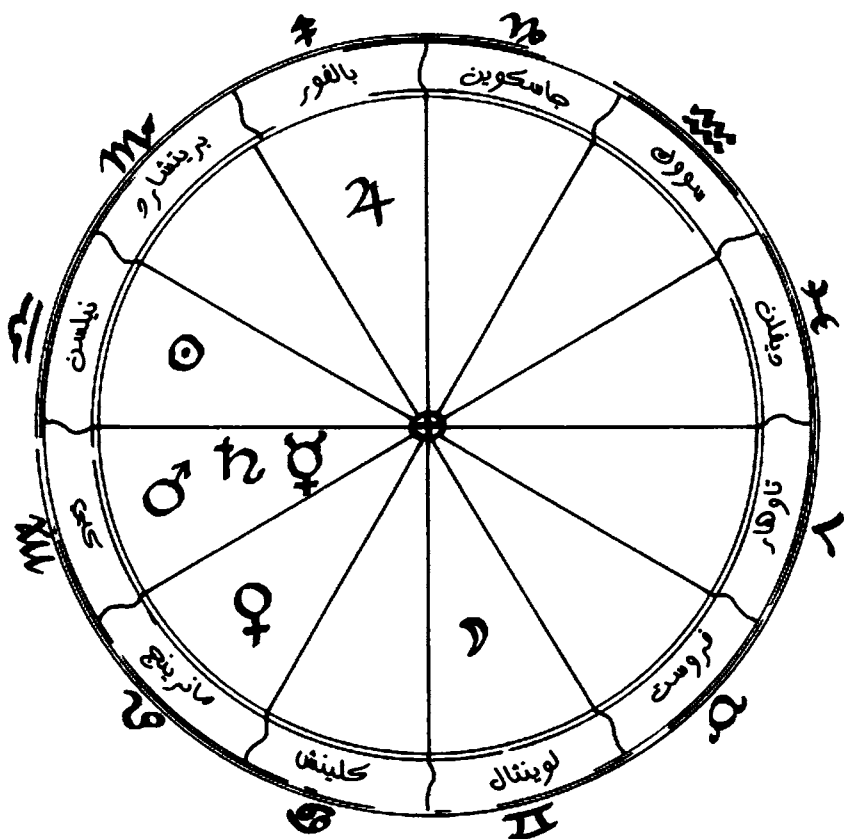
رَدَّ تَاوَهَارُ وَقَدْ بَدَأَ عَلَيْهِ الْغَضَبُ: "لَا. لَيْسَ الْأَمْرُ سَيِّئًا".

الجزء العاشر

تعاقب الأمور

11 أكتوبر 1865

$42^{\circ} 43' 0'' \text{ د} \int 170^{\circ} 58' 0'' \text{ ع}$



الأذى

وفيه أنا ويذريل، التي تتذكّر الاعتداء الذي وقع في غرفة النوم في هاوس أوف ماني ويشيز بديوندين في ليلة الثاني عشر من مايو بوضوح يغمرها بالأسى والاشمئزاز، والتي تعذبها هذه الذكرى كل يوم، ولا يُخَفَّف من عذابها معرفتها بأن تواطؤها المستتر ساعد رجلًا بريئًا في الهروب دون أن يلحقه سوء، يفاجئها ظهور الرجل المشوّه بنفسه، وفي لحظة ضعفٍ تنسى نفسها.

كان فرانسيس كارفر على ظهر جواد في طريق كانيير في طريقه لداخل البلاد حين ملح هيئة مألوفة على جانب الطريق. كبح جماح جواده وترجّل، واقترب منها، ولاحظ أن مشيتها ليست مُتَزَنَةً ووجهها شديد الاحمرار. وكانت تبتسم.

وقتمت: "لقد هرب. ساعدته على الهروب".

اقترب منها كارفر ووضع إصبعه تحت ذقنها وأدار وجهها ناحيته:
"مَن؟".

"كروسي".

تجمّد كارفر على الفور. وقال: "ويلز. أين هو؟".

أصيبت بالفواق، وفجأة بدا عليها الخوف.

جذبها وصفعها بعنف على وجهها، "أين؟ أجيبيني. هل هو هنا؟".

"لا".

"هل هو في أوتاجو؟ في كانتبري؟ أين هو؟".

وبيأس التفتت لتهرب. أمسك كارفر بكتفها وجذبها ناحيته...
لكن لحظتها أتی صوت طلقة رصاص، بالقرب منهما...

صرخ كارفر: "والا"، وهرب مبتعداً...

وجفل الجواد...

مكتبة

t.me/soramnqraa

السقوط

وفيه تكذب أنا لتحمي كروسبي ويلز، ويأتي هذا الإثبات المتأخر
للولاء كمحاولة للتكفير عما اقترفته من خيانة، الذكرى الباهتة لهذه
الخيانة تتبدل وتتغير بشكل يدعو للشك، فقد كسا عقلها الضباب
ثلاثة مرات؛ أول مرة كانت بالأفيون، وثاني مرة كانت بالعنف، والمرة
الأخيرة كانت بالمسكن الذي أعطاه لها الدكتور جيليز تمهيداً لعملية
حزينة، خلال تلك العملية، بكّت أنا، وتأوّهت، وخمشت نفسها،
ووصلت لحالة من السوء اضطر معها الدكتور جيليز لطلب المساعدة
في تكبيل حركتها، ولوينثال، الذي هو بطبيعته رجل ثابت الجأش في
أوقات الشدة، انخرط في البكاء وهو يجذب يداها بعيداً.

حين فتحت أنا عينيها رأت لوينثال واقفًا بجانبها بقطعة قماش بيضاء في يد ووعاء من المخدّر في اليد الأخرى، وبجانبه وقف إدجار كلينش صاحب الوجه.

كلينش: "لقد استيقظت".

لوينثال: "آنا، آنا. يا عزيزتي".

آنا: "هممم".

"أخبرينا ماذا حدث. أخبرينا من فعل هذا".

قالت آنا بصعوبة: "كارفر".

سأل لوينثال وهو يميل فوقها: "مَن؟".

يجب عليها ألا تخون كروسبي ويلز. لقد أقسمت ألا تخونه. يجب عليها ألا تذكر اسمه.

قالت مرة أخرى، وعقلها يصفو، ويغيم: "كارفر".

"مَن؟".

آنا: "هو والد الطفل".

النجم الهابط

وفيه يعلم إيميري ستينز من بنجامين لوينثال بوقوع اعتداء على أنا، فيسرج حصانه وينطلق إلى وادي الأراهورا، بفكُّ مُطَبَّق، وعينين دامعتين، وهي المظاهر الخارجية لاضطراب عاطفي لم يستطع طوال رحلته إلى الشمال أن يعرف سببه الحقيقي، ولا استطاع أن يصيغه بوضوح، وكيف لمن يقاسي شعورًا جارفًا أن يستطيع صياغته أو فهمه على الفور، وهو قد أصابه غمٌ شديد من وصف لوينثال الصادق للإصابات التي حدثت، وللدّم الذي أغرق مريلة الطباعة من أعلاها لأسفلها، حتى أنه نسيّ محفظته وقبّعته في اسطبل الخيل، وكاد في طريقه أن يدهس هارالد نيلسن الذي كان يخرج من متجر تيجران للمعدات بحقيبة ورقية تحت إبطه.

فتح ويلز الباب. ورأى على العتبة، إيميري ستينز، محني الظهر.

وبكى الفتى، "مات الطفل. مات طفلك".

ساعده ويلز على الدخول، واستمع إلى القصة. ثم أحضر زجاجة من البراندي وملأ لكلٍّ منهما كأساً، وأفرغ كلاهما كأسه، وأعاد ملئهما، وعادت الكؤوس فارغة، وأعاد ملئهما للمرة الثالثة.

قال ستينز، بعدما فرغت الزجاجة: "سأعطيها النصف. سأقتسمها معها. لديّ ثروة، مخفية، مدفونة في الأرض، سأخرجها".

حدّق فيه ويلز، وبعد وهلة سأله: "كم يبلغ النصف؟".

تمتم ستينز: "أعتقد أنه ربما يكون ألفين من الجنيهات". وأراح رأسه على المنضدة وأغلق عينيه.

جلب ويلز صندوقاً من الصفيح من فوق الرّف، وفتحه، وأخرج ورقة نظيفة وقلم حبر. وكتب:

في هذا اليوم، الحادي عشر من أكتوبر 1865، يُدفع مبلغ ألفين من الجنيهات للآنسة أنا ويذريل، من نيو ساوث ويلز، من السيد إيميري ستينز، من نيو ساوث ويلز، بشهادة السيد كروسبي ويلز وتوجيهه.

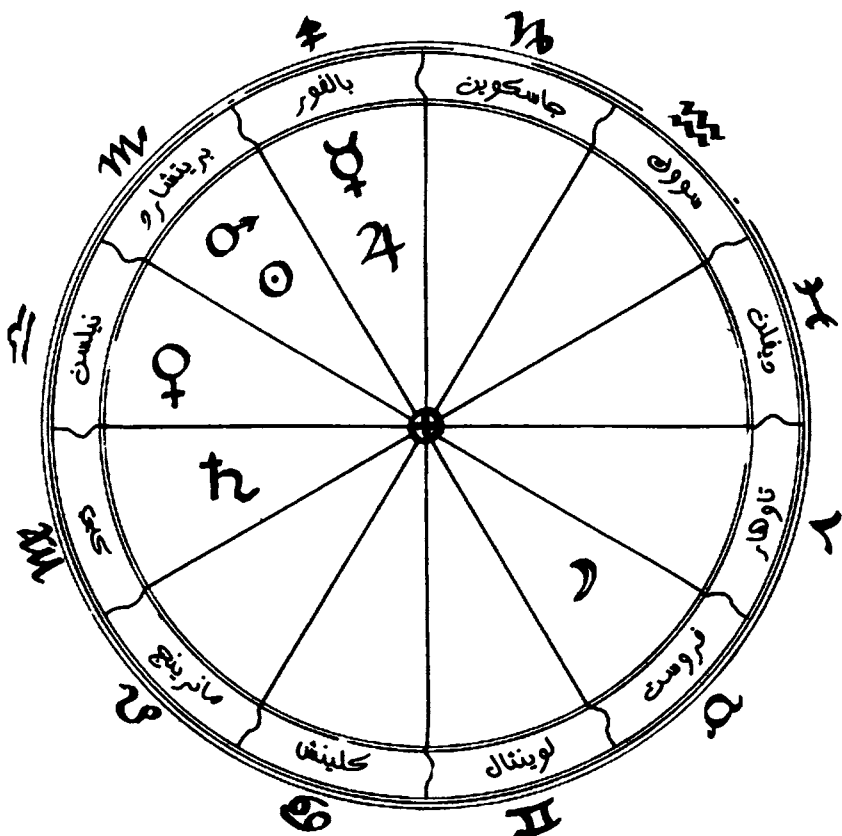
قال ويلز: "ها هي ذي". ووقّع باسمه، ودفع الورقة ناحية ستينز قائلاً: "وقّع باسمك".

لكن الفتى كان نائماً.

الجزء الحادي عشر

أفول كوكبة الجوزاء عند صعود كوكبة العقرب 3 ديسمبر 1865

12° 43' 0" ق / 170° 58' 0" ع



القمر في برج الثور (من ناحية كوكبة الجوزاء)

وفيها أنا ويزريل، الغارقة في أفكارها، حين تحسب التزاماتها،
تجتاحها موجةٌ من الحُزن، فتشيخ، بعيني عقلها، بعيداً، بحثاً عن
موضوع أطف، لتهبط، بشكل حتمي، على المبتسم، لامع العينين،
إيميري ستينز، الذي أصبحت تتمنى أن تكون فكرته عنها حسنة أكثر
مما تتمنى هذا من جميع من تعرفهم، وتُسحَق هذه الأمنية بمجرد
أن تولد، لعلمها أن مكانته بعيدة عنها بُعْد الأرض عن السماء، وفرصه
في الحياة مشرقة ووفيرة، في حين أن فرصها هي قائمة وضيئة، وتوقعت
أن يكون رأيه فيها عكس رأيها فيه، وآمَنت بهذا رغم أنه زارها ثلاث
مرات منذ تعافيتها، وأهداها مؤخراً زجاجة من البراندي الأندلسي،
الزجاجة الأخيرة من نوعها في هوكتيكا كلها، رغم أنه وبمجرد أن
تناولتها من يده انتابه حزن مفاجئ ورجاها أن تعيدها له ليستبدلها

بهديّة أفضل، وردت عليه، بصدق، إنها تحسُّ بمنتهى الإطراء لأن يتم إهداؤها هديّة غير مناسبة، وأن تلك الزجاجة الأخيرة من نوعها في هوكتيكا، هي أكثر الهدايا التي تلقّتها في حياتها ندرّة وتفرّد.

تضاعفت ديون أنا لمانرينج في الشهر الأخير. مائة جنيه! ستحتاج لعقْدٍ من الزمن لكي تسدّد مثل هذا المبلغ، وربما أكثر، إذا ما أخذنا في الاعتبار مُعدّلات الفائدة، وتكلفة الأفيون، وحقيقة أن قيمتها هي نفسها ستقلُّ حتماً بمرور الأيام. كسا بخار أنفاسها زاوية النافذة بالضباب، فمدّت يدها لتلمسه. وخطرت لعقلها كلمة، مثّل دارج. المرأة الساقطة لا مستقبل لها، والرجل الناجح لا ماضي له. هل سمعت هذا المثل في مكان ما؟ أم تكون هي مَنْ صاغته بنفسها؟

الشمس في برج العقرب

وفيه إميري ستينز، الغارق في أفكاره، يراجع نواياه، إن صراحته الطبيعية تقبلت بمنتهى السهولة حقيقة رغبته، وحقيقة سعادته، والسهولة التي يمكنه بها تحقيق متعته، وهو لا يحس بأي عار من كل هذا، لكنه على الرغم من هذا توقف، لأنه على الرغم من الاختلاف بين مكانتيهما، إلا أنه يحس بارتباط بينه وبين أنا ويذريل، يحس ناحيتها بصلة تجعله يشعر بأنه أقل اكتمالاً، وليس أكثر اكتمالاً، إنه يحس أن طبيعتها، التي هي تعاكس طبيعته، وتتوافق معها في نفس الوقت، تنير بداخله جوانب لا تنعكس على مظهره، وتجعله يحس إنه قد انقسم نصفين، وفي نفس الوقت قد تضاعف، أو بمعنى أصح، فهو يحس أنه قد تضاعف في حضورها، وفي البعد عنها يحس أنه فقد نصفه، وكنتيجة لذلك، وجد نفسه فجأة يشك في خصاله الطبيعية من الصراحة والفضول البريء الذين، في الأحوال العادية، كان سيتصرف بناء عليهم، بدون أي شك أو تأخير؛ وتقاطعه

بصفة مستمرة، وهو غارق في هذه الأفكار، ملحوظة صدرت عن جوزيف بريشارد، تقول: "لولا ديونها، وإدمانها، لتلقت العديد من عروض الزواج من العديد من الرجال". تخطر تلك الملحوظة على باله كثيراً، وتسبب له الكثير من الإزعاج.

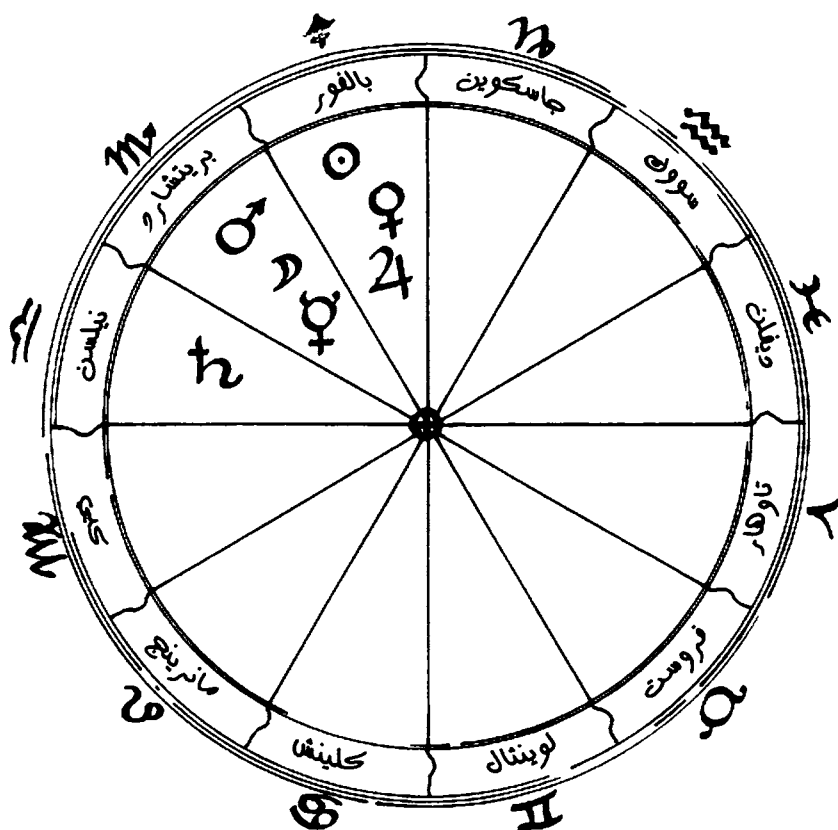
ربما يمكنه أن يشتريها لليلة. وفي الصباح يصطحبها إلى الأراهورا حيث يريها الثروة التي دفنها هناك. يمكنه أن يشرح لها أنه يريد أن يمنحها نصفها. هل حقيقة أنه دفع بالفعل في مقابل صحبتها ستجعل هديته بلا قيمة؟ ربما. لكن هل يمكنه تحمّل فكرة أن رجلاً آخرين قد عرفوها بشكلٍ لم يعرفها هو، ستينز، به؟ إنه لا يعرف الإجابة على هذا. هرس ورقة نبات في راحة يده ثم رفع كَفَّه إلى أنفه ليشم رائحة العصارَة.

الجزء الثاني عشر

القمر القديم في أحضان القمر الجديد

14 يناير 1866

$42^{\circ} 43' 0'' \text{ د} \int 170^{\circ} 58' 0'' \text{ ع}$



المنيران

وفيهما يتم شراء أنا ويذريل لليلةٍ بأكملها، ويركب أليستار لودرباك جواده ليقابل شقيقه غير الشرعي، ويتجه فرانسيس كارفر إلى وادي الأراهورا بناء على معلومة، وتطأ قدما والتر مودي أرض نيوزلندا، وتُدير ليديا ويلز عجلة الحظ الخاصة بها، ويجلس جورج شيرد في السجن ببندقيته فوق ركبته، ويُفتح صندوق شحن فوق رصيف جيبسون، ويرقد العشاقان سوياً، ويفتح كارفر قنينة مخدر، ويرفع مودي وجهه للسموات الغربية، وينعس العشاقان، ويراجع لودرباك بينه وبين نفسه الاعتذار الذي ينوي تقديمه، ويعثر كارفر على الثروة المستخرجة من مدفنها، وتُدير ليديا ويلز عجلة الحظ الخاصة بها مرة أخرى، ويستيقظ إميري ستينز ويجد سريره فارغاً، وتُشعل أنا ويذريل غليونها التماساً للسلوان، ويقع ستينز ويخبط رأسه، وتُصاب أنا بارتجاج في رأسها، ويخرج ستينز تحت ستار الليل مشوّشاً بسبب المخدّر، وتخرج أنا تحت ستار الليل مشوّشة بسبب الارتجاج، ويلمح

لودرباك كوخ أخيه من فوق حافة الجبل، ويشرب كروسبي ويلز نصف القنينة، ويحجز مودي غرفة في فندق، ويتعثر ستينز على رصيف جيبسون ويقع، وتتعثّر أنا على طريق كرايست تشيرش وتقع، ويتم تثبيت غطاء صندوق الشحن في مكانه بالمسامير، ويلقي كارفر بقطعة من الورق في الموقد، وتضحك ليديا ويلز كثيرًا بسعادة، ويطفئ شيرد مصباحه، وتحرّر روح الناسك بمنتهى الهدوء وتشرع منفردةً في رحلة صعودها، لتجد مقرّ راحتها النهائي بين النجوم.

"ستكون الليلة هي البداية".

"حقًا؟"

"ستكون البداية بالنسبة لي".

"بدايتي أنا هي طيور القطرس".

"بداية جيدة، أنا سعيدة أنها بدايتك. الليلة ستكون بدايتي أنا".

"هل يجب أن تكون بداياتنا مختلفة؟".

"بدايات مختلفة؟ أظن أنه لا بدّ منه".

"هل سنحظى ببدايات أخرى مختلفة؟".

"سنحظى بالكثير منها. هل عيناك مغلقتان؟".

"نعم، هل عيناك أنت مغلقتان؟".

"نعم. رغم أن الظلام حالك لدرجة لا تشكّل فرقًا".

"أحسّ أني أكبر من نفسي".

"أحسّ أن قلبي انفتحت فيه حجرة جديدة".

"اسمعي".

"ما الأمر؟".

"المطر".

مكتبة

t.me/soramnqraa

شكر وتقدير

أنا ممتنة للغاية لكل التشجيع والمساعدة التي قدّمتها لي مؤسسة نيوزلندا للفنون، وولاية لويس جونسون، ومؤسسة كرييتف نيوزيلند، ومجتمع المؤلفين النيوزلنديين، وعائلة تايلر تشيهاك، وعائلة شولتز، ومؤسسة أيوا للفنون، وقسم اللغة الإنجليزية في جامعة كانتربري، ومركز مايكل كينج للمؤلفين، وقسم اللغة الإنجليزية في جامعة أوكلاند، وكلية الفنون الإبداعية في معهد مانوكاو للتكنولوجيا، وزملائي وأساتذتي في ورشة أيوا للمؤلفين. لقد كنت سعيدة الحظ للغاية للفرصة التي أتاحت لي بالوجود في جرائنا في المملكة المتحدة، ولبتل براون في الولايات المتحدة الأمريكية، وفي ماكلياند وستيوارت في كندا، وفي كلية فيكتوريا للصحافة في نيوزلندا.

هذا الكتاب ليس تدوينًا للحقائق بأي شكل من الأشكال، ورغم هذا فأنا أدين بالإلهام لكتاب كولن تاونسند الذي يسجل بعض الحقائق عن سجن مرتفع سي فيو، الكتاب بعنوان: Misery Hill.

وأيضًا كتاب ستيفان إلدرد-جريج عن تاريخ البحث عن الذهب في نيوزلندا بعنوان: Diggers, Hatters and Whores. أدين أيضًا بالشكر لأرشيف الصحف في مكتبة نيوزيلندا العامة (paperspast.natlib.govt.nz)، وللمصادر الفلكية الموسوعية والمرحة في موقع: www.astro.com، وأعمال علماء الفلك ستيل ستارسكاي وكوين كوكس. وقد استخدمت لرسم وتتبع خرائط النجوم والكواكب السماء التفاعلية التي يتيحها موقع www.starandtelescope.com وأيضًا تطبيق ستيلاريوم المتاح لأجهزة ماك.

وأرسل حبي وشكري لكل من ماكس بورتر، وسارة هولواي، وفيرجس باروغمان. وإلى فيليب جوين چونز، وريجان آرثر، وأنيتا تشونج. وإلى كارولين دوناي، وأوليفيا هنت، وچيسيكا كريج، وليندا شوجنيسي، وسارة ثيكت، وزوي روس، وصوفي سكارد. وبالطبع لإيما بورجس- سكوت، وجستن توريس، وإيفان جيمس، وكاتي بيري، وتوماس فوكس بيري. الذين كانت صداقتهم والمحادثات التي جرت بيننا مصدرَ إلهام لكتابة هذا الكتاب بطرق لا يمكنني حصرها. شكري الخالص أيضًا لتشوكونج جودي جوان التي ترجمت أجزاء من هذا الكتاب بالطريقة التي تنطق بها باللغة الكانتونية. ولكريستين لو، وسارة بانس، وإيلونا جاسيويتز، وأن ميدوز الذين ساعدوا في تحرير الكتاب. ولباربرا هيليام التي رسمت الخرائط بهذا الشكل الجميل. ولفيليب كاتون الذي شرح لي النجوم والكواكب والنسبة الذهبية بين أطوال الخطوط بين النجوم في السماء، ولجوان أوكلي، التي أرسلت لي نشرة أخبار السفن عبر المحيط.

وأخيرًا، وأولًا، إلى ستيفن توسنت، الذي كان حاضرًا عند كل منعطف وعند كل اختلاف وعند كل بداية، والذي كان الأبعد، والأقرب، مَنْ يؤمن بالعلاقات، وشاركني إيمانه... لا يمكنني إخبارك كم كنت مؤثرًا، مني إليك... كل الشكر.

نبذة عن المؤلفة

وُلِدَت إيلانور كاتون في كندا عام 1985، لأمّ نيوزيلندية وأبٍ أمريكي، ثم انتقلت وهي طفلة في السادسة مع عائلتها إلى نيوزلندا، وكبرت في كرايست تشيرش، وفي عامها الثالث عشر انتقلت مع عائلتها إلى مدينة ليدز في يوركشاير بإنجلترا لمدة عام أثناء إجازة لوالدها من عمله في الجامعة، ثم عادت العائلة إلى نيوزلندا، وواصلت إيلانور تعليمها حتى حصلت على شهادة الماجستير في الكتابة الأدبية من جامعة فيكتوريا في ولينجتون بنيوزلندا.

كتبت إيلانور أولى رواياتها (The Rehearsal) كأطروحة للحصول على درجة الماجستير، ونشرت الرواية عام 2008، وحصلت كاتون عنها على العديد من الجوائز، تحوَّلت الرواية إلى فيلم عام 2016، وكتبت كاتون بنفسها السيناريو الخاص به. كذلك كتبت سيناريو المسلسل القصير المُقتَبَس عن روايتها المنيران الذي تمَّ عرضه عام 2020. كما عملت كاتون في تدريس الكتابة في أوكلاند بنيوزلندا. وتعيش كاتون حاليًا في كامبريدج بإنجلترا مع زوجها وابنتها.

نبذة عن المترجمة

روزا صلاح يوسف

نشأت في أسرة مُحبّة للأدب، لوالد مهندس كهرباء يعمل في مجال الاتصالات، وقارئ نهم بالعربية، وعاشق للأدب المحلي والمترجم، وشغوف بالحديث عن انطباعاته عمّا يقرأ، وحكّاء لا يُضاهى، ومن التفافنا حوله نستمتع إليه باهتمام في محاولة ناجحة للهروب من المذاكرة والواجبات؛ نبع الشغف بالترجمة.

المنيران هي رواية تاريخية تدور أحداثها في حمى الذهب في نيوزيلندا عام 1866. وتدور القصة حول سلسلة من الأحداث الغامضة في بلدة حمى الذهب "في هوكيتيكا، بما في ذلك جريمة قتل، وشخص مفقود، وثروة مخفية. وتتضمن الرواية عناصر فلكية، مع حياة اثني عشر شخصية رئيسية من الذكور مرتبطة بعلامات البروج الاثني عشر. هذه التأثيرات الفلكية تشكل شخصياتهم ومصائرهم بمهارة. وتعيد كاتون ببراعة خلق جو عصر حمى الذهب، ويلتقط الطاقة الخام، والتوترات الاجتماعية، وإغراء الثروة المفاجئة. وتعمق الرواية في موضوعات الجشع والطموح والمصير والإرادة الحرة والبحث عن المعنى في عالم سريع التغير. فازت الرواية بالعديد من الجوائز، منها جائزة البوكر عام 2013 لأصغر كاتبة في تاريخ الجائزة. أفضل الكتب لعام 2013 قائمة (Wall Street Journal) - وأفضل خمسة عشر عملاً أدبياً لعام 2013 قائمة (The Christian Science Monitor). جائزة أفضل عمل أدبي عام 2014 من (New Zealand Post Book Awards). وجائزة (Governor General's Award for English-language fiction) في كندا. كما ترشحت للعديد من الجوائز العالمية.

ISBN 978-977-894-043-5



9 789778 940435

مكتبة

t.me/soramnqraa

الحزب